خير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم

مجلة

الهدي النبوي

تصدرها جماعة أنصار السنة المحمدية

من سنة ١٣٥٦هـ الى سنة ١٣٨٧هـ

ومِمَّن كتب فيها

الشيخ محمد حامد الفقي
الشيخ عبد الرزاق عفيفي
الشيخ عبد الرحمن الوكيل
الشيخ محب الدين الخطيب
الشيخ أحمد محمد شاكر
الشيخ عبد الظاهر أبو السمح
الشيخ أبو الوفا محمد درويش
الشيخ محمد خليل هراس




١٣٨٣هـ

الناشر

مكتبة منار التوحيد للنشر
المدينة النبوية ت/ ٠٤٨٤٥٥٤٢٠

مكتبة ابن تيمية للنشر والتوزيع
القاهرة ت/ ٠٢٣٥٨٦٤٤٢٤٠

مكتبة ابن تيمية للنشر والتوزيع

خير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم

الهدي النبوي

تصدرها جماعة أنصار السنة المحمدية

الناشران

مكتبة منار التوحيد للنشر
المدينة النبوية / ٠٤٨٤٤٥٥٤٢٠

مكتبة ابن تيمية القاهرة
ت : ٣٥٨٦٤٢٤٠

الفهرس

صفحة

صفحة	الموضوع	الكاتب
٣	الإفتتاحية	
٤	التفسير	للأستاذ الشيخ عبد الرحمن الوكيل
١٣	عقيدة القرآن والسنة . . .	« « محمد خليل هراس
١٨	الشرك	للسيدة الفاضلة حرم الدكتور رضا
٣١	نظرات فى التصوف . . .	للأستاذ الشيخ عبد الرحمن الوكيل
٣٧	غزوات الرسول	« سعد صادق محمد
٤٥	إلى رحمة الله يا أبا الوفاء	
٤٦	العام الهجرى الجديد (قصيدة) . . .	للأستاذ نجاتى عبد الرحمن
٤٨	أحسن ما قرأت	

تنبيه للسادة المشتركين

ترجو إدارة مجلة الهدى النبوى من السادة المشتركين أن يتفضلوا بتجديد إشتراكاتهم لعام ١٣٨٣

كما ترجو السادة المتعهدين أن يتكرموا بإرسال مالديهم من أثمان المجلة .

هذا وفى حالة عدم التسديد سنضطر آسفين لقطع المجلة حسب قرار مجلس الإدارة وقيمة الإشتراك السنوى ٣٠ ص ثلاثون قرشاً بالجمهورية العربية المتحدة والسودان و ٤٠ ص أربعون قرشاً فى الأقطار الأخرى .

وترسل قيم الإشتراكات باسم مدير المجلة السيد / محمد رشدى خليل

وشكراً لكم

الإدارة

خير الهدى هدى محمد صلى الله عليه وسلم

الهدى النبوي

مجلة شهرية دينية

تصدرها جماعة أنصار السنة المحمدية

رئيس التحرير
عبد الرحمن الوكيل
أصحاب الامتياز : ورثة
الشيخ محمد حامد الفقى

مدير الإدارة
محمد رشدى خليل
الاشتراك السنوى
٣٠ — فى الجمهورية العربية
المتحدة والسودان
٤٠ — فى الخارج

المركز العام : ٨ شارع قوله — عابدين القاهرة — تليفون ٧٦٥٧٦

العدد ١ | المحرم سنة ١٣٨٣ | المجلد ٢٨

افتتاحية العام الثامن والعشرين

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله ، نحمده ونستعينه ، ونستهديه ونستغفره . ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ، وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادى له .

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد نبي الهدى والرحمة ، وعلى آله ومن استن بسنته ، واتبع سبيله إلى يوم الدين .

وبعد : فبصدور هذا العدد من مجلتنا (الهدى النبوى) تكون قد استكملت سبعاً وعشرين عاماً من عمرها ، وبدأت عامها الثامن والعشرين وهى ثابتة على خطتها ، مستقيمة على منهجها ، فى الدعوة إلى كتاب الله تعالى ، وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ، لا تحيد عنهما ، ولا تتحول عن طريقهما . تستظل بفيئهما الوارف ، وتستضىء بنورهما المشرق ، تسالم من يسالمهما وتعادى من يعاديهما . تحب من يحبهما ، وتبغض من يبغضهما . تناصر من ينصرهما وتحارب من يحاربهما . لا تخاف فى كلمة الحق تقولها لومة لائم ، ولا تخشى فى الدعوة إلى التوحيد مبغضاً ولا شانئا .

وإدارة المجلة تشكر السادة القراء والمشتركين لتشجيعهم لها وإقبالهم وحرصهم عليها ، كما تشكر السادة الكتاب على ما يمدونها به من مدبجات أقلامهم ، ونتاج قرائحهم ، وعقولهم وأفئدتهم . وتسأل الله أن يجزيهم جميعاً خير الجزاء وأن يدخر لهم عنده أعظم الأجر والثواب ، على ما بذلوا ويبذلون من جهد ، وسهروا ويسهرون من ليال ، ابتغاء وجه الله ، والتماساً لرضوانه ، من غير مَنٍّ ولا أذًى ، ولا إدلال بفضل ، ولا تباهٍ بجميل .

والإدارة لا تدعى أن المجلة قد بلغت الكمال ، ولكنها تخلص لأداء الواجب على قدر طاقتها . وتسأل الله السداد والتوفيق ، وأن يهيء لها فى عامها الجديد نجاحاً وتقدماً أكثر . إنه سميع قريب مجيب .

نور من القرآن

بسم الله الرحمن الرحيم

قال – جل ذكره – : (وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ ، قُلْتَ : مَا شَاءَ اللهُ . لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ . إِنْ تَرَنِ أَنَا أَقَلَّ مِنْكَ مَالاً وَوَلَدًا . فَعَسَى رَبِّى أَنْ يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِنْ جَنَّتِكَ ، وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِنَ السَّمَاءِ ، فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا ، أَوْ يُصْبِحَ مَاؤُهَا غَوْرًا ، فَلَنْ تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَبًا ، وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ ، فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَى مَا أَنْفَقَ فِيهَا ، وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا . وَيَقُولُ : يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّى أَحَدًا . وَلَمْ تَكُنْ لَهُ فِئَةٌ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللهِ وَمَا كَانَ مُنْتَصِرًا . هُنَالِكَ الْوَلَايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا . الكهف : ٣٩ : ٤٤)

« معانى المفردات »

« حُسْبَانًا » : قال الراغب عنه إنه النار والعذاب ، ثم قال : « وإنما هو فى الحقيقة ما يحاسب عليه ، فيجازى بحسبه » وجاءت عدة معان فى اللسان لكلمة حسبان ، فهى

وإدارة المجلة تشكر السادة القراء والمشتركين لتشجيعهم لها وإقبالهم وحرصهم عليها ، كما تشكر السادة الكتاب على ما يمدونها به من مدبجات أقلامهم ، ونتاج قرائحهم ، وعقولهم وأفئدتهم . ونسأل الله أن يجزيهم جميعاً خير الجزاء وأن يدخر لهم عنده أعظم الأجر والثواب ، على ما بذلوا ويبذلون من جهد ، وسهروا ويسهرون من ليال ، ابتغاء وجه الله ، والتماساً لرضوانه ، من غير مَنٍّ ولا أذى ، ولا إدلال بفضل ، ولا تباهٍ بجميل .

والإدارة لا تدعى أن المجلة قد بلغت الكمال ، ولكنها تخلص لأداء الواجب على قدر طاقتها . ونسأل الله السداد والتوفيق ، وأن يهيء لها فى عامها الجديد نجاحاً وتقدما أكثر . إنه سميع قريب مجيب .

نور من القرآن

بسم الله الرحمن الرحيم

قال – جل ذكره – : (وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ ، قُلْتَ : مَا شَاءَ اللهُ . لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ . إِنْ تَرَنِ أَنَا أَقَلَّ مِنْكَ مَالاً وَوَلَدًا . فَعَسَى رَبِّى أَنْ يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِنْ جَنَّتِكَ ، وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِنَ السَّمَاءِ ، فَتُصْبِحَ صَعِيداً زَلَقاً ، أَوْ يُصْبِحَ مَاؤُهَا غَوْراً ، فَلَنْ تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَباً ، وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ ، فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَى مَا أَنْفَقَ فِيهَا ، وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا . وَيَقُولُ : يَا لَيْتَنِى لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّى أَحَداً . وَلَمْ تَكُنْ لَهُ فِئَةٌ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللهِ وَمَا كَانَ مُنْتَصِراً . هُنَالِكَ الْوَلَايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَاباً وَخَيْرٌ عُقْباً . الكهف : ٣٩ : ٤٤)

« معانى المفردات »

« حُسْبَانًا » : قال الراغب عنه إنه النار والعذاب ، ثم قال : « وإنما هو فى الحقيقة ما يحاسب عليه ، فيجازى بحسبه » وجاءت عدة معان فى اللسان لكلمة حسبان ، فهى

العذاب والبلاء والنار والجراد ، والعجاج « أى الغبار والدخان » ، وسهام صغار يرمى بها من القِسِىّ الفارسية ، وهى المرامى مثل المسال الدقيقة فيها شىء من طول ، وهى حساب ما كسبت يداك[1] .

« صَعِيداً » : قال الراغب : « الصعيد يقال لوجه الأرض وقال بعضهم : الصعيد ، يقال للغبار الذى يصعد » وجاء فى اللسان : « الصعيد : المرتفع من الأرض . وقيل : الأرض المرتفعة من الأرض المنخفضة . وقيل : ما لم يخالطه رمل ولا سبخة ، وقيل : وجه الأرض .. والأرض المستوية » .

« زَلَقاً » : قال الراغب : « الزلق والزلل متقاربان قال : صعيداً زلقا : أى دحضاً[2] لا نبات فيه » وجاء فى اللسان : «أرض مَزْلقة ومُزْلقة وزَلَق وزَلِق ومَزْلَق : لا يثبت عليها قدم . ومنه قوله تعالى : (فتصبح صعيداً زلقا) أى أرضاً ملساء لا نبات فيها ، أو ملساء ليس بها شىء . قال الأخفش : لا يثبت عليها القدمان .

« غَوْراً » : قال الراغب : « الغور المنهبط من الأرض » وفى اللسان : « غَوْر كل شىء : قعره وعمقه وبُعده ، وغار الماء غورا وغُؤورا ، وغوَّر : ذهب فى الأرض وسَفَل فيها . وماء غوْر : غائر وَصْفٌ بالمصدر . والعرب توحد الغور مع المثنى والجمع ، وتذكره مع المذكر والمؤنث ، فيقال : ماء غور ، وماءان غور ، ومياه غور . وقال الطبرى : غور ذاهب فى الأرض ، فلا تلحقه الرشا أى لا تصل إليه الدلاء[3] .

---

(١) وقال ابن الأثير عن الحسبان « مطر عظيم مزعج يقلع زرعها وأشجارها . ولهذا قال : يصبح صعيداً زلقا ، وفى رأى ابن كثير وجاهة . فالله قد جعل من الوابل ، وهو المطر الشديد عقاباً كما فى قوله سبحانه فى تشبيه من ينفق ماله رئاء الناس « فمثله كمثل صفوان عليه تراب ، فأصابه وابل فتركه صلدا » وقد يكون الحسبان الصواعق كقوله تعالى : « ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء » .

(٢) أى لا تثبت فوقه قدم .

(٣) قال ابن كثير : « غور : يطلب أسفل الأرض عكس النابع يطلب وجه الأرض - وغور مصدر غائر . ووصف به للمبالغة » .

« أُحِيط بثمره » : يقول ابن الأثير عن كلمة أحاط : إنها تفيد الإحداق بالشيء من جميع جوانبه . وقال صاحب المصباح : أحاط القوم بالبلد إحاطة استداروا بجوانبه وحاطوا به . وجاء فى اللسان : « أحيط بفلان : إذا دنا هلاكه » وقال عن قوله تعالى : (أحيط بثمره) أى أصابه ما أهلكه وأفسده .

« يقلب كفيه » : قال الراغب : تقليب اليد كناية عن الندم .

« خاوية » : قال الراغب : « أصل الخوا : الخلا . يقال : خوا بطنه من الطعام يخوى » وفى اللسان « خوت أى صارت خاوية من الأساس . وخوت الدار : تهدمت وسقطت » .

« عروشها » قال الراغب : « العرش فى الأصل شيء مسقف ، وجمعه عروش » ، وجاء فى اللسان « عرش البيت سقفه . وخاوية على عروشها : خلت وخرّت على أركانها ، وقيل : صارت على سقوفها كما قال عز من قائل : (فجعلنا عاليَها سافِلَها) أراد أن حيطانها قائمة ، وقد تهدمت سقوفها ، فصارت فى قرارها ، وانقعرت الحيطان من قواعدها ، فتساقطت على السقوف المتهدمة قبلها .

« فئة » : قال الراغب : الفئة الجماعة المتظاهرة التى يرجع بعضهم إلى بعض فى التعاضد وقال الطبرى : الفئة . الفرقة والجماعة من الناس فى الأصل . والطائفة التى تقيم وراء الجيش . فإن كان عليهم خوف أو هزيمة التجأوا إليهم .

« الولاية » : قال بعض أهل اللغة عن الولاية بفتح الواو إنها النصرة ومصدر الفعل وعن الوِلاية بكسر الواو إنها السلطان والإسم مثل الإمارة لأنه اسم لما توليته وقمت به . وقال ابن الأثير . وكأن الوِلاية بكسر الواو تُشعِر بالتدبير والقدرة والفعل . وقال الطبرى : الوَلاية : يعنون الموالاة لله يذهبون بها إلى الولاية فى الدين والوِلاية من الملك والسلطان من قولهم: وليت ، ثم قال عن قراءة « هنالك الولاية ـ بفتح الواو ـ : « وهى أولى ؛ لأن الله عقُب ذلك خبره عن ملكه وسلطانه ، وإن من أحل به نقمته يوم القيامة فلا ناصر له

يومئذ ، فإتباع ذلك الخبر عن انفراده بالملكة والسلطان أولى من الخبر عن الموالاة التى لم يجر لها ذكر ولا معنى .

« عُقْبا » : جاء فى اللسان : عقب كل شىء وعَقبه وعاقبته وعاقِبه ، وعُقْبَتَه وعقباه وعُقْبانه : آخره . والعُقبى : جزاء الأمر .

« المعــنى »

إن المؤمن ليغار أول وأشد ما يغار على دينه ، فهو مِلاك حياته ، وسعادته فى دنياه وأخراه لقد بده الصاحب الكفور صاحبَه للؤمن بما يدل على خمود فى الحس و بلادة غليظة فى النفس ؛ إذ فضَّل نفسه عليه بقوله : « أنا أكثر منك مالا وأعز نفرا » والتفاخر الأصمّ بالمال والولد شيمة النفس التى ليس لها من دينها وعلمها وخلقها ، وعراقتها فى النبل ما تعتز به وتفخر . وإذا ما صرفنا الشعور عن الإحساس بمثل هذا الرجل الكافر إلى التدبر فى حال المؤمن وجدنا روعة إيمان ، وقوة يقين ، وجلال اعتزاز بأنه مؤمن ، وعزة نفس ربطت مصيرها بإسلام الوجه لله رب العالمين وحده .

كما نلحظ أن المؤمن قد بادر بردع صاحبه وزجره ورد عدوانه على الله ، و بغى جحوده بما منّ الله به عليه .

وأخر الرد على صاحبه فيما يتعلق به هو . فقد بادر الكافر فعير صاحبه بفقره أو قلة ماله ونفره ، ثم حكم بعد ذلك بأن جنته لن تبيد ، و بأن مشيئة الله ترتبط بما يشاء هو ، وما ينزو به هواه . فحكم بأنه ـ إن كان ثمت قيامة ـ سيجد منقلباً خيراً من جنته عند الله

ورد المؤمن بحجة الحق وعزة الإيمان ، فنراه يؤخر الدفاع عن نفسه ، ويقدم رد عدوان الباغى الظلوم على حرمات الله سبحانه ، فقال له : « أكفرت بالذى خلقك من تراب .. الآية » .

ولقد لحظنا أن الكافر قد نسب قيام الجنة ونضرتها وسرمديتها إلى مشيئته وقوته

وقدرته ، وربط أيضاً بين مصيره ومشيئته ، أعنى أنه ظن أن له المشيئة الغالبة ، والقوة القاهرة .

ولهذا أبى المؤمن ـ فى عزة من يدين بالحق ، وفى صراحة وشجاعة أدبية رائعة ـ إلا أن يوبخ صاحبه ويلومه ، ويثير فيه لواعج الندم على مافرط منه بهذا الأسلوب القوى الزاجر الرادع (ولولا إذ دخلت جنتك قلت ما شاء الله ، لا قوة إلا بالله) أى هلا قلت هذا القول الحكيم المحكم الذى هو تعبير حكيم عن حقيقة تذعن بالسجود لها كل فطرة سليمة لم يدنسها تراث التقليد . تلك هى ، أن مشيئة الله هى وحدها القادرة المهيمنة على مقاليد الملكوت بأزله وأبده ، وعلى أقدار هذا الوجود ومصائره وباطنه وظاهره وسريرته وعلانيته . وأن قوة الله سبحانه لا تنفك أبداً عما يشاء الله سبحانه . ليكون الأمر كما يشاء الله جل شأنه .

وأن ما شاء الله لا بد أن يكون ، وأن مشيئة الله عدل وحكمة ، وأن قوة الله قادرة على القيام بكل ما يشاء الله .

إن المشيئة بلا قدرة نقص وعجز وسفه ومذلة ، والقوة بلا مشيئة تحكمها جمادية أو حيوانية بهيمية !! .

وربنا ـ جل شأنه ـ هو رب المشيئة التى لا تدانيها مشيئة ، ولا تقهرها مشيئة ، لأنها فوق كل مشيئة بقهرها القاهر ، وغلبها القادر . وحسبك دليلا على قوة مشيئة الله ما تفهمه من قوله سبحانه : (واعلموا أن الله يَحُول بَيْن المرء وقَلْبِه) . فهل لمشيئة أخرى أثارَةٌ من هذا السلطان الأعظم ؟! .

وربنا ـ كذلك ـ هو رب القدرة الكاملة التامة التى تدين لقَيُّومِيَّتها كل القوى والقدر . ومن صفات القدرة الإلهية أنها قادرة على القيام بكل أمر تتعلق به مشيئة الله ، فمن مشيئة الله كلمة : « كن » . ومن قدرة الله ما تعبر عنه كلمة « فيكون » مشيئة تحكم ، وقدرة تنفذ ، وما انفكت إحداهما عن الأخرى » .

ولقد ذكَّر المؤمن صاحبه بهذه الحقيقة التى كان يوجب عليه الإيمان بها أن يقول حين دخل حديقته : « ماشاء الله » أى الأمرُ ماشاء الله، أو هذا ماشاء الله ، أو ماشاء الله يكن أو هذا ماشاء الله أن يكون ، فكان ، لا ماشئت أنا . المفروض هنا أن ينسب هذا الذى مَنّ الله به عليه إلى مشيئة الله سبحانه ، فإنه حقيقة منها ، لا من مشيئة أخرى ، إن صاحب الجنة أعد الأرض ، وهيأها للزرع والغرس ، أما ماحدث بعد هذا ، فليس لمشيئته ، ولا لقوته يد فيه . تدبر قول ربنا سبحانه : (أَفَرَأَيْتُمْ ماتَحْرُثُونَ . أأنتم تَزْرَعُونه ، أم نحن الزارعون . لو نشاء لجعلناه حُطَاماً ،فَظَلْتُمْ تفَكَّهُون. الواقعة : ٦٣-٦٥) فنسب الحرث إلى مشيئة الإنسان وقدرته ، أما الزرع فنسبه إلى نفسه سبحانه ، وجعل مصيره لمشيئته وحده جل شأنه .

كان الواجب على صاحب الجنة ، أن يعبر بلسانه عن عقيدة تضىء فى أعماقه بقوله : « ماشاء الله » ليشرف بأن يعترف بالفضل لربه ، ويسمو بشكر رب النعمة على نعمه .

وكان واجباً أن يبرأ بين يدى الله من أن يغتر أو يعتز بحوله وطوله ، وأن يقر عن إيمان مطمئن بأن قوة الله هى وحدها القاهرة وذلك بقوله : « لا قوة إلا بالله » فالمشيئة مشيئته سبحانه ، والقوة قوته ، والنعمة نعمته .

أما قوتى التى استعنت بها - هكذا كان يجب أن يقول الكافر - على إنشائها وعمارتها ، فلم تكن إلا مدداً منه سبحانه ، وتوفيقاً ، ولو أنه وكلنى إلى نفسى طرفة عين ما استطعت أن أقوم بشىء يقيمنى ، أو يقومنى ، أو يكون دليلا على ارتباط وثيق بين مشيئتى وقدرتى .

«لا قوة إلا بالله»[1] يقولها المؤمن ، فيطمئن ، وينفى عن نفسه القلق أو الخوف من كل

---

(١) تدبر الحصر الدقيق المحكم فى الجملة « لا قوة إلا بالله » . وتدبر مايدل عليه التضرع إلى الله دائما فى أن يمدك بالقوة . ولتطمئن دائما إلى قوة الله ؛ ولتبرأ من الإيمان بقوى الطواغيت وبغيهم .

قوة أخرى ، ويقولها المؤمن ، فيشعر تمام الشعور أنه لا يستمد قوة ما إلا من الله سبحانه وأنه لا يجوز له أن يزعم أنه قوى بأحد غير الله .

هذا بعض المفهوم من تذكير المؤمن لصاحبه الكافر .

ثم بدأ المؤمن يرد عدوان صاحبه عليه ، بعد أن أدى واجبه فى رد البغى الجائر على حرمات الله ، فقال لصاحبه : « إن ترن أنا أقل منك مالا وولدا . فعسى ربى أن يؤتين خيراً من جنتك » ما عدا بكلمة واحدة فى هذه اللحظة على قداسة الإيمان . وعزة جلاله ، بل بقى مع الله سبحانه[1] . ولم تصرفه ثورة نفسه عن يقينه . أو عما يجب أن يقول ، فربط مصيره أيضاً فى غده بمشيئة الله ، وعبر عن هذا بكلمة تفيد أنه ميسور القلب بالرجاء فى رحمة الله ، إذ قال . « فعسى ربى » وتلحظ فى كلمة « ربى[2] » قوة الحب . وقوة اليقين ، وقوة الإيمان ، ونضارة الرجاء . ورجاء المؤمن فسيح رحيب ، لأنه يؤمن بأن الله واسع عليم ، ولهذا نلحظ أن المؤمن يقول : « خيراً من جنتك » . إنه بهذا يؤكد قوة إيمانه بقدرة ربه ، وبأنه غنى وبأنه واسع ، وبأنه عليم ، وبأنه يستجيب للمؤمن .

ثم توعد المؤمن صاحبه بعقاب الله ـ مهتديا ـ بهدى سنن الله فى الكائنات . فتوعده بأن الله سيهلك جنته ، بأن الله سيجرده من هذه النعمة التى جحد بها ، ومضى ينسبها إلى قدرته ومشيئته ، بأن الله سيحرمه من هذه الأشياء التى يفخر بها الكفور على الناس ، فيصبح ، والمؤمن الفقير معتز بإيمانه ، غنى بقناعته ورضاه ، أما هو فالحسرة البالغة والندم القاتل ، فيصبح ، وهو الشاعر بأنه أشد الخلق تعاسة وبؤسا ، وبأن صاحبه المؤمن الفقير أجل منه سعادة وأوفر نعيما .

وما دل قوله « ويرسل عليها حسبانا من السماء » على حقد أو حسد ، وإنما دل على

---

(١) فى مثل هذا الموقف الثائر قد يقول من لا يأخذ الإيمان بقلبه : « غدا أكون أحسن منك ، أو أغنى منك » وغيره من الأقوال التى لا يعطرها الايمان .

(٢) فى إضافة كلمة « رب » إلى ياء المتكلم اعتزاز أيما اعتزاز .

على غيرة إيمان ، وتوهج خوف من الله ، وثقة كاملة بهدى سننه فى الكائنات ، وبأنه - جل شأنه - يُملِي للكافرين ؛ ليأخذهم بكيده المتين .

ولقد ذكر المؤمن الكافر بما يحدث من أقدار الله ، وبما تصنع فى مثل هذه الأحوال لعله يخاف ، ويخشى ، ويعود بالتوبة إلى الله . فذكره بالصواعق والأمطار المهلكة التى تفتك بالحدائق ، وتذهب ببهجتها ونضرتها ، وتجعلها أرضا جرداء لا يستقر فوقها قدم

ولنتدبر هذه الصورة الرهيبة التى صور بها المؤمن مصير جنتى الكافر ، لعله يثير فى قلبه خشية من هذا المصير ، ولكنه أبى إلا عناداً واستكباراً فى الأرض .

ثم تدبر الصورة الأخرى التى تبدأ بأن يغور الماء ويصير بحيث لا يناله صاحب الجنة بشىء ما . وإذا بالحديقة تجف شيئاً فشيئاً ، وتذبل رويداً رويداً حتى تحترق وهذا وذاك يحدث . وقد حدث ، ولعل صاحب الجنتين رآه فى جنات أخر ، ومع هذا ظل كما هو أصم القلب لا يأذن لخشية أن تلم به !!

« وأحيط بثمره » والإحاطة بالثمر تفيد أنه هلك كله ، وأن شيئاً منه لم ينج ، وأنه لم يبق منه مايفيد مطلقاً ، تفيد أن الله أهلك جنتيه ، وأهلك كل ماجمع منهما ، وكل ما عنده من مال وفير . ولا تصرح الآية بالشىء الذى أهلك الله به مال العنيد الجحود ، ولكن ورود كلمة « أحيط بثمره » عقب تذكير المؤمن لصاحبه بما يهلك الله به مثل جنته ، وهو الحسبان ، وأن يغور الماء ، قد تفهم منه أن الله أهلك جنتيه بهذا ، وبذاك ، فجاءهما العذاب من أسفلهما ، ومن فوقهما ، فأهلكتا بالأمرين معا ، ففار الماء دفعة واحدة [1] ، ورميت بالحسبان ، وأهلك ما للرجل من مُلْك عريض ، فهلكت الجنتان وهلك الثمر ، وصار الماء الذى كان سبباً فى حياتها سبباً فى هلاكها ، إذا فسرنا الحسبان بأنه وابل شديد .

---

(١) أقول هذا لقول الله سبحانه « فأصبح يقلب كفيه » فإنه دليل على أن الرجل قد فوجىء بهلاكها فى صباح له ، فما مر بين كونها ناضرة ، وكونها خاوية على عروشها إلا ليلة واحدة شأنه فى ذلك شأن أصحاب الجنة الذين قال الله عن جنتهم : « فطاف عليها طائف من ربك وهم نائمون . فأصبحت كالصريم . سورة ن ١٩ - ٢٠ »

« فأصبح يقلب كفيه على[1] ما أنفق فيها » هكذا لجأه الصباح بهذه النكبة الشديدة ، وحسبنا دليلا على شدتها هذه الحسرة البالغة التى جعلته مشدوها مشدودا إلى ما توحى به إليه ، وهو تقليب كفيه ، وحسبنا أيضاً أنها نالت من عناده وجحوده ، فجعلته يلوذ بالندم على أنه أشرك . ومثل هذا الكنود المُتْلّ الغليظ الجافى القلب لا يهتز قلبه بندم إلا بصاخّة شديدة . ولم يذكر متعلق الإنفاق ؛ ليعم كل ما أنفق . فيتناول ما أنفق من مال . وما أنفق من جهد ، وما أنفق من عمره فى إنشائها ، والحسرة فعلا وواقعا تتناول كل هذه الأمور .

« وهى خاوية على عروشها » تدبر حال الجنة ، وقد تلاصقت قمم أشجارها وتشابكت غصونها وفروعها ، حتى ليخيل إليك أن للأرض سقفاً أخضر ، ثم تدبر صورة هذه الحديقة ، وقد احترقت أوراقها ، وتهشمت أغصانها وفروعها ، وتهاوت أعجازها ، فلم تعد ترى لها سقفاً . وإنما هى تذكيرٌ ببيت دمرته صاعقة قوية ، فجعلته خالياً من أهله وجعلت جدرانه تتهاوى على سقفه المنهار . هذه صورة جنتيه بعد أن أحيط بهما ، وبما يملك . أعاذنا الله من عقابه وعذابه .

« ويقول : ياليتنى لم أشرك بربى أحداً » تمنى فى مثل هذه الحال شيئاً عظيما . وهذا التمنى يؤكد لنا أن الرجل كان مشركا وكافراً . لقد قلت فى العدد الماضى ما يفيد أن هذا المتل قد جعل من نفسه لله شريكا فى مشيئته وقوته والأمر كذلك . ولكنه فى تمنيه هذا لم يصرح بمن جعله لله شريكا ، وإنما ذكر كلمة « أحداً » ليبين أنه يتمنى أن لو كان خلياً من الشرك . لا من جعل نفسه شريكا . يبرأ من جنس الشرك كله سواء أ كان مطلقاً أم كان مقيداً .

« ولم تكن له فئة ينصرونه من دون الله » هؤلاء النفر الذين اعتز بهم وافتخر بهم على صاحبه لم ينفعوه فى وقت كان فيه أشد الناس حاجة إلى من ينصره . كان فى حاجة

---

(١) ضمن الفعل « يقلب » معنى الندم . فجيء بحرف الجر « على » ولم يقل فأصبح « نادماً متحسراً » لأن التعبير بلوازم الشيء عنه تقوى الايمان بوجوده . وبأنه شديد .

إلى من يدفع الضر عن جنته ، أو إلى من يعطيه خيراً من جنته . أو مثلها ، أو عوضا عنها وكلمة «من دون الله » تناسب كلمة « لا قوة إلا بالله» فما دامت القوة لله وبالله وحده . فإن النصر كذلك ، لأن النصر يتطلب القوة لتحقيقه .

« وما كان منتصرا » ما كان فى ماضيه الذى ظن فيه أنه صاحب المشيئة والقوة والحول والطول ، ما كان فى ماضيه هذا منتصرا ، بل كان مترديا فى الهزيمة ، وهو لا يشعر وهذا من كيد الله سبحانه . لقد مكر به ، فجعله يظن الهزيمة انتصاراً . ولم تكن هزيمته خافية إلا عليه هو . بدليل أن المؤمن كان يراها واضحة جلية على صاحبه . وهل هناك هزيمة تجر العار والشنار والوبال أكثر من هزيمة هى الشرك ؟ ! .

« هنالك الولاية لله الحق » فى مثل هذه الحال يشعر كل إنسان ، ويؤمن بأن السلطان والملك والقهر والغلبة لله وحده ، وفى مثل هذه الحال أيضاً يرغب الجحود الكنود عن جحوده وكفره ، فيتولى الله وحده ، ولكن لا تنفعه ، تدبر قول الله سبحانه : (فلما رأوا بأسنا قالوا : آمنا بالله وحده ، وكفرنا بما كنا به مشركين فلم يَكُ ينفعهم إيمانهم لما رأوا بأسنا) .

وتدبر قول الله عن فرعون : (حتى إذا أدركه الغَرَقُ قال : آمنت أنه لا إله إلا الذى آمنت به بنو إسرائيل ، وأنا من المسلمين . يونس : ٩٠) .

وهنالك النصرة لربنا وحده ، لا يملكها غيره ، ولا يستطيعها سواه . فتكون تقريراً لمفهوم قوله سبحانه « ولم تكن له فئة ينصرونه من دون الله » .

ويصدق القول إذا اعتبرنا قوله سبحانه « هنالك » إشارة إلى القيامة . ففيها يكون أيضاً كل هذا كقوله سبحانه «الملك يومئذ الحق للرحمن ، وكان يوماً على الكافرين عسيرا» وحال الكفرة وواقعهم فى الدنيا يؤيد ذلك ، وما حدثنا به الله سبحانه عن الآخرة يؤيد هذا .

وقد وصف الله بأنه الحق ، إشارة إلى ما اتخذ الناس لهم من آلهة باطلة ، لأنها من خلق الله الحق وحده ، أما ألوهيتها ، فمن إفك الأوهام وزور الضلالات كتلك الألوهية التى ينسبها الناس إلى أوليائهم ثم ختمت الآية بما يثير الأمل ، ويذكيه ، وذلك فى قوله سبحانه

«هو خير ثوابا وخير عقبا» فلا تأس على جنة ، ولا ترهبك العاقبة إن كنت على ثقة بإيمانك الصحيح فالله يقول عن أوليائه «لا خوف عليهم ، ولا هم يحزنون» . إن الله عنده العاقبة الطيبة الخيرة التى يحبها المسلم لنفسه وعنده الثواب الخير الطيب ، فلا تأس على ما تفقد ، ولا تفتر بما تعطى .

ربنا آتنا من لدنك رحمة ، وهيء لنا من أمرنا رشدا ؟

عبد الرحمن الوكيل

عقيدة القرآن والسنة :

توحيد الله عز وجل

ومن أسمائه الحسنى سبحانه (الولى) و (الوالى) ومعناهما متقاربان بل لعلهما مترادفان وكلاهما مذكور فى القرآن .

قال الله تعالى من سورة البقرة (الله ولىُّ الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور إلى الظلمات) .

وقال من سورة الأنعام (قل أغير الله أتخذ وليا فاطر السموات والأرض وهو يُطعِم ولا يُطعَم) .

وقال من سورة الأعراف (إن وَلِيِّيَ الله الذى نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين) .

وقال من سورة يوسف على لسان الصديق عليه السلام (رب قد آتيتنى من الملك وعلمتنى من تأويل الأحاديث فاطر السموات والأرض أنت وَلِيى فى الدنيا والآخره توفنى مسلما وألحقنى بالصالحين) .

وقال من سورة الرعد (وإذا أراد الله بقوم سوءاً فلامرد له وما لهم من دونه من وال)

ولعل من المفيد هنا أن نبين أصل اشتقاق هذين الاسمين الكريمين بما يتضح معه معناها ، فإن الولاية من الألفاظ التى ضل أكثر الناس فى فهم مدلولها حتى نحلوا أصحابها من السلطان الغيبى ومن القدرة على التصرف والتأثير مالا ينبغى إلا لله عز وجل .

يقول الراغب فى مفرداته عند كلامه على مادة (ولى) ماملخصه :

« الولاء والتوالى أن يحصل شيئان فصاعداً حصولا ليس بينهما ماليس منهما و يستعار ذلك للقرب من حيث المكان ومن حيث الدين ومن حيث النسبة ومن حيث الصداقة والنصرة والاعتقاد . والوِلاية والوَلاية تولى الأمر ، والولى والمولى يستعملان فى ذلك كل واحد منهما يقال فى معنى الفاعل أى الموالِى ، وفى معنى المفعول أى الموالَى ، يقال للمؤمن هو ولى الله عز وجل ولم يرد مولاه .

وقد يقال : « الله تعالى ولى المؤمنين ومولاهم » .

و يقول ابن الأثير فى النهاية :

(فى أسماء الله تعالى (الولى) هو الناصر ، وقيل المتولى لأمور العالم والخلائق القائم بها . ومن أسمائه عز وجل (الوالى) وهو مالك الأشياء جميعها المتصرف فيها وكأن الولاية تشعر بالتدبير والقدرة والفعل ، وما لم يجتمع ذلك فيه لم يطلق عليه اسم الوالى) .

و يقول أبو حامد الغزالى فى كتابه (المقصد الأسنى) : (الولى) هو المحب الناصر ومعنى وده ومحبته قد سبق ، ومعنى نصرته ظاهر فإنه يقمع أعداء الدين و ينصر أولياءه قال الله تعالى (الله ولى الذين آمنوا) وقال (ذلك بأن الله مولى الذين آمنوا وأن الكافرين لامولى لهم) .

والولى من العباد من يحب الله و يحب أولياءه و ينصره و ينصر أولياءه و يعادى أعداءه ومن أعدائه النفس والشيطان فمن خذلهما ونصر أمر الله ووالى أولياء الله وعادى أعداءه فهو الولى من العباد .

والذى يمكن أن يستخلص من هذه النصوص أن الولاية من المعانى المشتركة التى يوصف بها الله عز وجل كما يوصف بها غيره قال تعالى (إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة و يؤتون الزكاة وهم راكعون) .

وقال سبحانه (والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض) .
وقال (ومن يتخذ الشيطان ولياً من دون الله فقد خسر خسرانا مبيناً) .
وقال من سورة الكهف (أفحسب الذين كفروا أن يتخذوا عبادى من دونى أولياء)
فإذا وصف الله عز وجل بها فإما أن يراد بها الولاية العامة فهو سبحانه ولى الخلق ، كلهم بمعنى المتولى لأمورهم والكفيل بمصالحهم وحاجاتهم ، لاولى لهم غيره ولا مدبر سواه .
و إما أن يراد بها الولاية الخاصة وهى ولايته سبحانه للمؤمنين والمتقين ، فتكون بمعنى النصرة والمحبة والرعاية والتأييد . فهو سبحانه مقيل عثراتهم وغافر زلاتهم ومقيم أعذارهم ومصلح فسادهم ، وهو المدافع عنهم والناصر لهم والكفيل بمصالحهم والمنجى لهم من كل كرب والموفى لهم بوعده ، فهو وليهم الذى لا ولى لهم سواه وهو مولاهم الحق وينصرهم على عدوهم ، فنعم المولى ونعم النصير .

وأما إذا وصف بها العبد فقيل : ولى الله ، فمعناه المتقرب إلى الله بطاعته والموافقة له سبحانه فى محابه ومساخطه ، فلا يحب إلا ما أحبه الله من الأشخاص والأعمال والأخلاق ، ولا يبغض إلا ما أبغضه الله كذلك ، ولا يوالى إلا أولياء الله ولا يعادى إلا أعداءه . كما فى الحديث الصحيح « من أحب لله وأبغض لله وأعطى لله ومنع لله فقد استكمل الإيمان »
و يجوز أن يكون الولى من فعيل بمعنى مفعول والمراد به من والاه الله فأحبه وأدناه لاجتهاده فى طاعته وتقواه كما فى الحديث الذى رواه البخارى « من عادى لى ولياً فقد آذنته بالحرب وما تقرب إلى عبدى بشىء أحب إلىَّ من أداء ما افترضته عليه ولا يزال عبدى يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه ، فإذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به و بصره الذى يبصر به و يده التى يبطش بها ورجله التى يمشى بها . ولئن سألنى لأعطينه ولئن استعاذ بى لأعيذنه » .
وقد حدد القرآن الكريم معنى الولى من العباد تحديداً يزيل كل لبس ولا يدع لأحد مقالا حين قال من سورة يونس عليه السلام (ألا إن أولياء الله لاخوف عليهم ولا هم يحزنون . الذين آمنوا وكانوا يتقون . لهم البشرى فى الحياة الدنيا وفى الآخرة لا تبديل لكلمات الله ذلك هو الفوز العظيم) فقوله سبحانه (الذين آمنوا وكانوا يتقون) تعريف جامع مانع للأولياء وهو يتضمن لكمالهم فى الناحية العلمية الاعتقادية .

وفى الناحية العملية العبادية . فهو كقوله تعالى فى شأن بنى إسرائيل من سورة ألم تنزيل (وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون) فأشار بالصبر إلى قوة الإرادة والعمل ، وباليقين إلى كمال العلم والاعتقاد .

على أن هذا الوصف الإجمالى للأولياء قد ورد على سبيل التفصيل فى مواضع كثيرة من التنزيل ، من أجمعها قوله تعالى من آخر سورة الفرقان (وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هَوْنا وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما * والذين يبيتون لربهم سجداً وقياما . والذين يقولون ربنا اصرف عنا عذاب جهنم إن عذابها كان غراما . إنها ساءت مستقراً ومقاما . والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما . والذين لا يدعون مع الله إلهاً آخر ولا يقتلون النفس التى حرم الله إلا بالحق ولا يزنون ، ومن يفعل ذلك يلق أثاماً * يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهانا . إلا من تاب وآمن وعمل عملا صالحاً فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات وكان الله غفوراً رحيما * ومن تاب وعمل صالحاً فإنه يتوب إلى الله متابا * والذين لا يشهدون الزور وإذا مروا باللغو مروا كراما * والذين إذا ذكروا بآيات ربهم لم يخروا عليها صماً وعميانا . والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين واجعلنا للمتقين إماما) .

فانظر كيف انتكست فطر الناس وفسدت عقولهم حين عموا عما بينه الله ورسوله وجروا وراء ما زينته لهم الشياطين ، فنحلوا الولاية من لا علم عنده ولا عمل ، من هؤلاء الجهلة المفسدين الذين تجردوا من كل مزية وتحللوا من ربقة الدين والخلق ، ولم يتقيدوا بقيود الشريعة الغراء ولم يتأدبوا بآداب السنة المطهرة ، بل كل مؤهلاتهم فى نظر هؤلاء الغوغاء أنهم منتسبون إلى طريقة من هذه الطرق الصوفية التى ضحك بها الشيطان على هذه الأمة ليبددها شيعا ويمزق وحدتها ويصرفها عن صراط ربها الذى رسمه لها فى كتابه وسنة رسوله

فمتى يفيق المسلمون من رقدتهم ؟ ومتى تنكشف هذه الحجب المسدلة على قلوبهم ، فيبصروا نور الحق ويعرفوا أن ولاية الله لا تنال إلا بطاعته والوقوف عند حدوده ؟

محمد خليل هراس
المدرس بكلية أصول الدين

الشرك بالله

الشرك بالله أن يجعل العبد شريكا لله فى ألوهيته وفى ربوبيته . وهو تنقيص من قدره تعالى ، ووصف له بما لا يليق به سبحانه ووصف غيره بما لا ينبغي لسواه . ولذلك عبرعنه تعالى بالظلم العظيم والضلال البعيد ، وشدد وكرر فيه الوعيد والتهديد . ولم يعن القرآن بالتحذير من معصية ولا فاحشة كما عنى بالتحذير من الشرك . فلا تكاد سورة تخلو من التحذير منه والتنديد به .

وذم الله تعالى الشرك فى أربعة أنواع : اتخاذ العباد آلهة من دون الله . والآلهة هى كل ما يعبد من أصنام وأوثان وغيرها . واتخاذهم أربابا من دون الله ، والرب هو المالك والمنعم والمربى والمدبر . واتخاذهم أولياء من دون الله ، والولى هو الناصر المتولى لأمور العالم والخلائق والقائم بها . واتخاذهم أنداداً لله ، والند هو المثيل والنظير ولو فى بعض الصفات ، وجعل الند لله هو تشبيه غير الله من نبى أو ولى وتسويته به فى التقديس والتعظيم والمحبة والخوف .

قال الله تعالى فى اتخاذ العباد آلهة من دونه (واتخذوا من دونه آلهة لا يخلقون شيئاً وهم يخلقون . ولا يملكون لأنفسهم ضراً ولا نفعاً ولا يملكون موتاً ولا حياة ولا نشورا) وقال تعالى فى اتخاذ العباد أربابا من دونه : (ولا يأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أرباباً أيأمركم بالكفر بعد إذ أنتم مسلمون) وقال فى اتخاذ العباد أولياء من دونه : (مَثَل الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتاً وإن أوهن البيوت لبيت العنكبوت لو كانوا يعلمون) . وقال فى اتخاذ العباد أنداداً له تعالى : (الذى جعل لكم الأرض فراشاً والسماء بناء وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم فلا تجعلوا لله أنداداً وأنتم تعلمون) . أى لا تعدلوا به غيره فتجعلوه شريكا له فى فعاله أو مثيلا له فى وصفه وأنتم تعلمون أن القوة لله جميعاً وأنه مالك الملك الذى ليس كمثله شىء .

فمن يعلم أن لا حول ولا قوة إلا بالله لا يلجأ إلى سواه ، ومن يعرف الله غنياً كريماً سميعاً بصيراً لا يدعو إلا إياه . أما من دعا سواه ولجأ إلى غيره فقد برهن على أنه لم يقدره

حق قدره . وأنه مرتاب فى كرمه ورحمته . ولم يثق بقوته وقدرته .

ولذلك هدد تعالى المشرك وساواه بالقاتل والزانى فى مضاعفة العذاب المهين والخلود فى الجحيم فى قوله : (والذين لا يدعون مع الله إلهاً آخر ولا يقتلون النفس التى حرم الله إلا بالحق ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق أثاما . يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهانا) وهدد كذلك بعدم المغفرة فى قوله (إن الله لايغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ومن يشرك فقد افترى إثماً عظيما) نفهم من قوله تعالى (ما دون ذلك) أن كل جريمة وكل إثم مهما كان عظيما فهو أقل جرما وأخف ظلما من الشرك بالله تعالى لأن كل ظلم وكل إثم إنما هو اعتداء من الإنسان على الإنسان . أما الشرك فإنه استخفاف العبد الضعيف الحقير باحترام مولاه العلى الكبير .

قال تعالى : (إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين من أنصار) .

وبين تعالى أن الشرك يحبط الأعمال ويضيع كل أجر وثواب فى قوله (ذلك هدى الله يهدى به من يشاء من عباده ولو أشركوا لحبط عنهم ما كانوا يعملون) .

ونهى الله عن الشرك فى قوله (وأن أقم وجهك للدين حنيفاً ولا تكونن من المشركين . ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك فإن فعلت فإنك إذن من الظالمين) وفى قوله (فلا تدعوا مع الله أحداً) فإن من يدعو مع الله أحداً ويحبه ويخشاه . ويظن أن الولى أو النبى الميت يستطيع أن ينيله ما يتمناه . وأن يشترك مع الله فى تنفيذ رجائه وتحقيق دعائه فقد اتخذه نداً لله إذ اعتقد أنه حى لم يمت وان يموت ككل بشر فمثله بالله تعالى الحى الذى لا يموت . وعمى عن قوله لرسوله صلى الله عليه وسلم (إنك ميت وإنهم ميتون) وقوله (كل نفس ذائقة الموت) واعتقد كذلك أن الولى يسمعه فى أى مكان مهما كان بعيدا فمثله بالسميع البصير الرقيب على أعمالنا وأقوالنا الذى (ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ولا خمسة إلا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم أين ما كانوا) .

كأن هذا الميت أسمع من الله حتى يستجيب قبل السميع البصير لدعائه . وكأنه أرحم من الرحمن الرحيم حتى يسارع قبله لتحقيق رجائه . حقاً إن الشرك لظلم عظيم . لأن الذى يلجأ إلى غير الله عند الشدة يستغيث به من الله و يستنصره عليه . ويعتقد أن هذا الولى أو النبى الميت يستطيع بقوته أو بمكره وحيلته . أن يؤثر على الله تعالى فيثنيه عن إرادته أو يحثه على المبادرة إلى تحقيق رغبته . وغفل عن قوله تعالى (ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له إلى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون . و إذا حشر الناس كانوا لهم أعداء وكانوا بعبادتهم كافرين) وقوله (إن تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم ويوم القيامة يكفرون بشرككم ولا ينبئك مثل خبير) فهؤلاء الأموات لا يسمعون دعاء ولا نداء ولو فرضنا أنهم سمعوا فلن يستطيعوا عمل شيء و يوم القيامة سيتبرأون من شركهم وسيكونون لهم أعداء لأنهم من الأولياء الأتقياء الصالحين الذين يستنكرون هذا العمل الذميم وينفرون من هذا الظلم العظيم .

ومن أعجب العجب أن هؤلاء المشركين يغضبون أشد الغضب إذا قيل لهم إن الرسول صلى الله عليه وسلم وكل أولياء الله ماتوا . ويعدون الموت حطاً من قدرهم كأنهم ليسوا من البشر . ويقولون إن الرسل والأولياء أحياء عند ربهم يرزقون كما بين تعالى فى كتابه الكريم . نعم إن الله سبحانه أخبرنا فى القرآن بأنهم أحياء ولكن عند ربهم لا فى هذه الدنيا ولا صلة لنا بهم . أحياء عند ربهم لا فى قبورهم . والرسول صلى الله عليه وسلم يقول « إذا مات ابن آدم انقطع عمله » أى انقطع عن هذه الدنيا فلا عمل له فيها ولا صلة له بها فكيف يؤدى لنا ما نطلبه منه ويقوم بما نكلفه به وهو فى عالم آخر غير عالمنا . بل كيف يسمعنا وهو على هذا البعد منا ؟ إن من يعتقد أن الله تعالى لا يستجيب له إلا إذا استحلفه بأنبيائه وأصفيائه فقد كذب قوله تعالى (ادعونى أستجب لكم) وقوله (و إذا سألك عبادى عنى فإنى قريب أجيب دعوة الداع إذا دعانى) فإنه تعالى لم يقل فى القرآن استحلفونى بأنبيائى وأصفيائى أستجب لكم لأنه سبحانه لا يعطى الخير و يمنع الشر خوفا على خاطر

حبيب أو تجنباً للومه كأنه تعالى تنقصه الرحمة حتى لا يرحم ولا يلين إلا بالاستعطاف . وكأنه سبحانه جل وعلا بخيل لا يعطى إلا بعد الإلحاف . ولذا يستعطفونه ويستحلفونه بأنبيائه وأصفيائه . وليس من المعقول أن يغير إرادة المولى سبحانه خاطر كل أولياء وأنبياء الأرض ولو أراد تعالى أن نستحلفه بأحبائه فى دعائنا لأمرنا بذلك ولكان الرسول صلى الله عليه وسلم أول من دعاه واستعطفه بالرسل . ولكن الله تعالى قد أمرنا بعكس ذلك وشدد التحذير من ذكر أحد معه فى الدعاء فى قوله (فلا تدعوا مع الله أحدا) .

وها هو القرآن أمامنا حافل بدعاء الأنبياء والصالحين وكلهم يدعو الله بلا توسل بأحد لأنه تعالى عادل لا يفضل أحداً على غيره من أجل حبيب ولا يعطى بلا استحقاق إكراماً للخواطر فلم يقبل دعاء نوح عليه السلام ولم ينقذ ولده وفلذة كبده فهلك مع الكافرين . إن التحيز قبيح من الإنسان نستنكره ونعده ظلماً وفوضى . فكيف نرضاه للعادل الحكيم وننسبه إلى الرحمن الرحيم؟

وأعجب من ذلك اعتقاد هؤلاء بأن الله تعالى لا يطلب منه رأساً وأن هؤلاء الأولياء هم واسطة بينهم و بين الله كما أن الملك من المحال أن تتصل به ولا تستطيع التوسل إليه بلا واسطة رجل عظيم . فيشبهون الله تعالى الذى يعلم السر وأخفى ، ببشر لا يدرى ولا يسمع ما يعمل وما يقال فى الحجرة المجاورة لحجرته . فواعجباً إنهم يزعمون أن الميت ينفع الحى . وأن الضعيف يعين القوى ، وأن الفقير يعطى كالغنى . أألله بحاجة إلى وزير أو مشير من البشر ليرشده إلى من يستحق الرحمة والعطاء ومن يستحق القصاص ؟

والأنكى من ذلك أنهم يطلبون من بشر بعد مماته ما كان يعجز عن فعله فى حياته بل إنه لم يكن فى حياته يملك لنفسه نفعاً ولا ضرا فكيف يملك لغيره شيئاً بعد مماته ؟ ؟ إن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يستطع أن يغير قضاء الله و يرد المرض والموت عن نفسه وأولاده وأهله (قل لا أملك لنفسى نفعاً ولا ضراً إلا ما شاء الله ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسنى السوء) (قل إنما أدعو ربى ولا أشرك به أحداً . قل إنى

لا أملك لـكم ضراً ولا رشدا . قل إنى لن يجيرنى من الله أحد ولن أجد من دونه ملتحدا)
فإذا كان الرسول صلى الله عليه وسلم لن ينجيه أحد من الله إلا عمله ولا يملك لغيره
ولا لنفسه ضراً ولا رشدا . فـكيف يطلبون منه وممن أقل منه وهو ميت ما كان يعجز
عنه لنفسه وهو حى ؟؟

قال تعالى (أيشركون ما لا يخلق شيئا وهم يخلقون . ولا يستطيعون لهم نصرا ولا أنفسهم
ينصرون) هذا توبيخ وتعنيف للمشركين فى عبادتهم مع الله تعالى ما لا يخلق شيئا وهو
مخلوق . والمخلوق لا يكون شريكا للخالق فى العبادة . والذى لا يستطيع نصر نفسه كيف
يستطيع نصر غيره ؟ ؟ وقال تعالى (إن الذين تدعون من دون الله عباد أمثالـكم فادعوهم
فليستجيبوا لـكم إن كنتم صادقين) وقال تعالى (يا أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له .
إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له . وإن يسلبهم الذباب شيئا
لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب . ما قدروا الله حق قدره إن الله لقوى عزيز)
يقول الله تعالى لـكم أيها الناس إن الذين تدعون من دون الله لو اجتمعوا كلهم ليتعاونوا
ويحاولوا أن يخلقوا ذبابا وهو أحقر وأتفه مخلوق . لا يستطيعون مهما كانوا انبياء وأولياء
أو كانوا علماء أذكياء . بل إن هذا الذباب الحقير الصغير إذا سلبهم ذرة من دمهم أو من
طعامهم لا يستطيعون استرجاعها منه ثانية فيغلبهم على أمرهم بالرغم من ضعفه (ضعف
الطالب والمطلوب) فـكيف يدعون من دون الله القوى العزيز خالق السماوات والأرض
من يعجز عن خلق ذبابة وعن اتقاء أذاها ؟ ؟ حقا إنهم لم يقدروا القوى العزيز حق قدره .
كما أنهم لم يقدروا عجز وضعف غيره . وقال تعالى (ومن الناس من يتخذ من دون الله
أندادا يحبونهم كحب الله والذين آمنوا أشد حبا لله ولو يرى الذين ظلموا إذ يرون العذاب
أن القوة لله جميعا وأن الله شديد العذاب) يعنى إن هؤلاء الذين ظلموا بأن جعلوا لله أندادا
يحبونهم كحب الله سوف يرون أن القوة لله وحده عندما يذوقون العذاب الشديد . عقابا
على شركهم . وعندما لا ينفعهم ولا ينجيهم من هذا العذاب الشديد حبيبهم هذا مهما كان

عظيما ومهما كان نبيا أو وليا . ويعلمون حينئذ أن لا حول ولا قوة إلا بالله . وأن حب الله واحترامه يجب أن يكون فوق كل حب وكل احترام لأنه لا يجاريه أحد فى صفاته وكماله وأعماله . فينبغى ألا يجاريه كذلك أحد فى حبه وشكره وإجلاله . فهو الخالق لكل حبيب وكل ولى . وهو المربى المكمل لكل نبى . وهو المنعم على كل ثرى وكل قوى . فكيف نحب المخلوق كحب الخالق . وكيف نلجأ إلى المرزوق من دون الرازق ؟ ؟ وفى قوله تعالى (ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا يحبونهم كحب الله) تأكيد أنهم يحبون الله حبا عظيما ولكنهم أحبوا غيره كحبه وذلك لا يتأتى من مؤمن يعرف فضل الله عليه ويقدره حق قدره .

وقال ابن القيم : أخبر تعالى أن من أحب من دون الله شيئاً كما يحب الله تعالى فهو ممن اتخذ من دون الله أنداداً فهذا ند فى المحبة لا فى الخلق والربوبية .

وإذا تأملنا من حولنا وجدنا كثيراً من الناس قد اتخذوا من دون الله أنداداً فى الحب والتعظيم والإجلال كما قال ابن القيم . فكم من غافل جاهل أفرط فى حب ولده أو زوجه حتى أغضب ربه ليرضيهما ، وبخل فى سبيله ليعطيهما ، وكم أفرط فى حب من يعشق جماله أو فى إجلال وتعظيم من يعجب بقوله وعمله ، فذكره قياماً وقعوداً وعلى جنبه ، وسارع إلى طاعته خوفاً من غضبه ، وحلف بحياته كما يحلف بربه ، وكرس لإرضائه كل وقته وقلبه ، وسعى ما استطاع ليحظى بحبه ، إن الحب شعور تدفع إليه دوافع وينشأ عن أسباب شتى ، وهو يختلف باختلاف مواضعه ودوافعه ، فهناك الحب الغريزى نحو الولد والأم والأب والأخ ، وهو حب فطرى مشترك بين الإنسان والحيوان ، وهناك الحب الغريزى بين الجنسين ، وهو حب حاجة ومصلحة متبادلة ، وهناك حب الإعجاب والإحترام والتقدير ، وهو حب عقلى ، وهناك حب الشكر للجميل وتقدير الإحسان ، وهو حب عقلى أيضاً ، ومن المحال أن يكون الحب الجسدى إلا بين الإنسان والإنسان ، أما الحب العقلى أى حب الاحترام والإجلال ، أو حب الشكر

والتقدير ، فيشعر بهما المؤمن نحو ربه أو يشعر بهما الإنسان كذلك نحو غيره .

ومن تأمل فيما يستوجب إحترامنا وشكرنا وإعجابنا وتقديرنا لله تعالى خالقنا ورازقنا من صفات وأعمال ، وما يستوجب ذلك للأنبياء والأولياء والأمهات والآباء والأزواج والأبناء والأصدقاء ، وجد أن حب الله ينبغي ألا يعادله بل لا يقاربه حب ، وأنه خليق بأن يأسر قلوبنا ويتضاءل فيها كل حب لغيره ، فيجب ألا ننصرف عن الثناء عليه وذكره إلى ذكر غيره والثناء عليه إلا قليلا ، إذ مايكون فضل الإنسان مهما عظم عمله وكرم خلقه بالنسبة إلى كرم الله ورحمته وما تكون قيمة أى عمل بجانب أعماله ، وما تكون قيمة أى كمال بجانب كماله ، وما يكون حب غيره واحترامه بجانب حبه وإجلاله ، فإن كل من نحب ونحترم وكل مايستحق شكرنا من صنع يديه ، فهل يجب الشكر للمصنوع أم لصانعه ، وهل يجب احترام البديع أم مبدعه ؟ .

قال الرسول صلى الله عليه وسلم « لا تطرونى كما أطرت النصارى عيسى بن مريم » وعن أنس رضى الله عنه « أن ناساً قالوا : يارسول الله ياخيرنا وابن خيرنا وسيدنا وابن سيدنا ، فقال : يأأيها الناس قولوا بقولكم ولا يستهوينكم الشيطان ، أنا محمد عبد الله ورسوله ماأحب أن ترفعونى فوق منزلتى التى أنزلنى الله عز وجل » فكم استهوى الشيطان بعض الناس فزعموا أن الرسول صلى الله عليه وسلم أول خلق الله وأن آدم خلق من نوره ، وفاتهم أن الله تعالى أكد فى كتابه الكريم أن آدم أول خلق الله من البشر وأن الرسول صلى الله عليه وسلم آخر الرسل وأنه خلق آدم من طين لا من نور وقد قص علينا الله تعالى قصة كل نبى فى القرآن ، فكيف لم يخبرنا بهذا الأمر العظيم إذا كان حقاً ؟ ، وكيف يصدق عاقل مايخالف قول ربه ويظن أن الرسول بحاجة إلى أن يكون أول البشر ، ليكون أعظم الرسل ، فإن عظمة الرسول ليست بتاريخ ميلاده وقديم خلقه ، بل بعظيم جهاده وكريم خلقه .

وكم استهوى الشيطان بعض الجهلاء فعبدوا الرسول من دون الله وجهروا بهذه العبادة

بلا حياء ولا خشية فسموا أبناءهم عبد الرسول أو عبد النبي وزعموا أن الصلاة على الرسول أفضل من تسبيح الله عز وجل ، وأن زيارة قبره أفضل من حج بيت الله ، لأن من زار الرسول صلى الله عليه وسلم فقد وجبت له شفاعته ، فإذا لم يحج نجا بهذه الشفاعة من عقاب الله فيا للغباء ، إنهم ينسبون إلى الرسول صلى الله عليه وسلم التحيز لمن تزلف إليه وتملقه بالزيارة فيتزلف هو أيضاً إلى الله تعالى ويشفع لعاص مستهين بأمر الله وما فرض عليه ، أى يُخْدع الرسول بالتملق فيتملق الله ليعفو عن كافر أثيم إرضاء لخاطره — سبحانه وتعالى عما يصفون ، و بعداً للرسول عما يزعمون .

وكم استهوى الشيطان بعض الجهلاء فنذروا النذور للأنبياء والأولياء وتصدقوا على حبهم وحلفوا بهم واحتفلوا كل سنة بعيد ميلادهم كما يحتفل النصارى بعيد ميلاد المسيح ، ولم يفكروا فى أنهم احتفوا بالبعض ونسوا البعض الآخر ، وذلك ليس من العدل ، لماذا لا يحتفلون بميلاد إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب وغيرهم ، وميلاد السيدة خديجة وعائشة وفاطمة وغيرهن كما يحتفلون بميلاد السيدة زينب ، والسيد البدوى وغيرهما ؟ ! ، أفلا يخشون غضب هؤلاء الأنبياء والأولياء لتقصيرهم نحوهم ، إنهم لن يستطيعوا أن يحصوا الأنبياء والأولياء من يوم خلق الله تعالى آدم إلى اليوم ولو كرسوا كل وقتهم ليذكروهم وليحتفوا بميلادهم لما كفت حياتهم لذلك ولما وجدوا وقتاً ليذكروا فيه خالق ورازق هؤلاء الأنبياء والأولياء ، فهل من العقل والعدل أن ننصرف عن ذكر الله وتسبيحه إلى ذكر غيره وتبجيله وهو يصف المؤمنين بأنهم يذكرونه قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم . من المحال على العقل أن يذكر شيئين ويتجه وجهتين فى وقت واحد ، فكلما ذكر غير الله ابتعد عنه فأعرض عن خالقه ليتزلف إلى مخلوقه واختلس من حق الله ليعطى سواه يقولون إننا نحب الأنبياء والأولياء ونذكرهم لأنهم أحباء الله ، فكيف نغفل عن حبيبنا لنذكر حبيبه ؟ وقد أمرنا تعالى بأن نذكره ذكراً كثيراً ونسبحه بكرة وأصيلا ، ولكن هل أمرنا أن نذكر أحداً سواه ؟ ؟ وهل أمرنا الرسول صلى الله عليه وسلم بالاحتفال والاحتفاء بميلاده أو ميلاد غيره ؟ هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين .

يدعى كثير من الناس أن من يدعو الأنبياء والأولياء وينذر لهم ويخشى بطشهم ليس بمشرك بل هو جاهل شديد الحب للنبي وأهل بيته ، يعتقد أن هذا العمل زيادة فى العبادة والورع وأنه يرضى الله بدعائه أنبياءه وأولياءه وأهل بيت رسوله فهو مؤمن بالله ورسوله والقرآن فلا يليق أن نصفه بالشرك وغفلوا عن قوله تعالى (وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون) أفلم يغضب الله على المسيحيين وهم على دين عيسى عليه السلام ولم يشركوا بالله إلا عيسى ومريم والأولياء الصالحين وكانوا يؤمنون بالإنجيل ؟ قال تعالى (لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح بن مريم وقال المسيح يابنى إسرائيل اعبدوا الله ربى وربكم إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين من أنصار . لقد كفر الذين قالوا : إن الله ثالث ثلاثة وما من إله إلا إله واحد ، وإن لم ينتهوا عما يقولون ليمسن الذين كفروا منهم عذاب أليم) وقال : (ما المسيح ابن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل وأمه صديقة كانا يأكلان الطعام ، أنظر كيف نبين لهم الآيات ثم انظر أنى يؤفكون . قل أتعبدون من دون الله مالا يملك لكم ضراً ولا نفعاً والله هو السميع العليم) .

فمشركو الماضى كمشركى اليوم تماما يدعون مع الله الأنبياء والأولياء الصالحين وينذرون لهم ويذبحون الذبائح تكريما لهم ويطعمون الفقراء على حبهم . مشركو الماضى كانوا يعرفون الله ويتوسلون إليه بالأنبياء والأولياء قائلين (إنما نعبدهم ليقربونا إلى الله زلفى) ويقولون (هؤلاء شفعاؤنا عند الله) ومشركو اليوم يقولون إنا نعلم أن الله خالق السماوات والأرض وما بينهما وإنما نتوسل إليه بهؤلاء المقربين عنده ليستجيب دعاءنا وليشفعوا لنا يوم القيامة . العمل واحد وشرك اليوم هو شرك الماضى كما أن معاصى اليوم هى معاصى الماضى وإنسان اليوم هو إنسان الماضى .

ومشركو الماضى كانوا يعرفون الله كما يعرفه مشركو اليوم كما أكد تعالى فى قوله (ولئن سألتهم من خلق السماوات والأرض ليقولن الله قل أفرأيتم ما تدعون من دون الله

إن أرادنى الله بضر هل هن كاشفات ضره . أو أرادنى برحمته هل هن ممسكات رحمته . قل حسبي الله عليه يتوكل المتوكلون) وقوله (قل من يرزقكم من السماء والأرض أمَّن يملك السمع والأبصار ومن يخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحى ومن يدبر الأمر . فسيقولون الله فقل أفلا تتقون) . وفى قوله تعالى عن عيسى وأمه (كانا يأكلان الطعام) إشارة إلى ضعفهما وحاجتهما إلى الغذاء ليعيشا والإله لا يكون ضعيفا كالبشر إذا لم يجد الغذاء والماء والهواء هلك . ومن يأكل الطعام لا بد أن يخرجه من بدنه وهذه الصفات بشرية لا يليق أن ننسبها إلى من يخلق الطعام وآكله .

وهناك من يزعم أن هؤلاء المشركين جهلاء لن يؤاخذهم الله ولن يعذبهم . أفلم يكن مشركو الماضى جهلاء ومع ذلك هددهم الله بعذاب جهنم ووصفهم بأنهم لا يدرون بأنهم ضالون ويحسبون أنهم محسنون . قال تعالى (أفحسب الذين كفروا أن يتخذوا من دونى أولياء إنا أعتدنا جهنم للكافرين نزلا . قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالا الذين ضل سعيهم فى الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا) إن فى هذه الآية الكريمة لمحاكمة وتحذيرا ووصفا دقيقا لهؤلاء الذين يعملون عمل المشركين وهم لا يشعرون . فهى تخبر بأنهم لا يدرون بضلالهم بل يحسبون أنهم مهتدون . فيسيئون إلى أنفسهم وهم يحسبون أنهم يحسنون . فكيف لا توقظ هذه الآية الكريمة بوصفها لهؤلاء من غفلتهم وتعيدهم إلى رشدهم وهم يعملون بلا علم ولا هدى ولا كتاب منير ولا برهان لديهم على صواب وثواب عملهم وإنما يظنون ظنا ويقلدون غيرهم تقليدا أعمى بلا فهم ولا تبصر (وما يتبع أكثرهم إلا ظنا إن الظن لا يغنى من الحق شيئا إن الله عليم بما يفعلون) فوا عجبا ، كيف يحذر الله من وصفهم ولا ينتبهون وكيف يهدد تعالى على مثل عملهم ثم يصرون . وكيف يقدمون على مريب لم يؤمروا به وهم آمنون (فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور) .

والشرك على أنواع شتى . فدعاء أحد مع الله تعالى شرك لأن الدعاء عبادة والله تعالى ينهى عن ذلك بقوله (فلا تدعوا مع الله أحدا) والقسم بغير الله شرك كما أكد الرسول

« صلى الله عليه وسلم » بقول « من حلف بغير الله فقد أشرك » واعتماد المرء على تميمة تمنع عنه الشر وتقيه ابتلاء الله شرك لأنه نسب إلى هذه التميمة عمل الله وتصرفه فى ملكه . وهو تعالى يقول (وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو وإن يردك بخير فلا راد لفضله) والرسول صلى الله عليه وسلم يقول « إن الرقى والتمائم والتولة شرك » وكذلك تبرك المرء بشىء أو أحد غير الله شرك . لأن التبرك طلب البركة والبركة ، هى الخير الكثير . والخير بيد الله وحده لا يطلب من سواه إذ لا شريك له فى تدبير ملكه وأمور خلقه .

وليس لشىء من الأشياء سلطان على ما خرج عن قدرة المخلوقين . ولا قدرة لمخلوق فوق ما وهبه الله من الأسباب ولا شىء سوى الله يستطيع أن يمد العبد بالمعونة فيما لم يبلغه كسبه . فمن استشفى من الأمراض بغير الأدوية التى خلقها تعالى وأنعم بها علينا و بغير الأطباء الذين علمهم وهداهم إلى علاجنا فقد أشرك . ومن استعان على السعادة فى الدنيا والآخرة بغير الطرق التى شرعها الله . وكذلك من أعتقد أن مخلوقا يعرف الغيب الذى لا يعلمه إلا الله فقد أشرك . قال الرسول صلى الله عليه وسلم « من أتى عرافا أو كاهنا فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد » . ومن نذر لغير الله صدقة أو قربانا فقد أشرك . لأن الصدقة والنحر عبادة . والعبادة لا تكون إلا الله وحده ولأن النذر شكر المنعم . والذى أنعم واستوجب الشكر هو الله تعالى . يزعمون أن الصدقة لله والنذر يأكله الفقراء . أو لم تكن ذبائح وصدقات مشركى مكة المقدمة للات والعزى تأكلها الفقراء ؟ ألا يتقبل الله تعالى الصدقات فى كل مكان وكل زمان ؟ ؟ فلماذا إذن يتعمدون التصدق فى يوم معين ومكان معين . فى يوم مولد هذا المخلوق و بقرب ضريح هذا المدفون . فليس غرضهم إذن التصدق لله وحسب . بل غرضهم تكريم هذا المخلوق والاحتفاء بمولده فأشركوا مع الله فى الصدقة هذا الدفين . وفى الحديث أن الله تعالى يقول يوم القيامة لمن ابتغى بعمله غير وجه الله وحده « إذهب إلى من عملت له نخذ منه جزاء عملك . فليس لك عندى شىء » .

وقد حرم الله تعالى أكل ماذبح وأهل به لغيره تكريما لنبى أو ولى أو أى مخلوق

بالقرب من قبره أو تحت نعشه أو ما ذبح فى زار تكريما للجن كما يزعمون . ولم يكن الغرض من ذبحه التصدق لوجه الله وحده طمعا فى رضاه لا طمعا فى رضا سواه . وذلك تحقيرا لهذا العمل القبيح وتنفيرا للمؤمنين فما تدنس بالشرك صار كالميتة ولحم الخنزير قال تعالى (حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل به لغير الله) فلأن ما ذبح وأهل به لغير الله شرك به تعالى . اقتضت الحكمة الإلهية أن ينهى عن هذا الإشراك ثم يؤكد التحريم بالنهى عن تناول ما ذبح له ليكون فيه منع الإشراك بعدم تعاطى أسبابه . قال الرسول صلى الله عليه وسلم « أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر . فسئل عنه فقال : الرئاء » فكل من يرائى الناس فى عبادة الله فقد أشرك معه حب الأحدوثة والظهور بمظهر التقوى . وطلب الاحترام والمدح والثناء عليه . قال تعالى فى الحديث القدسى : « أنا أغنى الشركاء عن الشرك . من أشرك معى غيرى فهو لشريكى وليس لى منه شىء » .

قال رجل : يا رسول الله . إنى أقف المواقف أريد وجه الله وأحب أن يُرى موطنى . فلم يرد عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نزلت هذه الآية (فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا) وقد احتاط الرسول صلى الله عليه وسلم من أن نشركه مع الله تعالى بكثرة الإطراء والإجلال الذى لا ينبغى إلا لله فقال « لا تطرونى كما أطرت النصارى عيسى ابن مريم » وأمر صلى الله عليه وسلم بهدم القبور والقباب وعدم إيقاد السرج على الأضرحة و إبادة الصور والتماثيل ومنع إعلاء الضرائح وتزيينها احتياطا واتقاء للشرك . وقد احتاط من ذلك أيضا عمر رضى الله عنه فقطع شجرة بيعة الرضوان عندما رأى المسلمين يجتمعون تحتها و يفضلونها على غيرها نخشى تطور الحال إلى الشرك والتبرك بهذه الشجرة التى كان المسلمون يبايعون الرسول صلى الله عليه وسلم تحتها . وقال ابن المكرم : اللهم إنا نسألك صحة التوحيد و الإخلاص فى الإيمان . انظر إلى هؤلاء لم ينفعهم طوفهم ولا تلبيتهم ولا قولهم عن الصنم هولك ولا قولهم تملكه وما ملك . ولا معذرتهم بقولهم إلا ليقربوا إلى الله زلفى .

ألا فليجتنب العاقل كل عمل مريب أنه شرك كما أمر الرسول صلى الله عليه وسلم بقوله « دع ما يريبك إلى مالا يريبك » وقوله « الشرك أخفى فى أمتى من دبيب النملة » وما دام الشرك أخفى من دبيب النملة فلماذا إذن لا نحذر ولا نتقى ماقد يفضى بنا إلا الضلال والهلاك إذا فعلناه . ولا إثم ولا جناح علينا إذا تركناه ، لماذا لا نحرص على نجاتنا من غضب الله والعذاب بابتعادنا عما لم نؤمر به ؟ إننا نقصر فيما فرض علينا . فلم نأتى مالم يفرض علينا وهو مريب ؟ قال تعالى (ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير أو تهوى به الريح فى مكان سحيق) كل من تدبر آى القرآن الكريم وجد أن أهم هدف وأعظم غاية يرمى إليها هى توحيد الله عز وجل . وأنه تعالى إنما أنزل كتابه الكريم على رسوله الأمين محمد صلى الله عليه وسلم ليخرج الناس من ظلمات الجهل والشرك إلى نور الإيمان والتوحيد . ويطهرهم من رجس الوثنية التى كانت متغلغلة فى قلوبهم لأن التوحيد آية الإيمان الصادق إذ هو أخلاص العبادة لله وحده . ومعرفته سبحانه حق المعرفة وتقديره حق قدره ، قال تعالى (الله الذى جعل لكم الأرض قراراً والسماء بناء وصوركم فأحسن صوركم ورزقكم من الطيبات ذلكم الله ربكم فتبارك الله رب العالمين . هو الحى لا إله إلا هو فادعوه مخلصين له الدين الحمد لله رب العالمين)

وقال تعالى (يا أيها الناس اذكروا نعمة الله عليكم هل من خالق غير الله يرزقكم من السماء والأرض لا إله إلا هو فأنى تؤفكون) وأكد الله للناس أن من المحال أن يكون له شريك فى ملكه لأن هذا النظام الدقيق فى هذا الكون وهذا الإحسان الشامل وهذا الإحكام الكامل . وهذا الخلق المتكرر المتواصل آية وجود إله واحد لا شريك له يعارضه . ولا مثيل له ينافسه . ولا حكم إلا حكمه . ولا إرادة إلا إرادته . ولا سلطان إلا سلطانه . ولا قوة إلا قوته . ولو كان مع الله آلهة كما يقولون لانفرد كل منهم بإرادته ولا اختلاف كل منهم فى حكمه وخلقه ولتفاوت كل منهم فى قوته فعلا بعضهم على بعض وفسدت السماوات والأرض كما أكد الله تعالى فى قوله (لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا

فسبحان رب العرش عما يصفون . لا يُسأل عما يفعل وهم يسألون) وقوله (ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله إذن لذهب كل إلهٍ بما خلق ولعلا بعضهم على بعض سبحان الله عما يصفون) .

قال الدكتور أحمد زكى : لقد كشف العلم عن عجيب ماصنع الصانع كشفه فى النبات وفى الحيوان وكشفه فى الإنسان وفى السماء كشف عن قوى كلها تعمل واحدة على اختلاف فى الدرجات ولكن على اتحاد فى غاية . وهدى المنطق وهدت الفطرة إلى أن صاحب هذه الإتساق لابد واحد . ومجرى هذه القوى لتعمل على هذه الأساليب الواحدة لابد واحد

ونسق العلم مابين الأرض الجامدة وما عليها من أحياء ونسق مابين الأرض جامدها والحى و بين هذه الشمس وذاك القمر . وأثبت أن الذى صمم عين الإنسان بعدستها ومائها وما وراء الماء من شبكة تلقى عليها الصور . هو هو لا بد الذى صمم هذه الشمس وأخرج منها تلك الأشعة ووجهها إلى الأرض فهذه العين تكون عبثا لولا هذا الضياء .

(تبارك الذى نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً . الذى له ملك السماوات والأرض ولم يتخذ ولداً ولم يكن له شريك فى الملك وخلق كل شىء فقدره تقديراً . واتخذوا من دونه آلهة لا يخلقون شيئاً وهم يخلقون ولا يملكون لأنفسهم ضراً ولا نفعا ولا يملكون موتا ولا حياة ولا نشورا) صدق الله العظيم .

حرره الدكتور محمد رضا
رحمه الله

---

٢١ – نظرات فى التصوف

« كان الحديث فى العدد الماضى عن الحب ودلائله فى القرآن
وفى هذا الحديث نتابع الحديث عن الحب »

الله وحده هو المستحق للحب وحده : المؤمن الصادق الإيمان هو من يشعر شعوراً كاملا صحيحاً بأن حب الله وحده هو فوق كل حب والذى ينبع منه كل حب فى قلبه ويهيمن عليه . هو من يجعل حبه للناس وللأشياء تابعا لحبه لله سبحانه : فلا يحب نفسه أو ولده أو زوجه ، وماله أو الجمال فى ذاته إلا باسم الله جل شأنه .

إن كان يحب نفسه ، و يحب لها الكمال ودوام الوجود ، فالله سبحانه هو بارىء نفسه ، وهو الذى يهب برحمته لها الكمال والوجود ، وإن كان يحب ولده لأنهم امتداد لبقائه ، وماله لأنه آلة تعينه على ماينشده لنفسه ، والناس : لأنهم عون له على مايريد لنفسه من كمال . إن كان يحب شيئاً من ذلك كله ، فالله سبحانه هو الواهب لهذه المنن ، والقادر وحده على بسطها أو قبضها . وإن كان يحب الجمال ، فالله هو الجميل[1] ، ورب الجمال كله والمانح كل شىء جميل جماله وإن كان يحب المحسن لإحسانه عليه ، وعلى الناس ، فالله هو الرحمن الرحيم المنان ويمينه ملأى سحاء الليل والنهار ، لا تغيضها نفقة منذ خلق السموات والأرض . إن المرء لا يحب الشىء إلا لصفة فى هذا الشىء استثارت فى قلبه الحب له ، ولله وحده جل شأنه كل صفات الكمال والجلال والجمال . وفوق هذا فإن لله صفتين لا يشرك فى واحدة منهما أحد ، وهما مصدر كل صفة كمال وجلال وجمال . إنهما الربوبية والألوهية . فمن له الربوبية المطلقة سواه ؟ ومن له الألوهية المستحقة للعبادة وحدها غيره ؟ من ربى الوجود كله حالا بعد حال بقدرته ورحمته وإحسانه ؟ إنه الله الحى القيوم رب السموات والأرض ؛ ولهذا كان من يسوى بين الله وغيره فى الحب مشركا بالله . فهو إما أن يكون قد تسامى بمن أحبه إلى مقام الربوبية ، وإما أن يكون قد ظن فى الله أنه مثل من أحبه من خلق الله ! ! .

ثم إن الله سبحانه لم يتركنا حيارى شاردين نضرب فى تيه من الحيرة حول أسمائه وصفاته ، بل إنه سبحانه فصل لنا فى كتابه أسماءه وصفاته .

لنحبه بما وصف وسمى به نفسه من صفات وأسماء .

لنحبه عن بينة . فما يتعلق الحب إلا بمعلوم . لهذا كان من يزعم أنه يحب الله بغير أسمائه وصفاته التى بينها ، من عبدة الأوهام أو الظنون أو الأصنام .

إن إله الفلسفة ليس هو الله ، وإن إله ابن عربى وابن الفارض ومن دان بدينهما

---

(١) فى أثناء حديث رواه مسلم « إن الله جميل يحب الجمال » .

ليس هو الله . وإله الجهمية والمؤولة ليس هو الله وإن كان الجميع يسمونه بهذا . لأن هذا الإله الذى يدين به هؤلاء لا تنتسب صفة من صفاته ، ولا اسم من أسمائه إلى صفات الله وأسمائه . فإذا زعموا أنهم يحبون الله ، فهم كاذبون منافقون مراءون ، أو هم ـ إن أحسنا بنياتهم الظن ـ جاهلون . ثم إنه سبحانه بين لنا فى جلاء كيف نعبر عن حبه اعتقاداً وقولا وعملا ، حتى تكون عقائدنا وأقوالنا وأعمالنا تعبيراً صادقا عن حبه .

وأمر آخر نحب أن نبينه .

لماذا نحب محمداً رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟

لماذا نحب أولياء الله ؟.

نحب خاتم النبيين بهذه الصفة التى شرّفه الله بها ، وهى أنه رسوله وخاتم أنبيائه ، فحبنا للرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ يجب أن ننظر إليه على أنه تابع لحب الله سبحانه ونبع من حبه جل شأنه ، وأن نعتقد أن حبنا الصادق له هو فى اتباع ما أوحاه الله إليه ، ومن أحبّه بغير هذه الصفة ، أو بغير هذه الروح ، فهو دعى حُب وحِلس أوهام ! !

ونحب أولياء الله ؛ لأنهم أولياء الله ، لا لأنهم : على ، أو محمود أو إبراهيم ! ! بل لصفة فيهم جعلتنا نحبهم تلك هى : ولايتهم لله سبحانه ، فمن أحب هؤلاء لذواتهم ، لا للصفة التى أوجب الله علينا بها حبهم ، فهو عابد أوثان .

فليتدبر أولئك الذين يزعمون أنهم يحبون رسول الله على حين هم يناهضون سنته بما يعتقدون ، ويتخلقون ، ويعملون !! يظنون أن حبهم له يفرض عليهم هذا الاعتقاد الوثنى فيه . يفرض عليهم أن يؤمنوا بأنه النور الأزلى القديم الذى خُلِق منه وباسمه كل شىء ، أو هو الحقيقة التى تعينت فيها الذات الإلٰهية . أهذا حُب ، أم هذا شرك بالله رب العالمين ؟ ليتدبر الظانون أنهم يحبون أولياء الله ، على حين يعتقدون فيهم أنهم شركاء لله ، يعتقدون أن لهم التصرف فى ملكوت الله ، والقيام على حفظه والهيمنة على إرادة الله وقضائه وقدره ! لئن كان هذا يسمى حباً ، فإنى أسأل . أين حقد الشرك وطغيانه ؟

وأين سوء الكفر وبهتانه ؟

من يحبهم الله : ولقد بين لنا الله سبحانه صفات من يحبهم على وجه الإجمال والتفصيل ، فهو يحب المحسنين ، ويحب المتقين ، ويحب التوابين ، ويحب المتطهرين ، ويحب المقسطين ، ويحب الصابرين ، وقد فصل القرآن صفات هذه الزمر الكريمة التي يحبها الله ، فلنتدبر صفاتهم في الكتاب المبين ؛ لنسلك على وضح نفس السبيل الكريم السوى الذى سلكوه . وكما بين الله صفات من يحبهم ، فإنه سبحانه بين صفات من لا يحبهم ؛ ليكون المؤمن على بينة مما يحبه الله ، ومما يبغضه الله ، وممن يحبهم الله ، وممن يبغضهم الله ! وقد ذكر لنا الله سبحانه فى القرآن أنه لا يحب الكافرين ؛ لا يحب الظالمين ، لا يحب المعتدين ، لا يحب كل مختال فخور ، لا يحب كل خوان أثيم ، لا يحب المسرفين ، لا يحب الخائنين ، لا يحب المستكبرين ، لا يحب الفرحين ، لا يحب المفسدين ، فليتدبر المؤمن صفات هؤلاء وغيرهم ممن لا يحبهم الله : ليتجنب مهالكهم ، ليكون جديراً بحب الله .

ثمرة الحب وثوابه . ولقد مَنّ الله على عباده ، فأثابهم على حبهم له بحبه لهم . وهل هذا إلا الثواب الأعظم ، وهل فوقه من ثواب ؟! ولن نتحدث عن كيفية حب الله وكنهه ، فحبه تعالى ليس كحب البشر . غير أننا يجب أن نؤمن بأن الله سبحانه يحب أولياءه . أما كيف يحب ؟ هذا مالا سبيل إلى البيان عنه ، أو إلى استشراف العقول إلى سماء قدسه وجلاله .

وفى الصحيحين : « إذا أحب الله العبد دعا جبريل . فقال : إنى أحب فلانا ، فأحبه فيحبه جبريل ، ثم ينادى فى السماء ، فيقول : إن الله يحب فلاناً ، فأحبوه ، فيحبه أهل السماء ، ثم يوضع له القبول فى الأرض » . يا لجمال الثواب وجلاله ! ! .

يحب الله عبده ، ويأمر صفوة أوليائه أن يحبوه ، ويلهمهم حبه ، ويرعاه بالخير الأكبر فى معاشه ومعاده . هذا الثواب الأعظم يجزى به من يحب الله سبحانه . وما من إنسان له عقل أو قلب إلا ويؤمن أنه ربح الدنيا وربح الآخرة .

نعم الحب الإلهى : وإذا أحب الله عبده مَنّ عليه بأعظم النعم فى دنياه وفى أخراه .

محب الله لا يضل ولا يشقى ، ولا يمسه خوف ولا حزن : (٢٠ : ١٢٣ . فمن اتبع هداى ، فلا يضل ، ولا يشقى) (٧ : ٣٥ فمن اتقى وأصلح ، فلا خوف عليهم ، ولا هم يحزنون)

محب الله مغفور له : إن محب الله قد يمسه طائف من الشيطان ، فيتذكر ، فيتبصر السبيل القويم الذى كان قد انحرف عنه ، فيعود مسرعا إليه منيباً تائباً . وإنه لبر فياض ورحمة سابغة فياضة أن لاتبعد المحبين ذنوبهم عن محبة الله جل شأنه : (٣ : ٣١ قل :إن كنتم تحبون الله ، فاتبعونى يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم) .

تفتح عليه بركات من السماء والأرض : (٧ : ٩٦ ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض) .

أمره مُيسَّر ، وله من كل مأزق مَخْرَجٌ : (٦٥ : ٣ ، ٤ ومن يتق الله يجعل له مخرجا) . (ومن يتق الله يجعل له من أمره يسراً) .

لا يضره كيد عدو له : (٣ : ١٢٠ وإن تصبروا ، وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئاً)

يهب الله له الحكمة والفرقان الذى يفصل به بين الحق والباطل : (٨ : ٢٩ ياأيها الذين آمنوا إن تتقوا الله يجعل لكم فرقاناً) .

حياة تفيض بالبركة ، وقلب مطمئن تغمره السكينة ، ونجاة من كل ضيق ، وتيسير لكل أمر ، ووقاية من كل عدو ، وإلهام من الله يسدد عقله وفكره ورأيه ، وسلوكه فى الحياة ، هذه بعض نعم الله على من يحبهم .

الله معه : ونستطيع أن نجعل كل هذه النعم الجليلة العظيمة من أنوار هذه النعمة العظيمة التى هى المعيّة . (١٦ : ١٢٨ إن الله مع الذين اتقوا ، والذين هم محسنون) .

لهم مايشاءون عند ربهم : (٣٩ : ٣٣ ، ٣٤ والذى جاء بالصدق ، وصدق به ،

أولئك هم المتقون . لهم ما يشاءون عند ربهم . ذلك جزاء المحسنين) إننا لانرى فى المثل العالية التى تحلم بها البشرية ، ولا فى القيم السامية التى يقدمها الحالمون بالمدنية الفاضلة ما يأذن بتصور مثل هذه الحقيقة التى قررها القرآن ، والوعد الذى وعد به أحباب الله . هل نتصور أن ملكا عظيما واسع الملك فياض الرحمات يقول لمواليه فى حب : لكم ما تشاءون عندى ؟ أنتصور أن يرفع مشيئتهم فوق هذا الأفق الرفيع ؟ !

ولله سبحانه المثل الأعلى !؟

نحن لا نتصور مثل هذا بمقاييسنا نحن البشر إلا ونحن على ذروة الخيال الفنان المبدع ولكن رحمة الله سبحانه فوق مانتصور !!

ألم تر كيف وهب الله لأحبائه هذه المنة ، ورفع مشيئتهم فوق قمة هذه الذروة المقدسة . إنها ليست منة ملك على بعض الناس ، وإنما هى منة ملك الناس ، إله الناس ، قيوم السموات والأرض .

من نعم حب الله فى الآخرة : جنة عرضها السموات والأرض ، مقام أمين فى جنات وعيون ، مقعد صدق عند مليك مقتدر ، (وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين ٣ : ١٢٣) (إن المتقين فى مقام أمين فى جنات وعيون ٤٤ : ٥١) (إن المتقين فى جنات ونهر ، فى مقعد صدق عند مليك مقتدر ٥٤ : ٥٤ ، ٥٥) هذه بعض منن الحب الإلهى . حب الله لعبيده إذا أحبوه .

الخُلّة : أما الخلة فهى كمال المحبة ، أو هى المحبة التى تخللت روح المحب وقلبه [1] حتى لم يبق فيه موضع لغير المحبوب . قال شاعر

---

(١) قال الراغب فى مفرداته : « الخلة المودة . إما لأنها تتخلل النفس أى تتوسطها . وإما لأنها تخل النفس . فتؤثر فيه تأثير السهم فى الرمية . وإما لفرط الحاجة إليها » وقال ابن فارس فى معجمه . « الخاء واللام أصل واحد يتقارب فروعه . ومرجع ذلك إما إلى دقة أو فرجة . ثم قال . فأما الخليل الذى يخاللك . فمن هذا أيضا كأنما قد تخاللتما كالكساء الذى يخل)

قد تخللت مسلك الروح منى   ولذا سمى الخليل خليـلا

وقد نال مرتبة الخلة إبراهيم عليه السلام ومحمد صلى الله عليه وسلم : قال تعالى : (واتخذ الله إبراهيم خليلا ٤ : ١٢٥) وقد ورد فى الصحيح قول الرسول صلى الله عليه وسلم : « إن الله اتخذنى خليلا ، كما اتخذ إبراهيم خليلا » « ولو كنت متخذاً من أهل الأرض خليلا ، لا تخذت أبا بكر خليلا ولـكن صاحبكم خليل الرحمن » ويقول ابن القيم فى مدارج السالكين : « وهما ـ أى هذان الحديثان ـ يبطلان قول من قال : الخلة لإبراهيم والمحبة لمحمد ، فإبراهيم خليله ومحمد حبيبه » ثم يقول عن مرتبة الخلة إنه انفرد بها الخليلان إبراهيم ومحمد صلى الله عليه وسلم :

« للمنظرات بقايا »   عبد الرحمن الوكيل

غزوات الرسول

صلى الله عليه وسلم

كان عهد الحديبية ـ كما وصفه الله تعالى حقاً ـ فتحاً مبيناً للمسلمين . كما كان عهد إنتقال للدعوة المحمدية الحقة من قوة إلى قوة . ومن مجد إلى مجد . إذ بشرهم الله فى ذلك الحين بدخول مكة زائرين للبيت . مؤدين شعائر الله بعد أن أخرجتهم قريش ظلماً و بغياً من وطنهم وديارهم وأهليهم فـكان هذا أول مرحلة من مراحل النصر الـكبير . ثم أعقب ذلك بقليل فتح مكة حيث بدأت السيادة الإسلامية تبسط جناحيها على شبه الجزيرة العربية وما عداها من الأمصار والأقطار .

المسلمون فى المدينة : من يوم أن هاجر النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ وأصحابه إلى المدينة منذ ست سنوات وهم فى جهاد واصب مستمر وغزو دءوب متواصل لأعدائهم من قريش وغيرهم من اليهود .

لابد أن المهاجرين كانوا أثناء وجودهم بالمدينة يعانون شيئاً من ألم النفى ، وعذاب الشعور بالحرمان من الوطن والأهل رغم ما أحاطهم به الأنصار من الأخوة والرعاية والمحبة . ولكنهم كانوا يشعرون أيضاً فى قرارة أنفسهم أن نصر الله قريب وآت يوما مَّا . . يوم ينصرهم الله على أعدائهم فى مكة ، وحينئذ يعودون إلى ديارهم وذويهم ، كما يعودون إلى ممارسة واجبهم الدينى المسلوب وهو أداء شعائر الحج والعمرة . وكلما مرت السنون كان الشوق يشتد فى نفوسهم ووجدانهم ، والرسول صلى الله عليه وسلم يؤكد لهم نصر الله . فتزداد ثقتهم ، ويقوى إيمانهم بالله بأن هذا اليوم آت لا ريب فيه .

البيت الحرام ليس لقريش وحدها : إن قريشاً قد بغت أشد البغى على الرسول والمسلمين حين قررت منعهم من زيارة الكعبة وأداء الحج والعمرة ، فإن هذا البيت الحرام كان منذ مئات السنين وآلافها مقاماً للعرب جميعاً وكان معظماً ومكرما منهم جميعاً على اختلاف مللهم ونحلهم . ثم جاء الأسلام فزاده تكريماً وتشريفاً وتعظيما وطهره من أوثان المشركين وأصنامهم ، قال تعالى (وإذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمناً واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى وعهدنا إلى إبراهيم واسماعيل أن طهرا بيتى للطائفين والعاكفين والركع السجود. الآية ١٢٥ . البقرة) وقوله جل شأنه (ومن دخله كان آمناً. الآية ٩٧ : آل عمران)

وإذا كان لا ينبغى لأحد أن يجرد سيفا ، أو يريق دما عند البيت الحرام لا فى الأشهر الحرم ولا فى غيرها ولا أن يصد أحداً عنه ، فكيف يسوغ لقريش أن تمنع المسلمين من زيارة البيت وأداء الفريضة ؟ إن قريشاً لا يجوز لها أن تصد المسلمين عن البيت لعداوتها لهم لأنهم دعوا إلى نبذ الشرك وعبادة الله وحده . بينما تتيح الفرصة لغيرهم من العرب لزيارة البيت وعبادة أصنامهم ، وخاصة بعد أن حول الله تعالى قبلة المسلمين من بيت المقدس إلى البيت الحرام كما بين فى كتابه العزيز (قد نرى تقلب وجهك فى السماء فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره . الآية ١٤٤ : البقرة) وكان ذلك بعد ثمانية عشر شهراً من الهجرة .

على أن البيت الحرام لم يكن ملكا لقريش وحدها حتى تقف هذا الموقف العدائى

من المسلمين فى شأن البيت الحرام فتمنع من تشاء من زيارته . وتبيحه لمن تشاء لمجرد أنها تقوم بسدانة الكعبة . وسقاية الحاج ورعاية زائرى البيت !! .

ولقد استنكر القرآن على قريش موقفها الأحمق هذا بقوله تعالى (يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه قل قتال[1] فيه كبير وصد عن سبيل الله وكفر به والمسجد الحرام وإخراج أهله منه أكبر عند الله الآية ٢١٧ : البقرة) وقوله جل شأنه (وما لهم ألا يعذبهم الله وهم يصدون عن المسجد الحرام وما كانوا أولياءه . إن أولياؤه إلا المتقون ولكن أكثرهم لا يعلمون ، وما كان صلاتهم عند البيت إلا مكاءاً وتصدية فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون . إن الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله فسينفقونها ثم تكون عليهم حسرة ثم يغلبون الآيات . ٣٤ ـ ٣٦ الأنفال) .

الرؤيا .. والأذان فى الناس بالحج : انقضت ست سنوات منذ الهجرة والمسلمون فى شوق متزايد لزيارة الكعبة وممارسة شعائر الحج والعمرة .

وذات صباح كان المسلمون بمسجد رسول الله صلوات الله عليه ، وإذا بالرسول ينبئهم برؤياه الصادقة ، أن الله محقق أملهم فى زيارة البيت الحرام : (لقد صدق الله ورسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمنين محلقين رءوسكم ومقصرين لا تخافون فعلم مالم تعلموا فجعل من دون ذلك فتحاً قريبا . الآية ٢٧ : الفتح) .

وما أن سمع المسلمون هذا النبأ السار حتى امتلأت قلوبهم فرحا وغبطة . وارتفعت

---

(١) ونزلت هذه الآية أيضا فى شأن عبدالله بن جحش . إذ كان قد خرج فى سرية يتحسس أخبار قريش فى المحرم عام ٦ هـ فاعترض اناسا منهم وقاتلهم . فعنفه النبي على هذه المخالفة فى شهر من الأشهر الحرم .. كما بين الله تعالى فى هذه الآية خطأ القتال فى الشهر الحرام وأن هذا إثم كبير . ولكن ما عليه المشركون أكبر وأعظم من مجرد القتال فى الشهر الحرام . فإن الكفر بالله . وصد المسلمين عن سبيله والمسجد الحرام واخراج أهله منه وفتنة المسلمين فى دينهم . واغرائهم بالوعد والوعيد وتعذيبهم .. كل ذلك أكبر عند الله وهو أحق بالذم والعيب . وأولى بالعقوبة لأنه فتنة .. والفتنة أكبر من القتل .

أصواتهم بالتكبير والتهليل . وسرعان ما طار الخبر إلى سائر أنحاء المدينة وعرفه الناس .

وهنا يقفز إلى الأذهان سؤال يحتاج إلى جواب ، كيف يدخل المسلمون المسجد الحرام وهذه قريش قد أخرجتهم منه ، وها هو العداء بينهم و بينها قد بلغ مداه ؟! .. أيحاربون قريشاً و يدخلون مكة عنوة ! . أم أن قريشاً ستعيد النظر فى علاقتها بهم وتفتح لهم أبواب مكة ليدخلوها بلا قتال ؟؟ .

وجاء الجواب من الرسول صلى الله عليه وسلم لهذا السؤال حين أذّن فى الناس بالحج وكان شهر ذى القعدة عام ٦ هـ وهو من الأشهر الحرم فيها القتال ـ وأرسل رسله إلى القبائل من المسلمين وغيرهم للاشتراك معه فى الخروج لهذه الرحلة الروحية بغير قتال .

وكانت فكرة دعوة العرب من غير المسلمين تدل على حكمة الرسول صلى الله عليه وسلم وحسن تدبيره فقد أراد أن تعلم قريش أنه ما خرج فى هذا الشهر غازياً . و إنما خرج حاجا ليؤدى فريضة الحج كسائر العرب الذين لا يجدون صداً ولا منعاً من زيارة البيت . . وأن اشتراك العرب من غير المسلمين فى الرحلة دليل طوية السلام الذى جاء به .

الرسول يخرج إلى البيت الحرام : واستنفر النبى عليه الصلاة والسلام القبائل ، فأبطأ عليه بعضهم فاستخلف على المدينة نميلة بن عبد الله الليثى ، وخرج بالمهاجرين والأنصار ومن لحق به من العرب ، وكان عدتهم جميعاً ألفاً وأربعمائة [1] وتقدمهم الرسول على ناقته القصواء . وساقوا معهم من الهدى سبعين بدَنة وأهل الرسول صلى الله عليه وسلم بالعمرة ليعلم الناس أنه لا يريد قتالا ، وإنما خرج حاجا . . وقد رافقته فى الرحلة زوجته أُم سلمة فلما بلغ ذا الحليفة[2] عقص الناس رؤوسهم . ولبوا بالعمرة . وعزلوا الهدى .

---

(١) وقيل كانوا سبعمائة . وفى الأخبار أن العدد الصحيح هو ألف وأربعمائة . راجع زاد المعاد للإمام ابن قيم الجوزية ج ٢ ص ٣٠١ ط السنة المحمدية

(٢) قرية على بعد سبعة أميال من المدينة

قريش يبلغها الخبر : وعرفت قريش خبر خروج الرسول عليه الصلاة والسلام وصحبه حاجين . فأوجست منهم خيفة ، وراح زعماؤها يتشاورون فى الأمر ، فحسبوه حيلة يريد بها الرسول دخول مكة وأخذها عنوة ومع أن خبر خروج النبى صلى الله عليه وسلم حاجا كان قد أذيع فى مكة ، إلا أن قريشا لم تصدق الخبر ، وصممت على صده مهما بلغ الثمن الذى ستدفعه .

لذلك بعثوا خالد بن الوليد . وعكرمة بن أبى جهل على رأس جيش قوامه ألفان من الفرسان إلى ذى طوى ليحول دون الرسول ودخوله مكة . فوصل الجيش هناك وعسكر فيها

أما الرسول « صلوات الله عليه » فقد تابع سيره حتى وصل إلى عسفان . وهنالك لقيه بشر بن سفيان الكعبى فبادره بقوله : يا رسول الله هذه قريش قد سمعت بمسيرك فخرجوا وقد لبسوا جلود النمور . ونزلوا بذى طوى يعاهدون الله لاتدخلها عليهم أبداً . وهذا خالد بن الوليد فى خيلهم قد قدموها إلى كراع الغميم[1] . قال النبى « صلى الله عليه وسلم » وقد تجهم وجهه الشريف « ياويح قريش ! . لقد أكلتهم الحرب . ماذا عليهم لو خلوا بينى و بين سائر العرب . فإن هم أصابونى كان ذلك الذى أرادوا . وأن أظهرنى الله عليهم دخلوا فى الإسلام وافرين . و إن لم يفعلوا قاتلوا وبهم وفرة . فما تظن قريش ! . . فوالله لا ازال اجاهد على الذى بعثنى الله به حتى يظهره الله أو تنفرد هذه السالفة[2]) .

حرص الرسول على السلم : وجعل الرسول يفكر فى أمر قريش . . لقد خرج من المدينة محرما يريد البيت الحرام . ولم يخرج غازيا يحمل عدة الحرب . ولعل قريشا قد أدركت ذلك فخرجت برجالها لتنال منه غدرا . و إن حارب الرسول مرغما وهو أعزل فقد تكون العاقبة وخيمة . . فما عساه أن يفعل والمسلمون لا يحملون من الأسلحة إلا مثل ما يحمل المسافر من سلاح مغمد .

---

(١) موضع بالقرب من مكة

(٢) العنق

وفى الوقت الذى كان الرسول « صلى الله عليه وسلم » يقلب وجهات النظر للخروج من هذا الحرج . تراءت له فرسان قريش . فأدرك أنه لكى يبلغ المسلمون غايتهم لا بد وأن تدور معركة بينهم و بين قريش . . معركة غير متكافئة ارغمته قريش عليها إرغاما . وحملته عليها إلزاما .

على أن المسلمين لا يفتقرون إلى الحمية الإسلامية لكى يدافعوا عن كيانهم . فقد تكفيهم ما معهم من أسلحة صغيرة لقتال قريش الباغية . ولكنهم إن هم حاربوها فسيرتكبون إثم القتال فى الشهر الحرام الأمر الذى سيجعل قريشاً تتخذ منه ذريعة للتشهير بهم أمام العرب .

إذن فليتصرف الرسول بحكمته المعهودة ليفوّت على قريش ما تريد . وليظل هو جانحاً إلى السلم كما خرج عليه من المدينة . لذلك نادى فى الناس قائلا . « من رجل يخرج بنا على طريق غير طريقهم التى هم بها » ؟ . قال رجل : أنا يا رسول الله . فسلك الرجل بهم طريقا وعراً أضنى المسلمين وأتعبهم حتى انتهى بهم إلى سهل عند منقطع الوادى ثم اتجهوا منه ذات اليمين حتى خرجوا على ثنية المرار مهبط الحديبية من اسفل مكة . فسلكوا ذلك الطريق . فلما رأت خيل قريش أن المسلمين قد غيروا طريقهم رجعوا راكضين ليقفوا فى مكان يدافعون منه عن مكة إذا هاجمها المسلمون .

ولما وصل المسلمون الحديبية بركت ناقة الرسول « صلوات الله عليه » فقال الناس : خلأت القصواء ظناً منهم أنها جهدت . فقال لهم النبى « ما خلأت . وما هو لها بخلق . ولكن حبسها حابس الفيل عن مكة . لا تدعونى قريش إلى خطة يسألوننى فيها صلة الرحم إلا أعطيتهم إياها » ثم دعا الناس إلى النزول . فقالوا : يا رسول الله ما بالوادى ماء . فأخرج سهما من كنانته وأعطاه لرجل من أصحابه فنزل به إلى بئر بالوادى فغرزه فى الرمال من قاع البئر فجاش بالماء . واذ ذاك اطمأن الناس ونزلوا وانتظروا ما تفعله قريش .

رسل قريش إلى النبى : ورأت قريش أن توفد أحد رجالها يقف على قوة محمد

وأخباره . فأرسلت إليه رجالا مع بديل بن ورقاء . فلما اطمأن رسول الله إلى أنهم من خزاعة كلهم . فسألوه ما الذى جاء به . فأخبرهم أنه لم يأت محاربا . وإنما جاء زائراً للبيت . معظماً لحرمته . فرجعوا إلى قريش يخبرونها بما قال الرسول . لكن قريشا اتهمت بديلا ورجاله وجبهوهم وصاحوا فيهم : وإن كان جاء لا يريد قتالا فوالله لا يدخلها علينا عنوة أبدا . ولا تتحدث بذلك عنا العرب .

ثم بعثت قريشا رسولا آخر هو مكرز بن حفص . فلما انتهى إلى رسول الله سمع منه مثل ما سمع بديل فنقله إليهم . فلم يصدقوه . فعادوا وأوفدوا إليه الحليس بن علقمة سيد الأحابيش . فلما رآه رسول الله قال « إن هذا من قوم يتألهون . فابعثوا الهدى فى وجهه حتى يراه » ورأى الحليس الهدى يسيل عليه من عرض الوادى فى قلائده . وقد تآكلت أوبارها من طول الحبس . فتأثرت نفسه لما رأى من دليل السلام . فعاد إلى قريش من غير أن يصل إلى رسول الله . وأخبرهم بالحقيقة ولكنهم لم يصدقوه وقالوا : إجلس فإنما أنت أعرابى لا علم لك .

وغضب الحليس لبغى قريش وتكذيبها إياه وقال يا معشر قريش : والله ما على هذا حالفناكم ولا على هذا عاقدناكم . أيصد عن بيت الله من جاء معظماً له ؟ . فوالذى نفس الحليس بيده لتخلن بين محمد وبين ما جاء له أو لأنفرن بالأحابيش نفرة رجل واحد . . فخشيت قريش مغبة غضب الأحابيش فاسترضته وطلبت من الحليس أن ينظرهم حتى يأخذوا لأنفسهم ما يرضيهم .

ثم بعثوا إلى النبى رجلا ثالثا هو عروة بن مسعود الثقفى . لكنه اعتذر لهم لما شاهده من تعنيفهم لمن سبقوه من الرسل جميعا . فطمأنوه وأكدوا له أنه غير متهم عندهم . وأنهم واثقون فى حكمته وعدله .

وخرج عروة إلى رسول الله « صلوات الله عليه » فلما أتاه جلس بين يده وقال :

يا محمد أجمعت أوشاب[١] الناس ثم جئت بهم إلى بيضتك[٢] لتفضها بهم . أنها لقريش قد خرجت . قد لبسوا جلود النمور يعاهدون الله لاتدخلها عليهم عنوة أبدا . وأيم الله لكأنى بهؤلاء قد انكشفوا[٣] عنك غدا .

وغضب أبو بكر رضى الله عنه من حديث عروة . وأنكر أن ينصرف الناس عن رسول الله « صلى الله عليه وسلم » وكان عروة يتناول لحية رسول الله وهو يكلمه . والمغيرة ابن شعبة واقف على رأس النبي يضرب يدعروة كلما تناول لحية النبي « عليه السلام » ويقول له : أكفف يدك عن وجه رسول الله .

ورجع عروة إلى قريش بعد أن سمع من النبي مثل ما سمع من سبقوه من الرسل فقال لهم : يا معشر قريش إنى جئت كسرى فى ملكه . وقيصر فى ملكه . والنجاشى فى ملكه . وإنى والله ما رأيت ملكا فى قوم قط مثل محمد فى أصحابه . لا يتوضأ إلا ابتدروا وضوءه . ولا يسقط من شعره شىء إلا أخذوه . وأنهم لن يسلمون لشىء أبدا ، فأروا رأيكم . .

(للحديث بقية نواصله فى عدد قادم إن شاء الله . .)

سعد صادق محمد

---

(١) الأخلاط . (٢) الأهل والقبيلة والوطن . (٣) انهزموا وتركوك لعدوك .

إلى رحمة الله يا أبا الوفاء

في يوم الاثنين السادس والعشرين من ذى الحجة عام ١٣٨٢ الموافق للعشرين من مايو عام ١٩٦٣ توفى إلى رحمة الله فضيلة الأستاذ الكبير الشيخ أبى الوفاء محمد درويش رئيس جماعة أنصار السنة المحمدية بسوهاج . وهكذا تطوى صفحة علم من أعلام السنة في هذا القرن الرابع عشر الهجرى ، فقد ظل يكافح ويناضل في ميدان الجهاد في الدعوة إلى الله وإلى كتابه وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم حتى سقط شهيداً على طريق سلفنا الصالح من دعاة التوحيد : ولسانه مازال فتياً قويا في الجهر بكلمة الحق — رغم ما تحالف عليه من شتى الأمراض في السنين الأخيرة — ولازال قلمه مشرعاً حاداً في الذود عن دين الله ، حتى لقى الله بعد أن ناهز السبعين من العمر . فاللهم اغفر له وارحمه رحمة واسعة وأنزله منازل عبادك الصالحين

ولا نحسب أن في أنصار السنة المحمدية بالقطر المصرى أو غيره من الأقطار الاسلامية من لا يعرف الشيخ أبا الوفاء فقد كان علماً عالياً وطوداً شامخاً أمدهم بكثير من المعارف والعلوم على صفحات مجلة (الهدى النبوى) من يوم صدورها . وكذلك في رسائله وكتبه التى أربت على العشرين مؤلفا وإنهم ليقبلون إقبالا شديداً على كل ما دبجته يراعته لما امتاز به أسلوبه من القوة والإشراق والسهولة والبلاغة ، وستظل كتبه ورسائله سلاحاً وذخيرة لدعاة التوحيد حتى يرث الله الأرض ومن عليها ، وستظل تدر عليه الحسنات ما انتفع منها أحد أو اهتدى بها مهتد ، وقد كان رحمه الله عنيداً إلى أبعد حدود العناد في الرأى يراه أو يقتنع به ، وما كان أحد يستطيع أن يرده عنه أو يقنعه بمجافاته للحق ، ولكن : كفى المرء نبلا أن تعد معايبه .

لاشك أن الموحدين في كل مكان سيفجعون لهذه الخسارة الفادحة ، فليسألوا الله له الرحمة والمغفرة والفردوس الأعلى في الجنة ، وليسألوه سبحانه أن يعوضهم فيه خيراً .

ويقع على عاتق إخوانه أنصار السنة في سوهاج عبء المحافظة على دعوة التوحيد ، وما أثقله من عبء ، والمحافظة على المنشآت الاجتماعية التى كان يرعاها ويديرها ، أعانهم الله ووفقهم وجمع كلمتهم .

اللهم اغفر لأبى الوفاء وتجاوز عن سيئاته في عبادك المؤمنين ، اللهم لا تحرمنا أجره ولا تفتنا بعده واغفر لنا وله .

العام الهجرى الجديد

يا غرة العام إجلالٌ وإكبار ... يضيق عن وصفها نثر وأشعار
أطلعةٌ بعميم البشر شاملةٌ ... للكون أم فَلَكٌ بالسَّعد دوّار
كفاك من حسبٍ عالٍ ومن نسب ... لهجرة المصطفى فخرٌ وإكبار
أسمي البرية للأنساب مابلغت ... سموٌ محتده فى الكون أقمار
وأرجح الناس عقلاً إن دهت نُوبٌ ... إن النوائب للألباب معيار
لاَقَى بمكةَ أهوالاً غداة دعا ... ولم يؤازره فى دعواه أنصار
ولم يصادفه لما قام ينشرها ... إلاّ عقوقٌ وإعنَاتٌ وإصرار
فى كل وادٍ لخلق الشر مؤتمرٌ ... وكل آونة رعدٌ وأعصار
تخلّف الدار يبغى طيبة وطناً ... لم يَثْنِ عزمته أهلٌ وأسهار
فيم الإقامة فى دارٍ يكاد له ... فيها ويعرض عن دعواه فجار
أمَّ المدينةَ والصديق وانسدلت ... عليهما من حجاب الله أستار
سارا على بركات الله وانطلقا ... كلاهما قمرٌ فى الأفق سيار
جاءا إلى الغار سعياً بعد مجهدةٍ ... ففاض بشراً بمن آواهما الغار
واستسلما لقضاء الله واصطبرا ... إن المحقّ على الأهوال صبّار
وجاهدا فى سبيل الله واحتملا ... مالم يُحمِّله أطواد وأسوار
لم يثن عزمهما كيدٌ ولا عنتٌ ... ولم يُروِّعهما فى الله كفار
فأثمرت بعد أهوالٍ جهودهما ... جنًى وطابت لدعوى الحق آثار

* *

ياأيها العام أقبل بالرخاء على ... دنيا يعيث بها غدر وإعسار
تجلَّ ياعام بسّاماً فقد عبست ... لنا الليالى وقد ضاقت بنا الدار

أشرق على مصر والإسلام قاطبة ... باليمن فاليمن أنى سرت مدرار
وبالهداية والتقوى أنر سُبُلاً ... تضلُّ أفئدة فيها وأنظار
كفى الحنيفية الغراء مالقيت ... وحسبها من دعاة القوم إنكار
كادوا لها أيما كيدٍ فما تركوا ... من حيلةٍ وعليها بالأذى جاروا
تألبوا ليحولوا دون دعوتها ... يشد أزرهموا عاتٍ وجبار
ماقيمتى مسلمٌ إسماً بلا عملٍ ... وكل مَحْياى آثام وأوزار
لا فرضَ أدَّى بل لا سنَّة اتُّبعت ... وكيفما رَسَمَت أهواؤهم ساروا
أللهَ فى الدين جلَّ الدين عن بدع ... يدسُّها فيه جهالٌ وأشرار
زَاغَت عقائدهم فى الله فاتجهوا ... إلى ضريحٍ له فى التُّرب أدهار
أهدوا النذور لميْتٍ رهن مقبرةٍ ... لا يرتجى عنده نفعٌ وإضرار
النذر لله والقربى لعزته ... لا أدعياء وأصنامٌ وأحجار
على السماحة قام الدين مرتكزاً ... مافى دعائمه سيفٌ ولا نار
فلْنَتَّبِعْهُ كما نصَّت أوامره ... وما لنا إن نحد عن ذاك أعذار
أليس فيما نراه اليوم موعظة ... تلك الحروب وما قاسته أقطار
دالت عروش ودالت بعدها دول ... وأنكر الجارَ بعد المحنة الجار
فكم تراق دماء فى معالمها ... زكية وكم تنفضُّ أعمار
طير المنية أنى طار يدركهم ... له بأجسامهم ظفرٌ ومنقار

* * *

ياشرق كن يقظاً فالحرب مستعرٌ ... نارٌ تلظى وتخبو بعدها نار
وأنت ياعام الإسلام كن عضداً ... وطائعاً فى الذى يرجو ويختار

« الجيزه » ... نجاتى عبد الرحمن

أحسن ما قرأت

الإسلام ... ومدنية الغرب

تحت هذا العنوان نشرت جريدة الجمهورية بعددها الصادر يوم ١٩٦٣/٥/٩ الكلمة التالية للسيد الأستاذ الدكتور محمد سعاد جلال . وقد بعث بها إلينا الأستاذ المحاسب محمد سيف الدين سكورى يسأل عن رأى أنصار السنة المحمدية فيما تضمنتها من الآراء والتوجيهات . فنقول : إن كل ما ذكره الأستاذ الدكتور حقائق ترتكز على كتاب الله وسنة رسوله عليه الصلاة والسلام ، وكلها تتفق تماماً مع دعوة أنصار السنة منذ نشأتها ، وهى نفس ما نادى بها علماء الجماعة ، سواء من انتقل منهم إلى رحمة الله أمثال أصحاب الفضيلة المشايخ محمد عبد الحليم الرمالى ومحمد حامد الفقى ومحمد محمد مخيمر وأحمد محمد شاكر ، أو من هم على رأس الجماعة الآن . وها هى كلمة الأستاذ الدكتور محمد سعاد جلال : —

منهج مستقل

لنا منذ زمن بعيد منهج مستقل فى تفسير الإسلام : يمكن أن نفسر على ضوئه الواقعات المستحدثة فى علاقة الإسلام بالمدنية ، كما يمكن أن نستمد منه حلولا للمشاكل الناشئة عن التطور حيث يظن أنها تصطدم بأحكام الشريعة ، لأنها بالقياس إلى تطبيقات الفقهاء السابقة تبدو كذلك ، ويتكون هذا المنهج من العناصر الآتية .

١ — الإسلام دين الفطرة لقوله تعالى ﴿ فأقم وجهك للدين حنيفاً فطرة الله التى فطر الناس عليها ﴾ ومعنى ذلك أن عقائد الإسلام ، وشريعته ، وآدابه تعبير عن مقتضيات الفطرة الإنسانية وتمثيل لحاجاتها فهى متناسقة غير متنافرة معها أبداً . وإذن فكل ما يلائم الفطرة من الأحكام والآداب والاعتقاد فهو من الإسلام ، وما ليس كذلك فليس من الإسلام .

سنة الله ..

٢ — الاعتراف بأن شئون الكون العلوى والسفلى خاضعة ومسيرة بسنن « نواميس » كونية هى من فعل الله تعالى وقد أودعها الله تعالى فى الكون : فى آفاقه المادية :

وعوالمه المعنوية : ليسيره بمقتضاها . قال تعالى ﴿ سنة الله فى الذين خلوا من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا ﴾ : وغير ذلك من الآيات الدالة على هذا المعنى .

٣ ـ بما أن الله سبحانه وتعالى هو خالق الكون من العدم وخالق نواميسه : فإنه قادر على خرق نواميسه متى شاء وكيف شاء لا معقب لحكمه ولا سلطان لآخر عليه فى تمام اختياره لفعله وانه سبحانه يحكم النواميس والنومبس لا تحكمه ، تعالى عن ذلك علواً كبيراً .

وينبنى على هذا الأصل ـ قبول الاعتراف بمعجزات الأنبياء ،وكرامات الأولياء . كانشقاق القمر ، ونبع الماء بين أصابعه صلى الله عليه وسلم ـ وحصول الإسراء والمعراج ، وما كان يقع لخواص المسلمين الأول فى حروب الردة ، وفى مغازيهم من خوارق العادات:وشرط ذلك كله عندنا : النقل القاطع بحصول أمثال هذه المعجزات والخوارق : لا نقبل فى ثبوت ذلك ظناً ، لأن الأصل اطراد النواميس الكونية فى مسارها وعملها : ولا يجوز الحكم بتعطيل هذا الأصل اليقينى ـ ان أدعى حصوله فى حادثة من الحوادث ـ الا بنقل يفيد العلم اليقين . .

٤ ـــ نفى أن يكون للقرآن ، أو للسنة ظاهر وباطن : بل القرآن الكريم : كتاب عربى مبين : ظاهره كباطنه وباطنه عين ظاهره وسبيل معرفته ، الفهم الكامن ، والملكية المستحكمة فى البصر بأساليب اللغة العربية على ما كان يفهمها به أهلها .

فمن حيث كان العرب يفهمون اللسان العربى يكون فهمنا نحن للقرآن : وقد تتفاوت الأذهان فى فهم القرآن ـ ولكن ذلك كما تتفاوت : قوة وضعفا ـ على حسب استعدادها ـ فى فهم شعر زهير ، أو لبيد ، أو امرىء القيس ، أو المتنبى ، أو غير هؤلاء : ولا يسمى مجال هذا التفاوت فى العمق أو السطحية : ظاهراً ، وباطناً .

٥ ـــ وظيفة القرآن أنه كتاب هداية ، وإصلاح بشرى : نفسى واجتماعي ، وبشارة للمؤمنين ، ونذارة للكافرين . ﴿ كتاب أنزلناه إليك لتخرج الناس من الظلمات إلى النور بإذن ربهم إلى صراط العزيز الحميد ﴾ : وليس من شأن القرآن أن يبحث فى العلوم الكونية ـ كالطبيعة ، والفلك ، والكيمياء ، وغيرها ، فإن هذا البحث خارج عن حدود وظيفته . وما ورد فى آياته الكريمة مشتملا على ذكر شىء من ذلك فإنما هو من قبيل التشبيهات البلاغية ، وضرب المثل لإيضاح الفكرة من حيث كان كتاب بلاغة لا تنفصل عن ذاته خواص الأساليب البلاغية .

هذه هى العناصر الخمسة التى تشخص منهجنا المستقل فى تفسير الإسلام تفسيراً يحقق لأحكامه وفكرته التناسق مع تقدم العلم وامتداد التطور ، والكفاية الفردية ، والاجتماعية لتنظيم حياة الإنسان ، فى هذه الدنيا .

وقد يتشابه منهجنا هذا مع منهج الأستاذ الأمام محمد عبده ومدرسته فى بعض الملامح : ولكنى أرى بين منهجينا فروقاً أساسية .

لقد أراد الشيخ محمد عبده أن يوفق بين الإسلام والمدنية الغربية .

الغرب وعقل الإنسان

أما نحن فمنهجنا يقضى بأن يقف الإسلام ثابتاً فى موضعه لننتقل إلى رحابه المدنية الغربية . وعلى المدنية الغربية أن تعدل نفسها لتقف فى رحاب الإسلام متطامنة الرأس ملمومة الأطراف .

وليس على الإسلام أن يعدل موقفه الصحيح تلقاء هذه المدنية أبداً ، لقد بهرت المعرفة الغربية فى ختام القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين عقل الشيخ محمد عبده وخصوصاً بالقياس إلى ركود الفكر وتخلف المعرفة فى بلاد الشرق الإسلامى لذلك العهد فلم يستطع «العالم الذكى ، والكاتب الأديب» كما وصفه المرحوم الدكتور محمد حسين هيكل أن يعلو بعقله على الوهج الساطع لهذه المعرفة الجديدة. بل جعل لها السبيل لتعلو هى على عقله .

ومن ثم جنح هذا الرجل الفاضل فى تأويلات للشريعة غير صحيحة وورثها عنه طائفة من علماء الأزهر ، وفيهم من يمدون أعينهم لزهرة الحياة الدنيا ، ويلهجون برأى غيرهم ، ليعدوا مع فريق المعروفين بالتجديد ، وإليك مثالين مما يبين الفرق بين منهجنا ومنهج الشيخ محمد عبده والملتصقين به .

(ا) يرى الشيخ محمد عبده عدم وجود النسخ فى الشريعة : مخالفاً فى ذلك عامة علماء الفقه ، والأصول ، والتفسير والحديث : عدا واحداً لم ينقل إلينا نص كلامه ، ولم يعرف كل مذهبه : هو أبو مسلم الأصفهانى .

ولا شك عندى أن السبب الذى جنح بالأستاذ الإمام إلى هذا الرأى الشاذ مخالفاً فيه آراء كل علماء الأمة تقريباً ـ إنما هو الحذر ، والاحتياط دون نقد المستشرقين الأوربيين الذين يتخذون من مسألة النسخ هذه وإقرارها فى الشريعة مطعناً على الإسلام ، فبدل أن يصمد الأستاذ الإمام مع الفكرة الإسلامية نراه ينقل الإسلام إلى ما يوافق الأصح فى رأى

المستشرقين : وهو أن عدم وجود النسخ فى الشريعة أصح الرأيين ، إذ كان هو الرأى الذى يمنع اعتراضهم على الإسلام . فى هذا الموضوع ، إذا آثرنا الأخذ به .

الأصح . . والحق

وأما مقتضى منهجنا فهو القول بوجود النسخ فى الشريعة لأنه هو الأصح ، وهو الحق : من الوجهة الموضوعية الخالصة ، وهو الذى قرره علماء الشريعة من عهد الصحابة حتى اليوم سواء قبل التفكير الغربى هذه القضية أو رفضها .

ولا يجوز أن يصور الإسلام بالصورة التى ترضى مقاييس الفكر الأجنبى : كما أراد ذلك الشيخ عبده والملتصقون به ، بل يتعين أن يصور الإسلام بصورته الموضوعية المجردة : من كل زيف ، وإضافة ، وقصور . .

وقد أثيرت هذه المسألة فى جلسات المجلس الأعلى للشئون الإسلامية . فتصدى لنفى النسخ رجلان من اصفياء الشيخ محمد عبده : هما الشيخ عبد الجليل عيسى ، والشيخ محمد أبو زهرة وتصديت لإثباته : ثم استقر الأمر فى بعض الجلسات على أن أكتب فى ذلك بحثاً ، ويتولى الشيخان الفاضلان الرد عليه - ما داما متمسكين برأيهما .

وفعلا كتبت رسالة مختصرة - قاطعة - فى إثبات وجود النسخ فى الشريعة ولكن الشيخين الفاضلين لم يرد أحدهما على شىء فيها .

الملك والشيطان

(ب) بحسب منهج الشيخ محمد عبده يرى هو ، أو يرى بعض تلاميذه أن المراد بالملك ، والمراد بالشيطان : فى نصوص القرآن والسنة إنما هو قوة الخير ، وقوة الشر الموجودتان فى الإنسان اللتان تتجاذبانه نحو الخير أو الشر ، وهذا التأويل منظور فيه إلى الفكر الغربى المادى : فتأويل القرآن بما يتفق مع هذا الفكر نقل للقرآن عن موضعه إلى موضع المصادقة مع المدنية الغربية على حساب الإسلام .

وبحكم منهجنا - نرى أن الملك والشيطان ، كائنان مستقلان لكل منهما وظائف وأعمال ذكرها القرآن : وعدم تصور ماهية كل منهما غير مانع من تحقق وجودهما المستقل . لأن فهم هذا المعنى هو الظاهر من لفظ القرآن الكريم ، ولا يجوز العدول عن الظاهر إلا لسبب ظاهر .

العدد ٢ صفر
المجلد ٢٨ سنة ١٣٨٣

خير الهدى هدى محمد صلى الله عليه وسلم

الهدي النبوي

تصدرها جماعة أنصار السنة المحمدية

رئيس التحرير
عبد الرحمن الوكيل

مدير الإدارة
محمد رشدي خليل

مطبعة السنة المحمدية
١٧ شارع شريف باشا الكبير
ت ٩٠٦٠١٧

٣٠ مليما

الفهرس

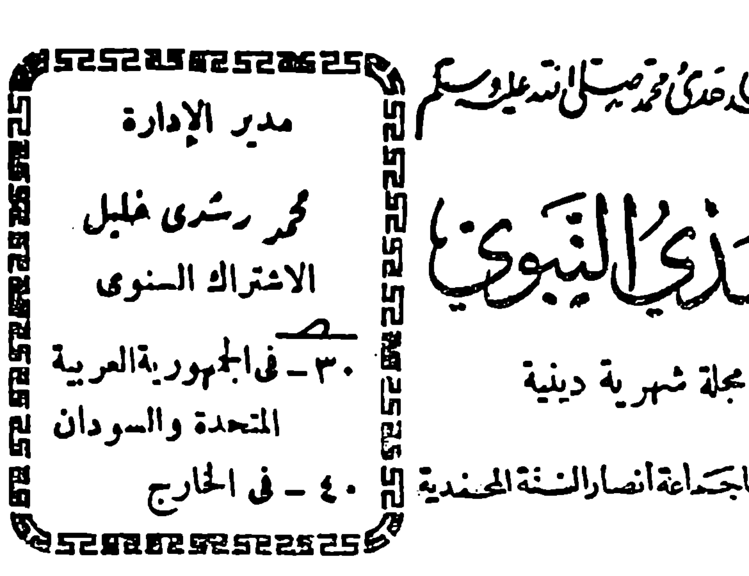
صفحة		
٣	التفسير	لفضيلة للأستاذ الشيخ عبد الرحمن الوكيل
١٥	عقيدة القرآن والسنة » » »	محمد خليل هراس
١٩	نظرات في التصوف » » »	عبد الرحمن الوكيل
٢٧	الغزوات (عهد الحديبية) . . »	سعد صادق محمد
٣٤	العبادة في الإسلام . . . . . . »	السيد عبد الحليم ملاق
٣٩	باب الكتب (ديوان الأستاذ مصطفى بهجت)	للأستاذ سعد صادق محمد
٤٤	أبو الوفاء (قصيدة) . . . . »	نجاتي عبد الرحمن
٤٧	الفتاوى	
٤٨	من أخبار الجماعة (فرع طنطا)	
٤٩	قضية المرأة (٣)	للأستاذ عبد الحافظ فرغلي

رجــــاء

١ — نذكر السادة المشتركين بإرسال إشتراكاتهم للسنة الجديدة .

٢ — نرجو من السادة المتعهدين المبادرة بتسديد ما بعهدتهم .

الحوالات تكون باسم السيد / محمد رشدي خليل مدير المجلة



خير الهدى هدى محمد صلى الله عليه وسلم

الهدى النبوي

مجلة شهرية دينية

تصدرها جماعة أنصار السنة المحمدية

رئيس التحرير
عبد الرحمن الوكيل
أصحاب الامتياز : ورثة
الشيخ محمد حامد الفقى

مدير الإدارة
محمد رشدى خليل
الاشتراك السنوى
قرش
٣٠ - فى الجمهورية العربية المتحدة والسودان
٤٠ - فى الخارج

المركز العام : ٨ شارع قوله — عابدين القاهرة — تليفون ٧٦٥٧٦

العدد ٢ | صفر سنة ١٣٨٣ | المجلد ٢٨

نور من القرآن

بسم الله الرحمن الرحيم

قال - جل ذكره - (واضْرِبْ لهمْ مَثَلَ الحياةِ الدُّنيا كماءٍ أنزَلْناهُ مِن السماء ، فاختَلَطَ به نباتُ الأرضِ ، فأصبحَ هشِيماً تذرُوهُ الرِّياحُ ، وكانَ اللهُ عَلَى كُلِّ شيْءٍ مُقْتَدِراً . المالُ والبَنُونَ زينةُ الحياةِ الدُّنيَا ، والباقياتُ الصَّالحاتُ خيرٌ عِندَ ربِّكَ ثوابًا وخيرٌ أملاً . ويومَ نُسيِّرُ الجبالَ ، وترَى الأرضَ بارِزةً ، وحشَرْناهُمْ ، فلمْ نُغادِرْ مِنهُمْ أحداً . وعُرِضُوا على ربِّكَ صفًّا . لقدْ جِئْتُمُونا كما خلقْناكُمْ أوَّلَ مرَّةٍ ، بلْ زعَمْتُمْ ألَّنْ نجْعَلَ لكُمْ موْعِداً - الكهف : ٤٥ - ٤٨) .

المعـــنى

« الدنيا » : قال الراغب : الدنو : القرب بالدار وبالحكم ، ويستعمل فى المكان والزمان والمنزلة . . ويعبر بالأدنى تارة عن الأصغر ، فيقابل بالأكبر نحو : « ولا أدنى من ذلك ولا أكبر » وتارة عن الأرذل ، فيقابل بالخير نحو : « أتستبدلون

الذى هو أدنى بالذى هو خير » وعن الأول ، فيقابل بالآخر نحو : « خَسِر الدنيا والآخرة » وتارة عن الأقرب ، فيقابل بالأقصى نحو « إذ أنتم بالعُدْوَة الدنيا ، وهم بالعدوة القُصْوَى » .

اختلط : قال الراغب : الخلط : هو الجمع بين أجزاء الشيئين ، فصاعدا سواء أكانا مائعين ، أوجامدين ، أو أحدهما مائع والآخر جامد ، وهو أعم من المزج .

« هشيما » : قال ابن فارس عن أصل الكلمة : إنه يدل على كسر الشيء الأجوف وغير الأجوف ، والهشيم من النبات : اليابس المتكسر ، ورجل هشيم : ضعيف البدن .

« تذروه » قال ابن فارس فى معجمه مقاييس اللغة عن الكلمة إن لها أصلين أحدهما الشيء يشرف على الشيء ويظله ، والآخر : الشيء يتساقط متفرقا .

« زينة » أصل الكلمة يدل على حُسْن الشيء وتحسينه .

« الباقيات الصالحات » : يقول الراغب : البقاء : ثبات الشيء على حاله الأولى ، وهو يضاد الفناء . . وقوله تعالى : « والباقيات الصالحات » أى : ما يبقى ثوابه للإنسان من الأعمال . . . ثم اختار الرأى القائل بأن الباقيات الصالحات هى كل عبادة يقصد بها وجه الله تعالى .

« عند » لفظ موضوع للقرب ، فتارة يستعمل فى المكان ، وتارة فى الاعتقاد ، وتارة فى الزلفى ، والمنزلة .

« ثوابا » : قال الراغب : أصلُ الثوب : رجوع الشيء إلى حاله الأولى التى كانت عليها ، أو إلى الحالة المقدرة المقصودة بالفكرة ، وهى الحالة المشار إليها بقولهم : أول الفكرة آخر العمل . والثواب : ما يرجع إلى الإنسان من جزاء أعماله .. والثواب يقال فى الخير والشر لكن الأكثر المتعارف فى الخير .

« أملا » : قال ابن فارس عن الكلمة إن لها أصلين : أحدهما يفيد التثبت والانتظار ، والثانى : الحبل من الرمل .

وقال ابن منظور فى لسان العرب الأمَل ، والأَمْل ، والإِمْلُ : الرجاء وقال ابن فارس عن الكلمة إنها تفيد العوْد والرجوع ، والثواب .

« بارزة » : قال ابن فارس عن أصل الكلمة إنه يفيد ظهور الشىء و بُدُوّه .

وقال الراغب : البراز : الفضاء . و برز : حصل فى براز ، وذلك إما أن يظهر بذاته نحو : « وترى الأرض بارزة » تنبيها : أنه تبطل فيها الأبنية وسكانها . . و إما أن يظهر بفضله ، وهو أن يسبق فى فعل محمود ، و إما أن ينكشف عنه ما كان مستورا منه . ومنه قوله تعالى : « و برزوا لله الواحدِ القهار »

« حشرناهم » : قال ابن فارس عن أصل الكلمة إنها تعطى معنى حشد ، وفيها زيادة معنى ، وهو . السَّوْق والبعث والانبعاث . وأهل اللغة يقولون الحشر : الجمع مع سوق وقال الراغب : الحشر . إخراج الجماعة عن نفرهم وإزعاجهم عنه إلى الحرب ، ونحوها . وقال فى باب حشد . حشد القوم : اجتمعوا وخفوا فى التعاون .

« نغادر » أصل الكلمة يدل على ترك الشىء .

« صفا » الصف أن تجعل الشىء على خط مستو كالناس والأشجار وغيرها .

« زعمتم » : قال الراغب : الزعم : حكاية قول يكون مظنة للكذب ، ولهذا جاء فى القرآن فى كل موضع ذم القائلون به .

وقال ابن فارس عن الكلمة إنها تدل على القول من غير صحة ، ولا يقين ، وعلى التكفل بالشىء .

« المعـــــــنى »

وهذا مثل جديد جليل يضرب به الله سبحانه . وموضوعه قصة الحياة الدنيا مع من يفتنيهم حُبُّها ، و يستبد بهم عشقُها ، وتأخذ بقلوبهم فتنتها الآثمة ، فتصرفهم عن الله إليها ، وعن مساجده إلى ردغة فسوقها ، وحمأة رذيلتها الباغية .

موقف وموقف : والناس مؤمن وكافر ، وقد بين الله — كما ذكرت من قبل — موقف الفريقين من أمثاله . وأعيد هنا التذكير بهذا لعل شغاف القلب تظل ريانة المشاعر بهذا المدى الجليل . يبين الله موقف الذين آمنوا من أمثاله التى يضرب بها للناس بقوله : (فأما الذين آمنوا ، فيعلمون أنه الحق من ربهم) .

أما الذين كفروا ، فيبين الله موقفهم بقوله التى يضرب بها للناس : (وأما الذين كفروا ، فيقولون : ماذا أراد الله بهذا مثلا) .

ويبين الله الحكمة من ضرب المثل بقوله : (يُضِلُّ به كثيرا ، ويهدى به كثيرا ، وما يضل به إلا الفاسقين) فنضرع إلى الله أن يجعلنا ممن يهديهم بأمثاله ، وأن يباعد بيننا وبين من يضلهم بها ، فإنه لا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون . ولقد أكد لنا القرآن التحذير من فتنة الدنيا فى كثير من آياته المحكمات ، فيقول جل شأنه : (يأيها الناسُ إنَّ وَعْدَ اللهِ حَقٌّ فلا تغرَّنَّكمُ الحياةُ الدنيا ، ولا يَغُرَّنَّكم بالله الغرور — فاطر : ٥) (وما الحياةُ الدنيا إلاّ متاعُ الغرور — الحديد : ٢٠) . ثم يهدى إلى حقيقة ما فيها من نعيم ، فيؤكد أنه شىء نزْر يسير يتمتع به إذا قيس بنعيم الآخرة ، فيقول جل شأنه : (وما الحياة الدنيا فى الآخرةِ إلا متاع — الرعد : ٢٦) ويفصِّل — جل شأنه — متاعها تفصيلا جليا محكما ، فيقول : (اعلموا أنما الحياة الدنيا لعب ، وَلَهْوٌ ، وزينةٌ ، وتفاخُرٌ بينكم ، وتكاثر فى الأموال ، والأولاد[1] — الحديد : ٢٠) .

وما فى الحياة الدنيا لمن يريدونها شىء آخر غير ما ذكر ، وما الشىء مما ذُكر سِمَةُ الخلود أو لمحة من جلالة السَّرْمَدِيَّة ! !

---

(١) وما أظن أنك فى حاجة إلى أن أذكرك بأن الإسلام لا يحرم أبدا أن يتمتع الإنسان بزينة الله التى أخرجها ، وبالطيبات من الرزق ، وإنما يحرم ما حرم من فتنة الحياة ، وينهانا أن تصرفنا عن وجهه ، فاستمتع بطيبات الحياة ، وأنت تراها نعمة من الله يجب أن تشكره عليها : (قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق — الأعراف : ٣٢) .

كما يقارن بين الحياة الدنيا ، و بين الحياة الآخرة ، فيقول ـ جل شأنه ـ (وما هذه الحياةُ الدنيا إلا لَهْوٌ ولَعِبٌ ، وإن الدارَ الآخرة لَهِيَ الحَيَوانُ [١] لو كانوا يعلمون ـ العنكبوت : ٦٤) .

كما يبين جل شأنه أن كل ما نُعْطَى فى هذه الحياة إنما هو متاع فانٍ ، فلا ينحرف بنا عن سواء السبيل (فما أُوتِيتُمْ من شَىْء ، فمتاع الحياة الدنيا ، وما عند الله خيرٌ وأبقى للذين آمنوا ، وعلى ربهم يتوكلون ـ الشورى : ٣٦) كما يبين ـ سبحانه ـ أن للدينا حَرْثا ، وأن للآخرة حرثاً كذلك وأنه يترك لعبده حرية الاختيار ، وأنه يعطيه ما يريد : أى ما يريد عبد الله ـ سبحانه ـ فيقول : (مَن كان يريد حَرْثَ الآخرة نَزِدْ له فى حَرْثه ، ومن كان يريد حرث الدنيا نُؤْتِه منها ، وما له فى الآخرةِ مِنْ نصيب ـ الشورى : ٢٠) كما يقول : (من كان يريد الحياة الدنيا ، وزينتَها نُوَفِّ إليهم أعمالَهم فيها ، وهم فيها لا يُبْخَسُون ـ هود : ١٥) .

ثم يحكم حكما عادلا على هؤلاء الذين يحبون العاجلة ، يحبون الحياة الدنيا مفضلين إياها على الآخرة ، وذلك فى قوله : (الذين يَسْتَحِبُّون الحياة الدنيا على الآخرة ، و يصدون عن سبيل الله ، ويَبْغُونَها عِوَجاً ، أولئك فى ضلالٍ بعيد ـ إبراهيم : ٣) . هكذا ترى القرآن فى جلال هدايته لا يترك من شىء يهدى إلا و بينه . وعلى هدًى من هذا النور الإلٰهى أسير فى بيان الآية ، وأضرع إلى الله أن يكون بيان حقٍّ وصدق .

لقد غرَّ أولئك المترفين ترفُهم ، وهفا بهم عن صراط الله المستقيم ولجَّ بهم فى متاهات الباطل والضلالة . أولئك الذين حاولوا صَرْف الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ عن الذين

---

(١) الحيوان مصدر حى ، وبه سمى مافيه حياة حيوانا . وفى كلمة حيوان معنى لايوجد فى كلمة حياة ، وهو أن فى هذا الوزن « فعلان » ما يدل على الحركة كالهجان والغليان . فأفادت كلمة حيوان أن الحياة فى الآخرة حياة مستمرة دائمة لاموت فيها ، لأن الموت سكون والحياة حركة .

يدعون ربهم بالغداةِ والعشِيّ ، فأمره الله أن يصبر نفسه معهم . وقريب منا ذكرُ هذا الذى أعطاه الله جنتين عظيمتين ، فغرته دنياه الباغية ، حتى كفر بالله سبحانه ، وظن أن الساعة ليست قائمة .

فجاءت هذه الآيات التى أفسرها هنا مبينة حقيقة هذه الحياة الدنيا التى حملت أولئك وصاحب الجنتين وأمثالهم على الكفر بالله . و بتدبر المثل نراه يقص علينا بكلام الله بداية الحياة الدنيا فى بهجتها ووشى زينتها ، ويقص مصيرها الذى يصدم العاطفة بالعبرة القوية فتتريث ، لترى المصير ، وتعتبر . ترى هذه الدنيا التى كانت أمس تحفل بفنون شتى من المتاع . هنا ، وهناك على مَدّ البصر والسمع زينة و بهجة ونَغَمٌ ساحر النبرات أخّاذ الأصداء ثم .. ماذا ؟! .

مأساة نباتٍ اختلط بالماء فصار رَدْغة من طين ، ثم لفحته الشمس ، ثم داسته الأقدام ، فصار هشيما تذروه الرياح . وهل تستطيع أن تأخذ من الريح هشيما تذروه ؟ وهل فى هشيم تذروه الرياح غناء ومتاع ؟ وهل فى منظر الهشيم ـ وأنت تعرف أنه كان ورداً وريحانا ونباتا نضراً ـ إلا ما يثير اللوعة والأسى ؟ .

هكذا الحياة الدنيا : متاع وفير ، ثم مصير ، و ياله من مصير ! .

ثم تدبر فى شأن المثل والقصة تجد الأمر كله خيراً وفيراً ونعيما كثيراً . وهل الماء الذى جعل الله منه كل شىء حى إلا خير ؟ وهل النبات الذى هو من قوام الحياة إلا خير ؟ فإذا نظرت إليهما هذه النظرة الصادقة التى يتألق فيها نور الإيمان زادك الله هدى ونوراً و بصراً بأمور دنياك ، فلا يغرك ما تعطاه ، وتحسبه هو المتعة الباقية ، والنعمة الخالدة ، فهذا أنت ترى الماء ، وهو من أجَلّ النعم ، والنبات ، وهو آية نعمةٍ وقدرةٍ يجعل الله منهما محنة و بلاء كبيرين

إن القصة والمثل مكونة من أمور لا يثير كل أمر منها على حدةٍ فى القلب فزعا أو مخافة . فهى مكونة من ماء ينزله الله من السماء ، والماء من أسباب الحياة ، ومن نبات

يخرجه الله من الأرض ، وهو غذاء ونماء ، ولكن قدرة الله سبحانه جعلت من سبب الحياة والبقاء سبباً للموت والفناء . فلا يخدعنك أمر الحياة الدنيا . فتقول : أوَ مَنْ يعطى كل هذا الخير يكون مغضوبا عليه من الله ! أو تقول : لا أرى فيما آتانى الله من متاع إلا دليل رضوانه عنى . أو تقول : أو ينتج الخير شراً ؟

وتدبر قول الله سبحانه : (أيَحْسَبُون أنما نمدهم به من مالٍ و بنين نُسارع لهم فى الخيرات ؟ بل لا يشعرون ـ المؤمنون ٥٥ ، ٥٦) وتدبر قوله جل شأنه ـ . (ذَرْنى وَمَنْ خلقتُ وحيدا . وجعلتُ له مالا مَمْدُودا . و بنين شهودا . ومَهَّدتُ له تمهيدا . ثم يطمع أن أزيد . كلاّ إنه كان لآياتنا عَنيدًا . سَأُرْهِقُه صَعُودًا ـ المدثر ١١ ، ١٧) .

وخلاصة المثل كما أفهم : هى أن الله يشبه حال الدنيا بحال المطر الذى ينزله الله من السماء ، فتختلط به نبات الأرض[1] ، فيصير بهذا الاختلاط الذى نظن أنه سبب نمائه وحياته هشيما تحمله الرياح إلى أعلى ثم تسقطه متفرقا فى أمكنة شتى . وفى الكلام إيجاز بليغ رائع تجده بعد قوله سبحانه : « فاختلط به نبات الأرض » و يفيده قوله جل شأنه : « فأصبح هشيما » وهو مختلط بالماء ؛ إذ يكون طريا ، و إنما يصير كذلك بعد أن تسقطه شدة المطر على الأرض ، فتجعله مختلطاً بترابها ثم يجف بعد هذا ، ثم ينكسر ، أى يصير هشيما تحمله الريح معها إلى أعلى ، ثم تسقط به فى أماكن متباينة . وهذا مثل للدنيا ينهل غناها وترفها على صاحبها ، فلا تكون له سبباً من أسباب السعادة ، و إنما تكون له سبباً

---

(١) أفهم فى ذكر « فاختلط به نبات الأرض » بدلا من (فاختلط نبات الأرض به) الإشارة إلى أن النبات كان يطلب الماء ويحتاج إليه ، فكأنما طلب ما فيه هلاكه وموته هذا إذا فسر المثل بما نفسره هنا أولا ، أما إذا فسرناه بالتفسير الثانى ، فيكون المراد أيضا أن حب الأرض كان فى حاجة ماسة إلى الماء ، ليصير نباتا و المعروف أن نسبة الفعل المشترك إلى أحد الخليطين يفيد نسبته إلى الآخر ، فنسبة الاختلاط إلى النبات ، تفيد نسبته إلى الماء .

من أسباب الشقاء والتعاسة . شأنها شأن المطر الوابل يظل يضرب النبات فى تدفقه ، حتى يميته ، وهو سبب من أسباب حياته .

هذا إذا أخذنا المثل كما هو فى هذه الآية ، فالمثل هنا يفيد أن نبات الأرض اختلط بالماء ، فصار النبات هشيما ، والعطف بالفاء يفيد التعاقب ، وهذا التفسير يناسب قصة صاحب الجنتين ؛ إذ كان الغنى الوفير بالنسبة له قاتلا ومميتا ، كالمطر الدفاق المنهمر بالنسبة للنبات .

أما إذا حملنا مثَل الحياة الدنيا هنا على مثلها فى آية أخرى ، فيكون للمثل توجيه آخر . وقبل أن أذكره ، أذكر القرية التى ذكر فيها المثل الآخر . (إنما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء ، فاختلط به نباتُ الأرض مما يأكل الناسُ والأنعام ، حتى إذا أخذت الأرض زُخْرُفَها وازَّيَنَتْ ، وظن أهلُها أنهم قادرون عليها أتاها أمرُنا ليلاً أو نهارا ، فَجَعَلْناها حَصِيداً كأن لم تَغْنَ بالأمس . كذلك نُفَصِّل الآيات لقوم يتفكرون - يونس : ٢٤)

فالمثل هنا يفيد أن المطر أحيا نبات الأرض ، فرَفّ وزها وسطعت نضرته ، وأعطى ما يرجوه أصحابه منه ، فظنوا أنهم صاروا على قدرةٍ من حصاده وجنيه .

ولكن قدر الله القاهر ، يحصد آمالهم ، ويجنى أحلامهم ، ويأتى الأرض يحصدها ببلائه ، فتصير وكأن لم تكن تحمل من النبات شيئاً ! ! .

فإذا حملنا مافى سورة الكهف على مافى سورة يونس صار المثل مثلا واحداً ، ويكون فى المثل الموجود فى سورة الكهف إجمال وإيجاز ؛ إذ تُرِك الحديث عن حال الزرع بعد نزول المطر ، وقبل صيرورته هشيما .

وبتعبير موجز أقول : إذا جعلنا المثلين مثلا واحداً ، صار المثل خاصًا بقصة النبات منذ أن كان حبًا فى جوف الأرض إلى أن يصير هشيما . أما إذا فصلنا بين المثلين ، صار مثل سورة الكهف خاصاً بقصة النبات النضير الزاهى يصيبه المطر بالتلف ، حتى يصير هشيما

أى يصير المثل فى سورة الكهف مختصاً بقصة النهاية ، وقص النهاية يثير فى الأرض قصة البداية ، ويصير المثل فى سورة يونس مختصاً بقصة البداية والنهاية .

« وكان[١] الله على كل شىء مقتدراً[٢] » لا أحدد – كما يفعل المفسرون – هذا الشىء الذى اقتدر الله عليه ، فالآية لم تجىء بتحديد ، وإنما أكدت أن كل ما يقال عليه إنه « شىء » هو تحت قدرة الله . وطَوْع قوله كن ، أن يجعل الميت مثلا حياً ، والحى مثلا ميتا . وأن يجعل العدم وجوداً ، والوجود عدما ، وأن يجعل من أسباب الحياة أسبابا الموت ، ومن أسباب الموت أسبابا للحياة .

« المال والبنون زينة الحياة الدنيا » إن الآية تتكلم عن زينة الدنيا . لهذا جاءت بالمال أولا . فالبنون بلا مال هَمٌّ لا زينة ، ولأن الآية تتكلم عن زينة أيضاً جاءت بالبنين ولم تتحدث عن البنات . ولا تفيد الآية أن المال أعظم من البنين ، أو أن البنات أقل شأنا من البنين . إنما تفيد الآية أن المال والبنين هما « زينة » الحياة الدنيا . . وتدبر مرة أخرى قصة المترف الذى كفر . والذى كلمنا الله عنه فى سورة المدثر (ذرنى ومن خلقت وحيداً . وجعلت له مالا ممدودا . وبنين شهودا)فجىء أيضاً بالمال أولا . وبالبنين ثانياً .

« والباقيات الصالحات » قيل إنها لا إله إلا الله ، وسبحان الله ، والحمد لله ، والله أكبر ، ولا حول ، ولا قوة إلا بالله . وقيل إنها الصلوات الخمس ، أو الصدقة . والعتق والجهاد . أما القرآن فيعمم ، ولا يخصص ، فيذكر أن كل عمل يبقى للمسلم ثوابه عند الله فهو من الباقيات الصالحات . إنها كل عمل يقصد به وجه ، وكل كلمة ، وكل نية صالحة . وكل طرفة عين ، وكل همسة ونَبْسَة . وخاطرة وبادرة وواردة . وليس لها من شىء

---

(١) التعبير بكان يفيد الثبوت وتحقق وجود الاقتدار ،

(٢) مقتدر « اسم فاعل » من الفعل (اقتدر) وهذا البناء يفيد المطاوعة أى لا يفيد القدرة على الفعل ، فحسب ، وإنما يفيد أيضا أن المفعول به طاوع الفاعل ، أو أن قدرة الفعل تحققت، وحدث مفعولها

يقومها ، ويبقى ثوابها سوى أنها لله سبحانه . إن ما يرجع إلى الإنسان من جزائها ، وما يؤمله الإنسان من ورائها خير من متاع الدنيا كله . فالله يقول عنها « خير عند ربك ثوابا ، وخير أملا » فلا تأمل خيراً من شيء أشركت به مع الله ولياً ، أو نبياً ! !

« ويوم نُسَيِّر الجبال ، وترى الأرض بارزة » مضى الحديث عن الدنيا ، وعن ذكر الباقيات الصالحات ، ويأتى هنا ذكر الآخرة . ومن آياتها أمران : أن تسير الجبال وأن ترى الأرض بارزة . فليس فوقها بناء . ولا تلال ولا جبال ، وليس فيها وهاد ولا ربوات ، وتدبر قول الله سبحانه (ويسألونك عن الجبالِ ، فقل : ينسفها ربى نسفاً . فيذرها قاعاً صَفْصَفاً ، لا ترى فيها عِوَجًا ولا أمتاً .[1] ـ طه ١٠٤ ـ ١٠٧ » .

وحسبى هذا ، والله يوفق لبيانه فى مكان آخر .

« وحشرناهم[2] » وجمعناهم مسوقين إلى المكان الذى نريد ، وتدبر قول الله : (يومئذٍ يتبعون الداعى لا عِوَجَ له ، وخشعت الأصوات للرحمٰن ، فلا تسمع إلا هَمْسًا . ـ طه : ١٠٨) .

« فلم نغادر منهم أحداً » . فلم نترك واحداً منهم . وقد وردت كلمة « واحد » نكرة فى سياق النفى بكلمة « لم » فأفادت عموماً وشمولا . وتدبر قول الله سبحانه : (إنْ كُلُّ مَنْ فى السموات والأرض إلاَّ آتِى الرحمن عبداً . لقد أحصاهم ، وعَدَّهُم عَدًّا[3] . وكلهم آتيه يوم القيامة فَرْداً ـ مريم ٩٣ ، ٩٥) .

---

(١) يجعل الجبال رمالا ؛ وتحملها الريح حتى لتظنها صوفا منفوشا . والصفصف : المستوى . والأمت : النتوء اليسير . وقد نفى عنها العوج ـ مع أنه لا يكون إلا فى المعانى ـ ليبين لنا أنه ينفى عنها العوج الذى يدق عن الإدراك .

(٢) ورد الفاعلان « نسير . وترى » مضارعين . وورد الفعل « حشر » ماضياً . ويذكر الزمخشرى علة هذا بقوله : « فإن قلت لم جىء بحشرناهم ماضياً بعد نسير ، وترى ؟ قلت : للدلالة على أن حشرهم قبل التسيير ، وقبل البروز ؛ ليعاينوا تلك الأهوال العظائم كأنه قيل : وحشرناهم قبل ذلك » .

(٣) تدبر أنت إحصاء أفراد البشرية وعدهم جميعاً منذ خلق الله آدم إلى يوم القيامة . ثم قل : سبحان من لا تخفى عليه خافية .

« وعرضوا على ربك صفاً » إنه سبحانه مالك يوم الدين ، وسيعرض خلقه جميعاً عليه كما يعرض الجنود على سلطانهم القوى الأعظم . ثم ذكر حالهم وهم فى عرضهم بقوله : « صفًا » مصطفين فى استواء ظاهرين لا يخفى منهم أحد ، ولا يحجب أحدهم من بجانبه ، وتدبر قول الله سبحانه (يَوْمَ هُمْ بارزون ، لا يخفى على الله منهم شىء ، لمن الملك اليوم ؟ لله الواحد القهار ـ غافر : ١٦) .

ثم يقول سبحانه : « لقد جئتمونا » وتدبر مع هذه قول الله فى سورة الأنعام : (ولقد جئتمونا فُرَادَى كما خلقناكم أوّلَ مرةٍ ، وتركتُمْ ماخَوَّلْنَاكم وراء ظُهوركم ، وما نرى معكم شُفَعاءكم الذين زعمتمْ أنهم فيكم شركاء لقد تَقَطَّعَ بينَكُمْ ، وضل عنكم ما كنتم تزعمون[1] — ٩٤) .

وقول الله فى سورة مريم : (كلا سنكتب مايقول ونمد له من العذاب مَدًّا . ونَرِثه مايقول : ويأتينا فَرْداً . وَاتَّخَذُوا من دون الله آلهةً ليكونوا لهم عِزًّا . كَلَّا سَيَكْفُرُونَ بعبادتهم ويكونون عليهم ضِدًّا — مريم : ٧٩ : ٨٢) .

هذه الآيات تبين أنه يقال ذلك تقريعاً وتوبيخاً لهذا الصنف الذى يزعم أنه سيكون له عند الله شافع يوم القيامة يحامى عنه ، ويدافع ، ويعيِّنه باسمه ورسمه . ومن يتدبر قول الله : « وكلهم آتيه يوم القيامة فرداً » يعلم أن كل امرىء سيأتى الله كذلك ، وليس معه آخر ، إذ لو كان ثمّ آخر لصار شفعاً ، ولن يكون ثم آخر أو شافع إلا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ، ويرضى ، وسيأتيه المشركون فرادى ، ليس معهم مال ولا ولد ، ولا ولى ولا حميم ولا شفيع : (ماللظالمين من حميم ولا شفيع يطاع — غافر : ١٨) . فهل يتدبر الذين يدعون الموتى من دون الله ؟ ! .

---

(١) فرادى : أى منفردين ، وقيل : إنها جمع على غير قياس . وقيل : هى جمع فردان وفردى . مثل سكارى فى جمع سكران وسكرى والأنثى فردة ــ خولنا كم : تفضلنا به عليكم فى الدنيا من مال وولد وغيرهما . تقطع بينكم : وقع التقطع بينكم .

« كما خلقناكم أول مرة » إما أن يكون معناها : وحالكم يوم المجيء كحالكم يوم خلقناكم أول مرة حُفَاةً عُرَاةً غُرْلاً [1] « أى غير مختونين » .

وإما أن يكون معناها : جئتمونا أحياء . وتدبر قول الله : (كما بدأنا أول خلق نعيده) .

وإما أن يكون معناها : جئتمونا فرادى كما كنتم كذلك يوم خلقت أول فرد منكم ، وهو آدم . وما كان ثَمَّتَ معه غيره .

« بل زعمتم ألَّنْ نجعل لكم موعداً » هذا تقريع وتوبيخ للذين ينكرون يوم القيامة ، فلا يزعم هذا الزعم مسلم ، وإنه ليثير فى نفس من يقال له هذا ندماً وحسرة وخوفاً رهيباً ، وفزعًا شديداً ، إذ يرى ما كان ينكره متحققاً واقعًا فى يوم لا تنفعه فيه شفاعة ولا عدل ولا مال ولا بنون .

أضرع إلى الله أن يجعل وقوفنا بين يديه وقوف المؤمن الخاشع التقى الذى يأمل الخير ويرجو الثواب فى الجنة

عبد الرحمن الوكيل

أى العمل أفضل ؟

عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل : أى الأعمال أفضل ؟ فقال « إيمان بالله ورسوله ، قيل ثم ماذا ؟ قال : الجهاد فى سبيل الله ، قيل ثم ماذا ؟ قال : حج مبرور » رواه البخارى .

الجمعية العمومية بالمركز العام

تقرر أن تجتمع الجمعية العمومية بالمركز العام للجماعة فى دورتها العادية فى الساعة السابعة من مساء يوم السبت ٢٢ صفر سنة ١٣٨٣ الموافق ١٣ يوليه سنة ١٩٦٣ إن شاء الله .

(١) ورد هذا المعنى فى بعض الأحاديث .

توحيد الله عز وجل

ومن أسمائه الحسنى سبحانه « الودود والشكور » وكلاهما وارد فى القرآن الكريم قال تعالى من سورة هود على لسان شعيب عليهما السلام (واستغفروا ربكم ثم توبوا إليه إن ربى رحيم ودود) .

وقال من سورة البروج (إن بطش ربك لشديد . إنه يبدئ ويعيد . وهو الغفور الودود . ذو العرش المجيد . فعال لما يريد) .

وقال تعالى من سورة التغابن (إن تقرضوا الله قرضاً حسناً يضاعفه لكم ويغفر لكم والله شكور حليم . عالم الغيب والشهادة العزيز الحكيم) .

أما الودود فقد قال الراغب فى المفردات : .

« الود محبة الشيء وتمنى كونه ، ويستعمل فى كل واحد من المعنيين على أن التمنى يتضمن معنى الود لأن التمنى هو تشهى حصول ما توده »

وقوله (وجعل بينكم مودة ورحمة) (سيجعل لهم الرحمن وداً) إشارة إلى ما وقع بينهم من الألفة المذكورة فى قوله (لو أنفقت ما فى الأرض جميعاً ما ألفت بين قلوبهم) :الآية

ومن المودة التى تقتضى المحبة المجردة فى قوله (إلا المودة فى القربى) وقوله (وهو الغفور الودود — إن ربى رحيم ودود) فالود يتضمن ما دخل فى قوله (فسوف يأتى الله بقوم يحبهم ويحبونه الخ) اهـ .

وفى (النهاية) لابن الأثير « فى أسماء الله تعالى الودود هو فعول بمعنى مفعول من الود بمعنى المحبة يقال وددت الرجل أوده وداً إذا أحببته . فالله تعالى مودود أى محبوب فى قلوب أوليائه ، أو هو فعول بمعنى فاعل أى أنه يحب عباده الصالحين بمعنى أنه يرضى عنهم » .

وما أحسن قول العلامة (ابن القيم) فى نونيته .

وهو الودود يحبهم ويحبه أحبـــابه والفضل للمنـان

وهو الذى جعل المحبـة فى قلو بهم وجازاهم بحب ثان

هذا هو الإحسان حقاً لامعا وضـةً ولا لتوقع الشـكران

لـكن يحب شَـكورهم وشُـكورهم لا لاحتياج منه للشـكران

فاسمه تعالى (الودود) متضمن المعنيين جميعاً ، فهو الواد لأوليائه وأهل طاعته بمعنى المحب لهم وذلك لقيامهم بما يستوجبون به تلك المحبة من الإخلاص له والإكثار من ذكره والإنابة إليه وقوة التوكل عليه والتقرب إليه بالفرائض والنوافل وحسن المتابعة للنبى صلى الله عليه وسلم ظاهراً وباطناً . كما قال تعالى (قل إن كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله) وهو سبحانه المودود لهم فهم يحبونه أشد الحب بل لا شىء أحب إليهم منه فمحبته عندهم سابقة لـكل محبة وغالبة على كل محبة بل كل محبة غيرها فهى تابعة لها .

يقول الشيخ السعدى رحمه الله .

« ومحبة الله هى روح الأعمال وجميع العبودية الظاهرة والباطنة ناشئة عن محبة الله ، ومحبة العبد لربه فضل من الله وإحسان ، ليست بحول العبد ولا قوته فهو الله تعالى الذى أحب عبده ، فجعل المحبة فى قلبه ثم لما أحبه العبد بتوفيقه جازاه الله بحب آخر فهذا هو الإحسان المحض على الحقيقة إذ منه السبب ومنه المسبب ليس المقصود منها المعاوضة وإنما ذلك محبة منه تعالى للشاكرين من عباده ولشكرهم فالمصلحة كلها عائدة إلى العبد . فتبارك الذى أودع المحبة فى قلوب المؤمنين ، ثم لم يزل ينميها ويقويها حتى وصلت فى قلوب الأصفياء إلى حالة تتضاءل عندها جميع المحاب وتسليهم عن الأحباب وتهون عليهم المصائب وتلذذ لهم مشقة الطاعات وتثمر لهم ما يشتهون من أصناف الـكرامات التى أعلاها محبة الله والفوز برضاه والأنس بقربه .

فمحبة العبد لربه محفوفة بمحبتين من ربه فمحبة قبلها صار بها محباً لربه ومحبة بعدها شكراً من الله له على محبة صار فيها من أصفيائه المخلصين » اهـ .

ولكن ينبغى أن لا يفهم من هذا أن اسمه تعالى (الودود) مرادف لكونه مُحِباً للمؤمنين أو محبوبا لهم ، بل هو متضمن لمعنى زائد على مجرد المحبة وهو تودده إليهم بإفاضة النعم والخيرات التى كلما ذكروها امتلأت قلوبهم من محبته . وكذلك توددهم إليه بالطاعات التى هى سبب قربه ومحبته لهم ، فالمودة تتناول المحبة كما تتناول جميع الأسباب المفضية إلى نموها ودوامها .

هذا ولا بد من التنبيه هنا إلى مافعله المعطلة من أرباب الكلام الجاهلين بهذا الاسم الجليل حيث حرفوا معناه وألحدوا فيه لأنهم لا يؤمنون بمحبة متبادلة بين الله وبين أصفيائه . بل يفسرون تلك المحبة بلوازمها من الإحسان وإرادة الخير ونحو ذلك . وإليك ما يقوله الغزالى أحد أئمة التعطيل فى تفسير هذا الاسم الكريم :

(الودود هو الذى يحب الخير لجميع الخلق فيحسن إليهم ويثنى عليهم وهو قريب من من الرحيم لكن الرحمة إضافة إلى مرحوم والمرحوم هو المحتاج والمضطر وأفعال الرحيم تستدعى مرحوما ضعيفاً وأفعال الودود لا تستدعى ذلك بل الإنعام على سبيل الابتداء من نتائج الود . فكما أن معنى رحمته تعالى إرادته الخير للمرحوم وكفايته له وهو منزه عن رقة الرحمة فكذلك وده إرادته الكرامة والنعمة وإحسانه وإنعامه وهو منزه عن ميل المودة لكن المودة والرحمة لا تراد فى حظ المرحوم والمودود إلا لثمرتها وفائدتها لا للرقة والميل فالفائدة هى لباب الرحمة والمودة وروحهما وذلك هو المقصود فى حق الله تعالى) اهـ .

وأما اسمه تعالى (الشاكر ـ الشكور) فقد قال الغزالى فى تفسيره (هو الذى يجازى بيسير الطاعات كثير الدرجات ويعطى بالعمل فى أيام معدودة نعيما فى الآخرة غير محدود ومن جازى الحسنة بأضعافها يقال إنه شكر تلك الحسنة ومن أثنى على المحسن أيضاً يقال إنه شكره .

فإن نظرت إلى معنى الزيادة فى المجازاة لم يكن الشكور المطلق إلا الله تعالى ، لأن زيادته فى المجازاة غير محصورة ولا محدودة فإن نعيم الجنة لا آخر له والله تعالى يقول (كلوا واشربوا هنيئاً بما أسلفتم فى الأيام الخالية) .

و إن نظرت إلى معنى الثناء فثناء كل مثن على غيره . والرب تعالى إذا أثنى أعمال عباده فقد أثنى على نفسه لأن أعمالهم من خلقه) اهـ .

والشكر من الصفات المشتركة بين الله عز وجل و بين العبد ، فإذا وصف به العبد كان معناه اعتراف العبد بنعمة الله عليه وثنائه عليه بها واستعماله إياها فى طاعته ومرضاته . وأما إذا وصف به الرب فمعناه قبوله سبحانه لعمل العبد ورضاه عنه و إثابته عليه ، فهو لا يضيع سعى العاملين لوجهه بل يضاعفه أضعافا مضاعفة ، وقد أخبر فى كتابه وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم بمضاعفة الحسنات الواحدة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة ، كقوله تعالى فى شأن المنفقين فى سبيله (مثل الذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل فى كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم) .

وكقوله (إن تقرضوا الله قرضاً حسناً يضاعفه لكم و يغفر لكم والله شكور حليم) وفى الحديث الصحيح الذى رواه ابن عباس رضى الله عنهما «أن الله تعالى كتب الحسنات والسيئات ثم بين ذلك فمن هَم بحسنة فلم يعملها كتبها الله عنده حسنة كاملة فإن عملها كتبت له عشر حسنات إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة و إن هَمّ بسيئة فلم يعملها لم تكتب عليه فإن عملها كتبت سيئة واحدة » فأى شكر لأعمال العباد أعظم من هذا . فبيمنه سبحانه ما يتحمل المتحملون لأجله ومن فعل شيئاً لأجله أعطاه فوق حقه ومن ترك شيئًا لأجله عوضه خيراً منه . وهو الذى وفق المؤمنين لمرضاته ثم شكرهم على ذلك وأعطاهم من كراماته مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر . وكل هذا ليس حقًا واجبًا عليه و إنما هو الذى أوجبه على نفسه ، جوداً منه وكرما .

قال العلامة (ابن القيم رحمه الله) .

وهو الشكور فلن يضيع سعيهم . لكن يضاعفه بلا حسبان
ما للعباد عليه حق واجب هو أوجب الأجر العظيم الشأن
كلا ولا عمل لديه ضائع إن كان بالإخلاص والإحسان
إن عذبوا فبعدله أو نعموا فبفضله والفضل للمنان

نسأل الله أن يجعلنا من أهل وده وشكره بفضله وكرمه .

محمد خليل هراس
المدرس بكلية أصول الدين

---

٢٢ – نظرات فى التصوف

« تمهيد » تكلمت عن الحب . حب الله لعبده ، وحب العبد لربه وذكرت آيات ذلك من الكتاب . ولكن الصوفية تتكلم عن العشق ، فتزعم – كما أكد ابن عربى وابن الفارض – أن الله عاشق ومعشوق – وجل جلال الله – وفى هذا المقال نتكلم عن العشق ، وهل يجوز إطلاقه على الله ؟ .

عبد الرحمن الوكيل

العشق : جاء فى لسان العرب : « العشق فرط الحب ، وقيل هو عجب المحب بالمحبوب . يكون فى عفاف الحب ودعارته » ثم يقول : « وسئل أبو العباس أحمد بن يحيى عن الحب والعشق : أيهما أحمد ؟ فقال : الحب ؛ لأن العشق فيه إفراط ، وسمى العاشق عاشقا ؛ لأنه يذبل من شدة الهوى كما تذبل العشقة إذا قطعت ، والعشقة شجرة تخضر ثم تدق وتصفر » وقال ابن فارس فى معجمه : « العين والشين والقاف أصل صحيح يدل على تجاوز المحبة . . وزعم ناس أن العشقة اللبلابة . قالوا : ومنها اشتق اسم العاشق لذبوله » .

وبما قدمنا يتبين لنا أنه لا يجوز مطلقا تسمية حب الله لعبده بالعشق ولا تسمية حب

العبد لربه ؛ لأمرين . أولهما : أنه لم يرد هذا الإطلاق لا فى الكتاب ، ولا فى السنة . والآخر : لما يكتنفه من نقص وخسة . فما للصوفية تفخر وهى تنعت ابن الفارض بأنه : سلطان العاشقين أو رابعة بأنها شهيدة العشق الإلهى ؟

واقد ذكر القشيرى على لسان أبى على الدقاق قوله : « لا يوصف الحق سبحانه بأنه يعشق » فهل يقتنع الصوفية ، وقد جاء الحق مرة على لسان قطب كبير منهم ؟ !

قد يقول من يحبون دائما الاعتذار عن الخطايا والوثنية . فلنجرد « العشق » مما يدل عليه من معنى لا يليق بجلال الله سبحانه وكماله . وقد يقولون أيضا : وهل من الواجب أن نتقيد فيما نخبر به عن الله بما بين الشرع ؟ !

فإننا نؤكد لهؤلاء الذين لا يحبون إلا تلمس المعذرة لخطيئة الإلحاد وعمه الوثنية أن اللفظ إذا جرد من معناه ، صار لا مفهوم له ، ولا يجيز العقل ولا الدين ، بل ولا العرف الذى يحكمه ضمير أن نطلق على الله ما ليس له معنى ولا دلالة ! ! أو نقول على الله ما ليس لنا به علم ، أو أن نصفه ونسميه بغير ما وصف وسمى به نفسه .

ثم ما بالنا نكد وننصب فى سبيل دعم هوى وشهوة ، ونسد قلوبنا عن الطمأنينة ، ونغلقها دون الهدى الذى بين الله فى كتابه ؟ عجبا يثير الدهشة ، ويتساءل عن الكوامن الخفية وراء هذا ؟ عجبا من استهانة هؤلاء بجلال الله ، فيبيحون لأنفسهم أن يطلقوا عليه ما زينت الشهوات ، وغليل الحرمان ، على حين يرونها خطيئة كبرى أن نسمى الأشياء بغير أسمائها فى المذاهب الأدبية أو الفنية أو ما شا كل ذلك ، بل حتى فى الأمور العادية أحيانا يحرمون علينا أن نطلق على الشىء غير ما تواضع عليه الناس بأعرافهم وتقاليدهم ! !

ترى لو أننا أطلقنا على فلسفة أرسطو أنها تصوف أو فيلونية ، وأطلقنا على تصوف ابن عربى أنه فقه ، أو على الحلول أنه وحدة الوجود ، أو على الشعر الغزلى أنه رثاء ، أو على حانة الخمر أنها معبد . لو أننا فعلنا هذا أكان يغفر لنا أولئك الذين يبيحون لأنفسهم أن يخبروا عن الله بما شاءوا؟

كلا : بل سيدمغوننا بالضلال أو الخبالة ؛ لأن ما اصطلحوا عليه يوجبون له القداسة والجلالة أما ما هدى الله إليه ، فلتعصف به الأهواء ، وليلقوا عليه ظلالا قاتمة من الريب الخئون ! ! أما عن الأخرى ، فقد ذكرنا طرفا من الرد عليها فى الأولى ، ونقول كذلك إن الاعتصام بما وصف الله أو سمى به نفسه ، أو وصف به وسمى صلة عباده به وصلته بعباده هو من أسس التوحيد القوى الصادق ، ومقوم أصيل من مقومات الإيمان ، تقويم الحروف للكلمة ، فما للهوى شرع ، ولا للشهوة حكم على ما نصف أو نسمى به الله رب العالمين ، ولا على ما نسمى به صلة عباده به ؛ إذ الحكم فى هذا كله لله وحده ؛ فهو سبحانه العليم الخبير بما يحق لجلاله ، وقد أعلمنا ـ سبحانه ـ وأخبرنا بما لا نحتاج مطلقا بعده إلى علم أو خبر ، وبما يطمئن إليه كل قلب مؤمن ، فلنهطع له سبحانه قانتين ! !

الحب عند الصوفية : يقول الطوسى : « أهل المحبة على ثلاثة أحوال : فالحال الأول : محبة العامة ، يتولد ذلك من إحسان الله تعالى إليهم ، وعطفه عليهم » ثم تحدث عن شرط هذه المحبة ، فنقل مما ذكره سهل بن عبد الله عنها : « موافقة القلوب لله ، والتزام الموافقة لله واتباع الرسول صلى الله عليه وسلم مع دوام الاستهتار[1] بذكر الله تعالى ، ووجود حلاوة المناجاة لله عز وجل » .

« والحال الثانى من المحبة : وهو يتولد من نظر القلب إلى غناء الله وجلاله وعظمته وعلمه وقدرته ، وهو حب الصادقين والمتحققين » وبين أن شرطها ووصفها ، هو امحاء إرادات المحب وصفاته .

« وأما الحال الثالثة من المحبة : فهى محبة الصديقين والعارفين تولدت من نظرهم ومعرفتهم بقديم حب الله تعالى بلا علة ، فكذلك أحبوه بلاعلة » وقد سئل الجنيد ـ كما يذكر الطوسى ـ عن هذه المحبة فقال : « دخول صفات المحبوب على البدل من صفات المحب » وقال عنها ذو النون إنها : « سقوط المحبة عن القلب ، والجوارح حتى لا يكون

---

(١) من معانيه الولوع بالشىء والإفراط فيه ؛ وفقدان العقل من الكبر .

فيها المحبة ، وتكون الأشياء بالله رلله ، فذلك المحب لله[1] » .

إن المرتبة الأولى التي ذكرها الطوسى هى أسمى المراتب وأعظمها ، وشرطها كما ذكر الطوسى هو حسن اتباع الرسول صلى الله عليه وسلم ، والتزام الطاعة لله والخشية منه غير أن الصوفية تحكم على هذه المرتبة بأنها مرتبة العوام . تحكم على قول الله (قل إن كنتم تحبون الله ، فاتبعونى يحببكم الله . بأنه تعبير عن حب العوام) لماذا تحتقر الصوفية هذه المرتبة ؟ لأنها تفرض على العبد أن يعبد الله بما أمر أن نعبده به ، والصوفى الحق قد لا يقوم بعبادة ، ولا يلتزم بطاعة ؛ لأن العبادة والطاعة تستلزم التفرقة بين الرب والمربوب . تستلزم الإيمان بوجود عابد ومعبود ، أو مطيع ومطاع ، وفى هذا ثنائية تمقتها الصوفية . والمرتبة الثانية لا يرتضيها الصوفية أيضا ؛ لأن فيها حلول إرادة الله وصفاته محل إرادة العبد وصفاته ، وهذا الحلول يستلزم أن يشعر السالك بأنه غير وسوى ! ! لأنه يكون شاعرا بإرادة فانية هى إرادته ، وأخرى باقية هى إرادة الله . شاعرا بصفات قد امحت هى صفاته ، وأخرى قد ثبتت له هى صفات الله ، وهذا الشعور يناقض صرافة الوحدة أما المرتبة الثالثة ، فهى : مرتبة الحب الصادق ؛ لأنها توحد بين ذات المحب وذات المحبوب ، أو تجعل من الذاتين ذاتا واحدة ؛ ومن الأثنين واحداً يوصف بالخالقية والخلقية ! ! وهذا معنى قول ذى النون : « سقوط المحبة من القلب والجوارح حتى لا يكون فيها المحبة » فالمحبة تقتضى وجود اثنين : محب ومحبوب ، وسقوطها يقضى على هذه الثنائية ؛ إذ ما ثم فى هذه المرتبة الصوفية إلا محب يحب نفسه ، لا غيره ، أما القشيرى ، فلم ينح منحى هذا التقسيم ، وإنما ذكر لنا عن شيوخ الصوفية أكثر من تعريف للحب بعضها يوافق المرتبة الأولى عند الطوسى ، وبعضها الثانية ، وأكثرها يوافق المرتبة الثالثة . ومن هذه التعريفات : « محو المحب بصفاته ، وإثبات المحبوب بذاته ، حقيقة المحبة أن ينسى العبد حظه من الله عز وجل ، وينسى حوائجه إليه . حقيقة المحبة قيامك مع محبوبك بخلع أوصافك . لا تصح المحبة إلا بالخروج عن رؤية

(١) انظر ص ٥٧ وما بعدها ـ اللمع .

المحبة إلى رؤية المحبوب ؛ بفناء علم المحبة . المحبة هتك الأستار ، وكشف الأسرار . المحبة استهلاك فى لذة ، والمعرفة شهود فى حيرة ، وفناء فى هيبة . المحبة محو الإرادات ، واحتراق جميع الصفات والحاجات . المحبة سكر لايصحو صاحبه إلا بمشاهدة محبوبه ، ثم السكر الذى يحصل عند الشهود لا يوصف » .

وأصرح من هذه التعريفات التى تدندن بالوحدة بين العبد والرب هذا القول : « المحبة توجب انتفاء المباينة » . وينقل الجنيد عن السرى السقطى قوله : « لاتصح المحبة بين اثنين حتى يقول الواحد للآخر : ياأنا[1] » يقول الرب لعبده : ياربى ، ويقول العبد لربه يا عبدى ، أو يقول الله للعبد : يا الله يا أنا . ويقول العبد لله : ياعبدى يا أنا ! ! فالعبودية والربوبية وجهان أو وصفان لحقيقة واحدة ، هى حقيقة الذات الإلهية ! !

قد يستخفنا منهم سحر القول عن الحب ويسطو بعواطفنا ، فيشدها بالنشوة الحالمة إليه . لكنها النشوة التى يتراءى فيها جسد غانية مرهف الفتنة ، جياش الأنوثة . وقد هريقت بين يديها الدموع والجراح ، وهى فى كبرياء فتنتها تقتل بالصد ، وتفتك بالحرمان ، وتصرف أهواء النفوس المشتهية برفيف الفتنة على شفتيها الحالمتين ، أو الظمأ الملتهب فى عينيها النجلاوين .

أية صور فى النفس يثيرها التعبير بالسكر عند شهود المحبوب ؟ !

إنها صور المشتى المحروم مَنَّ المعشوق على صاحبه بموعد خلى . صور عاشق ملهوف موجع مضنى كان يترقب فى لهفة منذ أمد طويل من هجر وحرمان ، وعاشقة تقبل عليه فى فيوض غامرة من الحسن والروعة والكبرياء وفجر ندى خلى ، ثم احتراق جسد بجسد ! ! أليسوا يعرفون المحبة بأنها ، استهلاك فى لذة ؟ ! إن هذا الحب الذى يصوره هؤلاء السكارى ليس هو الحب ، وإنما هو عشق رجل لامرأة ، عشق ذكر لأنثى ، لا حب

---

(١) انظر فصل « المحبة » من رسالة القشيرى ص ١٤٣ وما بعدها ؛ وفصل الحب فى اللمع

عبد لرب وفى . حياة هؤلاء الخابيل السكارى قصص عشق عنيف مرير عصف به الغى ، وأوجعه الحرمان ، حتى خلع على الأنثى التى دوخت شهوته صفات الربوبية والألوهية ، لعله يستنزل قدم الغانية المشوقة ، ولكنه لم ينل منها إلا عنف الصد ، وقسوة الهجر ؛ لأنها تؤمن بما يستقر فى أعماقها ، لا بمكر العاشق المفتون ولآمته ، تؤمن بأنها أنثى ، وليست ربا ، ولا إلها ! !

فراحَ العاشق المهجور يزعم ـ ليستر خزى ذله وصغار مهانته ـ أن غزله ليس إلا غزلا فى الحقيقة الإلهية المتجسدة فى صورة هذه المرأة . وإنك لتلحظ أن من سمات شعر الصوفية الغزلى إطلاق الأسماء المؤنثة على الله سبحانه ، فتراهم يسمونه « ليلى ـ أميمة ـ بثينة ـ لبنى ـ سعاد » ومن يطالع أشعارهم تطالعه هذه الحقيقة ! ! .

ولقد ذكر ابن عربى فى مقدمة شرح ديوانه « ترجمان الأشواق » قصة الفتاة التى أضنته وعذبته بهواها ، ومن أجلها تغزل ونفث فى شعره أساه وحرمانه ، وقد غازلها الوحش الصوفى ابن عربى .

وهى مَنْ ؟

إنها ابنة أستاذه وشيخه مكين الدين الأصفهانى . وأين كان هذا العشق والغزل ؟ .

فى حى جياد بمكة المكرمة حيث كانت تعيش الصبية مع أبيها ! ! .

وإليك القصة بقلم ابن عربى نفسه :

« كان لهذا الشيخ ـ رضى الله عنه ـ بنت عذراء طُفَيْلة هيفاء ، تقيد النظر ، وتزين المحاضر ، وتحير المناظر . . . ساحرة الطرف عِراقِيّة الظرف . . . عليها مِسْحَة مَلَك ، وهمة مَلِك . . فراعينا فى صحبتها كريم ذاتها ، مع ما انضاف إلى ذلك من صحبة العمة والوالد ، فقلدناها من نظمنا فى هذا الكتاب أحسن القلائد بلسان النسيب الرائق ، وعبارات الغزل اللائق ، ولم أبلغ فى ذلك بعض ما تجده النفس ، ويثير الأنس من كريم ودها ، وقديم عهدها ، ولطافة معناها وطهارة مغناها . إذ هى السُّؤْل والمأمول والعذراء

البتول ، فأعربت عن نفس تواقة ، ونبهت على ما عندنا من العلاقة . وإليك من غزله في هذه الفتاة الصغيرة الحسناء .

مَرَضِي من مريضةِ الأجفان ... عَلِّلاَنى بذكرِها عَلِّلانى
بأبى طفلةٌ لعوبٌ تهادى ... من بنات الخدور بين الغوانى
طلعت فى العيان شمسا ، فلما ... أَفَلَتْ ، قلت أشرقت بجنانى
يا طُلولا بِراحَةٍ دارساتٍ ... كم رأت من كواعب وحسان
بأبى ، ثم بِى غزالٌ ربيب ... يرتعى بين أضلعى فى أمان
ياخليلَيَّ عرِّجا بعنانى ... لأرى رسم دارها بعيانى
فإذا ما بلغتما الدار حطا ... وبها صاحبَى ، فلتبكيانى
وقفا بى على الطلول قليلا ... نتباكى ، بل أبكِ مما دهانى
الهوى راشقى بغير سهام ... الهوى قاتلى بغير سنان
عرفانى إذا بكيت لديها ... تسعدانى على البكا تسعدانى
واذكرا لى حديث هند ولبنى ... وسُلَيمى وزينب وعَنان
ثم زيدا من حاجر وزَرُودٍ ... خبرا عن مراتع الغزلان
واندبانى بشعر قيس وليلى ... وبِمَيِّ والمُبْتَلى غيلان
طال شوقى لطفلة ذات نثر ... ونظام ومنبر وبيان
من بنات الملوك من دار فرس ... من أجل البلاد من أصبهان
هى بنت العراق بنت إمامى ... وأنا ضدها سليل يمانى
هل رأيتم يا سادتى أو سمعتم ... أن ضدين قط يجتمعان
لو ترانا برامة نتعاطى ... أكؤسا للهوى بغير بنان
والهوى بيننا يسوق حديثاً ... طيباً مطرباً بغير لسان
لرأيتم ما يذهب العقل فيه ... يَمَنٌ والعراق معتنقان

ولم يستطع ابن عربى بهذا الغزل المهتوك أن يستنزل قدم الفتاة الصغيرة ، فغوى فى شرح الديوان ، وراح يزعم للفتاة الصغيرة أنها الحقيقة الإلٰهية فى صورة أجمل أنثى ، ولكنها ظلت تؤمن بأنها يجب أن تذود عن شرفها هذا الصوفى الذى يسعى إلى تدنيسه باسم الدين ، ويزعم أنها الحقيقة الإلٰهية ! ! فأهلكته ، وسجلت فى تاريخه بقلمه قصة عاشق محروم قضى حياته كلها يتخذ جسد فتاة ربًّا له ومعبوداً ! ! .

هذا هو الشيخ الأكبر ، والكبريت الأحمر محيى الدين بن عربى فى دعارته الصوفية التى يحاول بعض الناس أن يفرضها علينا دينا ! ! أتصدقه حين يزعم أنه يتغزل فى الحقيقة الإلٰهية ؟ .

وهل يقال عن الحقيقة الإلٰهية : إنها طفلة لعوب مريضة الأجفان ، أو إنها غزال ربيب ؟ لئن جوز عقل هذا ، فلن يدهشنا حين نراه يجوز اقتراف الخطيئة فى المحاريب وكان من إنشاد النصراباذى .

ومن كان فى طول الهوى ذاق سلوة ... فإنى من « ليلى » لها غير ذائق
وأكثر شىء نلته من وصالها ... أمانى لم تصدق كلمحة (بارق)

« للنظرات بقايا »

عبد الرحمن الوكيل

غزوات الرسول

صلى الله عليه وسلم — عهد الحديبية (٢)

في العدد السابق من (الهدى النبوى) تكلمنا عن عهد الحديبية ، وختمنا الجزء الأول منه بالكلام عن الدور الذى قام به رسل قريش إلى النبي صلى الله عليه وسلم الذين نقلوا إلى قريش حقيقة ماأراد الرسول من خروجه إلى مكة وهو زيارة البيت الحرام وأداء شعائر العمرة .

سفير النبي إلى قريش : أما الرسول صلى الله عليه وسلم فقد رأى أن يرسل من جانبه من يقنع قريشاً بالحقيقة ، فدعى إليه خراش بن أمية الخزاعى و بعثه إليهم لهذا الغرض . وما كاد سفير النبي صلى الله عليه وسلم يصل إلى قريش حتى عقروا ناقته وأرادوا قتله ، لولا أن تدخلت الأحابيش ومنعتهم من قتله فخلوا سبيله .

عدوان من قريش . . وعفو من النبي : واستبد الحقـد بقريش ، فأوعزت إلى بعض سفهائها بالتحرش بالمسلمين بقذف عسكرهم بالحجارة ليلا ، عل هـذا العمل يثير حفيظة المسلمين فيدخلوا فى حرب مع قريش فينهى الموقف ، ولما لم يفلح التحرش عن طريق السفهاء خرج أربعون رجلا منهم للعدوان على المسلمين ، ولـكنهم وقعوا جميعاً فى قبضتهم وسيقوا إلى مخيم رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وأراد رسول الله أن يقدم لقريش دليلا آخر يثبت أنه لم يخرج غازيا ، بل خرج حاجًّا ، فعفى عن رجال قريش ممن وقعوا فى قبضة المسلمين وخلى سبيلهم .

وانتهت قريش لدليل السلام الذى قدمه لها النبي ، وبهذا انهارت كل حجة يمكن أن تزعم بها قريش أن المسلمين جاءوا غازين ، كما أن هذا العمل أثار عطف العرب على النبي ، وزاد من اقتناعهم بحسن نواياه .

رسول آخر إلى قريش : ورأى النبي صلى الله عليه وسلم أن يرسل إلى قريش رسولا

آخر يقنعها بالعدول عن موقفها العدائى ، فدعى إليه عمر بن الخطاب (رضى الله عنه) كى يخبر قريشاً بحقيقة مجيئه ، فقال عمر : يارسول الله إنى أخاف قريشاً على نفسى ، وليس بمكة من بنى عدى بن كعب أحد يمنعنى ، وقد عرفت قريش عداوتى إياها وغلظتى عليها ، ولكنى أدلك على رجل أعز بها منى : عثمان بن عفان .

ودعى النبى إليه عثمان بن عفان (رضى الله عنه) ليقوم بهذا الأمر ، فخرج إليهم عثمان ، فلقيه أبان بن سعيد بن العاص عند مدخل مكة ، فأجاره حتى يفرغ من أداء مهمته .

وانطلق عثمان بن عفان إلى زعماء قريش فأبلغهم أمر النبى وأصحابه فقالوا له : ياعثمان إن شئت أن تطوف بالبيت فطف . قال عثمان : ما كنت لأفعل حتى يطوف رسول الله ، إنما جئنا لنزور البيت العتيق ، ولنعظم حرمته ، ولنؤدى فرض العبادة عنده ، وقد جئنا بالهدى معنا ، فإذا نحرناها رجعنا بسلام ، ولكن قريشاً أصرت على منع الرسول من دخول مكة هذا العام عنوة وطال حديث عثمان مع قريش فى هذا الصدد دون جدوى .

بيعة الرضوان : وقلق المسلمون بالحديبية على عثمان بن عفان ، وخافوا على مصيره ، فقد تمثل لهم غدر قريش المعروف ، وأيقنوا أنها لن تتورع عن قتل عثمان فى هذا الشهر الذى لا تجيز فيه أديان العرب كلها لأحد أن يسفك دم عدو فى حرم الكعبة أو فى مكة .

لذلك دخل فى روع النبى ومن معه أن قريشاً قد غدرت بمن ذهب إليها مسالما فى رسالة موادعة وأمان ، وشاع فى الناس أن عثمان قد قتل فقال «لا نبرح حتى نناجز القوم» . فدعا إليه أصحابه وجمعهم تحت شجرة تقع فى ذلك الوادى ، فبايعوه[1] على ألا يفروا حتى الموت . . . بايعوه ، وقلوبهم ملؤها قوة الإيمان وصدق العزيمة ، والحماس الفياض للانتصار لقضية الإسلام والقضاء على قريش ومن على شاكلتها من أهل الباطل ، فنزل قوله تعالى فى شأن هذه البيعة . بيعة الرضوان (لقد رضى الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة ، فعلم مافى قلوبهم فأنزل السكينة عليهم وأثابهم فتحاً قريباً) الآية ١٨ : الفتح .

---

(١) يروى أنهم كانو ألفاً وأربعمائة رجلا .

بايع المسلمون الرسول صلى الله عليه وسلم ، ولم يتخلف أحد منهم سوى الجدّ بن قيس أخو بنى سلمة ، فكان جابر بن عبد الله يقول عنه : والله لكأنى أنظر إليه لاصقا بإبط ناقته قد ضبأ[1] إليها يستتر بها من الناس ، وعند ماأتم الرسول البيعة ضرب بإحدى يديه على الأخرى بيعة لعثمان — كأنه قد حضر معهم بيعة الرضوان ، واستعد المسلمون للنزول إلى ساحة الجهاد والتضحية تنفيذاً للبيعة ، ووضع كل منهم نصب عينيه أحد أمرين : إما الظفر . . وإما الإستشهاد فى سبيل الله .

وبيناهم على هذا الحال جاءهم الخبر أن عثمان بن عفان لم يُقْتل ، ثم لم يطل بهم الوقت حتى دخل عليهم عثمان ، ولكن بيعة الرضوان لم ينته مفعولها عند هذا الحد ، بل ظلت وثيقة نصر وأخوة ثابتة خالدة مع الزمن ، مؤكدة للروابط بين النبى وأصحابه .

قريش لا تزال عند موقفها : ونقل عثمان بن عفان للنبى ماقالته قريش . . وكان رأى زعمائهم يتلخص فى أمرين .

أولهما : إن قريشاً لا تستطيع منع أحد من العرب عن الحج والعمرة .

ثانيهما : أنها بعثت خالد بن الوليد برجالها لقتال النبى وصده عن دخول مكة ، فإن هى سمحت له بزيارة البيت الحرام هذا العام فسيعد هذا تراجعاً منها ، الأمر الذى يُضعف من مركزها أمام العرب وينال من هيبتها وكبريائها .

لذلك فإن قريشاً لا تزال عند موقفها من محمد ، تمنعه من دخول مكة هذا العام .

المفاوضات بين الفريقين : وعادت المفاوضات بين الفريقين مرة أخرى حول دخول النبى مكة ذلك العام . بعثت قريش سهيل بن عمرو وقالت له : ائت محمداً فصالحه ، ولا يكن فى صلحه إلا أن يرجع عنا عامه هذا ، فوالله لا تحدث العرب عنا إنه دخلها علينا عنوة أبدا .

---

(١) التصق بها واستتر .

وذهب سُهَيل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فلما رآه مقبلا قال « قد أراد القوم الصلح حين بعثوا هذا الرجل » ، وعندما انتهى سُهيل إلى رسول الله جرت بينهما مفاوضات للصلح وشروطه . فكادت المحادثات بينهما توشك أن تنقطع حيناً . ثم تتصل حيناً آخر عندما يحرص الفريقان على نجاح الاتفاق . وكان المسلمون يجلسون حول النبي صلى الله عليه وسلم ويسمعون ما يدور بينه وبين سُهيل . فتضيق صدورهم لتشدد سهيل وتساهل النبي فى المفاوضات . لكن ثقة المسلمين فى رسولهم صلوات الله عليه وإيمانهم به جعلهم يرتضون ما يوافق عليه الرسول فى الصلح . ويظهر ذلك عندما تمت المحادثات ولم يبق إلا تحرير الصلح . حين ذهب عمر بن الخطاب (رضى الله عنه) إلى أبى بكر ودار بينهما الحديث التالى :

قال عمر : يا أبا بكر أليس هو رسول الله ؟ قال : بلى .

قال عمر : أو لسنا بالمسلمين ؟ قال :

قال عمر . أليسو بالمشركين ؟ قال : بلى .

قال عمر : فملام نعطى الدنية[1] فى ديننا ؟ . قال أبو بكر : يا عمر إلزم غرزه[2] فإنى أشهد أنه رسول الله . . قال عمر : وأنا أشهد أنه رسول الله .

ثم أتى عمر رسول الله وتحدث معه بمثل ما تحدث به مع أبى بكر والغضب يعلو وجهه . فقال له النبى فى ختام الحديث « أنا عبد الله ورسوله . لن أخالف أمره ولن يضيعنى » . فكان عمر يقول بعد ذلك : مازلت أتصدق وأصوم وأصلى وأعتق مما صنعت يومئذ مخافة كلامى الذى تكلمت به حتى رجوت أن يكون خيراً .

كتاب عهد الحديبية : ودعا رسول الله على بن أبى طالب ليكتب عهد الحديبية وقال له « اكتب : بسم الله الرحمن الرحيم » فقال سهيل : امسك . لا أعرف هذا ولكن اكتب باسمك اللهم . فكتبها علىٌّ .

(١) الذل والأمر الخسيس .
(٢) أى الزم أمره .

ثم قال رسول الله « اكتب : هذا ما صالح عليه محمد رسول الله سهيل بن عمرو » فقال سهيل : لو شهدتُ أنك رسول الله لم أقاتلك . ولكن اكتب اسمك واسم أبيك . فقال رسول الله « اكتب : هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله سُهَيْل بن عمرو . اصطلحا على وضع الحرب عن الناس عشر سنين[١] يأمن فيهن الناس . ويكف بعضهم عن بعض . على أنه من أتى محمداً من قريش بغير إذن وليّه ردّه عليهم . ومن جاء قريشا ممن مع محمد لم يردوه[٢] عليه . وأن بيننا عَيْبة مكفوفة[٣] . وأنه لا إسلال[٤] ولا إغلال . وأنه من يدخل فى عقد قريش وعهدهم دخل فيه » .

القبائل . . وعهد الحديبية : وفى أثناء توقيع العهد قالت خزاعة : نحن فى عقد محمد وعهده . كما قال بنو بكر لرسول الله : نحن فى عقد قريش وعهدهم . وانك ترجع عنا عامك فلا تدخلها علينا بمكة . وأنه إذا كان عام قابل خرجنا عنك فدخلتها بأصحابك فأقمت بها ثلاثا . معك سلاح الراكب السيوف فى القرب لا تدخلها بغيرها .

وما كاد العهد يمر بالتوقيع حتى أقبل أبو جندل بن سهيل بن عمرو على المسلمين وهو يرسف فى الأغلال وطلب أن ينضم إليهم ويسير معهم . فلما رأى سهيل من ابنه ذلك واجهه وأخذ بتلبيبه[٥] ثم قال : يا محمد قد لجت القضية[٦] بينى و بينك قبل أن يأتيك

---

(١) وسنتان فى قول الواقدى .

(٢) كان رأى الرسول صلى الله عليه وسلم فى هذا أن من خرج عن الجماعة الاسلامية مرتدا ولجأ إلى قريش لم يكن خليقا بأن يعود إلى حظيرة الاسلام . ولا جديرا بأن يكون فى عداد المسلمين .

(٣) أصل العيبة : وعاء من جلد يكون فيه المتاع ، ومكفوفة ، عقدت عراها على مافيها وأتممت ، وقد ضرب ذلك مثلا للقلوب التى طويت على ما تعاقد عليه أصحابها .

(٤) السرقة الخفية .

(٥) أى جمع عليه ثوبه عند صدره وقبض عليه بجره .

(٦) تم الحكم .

هذا . قال الرسول « صدقت » فجعل سهيلُ يجمع ثوب ابنه أبى جندل ويجره منه ليرده إلى قريش. بينما الابن يصرخ بأعلى صوته ويقول : يامعشر المسلمين أأرَدُّ إلى المشركين يفتنونى في دينى ؟ ! فكان ذلك يثير نفوس المسلمين . ويزيد من عدم رضاهم عن شروط الحديبية . والتفت الرسول عليه السلام إلى أبى جندل وقال له « يا أبا جندل : اصبر واحتسب فان الله جاعل لك ولمن معك من المستضعفين مخرجا . إنا قد عقدنا بيننا وبين القوم صلحا وأعطيناهم على ذلك وأعطونا عهد الله . وإنا لانغدر بهم » .

وبهذه الكلمات طمأن الرسول أبا جندل . وأكد احترامه للعهد وعدم الاخلال به مهما كانت الأسباب . فوثب عمر بن الخطاب رضى الله عنه مع أبى جندل ومشى إلى جانبه ويقول له : أصبر يا أبا جندل فإنهم المشركون وإنما دم أحدهم دم كلب .

وعاد أبو جندل إلى قريش تنفيذاً لعهد النبى ووعده . وقام سهيلُ عائداً إلى مكة . أما الرسول صلوات الله عليه فقد قام إلى هديه فنحره ثم جلس فحلق رأسه . فلما رأى الناس مافعله تواثبوا ينحرون ويحلقون .

العودة إلى المدينة : فلما فرغ الرسول عليه السلام من أمر الحديبية انصرف عائداً إلى المدينة ليرجع إلى مكة فى العام المقبل تنفيذا للعهد . وبينما هو فى طريقه بين مكة والمدينة أنزل الله تعالى سورة الفتح فتلاها النبى صلى الله عليه وسلم على أصحابه (إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً . ليغفر لك الله ماتقدم من ذنبكِ وما تأخر ويتم نعمته عليك ويهديك صراطا مستقيما . وينصرك الله نصراً عزيزاً) الآيات من ١ ـ٣ : الفتح .

فلما سمع ذلك عمر بن الخطاب قال لرسول الله : أو فتح هو يارسول الله ؟ قال « نعم » قال الصحابة : هذا لك يارسول الله فما لنا ؟ . فأنزل الله تعالى قوله (هو الذى أنزل السكينة فى قلوب المؤمنين ليزدادوا إيماناً مع إيمانهم) الآية ٤ : الفتح .

صدق قول النبى للمسلمين من قريش : الحق أن الحوادث قد أثبتت صدق قول النبى لأبى جندل حين قال له « .. إن الله جاعل لك ولمن معك من المستضعفين مخرجا »

كما أثبتت أن الإسلام أحرز كسباً عظيماً من صلح الحديبية أكثر مما كان يظنه بعض الصحابة . فبعد أن عاد الرسول والمسلمون إلى المدينة جاء أبو نصير – وهو من قريش – إلى النبي مسلماً وينطبق عليه العهد برده إلى قريش لخروجه منها بغير إذن مولاه .

وأرسلت قريش فى طلبه . و بعثت بكتاب مع رجل من بنى عامر ومعه مولى لهم ، قالت فيه للرسول : العهد الذى بيننا و بينك . . فاضطر الرسول صلى الله عليه وسلم أن يبلغ أبا نصير أنه ما زال يحترم العهد ولا يمكن أن يتحلل منه . ونصحه بأن يعود إلى قومه إلى أن يجعل الله له وللمستضعفين مخرجاً . ودفع الرسول أبا نصير إلى الرجلين فخرجا به حتى إذا كانوا بذى الحليفة أخذوا يأكلون من تمر لهم . ثم سأل أبو نصير رسول قريش أن يريه سيفه لأنه جيد . فأعطاه السيف ليشاهده . وما أن تمكنت قبضته من السيف حتى هوى به على هامة العامرى فقتله . أما مولى قريش فقد خرج يعدو ناحية المدينة . حتى إذا رآه النبي قال : « إن هذا رجل قد رأى فزعاً فلما مَثُلَ الرجل بين يديه قال له : قتل صاحبك صاحبي . .

ثم ما لبث أن جاء أبو نصير إلى رسول الله متوشحاً بالسيف وقال : يا رسول الله قد أوفى الله ذمتك . رددتنى إليهم . فأنجانى الله منهم . فقال عليه السلام « ويلُ امِّه ، مسعر حرب لو كان له أحد » .

فلما سمع أبو نصير كلام النبي عرف أنه سيرده إلى قريش . فخرج ناحية سيف البحر وهو طريق قريش إلى الشام .

أبو نصير ورهطه : وعرف أبو جندل ما فعل أبو نصير فلحق به إعجاباً بما قام به من عمل ضد قريش . كما كان كل من يخرج من قريش مسلماً لحق به إعجاباً بعمله . حتى تجمع عنده رهط كبير ممن أسلموا وتركوا دين قريش .

وهناك بدأ عملهم فى قوافل قريش . فما تمر قافلة من طريق سيف البحر الا اعترضوها وقاتلوا رجالها وأخذوا أموالهم . واستغاثت قريش بالنبي . وبعثت إليه تسأله بالله

وبأرحامها أن يؤوى إليه من دخلوا فى الإسلام منها حتى يتركوا طريق تجارتها آمناً . .
وبهذا سقط الشرط الذى تمسك به سهيل بن عمرو : من أن كل من خرج من قريش مسلماً بدون إذن وليّه يرده الرسول إلى قريش مرغماً . وهو الشرط الذى أثار غضب عمر غَيْرة على كرامة الإسلام وعزته .

مكاسب عهد الحديبية : ألا وإن عهد الحديبية قد حقق للمسلمين مكاسب عظيمة جديرة بأن نختم بها حديثنا عنه .

أولها ـ إنه أنشأ علاقة جديدة بين الرسول وقريش . إذ أمِن كل جانب صاحبه مما يضمر له .

ثانيها ـ دخول النبى مكة بعد صلح الحديبية بعام زائراً للبيت . ومعظما لشعائر الله فى ثوب السلام والأمن بعد أن كان الدخول إليها لن يتحقق إلا بعد معركة تراق فيها دماء . ويسقط فى ساحتها شهداء .

ثالثها ـ إن عهد الحديبية كان يمثل أولى الخطوات التى خطاها المسلمون فى عتبة النصر الذى تم بعد ذلك وتحقق فى فتح مكة . .

سعد صادق محمد

العبادة فى الإسلام

العبادة فى نظر الإسلام وسيلة لتطهير النفس والعمل ، والناس إنما هم عباد الله ، وهو خالقهم وسيدهم ، وإليه مصيرهم ، فسمى التوجه منهم إليه بالمناجاة والتعظيم والإذعان ، باسم العبادة

وفى جميع الأديان -- حتى الوثنية — عبادات تختلف فى أشكالها وشرائطها وغاياتها .
فمنها : مايجعل العبادة انقطاعاً عن متع الدنيا وانعزالا عن الحياة ، ومنها : مايشترط

للعبادة أماكن خاصة كالمعابد المخصصة ، فلا تصح العبادة إلا فيها . ومنها ما يجعل العبادة غير صحيحة إلا بقيادة فريق من الناس وهم رجال الدين ، فليس للناس عندهم أن يمارسوا العبادات المفروضة عليهم بأنفسهم وفى أماكنهم دون أن يترأسهم أو يقودهم فيها رجال الدين . وهكذا تختلف الديانات فى معنى العبادة ومراسمها .

أما الإسلام فإن نظريته تقوم على اعتبار أن أساس الحياة الصالحة هو صلاح العقل ، والنفس والعمل ، فقد جعل الإيمان بالله الواحد المتصف بكل كمال ، تطهيراً للعقل الإنسانى من درن الوثنية ، وتحريراً له من خرافياتها التى ترد العقل إلى خيال ، أو خبال . فإن الوثنية انحطاط بالعقل البشرى إلى درك لا يليق بالإنسان . وقد حارب الإسلام الوثنية فى شتى صورها ودرجاتها حتى الخفية التى قد تخفى على فريق من أهل الديانات الذين قد يقيمون عن شبه وثنية وهم لا يوقنون بها . حتى لقد حرم على المسلم أن يقف للصلاة وأمامه قبر . وجعل من حلف بغير الله فى عداد المشركين ، وذلك إبعاداً له عن مواطن الشرك والوثنية .

ولما رأى عمر — رضى الله عنه — أن الناس بدأوا يتبركون بالشجرة التى وقعت تحتها بيعة الصحابة للنبى - صلى الله عليه وسلم - على الموت يوم الحديبية[١] ، خاف - عمر - على عقيدة الناس فقطعها ، وبذلك قطع الإسلام طريق الشبهة التى يتخبط فيها العقل البشرى ، وأخرجه من جو الوهم والخيال إلى محيط الحقائق ، فالعبادة جعلها الإسلام طريقاً مؤدية إلى تطهير القلب والجوارح ، وأقامها على أسس كفيلة بهذا التطهير إذا حسنت ممارستها ، وحوفظ على جوهرها .

والإسلام قد حرر العبادة من الوساطة بين العابد والمعبود ، وجعلها صلة مباشرة بين العبد وربه .

---

(١) هى بيعة الرضوان والتى نزل فيها قوله تعالى : (لقد رضى الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة) الآية — سورة الفتح .

فعلماء الدين ليسوا وسطاء بين العبد وربه ، وليس عن طريقهم قبول العبادة أو رفضها — كما يدعى المتصوفة الوثنيون — بل هم وغيرهم سواء أمام الله تعالى ، وإنما هم مكلفون بتعليم من لا يعلم ، وأن لا يكتموا العلم عن طالبيه ، فهم أكثر مسئولية أمام الله تعالى عن أنفسهم وعن غيرهم ممن لا يعلمون ، فليست لهم سلطة دينية تخولهم إياها الشريعة على غيرهم ، وإنما هم مرشدون ، وأصل هذا قوله تعالى لنبيه الكريم (ليس لك من الأمر شيء) .

وقد حررها[1] أيضاً من قيد المكان ، فكل مكان صالح للتعبد مالم يكن مقابر لموتى أو أصناماً فوق أولياء ! ! ! .

ومفهوم العبادة واسع فى الإسلام ، فليس التعبد فى نظره مقصوراً على الصلوات والأذكار التى يقف فيها الإنسان موقف المناجاة والعبودية مع ربه ، بل جعل كل عمل صالح يصاحبه إخلاص وامتثال لأمر الله وابتغاء لمرضاته عبادة يثاب عليها ثواب المتعبدين .

فالأكل والشرب والنوم والنزهة البريئة وسائر الأعمال الحيوية التى تتطلبها طبيعة الإنسان وله فيها حظ ولذة إذا فعلها بنية دينية بأن ينوى أنه إنما يفعلها امتثالا لأمر الله تعالى فيما أباح له ، وسعياً فى كفاف نفسه بالحلال ، وإعفافها عن الحرام ، تصبح عندئذ بهذه النية الصالحة « عبادة » . فيتقرب الإنسان بها إلى الله زلفى وهو فى بحبوحة حظه ومتعته ، لأنه قد توجه بنيته الصالحة فيها إلى الله تعالى ، وسخرها فى سبيل مرضاته ، فكان فى هذه الحظوظ والمتع فى طاعة وإذعان ، وتوجه إلى الله ، وهذا معنى العبادة .

فالإسلام لا يحرم على الإنسان حظوظه الطبيعية ، وشهواته الغريزية ، بل ولا يجعل زهده فيها وإعراضه عنها أفضل من ممارستها ، وإنما يريد الإسلام الإنسان أن يسلك بهذه

---

(١) أى حرر العبادة .

الحظوظ والمتع سبيلا مباحة ومشروعة، لا تجاوز فيها، ولا عدوان على حقوق الناس، أو على حدود الفضيلة، أو على مصالح المجتمع ! !.

والإسلام له فى هذا التوسيع لمفهوم العبادة نظرات عميقة، فهو يريد من الإنسان. أن يكون قلبه دائم الصلة بربه، غير غافلٍ عنه، كثير المراقبة لنفسه ونزواتها، حتى يجعل دنياه وسيلة لآخرته (وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة) فإذا عرف أن حظوظه وملذاته يمكن أن تصبح عبادات بحسن النية، وطيب الطوية، كان ذلك عليه يسيراً، لأن العبادة الدائمة لا تكلفه — عندئذ — حرمانه من الحظوظ، وشقاوة الحياة، وإنما يكفيه رأس مال لها النية الصالحة، والمراقبة الدقيقة لله عز وجل، كى تجعل هدفه، طاعة الله، وابتغاء لمرضاته، فلا تطغى عليه شهوته فتنسيه ربه، وتدفع به إلى الغرق فى لجة المفاسد، مع كل فاسد.

وإذا كان الإسلام قد وسع معنى العبادة فشمل به سائر الأعمال الحيوية التى تمارس بفكرة الامتثال والانقياد لأمر الله تعالى حتى استباحة المباحات، والتمتع بالطيبات، فليس ذلك بمغن عن القيام بفرائض العبادات، من صيام وصلاة، وحج وزكاة، لأن هذه الفرائض — فى نظر الإسلام — هى المراكز الأساسية الثابتة للاتصال بالله، وإن نية الامتثال فى سائر الأعمال هى من الأمور الباطنة، فلا يتميز بها من يتبع الدين عن سواه، والدين ظاهر يراه الناس وباطن لا يطلع عليه إلا الله، وليس باطناً فقط ! !.

فمن الغرور والعجز، والتضليل بالباطل، مايقوله المتساهلون فى فرائض العبادة : إن الأساس طيب القلب، وصلاح النية والعمل، وليس الدين بالصلاة والصيام، فهؤلاء يسيئون الفهم عمداً منهم وكسلا، وفى طريقتهم هذه بترك الفرائض بهذه الحجج الواهية، هدم لمعالم الدين وحقائقه، فقد يدعى كل جاحد — عندئذ — أنه أعبد العابدين — وهو — فى الحقيقة أجحد الجاحدين، وأكفر الكافرين ! !.

هذا وإن الإسلام بهذا التعميم فى معنى العبادة، إنما يهدف بذلك إلى جعل الدين

والإيمان طريقاً عملياً لإصلاح الحياة البشرية ، ومجابهة الإنسان لمصاعبها بصبر كريم ، وصدر حليم ، وسعى للخير المشترك ، ومكافحة الفساد .

ومن ثم كان الإسلام بهذه المبادىء — محارباً للفلسفة الانهزامية الانعزالية ، التى سماها العلماء بالنسك الأعجمى ، وهو النسك الخاطىء الذى يقوم على التزمُّت ، واجتناب وسائل الحياة ، واعتزال العمل ، وتهدل القوى ، فذلك ليس من الإسلام فى شىء ، بل هو انهزام فى معترك الحياة التى تحتاج إلى القوة والغنى ؛ والعمل فى ذلك المعترك الذى يجب فيه حسن التوجيه ، حتى تصرف هذه القوى فى الخير العام . وهذا ماتكفل به الإسلام فى أسلوب « العبادة » التى تضمن هذا التوجيه بقدر الإمكان .

وقد روى عن عائشة — رضى الله عنها — أنها رأت رجلا خافتاً متماوتاً منحنيًا من الضعف ، والناس ترمقه ، فسألت : ماشأنه ؟ قالوا : هذا زاهد ، فاستنكرت عائشة هذا النوع من الزهد وقالت : « كان عمر بن الخطاب أزهد الناس ، وكان إذا قال أسمع ، وإذا مشى أسرع ، وإذا ضرب أوجع » .

أين هذا من الصوفية وضلالها ، والمتصوفين وإفكهم ! ! . نضرع إلى الله أن يطهر المجتمع الانسانى من مبتدعات المتصوفين وضلالهم ، حتى ترتفع راية التوحيد خفاقة فى العالمين .

السيد عبد الحليم ملاقى
إمام وخطيب — مسجد ابن عنان — بتل جوين شرقية

العدل أولا

كتب أحد الولاة إلى الخليفة عمر بن عبد العزيز يطلب منه مالا يعينه على بناء سور حول عاصمة الولاية ، فأجابه عمر بن عبد العزيز : وماذا تنفع الأسوار ؟ حصِّنها بالعدل ، ونقِّ طرقها من الظلم .

باب الكتب

عندما توحى الليالى

شعر الأديب الأستاذ مصطفى بهجت بدوى[1]

بقلم الأديب سعد صادق محمد

تفضل الأديب الكبير الاستاذ مصطفى بهجت بدوى فأهدى إلينا ديوانه الجديد « عندما توحى الليالى » وهو ديوان مطبوع طبعة أنيقة فريدة فى نوعها . ويقع فى ١٠٤ صفحة من الحجم المتوسط .

والديوان عبارة عن عدة قصائد نظمها شاعرنا الأديب فى سنوات مختلفة . وتناول فى كل قصيدة منها حدثا من الأحداث التى كانت تمر به والتى تفاعلت معها نفسه . وتأثر بها وجدانه وحسه . وهى أحداث مختلفة دولية ، أو وطنيه ، أو اجتماعية . غير أنك تجد فى كل منها الصدق فى التعبير فى عبارة جزلة تعتمد على المعنى الدقيق واللفظ الرشيق والصورة البارعة ، وتوحى لك بأن شاعرنا الكريم يملك ناصية البيان .

---

(١) الأستاذ الكبير مصطفى معروف جدا لإخواننا أنصار السنة فى الأسكندرية فقد تربى معهم فى فجر شبابه تربية إسلامية صحيحة ظهر أثرها جليا فى أخلاقه وسلوكه وعمله . وليس أدل على ذلك من كلمة حق قالها الأستاذ موسى صبرى فى يوميات الأخبار فى مايو عام ١٩٦٣ وهو يتحدث عن ديوانه حيث قال : عندما تحين الساعة الموعودة . واقف فى رحاب الله لاعترف بفضله سأقول : اننى خرجت من حياتى بعدد من الأصدقاء الاوفياء الممتازين . أضع فى صفهم الأول الأخ الفاضل مصطفى بهجت بدوى .. إلى أن يقول : .. فهو رمز نادر صادف حياتى للخلق القويم . وأمانة الضمير . ووفاء القلب الطاهر » وليس أدل على هذا من وفائه العظيم لأستاذه الشيخ إسماعيل السمكرى أحد أجلاء إخواننا فى الأسكندرية . رحمه الله .

ويستهل الشاعر الديوان بقصيدة اهداء يبين فيها أحاسيسه نحو شعره فيقول :

نظمت روحى وأفكارى وتبيانى في طاقة سمّها - إن شئت - ديوانى

وما تكلفتُ إلا فى طباعته ولا تكلف فى طبعى ووجدانى

لو لم يكُ الشعرُ قبلى كنت أنظمه فما أحاكى بشعرى أىّ إنسان

وإنك لتلمح فى قصائده الإنسانية البارة المؤمنة المحبة للخير العطوف التى تشعر أنها جزء من كل . وتتجلى إنسانيته هذه فى بنوته ، فى أخوته ، فى صداقته ، فى أبوته التى تفيض رقة وبرا ومحبة . اسمع إليه يخاطب ابنته « ناجية » :

وقفت إلى مهدِك المستطاب وأنت بفردوسه غافيه

أطيل الوقوف ، ولست أمل وإن كنت أستبدل الزاويه

ثم يقول :

وكم تأمرين ، فأصغى إليك وتعرض عن أمرى اللاهيه

ثم يقول :

همومى ترهقنى بالنهار وإن عدت تبعدها ناجيه

أحن إلى قلبه من لماها حنينى إلى نعمة العافيه

إن فى كلمة . . فردوس ، وحدها فى البيت الأول دليلا قويا على مدى الحب العميق الرقيق الذى تمتاز به هذه الأبوة . وتأمل هذه الصورة الرائعة التى تبدو فى التشبيه الرائع فى البيت الأخير .

وتجيش بقلبه الكبير عاطفة البنوة البارة ، وهو يزور قبر أمه ، فينظم هذه القصيدة الرائعة بعنوان « مدينة للعظات » ومنها :

أمى . . وهل مثلُ أمى قلب يبارك عمرى ؟

العطف أصدق عطف والصدر أرحب صدرِ

والنور أطهر نور والبرُّ أكرم برِّ

ثم لا يفوت حسه الرقيق المؤمن أن يستلهم العظة والعبرة وهو فى زيارته لقبر أمه الغالية، فيقول :

مـــدينة للقبـــور وللفنـــاء المـــرير
أسعى إليهــــا وئيدا مفـكرا فى مصــيرى
هنـــا ختـــام الأمانى هنـــا حطام العصور
هنـــا الحقيقة ولى عنهـــا متـــاع الغرور

بوارق الإيمان تلمع من هذه الأبيات التى تفيض بالعبرة والخشيه ! !

ويتجلى بر البنوة الصادق فى رثائه الشجى لوالده، فيقول فى قصيدة له بعنوان «أبى» :

أبٌ سمح رعانى .. كم رعانى بلغت الأربعين وكنت طفلَهْ
أراه فتشرق الدنيا بقلبى شموسا نيرات كن ظله
ويسحر مسمعى ... أصغى إليه ويسحره ... وهم يروون فضله

ونلاحظ فى هذه القصيدة أن الشاعر كان محبا لوالده الجليل أيما حب .

وأى قصائد تسمو إليه ولو صيغت محلقة روائع ؟

ولا يخفى شاعرنا عواطفه نحو أحد اصدقائه . فتراه يغضب لنائب كتب مقالا اعتبر عيبا فى الذات الملكية ويسجن من اجله . فيسجل الشاعر غضبته فى قصيدة بعنوان « فى الذات الملكية » يقول فيها فى شجاعة أدبية .

غضب القوم فاتئد فى نضالك واطرح النيل يا أخى عن خصالك
واكتم الحق كى تضج الاباطيل تباهى بعرشها والممالك
إن أساءوا فقل أصابوا وطابوا وبع النور بالظلام الحالك

وفى أبياته هذه من التهكم المرير والسخرية اللاذعة بالملك وأعوانه ما فيها، ولاسيما فى البيت الأخير. ثم نرى الشاعر يساهم مع ابناء وطنه فى معركة التحرير بتنظيم القصائد

الوطنية ليحمس الشباب المدافع عن بلاده ضد المحتل . فيسجل كفاحه . ويكتب قصيدة إلى صديق له متطوع بعنوان « خذنى معك » يقول فيها .

تطوعت ياصاح ما أشجعك وأوفى هواك . . . وما أروعك !

ويتجاوب الشاعر مع أبناء وطنه فى الفرحة الكبرى باتفاقية الجلاء فيكتب قصيدة بعنوان « أعظمها شأنا » يعبر فيها عن مشاعره نحوها فيقول :

وحريةٍ نلنا بها خـــير ما نلنا وقد صادفت أهلا يصونونها صونا

وحرية حزنا بها المجد خالصا فأنعم به مبنى . . وأكرم به معنى

ألا لم تجىء عفوا وإن طال بينُها وما كان عدلا بينها ذلك البينا

وظلت جيوش الغاصبين بدارنا سنين ولـكن لم تذق بيننا أمنا

فاذا ما وقع العدوان الثلاثى على مصر عام ١٩٥٦ بعد اتفاقية الجلاء ينظم الشاعر قصيدة من وحى معركة القنال[١] بعنوان « فى المعركة » يقول فيها .

طائرات الأعداء فوق سمائه ومصير الأعداء تحت حذائه

طائرات كم تقذف النار لـكن أشعلته حماســة فى عدائه

ثم يخاطب شعب بور سعيد فى هذه القصيدة بقوله :

إيه يا شعب « بور سعيد » سلاما يا حمى النيل يا أعز لوائه

أنت أدبت «مجرم الحرب» فاهتز وحطمت مدعى كبريائه

أنت قاومت باسلا عصبة الشر وأسطوله وهول اعتدائه

وفى قصيدة بعنوان « تاريخ ملك » يتحدث الشاعر عن أيام فاروق وما كان يسودها من ظلام وفساد . ثم يصور الشاعر أحاسيسه ومشاعر البشر ومخاوفهم وحيرتهم من القنبلة الذرية فيقول فى قصيدة بعنوان « أيد غير مأمونة » .

---

(١) سبق أن أصدر الأستاذ الشاعر ملحمة عن معركة القنال عام ١٩٥٨ بعنوان « القناة والمعركة وأخى »

ألا يا فتنـــة الذره ... تركت الـكون فى حيره
فأنت المول بين الصحف ... أنت السيرة المســره

وبعد : فهذه مختارات قليلة من القصائد التى حواها ديوان الأستاذ مصطفى بهجت بدوى . وعرض لنا فيها ما أوحت به الليالى . فنال التوفيق والإعجاب . ولـكننا لاحظنا أن الديوان قد خلا من قصيدة عن الشيخ اسماعيل السيد اسماعيل ـ رحمه الله ـ الذى صحبه الشاعر فترة طويلة من الزمن فى محيط جماعة انصار السنة بالإسكندرية وتأثر به كثيرا .

ومع أنه رثاه فى كلمة له نشرت بالمساء فى مطلع عام ١٩٥٩ بعنوان « رائدى الذى رحل » إلا أننا كنا نحب أن يكتب عنه شيئا منظوما . . غير أن الوفاء والعرفان بالجميل اللذين يحفظهما الشاعر لمرشده جعلاه يذكره فى كلمة التصدير فى هذا الديوان بقوله : إلى استاذى الشيخ اسماعيل السيد اسماعيل الذى أكرمنى الله به فى مطلع شبابى فعلمنى من آيات الدين الهادية ما أرجو أن أحتفظ به وأعمل حتى آخر عمرى .

« الهدى النبوى » : كنا نود أن نفسح المجال أكثر عن هذا الديوان الشعرى القيم لنـكشف عن أمرين . أعظمها بالتقدير والإجلال هذه الروح المؤمنة الخاشعة التى تسيطر على الديوان فى ألفاظه وعباراته وصوره وأخيلته ، فلا تجد لفظا يخدش حياء ، أو يغمز فضيلة ، أو ينال من نسك دينى أو شعيرة كما يفعل الـكثير من الشعراء ، والشاعر الـكبير تحس أنه لا يتكلف هذا ، لأنه يصدر عن روح مؤمنة تستحوذ على قلبه وقلمه . ثم هو لا يجنح إلى مبالغة ، ولا تهويل ، وإنما هو يلتزم الصدق فى التعبير عن مشاعره وواقع دنياه .

الأمر الآخر : الأصالة التى برز عنها هذا الديوان ، فلا ترى تقليداً فى تعبير أو تصوير .

كنا نود ذلك ، ولـكن لصحيفتنا عذرها ، وأخونا الـكبير خير من يتلمس العذر . وننتهز هذه المناسبة لنقدم الشكر العظيم للأخ الـكبير على مانوه به فى صحيفة الجمهورية بتاريخ ١٠ / ٦ / ١٩٦٣ فى يوميات « كتاب التحرير » من تاريخ إمامنا الراحل العظيم الشيخ محمد حامد الفقى رحمه الله . وهو صنيع سنظل نشكر الأخ الـكبير عليه .

أبو الوفاء

أستاذى الجليل العالم العامل :

هذا رثائى خذه من كبدى ومن قلبي ومن شعورى ووجدانى جزاء ما قدمت من عمل طيب للدين والدنيا . والله لا يضيع أجر من أحسن عملا .

* * *

فقيدَ العلم قد وجب الرثاء   وحق على بنى الوطن البكاء
فما للموت طبٌ أو دواء   فإن حُمَّ القضا انقطع الرجاء

* * *

بكاك العلم والدين الحنيف   ويبكى بالدم الرجل الشريف
هوى حصن من التقوى منيف   وركن العلم هدَّمه القضاء

* * *

أصابك من يد الأقدار سهم   وأمر الله لم يدركه فهم
فلم تجزع ، وكيف يراع شهم   يشوّقه إلى الله اللقاء

* * *

وحين رحلت أدميت القلوبا   وأوشكت الجوانح أن تذوبا
ولم يطفِ البكاء بها لهيبا   ولا أجدى التجلُّد والعزاء

* * *

يمر العمر كالبرق السريع   وما للموت من واقٍ شفيع
تساوى الشيخ بالطفل الرضيع   وإن كليهما فيه سواء

* * *

إمامٌ ودَّع الدنيا وداعا   ويعلم أنها كانت متاعا
فلما أن دعا الداعى أطاعا   ولبّى ، لم يروعه الفداء

* * *

نكأت «لمسجدالله»[1] الجراحا   وجلّله الأسى ساحاً فساحا
وقد قلبت مواعظه نواحا   وفى رمس الثرى حل الوفاء

---

(١) المسجد الذى أقامه بسوهاج وأطلق عليه «مسجد الله»

يعزُّ على المساجد أن تصابا وتفجع فى الذى رفع الشبابا
ترسَّم بالهدى نهجاً صوابا له كالسيف فى الهيجا قضاء

* * *

طوت أيدى المنون لها سجلا أقاد وغَيبت بدراً مطلا
طوت أستاذها الشيخ الأجلا فمال عمادها وخبا الضياء

* * *

تحجب ليثها وخلا العرين وطاح به قضاء لا يلين
غراس يديك طال بها الحنين إليك وأنت طال بك الثواء

* * *

فقيدَ العلم إن بنا حنينا وما جاوزت يوماً أو مئينا
فكيف إذا النوى صارت سنينا فراق الموت ليس له انتهاء

* * *

جنحت إلى الهدوء ببطن لحد كسيف مغمد فى جوف غمد
وملت إلى السكون بدار خلد ولم يعجبك فى الدنيا البقاء

* * *

رحلت يحفُّ بالنعش الجلال وتغمره من المولى ظلال
على الأعناق تحمله رجال كرامٌ آل فضلٍ أتقياء

* * *

كرامٌ شيعوا شيخاً كريماً وواروا فى التراب أباً رحيما
ومن يعظم يعش ويمت عظيما يعطر ذكر سيرته الثناء

* * *

نشأت على الهداية والصلاح وعشت تسير فى سبل النجاح
شعارك كان حىَّ على الفلاح كما انتهج التقاة الأولياء

* * *

غذوت العلم من عقلٍ سليم وجدت عليه بالفضل العميم
ومرت على صراطٍ مستقيم قويم النهج ما فيه التواء

* * *

غراسك أينعت ودنا جناها وأورق ظلها ومرى شذاها

إذ الآجال قد بلغت مداها من الساعات عاجلها الفناء

* * *

مصابك لا يقاس به مصاب ورزؤك دونه يعيي الجواب
أبعد المنبر العالي تراب ؟ تعالى الله يفعل ما يشاء

* * *

أأبكي الحلم فيك أم الصلاحا وأبكي الفضل أم أبكي السماحا
وأبكي العلم أم أبكي الفلاحا ودمع العين أفناه البكاء

* * *

تقيٌّ كنت للفُتيا أميناً مجيباً ناصحاً دنيا ودينا
بكاك الدين منتحباً حزينا وناح على فضائلك الولاء

* * *

حياة كلها تقوى وبرٌّ وتسبيح لمولاه وشكر
وعند الله للأبرار أجر وحسب أولى النهى منه الرضاء

الجيزه نجاتي عبد الرحمن

(الهدى النبوى) ووردت قصيدة أخرى من الأستاذ محمد عبد الكريم أحمد بالاسكندرية فى رثاء فقيدنا العزيز الأستاذ الشيخ أبى الوفاء محمد درويش قد ننشر أبياتاً منها فى عدد قادم إن شاء الله كما وردت كلمة من الأخ الأستاذ محمد على حسين باشكاتب المساحة ببلبيس يبدى فيها تأثره العميق بموت فقيد الإسلام ويذكرنا بالأستاذين فضيلة الرائد الأول للجماعة محمد حامد الفقى والأستاذ محمد صادق عرنوس وجهاد الثلاثة رحمهم الله فى سبيل نشر دعوة التوحيد بالخطابة وبالكتابة . ونسأل الله أن يجزيهم خير الجزاء ، وأن يغفر لنا ولهم . كما وردت تعازى من الإخوان : مكى أحمد جرفى من بلانه ببلاد النوبة ، وأنور عبده داود وعثمان الحاج ومحمد طه مندول بوادى حلفا ، وجماعة أنصار السنة المحمدية بالنهود سودان ، والأستاذ محمد زكى بالمحلة الكبرى ومحمد عبد الظاهر بالدكة ببلاد النوبة ومن الاستاذ عبد الرحمن دهب بالسوكى ـ سودان . وكلها تعبر عن الحزن والأسى لفقد هذا الركن الشديد من أركان دعوة التوحيد . ونسأل الله أن يتغمد فقيدنا برحمته الواسعة ، وينزله منازل الأبرار فى جنات النعيم .

باب الفتاوى

السؤال

نرجو إفادتنا مشكورين عن حكم الشرع الإسلامى الحنيف فى رجل طلق امرأته مكرهاً وتحت ضغط فى يوم ١٥ مارس سنة ١٩٦٣ طلقة أولى رجعية ، ثم طلقة ثانية فى ١٨ إبريل سنة ١٩٦٣ ، ثم طلقها طلقة ثالثة بعد يومين من هذا التاريخ أى فى يوم ٢٠ إبريل سنة ١٩٦٣ . ولا نعلم إذا كانت هذه الطلقات وقعت منه فى طهر أم فى حيض .

فنرجو التكرم بإفادتنا عن مشروعية هذا الطلاق من عدمه .

الجواب

١ — أخرج البخارى فى ترجمة باب : « كل طلاق جائز إلا طلاق المعتوه والمكره »

٢ — وأخرج البخارى أيضاً فى ترجمة باب آخر : « ليس لمستكره أو مجنون طلاق »

٣ — وروى الترمذى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « كل طلاق جائز إلا طلاق المعتوه والمغلوب على أمره » .

٤ — وروى البخارى ومسلم أن ابن عمر رضى الله عنهما طلق امرأته وهى حائض ، فذكر ذلك عمر لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فتغيظ رسول الله ثم قال : « ليراجعها ، ثم يمسكها حتى تطهر ، ثم تحيض فتطهر ، فإن بدا له أن يطلقها فليطلقها قبل أن يمسها ، فتلك العدة كما أمر الله عز وجل » ويشير بذلك إلى قوله تعالى : (يا أيها النبى إذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن وأحصوا العدة) .

ونقول إنه يستفاد من النصوص الثلاثة الأولى أن طلاق هذا السائل لايعتد به ولا يقع منه شىء مطلقاً لأنه كان مكرهاً مغلوباً على أمره ، ويستفاد من النص الرابع أنه على فرض أنه لم يكن مكرهاً ولا مضغوطا عليه ، فإنه يمكن أن تحسب الطلقة الأولى واعتبارها وقعت فى طهر لم يمسها ويمكن أيضاً أن تحسب الطلقة الثانية لأن الفترة من ١٥ مارس إلى ١٨ إبريل تكفى لأن تحيض المرأة وتطهر فيها ، أما الطلقة الثالثة فلا يمكن احتسابها بأى حال من الأحوال لأن اليومين من ١٨ إلى ٢٠ إبريل لا يمكن أبداً أن يتم فيهما مراجعة ثم حيض ثم طهارة ، وللرجل فى هذه الحالة أن يراجع زوجته ، وتبقى معه على تطليقة واحدة باقية . والله أعلم .

أخبار الجماعة

تضامن أخوى رائع

أقام فرع جماعة أنصار السنة بطنطا حفلا بمناسبة ذكرى الهجرة فى يوم الأحد السابع عشر من المحرم سنة ١٣٨٣ ، وقد أرسلت الدعوة إلى فرع الجماعة بالمحلة الكبرى فحضر منهم وفد كبير يتقدمهم فضيلة الشيخ أبى سالم واعظ المحلة ، كما حضر فضيلة الداعية الكبير الشيخ إبراهيم شعبان على رأس وفد من كفر أبى حجازى ، وما أن حل موعد الحفل حتى كان السرادق قد غص بالمستمعين ، وابتدىء الحفل بتلاوة آيات من كتاب الله ، ثم أعطيت الكلمة لفضيلة الشيخ إبراهيم شعبان الذى عبر عن مشاعره وأحاسيسه نحو دعوة الحق ، وعاهد الله على أن يظل وفيًا لمبادئها التى تستمد من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، ثم قام الأستاذ عبد الفتاح سلامه وكيل الجماعة بطنطا فبين سمو دعوة أنصار السنة عن العصبيات والأشخاص ، وأنها لا تعرف إلا زعيما واحداً هو رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم أفاض فى الحديث عن الهجرة وناقش بعض الروايات التى تجرى على الألسنة ودعا إلى الأخذ بالصحيح منها ففيه كفاية وغنية ، ثم تلاه فضيلة واعظ المحلة فأفاض فى الحديث عن تمجيد الإسلام للعمل وأنه الدين الذى يتمشى مع واقع الحياة فيعطى للروح حقها وللجسد حقه وتنتظم شئون الدين والدنيا . ثم قام فضيلة رئيس الجماعة الأستاذ الدكتور محمد خليل هراس فاستخلص العبرة من حديث الهجرة وبين مايجب أن يكون عليه الدعوة إلى الحق من التفانى فى نصرته والصبر على مايصيبهم فى سبيله . ثم ختم الحفل كما ابتدىء بتلاوة القرآن الكريم ، وقد ودع الفرع ضيوفه الكرام بمثل مااستقبلهم به من الحفاوة ، وقد التقت القلوب المؤمنة على موائد المحبة والإخلاص ، وقد طلب فرع المحلة من الرئيس زيارتهم لإلقاء محاضرة بالفرع فوعد بذلك .

٣ - قضية المرأة

كان الكلام فيما كتبناه من قبل فى (الهدى النبوى) تحت عنوان : قضية المرأة كالمقدمة والتمهيد لما سنشرع فيه من الحديث فى هذه المسألة التى جعلها الناس همهم الأكبر فى أيامنا هذه . حتى كاد ينسيهم ماهية المرأة ولم خلقت ؟ وهل هى أصل أو فرع أو متبوع أو تابع ؟ وهذا ما سنلم به فى هذا المقال والله المستعان .

المرأة خلقت للرجل :

إن الذى سلمت فطرته من الناس ، وسلم من الانتكاس والارتكاس ، يعلم يقينا أن المرأة لم تخلق إلا للرجل ، ولم تخلق مساوية له ، لا فى تكوينها الجسمى ولا العقلى ولا النفسى . يشهد لذلك أولا أصدق الشهود : كتاب الله الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه . ويشهد لذلك ثانيا ، سنة النبى صلى الله عليه وسلم التى هى خير الهدى . ويشهدى لذلك ثالثا . فطرة المرأة . وفطرة الرجل . ويشهد لذلك رابعا . الاستقراء والنظر فى أحوال المجتمعات ووضع المرأة فيها .

شهادة القرآن :

ويقول سبحانه (ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة) ، المخاطبون هنا جنس الذكر بدليل الآية الأخرى (هو الذى خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن إليها) فالنفس الواحدة التى خلق منها الناس هى نفس آدم ، وخلق من هذه النفس زوج لها ، وعلل الله سبب الخلق بأنه للسكون كما فى الآية الأولى . فكما أمتن الله على الناس بالخلق الكثير الذى خلقها لهم و بتسخير ما فى السموات والأرض لهم . امتن عليهم كذلك بخلق المرأة . ولا نفهم من ذلك إلا أن

المرأة نعمة أنعم الله بها عليه . ويشهد لذلك قول الله سبحانه . (زُيِّن للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيـل المسوَّمة والأنعام والحرث) إلخ الآية . فوضع الله سبحانه فى هذه الآيه المرأة فى وضعها الذى ينبغى أن تـكون عليه .

ويشهد القرآن أيضا . أن خطاب الله للملائـكة أن يسجدوا لآدم لم يرد فيه على كثرته فى التنزيل ذكر النوع الآخر . وتعليم الله أسماء كل شىء إنما كان لآدم . وسجود الملائكة إنما كان لآدم . وقيام الخصومة من إبليس إنما كانت لآدم . كل هذا يفهم منه أن المرأة ليست إلا ظلا للرجل ينبغى أن يكون مكانها الطبيعى البيت وأن تكون رعية للرجل تنجب له الذرية ، ويسكن إليها من اضطرابه فى الحياة وضربه فى الأرض . فإذا شاء الذين انسلخوا من فطرة الله المستقيمة أن يعطوا المرأة وظيفة الرجل ، وأن يعطوا الرجل وظيفة المرأة . فهم الذين كفروا بربهم وبتدبيره وحكمه . وأولئك الأغلال فى أعناقهم .

ومثلهم كمثل الذى جعل قيادته بيد دابته . وقد جعل الله الرجال قوامين على النسـاء .

ويشهد القرآن أيضا . أن الله لم يختر امرأة رسولا ولا نبيا . ولا حاكما . ولا قاضيا . بل وصفها بأنها تضل ، أى صاحبة هوى . فأضاف إليها غيرها فى الشهادة حتى تصح شهادتها[1] . وقص علينا من خبرها حين كانت ملـكة أنها كانت مثلا فى الضعف والهوان . فلم تلبث حين جاءها النـذير أن استسلمت ، وسعت بقدميها إلى الفاتح ، من غير أن يشهر فى وجهها سلاح ولا يجاب عليها بخيل ولا رجل .

بل ورد فى كتاب الله ما يشعر ضمنا أن المرأة لا تصلح فى ما لم تخلق له . يقول الله سبحانه عن جنس المرأة مخبراً عن طبيعتها (أَوَمن يُنَشَّؤُ فى الحلية وهو فى الخصام غير مبين) معناه كيف تـكون الأنثى وهى التى لا ترى لنفسها كمالاً إلا بالحلية والزينة ،

---

(١) إشارة إلى قوله تعالى (واستشهدو شهيدين من رجالـكم فإن لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان ممن ترضون من الشهداء أن تضل إحداهما فتذكر إحداهما الآخرى) الآيه من سورة البقرة .

وتعيش عمرها كله فى تزيين نفسها ، لأنها تحس فى قرارة نفسها أنها تشعر بالنقص دائما . كيف يتأتى لها أن تكون خصما بينا فى خصومته ، والبيان فى الخصومة لا يكون إلا نتيجة للقوة وهى ضعيفة حساً ومعنى . وإذا كانت ضعيفة فى بيان خصومتها فهى بالأولى تكون ضعيفة فى إدارتها أو تكون مشغولة عن إدارتها بزينتها . ونعلم وغيرنا يعلم أن المدرسة أو الكاتبة أو أية امرأة تصنف شعرها وتنظر فى المرآة وتتأمل فى هندامها ، وهى فى العمل ، أكثر مما تصفف ورقها إن كانت كاتبة ، أو تنظر فى نقدها إن كانت صرافة ، أو تعنى بتلاميذها إن كانت مدرسة . ولا لوم عليها فى ذلك أبداً . فأحوالها هذه إنما تصدر عن طبيعتها . ولكن اللوم على أولئك الذين نهجوا لها هذا المنهج ، وسلكوا بها هذا المسلك . فوزعوها بين واجب فطرتها وواجب آخر فرضوه عليها ، إما عمداً وإما من تفريطهم وإفراطهم وجهلهم .

إن من الخير للناس أن يستعملوا ما خلق الله لهم على الوجه الذى أراده لهم هو ، لأنه أعلم بمصلحة عباده ونرى فى حياتنا هذه أمثلة لهذا المعنى كثيرة : تجيئنا الآلة من بلاد أوروبا أو غيرها ويجىء معها الذى صنعها أو من ينوب عنه . فنتعلم منه كيف نستخدم هذه الآلة وكيف نتتج ، وكيف نصلحها إذا فسدت . فلو أننا خالفنا عن أمره وتصرفنا فى استخدامها تصرفنا على عكس ما علمناه من صانعها . فلن نجنى إلا الخسران . وما ظلمنا الصانع ولكن ظلمنا أنفسنا ، حين لم نتبع ما فيه مصلحتنا وفى مثل مسألة المرأة التى خلقها الله لنا لتكون سكنا لنا ، أبينا أن نطيع أمر الله فيها . فلم ننتفع بها ولم تعد سكنا لزوجها ولا لأولادها ، وإنما صارت على عكس ما أريد منها . ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم .

عبد الحافظ فرغلى

زيارة

قام فضيلة الرئيس العام الأستاذ عبد الرحمن الوكيل ، والأستاذ رشاد الشافعى المراقب العام ، بزيارة فرع الجماعة بسوهاج ، وذلك لمواساة أنصار السنة وأسرة فضيلة الشيخ أبى الوفاء محمد درويش ـ رحمه الله ـ وقد وعد الأستاذ رشاد الشافعى بكتابة مقال تفصيلى عن هذه الزيارة فى العدد القادم ، إن شاء الله .

العدد ٣ ربيع الأول
المجلد ٢٨ سنة ١٣٨٣

خير الهدى هدى محمد صلى الله عليه وسلم

الهدى النبوي

تصدرها جماعة أنصار السنة المحمدية

رئيس التحرير
عبد الرحمن الوكيل

مدير الإدارة
سليمان حسونه

مطبعة السنة المحمدية
١٧ شارع شريف باشا الكبير
ت ٩٠٦٠١٧

٣٠ مليما

الفهرس

صفحة		
٣	التفسير . . .	لفضيلة للأستاذ الشيخ عبد الرحمن الوكيل
١٢	عقيدة القرآن والسنة « « «	محمد خليل هراس
١٥	نظرات فى التصوف « « «	عبد الرحمن الوكيل
٢٢	دائرة معارف وحدى . . . . «	عبد الحافظ فرغلى
٢٤	خطبة منبرية . . . . «	سليمان رشاد محمد
٣١	حول منهج فى تفسير الإسلام «	محمد المفتى الجزايرلى
٣٦	تعليقات على الصحف . . . . «	سعد صادق محمد
٤٤	الفتاوى . . . . «	سليمان رشاد محمد
٤٨	بدعة مولد الحسين . . . . «	رجب صابر احمد
٥١	أخبار الجماعة	. . . .

مدير المجلة

نلفت نظر السادة القراء والمشتركين والمتعهدين بتوزيع (الهدى النبوى) ووكلائها إلى أنه قد تقرر إسناد إدارة المجلة إلى الأخ السيد / سليمان حسونه . كما أسندت أمانة صندوق الجماعة إلى الأخ السيد / محمد رشدى خليل . كما هو منشور فى غير هذا المكان من هذا العدد .

والمرجو إرسال جميع الحوالات وقيم الإشتراكات والذممات المتأخرة لدى المتعهدين بإسم السيد / سليمان حسونه . مدير المجلة . ولهم شكرنا ؟

خير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم

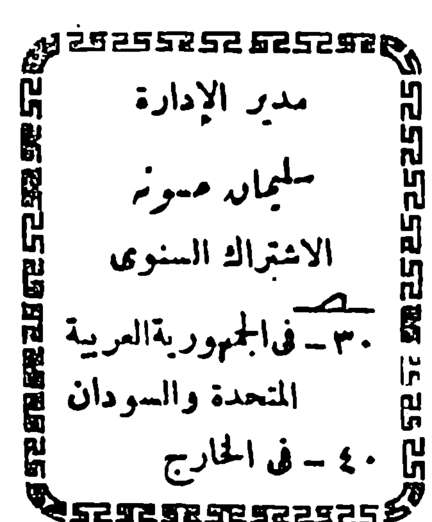
الهدى النبوي

مجلة شهرية دينية

تصدرها جماعة أنصار السنة المحمدية

رئيس التحرير
عبد الرحمن الوكيل

أصحاب الامتياز : ورثة
الشيخ محمد حامد الفقي



المركز العام : ٨ شارع قوله — عابدين القاهرة — تليفون ٧٦٥٧٦

العدد ٣ | ربيع الأول سنة ١٣٨٣ | المجلد ٢٨

نور من القرآن

بسم الله الرحمن الرحيم

قال – جل ذكره – ﴿ وَوُضِعَ الكِتَابُ ، فَتَرَى المُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ ، وَيَقُولُونَ : يَا وَيْلَتَنَا مَا لِهَذَا الكِتَابِ لا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلاَ كَبِيرَةً إِلاَّ أَحْصَاهَا ؟ ! ، وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا ، ولا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴾ – الكهف : ٤٩ .

« معانى المفردات »

« المجرمين » : أصل الجرم قطع الثمرة عن الشجر . والجرم والجريمة الذنب ؛ لأنه كسب ، والكسب اقتطاع .

« مُشْفِقِين » : قال الراغب : الإشفاق عناية مختلطة بخوف ؛ لأن المشفق يحب المشفق عليه ، ويخاف ما يلحقه . فإذا عدِّى بمِنْ فمعنى الخوف فيه أظهر ، وإذا عدى بعلى ، فمعنى العناية فيه أظهر .

« يا ويلتنا » : قال ابن الأثير فى النهاية : الويل الحزن والهلاك والمشقة من العذاب ، وكل من وقع فى هلكة دعا بالويل ومعنى النداء فيه : يا حزنى ويا هلاكى ويا عذابى أحضر ، فهذا وقتك وأوانك ، فكأنه نادى الويل أن يحضره لما عرض له من الأمر . . وقد يرد الويل بمعنى التعجب .

« أحصاها » : قال الراغب : الإحصاء : التحصيل بالعدد . قال الله تعالى ﴿ وأحصى كل شىء عدداً ﴾ حصّله ، وأحاط به .

المعنى

هدانا ربنا ـ سبحانه ـ إلى أننا سنعرض عليه فرادى يوم القيامة . والمؤمن بقدرة الله ، وجلاله وسعة ملكوته ، يؤمن بهذا العرض دون أن يحمله الجهل بكيفيته على الكفر به ، أو الارتياب فى شأنه ، أو تحمله مُفتَرَضات العقل البشرى ، وما يبتدعه من مُسْتَلزَمات على ذلك[1] ، إذ لا يجوز للعقل أن يحكم على الله بما يحكم به على قدرة البشر ، أو يظن فى الله ظنّه فى البشر ؛ فليس من قُوى البشرية ، أو قُدرها كلمة كُنْ ، وليس من مقدوراتها ، ولا من عزة قهرها أن يكون ما تقول له : كن .

ثم يهدينا الله سبحانه وتعالى إلى بعض ما سيكون بعد هذا فى يوم القيامة .

أولاً : وَضع الكتاب :

وأى كتاب ؟ .

إنه الكتاب الذى سجل فيه كل صغيرة أو كبيرة فعلها الإنسان فى دنياه : وأقول إنه هو هذا اهتداء بما جاء فى آيات أُخَر سأذكرك بها إن شاء الله .

ولقد أُفرد الكتاب ، ولم يجىء جمعا ، لأنه يُراد به جنس الكتاب ، ولم تذكر

(١) فيقول كيف نعرض ونحن ألوف ألوف ألوف ، والعرض يستلزم تحديدا لله ومواجهة ومكانا ، وغير ذلك ، ويجعل مثل هذه الأمور حائلا بينه وبين الإيمان بخبر الله ، أو يتخذ منها وسيلة للتأويل ، وتجد تأويله شراً من صريح الكفر .

الآية مَنْ سيضع الكتاب ، لأنه معلوم معروف لا يحتاج أبداً أن يُصرَّح باسمه ؛ لأنه لا يملك هذا اليوم سوى واحد . إنه رب العالمين .

متى يوضع الكتاب ؟ : إن الكتاب من الغيب ووضعه من الغيب ، ولهذا لا يجوز لامرىء أن يقتحم قدس الغيب ورجومها وإنما له ـ فحسب ـ أن يذكر ما ذكر الله . يقول ربنا سبحانه ﴿ وأشرقت الأرضُ بنورِ ربِّها ، ووُضِعَ الكتابُ ، وجيء بالنبيين والشهداء ، وقُضِيَ بينهم بالحق ، وهم لا يُظْلَمون ﴾ ـ الزمر ـ ٦٩ . وهذا بعد أن تكون النفخة الثانية فى الصور ، إذن يوضع الكتاب بعد النفخة الثانية ، وبعد قيام الناس من قبورهم ، وبعد مجيء الله يوم القيامة ، هو وملائكته وإشراق الأرض بنوره سبحانه ، واكبح جماح الهوى أن يستبد بعقلك ، فتضل فى متاهات وتهلك فى شعاب ينوشك فى كل شعب منها شيطان .

لتمتلىء باليقين من مجيء الله ، ومن إشراق الأرض بنوره ، ومن حمل الملائكة لعرشه ، ومن أنهم سيكونون حافين من حول العرش مسبحين بحمد الله .

لا تسلنى : كيف ؟ .

ولا تسل نفسك : كيف ؟ .

ولا تقل إن الايمان بهذا يستلزم أن يكون الله فى حيز ، وأن يكون محدوداً ، وأن يكون محمولا ، وأن يكون جسماً متناهياً .

احذر مثل هذه الهمسات التى تظل تُراودك عن إيمانك حتى تفتك به ، وقل : إن الذى خلقنى وعلمنى البيانَ ، ويعلم كل شيء ما كان ، لا يخفى عليه أبداً مثل هذا ، وهو يتكلم بهذا الكلام القدسى المعجز بلاغةً وفصاحةً ولم ير فيما يتكلم به نَيْلاً من عزة جلاله ، وجلالة كبريائه ، وإلا فقد كان يستطيع ـ جل شأنه ـ أن يذر هذا الكلام ، وأن يأتى بغيره ، أو أن يقول : هذه إيماءات أو إشارات إلى معانى أُخَر .

إن الحيز والجهة ، والكم ، والكيف ، وغيرها من مصطلحات الفلاسفة . ومخانيثهم علماء الكلام لن يراها المسلم أبداً بديلا من هدى الله ، ولن تحول مفهوماتها بينه و بين الإيمان بما يقول الله .

إن الفيلسوف يعبد أرسطو وأذنابه .

والمتكلم يعبد مبتدعَ دينه الكلامى .

والمسلم يعبد الله سبحانه .

ولن تجد مسلماً تقل حميته لله عن حمية عُبّاد الفلسفة وعلم الكلام . فاختر لنفسك مكانها ، فلن يرغمك الله فى اختيارك هذا على شىء . ولكن احذر غائلة الفلسفة ، واحذر موبق علم الكلام ، وكن على بصيرة ورضوان روحى بهدى الله وحده .

بأى لغة كتب الكتاب : تتشوف النفس إلى اكتناه المجهول ، ولو علم الله أن فى بيان هذا المجهول خيراً فى الدين ، لذكره ، فلنؤمن بأن ما فى الكتاب سيكون بحيث يستطيع صاحبه أن يقرأه ، وإن كان فى دنياه أميا لا يقرأ ، ولا يكتب ، وهذا مفهوم من الآيات التى سأذكرك بها .

متى تكتب هذه الكتب ومن الكاتبون ؟ : يقول ربنا سبحانه : ﴿ إن رُسُلَنا يكتبون ما تَمكرون ـ يونس : ٢١ ﴾ ﴿ أم يَحْسَبُون أنّا لا نسمع سِرّهم ونجواهُمْ ، بَلَى ورسلُنا لَدَيْهم يكتبون ـ الزخرف : ٨٠ ﴾ ﴿ وإن عليكم لحافظين . كِراماً كاتبين . يَعْلَمون ما تفعلون ـ الانفطار : ١٠ ، ١٢ ﴾ ﴿ ولقد خَلَقْنَا الإنسانَ ، ونعلم ما تُوَسْوِسُ به نفسُهُ ، ونحن أَقْرَبُ إليه من حَبْلِ الوريدِ . إذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيانِ عن اليمين وعن الشمالِ قَعيدٌ . ما يَلْفِظُ من قولٍ إلاّ لَدَيْه رقيب عتيدٌ . [1] ـ ق : ١٦ ، ١٨ ﴾ .

---

(١) الوريد فى اللغة عرق يتصل بالقلب فيه مجرى الدم والروح ، ولا يبعد كثيراً تعريف الطب له عن هذا . رقيب : يرقب عمله ـ عتيد : حاضر معد لهذا .

هذه الآيات تقرر أن من الملائكة ـ وقد جعلهم الله رسلا ـ من يوكل إليه كتابة ما يعمل الإنسان ، وأن من طبيعة هؤلاء علم الكتابة ، وعلم ما يفعل الإنسان ، وأن لكل امرىء متلقيا يقعد عن يمينه ، وآخر عن شماله ، ليكتب كل منهما ما يفعل صاحبهما ، وأن من عمل هؤلاء الملائكة حفظ صاحبهما ، وحفظ ما يصدر عنه . ولقد وصفهم الله بأنهم كرام ، وفي الكريم سماحة وأريحية تأذن له عن أمر الكريم أن يكون كريمًا مع صاحبه .

ولقد وردت في الآيات آيات تهديك إلى حقيقة إيمانية يجب أن يسطع نورها في عقلك وقلبك تلك هي أن الله عليم بكل ما تفعل و بكل ما تقول سراً وعلانية ، حتى لا تظن أن الله محتاج إلى هؤلاء الكتبة ليعلموه بما يفعل عباده . تدبر «أم يحسبون أنا لا نسمع سرهم ونجواهم » ثم ورود ذكر كتابة الرسل بعدها . وتدبر « ونعلم ما توسوس به نفسه ونحن أقرب إليه من حبل الوريد » ثم ورود تلقي المتلقيين عن صاحبهما . أقول هذا ، لأن الفلسفة بأوهامها وضلالتها تقرر أن الله يعلم الكليات ولا يعلم الجزئيات . أي لا يعلم هذه الأمور التي تقع من الإنسان وله ، ومن الحيوان وله ، ومن الجماد وله . إذ يزعمون أن هذه أمور حادثة ، والله لا يتعلق علمه بالحوادث .

مرة أخرى تجد العقل في غلواء حماقته يحكم على الله بالسفه والكذب ! ! تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا . وتدبر ما مضى ، ثم تدبر قوله تعالى (وعنده مفاتحُ الغيب لا يعلمها إلا هُوَ ، ويعلم ما في البَرِّ والبحر وما تَسْقُطُ من وَرَقَةٍ إلا يعلمها ولا حَبَّةٍ في ظلماتِ الأرضِ ، ولا رَطْبٍ ، ولا يابسٍ إلا في كتاب مبين) ـ الأنعام : ٥٩ وتدبر النص على علم سقوط الورقة ، حتى تزداد إيمانا بأنه لا يقع في ملكوت السموات والأرض أمر صغير صغر سقوط الورقة ، أو كبير إلا والله يعلمه . بل حتى ما تأكل الأرض من أجساد الموتى ، فالله يعلمه (قد علمنا ما تنقص الأرضُ منهم ، وعندنا كتاب حفيظ ـ ق : ٤) فهل يعتبر عبيد الفلسفة ؟ لقد قرر العقل البشرى بمقاييسه أن من تنزيه الله نفي العلم بمثل

هذه الجزئيات عنه . ولكن يقرر كلام الله غير ذلك ، فلتوقن أن القيم الدينية فوق القيم العقلية ، وأن هذه قد لا تكون قيماً ، وإنما تكون رمما ! !

كل شيء مكتوب قبل وجوده : ولا يظنن ظان أن هذه الكتابة تنفى الكتابة الأزلية ، أو علم الله الأول بما سيحدث ، وبما سيكون . فالله يحيط بالشيء علما قبل حدوثه ، وعند حدوثه وكل شيء كتب قبل وقوعه ، ويكتب عند وقوعه ويطابق علم ما يحدث العلمَ به قبل أن يحدث ، لأن العلم لله سبحانه . تدبر قول الله سبحانه (وما يَعْزُبُ عن رَبِّكَ من مِثقالِ ذَرَّةٍ فى الأرضِ ، ولا فى السماء ولا أصغرَ من ذلك ، ولا أكبرَ إلا فى كتابٍ مبين يونس : ٦١) ووردت آية قريبة منها فى أول سورة سبأ .

(ما أصاب من مُصيبةٍ فى الأرض ، ولا فى أنفسكم إلا فى كتابٍ من قبلِ أنْ نبرأها[1] . إن ذلك على اللهِ يسير) ــ الحديد : ٢٢ (وكلَّ شيء أحصيناهُ كتابا) ــ النبأ : ٢٩ .

وقد يَفْتَلُ من يبهتون قدر الله بالظلم بمثل هذه الآيات كما اعتل المشركون بمثل ما قصه الله عنهم (لو شاء اللهُ ما أشركنا ، ولا آباؤنا ، ولا حرّمنا من شَيْء) ولقد رد الله عليهم فى نفس الآية بقوله : (كذلك كذّب الذين من قبلهم حتى ذاقوا بأسنا ، قل : هل عندكم من عِلمٍ فتخرجوه لنا ، إنْ تتَّبعونَ إلاّ الظّنّ ، وإنْ أنتمْ إلا تخرُصون)[2] الأنعام : ١٤٨ .

الله كتب ما سيكون ، والله كلف رسله أن يكتبوه عندما يكون .

فهل تجد لعدالة البشرية مثل هذه القداسة والجلالة ؟ !

---

(١) نبرأها نخلقها .

(١) تقولون كذبا لا يستند إلى علم .

عَوْد إلى الكتب يوم القيامة : ولقد أكد القرآن فى غير ما آية أن كل إنسان سيجد يوم القيامة كل ما قدم من خير ، واقترف من شر ، وأنه سيُخبَر بكل هذا ، وأنه سيؤتى كتابا فيه كتب كل هذا . وتدبر هذه الآيات : (يوم تَجِدُ كُلُّ نَفْس ما عمِلت من خير مُحْضَرا ، وما عملت من سوء تود لو أن بينها و بينه أَمَداً[١] بعيدا ويحذركم اللهُ نفسَه ، واللهُ رؤف بالعباد) : آل عمران : ٣٠ (يُنَبَّؤُ الإنسانُ يومَئذٍ بما قَدَّم ، وأَخَّر) القيامة ١٣٠ - (ونَضَعُ الموازين القِسْطَ ليوم القيامةِ ، فلا تُظْلَم نفسٌ شيئاً ، وإن كان مِثْقالَ حَبَّةٍ من خَرْدَلٍ أتينا بها ، وكفى بنا حاسبين[٢] الأنبياء) : ٤٧ .

(وكلَّ إنسان ألزمناه طائره فى عنقه[٣] ، ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا . إقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا) - الإسراء : ١٣ ، ١٤ .

(يوم ندعو كلَّ أناسٍ بإمامهم ، فَمَنْ أُوتِىَ كتابه بيمينه ، فأولئك يقرءون كتابهم ، ولا يُظلَمون فتيلا[٤] - الإسرار : ٧١) .

(يومئذٍ تُعْرَضُون لا تَخْفَى منكم خافيةٌ ، فأمَّا مَنْ أوتى كتابه بيمينه ، فيقولُ : هاؤُمُ[٥] اقرءوا كتابيهْ) ثم تجد الآيات عن الفريق المقابل : (وأمَّا من أوتِىَ كتابه بشماله ، فيقول : ياليتنى لم أوتَ كتابيهْ . ولم أدر ماحسابيهْ . ياليتها كانت القاضية . ما أغنى عنى ماليهْ. هَلَكَ عنى سُلْطَانِيهْ)-الحاقة : ١٨ ٢٩ (فأمَّا من أوتِىَ كتابه بيمينه ، فسوف

---

(١) غاية أو مدة لها حد مجهول .

(٢) قسط ــ عدل . مثقال حبة ــ وزنه وزن حبة ، والخردل ــ حب صغير بلذع اللسان لحرافته .

(٣) ما يطير عنه من أعمال .

(٤) الفتيل ما يكون فى شق النواة أو ما يفتل بين الأصابع من الوسخ .

(٥) هاؤم ــ خذوا ، فكلمة ها صوت يصوت به ، فيفهم منه معنى « خذ » .

يحاسب حسابا يسيرا . وينقلب إلى أهلِهِ مَسْرُورا . وأما مَنْ أوتى كتابه وَرَاءَ ظَهْرِه ، فسوف يدعو ثُبُوراً . ويصلى سعيرا[١]) ـ الانشقاق : ٧ ، ١٢ .

أصحاب اليمين يفخرون ، ويسعدون بكتابهم ، حتى لينادى كل فرد منهم من بشره الغامر ، وسعادته الوفيرة : أقبلوا أيها الناس وخذوا كتابى ، واقرءوه وأصحاب الشمال ينادَوْن من وراء ظهورهم ، لتفجأهم الداهية القاصمة ، وليسمهم هذا بحقارتهم ، وأنهم مجرمون وثمت يقولون ما يقولون ، جعلنا الله ـ وإياكم ـ من أصحاب اليمين .

حال المجرمين عند وضع الكتاب : ترى الذين أجرموا ، وقد مارت قلوبهم بالخوف على نفوسهم مما سُجِّل فى الكتاب « ويقولون : ياويلتنا ما لِهَذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها » أتراهم يقولون هذا إلا بعد أن يطالعوا مافى الكتاب ، فيتجلى لهم بوضوح أنه لم يترك صغيرة أو كبيرة — ولا أحدد الصغيرة أو الكبيرة ، فالأمر عام — إلا وأحاط بها عَدًّا وكتابة ؟! .

وثمت يصيحون صيحة هي مزيج من دهشة وعجب وألم وحسرة عميقة : ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها . إنهم حينئذ سيذكرون كل ماعملوا ، وسيرون أن ماهو مكتوب هو عين ماذكروه ، وعين مافعلوه ، فطابق المكتوب الذى وقع ، ولنتدبر هنا معاً قدرة الله ، وآياتها فى تذكر الإنسان صغائره وكبائره ، وفى التطابق التام بين المذكور والمكتوب .

يقين فى عدالة الله : وتلحظ أن هؤلاء المجرمين لم يشكوا مما فى الكتاب ، فلم يرتابوا ، ولم يبهتوا الكتاب بظلم ، وكيف ، وقد تبين لهم بما لا يستطيعون معه مماراة أو مجادلة ، أو أثارة من محاولة لرمى الكتاب بالظلم ، أن ما كتب فيه هو عين مافعلوا .

---

(١) الثبور ـ الهلاك . أى يتمنى الهلاك ، ويدعو على نفسه به. يصلى سعيرا — يحترق بالنار الشديدة .

إنما شكا هؤلاء دقة الكتاب فى الإحصاء والإحاطة بما عملوا ، وتمنوا لو أنه أغفل شيئاً ! ! .

« ووجدوا ماعملوا حاضرا » وجدوا كل أعمالهم مشهودة لا يغيب منها شىء ، ووجدوا كذلك الجزاء ، فليس الأمر أن يجد العمل ، فحسب ، وإنما الأمر أن يجد العمل وجزاء العمل معاً .

« ولا يظلم ربك أحداً » والظلم قد يكون بنقص ، وقد يكون بزيادة . والله لا ينقص من عمل عبده شيئاً ، ولا يزيد عليه . اللهم إلا أن يزيده ثوابا فضلا من عنده . وكلمة « أحداً » تشمل وتعم ، لا يظلم مؤمناً ، ولا كافراً ، لا يظلم موحداً ، ولا مشركا ، لايظلم مسلماً ، ولا يهوديا ، ولا نصرانيا ، ولا مجوسياً ولا صوفيا : فالله قد حرّم الظلم على نفسه . أضرع إلى الله سبحانه أن يهب لنا حياة أصحاب اليمين فى الدنيا ، وفى الآخرة ، إنه هو السميع العليم ، إنه هو التواب الرحيم ؟ .

عبد الرحمن الوكيل

وصية أبى بكر لعمر رضى الله عنهما

« إنى مستخلفك من بعدى ، وأوصيك بتقوى الله ، إن لله عملا بالليل لايقبله بالنهار ، وعملا بالنهار لا يقبله بالليل ، وإنه لا تقبل نافلة حتى تؤدى الفريضة ، وإنما ثقلت موازين من ثقلت موازينه يوم القيامة باتباعهم الحق فى الدنيا وثقله عليهم ، وحق لميزان لا يوضع فيه إلا الحق أن يكون ثقيلا ، وإنما خفت موازين من خفت موازينه يوم القيامة باتباعهم الباطل وخفته عليهم . وحق لميزان لا يوضع فيه إلا الباطل أن يكون خفيفاً . إن الله ذكر أهل الجنة فذكرهم بأحسن أعمالهم ، وتجاوز عن سيئاتهم ، فإذا ذكرتهم قلت إنى أخاف أن لا أكون من هؤلاء . وذكر أهل النار فذكرهم بأسوأ أعمالهم ، ولم يذكر حسناتهم ، فإذا ذكرتهم قلت إنى لا أرجو أن لا أكون من هؤلاء . وذكر آية الرحمة مع آية العذاب ليكون العبد راغباً راهباً ، ولا يتمنى على الله غير الحق ، ولا يلقى بيده إلى التهلكة ، فإذا حفظت وصيتى فلا يكن غائب أحب إليك من الموت وهو آتيك ، وإن ضيعت وصيتى فلا يكن غائب أبغض إليك من الموت ، ولست بمعجز الله » .

عقيدة القرآن والسنة :

توحيد الله عز وجل

ومن أسمائه الحسنى سبحانه (المقسط والجامع) .

أما المقسط فهو اسم فاعل من أقسط بمعنى عدل وأصله من قسط بمعنى جار وظلم قال تعالى (وأما القاسطون فكانوا لجهنم حطبا) فالهمزة فى أقسط لسلب معنى الجور والظلم ولم يرد هذا الإسم الكريم بلفظه ولكن ورد معناه فى آيات كثيرة كلها تنفى عن الله سبحانه كل شائبة ظلم وتصفه بكمال النصفة والعدل فى حكمه وقضائه وفيما قدره من أجزية على أعمال العباد بمثوبة وعقوبة . وذلك مثل قوله تعالى فى سورة آل عمران : (شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولوا العلم قائماً بالقسط) .

وقوله من سورة النساء (إن الله لا يظلم مثقال ذرة وإن تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجراً عظيما) .

وقوله من سورة الأنعام : (وتمت كلمة ربك صدقا وعدلا)

وقوله من نفس هذه السورة : (من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى إلا مثلها وهم لا يظلمون) .

وقوله من سورة الأنبياء : (ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئاً وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين) .

وقوله من سورة الزلزلة (فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره . ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره) .

وورد كذلك معناه فى كثير من الأحاديث الصحيحة كقوله عليه الصلاة والسلام فيما يرويه عن ربه عز وجل: (يا عبادى إنى حرمت الظلم على نفسى وجعلته بينكم محرما فلا تظالموا) ، وقوله فى دعائه المشهور (اللهم إنى عبدك وابن عبدك ابن أمتك ناصيتى بيدك ماض فىَّ حكمك عدل فىَّ قضاؤك) إلخ .

وهو سبحانه لكمال عدله ينتصف لكل مظلوم ممن ظلمه ويأخذ له بحقه حتى إنه يقتص للبهائم بعضها من بعض كما قال عليه السلام « لتؤدين الحقوق إلى أهلها يوم القيامة حتى يقاد للشاة الجلحاء من الشاة القرناء » .

وفى الحديث الآخر يقول النبي صلى الله عليه وسلم لأصحابه : « أتدرون من المفلس ؟ فيقولون : المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع ، فيقول : لكن المفلس من أمتى من يأتى يوم القيامة بحسنات كثيرة ولكنه قد ضرب هذا وشتم هذا وأكل مال هذا وسفك دم هذا. فيعطى هذا من حسناته وهذا من حسناته حتى إذا لم يبق له حسنة أخذ من سيئاتهم فطرح عليه حتى يطرح على وجهه فى النار » .

ولكن العبد إذا تاب إلى الله عز وجل وأحسن الإقبال عليه بعمل الصالحات والإكثار من نوافل الطاعات وبقيت عليه مظالم لم يستطع ردها إلى أصحابها فإن الله سبحانه فضلا منه وكرما يرضى عنه خصومه يوم القيامة ويعطيهم من أنواع النعيم والكرامة ما يرغبهم فى العفو عنه كما ورد بذلك الحديث .

وأما اسمه تعالى (الجامع) فهو اسم فاعل من الجمع بمعنى التأليف بين الأشياء وضم بعضها إلى بعض . ولهذا الجمع مظاهر متعددة فهو سبحانه بقدرته يجمع بين المتباينات فكجمعه فى هذه الأرض بين الهواء والبحار والجبال والأنهار وأنواع الحيوانات والنباتات والمعادن المختلفة على ما بينها من التباين والاختلاف فى الأشكال والألوان والطعوم والأوصاف .

وكجمعه فى بدن الحيوان بين العظم والعصب والعروق والعضل والرباطات والأوردة والشرايين والمخ والبشرة والدم وسائر الأخلاط المختلفة المتباينة .

وأما جمعه بين المتضادات فكجمعه بين الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة فى أمزجة الحيوانات مع كونها أموراً متعادية متنافرة.

ولكن أعظم مظاهر جمعه سبحانه هو ما أخبر عنه القرآن الكريم من جمعه الناس

فى عرصات القيامة لفصل القضاء بينهم . قال تعالى فى أول سورة آل عمران على لسان الراسخين فى العلم : (ربنا إنك جامع الناس ليوم لا ريب فيه) . وقال من سورة الواقعة (قل إن الأولين والآخرين لمجموعون إلى ميقات يوم معلوم) .

وقال من سورة التغابن (يوم يجمعكم ليوم الجمع ذلك يوم التغابن) .

وقال فى سورة المرسلات : (هذا يوم الفصل جمعناكم والأولين) .

وفى حديث الشفاعة الذى رواه الشيخان عن أبى هريرة قال : أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بلحم فرفع إليه الذراع وكانت تعجبه فنهش منها نهشة ثم قال : « أنا سيد الناس يوم القيامة ، وهل تدرون مم ذلك ؟ يجمع الله الأولين والآخرين فى صعيد واحد يسمعهم الداعى وينفذهم البصر » إلخ الحديث .

وكذلك جمعه تعالى الرسل لسؤالهم عما أجابتهم به أممهم كما قال تعالى من سورة المائدة (يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا أجبتم ؟ قالوا لا علم لنا إنك أنت علام الغيوب) .

وكذلك جمعه لرفات الموتى وتأليفه سبحانه بين ما تحلل من أبدانهم فى النشأة الأخرى ثم يعيد إليهم أرواحهم ويبعثهم من قبورهم أحياء .

قال تعالى من آخر سورة يس (أولم ير الإنسان أنا خلقناه من نطفة فإذا هو خصيم مبين . وضرب لنا مثلا ونسى خلقه قال من يحيى العظام وهى رميم . قل يحييها الذى أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم) .

وقال من سورة القيامة : (أيحسب الإنسان أن لن نجمع عظامه ، بلى قادرين على أن نسوى بنانه) .

ثم آخر ذلك أن يجمع الله أهل طاعته وولايته فى دار رحمته ومستقر كرامته ، وأن يجمع أعداءه وأهل معصيته فى دار غضبه ونقمته . نسأل الله أن يجعلنا من الذين أنعم عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا .

محمد خليل هراس

٢٣ ـ نظرات فى التصوف

تمهيد : « تكلمت عن الحب عند الصوفية ، وذكرت طرفا من غزل محيي الدين بن عربى وغيره ، مستشهداً به للحقيقة التى تقول : إنه غزل جسد بجسد، وشهوة بشهوة ، لا حب عبد لرب ، وقد اختار كل منهم اسم امرأة خاص يزعم أنه يعبر به عن إلهه . وفى هذا المقال تتمة الحديث » .

أما الصوفى عفيف الدين عبد الله بن أسعد اليافعى ، فيسمى الحقيقة الإلٰهية ـ فى زعمه ـ سلمى ، وإليك غزله فيها :

سلا عن حِمَى سلمى ، وعن أهله الغُرّ عسى خبرٌ يلقا كما طيب الذكر
يجىء به من نحوها عذبُ منطقٍ يفوح به من ريحها طيب النشر
يخبِّر عن سلمى ، وعن ذلك الحمى وقول لسان الحال فى نظمه الدرى
رعى الله عهداً مَرّ مع جيرة الحمى يباهى رياضاً ناضرات به زهر
سقتنا بها سلمى من الراح عندما بدت فأضاء الكون من جانب الخدر

سلماه تسقيه الخمر فى خدرها المشرق ! !

ومن سلمى ؟ إنها الحقيقة الإلٰهية ، أتصدقون ؟ !

أما عبد الغنى النابلسى الصوفى المُتَّقَى ، فيقول :

دخل القلب ديرَ عشق سُلَيمى يحتسى من لقائها الإسفنطا[1] .
فرأى ثَمّ نسـوةً طالعاتٍ عن بحار الجمال يسكن شطا
ناظرات من الظبا بعيون ناعسات من البواتر أسطا
فى قدودٍ كأنهن رماح جملت قتل من بها هام شرطا

---

(١) نوع من الخمر الفارسى أو الرومى .

أيذكرك هذا العهر الصوفى بنفحات الروح الطهور ، أم تراه يصور لنا شيئاً آخر لا ينتسب إلى فضيلة ؟!

وهكذا نجد الحب الصوفى فى كل ما يعبر به عن نفسه عشقاً متوهج الغليل ، محموم الشهوات يبحث هنا وهناك عن ليلة وخمر وجسد ومخدع !

وإلا فأرونى من هدى النبوة ، وروحانية القديسين ، وطهارة الصديقين كلمة واحدة عن الحب تشم منها رائحة خمر ، أو توحى إليك بصورة كأس ؟

إننا لن نتلمس للخطيئة عذراً نجملها به تتسامى إلى قدس الفضيلة .

مطالبة هذه الحقيقة :

وليذكر من يتكلم عن الحب الإلهى أنه عبد الله فى الدنيا والآخرة ليذكر جلال الله وكبرياءه وهيمنة قدرته على الملكوت ، وليذكر أنه يتكلم عن حب الله ، وثمت ينىء إلى ذل العبودية القانتة ، ويشعر أن سعادته الكبرى ، ونعيمه الروحى الأعظم فى هذه العبودية الخالصة التى ترجو وتخاف ، فهى تعمل المعروف وتأمر به ، وتنتهى عن المنكر وتنهي عنه ، أما إن جعل نصب عينيه — وهو يتكلم عن الحب — امرأة ألهبت جسده ، واستثارت حمى عواطفه وشهواته — فليتقه عن اقتراف خطيئة هى أشنع الخطايا ، تلك هى زعمه أنه يتغزل فى الذات الإلهية ، وليعترف فى شجاعة الخاطئين أحيانا أنه عبد امرأة ، لا عبد الله ! !

إننا ندقق فى اختيار الكلمات التى نخاطب بها العظماء ، وما أظن أن عظيما يرضيه أن أسميه بسعاد أو ليلى ، وما أظن أن رجلا يرضيه أن أصور حبى له بالتصوير الذى أصور به حبى لامرأة ، فكيف — ولله المثل الأعلى — نستبيح السفه من القول وسقطه وضلالة إثمه ، ونحن نتكلم عن الله جل شأنه ؟!

متى ينسى المحب حظه من حبيبه ، ومتى ينسى حوائجه إليه ؟ لقد عبر صوفى كبير عن حب العبد لربه بهذا التعبير الذى أدمجناه فى هذا السؤال ، فقال أبو يعقوب السوسى :

« المحبة أن ينسى العبد حظه من الله عز وجل وينسى حوائجه إليه » إن ذلك لا يكون إلا عند يأس يائس من توهم الأمل ، أو عند الغنى عنه بغيره ؟ فهل يجوز فى عرف الدين والعقل والقلب أن نعبر عن حبنا لله بمثل هذا ؟ واليأس من روح الله كفر ، والناس جميعاً فقراء إلى الله ، والله لا تنفد خزائنه ، ولا نعمه ، ولا تفرغ حاجة عبد إليه ؟ أرونى رسولا نسى حاجته إلى الله . مامن نبى أو رسول ذكره القرآن إلا وذكر عنه القرآن أنه كان دائما يذكر حوائجه إلى الله ، ويضرع إليه بها !

ترى أكان سليمان عليه السلام غير محب لله حينما تضرع إلى ربه أن يهب له ملكا لا ينبغى لأحد من بعده ؟ وأرونى آية واحدة تبيح للمسلم أن ينسى حوائجه إلى الله ؟!

غير أننا نقول : إن الصوفى الكبير لا يقصد من هذا التعبير ما يدل عليه فى الظاهر فله دلالة أخرى هى من أشنع ما تومىء إليه إشارة المجوسية من ضلالات ! إنه ينسى حظه وينسى حوائجه ؛ لأنه لم يعد يطلب حظاً ولا حاجة بعد أن أصبح هو الله ! أو يقول الجنيد بعد أن « انكشف له الجبار من أستار غيبه[1] »

سوء أدب : يقول الجنيد الذى يقولون عنه : إنه سيد الطائفة : « إذا صحت المحبة بين اثنين سقطت شروط الأدب[2] » ولا تعرف الإنسانية صلة تسقط فيها شروط الأدب إلا تلك الصلة النجسة الدنسة التى تكون بين عشيقين . والتى يسمونها حبا . هذه الصلة المسعورة النزوات الملتاثة الشهوات هى التى تسقط فيها شروط الأدب ، أما الحب المشرق فكلما قوى ازداد المحب فيه أدباً وتأدبا . ولا تفترفوا لسيد الطائفة عذراً عن سقطته ، فهو لم يكن بالعيى ، وإنما كان من الذين يملكون ناصية البيان ويقصدون مايقولون ، ويصوِّب إلى هدف معلوم !

---

(١) هذا وما قبله ص ١٤٧ الرسالة

(٢) ص ١٤٧ ، ١٤٥ الرسالة .

الحب عند الغزالى [١] : والغزالى فى نظر الجمهور حجة الإسلام ! ! فكلامه إذن هيمنة ساطية على الأفكار والقلوب ، أليس هو حجة الإسلام ؟ ! ، وقد تكلم الغزالى عن حب العبد لله ، وعن حب الله لخلقه . وفى كلامه عن المحبين لمات من نور الحق ، ولكنها مغشاة بصوفية كثيفة لظلام . يقول عن حب الله لخلقه : « لا يكون له — أى الله سبحانه — إلى غيره نظر من حيث أنه غيره ، بل نظره إلى ذاته وأفعاله فقط ، وليس فى الوجود إلا ذاته وأفعاله ؛ ولذلك قال الشيخ أبو سعيد الميهنى رحمه الله تعالى لما قرىء عليه قوله تعالى (يحبهم ويحبونه) . فقال : بحق يحبهم ؛ فإنه ليس يحب إلا نفسه على معنى : أنه الكل ، وأن ليس فى الوجود غيره ، فمن يحب إلا نفسه وأفعال نفسه وتصانيف نفسه ، فلا يجاوز حبُّه ذاتَه وتوابع ذاته ، من حيث هى متعلقة بذاته ، فهو إذن لا يحب إلا نفسه ، وما ورد من الألفاظ فى حبه لعباده ، فهو متأول ، ويرجع معناه إلى كشف الحجاب عن قلبه حتى يراه بقلبه ، وإلى تمكينه إياه من القرب منه ، وإلى إرادته ذلك به فى الأزل ، فحبه لمن أحبه أزلى مهما أضيف إلى الإرادة الأزلية [٢] » .

أيقول هذه الصوفية حجة الإسلام ؟ ماذا يعنى بقوله : إنه سبحانه لا يحب إلا نفسه على معنى أنه الكل ، وأن ليس فى الوجود غيره ؟ »

---

(١) ينقم منى الاستاذ الكبير الدكتور محمد يوسف موسى » أن أتعرض لنقد الغزالى ولقد كنت أولى من الأستاذ الجليل أن يثبت لى أن ما أنقله عن الغزالى - وهو كثير - ليس خطأ فى الدين ، أو ليس صحيح النسبة إليه ، ويزداد خطأ الغزالى شناعة وفحشاً حين تذكر لقبه التاريخى « حجة الإسلام » وأرجو أن يذكر الأستاذ الكبير أنه كان يدرس لى فلسفة الاخلاق عند منكرى الإسلام فى شعبة التوحيد والفلسفة ، وكان يلح علينا أن نقرأ وننقد ، وليذكر أن كتابه هذا كان أول دليل يهدينى إلى عوار الصوفية ، ولن أرجع عما أدين به بإذن الله .

(٢) ص ٢٨١ جـ ٤ الإحياء .

يعنى عين مايعنيه الحلاج فى حلوليته ؛ يعنى أن الله حين يحب خلقه فإنما يحب نفسه ؛ بنفسه لأنهم عينه . أو لأنه هو الكل فما فى الوجود غيره ! ! [(١)].

ما أظن مسلماً يعتصم بكتاب الله يجرؤ لسانه على أن يجدف على ربه بمثل هذا القول ! ! لو كان الغزالى يريد : « مافى الوجود رب غيره لقالها » ولا سيما وهو الرجل القوى الساحر البيان ، فلا يعتذر عنه بأنه أخطأ التعبير الصائب : إنه يعنى مايقول ويعيه جيداً .

ثم يتكلم عن حب الله ، وعلامته . فيقول : « علامة المحبة كمال الأنس بمناجاة المحبوب وكمال التنعم بالخلوة به ؛ وكمال الاستيحاش من كل ماينغص عليه الخلوة . ويعوق عن لذة المناجاة وعلامة الأنس مصير العقل والفهم كله مستغرقاً بلذة المناجاة كالذى يخاطبه مشوقه ويناجيه . . بل يستغرق الأنسُ والحبُّ قلبَه حتى لا يفهم أمور الدنيا مالم تُكرَّر على سمعه مراراً مثل العاشق الولهان [(٢)] » .

ومرة أخرى يلفح وهجٌ من سعير العشق . عشق امرأة استبدت كبرياؤها بعشاقها إليهم . فعاشوا تصور لهم الخيالات معها مناجاة وخلوة وجلوة فى لقاء على الليل ومع الخمر . ولكننا لا نلمح أبداً لمحة من نور الحب . إن فى كل تعبير لوعة من حريق الظمأ الجنسى . ومن توقد الشهوة . تأمل قوله « كمال التنعم بالخلوة به ، وكمال الاستيحاش من كل ماينغص عليه الخلوة » وتأمل مايحدثه ذلك الحب المزعوم من ذهول وخبل وانقطاع عن الخلق وخدمتهم ، أتجد فى شىء من هذا كله دليلا على أنه حب عبد لله ؟ ! .

أين الحب الصحيح لله يبلغ ذروته حين يصدق المرء فى اتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم فيعمل ويكافح ويقاتل ويقوم على خدمة الناس باسم الله ، وهو فى كل مايأتى أو يذر شاعر تمام الشعور مريد صادق الإرادة غير مذهول ولا مخبول .

---

(١) إن قالوا : هى شطحة ، قلت : لايكون الشاطح فى دين الله قدوة ، ولا حجة للاسلام ، ولا تظن أن الغزالى لا يقصد مايوحى به التعبير ، فهو دقيق فيما يعبر به ، ويقصد من كل كلمة يقولها معنى ؛ لأنه يملك ناصية البيان المعبر .

(٢) ص ٢٨٥ جـ ٤ الإحياء .

(أرأيت الذى يكذب بالدين . فذلك الذى يَدُعُّ اليتيم . ولا يَحُضُّ على طعام المسكين) .

(وما لكم لا تقاتلون فى سبيل الله وَالْمُسْتَضْعَفِين من الرجال والنساء والولدان) الآية ٤ : ٧٥ .

(إن الذين آمنوا ، وهَاجروا ، وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله والذين آوَوْا وَنَصَرُوا أولئك بعضُهم أولياء بعض ٨ : ٧٢) ومن قولِ عبادِ الرحمن كما وصفهم الله (والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجِنا وذُرِّيَاتِنَا قُرَّةَ أعين ، واجعلنا للمتقين إماما) ٢٥ : ٧٤ : ووصف الله أنصار الله بقوله : (ويُؤْثِرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة) .

فهل ترى انصرافاً عن خدمة الخلق ، أو أنك ترى هذه الخدمة وقد بلغت مبلغ حد التضحية بالنفس فى سبيل المستضعفين ؟ هل ترى استيحاشاً من الخلق ، أو ترى أنساً بنعم الله المتمثلة فى زوج صالحة وذرية صالحة ، وضراعة إلى الله سبحانه أن يجعل من هذه النعم قرة أعين ؟ ! .

ثم متى كانت خدمة الخلق باسم الله منفصلة عن عبادة الله ، ومن يزعم ذلك ؟ ! .

إنها من أجلِّ أنواع العبادة ، وأكثر آيات القرآن تدعو إلى الإخاء والتعاطف ، والتراحم والتعاون والقيام على مصلحة الجماعة بالعدل والإحسان ، أليس المؤمنون إخوة ؟ أليس المؤمنون بعضهم أولياء بعض .

فهل بالانقطاع عن خدمتهم تتحقق أخوة أو تتحقق ولاية أو إيثار ؟ ! .

ليس الإسلام دين تخَادع ، أو ترهُّب فى البيع والصوامع ، إنما هو السعى فى الحياة باسم الله ، دين العمل الصالح والعلم النافع ، والجهاد الذى يستلهم روعة التضحية وجلال الفداء ، وبهذا الإيمان والفهم الصحيح بنى أنصاره أعظم دولة قامت فى التاريخ لخير الإنسانية وسلامتها .

أما ذلك الحب الذى يصوره الغزالى فهو الحالم بالخدع بخلو فيه بالمعشوق ويستغرق

بكايته فى النظر إليه و يستشعر كراهيته للخلق جميعاً خشية أن يقطعوا عليه خلوته بالفانية ، أو خشية مشاركتهم له فى مخدعها الآثم ؟ ! .

ثم ماذا تستفيد الحياة الصالحة والمؤمنون الصالحون والسلاح المشرع للذياد عن دين الله . ماذا يستفيد هؤلاء جميعًا من رجل مذهول مخبول لا يفهم أمراً إلا إذا كرر عليه مرراً ؟ وهل بهؤلاء المحبين — أو السكارى المخبولين — ينتصر الإسلام ، وتقوم دولة ؟ تخيلوا عاشقة نافرة ، وعاشقاً يسخر كل دنياه هذا العشق ، تخيلوا هذا ، وثمت تعرفون حب الغزالى الذى اتخذت منه « الغنوصية » مبشراً أعظم بمبادئها الهدامة ، فصور حب العبد لربه فى هذه الصورة ، ودعا الأمة إلى أن تعيش للبلاهة والفقر الحطمة ، ألم يبهت الغزالى رسول الله بأنه قال : « أكثر أهل الجنة البُلْه ؟ » .

إن مثلنا الأعلى فى حب الله هو محمد ــ صلى الله عليه وسلم ــ ولم يكن أبداً فى هذه الصورة التى يصورها الغزالى ، ولم ينتسب إليها بأثارة من دنياه كلها . ألا و إن حياته مع الناس ، ومع صحبه وزوجه وولده تعطينا أرفع وأروع المثل للبطولة المجاهدة الواعية المدركة لكل ماحولها والعمل العظيم فى سبيل إسعاد الناس . « للنظرات بقايا »

عبد الرحمن الوكيل

من لم ينفعه الحق ضره الباطل

من خطبة لعلى بن أبى طالب رضى الله عنه ، قال بعد أن حمد الله وأثنى عليه :

« أما بعد فإن الدنيا قد أدبرت وآذنت بوداع ، وأن الآخرة قد أقبلت وأشرفت باطلاع ، وأن المضمار اليوم والسباق غداً ، ألا و إنكم فى أيام أمل من ورائه أجل ، فمن أخلص فى أيام أمله قبل حضور أجله ، فقد نفعه عمله ولم يضره أمله ، ومن قصر فى أيام أمله قبل حضور أجله فقد خسر عمله ، وضره أمله ، ألا فاعملوا لله فى الرغبة كما تعملون له فى الرهبة ، ألا و إنى لم أر كالجنة نام طالبها ، ولا كالنار نام هاربها ، ألا و إنه من لم ينفعه الحق يضره الباطل ، ومن لم يستقم بالهدى ، يجرى به الضلال ، ألا و إنكم قد أمرتم بالظعن ، ودللتم على الزاد ، و إن أخوف ماأخاف عليكم اتباع الهوى وطول الأمل » .

دائرة معارف وجدى

وما فيها من الأغلاط

بين يدى الجزء الثانى من المجلد الأول من دائرة معارف القرن العشرين لمحمد فريد وجدى. ولقد انتهيت إليه بعد ما قرأت الجزء الأول. وكان يمر بى من الكلام ما ينكره قلبى وتشمئز منه نفسى لعلمى بأن الأمر ليس كما قال. ولا أنكر أن فيه صوابا وحقا. إن المتأمل فى الكتاب الآنف ذكره يتبين له بوضوح شخصية المؤلف العلمية ومنحاه فى تلمس المعارف ومصادرها. إنه يعتمد على المؤرخين الأوربيين إعتمادا كبيرا. ويبدو من عباراته أنه يراهم أعرف بتاريخ المسلمين والشرق من المسلمين والشرقيين أنفسهم، وهذا داء قد ابتلى به كتاب الشرق الذين اتخذوا من أوروبا إماماً لهم. وقد يهون النقل عنهم فى مسائل لا تتعلق بالدين. أما أن يقولوا فى الدين فلا.

الأوربى المستشرق له عقيدته وله اتجاهه الخاص وله لغته وعاداته وتقاليده. فليس من الصواب أن يتكلم عنا ونُصغى إليه ونستجيب له ونصوب كل آرائه. كيف نجعل المستشرق سلطانا علينا يحكم على ديننا بالتناقض، وعلى نبينا بالخطأ، وعلى تاريخنا بالكذب وعلى رجالنا بالظلم؟ وكأننا متهمون وهم القضاة.

إن الخطأ الذى هو خطيئة من صاحب الدائرة هو عند كلامه عن إبراهيم خليل الرحمن عليه السلام، فقد قال بعد أن أورد كلاما كثيرا عنه « هذا ما نقلناه من الكتب القديمة. ويظهر لنا أن فى هذه الروايات ضعفا. بل إن أكثر هذه الروايات مخلوطة بالخرافات فلا يعقل أن نبيا جليلا من أولى العزم كإبراهيم يلقى بامرأته وابنه فى واد قاحل لا زرع فيه ولا ماء. ويلوح لنا أن إبراهيم لم يطوح بامرأته وولده إلى هذا الحد. بل انتقل بامرأته الثانية إلى جهات مكة لغرض من الأغراض بدليل أنه كان زار بلاد العرب مراراً» إنتهى.

هذا كلامه بنصه ، وما أراه إلا قد نقله عن واحد من المستشرقين ممن اتخذهم له إماما ، فمن أى مصدر من مصادر العلم نقلت هذا ؟ وأى مقدمات أدّت بك إلى هذه النتيجة ؟ أمن كتاب الله ؟ وهو الذى يقول الله فيه على لسان إبراهيم عليه السلام (ربنا إنى أسكنت من ذريتى بوادٍ غير ذى زرع عند بيتك المحرم) أ أنت أعلم أم الله ؟ أكنت مع إبراهيم أنت ومستشرقوك أم كان الله معه ؟ (ما أشهدتهم خلق السموات والأرض ولا خلق أنفسهم وما كنت متخذ المضلين عضدا) .

ومن علائم الخذلان أن تجىء كلمة (زرع) فى عبارة صاحب الدائرة وهو ينفى عن إبراهيم أن تطوع له نفسه أن يترك أهله فى هذا المكان وهى نفس الكلمة التى أثبتها القرآن فى صفة المكان . وجاء فى الصحاح أن السيدة هاجر قالت لإبراهيم : لمن تتركنا ؟ أى فى هذا المكان الجدب الذى لاماء ولا زرع ولا أنيس فيه . قال : إلى الله . قالت : إذًا لا يضيعنا . وجاء فى الصحاح أن الله فجرلها ولولدها من الأرض بئر زمزم . فهل يعقل ذلك المستشرقون وأولياؤهم ؟ .

وفى عبارة صاحب الدائرة خطأ ثان ، وهو قوله « بل انتقل بامرأته الثانية إلى جهات مكة لغرض من الأغراض » وكأنه ما قرأ كتاب الله ، أوأنه قرأه ولكن لم يتمكن من قلبه حتى يحضره عند الكلام فى هذا الأمر ، فالله سبحانه وتعالى قال مبينا الغرض الذى من أجله ذهب إبراهيم عليه السلام بزوجته وولده إلى ذلك المكان (ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من الناس تهوى إليهم) . نقول (ليقيموا الصلاة) ذلك هو الغرض وتلك هى العلة التى أغفلها صاحب الدائرة ، وقال إنها غرض من الأغراض .

وقد ورد فى هذه الدائرة أغلاط كثيرة ، على أننى لم أقرأ منها إلا المجلد الأول . ولا أدرى ماذا فى بقيتها ولعلنى أعود إليها فى أعداد قادمة إن شاء الله ؟

عبد الحافظ فرغلى

خطبة منبرية :

الخطبة الأولى

الحمد لله الذى وعد المتقين بالجنات والعيون ، وبشر المحسنين بالسعادة والرضوان ، وامتن على المخلصين بالتوبة والغفران .

وأشهد أن لا إله إلا الله ، العليم بذات الصدور ، الخبير بما تكنه القلوب ، القائم على كل نفس بما كسبت ، وهو الرقيب الشهيد .

وأشهد أن نبينا محمداً عبده ورسوله ، وصفيه وخليله ، وخيرته من خلقه ، أرسله الحكيم الخبير لإخراج الناس من ظلمات الشرك والفساد إلى نور الايمان والصلاح ، ومن سبل الغى والضلال إلى طريق الرشاد والفلاح ، صلى الله عليه وعلى آله وسلم تسليماً كثيراً .

أما بعد : فإن الله سبحانه وتعالى يقول وهو أصدق القائلين : (وما تفرق الذين أوتوا الكتاب إلا من بعد ما جاءتهم البينة . وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة) .

هذا أمر الله سبحانه وتعالى لعباده ، أن يعبدوه مخلصين له الدين ، فإن الإخلاص روح الأعمال ، وكل عمل لا يصحبه إخلاص عمل ميت لا يقبله الله ولا يرتفع إلى ملكوت السماء . روى عن الفضيل بن عياض رحمه الله أنه قال فى قوله تعالى (ليبلوكم أيكم أحسن عملاً) : أخلصه وأصوبه ، فقيل له : ما أخلصه وأصوبه ؟ قال : إن العمل إذا كان خالصاً ولم يكن صواباً لم يقبل ، وإذا كان صواباً ولم يكن خالصاً لم يقبل ، حتى يكون خالصاً صواباً . فالخالص : ما كان لله والصواب : ما كان على السنة .

إخلاص العمل لله سبحانه أن لا يكون فى قلبك إرادة مدح الناس لك أو ثناؤهم عليك ، إنما تعمل العمل ترجو به وجه الله ، وتبتغى به رضوانه ، وتدخره عند من لا يضيع عنده أجر من أحسن عملاً ، فى يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم .

إن القلب إذا سلم من آفات الرياء والسمعة والشهرة ، وَجَّه كل أعمال الجوارح إلى طاعات وقربات ، سواء أكانت تلك الأعمال للدنيا أو للدين ، سواء أكانت عبادة مثل

الصلاة والزكاة والصوم والحج والجهاد ، أم كانت سعياً للرزق وكسباً للعيش لنفسه ولمن يعول ، ولمد يد العون للفقراء واليتامى والمساكين .

إن النية وحدها هي التي تُقَوِّم عمل الإنسان ، وقد روى البخارى ومسلم عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إنما الأعمال بالنيات ، وإنما لكل امرىء ما نوى : فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله ، فهجرته إلى الله ورسوله ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو إلى امرأة ينكحها ، فهجرته إلى ما هاجر إليه » . والنية سر بين العبد وربه ، فلينظر كل منكم إلى سريرته وما تنطوى عليه نفسه ، وليحاسبها قبل يوم الحساب لعلنا نستطيع أن نصلح من فسادها وخبثها وضلالها ما أفسدت به أعمالنا ، وضللت به سعينا ، ولعلنا نستطيع أن نغرس فيها شجرة الاخلاص والإيمان والتقوى ، مستعينين بالله على ذلك ، ضارعين إليه فى كل لحظة وكل طرفة عين أن يصلح فساد قلوبنا ، وخبث نفوسنا ، وأن يحول حالنا إلى أحسن الأحوال ، وهو سبحانه القريب المجيب لمن أخلص الدعاء ، ورفع إليه أكف الرجاء ، فى ذلة وضراعة وخضوع ، وفقر وحاجة وخشوع .

المخلصون هم أولياء الله وخاصته ، ومحل رعايته وعنايته ، يكلؤهم بحفظه وينظر إليهم برحمته . يحيطهم بلطفه ، ويسدد خطاهم بتوفيقه . ذلك لأنهم أخلصوا دينهم لله ، وأخلصوا قلوبهم لله وأخلصوا نواياهم لله ، وأخلصوا عملهم لله . ظاهرهم كباطنهم : انقياد لأمر الله ، ورضى بقضائه ، واتباع لنبيه صلى الله عليه وسلم ، وحب لأوليائه ، وكره لاعدائه . موالاة للموحدين ، و بغض لعبدة القبور المشركين .

أمرهم الله بالإخلاص بقوله تعالى : (إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق فاعبد الله مخلصاً له الدين ، ألا لله الدين الخالص) فامتثلوا وأطاعوا وأخلصوا وقالوا : بأعمالهم وألسنتهم : (قل إنى أمرت أن أعبد الله مخلصاً له الدين) وقالوا : (قل الله أعبد ملخصا له دينى) فأعد الله سبحانه وتعالى لهم من النعيم والقُرْب مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر فقال تعالى : (وما تجزون إلا ما كنتم تعملون . إلا عباد الله المخلصين . أولئك لهم رزق معلوم . فواكه وهم مكرمون . فى جنات النعيم . على سرر متقابلين) نسأله سبحانه أن يجعلنا وإياكم منهم .

أيها المسلمون : إن الشيطان على كيده وعتوه وتمرده يلقى سلاحه مهزوماً مدحوراً أمام العبد المخلص الذى أخلص قلبه ودينه لله ، وليس ذلك لقوة توكل العبد واعتماده على ربه ومولاه فحسب ، وإنما أكثر من ذلك لحفظه سبحانه له وعنايته به فلا يسلمه إلى عدوه أبداً . اسمعوا لقول إبليس واعترافه بعجزه عن اغواء المخلصين ، وهو يحلف أنه سيغوى جميع طوائف بنى آدم : (قال : رب بما أغويتنى لأزينن لهم فى الأرض ولأغوينهم أجمعين . إلا عبادك منهم المخلصين) ويقسم على ذلك بعزة الله فى الآية الأخرى (قال : فبعزتك لأغوينهم أجمعين . إلى عبادك منهم المخلصين) .

ليس الاخلاص أمراً شاقاً ، ولا هو ملكة فى قلوب بعض الناس بالخَلْق والطبع ، إنما هو من السجايا والاخلاق التى يستطيع كل منا أن يكسبها بشىء يسير من جهاد النفس الأمارة بالسوء . فأول خطوة لذلك أن تحب الخير للناس وأن تفرح لفرحهم وتسر لسرورهم وتتألم لألمهم وتحزن لحزنهم وتحاول بعد ذلك وقبله ومعه أن تنزع من قلبك الحقد والحسد والبغض والكراهية للناس . بل تسارع إلى مشاركة الأهل والجيران وذوى القربى فيما هم فيه من أفراح وأتراح ، لا تنطوى على نفسك أبداً ولا تعتزل الناس بل اندمج فيهم واختلط بهم . أجب دعوتهم وأدعهم إليك ، ووطن نفسك فى كل ذلك وأن تسدى نصحك لهم فى إخلاص وأن تُقَوِّم معوجهم وتهدى الضال منهم ، وتفتح أعينهم إلى التوحيد الذى عُمِّى على أكثر الناس . قد يكون عملك فى هذا السبيل فى أول أمرك تكلفا وتصنعا ، ولكن ثق أنه بالاخلاص وبمرور الأيام سيصبح سجية وطبيعة وخلقا لك . وعند ذلك سيكون من السهل عليك أن تميز بين الطيب والخبيث والمؤمن الصالح والكافر المفسد فى الأرض ، ويكون حبك ومودتك لله وفى الله وكراهيتك وبغضك للآخر لله وفى الله ، لا لحظ نفسك ولا لغرض من أغراض الدنيا .

إن أقل الأعمال وأيسرها تكون ثقيلة فى ميزان أعمالك بصدق النية وإخلاصها لله ، ولا يكون للعمل الكثير وزن ولا قيمة عند الله إذا خالطه الرياء والعجب وملاحظة غير الله ، فإنه سبحانه يحاسب على النوايا وهو القائل (وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثوراً) ذلك لأنه لم يكن خالصاً لله . وهو سبحانه القائل : (لن ينال اللهَ لحومها

ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم) فمناط قبول العمل عند الله التقوى وطيب النية وخلوص القلب والعمل له سبحانه (إنما يتقبل الله من المتقين) .

الرياء يحبط العمل ، ويمحق البركة ، ويوقع فى الشرك . روى الإمام أحمد عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ألا أخبركم بما هو أخوف عليكم عندى من المسيح الدجال ؟ قالوا بلى ، قال : الشرك الخفى ، يقوم الرجل فيصلى فيزين صلاته لما يرى من نظر رجل » وجاء فى الحديث القدسى الذى رواه مسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه « قال الله تعالى : أنا أغنى الشركاء عن الشرك ، من عمل عملا أشرك معى فيه غيرى تركته وشركه » .

أيها المسلمون : إن العمل ليزكو ويزكو ، ويرتفع ويرتفع ، حتى يكتب فى عليين ، ويدخر لصاحبه من الأجر والثواب مثل الجبال ، وذلك بحسن نيته وإخلاصه وتقواه وإرادته وجه الله . وإن العمل ليخبث ويسفل حتى لا يرتفع عن موطىء قدمى صاحبه ، وذلك بسوء طويته وخبث نيته وريائه ونفاقه ونظره إلى الناس . وقد روى عن بعض السلف أنه قال : إن كتف الرجل وجسده ليلتصق بكتف الرجل وجسده فى الصلاة ، وبين صلاتهما بعد ما بين السماء والأرض . أما أحدهما فقد تعلق قلبه بالله حبا وخشوعا ورغبا ورهبا وإخلاصا فتقبلت صلاته وصعدت إلى السماء كما قال تعالى : (إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه) جعلنا الله وإياكم منهم . وأما الآخر ـ ونعوذ بالله أن نكون منهم ـ فقد تعلق قلبه بالدنيا وانشغل بها عن صلاته ، فحضر بجسده وغاب بقلبه وروحه ، فلم يذق طعم الحب والخشية والإخلاص لله ، فأخلد إلى الأرض فكان من الغاوين الغافلين .

إن الإخلاص سبب الفلاح والفوز والسعادة فى الدنيا والآخرة ، المخلص يتقن عمله ويتقى الله فيه ، فلا يغش ولا يخون ولا يكذب ولا يخالف الوعد ولا يغدر ولا يسرق ، بل يكون على العكس من ذلك أمينا صادقا وفيا عفيفا ، مؤمنا بأن الله رقيب شهيد حسيب على كل كلمة يقولها ، وعلى كل عمل يؤديه ، وكل خطرة تهمس بها نفسه ، وكل خلجة تحيك فى صدره . فهو فى ذكر دائم لربه لا يفتر لحظة خوفا على نفسه من الشيطان أن ينتهز ثغرة من الغفلة أو النسيان فيوقعه فى حبائله وإغوائه ، واضعا نصب عينه قوله تعالى : (وإن تبدوا ما فى أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله) .

نسأله سبحانه وتعالى أن يجعلنا بمنه وكرمه وفضله من المؤمنين المتقين المخلصين الذين يخشونه ولا يخشون غيره . وصلى الله عليه وسلم وبارك على نبينا محمد وآله اجمعين .

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين ، نحمده سبحانه على سوابغ نعمه ، ومتتالي مننه وجوده وفضله وكرمه ، لا نحصى ثناء عليك ياربنا ، أنت كما أثنيت على نفسك .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك ، يتقبل التوبة عن عباده ، ويعفو عن السيئات .

واشهد أن نبينا محمدا عبده ورسوله ، أعرف الخلق بالله ، واخشاهم لله ، سيد المتقين المخلصين . صلى الله عليه وعلى آله أجمعين ، وجعلنى الله وإياكم من آل هذا الرسول وحزبه المفلحين فى الدنيا والآخرة .

أما بعد : فقد روى البخارى ومسلم عن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه تبارك وتعالى قال : « إن الله كتب الحسنات والسيئات ، ثم بين ذلك ، فمن هم بحسنة فلم يعملها كتبها الله تبارك وتعالى عنده حسنة كاملة . وإن هم بها فعملها كتبها الله عشر حسنات إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة . وإن هم بسيئة فلم يعملها كتبها الله تعالى عنده حسنة كاملة . وإن هم بها فعملها كتبها الله سيئة واحدة » .

انظروا أيها المسلمون إلى رحمة الله وكرمه وإحسانه إلى عبيده ، واستحقاقه وحده سبحانه للحمد والشكر ، وإخلاص العبادة والرجاء لما عنده ، فإنه سبحانه تفضلا منه وتكرما يكتب الحسنات لمن نوى الاحسان ولو لم يستطع أن يحقق مافى نيته ، فإن حققها ضاعف له الأجر الثوابَ لحسن نيته ولفعله الحسنة . وهو سبحانه يكتب الحسنات لمن نوى السوء ثم رده عن فعله الخوف من الله ، أما ذلك النكد الذى لم يكن لله فى نفسه الوقار والهيبة فاجترأ على تنفيذ نيته السيئة فان الله بعدله يكتبها عليه سيئة واحدة (وهل جزاء الإحسان إلا الإحسان) (وجزاء سيئة سيئة مثلها) .

يقول الله سبحانه وتعالى : (إن تخفوا ما فى صدوركم أو تبدوه يعلمه الله) فهل ينفعنا

أن نبدى للناس مودة وحبا ، ونخفى لهم بغضا وحسدا وحقدا وكرها ؟ هل يجدينا شيئاً أن نظهر الصلاح والايمان والتقوى والإخلاص ، ونبطن النفاق و الرياء ؟ إن الله عليم بما نخفى وما نعلن ، وما نظهر وما نبطن ، وهو سبحانه محاسب عليهما جميعا . فلنعمل على تطهير ظاهرنا وباطننا ، واصلاح قلوبنا وأعمالنا . وقد روى مسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن الله لا ينظر إلى أجسامكم ولا إلى صوركم ولـكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالـكم » .

فـكم من ظاهر جميل لطيف ظريف ينطوى على أخبث قلب وأنـكده وأحقده ، وكم من متورع لا يكاد يكف عن وعظ الناس وزجرهم ونهيهم عما لم ينههم الله ولا رسوله عنه من عمل أو قول ، بل عما قد يكون مباحا لهم . ثم هو بعد ذلك إذا فتشت عن دخائله ، وسبرت غور تورعه تجده هباء منثورا . لا يثبت على فضيلة ، ولا يستطيع أن يعظ أقرب الناس إليه ، ولا أن يزجره ، ولا أن ينهاه ، ولا حتى أن ينصحه . بل إنه فى خاصة نفسه لا يلتزم ما يقوله للناس . لمثل هؤلاء يقال الله تبارك وتعالى : (أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الـكتاب أفلا تعقلون) نعم إنهم لا يعقلون ، ولو أنهم كانوا يعقلون ما فعلوا ذلك ولسكتوا عن وعظ الناس حتى لا يكون وعظهم عليهم حجة ، وعقابهم عند الله أشد وأعظم . إن المؤمن العاقل هو الذى يعمل فى نفسه وفى أقرب الناس إليه أولا بما يأمر به الناس . وقد روى البخارى ومسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « يؤتى بالرجل يوم القيامة فيلقى فى النار ، فتندلق أقتاب بطنه (أى امعاؤه) فيدور بها كما يدور الحمار فى الرحى ، فيجتمع عليه أهل النار فيقولون يا فلان ، مالك ؟ ألم تـكن تأمر بالمعروف وتنهى عن المنـكر ؟ فيقول : بلى ، كنت آمر بالمعروف ولا آتيه ، وانهى عن المنـكر وآتيه » . وروى الطبرانى « أن أناسا من أهل الجنة ينطلقون إلى أناس من أهل النار ، فيقولون بماذا دخلتم النار ، فوالله ما دخلنا الجنة إلا بما تعلمنا منكم ؟ فيقولون : إنا كنا نقول ولا نفعل » وهذا أيها المسلمون عاقبة عدم الاخلاص فى العمل فاسألوا الله دائما أن يرزقنا الصدق والإخلاص .

إن طائفتين من الناس لا يرجى منهم خير : المخلص عن جهل فإنه يتخبط فى الظلمات ويظن أنه على نور وهدى ، ولا يزال يضرب فى ظلمات الجهل والضلال حتى يتخذ من دون الله الانداد من الموتى ويسميهم له الشيطان الأولياء والصالحين ، وأهل الله ، ولاخوف عليهم ولا يحزنون . ولا يزال يجره فى الضلال والشرك حتى يخلعه من الإسلام خلعا فيكون من : (الذين ضل سعيهم فى الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا) . والطائفة الأخرى : العالم الذى حرم الإخلاص فإنه يكون شرا على المجتمع لا يزال ينفث فيه سمومه حتى يحيق به الدمار والهلاك . ولذا كان سفيان الثورى رضى الله عنه يستعين بالله من فتنة العابد الجاهل وفتنة العالم الفاجر ، فإن فتنتهما فتنة لكل مفتون .

أيها المسلمون : إن الله سبحانه وتعالى قد وعد المؤمنين المخلصين أن يكتب لهم من الأجر عند عجزهم مثل ما كان يكتب لهم فى شبابهم وصحتهم ، روى البخارى ومسلم أن جابر ابن عبد الله الأنصارى رضى الله عنه قال : كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزوة فقال : « إن بالمدينة لرجالا ما سرتم مسيرا ، ولا قطعتم واديا ، إلا كانوا معكم ، حبسهم المرض » فيكتب الله سبحانه تعالى لهم مثل أجر هؤلاء المجاهدين ، إنهم لم ينالوا تلك الدرجة إلا باخلاصهم وصدق نواياهم .

اللهم إنا نسألك من فضلك العميم ، ورحمتك الواسعة ، أن ترزقنا التقوى والإخلاص فى أقوالنا وافعالنا ، وأن تجعلنا مع الذين أنعمت عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ، ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار ، ربنا اغفر لنا ولأخواننا الذين سبقونا بالإيمان ، ولا تجعل فى قلوبنا غلا للذين آمنوا ، ربنا إنك رؤوف رحيم . وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وآله أجمعين .

سليمان رشاد محمد

حول منهج فى تفسير الاسلام

فى العدد الأول من المجلد ٢٨ شهر المحرم سنة ١٣٨٣ نشرت مجلة الهدى النبوى مقالا عن منهج فى تفسير الإسلام للسيد الأستاذ الدكتور محمد سعاد جلال . وقالت المجلة « إن كل ما ذكره حقائق ترتكز على كتاب الله وسنة رسوله وكلها تتفق تماما مع دعوة أنصار السنة وهى نفس ماانادى به علماء الجماعة سواء من انتقل منهم إلى رحمة الله أو من هم على رأس الجماعة الآن » .

وهذا المنهج يتكون من خمسة عناصر الأربعة الأولى منها مسلمة أما العنصر الخامس «وظيفة القرآن » : فلى عليه تعقيب وهو :

قال الأستاذ الدكتور « وظيفة القرآن أنه كتاب هداية واصلاح بشرى نفسى واجتماعى و بشارة للمؤمنين ونذارة للكافرين وليس من شأن القرآن أن يبحث فى العلوم الكونية فإن هذا البحث خارج عن حدود وظيفته . وما ورد فى آياته الكريمة مشتملا على ذكر شىء من ذلك فإنما هو من قبيل التشبيهات البلاغية وضرب المثل لإيضاح الفكرة من حيث كان كتاب بلاغة » .

القرآن والعلوم الكونية

ولكنا نجد القرآن قد جاء بعدة آيات فى غير ماسورة تناول فيها أبوابا من العلوم الكونية فتحدث ، على سبيل المثال : عن خلق السماء والأرض وأنهما كانتا رتقا ففصل بعضه عن بعض و بدأ خلق الأرض فى يومين ، ثم استوى إلى السماء فسواهن سبع سموات طباقا فوقنا ، وجعل فيها الشمس ضياءاً والقمر نوراً فى يومين ، والأرض بعد ذلك دحاها أخرج منها ماءها ومرعاها وقدر فيها أقواتها والجبال أرساها وذلك فى يومين ، فتمت الأيام ستة: اثنان للسموات وأربعة للأرض سواء للسائلين — وتحدث عن جريان الشمس وتقدير القمر منازل وأنهما بحسبان لنعلم عدد السنين والحساب ، وأنه رفع السماء ووضع

الميزان فلا تخرج الأجرام الفلكية عن مساراتها كل فى فلك يسبحون — وكما تحدث القرآن عن خلق هذا العالم أخبر أن له أجلا مسمى يحل بقيام الساعة بالنفخ فى الصور وتحدث عما يكون يومئذ من انفطار السماء وتكوير الشمس وانتثار الكواكب الخ مايقع ، يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات .

وكذلك تحدث القرآن عن عالم الأحياء فقال وجعلنا من الماء كل شىء حى ، وألقى فى الأرض رواسى أن تميد بكم وبث فيها من كل دابة . وعن خلق الإنسان وأنه لم يكن شيئاً مذكوراً فبدأ خلقه من تراب من طين لازب صلصال كالفخار، ثم نفخ الله فيه من روحه وجعل له من نفسه زوجا وبث منهما رجالا ونساءاً ، وبين كيف يكون نسل الإنسان وأطوار خلقه فى بطن أمه وأنه فى ظلمات ثلاث الخ .

وتحدث كذلك عن عالم الجن وأنه خلقهم من مارج من نار واستماع نفر منهم للقرآن فآمنوا به .

وظيفة القرآن

وهكذا يتحدث القرآن عن مسائل من أخص موضوعات العلوم الكونية ثم هو يحضنا على النظر والتفكر فيها — وكان ذلك كذلك لأن الكون جملة وتفصيلا لآيات بينات على وجود الخالق ووحدانيته . ومن ثم كانت دراسة العلوم الكونية من شأنها الدلالة على تلك القدرة العظيمة وذلك الإبداع والتقدير وذلك التدبير والترتيب وتلك النواميس والقوانين والسنن الثابتة التى يقوم عليها هذا الكون ونظامه المحكم المتناسق المؤلف لوحدة مترابطة بعضها ببعض مما يفضى العلم به إلى الاقرار بخالقه والاعتراف بوحدانيته .

وهكذا اعتبر القرآن النظر فى الكون والتفكر فيه سبيلا ووسيلة إلى الهداية للإيمان والإسلام .

ومن ثم كان البحث فى العلوم الكونية فى الصميم من وظيفة القرآن . ذلك أن الهداية تتضمن ضرورة دخول وسائلها فى نطاق وظيفتها — ثم إنه لا تعارض بين الهداية وذكر

القرآن بعض الحقائق الكونية عن هذا العالم الذى نحن فيه . فإن السؤال عنه هو من أول ما يتبادر إلى الفكر الانسانى : من أين و إلى أين نحن وهذا الكون ؟ و إذاً فليس بدعا ولا عجباً أن يجيء القرآن بجواب هذا السؤال الفطرى ، رحمة من ربك ، بل قال فعلا أنه جواب حيث يقول فى صدد خلق الأرض (فى أربعة أيام سواء للسائلين) .

ولعل الرغبة فى حماية القرآن وصيانته خشية وقوع خلاف بينه و بين العلوم الكونية هى التى تحمل بحسن نية على إخراج العلوم الكونية من وظيفته — ولا محل لهذه الخشية فإن الحق كل الحق هو القرآن الذى لا يأتيه الباطل ، فلا يمكن أن يتصور المسلم أن علم البشر — الذى يعترف بأخطائه وتغير مفاهيمه من حين إلى آخر — يمكن أن ينتصب معارضا لعلم الخالق . وفى الواقع ليس هناك عالم يزعم أن ماوصل إليه هو الحقيقة التى مابعدها حقيقة ، ولو سلم جدلا افتراض شبهة تعارض بين نظرية علمية وآية من القرآن فلقصور فى الأذهان إما عن درك العلم الصحيح و إما عن فهم القرآن فهمه الصحيح . أما قصور العلم فمسلم به من العلماء أنفسهم قال تعالى « وما أوتيتم من العلم إلا قليلا » .

وأما قصور الفهم فالأذهان تتفاوت : منها الألمعى ومنها دون ذلك ، قال تعالى (ولو ردوه إلى الرسول و إلى أولى الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم) ولما سئل الإمام على هل خصهم الرسول صلى الله عليه وسلم بشيء من العلم قال : لا ولكن فهم يؤتيه الله عبداً فى كتابه .

الآيات الكونية والتشبيه البلاغى

إن القرآن لما أراد التشبيه جاء به صريحاً كقوله تعالى (والقمرَ قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم) وقال (إنا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب) وفى آيتين أخريين (زينا السماء الدنيا بمصابيح) ، وكقوله (يوم تكون السماء كالمهل ـ وتكون الجبال كالعهن المنفوش . يكون الناس كالفراش المبثوث) أما سائر الآيات الكونية فإنها آيات محكمات بينات المفهوم فى اللسان العربى الواجب فهم القرآن بمقتضاه على ما قرره بحق الأستاذ الدكتور فى العنصر الرابع من منهجه . ثم أين هى مظنة التشبيه فى ما ورد بالقرآن عن بدء

الخلق وعدد السموات وخلقها هى والأرض فى ستة أيام وعن بدء خلق الإنسان ؟ الخ .
وهكذا يتبين أن القول بأن كل الآيات الكونية من قبيل التشبيه البلاغى لا ينطبق على واقع القرآن .

الأيام الستة

رب قائل يقول عن تلك الأيام أن ذلك من قبيل التشبيه ، وإلا فما هى ؟ تلك الأيام ليست قطعا كأيام هذه الأرض المكون يومها من ليل ونهار متعاقبين مدى أربع وعشرين ساعة . فإن يومنا مرتب على دوران الأرض حول نفسها وحول الشمس ، وقد نص القرآن على خلق الأرض فى يومين قبل خلق السموات التى قال أنه جعل فيها الشمس والقمر وذلك يفيد أنه لم تكن هناك شمس فى هذين اليومين الأولين من الأيام الستة وبالتالى لم يكن هنالك أيام من أيامنا .

قال تعالى «وإن يوماً عند ربك كألف سنة مما تعدون» وتكرر هذا النص فى القرآن فعلمنا أن اليوم عند الله هو مقدار ألف سنة مما عندنا — فماذا يكون المفهوم من لفظ الأيام فى قول القرآن أن خلق السموات والأرض فى ستة أيام ويكرر ذلك غير مرة .

إن المفهوم الظاهر الجلى المتبادر إلى الأذهان أنها أيام من تلك الأيام التى عند الله أى مدى ستة آلاف سنة قمرية وهى السنة التى يعرفها العرب المخاطبون بالقرآن . وأن هذه الأيام هى مقدار الزمن الذى خلقت فيه السموات والأرض ، ثم استوى الله تعالى على العرش يدبر الأمر من السماء إلى الأرض ، ألا له الخلق والأمر — أما ما هو مدى الدهر الذى انقضى من بعد الأيام الستة حتى قول الله للملائكة إنى جاعل فى الأرض خليفة ثم هبوط أبينا آدم إلى الأرض ، ثم ما بال القرون الأولى من بعد هذا الهبوط ؟ علمها عند ربى فى كتاب لا يضل ربى ولا ينسى .

هذا وقد بدت منذ حين نزعة إلى استبعاد مفهوم بعض القرآن بزعم أن غايته مجرد الهداية لا البحث فى العلوم ويكون ما جاء به من القصص والتاريخ ليس من أغراضه

فلا يؤخذ على أنه حقيقة الواقع ـ وقد رد الأستاذ الدكتور مثل هذا الزعم فى آخر مقاله حيث تحدث ، أفاده الله وأفاد به ، عن مسألة الملك والشيطان وكان رده حقاً شافياً كافياً . وردنا هذا شاف كاف أيضاً فى مسألة الآيات الكونية ووجوب تفهمها الحق فى اللسان العربى .

التمسك بالكتاب

القرآن هو الحق فهو حاكم غيره ولا يحاكم إلى غيره .

(فاستمسك بالذى أوحى إليك إنك على صراط مستقيم ـ ولا يصدنك عن آيات الله بعد إذ أنزلت إليك ـ واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله إليك) .

ونقول : سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير .

محمد المفتى الجزايرلى
وزير الأوقاف سابقاً

إلى فرع الجماعة بالبتانون

ترجو إدارة المجلة أن يتفضل الأخ السيد قطب أحمد جاد بالبتانون البلد — بإرسال مبلغ ٩ جنيه و ٨٠٠ مليما ، وذلك قيمة المتأخر طرفه من حساب مجلة الهدى النبوى ، كتعليمات وزارة الشئون الاجتماعية .

هذا وترسل النقدية باسم السيد سليمان حسونه مدير المجلة .

إمامنا الراحل

الشيخ محمد حامد الفقى

فى يوميات كتاب التحرير

«ولد – رحمه الله – بقرية جزيرة نكلا العنب التابعة لمركز شبراخيت عام ١٨٩٢ . وكان أبوه زميلا للإمام محمد عبده بالجامع الأزهر . أما أمه فكانت السيدة الوحيدة التى تحفظ القرآن الكريم فى القرية . فكان بيته بيت علم ساعده على التفقه وتحصيل العلوم المختلفة .

تأثر بمدارسه للإمام أحمد بن تيمية . وابن قيم الجوزية . ومحمد بن عبد الوهاب وغيرهم من العلماء السلفيين . ومن هنا لاح له النور الذى أضاء له الطريق إلى الكتاب والسنة .

التف حوله نفر ممن آمن بدعوته عندما نادى بها . فألف مع الصحبة المؤمنة عام ١٩٢٤ جماعة تسمى « جماعة أنصار السنة المحمدية » واتخذ داراً لها بحى عابدين بالقاهرة . ومن هذه الدار أخذ يرسل شعاع الهدى من كتاب الله وأحاديث رسوله صلى الله عليه وسلم على من كان يقبل عليه من طلاب الحق .

حاربه دعاة الباطل من الشيوخ والعامة . كما جار به القصر الملكى لعيبه فى الملك . وتعرض للنقل والاضطهاد . ولكنه صمد للأحداث .

خلف وراءه جماعات من مدرسته فى كل قطر إسلامى لحملت الشعلة من بعده . كما خلف مكتبة إسلامية ضخمة ستبقى منارا لطلاب الهدى والحق .

توفى – رحمه الله – بالقاهرة عام ١٩٥٩ عقب عملية جراحية » .

« الجمهورية يوم ١٩٦٣/٦/١٠ »

• • نشرت صحيفة الجمهورية هذه الترجمة القصيرة لحياة فضيلة الإمام الراحل في يوميات كتاب التحرير الذي يصدره دار التحرير للطبع والنشر كل أسبوع .

وإنه لعمل جليل ذلك الذي قام به دار التحرير وعلى رأسها أخونا الأديب النبيل الأستاذ مصطفى بهجت بدوي وقد أضاف الأستاذ بهجت إلى صنيعه هذا مكرمة جديدة حين جعل الرمز الذي يشترى به كتاب الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني - وهو سفر أدبي جليل - رقم ١٦ الرمز الذي يحمل صورة الإمام الراحل .

وليس هذا بأول صنيع مشكور للأستاذ بهجت . فقد سبق أن تفضل فأفرد الصفحة الأخيرة كلها من صحيفة المساء الصادرة يوم ٦/٤/١٩٦١ لمقال عن حياة الإمام أحمد بن تيمية بمناسبة الاحتفال بأسبوع الفقه الإسلامي بدمشق آنذاك . كما منح الصفحة نفسها لكلمة أخرى مطولة كتبها أحد إخواننا عن حياة الإمام الشيخ محمد حامد الفقي رحمه الله . فكان للمقالين صدى كبير محمود في جميع أوساط أنصار السنة .

وإن ما قام به الأستاذ الأخ مصطفى بهجت هو في الحقيقة تقدير منه للإمامين المجاهدين الراحلين على ماقاما به من الجهاد في سبيل إعادة الأمة الإسلامية إلى حظيرة التوحيد الخالص . وإبعادها عن حياة البدع والخرافات . ومرة أخرى نكرر شكرنا وتقديرنا للأخ الأستاذ مصطفى بهجت على جميل صنعه .

* * *

الصوفية . . والمنحرفون

أجرت مجلة آخر ساعة تحقيقاً صحفياً مصوراً عن الصوفية وشيوخها ومريديها لتبين للعالم الإسلامي ضلال هذه النحلة . فكتبت في صدر التحقيق تقول « إن آخر ساعة بنشرها لهذا التحقيق الجرىء إنما تريد أن تساهم في تنقية الصوفية من الذين انحرفوا عن صفوفها ، والذين استغلوا البدع والخرافات في التأثير على السذج والجهلاء من الناس .. وهي تلقى لأول

مرة[1] الأضواء على الحياة الغريبة التى يعيشها ٦٣ شيخ طريقة لهم من الأتباع ما يقرب من أربعة ملايين » .

« آخر ساعة الصادرة فى شهر يونيو ١٩٦٣ »

ونحن نذكر هنا شيئاً عما أورده التحقيق عن الحياة الغريبة التى يعيشها ٦٣ شيخ طريقة فقد كتب وما زال يكتب عنهم بإفاضة فضيلة الشيخ عبد الرحمن الوكيل الرئيس العام للجماعة فى « نظرات فى التصوف » التى تنشرها الهدى النبوى كل شهر . فإن فضيلته يكشف لنا بقلمه الرصين فى هذه المقالات القيمة الستار عن حقيقة شيوخ الطرق الصوفية وحياتهم الغريبة بأدلة دامغة لا تحتاج إلى مزيد أو إيضاح . إننا لن نذكر هنا شيئاً من هذا ولكننا سنقف عند عبارة وردت بمقدمة تحقيق آخر ساعة لنرد عليها . ونضع الحق فى نصابه تقول آخر ساعة فى هذه المقدمة « ... إنما نريد أن نساهم فى تنقية الصوفية من الذين انحرفوا عن صفوفها . . . إلخ » .

وهذا كلام يوهم القارىء الذى يجهل أمر التصوف أن الصوفية نابعة من الإسلام ، وأن بعضهم قد خرج عن مبادئها فانحرف ، وأتى بهذه المنكرات التى نراها اليوم .

ولكى نزيل هذا الوهم من ذهن القارىء سنكشف له عن أمر هذه النحلة حتى يقف على حقيقتها ولا ينخدع بأمرها . فالصوفية أصلا مذهب خارج عن الإسلام . ودخيل عليه والدليل على ذلك أن المؤرخ ابن خلدون سجل فيا سجله من حقائق التاريخ عن التصوف فقال فى مقدمته : التصوف من العلوم الحادثة فى الملة وأصلها العكوف على العبادة والانقطاع عن العمل .

---

(١) لعل آخر ساعة نسيت أنها نشرت بتاريخ ١٩٥٨/٨/٢٠ تحقيقاً صحفيا عن قصة ضريح الشيخ الدياصى الموهوم بجهة كرداسة . وأبانت فيه فساد ورجال الطرق الصوفية واستحواذهم على عقول السذج . وطالبت المسئولين بالقضاء على الطرق الصوفية لأنها تفسد على الناس عقائدهم ، وتشوه جمال دينهم .

ومما يؤيد قول ابن خلدون عن أصل هذه الصوفية المستحدثة أن العلماء المحققين ذكروا أن التصوف نشأ فى الهند وقام على مبدأ الجوع والفقر والزهد ، والهروب من عالم الواقع إلى عالم الخيال والوهم .

هذا ما سجله التاريخ الصادق عن نشأة التصوف وأصله . أما عمل الصوفية ودورها فى المجتمع الإسلامى فهو يهدم ما جاء به الإسلام من السمو والجد والكرامة .

فإن للموالد التى تقام طوال العام ونرى فيها الغناء الشركى الذى يأتى فى مدح الرسول صلى الله عليه وسلم من النساء والرجال . . والحلقات التى يعقدونها ويسمونها ذكراً لله . وغير ذلك من المنكرات التى تحدث فى الموالد .. والبدع والأباطيل التى يدين بها الناس اليوم كل ذلك من فعل الصوفية ومشايخهم .

فليس فى الصوفية إذن فئة منحرفة ضالة . وأخرى جادة مهتدية ، بل الصوفية كلها بقضها وقضيضها منحرفة ودخيلة وضالة عن سبيل الإسلام .

على أن كتاب الله وسنة رسوله — وهما شريعة الله للناس فى الأرض — ليس فيهما كلمة الصوفية ، أو أية إشارة توحى بوجود هذا الإسم حتى يختاره هؤلاء الناس ويتسمون به ويدينون بتعاليمه .

إن معرفة صاحب تحقيق (آخر ساعة) للتصوف هى معرفة سطحية تحتاج إلى دراسة عميقة ليعرف حقيقتها فيطالب بالقضاء على كل الطرق الصوفية لأنها إقطاع روحى فتاك .

من الذى يملك المطر ؟

(دقت أجراس الكنائس فى جزيرة سنغافورة منادية جميع المسيحيين إلى الركوع أمام هيكل كل كنيسة . فى حين اندفع آلاف البوذيين فى الجزيرة إلى معابدهم للضراعة والابتهال إلى الإله بوذا . كما تجمهر أبناء طائفة الهندوس حول تمثال امرأة دميمة . . أما فى هونج كونج فقد ذهب الصينيون الذين يدينون بالكونفوشية يقدمون القرابين . .

كانوا جميعاً يصلون من أجل أمر واحد هو المطر . . فقد تعرضت أجزاء كثيرة من آسيا لقحط شديد خلال الأشهر الأربعة الماضية أدى إلى جفاف الزرع وموت الماشية . . الخ)

« ملحق الأهرام الأسبوعى الصادر فى يونية ١٩٦٣ »

. . تحت عنوان (من الذى يملك المطر ويمنعه من النزول) نشرت الأهرام هذا الخبر . وكأن الصحيفة ذاتها أبت أن تنشره دون تساؤل . ساخرة متعجبة من هذه الأعمال السقيمة التى يفزع أصحابها إلى آلهتهم العاجزة لتزيل عنها القحط . وتأتى لها بالمطر ؟ . .

وإنه لأمر يثير التساؤل والسخرية حقاً . . فمن الذى يملك المطر ويمنعه من النزول ؟ . هل هم هؤلاء الذين ماتوا فماتت حواسهم وفنيت أجسامهم . أم الله الحى القيوم السميع البصير الذى خلقهم وخلق آلهتهم . والذى يسير هذه السحب المشبعة بقطرات الماء فى السماء . ثم يأمرها بالنزول فتنزل بأمره لتكوّنَ هذه الأنهار العظيمة؟ ! .

واسمع إلى كتاب الله وهو يحدثنا عن الذى يملك إنزال المطر وإمساكه (وهو الذى يرسل الرياح بشرا بين يدى رحمته حتى إذا أقلت سحابا ثقالا سقناه لبلد ميت فأنزلنا به الماء فأخرجنا به من كل الثمرات كذلك نخرج الموتى لعلكم تذكرون) الآية ٥٧ : الأعراف (والله الذى أرسل الرياح فتثير سحابا فسقناه إلى بلد ميت فاحيينا الأرض بعد موتها كذلك النشور) الآية ٩ : فاطر .

هذه آيات بينات تخبرنا عن من بيده الأمر لأنه بيده ملكوت السماء والأرض . . ولكن الناس غفلوا عن آيات الله .

وقد ورد فى كتب السنة أن المسلمين كانوا إذا قحطوا يصلون صلاة الاستسقاء ويسألون الله ويتضرعون إليه فيستجيب لهم لأنهم لجأوا إلى الله وحده . ولم يلجأوا إلى أموات احتواهم جوف الأرض فصاروا لا يملكون موتاً ولا حياة ولا نشوراً .

معنى الإشراك بالله

قال تعالى : « ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير أو تلقى به الريح

فى مكان سحيق) . وأشد الناس حيرة واضطرابا وذلا فى هذه الدنيا من يشرك بالله . وليس الشرك فقط أن تجعل مع الله إلها آخر . بل المراد ما هو أخص من ذلك . وهو أن تعتقد أن لغير الله من مَلِك أو سلطان أو غنى أو ولى أو نصير أو زوجة أو ولد أو إنس أو جن أو مَلَك فى حياتك أو فى الكون المحيط بك فعلا مؤثرا . إن اعتقدت أن لواحد من هؤلاء فعلا فالتفتت نفسك لجهته خوفا أو طمعا فهذا هو الشرك الخفى . فإن أصيب بهذا الشرك أحد يدعى الإيمان قضى حياته بين من اتخذهم شركاء ممزق النفس والعرض والكرامة كأنما قذف به من السماء فمزقته جوارح الطير أو أسقطته الريح فى أسفل الأرض . وهكذا تصور الآية أروع تصوير حالة الرعب والوحشة والظلام التى يحياها من يجعل لله شريكا فى ذاته أو افعاله .

« الجمهوريه يوم ٢١ ـ ٦ ـ ١٩٦٣ »

ورد هذا التفسير القيم فى سلسلة المقالات التى تنشرها الصحيفة كل يوم بقلم الدكتور محمد سعاد جلال ويتناول فيها تفسير آية أو حديث نبوى . ولاشك أنه تفسير جليل لهذه الآية يدل على فهم عميق . وإدراك صحيح لمعنى الشرك على عكس مارسخ فى اذهان الناس اليوم . فإن السائد عند جمهور المسلمين فى هذا الزمن أن الشرك هو ما كان عند الأقوام الماضية والذى كان يتمثل فى عبادة التماثيل والأصنام . أما الانصراف إلى الزوجة . أو الأولاد . أو الأصدقاء . أو جماعة من الناس لأغراض دنيوية أو إشباع شهوة مما يعطل أداء حقوق الله . . أما السعى وراء المال والجاه مما ينسى العمل لمرضاة الله . فكل ذلك ليس عندهم شركا يجب الابتعاد عنه . ولذلك فإن سواد الناس يعيشون اليوم فى الشرك ليل نهار بما هم فيه من تأليه الفرد وعبادة الشهوات ثم يدعون أنهم يحسنون صنعا .

إن المسلمين اليوم فى حاجة شديدة إلى مثل هذه المقالات التى تنشر فى الجرائد اليومية السيارة ، ليتضح لهم معنى الشرك الذى جرهم إليه التقليد ومتابعة الشيطان ، والتعلق بحياة المدنية الزائفة . فإن مثل هذه المقالات لها أثر كبير . وتنبيه أكثر من نشره فى المجلات الدينية الشهرية التى لا تصل إلى أيدى الناس إلا فى حدود ضيقه جدا . فليكثر دعاة

الحق من علمائنا الذين تتاح لهم فرص الكتابة فى الصحف اليومية . ليكنروا مأجورين من الإهتمام ببيان هذا النوع من الشرك الخفى .

* * *

نظام الدفن الرجعى

نشرت صحيفة الجمهورية فى يومياتها التى تنشرها كلمة للأستاذ إبراهيم الوردانى أشار فيها بالذم إلى طريقة دفن الموتى بمناسبة حضوره دفن أحد أصدقائه الممثلين مات أخيراً . فقال فى كلمته أنه شاهد عملية الدفن كاملة وتنبه لأول مرة إلى المنظر الرجعى غير المحترم لطريقة دفن الموتى وعلق على ذلك فقال (. . . وكأننا نلقى سباخا فى جوف الأرض . كأننا نلقى نفاية شىء فى مخزن عفن) ثم تساءل قائلاً (أليست هناك وسيلة إنسانية متحضرة لإحترام رفاة موتانا وإيوائهم المثوى الأخير غير تلك الطريقة ؟ . ماذا يفعل الناس بموتاهم فى أوروبا ؟ هل يتركون الجسد فى أيد جلفة ـ كما رأينا ـ تمزق كرامته . فى حركات بدائية منحطة وهى تهيل عليه الطوب والتراب والطين ؟ . . إلخ)

« يوميات الجمهورية بتاريخ ١٩٦٣/٧/٥ »

هذا ما كتبه السيد المعترض فى حق القبور الشرعية . فماذا يريد هذا الكاتب أن يفعله الناس لدفن موتاهم غير الطريقة الحالية ؟ إذا كان سيادته يريد أن نكفن الموتى بالحرير . ونضعهم فى قبور مشيدة بالرخام ـ كما تفعل أوروبا ـ بل ومبطنة بالقطيفة والديباج فانه مخطىء وواهم إذا تصور أن جسد الميت وكل ما معه سيبقى كما هو دون أن يبلى أو يتحلل!

ولا نخال ـ وهو الرجل الذى نال قسطاً وافراً من التعليم ودرس شيئاً من علم الأحياء والجيولوجيا ـ أنه يجهل أن أجسام بنى آدم إذا زايلتها الروح تحللت وعادت إلى أصلها الأول وهو التراب مصداقاً لقوله تعالى (منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى ـ الآية ٥٥ : طه) .

ثم إن الطريقة التى دفن بها صديق الكاتب والتى يعيبها هى نفسها الطريقة الشرعية التى يدفن بها كل بنى آدم من يوم أن أهبطه الله إلى الأرض حتى يومنا هذا وإلى أن يرث

الله الأرض ومن عليها .. حتى رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم وهو صاحب أطهر جسد فى الوجود على الإطلاق . فهل مزقت هذه الطريقة الرجعية - كما يزعم الكاتب - كرامة النبى وجرحت كبرياءه ؟ ! .

إن المطلوب من الحى أن يفعله تجاه الميت هو ألا يمثل بجسده . ولا أن يعبث به لأى غرض من الأغراض . وأن يتولى غسله وتكفينه بالطريقة الشرعية . ثم يصلى عليه ثم يحمل إلى مثواه الأخير وهو الأرض التى خلق منها . وهذا هو إكرام الحى لجسد الميت واحترامه له أما مصير الجسد بعد وضعه فى القبر فسيكون غذاء للدود ثم يصير عفنا ثم ترابا . فهل يتوقع الكاتب أن يصير جسد الميت بعد ذلك إلى غير التراب ؟ .

هذه هى سنة الله التى تجرى على جميع الموتى ولو كره الكاتب المعترض . . بل ولو كره الناس جميعاً ! ! . . .

سعد صادق محمد

أقام فرع الجماعة بالمحلة الكبرى حفلا رائعا بمناسبة ذكرى الهجرة دعا إليه فضيلة الأستاذ محمد خليل هراس رئيس فرع الجماعة بطنطا ونائب الرئيس العام للجماعة وألقى محاضرة (من وحى الهجرة) .

وقد ألقيت كلمات قبل المحاضرة من الأساتذة إبراهيم شعبان وعبد الحفيظ سارى واعظ المحلة وعبد الفتاح سلامه وكيل الجماعة بطنطا .

ثم أخذ الأستاذ فى إلقاء محاضرته فأشاد بما فى الهجرة من عبر وعظات يجب أن يعيها المسلمون وأنها كانت فى سبيل المبدأ والعقيدة ثم أفاض فى بيان العقيدة الإسلامية وما تقوم عليه من أثبات الصفات التى نطقت بها النصوص من الكتاب والسنة الصحيحة .

وكانت ليلة نصر الله فيها الحق وأهله وخذل الباطل وحزبه إن الباطل كان زهوقا .

باب الفتاوى

سؤال

هل يجوز صلاة العصر مع الظهر جمع تقديم لمقيم ؟ .

عبد الجواد عبد الله فايد
زاوية البقلى منوفية

الجواب

لم يثبت فى حديث صحيح ولا ضعيف صلاة العصر مع الظهر جمع تقديم لمقيم ، وكل ما ورد فى هذا المعنى فإنما هو للمسافر ، وقد جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بينهما تقديما يوم عرفة ، لأنه أولا كان مسافرا ولأنه ثانيا أراد التفرغ للوقوف بعرفة للدعاء والتلبية ، ولا حجة فى ذلك لمقيم . أما ماورد بأنه عليه الصلاة والسلام جمع بين الظهر والعصر ، و بين المغرب والعشاء من غير سفر ولا مطر ، فإنه جمع تأخير ، أى أنه صلى الظهر والعصر فى أول وقت العصر ، وصلى المغرب والعشاء فى أول وقت العشاء .

أسئلة

١ — هل يجوز للمالك أن يؤجر بيته لمن يتخذه خمارة أو مكانا لماهرة ؟ .

٢ — هل يجوز إلقاء خطب على المنابر بعد صلاة الجمعة لإرشاد المسلمين إلى أحكام الدين ؟ علما بأنه لم يرد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد الجمعة إلا صلاة أربع ركعات أو ركعتين .

٣ — هل يجوز للمرأة المسلمة أن تهب أو تتصدق من خالص مالها بدون إذن زوجها ؟ .

محمد الحسن عبد القادر
كسلا : سودان

أجوبة

١ – يحرم على المالك تأجير بيته لمن يتخذه خمارة أو للزنا ، لإنه إعانة على الإثم والعدوان ومعصية الله ورسوله ، وقد نص على ذلك الإمام ابن تيمية فى فتاويه .

٢ – السؤال غير واضح ، فإذا كان المقصود إلقاء خطبة كخطابة الجمعة فهذا غير جائز ولم يقل به أحد من المسلمين ، وإن كان المقصود القيام إلى الناس لشرح بعض أحكام الدين لهم – سواء أكان ذلك من الإمام أم من غيره ، فهذا جائز ومما ندب إليه الدين ، خصوصاً فى مثل هذا الجمع الذى قلما يظفر العالم بمثلهم . أما صلاة الأربع ركعات أو الركعتين بعد الجمعة فإن محلها البيت بعد العودة من صلاة الجمعة فقد روى البخارى : « أن ابن عمر رضى الله عنهما كان إذا صلى الجمعة انصرف فسجد فى بيته سجدتين ، ويحدث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يفعل ذلك » .

٣ – روى فى السنن أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يأمر النساء بأداء زكاة حليهن وأن يتصدقن منها ، وقد أثنى الله تعالى على (المتصدقين والمتصدقات) ، فللمرأة أن تعطى السائل واليتيم من خالص مالها ومن مال زوجها أيضاً . ولكن ليس لها أن تهب من مالها إلا بإذن زوجها ، فقد روى أبو داود والنسائى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لا يجوز للمرأة عطية إلا بإذن زوجها » .

أسئلة

١ – ما حكم الدين فى الصور الشمسية (الفوتوغرافية) ؟

٢ – هل يجوز تشييع جنازة المشرك والصلاة عليه ؟

عبد الرحيم محمد صالح – على قدر
أرتيريا

الأجوبة

١ – قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن أشد الناس عذاباً يوم القيامة المصورون يقال لهم أحيوا ما خلقتم » وذهب بعض العلماء إلى أن هذا الوعيد الشديد قاصر على التماثيل

والنحت وكل ما هو بارز أو له ظل ، وقالوا إن كلمة صورة لا تعطى إلا هذا المعنى لقوله تعالى (هو الذي يصوركم فى الأرحام كيف يشاء) وقوله تعالى : (وصوركم فأحسن صوركم) ، وقوله تعالى (فى أى صورة ما شاء ركبك) ثم ألحقوا بالتماثيل ما كان من عمل اليد من الصور ، وما كان باطلا فى ذاته كتصوير الملائكة أو الشيطان ، لأنه من صنع الخيال ، أو كتصوير إنسان أو حصان أو غيرهما بأجنحة ، أو غير ذلك من الصور التى لا تمثل الواقع الحقيقى .

أما الصور الشمسية فقالوا إنها لا عمل للإنسان فيها ، بل هى إمساك للضوء أو الظل ، ونقل للصور على ما خلقها الله سبحانه وتعالى ، وأنها أصبحت من الضروريات فى إثبات الشخصية ، سواء كان ذلك فى جوازات السفر أو البطاقات أو غيرها ، علاوة على لزومها فى التعليم والوقوف على أنواع البشر والحيوانات والنباتات وغيرها .

والرأى عندى — والله أعلم — أن النوع الأول محرم قطعاً ، أما النوع الثانى — وهى الصور الشمسية — فينبغى عدم تعدى ما هو ضرورى منها كالحالات التى ذكرتها ، ولا يصح تجاوزها وتكبيرها وتعليقها بجدران الغرف ، فقد تدخل فى عموم قول رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الملائكة لا تدخل بيتاً فيه صورة » .

٢ — اختلف العلماء فى جواز تشييع جنازة المشرك الذى يعبد غير الله عز وجل و يدعوه و يترك الصلاة والعبادات الأخرى ، وأكثرهم على جوازه على قدر ما يكفى فى حمله ومواراته فى قبره لأن ذلك ضرورة حتمية على الأحياء ، وهذا هو الأرجح ، وقد أضاف بعضهم لذلك سبباً آخر وهو مجاملة ذوى قرباه من المسلمين . أما الصلاة عليه فغير جائز باتفاق المسلمين ، ويكفى فى ذلك أن الله تعالى يقول : (ولا تصل على أحد منهم مات أبداً) ، وأنه يقول : (ما كان للنبى والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولى قربى) .

سؤال

وجه إلينا أحد إخواننا هذا السؤال . قال : لى إبنة خالة لها أخ أكبر منها رضع من والدتى ، فهل يجوز لى الزواج من ابنة خالتى هذه ، علماً بأنى لم أقرب ثدى أمها ، وهى كذلك لم تقرب ثدى والدتى . أفتونا بما يبعث الطمأنينة ويدفع الشك والريبة .

محمد على الحاج
رئيس فرع البتانون

الجواب

يجوز للسائل أن يتزوج بنت خالته المذكورة ، لأنها لم ترضع من والدته ، ولأنه لم يرضع من والدتها ، فليس بينهما أخوة من الرضاع . وأخوها الذى رضع من والدته هو وحده الذى لا يحل له أن يتزوج أحداً من أخوات السائل لأنهن جميعاً يصبحن أخوات له من الرضاع .

سليمان رشاد محمد

الحطيئة والضيف

كان الحطيئة (الشاعر) يرعى غنماً ، فمر به رجل فقال ياراعى الغنم ماعندك ؟
قال : عجراء من سَلَم (يعنى عصاه) قال : إنى ضيف .
قال : للضيفان أعددتها .

من شرفات التاريخ :

« بدعة مولد الحسين »

يزعم كثير من الصوفية والعامة أن إقامة الموالد ما هى إلا تعبير عن حبهم لأصحاب الموالد والقباب وأنها سنة سنها السابقون ، ولو أن أحدهم فكر فى حقيقة هذه البدعة وكيف بدأت لعرف أنها لم تكن إلا دسيسة من دسائس الاستعمار الصليبي للقضاء على نقاء الدين الإسلامى ، وبث الفتنة فيه ، وزعزعة عقائد المسلمين ، ولقد أورد المؤرخ المعروف عبدالرحمن ابن حسن الجبرتى فى الجزء الثالث من تاريخه عن كيفية بدء بدعة من هذه البدع وهو مولد من الموالد التى تعتبر من أشهر الموالد فى هذه الأيام فى القاهرة وهو مولد الحسين رضى الله عنه .

يقول عبد الرحمن الجبرتى فى تاريخه لهذه البدعة : أنه فى يوم الأحد السادس من شعبان سنة ١٢١٣ هجرية الموافق للثالث عشر من يناير سنة ١٧٩٩ ميلادية .

« نادى القبطان الفرنسى الساكن بالمشهد الحسينى على أهل ذلك الحى وما جاورها بفتح الحوانيت والأسواق لأجل مولد الحسين وقد شدد فى ذلك وأوعد من أغلق حانوته بتسميره وتغريمه عشرة ريالات فرنسية .

وكان السبب فى ذلك والأصل فيه أن هذا المولد ابتدعه السيد بدوى بن فتيح مباشر وقف المسجد فكان قد اعتراه مرض الحب الإفرنجي (الزهرى) فنذر على نفسه هذا المولد إن شفاه الله تعالى . فجعلت له بعض الإقامة فابتدأ به وأوقد فى المسجد والقبة قناديل وبعض الشموع ورتب الفقهاء يقرأون القرآن بالنهار وآخرين بالمسجد يقرأون بالليل دلائل الخيرات للجزولى . وزاد الحال وانضم إليهم الكثيرون من أهل البلاغة كجماعة العفيفى ، والسمان ، والعربى ، والعيسوية فمنهم من يتحلق ويذكر الجلالة ويحرفها وينشد له المنشدون القصائد والموالات ، ومنهم من يقول أبياتاً من بردة المديح للبوصيرى ، ويجاوبهم آخرون مقابلون لهم بصيغة الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم ، وأما العيسوية . فهم جماعة

من المغاربة ومن دخل فيهم من أهل الأهواء ينسبون إلى شيخ من أهل المغرب يقال له سيدى محمد بن عيسى وطريقتهم أنهم يجلسون قبالة بعضهم صفين ويقولون كلاما معوجاً منغوماً و بين أيديهم طبول ودفوف يضربون عليها ضرباً شديداً مع ارتفاع أصواتهم وتقف جماعة أخرى قبالة الذين يضربون الدفوف فيضمون أكتافهم فى أكتاف بعض لا يخرج واحد عن الآخر ويلتوون وينتصبون ويرتفعون وينخفضون ، ويضربون الأرض بأرجلهم وكل ذلك مع الحركة العنيفة والقوة الزائدة وبحيث لا يقوم هذا المقام إلا كل من عرف بالقوة ، وكانت تلك الحركات والإيقاعات على نمط الضرب بالدفوف فيقع بالمسجد دوى عظيم وضحكات عالية . هذا مع ما ينضم إلى ذلك من جمع العوام وتحلقهم بالمسجد للحديث والهذيان وكثرة اللغط والحكايات والتلفت إلى حسان الغلمان الذين يحضرون للتفرج والسعى خلفهم والافتتان بهم ورمى قشور اللب والمكسرات والمأكولات على الناس وطواف باعة المأكولات فيه ، فيصير المسجد بما اجتمع فيه من القاذورات والعفوش ملتحقا بالأسواق الممتهنة ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم .

وزاد الحال على ذلك بقدوم جماعة الأشياخ من الحارات البعيدة والقريبة و بين أيديهم المناور والقناديل والجوامع العظيمة التى تحملها الرجال والشموع والطبول والزمور ويتكلمون بكلام محرف يظنون أنه ذكر وتوسلات وينسبون من يعترضهم أو يلومهم إلى الاعتزال والخروج والزندقة ، وغالبهم من السوقة وأهل الحرف السافلة ومن لا يملك قوت ليلة . فتجد أحدهم يجتهد بقوة سعيه ويبيع متاعه ويصرف ثمنها فى وقود القناديل وأجرة الطبالة والزمارة وكل يجتمع عليه ما هو من أمثاله من الحرافيش ثم يقطع ليلته سهران . ويصبح كسلانا ويظن أنه بات يتعبد ويذكر ويجتهد .

واستمر هذا المولد أكثر من عشر سنين ولم يزدد الناذر لذلك إلا مرضاً ومقتا واستجلاب خدمة الضريح ما لاح لهم من ضعاف العقول مثل الشمع والدراهم واتخذوا ذلك حبالة لأكل أموال الناس بالباطل .

فلما حصلت هذه الحادثة عصر (الحملة الفرنسية) ترك هذا المولد فى جملة المتروكات ثم حصلت الفتنة التى حصلت وسكن هذا الفرنساوى فى خط المشهد الحسينى لضبط تلك الجهة وفيه مسايرة ومداهنة وصار يظهر المحبة للمسلمين ويلاطفهم » .

ثم يقول الجبرتى إن جماعة من اليهود المجّان من ذوى الخلاعة زينوا لهذا الفرنسى إعادة هذا المولد ، ففعل وزاده مجوناً وفساداً .

ومهما حاولنا اليوم أن نصف هذه الموالد وما فيها من مفاسد وأضرار وما فيها من مجون وتهريج فلن نستطيع أن نصفها بأكثر مما وصفها به هذا المؤرخ الدقيق الذى استطاع أن يعلم حقيقة هذه البدعة المذمومة ويحذر منها والذى أوضح أنها مكيدة فرنسية .

حقاً إن فى التاريخ لعبراً وعظات ودلائل لا تقبل الشك على أحقية الحق وبطلان الباطل وزيفه . وفقنا الله إلى تعرف الحق واتباعه ، وإظهار الباطل واجتنابه ، والله ولى التوفيق .

رجب صابر أحمد
ليسانس آداب ــ تاريخ

من حكم لقمان

قال لقمان لابنه وهو يعظه : يابنى زاحم العلماء بركبتيك ولا تجادلهم فيمقتوك ، وخذ من الدنيا بلاغك وأنفق فضول كسبك لآخرتك ، ولا ترفض الدنيا كل الرفض فتكون عيالا ، وعلى أعناق الرجال كلا ، وصم يومًا يكسر شهوتك ، ولا تصم يوماً يضر بصلواتك ، فإن الصلاة أفضل من الصوم ، وكن كالأب لليتيم ، وكالزوج للأرملة ، ولا تحاب القريب ، ولا تجالس السفيه ، ولا تخالط ذا الوجهين ألبتة .

المركز العام

بعون الله تعالى وتوفيقه اجتمعت الجمعية العمومية للجماعة بالمركز العام مساء يوم السبت ٢٢ صفر سنة ١٣٨٣ الموافق ١٣ يوليو سنة ١٩٦٣ برآسة فضيلة الأستاذ الشيخ عبد الرحمن الوكيل الرئيس العام للجماعة الذى ألقى كلمة الأفتتاح والترحيب بالأعضاء وحثهم على التمسك بدعوة التوحيد ونشرها بكل ما أوتوا من قوة. ثم عرض السكرتير أعمال مجلس الإدارة كما عرض أمين الصندوق الميزانية العمومية:

وختم الإجتماع بكلمة من فضيلة الأستاذ الشيخ محمد خليل هراس نائب الرئيس وقد تحدث عن انتشار دعوة التوحيد فى الأقاليم والاستعداد الفطرى لدى العامة لتقبلها وأن ذلك مما يبشر بخير.

ثم أجرى انتخاب أعضاء مجلس الإدارة.

وتم بعد ذلك تشكيل مجلس الإدارة على الوجه الآتى: -

١ ـ الأستاذ عبد الرحمن الوكيل	رئيساً	٢ ـ الأستاذ محمد خليل هراس	نائبا للرئيس
٣ ـ « عبد اللطيف حسين	وكيلا أولا	٤ ـ « سيد محمد رضوان	وكيلا ثانيا
٥ ـ سليمان رشاد محمد	سكرتيراً	٦ ـ محمد رشدى خليل	أمينا للصندوق
٧ ـ محمود عبد العزيز	مراقباً	٨ ـ سليمان حسونه	مديراً للمجلة
٩ ـ رشاد الشافعى	عضواً	١٠ ـ إبراهيم محمد قنديل	عضواً
١١ ـ عبد المجيد محمد رضوان	«	١٢ ـ محمد صالح سعدان	«
١٣ ـ محمد سليمان فضل	«	١٤ ـ محمد غريب الباز	«
١٥ ـ أمين محمد إسحق	«	١٦ ـ أحمد طه نصر	«
١٧ ـ حسن محمد كرار	«		

كما اختارت الجمعية العمومية الأستاذ مصطفى عبد الجواد مراقباً ماليا للجماعة.

العدد ٤
المجلد ٢٨

ربيع الآخر
سنة ١٣٨٣

خير الهدى هدى محمد صلى الله عليه وسلم

الهدى النبوي

تصدرها جماعة أنصار السنة المحمدية

رئيس التحرير
عبد الرحمن الوكيل

مدير الإدارة
سليمان حسونه

مطبعة السنة المحمدية
١٧ شارع شريف باشا الكبير
ت ٩٠٦٠١٧

٣٠ مليما

الفهرس

صفحة

٣ التفسير . . . . للأستاذ الشيخ عبد الرحمن الوكيل

١٧ بل رفعه الله إليه . . . . . . » عبد اللطيف حسين

٢٧ عقيدة القرآن والسنة . . . » الشيخ محمد خليل هراس

٣٠ جواب خاطىء . . . . » محمد صالح سعدان

٣٥ أمة التوحيد تتوحد . . . . تعليق للهدى النبوى

٣٧ أسئلة وأجوبة . . . . للأستاذ الشيخ على نور الدين الصومالى

٤٨ غزوات الرسول (صلى الله عليه وسلم) للأستاذ سعد صادق محمد

مدير المجلة

نلفت نظر السادة القراء والمشتركين والمتعهدين بتوزيع (الهدى النبوى) ووكلائها إلى أنه قد تقرر إسناد إدارة المجلة إلى الأخ السيد / سليمان حسونه . كما أسندت أمانة صندوق الجماعة إلى الأخ السيد / محمد رشدى خليل .

والمرجو إرسال جميع الحوالات وقيم الاشتراكات والذمات المتأخرة لدى بعض المتعهدين بإسم السيد / سليمان حسونه . مدير المجلة . ولهم شكرنا ؟

خير الهدى هدى محمد صلى الله عليه وسلم

الهدي النبوي

مجلة شهرية دينية

تصدرها جماعة أنصار السنة المحمدية

رئيس التحرير
عبد الرحمن الوكيل
أصحاب الامتياز : ورثة
الشيخ محمد حامد الفقى

مدير الإدارة
سليمان رشاد محمد
الاشتراك السنوى
ص
٣٠ – فى الجمهورية العربية المتحدة والسودان
٤٠ – فى الخارج

المركز العام : ٨ شارع قوله — عابدين القاهرة — تليفون ٧٦٥٧٦

العدد ٤ | ربيع الآخر سنة ١٣٨٣ | المجلد ٢٨

نور من القرآن

بسم الله الرحمن الرحيم

قال – جل ذكره – (وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ : اسْجُدُوا لِآدَمَ ، فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ ، فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ ، أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي ، وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ ، بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا) – الكهف : ٥٠ .

« معانى المفـــردات »

اسجدوا : قال ابن فارس إن للكلمة أصلا واحداً يدل على تطامُن وذل ، يقال سجد : إذا تطامن ، وكل ما ذل ، فقد سجد ، قال أبو عمرو : أسجد الرجل إذا طأطأ رأسه وانحنى . ويرى الراغب أن أمر الملائكة بالسجود معناه التذلل لآدم ، أو القيام بمصالحه ومصالح أولاده .

إبليس : قال ابن فارس عن أصل الكلمة إنه يدل على اليأس . ومن ذلك اشتق اسم

إبليس ، كأنه يئس من رحمة الله . ويقول ابن الأثير : المبلس الساكت من الحزن أو الخوف . وقال الراغب : الإبلاس الحزن المعترض من شدة البأس[1] .

الجن : أصل الكلمة يدل على الستر ، والتستر ، وسمى الجن بهذا ؛ لأنهم متسترون عن أعين الخلق « عن ابن فارس » . وقال الراغب : أصل الجن : ستر الشيء عن الحاسة . والجن يقال على وجهين : أحدهما للروحانيين المستترة عن الحواس كلها بإزاء الإنس ، فعلى هذا تدخل فيه الملائكة والشياطين ، فكل ملائكة جن ، وليس كل جن ملائكة . وعلى هذا قال أبو صالح : الملائكة كلها جن . وقيل بل الجن بعض الروحانيين ، وذلك أن الروحانيين ثلاثة : أخيار وهم الملائكة ، وأشرار وهم الشياطين ، وأوساط فيهم أخيار وأشرار ، وهم الجن .

فَسَقَ : الفسق الخروج عن الطاعة ، تقول العرب : فسقت الرطبة عن قشرها ، إذا خرجت . ويقول الراغب : والفسق يقع بالقليل من الذنوب وبالكثير ، وأكثر ما يقال : الفاسق لمن التزم حكم الشرع ، وأقرَّ به ، ثم أخل بجميع أحكامه ، أو ببعضه . وقيل عن الفسق إنه الاتساع ، وإنما سمى الفاسق فاسقاً لاتساعه فى محارم الله .

ذريته : قال ابن فارس عن أصل الكلمة : إنه يدل على لطافة وانتشار . وقد تكون الذرية من ذرأ الله الخلق أى خلقهم ، وقد تكون من الذرِّ بمعنى التفريق . والذرية اسم يجمع نسل الإنسان من ذكر وأنثى .

---

(١) أما القطب الصوفى الكبير عبد الكريم الجيلى فيزعم فى عربدة الضلالة : « لما خلق الله آدم عليه السلام ، وأمر الملائكة بالسجود له التبس الأمر على إبليس ، فظن أنه لو سجد لآدم كان عابداً لغير الله . . ولهذا امتنع ، وما سمى إبليس إلا لتمكنة هـــذا التلبيس الذى وقع فيه » .

ويقول فى مكان آخر : « إن الحق دعاه إبليس وهو مشتق من الالتباس » . ص ٤١ جـ ٢ الإنسان الكامل ط ١٢٩٣ هـ ، وشتان ما هما : فإبليس من أبلس ، وأما التلبيس فمن لبس .

بئس : كلمة تستعمل فى جميع المذام ، والأكثرية على أنها فعل ماضٍ جامد يستعمل للذم .

بدلا : قال ابن فارس : إن أصل الكلمة يدل على قيام الشىء مقام الذاهب . وقد يقال التبديل للتغيير مطلقاً ، و إن لم يأت ببدله .

المعـــنى

تمهيـد فى قصص القرآن : يقول الله سبحانه : (لقد كان فى قَصَصِهِمْ عبرةٌ لِأُولى الألبابِ ، ما كان حديثاً يُفْتَرى ، ولـكن تصديقَ الذى بين يديه ، وتفصيلَ كلِّ شىء ، وهُدًى ورحمةً لقوم يؤمنون) ـ يوسف : ١١١ . ووصف الله لقصصه بأنها ليست حديثاً مفترى يؤكد أنها أحداث وقعت ، وأنها كانت صَوْب الحس ، وأن كل ماقصه الله سبحانه من فعل أو قول قد فُعِل وقيل . فإذا ماأخبرنا الله أنه قال للملائكة : اسجدوا لآدم ، وأنهم سجدوا إلا إبليس ، فإنه يجب علينا الإيمان بوجود هذه الذوات التى كونت أفعالُها وأقوالُها هذه القصة ، و بأن الله قال ما قال للملائكة ، وأنهم قالوا ما قالوا لله حقيقة لا مجازا ، فما أخبرنا الله أن قصته هذه ضرب من ضروب التمثيل ، أو فن من فنون المجاز . فالحـكم عليها بهذا قول على الله بغير علم .

يجب أن نؤمن بما كان بين الله و بين الملائكة ، وأنه حدث وأنه كان ، وأنه وقع بكل مقوِّماته و بداياته ونهاياته ، فإذا ما استربنا فى شىء من هذا أوردنا نفوسنا موارد الـكفر الأحمق ، وإذا نسبنا إلى الله التخيل ، والعبث بنا فى بيانه ، فقد تردينا فى حمأة الجحود بالله سبحانه .

إن قصص القرآن كله حق ولا ريب . وكل جزء من أجزاء القصة سواء أكان فعلا أم قولا أم مكانا أم زمانا أم غير ذلك حقيقة ثابتة ثبوت اليقين .

إنه ليس قصصاً فنياً مبتدعاً مخترع الأحداث متخيَّل الأفعال والأقوال يتحدث عن أشياء لم يكن لها وجود إلا فى الذهن ، كلا ، وإنما هو قصص حقٌّ يخبر عن أشياء كان لها وجودها الخارجى . وكانت لها نفس الأسماء والصفات والأمكنة والأزمنة والأفعال والأقوال والمصائر التى ذكرها الله فى القرآن .

أؤكد هذا ، وأكرره بمؤكداته القرآنية ؛ لأن منا فريقاً التهم فكره وقلبه أحقاد الصليبية والصهيونية ، فما وجدوا غير القرآن يحاولون إطفاء شمسه المتوهجة بأنفاسهم المنجسة ، فبهتوه بما بهتوا ، ومما بهتوه به أن قصصه ضرب من ضروب التمثيل ، وفنٌّ يصنعه الخيال !! و بهت القرآن .

هذه جريمة قديمة اقترفها الباطنيون ، ولا سيما إخوان الصفا والإسماعيليون والدروز . وقد سرق البهائيون هذا الكفر ونسبوه إلى أنفسهم معتزين به .

ونحن المسلمين لايعنينا أمر هؤلاء بقدر ما يعنينا أمر شيوخ لهم مكانتهم فى نفوس المسلمين ، وذلك حين يحاولون سلوك هذا الدرب الموحش ، أو الوقوف على شفا هذه الهاوية . وعلى رأس هؤلاء الأستاذ الشيخ محمد عبده فى تفسير سورة البقرة ، فقد نسب إليه الشيخ الجليل محمد رشيد رضا فى تفسيره المنار ، قوله عن قصة آدم ما يأتى : « وقد ذهب الأستاذ إلى أن هذه الآيات من المتشابهات التى لا يمكن حملها على ظاهرها ، لأنها بحسب قانون التخاطب إمّا استشارة ، وذلك محال على الله تعالى . وإما إخبار منه سبحانه للملائكة ، واعتراض منهم ومحاجة وجدال ، وذلك لايليق بالله تعالى أيضاً ، ولا بملائكته ولا يجامع ما جاء به الدين من وصف الملائكة ككونهم (لايعصون الله ما أمرهم ، و يفعلون ما يؤمرون) .

والقصة لا تستلزم أبداً ما قال الأستاذ ، فأين هى هذه الاستشارة ؟ والآيات تثبت — فحسب — أن الله قال لملائكته قبل أن يفعل الشىء أنه سيفعله ، فما ورد فيها ما ينم عن أنه كان يستشير ، أو إنما ورد أنه فعل ذلك ليبتلى ملائكته ، وليبين لهم أنهم

لايستطيعون معرفة الغيب ، وأنه جل شأنه هو علام الغيوب . وأما المجادلة فقد أثبتها الله لخليله العظيم إبراهيم . وتدبر قول الله عن إبراهيم : (فلما ذهب عن إبراهيم الرَّوع ، وجاءته البُشرى يُجادِلنا فى قوم لوط) ومع هذا وصفه الله عقب هذا بقوله : (إن إبراهيمَ لحليم أوّاه منيب — هود : ٧٤ ، ٧٥) فهبه جدالا كجدال إبراهيم الذى اتخذه الله خليلا . والله لم ينسب هذه الخلة إلى الملائكة . والمجادلة لم تمل بإبراهيم عن الخلة ، ولا عن كونه حليما أواها منيبا . . ثم أين هو الأمر الذى قام الملائكة بعصيانه ؟ كيف نخلط بين الخبر والإنشاء ؟ ! ويسوى بين الإخبار والأمر ؟ ! . والحقيقةُ أن الآية تثبت أنهم فعلوا ما أمرهم الله به .

هذا الذى قاله الأستاذ الشيخ يثبت لنا مدى سطوة الشبهات الصليبية ، وبطش القوى التى كانت تعينها حتى لتدفع رجلا جليلا نابها كالشيخ الكبير إلى أن يدفعها بمثل هذا القول الذى لايدفع الشبهة ، وإنما يثبتها . ثم إنك ترى الشيخ الكبير — على ذكائه بل نبوغ ذكائه — يعتل بعلل مضطربة واهية لا تجاوب ما هو معروف عنه من نبوغ الذكاء مما يثبت لنا أنه أُخذ بالشبهات أخذاً شديداً أقوى مما أخذ بشعور الميل إلى القضاء عليها ، فلم ينف الشبهة ، وإنما نفى القصة وبَهَت القصة بأنها لا يمكن حملها على ظاهرها يجر إلى إبطال كل قصص القرآن ، وإلى إبطال أسماء الله وصفاته ، فما من قصة إلا ويمكن اختراع مثل هذه اللوازم ليحاول بها الفاتنون إبطالها ، وما من اسم إلهى أو صفة إلهية إلا ويمكن للهوى المصوف أن يلج على حقها بباطله بما يخترع من لوازم أيضاً .

ماذا نفعل مع الصفات والأسماء إن سلكنا هذا الذى سلكه الشيخ الكبير ؟

إن القرآن أكبر ، والله أكبر ، فلنترك قلوبنا لا للبشر وإنما لخالق البشر .

المناسبة : بالمصير الأبدى ذكرنا الله فيما سبق التذكير به من آيات الله ذكرنا بالآخرة وببعض ما سيكون فيها . وفى هذه الآية يذكرنا ببداية الآدمية مع الله ثم مع الشيطان ، يذكر أبناء آدم بما فعله الشيطان مع أبيهم ، بالعداوة الحقود الصماء المحمومة الغل والغيظ

من إبليس لأبيهم الأول . ومركوز فى الفطرة البشرية التى لم تتبدل خصائصها كراهية عدو الأب، ثم هى تذكير بمصدر الشر فى الإنسان ، وأنه حين يهتدى بهدى الفطرة يسلك السبيل السوى وأن الشر ليس من طبيعته ، ولا جبلته ، وإنما هو أمر طارىء . تدبر قصة آدم قبل أن يفتنه الشيطان ، إنه لم يحاول اقتراف الشر ، ولم يسع إلى اقترافه ؛ لأنه كان لا يعرف الشر ؛ ولأن فطرته لا تهدى إلى شر ، فجاء الشيطان ففتنه ، فهى . إن هذا يهدى إلى أن الشر ليس فطرياً فى نفس الإنسان أو إلى أن الفطرة ليست شراً ، ولا نزاعة إلى الشر ، وإنما يميل بها إليه فى أمر خارج عنها .

فالآدمية براءة صافية . ـ والإبليسية شر يقوده المكر اللئيم ، فهى تذكير إذن ـ بالفطرة فى نقائها وصفائها ، وبما دنس الشيطان به هذه الفطرة ، ثم تطهير الله لها بالتوبة النصوح لتظل مشاعرنا وعواطفنا دائماً مرتبطة الأسباب بحب من مَنّ علينا بالنجاة من التهلكة ، وهو ربنا ، وبكراهية من يسعى دائماً إلى أن يتردى بنا فى الهاوية ، وهو إبليس

وهى تذكير بفضل الله وحبه لنا — كما ترى — ، وبكراهية إبليس ومقته لنا .

وهى تذكير بأولئك العباد المكرمين الذين سجدوا طوعاً بأمر الله لأبينا ، لنحب هؤلاء الأحبة .

ومن منا يحب عدوه ويمقت حبيبه ؟ !

إنه الذى لم تبق فيه أثارة من إنسانية !

وهكذا جاءت هذه الآية لتبين البداية ، وكانت التى قبلها تقص النهاية .

من الملائكة ؟ هم من خلق الله ، وهم غيب لا نعرف عنهم شيئا إلا ما قاله عالم الغيب وقد قال الله عنهم (جاعِلِ الملائكة رُسُلاً أولِى أجنحة مثنى وثُلاثَ ورُباعَ) وعاب قول الذين يهتوهم بأنهم إناث . وأن منهم حملة للعرش ، وأنهم سيجيئون مع الله يوم القيامة وغير هذا مما بين الله سبحانه ، وإنه ليعنينا هنا بيان أنهم من رسل الله سبحانه الذين يبلغون

كل ما يأمرهم به ، ويفعلون كل ما يكلفهم به ، وقد جعل الله منهم من يقومون بأمر الإنسان وحفظه وتدبير ما يقوّم وجوده بأمر الله .

السجود لآدم : تدبر قول الله سبحانه (فإذا سوّيته ونفخت فيه من روحى ، فقعوا له ساجدين — الحجر : ٢٩) . وهذا يبين لنا أن الله لم يطلب من الملائكة السجود لآدم إلا بعد نفخ الروح فيه ، ليهدينا إلى أن الإنسان إنسان بروحه ، وإلى أن قيمته فى هذه الروح ، فما للناس يقدسون أجساد الموتى ، وقد كان جسد آدم قبل نفخ الروح فيه من صلصال من حمأ مسنون . ومع هذه الكينونة لم يطلب الله من أحد سجوداً لآدم . وليست روح آدم إلا خلقاً من خلق الله لا جزءاً من روح الله كما تفهم الصوفية ، وكما نسبت الصليبية إلى عيسى عليه السلام .

ولقد وجه الله الأمر بالسجود حقيقة ، وقال هذا القول حقيقة رغم أنف المعطلة والمؤولة .

وأصل السجود كما ترى هو الذل والتطامن ، وقد يُعَبَّر عن هذا الذل بانحناءة من الرأس أو بوضع الجبهة على الأرض كما نفعل فى الصلاة ، فكيف عبر الملائكة عن سجودهم ؟

لا يضيرنا أبداً فى ديننا جهل كيفية سجودهم فالحقيقة التى يجب علينا الإيمان بها هى أن هؤلاء الملائكة قد سجدوا وكان لسجودهم هيئة خاصة لا ندرى ما هى . على أن هذا السجود استلزم القيام بمصالح آدم ومصالح أولاده . وهذا من لوازم السجود لا حقيقة السجود كما يقول الراغب .

لقد وصف الله هيئة سجود الذين أوتوا العلم بقوله : (يخرون للأذقان سجداً) فالخرور للأذقان ليس هو عين السجود ، وإنما هو تعبير عن السجود . ولكنه — جل شأنه — لم يصف لنا كيفية سجود الملائكة ، فلنقف عند حد ما ذكر .

شبهة : يتساءل بعض الناس : كيف يسجد الملائكة لآدم ، والسجود لا يكون إلا لله ؟

والحقيقة ـ حين تتدبرها ـ تؤكد لك أنه سجود لله فعلاً ، فما سجدوا لآدم إلا عن أمر الله سبحانه ، إن الله هو الذى يحكم على الشىء بأنه حلال أو حرام ، وقد حرّم الله على بنى إسرائيل أموراً جعلها حلالاً لنا ، فإذا أمر الله بشىء فالواجب طاعته ، وإذا نهى عن الشىء ، فالواجب طاعته . فأمره حق ونهيه حق .

والأمر بالسجود لآدم كان ابتلاء عظيما ، فهو أمر بالسجود لخلق من خلقه . أمر يحسب المرء أنه ينال من كبريائه ، من كرامته ، من حقيقة وجوده . أمر يثير فى غير نفس المؤمن التمرد عليه ؛ لأن القيام به يتطلب صبر الإيمان وجماله وقوته وطاقته . ونجح من نجح فى الاختبار ، وسقط واحد هو إبليس .

هكذا ترشدنا القصة إلى أن لله أن يأمر بما يشاء ، وإلى أن علينا أن نطيع حتى إن وجدنا فيما نؤمر به شيئاً يخالف مقاييسنا ، وما تعارفنا عليه من قيم ، فأمر الله يهدى للتى هى أقوم . فلا يجوز لنا أن نقول : كيف يأمر بالسجود لغيره ، وهو شرك ؟

لأنه صاحب الأمر ، والقيام بما يوجبه أمره هنا طاعة لا معصية ولا شرك .

« فسجدوا إلا إبليس » تؤكد الآية وغيرها أن الله أمر جميع الملائكة بالسجود ، وأن الملائكة جميعا ـ على اختلاف أنواعهم ـ قد سجدوا إلا واحداً منهم هو إبليس . يقول ربنا سبحانه (فسجد الملائكة كلهم أجمعون . إلا إبليس أبى أن يكون مع الساجدين ـ الحجر : ٣٠ ، ٣١) تدبر مجىء كلمتى « كلهم و أجمعون » وهما يفيدان توكيد إحاطة وشمول ثم تدبر مجىء الاستثناء عقبهما مباشرة ؛ لتهتدى إلى الحقيقة الساطعة التى تؤكد أن إبليس كان من الملائكة .

وحق ما يقول ابن عباس : لو لم يكن من الملائكة لم يؤمر بالسجود . وإنه لفخر للآدمية وتكريم عظيم لها أن يمن الله عليها بهذا عند بدء حياتها لتطمئن إلى أن الله سخر ملائكته للبر بالآدمية ، والقيام بصوالح البشر ، وقد جاء سجودهم جميعاً أصدق وأعظم تعبير عملى عن هذه الحقيقة .

وإن كل الآيات التى جاءت بقصة هذا السجود تؤكد أن إبليس لم يعتذر بأنه ليس من الملائكة. فلو إنه ليس من الملائكة لقال مثلا لله سبحانه حين سأل عما منعه من السجود : لست من الملائكة ، أو لقال : إنك لم تأمرنى ، أو إنك أمرت الملائكة ، ولم تأمرنى . ولم يأت فى آيات الله شىء من ذلك ، بل جاء ما يؤكد أن إبليس كان من الملائكة تدبر قول الله سبحانه فى سورة الأعراف (ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم ، فسجدوا إلا إبليس لم يكن من الساجدين . قال : ما منعك ألا تسجُد إذ أمَرْتُك) .

تدبر مجىء قوله سبحانه : « إذ أمرتك » بعد قوله سبحانه : « قلنا للملائكة : اسجدوا لآدم ، فسجدا إلا إبليس » فهذا قول محكم يقطع بأن إبليس كان ممن أمرهم الله بالسجود ، وجىء بكلمة « أمرتك » توكيدا لهذا بعد أن عبر عنه بالاستثناء . ويقطع أيضاً بأن الله أمر إبليس فيمن أمره من الملائكة بالسجود لآدم ، ثم استثناه جل ثناؤه من الملائكة الذين أمروا فسجدوا ، فأثبت لكل الملائكة السجود ونفاه عن واحد منهم هو : إبليس ولهذا قال محمد بن إسحاق : « أما العرب فيقولون ما الجن إلا كل من أجْتَنَّ فلم يُرَ ، وأما قوله : إلا إبليس كان من الجن أى كان من الملائكة ، وذلك أن الملائكة اجتنوا ، فلم يُروا . وقد قال اللهِ جل ثناؤه ـ (وجعلوا بينه و بين الْجِنَّة نَسَبًا ولقد علمت الْجِنَّةُ إنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ) .

وذلك لقول قريش : إن الملائكة بنات الله[1]) .

ولقد جاء الطبرى بشبه القائلين بأن إبليس لم يكن من الملائكة ، ثم رد عليها ، وإليك هذه الشبه لقد أخبر الله أنه خلق إبليس من نار السموم ، ولكنه لم يقل هذا عن للملائكة . ثم أخبر عن إبليس فى سورة الكهف أنه من الجن . ثم إن لإبليس نسلا

---

(١) وأذكرك بقول الله يرد هذه الفرية : (وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثا ، أشهدوا خلقهم ، ستكتب شهادتهم ، ويسئلون ـ الزخرف : ١٩) ولعل فى النص على أنهم « عباد الرحمن » اشارة إلى إخراج من ليس منهم من عباد الرحمن ، وهو إبليس .

وذرية ، والملائكة لا يتناسلون ، ولا يتوالدون . وإليك رد ابن جرير الطبرى على هذه الشبه « وهذه علل تنبىء عن ضعف معرفة أهلها ، وذلك أنه غير مستنكر أن يكون الله جل ثناؤه خلق أصناف ملائكته من أصناف من خلقه شتى ، فخلق بعضاً من نور ، وبعضاً من نار ، وبعضاً مما شاء من غير ذلك . وليس فيما نزل الله جل ثناؤه الخبر عما خلق منه ملائكته ، وإخباره عما خلق منه إبليس ما يوجب أن يكون إبليس خارجاً عن معناهم . إذ كان جائزاً أن يكون خلق صنفا من ملائكته من نار كان منهم إبليس وأن يكون أفرد إبليس بأن خلقه من نار السموم دون سائر ملائكته ، وكذلك غير مخرجه أن يكون كان من الملائكة بأن كان له نسل وذرية لما ركب فيه من الشهوة واللذة التى نزعت من سائر الملائكة لما أراد الله من المعصية . وأما خبر الله عنه أنه من الجن . فغير مدفوع أن يسمى ما اجتن من الأشياء عن الأبصار كلها جنا » . وما أستشهد بابن جرير على كتاب ربى ، وإنما أتخذ منه شهيداً لكتاب ربى سبحانه . وإليك ما يقوله شاهد آخر ، وهو البيضاوى فى تفسيره لسورة البقرة ، « والآية تدل على أن آدم أفضل من الملائكة المأمورين بالسجود له ولو من وجه ، وأن إبليس كان من الملائكة ، وإلا لم يتناوله أمرهم ، ولم يصح استثناؤه منهم ، ولا يرد على ذلك قوله سبحانه وتعالى (إلا إبليس كان من الجن) لجواز أن يقال : « إنه كان من الجن فعلا ، ومن الملائكة نوعا ، ولأن ابن عباس — رضى الله تعالى عنهما — روى أن من الملائكة ضربا يتوالدون يقال لهم الجن ، ومنهم إبليس » ثم يقول « وإن من الملائكة من ليس بمعصوم ، وإن كان الغالب فيهم العصمة كما أن من الإنس معصومين ، والغالب فيهم غير العصمة . ولعل ضربا من الملائكة لا يخالف الشياطين بالذات ، وإنما يخالطهم بالعوارض والصفات كالبررة والفسقة من الإنس والجن يشملهما ، وكان إبليس من هذا الصنف كما قاله ابن عباس رضى الله تعالى عنهما ، ولذلك صح عليه التغير عن حاله والهبوط من محله كما أشار إليه بقوله عز وعلا (إلا إبليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه) والذى جعل الأكثرية من مفسرى السلف يميلون إلى هذا هو أن جميع الآيات التى وردت فيها هذه القصة تثبت

أن الله أمر الملائكة بالسجود ، وأنهم سجدوا إلا إبليس . فأكد الاستثناء أنه منهم .

ولقد حاول آخرون إثبات أن إبليس لم يكن من الملائكة ، وأجابوا عن هذا الاستثناء بأجوبة تافهة . منها أنه نشأ بين الملائكة ، وكان مغموراً بالألوف منهم ، فغلّبوا عليه . ومنها أن الجن كانوا مأمورين بالسجود مع الملائكة ، ومنها أن الاستثناء منقطع أى لا يستلزم أن يكون ما بعد إلا من جنس ما قبلها . وما ساقوه قول بلا بينة ، وطعن فى فصاحة القرآن و بلاغته وهديه فكيف بينا نقف فى وجه الحق المحكم المشرق ، وفى تدبره عبرة تثير فى النفس .

الخوف من سوء العاقبة ، وتدفعها إلى التطامن والخشوع والخضوع وعدم الغرور بما قدمته من طاعات وتحملها على مقت هذه الصفة المقتية . صفة التكبر التى جعلت من إبليس شيطاناً بعد أن كان مَلَكا ، وتحملها على الإيمان بأنه لا ينفع الإنسانَ فى دينه نسبه ، ولا حسبه ، فهذا إبليس كان منتسباً إلى الملائكة ، ثم تعالى على الله ، فرجمته لعنة الله سبحانه أبداً[1] فلم ينفعه نسبه .

« كان من الجن » جاء فى ابن كثير عن ابن عباس « أى من خزان الجنان كما يقال للرجل : مكى وعدنى و بصرى . ونسب إليه تفسيراً آخر « كان من حى يسمون جناً » وآخر . « إن من الملائكة قبيلة من الجن ، وكان إبليس منها » ونسب إلى سعيد

---

(١) ومع ذلك يزعم أقطاب الصوفية أن إبليس عظيم ، وأنه من أعلم الناس بالأدب الذى يجب أن يكون لله . يقول الجيلى فى كتابه (الإنسان الكامل) ص ٤٦ جـ ٢ ط ١٢٩٣ ما يأتى : « خلق إبليس وأتباعه من حيث صفات الجلال والظلمة والضلال من نفس محمد صلى الله عليه وسلم » ويعقب على جواب إبليس الذى قصد الله وهو قوله : (أنا خير منه) فيقول : « وهذا الجواب يدل على أن إبليس الذى من أعلم الخلق بأداب الحضرة ، وأعرفهم بالسؤال وما يقتضيه من الجواب » ويفسر الجيلى لعنة الله لإبليس تفسيراً صوفياً ثم يقول « فإذا انقضى يوم الدين فلا لعنة » ثم يقول : « فلا لعنة بل قرب محض فحينئذ يرجع إبليس إلى ما كان عليه عند الله من القرب الإلهى » .

ابن جبير قوله : « كان من الجنانين الذين يعملون فى الجنة » ثم يقول ابن كثير ، « وقد روى فى هذا آثار كثيرة عن السلف ، وغالبها من الإسرائيليات التى تنقل ؛ لينظر فيها والله أعلم بحال كثير منها ، ومنها ماقد يقطع بكذبه لمخالفته للحق الذى بأيدينا ، وفى القرآن غنية عن كل ماعداه من الأخبار المتقدمة » . وهى كلمة طيبة من ابن كثير .

أما قوله تعالى « كان من الجن » فأصوب قول قيل هو : أى كان من الملائكة ولا سيما وأن القرآن قد أطلق على الملائكة أنهم جنة ، وأقول : أصوب ؛ ليوافق المعنى المفهوم من الاستثناء . فإن مانخرجه بأداة الاستثناء (١) الا يكون من جنس ماقبلها اللهم إلا فى الكلام غير الفصيح .

« ففسق عن أمر ربه » فخرج عن طاعة الله بالمعصية ، أو عدل عن سواء السبيل إلى طريق آخر يلعن الله من يسلكه ، أى جار عن القصد ، ومال عن الاستقامة .

وهذا القول يفيد أن إبليس كان على صراط مستقيم ، ثم عدل عنه إلى غيره .

وقد خرج إبليس إلى معصية وكفر من طاعة و إيمان .

« أفتتخذونه وذريته أولياء من دونى ، وهم لكم عدو » الهمزة للإنكار وللتعجب فالفطرة التى لم تَجُرْ عن قصدها ، ولم تأذن للشر أن يدنسها تحب الخير وتكره الشر تحب من يحبها ، وتبغض من يبغضها ، تحب من يحسن إليها ، وتمقت من يسيء إليها .

والآية تذكر « الله » ثم تذكر الشيطان وذريته » ثم تذكر عداوة الشيطان وذريته للآدمية ، وقد جاء التصريح بهذه الصفة بمثابة التوكيد المفهوم من الآية ، فإباء إبليس عن السجود ، ورده الحاقد الجاحد يقرر عداوته ، ولكن أبى الله إلا أن يزيدنا بهذه الصفة بصراً . فذكر « وهم لكم عدو » ، وذكر « الله » يذكر بآلائه ، يذكر بالنعمة الأولى ،

---

(١) يفيد الاستثناء إخراج مالولاه ، لدخل ، ويصح دخوله ، فهل يصح دخول إبليس إن نفينا عنه كونه من الملائكة ؟ ! .

وهى الخلق ، يذكر بأعظم تكريم ، وهو خلق آدم بيديه ، يذكر بإسجاد الملائكة له يذكر بفضله ورحمته فى تعليمه الأسماء كلها ، دون الملائكة ، يذكر بفضله ورحمته فى تعليمه لآدم كلمات يتوب بهن ، يذكر بفضله فى قبول التوبة .

« وذكر الشيطان وذريته » يذكر بالعداوة المستمرة والبغضاء الجحود المقيتة ، والحقد المحموم والكيد الدنىء ، والتكبر على الخلاق العظيم ، والكد فى سبيل تدمير معالم الإنسانية ومقوماتها الإيمانية والخلقية والفكرية التى مَنَّ الله بها عليها . . . مقارنة يتضح فيها الحق اتضاحاً عظيماً مشرقاً « وذكر الولاية » يدفع إلى التفكير فيمن هو أحق بها وأولى ، وعقل المؤمن وقلبه لا يتردد لحظة واحدة فى الإيمان بأن الله وحده هو الولى و بأنه الأحق بموالاة الخلق له .

أما من يتردد فى هذا أو يرتاب ، أو ينسب الولاية إلى غيره ، أو يوالى سواه ، فهو — ولا ريب — يثير العجب ، ويدفع إلى الإنكار عليه ، لأنه بهذا يثبت أنه كفور ، أو أنه ليس بآدمى .

قد ذكر الله بنعمه وحبه ، وذكر الشيطان بفقره وفحشائه وعداوته ، مقارنة بين اثنين لا يتردد آدمى أبداً فى الإيمان بأن أحدهما وهو الله هو الذى يستحق أن يُعْبَد وحده ويُوالى وحده

وذرية إبليس هم شياطين الإنس والجن ، أى كل من سلكوا طريقه ، ودعوا بدعوته ، سواء أكانوا من جنسه أم من غير جنسه . (وكذلك جعلنا لكل نبى عدواً شياطين الإنسِ والجن ، يوحى بعضهم إلى بعض زُخْرُفَ القول غُروراً ، ولو شاء ربك مافعلوه ، فذَرْهُمْ وما يفترون . ولِتَصْغَى إليه أفئدةُ الذين لا يؤمنون بالآخرة ، وليرضَوْهُ ، ولِيَقْترِفُوا ماهُمْ مُقْتَرِفُون الأنعام : ١١٢ ، ١١٣) .

وليس معنى هذا نفى أن يكون لإبليس ذرية من جنسه . فالآية تفيد هذا وذاك ، ولكن كيف يتناسل إبليس ؟ لن أجيب ، لأن الأمر غيب ، وأمر الغيب عند عالم الغيب ورب الغيب والسموات والأرض ، وحسب المؤمن طمأنينة وسكينة .

« بئس للظالمين بدلا » إن كلمة « بدل » وحدها تعطى الحكم على هؤلاء الظالمين بأنهم ظالمون لأنفسهم قبل كل شيء . فقد جعلوا الشيطان وذريته أولياء بدلا من جعل الله سبحانه ، فاتخاذ الشيطان وذريته هو البدل المذموم بقوله سبحانه « بئس » ! !

الله جل جلاله .

والشيطان لعنه الله .

لقد جاء الظالمون ، وأبوا ولاية الله ، وجعلوا الشيطان لهم ولياً ، فكان يا بئس ، ويا شؤم البدل ، تصور رجلا فقيراً بائساً تعساً يعطى قصراً منيعاً فى جنان ناضرات مثمرات ، ثم هو تعرض عليه قصة أرض صفراء جرداء تصفر فيها ريح السموم ، وتدوى فى جوانبها أصوات منكرة مفزعة — هيبة من فحيح الثعابين وعواء الذئاب ، ونعيب بوم فيأخذ هذه بدلا من قصره وجنانه .

تصور هذا ثم احكم عليه .

وتدبر اتخاذ الشيطان وليًا بدلا من اتخاذ الله .

« فاطرَ السمواتِ والأرضِ أنتَ وليى فى الدنيا والآخرةِ ، توفنى مسلمًا ، وألحقنى بالصالحين » .

عبد الرحمن الوكيل

داء الكلام

قال أبو نواس :

مت بداء الصمت خير لك من داء الكلام
إنما السالم من ألجم فاه بلجام
ربما استفتح بالمزح مغاليق الحمام
والمنايا آكلات شاربات للأنام

بل رفعه الله إليه

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى . وبعد فإن الله تبارك وتعالى يتعرف إلى عباده بأسمائه وصفاته ، ويوضح فى معرض بيان قدرته على كل شىء أموراً تصب على عقول العباد وتصطدم بما اعتادوه من السنن العادية فى الحياة إذا لم يدرعوا بالإيمان والتصديق والإذعان بما لله تعالى من قدرة لا يدركها عجز ولا وهن .

ومما قصه الله تعالى دليلا على شامل قدرته وعظيم سلطانه حياة عبده الصالح عيسى ابن مريم عليه السلام ، وما اكتنفها من أولها إلى يوم رفعه ، من عجائب الخلق وغرائب الإعجاز .

فإن مما استقر فى أفهام الناس وثبت فى يقينهم بعد الخلق الأول (آدم وحواء) أن الكائنات لا توجد إلا من ذكر وأنثى (يأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى) ولم يدر بخلد أحد من العقلاء أن حياً يخلق فى دنيا الناس من أحد زوجى الكائنات الحية .

والله تبارك وتعالى واضع السنن وهو موجد قوانين الحياة وراسم طريق سيرها ، ولذلك أراد سبحانه أن يبين أن السنن والقوانين لا تقف فى طريق إرادته لأنه هو واضعها ومقررها . وبرهن الله تعالى عمليًا على ذلك فإنه تعالى خلق آدم على غير مثال سابق بغير حاجة إلى ذكر ولا أنثى كما خلق حواء من ذكر بغير أنثى (خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها) .

أما عبد الله ورسوله عيسى عليه السلام فإنه خلقه من أنثى فقط ، مخالفًا فى ذلك ماجرت عليه سنة الخلق منذ فجر الحياة إلى يوم الناس ذاك .

فبينما الطاهرة الصالحة مريم ابنة عمران محتمية فى مكان شرقى ، لتتوفر على ما كرست له حياتها من عبادة الله تعالى ، إذ فاجأها الملك من قبل ربها متمثلا بشرًا (واذكر فى الكتاب مريم إذ انتبذت من أهلها مكانًا شرقيًا . فاتخذت من دونهم حجابًا فأرسلنا

إليها روحنا فتمثل لها بشراً سويًا . قالت إنى أعوذ بالرحمن منك إن كنت تقيًا قال إنما أنا رسول ربك لأهب لك غلامًا زكيًا . قالت أنى يكون لى غلام ولم يمسسنى بشر ولم أك بغيا . قال كذلك قال ربك هو على هين ولنجعله آية للناس ورحمة منا وكان أمراً مقضيا . فحملته) سورة مريم .

فأذهلت المفاجأة أمة الله الصالحة ، فكان من مقتضى رحمة الله بها زيادة فى طمأنتها وإسكان جأشها أن جاءتها الملائكة تؤنسها وتبشرها بما سيكون لما فى بطنها من شأن وأى شأن . (إذ قالت الملائكة يامريم إن الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى ابن مريم وجيهًا فى الدنيا والآخرة ومن المقربين . ويكلم الناس فى المهد وكهلاً ومن الصالحين . قالت رب أنى يكون لى ولد ولم يمسسنى بشر قال كذلك الله يخلق مايشاء إذا قضى أمرًا فإنما يقول له كن فيكون) سورة آل عمران .

وبينما مريم الصديقة بين عاملى الذهول من المفاجأة الغريبة والفرح بالبشرى العظيمة ، إذ أحست بالحمل فى بطنها يتحرك كسائر الأجنة فى بطون أمهاتها — ذلك أنه لما كان حملها بدون بعل على غير مألوف سابق ، كان من أسباب اطمئنان قلبها أن يكون حملها ووضعها مغايراً فى كل أطواره مااعتاده الناس — فلم يكن بين الحمل والولادة وقت يسمح لبنى إسرائيل أن يظهروا على أمرها ، فإنه لو كان حملها عاديًا ومكثت تنتظر الولادة بعد تسعة أشهر ، لما خفى أمرها على أهلها ومرتادى المسجد من غير أهلها ، وكان من انتشار نبأ حملها من أسباب الإساءة إليها ماأراد الله تعالى أن يجنبها إياها ، وهكذا لم يكن بين الحمل والولادة وقت يسمح لأحد باكتشاف أمرها ، ماراعهم إلا أن أتت به قومها تحمله .

فاسمع إلى قوله تعالى :

(فحملته فانتبذت به مكانًا قصيا . فأجاءها المخاض إلى جذع النخلة قالت ياليتنى مت قبل هذا وكنت نسيًا منسيًّا . فناداها من تحتها ألا تحزنى قد جعل ربك تحتك سريا . وهزى إليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبًا جنيًا . فكلى واشربى وقرّى عينًا فإما ترين من البشر أحداً . فقولى إنى نذرت للرحمن صومًا فلن أكلم اليوم إنسيًا) .

سورة مريم .

وبهذه الطريقة الفذة فى الحمل والوضع ، وتحقيق بشارة الملائكة من تكلم الوليد فى المهد مهدئاً من روع أمه ومطمئناً لها ـ وبذلك كله سكن روع مريم وأتت به قومها تحمله وهى مطمئنة تماماً إلى تحقيق سائر ما بُشِّرَت به .. يقول ربنا سبحانه :

(فأتت قومها تحمله قالوا يا مريم لقد جئت شيئاً فريا . ياأخت هارون ما كان أبوك امرأ سَوْء وما كانت أمك بغيا . فأشارت إليه ا قالوا كيف نكلم من كان فى المهد صبيا . قال إنى عبد الله آتانى الكتاب وجعلنى نبيا . وجعلنى مباركا أين ما كنت وأوصانى بالصلاة والزكاة ما دمت حيا . وبرا بوالدتى ولم يجعلنى جبارا شقيا . والسلام علىّ يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حيا) سورة مريم .

فأسقط فى يد بنى إسرائيل وركبهم الغيظ كسابق شأنهم . وبدأ كيدهم من يومه ذلك إلى يوم أحس عيسى منهم الكفر ، ونادى من أنصارى إلى الله .

وهكذا كان قدوم المسيح عيسى بن مريم إلى هذا العالم مغايراً ومخالفاً لمألوفات السنن الجارية فأنه خلق من أنثى وخلق الناس من ذكر وأنثى ، وفى يوم أو بعض يوم كان حمله وخلقه أمراً مقضياً ، فأجاءها المخاض وتم وضعه غلاما زكياً ، يكلم الناس فى المهد وينطق بالحكمة وفصل الخطاب إثباتاً لقدرة الله تعالى على ما يشاء ومتى يشاء وكان من آيات الله الكبرى كما يقول الله تعالى (وجعلنا ابن مريم وأمه آية وآويناهما إلى ربوة ذات قرار ومعين) سورة المؤمنون .

(إن مَثَلَ عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون) سورة آل عمران .

وبرأ الله تعالى ساحة مريم من بهتان بنى إسرائيل وافتئاتهم وطهرها مما افتروه عليها من باطل الاتهام .

ولكن بنى إسرائيل لم تنكسر حدة غيظهم وحسدهم ، فكذبوا بآيات ربهم وأصروا

على عنادهم جاحدين رسالة عيسى عليه السلام المدعمة بأغرب المعجزات . ومن ذلك ما يقصه الله تعالى حيث يقول :

١ — (وإذ قال عيسى بن مريم يا بنى إسرائيل إنى رسول الله إليكم مصدقاً لما بين يدىّ من التوراة ومبشراً برسول يأتى من بعدى اسمه أحمد ، فلما جاءهم بالبينات قالوا هذا سحر مبين) سورة الصف .

٢ ـ (ويعلمه الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل ، ورسولا إلى بنى إسرائيل أنى قد جئتكم بآية من ربكم أنى أخلق لكم من الطين كهيئة الطير فأنفخ فيه فيكون طيراً بإذن الله ، وأبرىء الأكمه والأبرص وأحيى الموتى بإذن الله ، وأنبئكم بما تأكلون وما تدخرون فى بيوتكم إن فى ذلك لآية لكم إن كنتم مؤمنين) سورة آل عمران .

٣ ـ (وإذ قال الله يا عيسى بن مريم اذكر نعمتى عليك وعلى والدتك إذ أيدتك بروح القدس تكلم الناس فى المهد وكهلا ، وعلمتك الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل ، وإذ تخلق من الطين كهيئة الطير بإذنى ، فتنفخ فيه فيكون طيراً بإذنى ، وتبرىء الأكمه والأبرص بإذنى ، وإذ تخرج الموتى بإذنى ، وإذ كففت بنى إسرائيل عنك إذ جئتهم بالبينات ، فقال الذين كفروا منهم إن هذا إلا سحر مبين) سورة المائدة .

وهكذا اكتنفت غرائب الآيات سيرة عيسى عليه السلام ، فى حمله ، وطفولته ، وكهولته ، حجة على مخالفيه وتثبيتاً لمن آمن به واتبعه ، حتى سأله الحواريون ما قص علينا القرآن الكريم فى سورة المائدة :

(إذ قال الحواريون يا عيسى بن مريم هل يستطيع ربك أن ينزل علينا مائدة من السماء ؟ قال اتقوا الله إن كنتم مؤمنين . قالوا نريد أن نأكل منها وتطمئن قلوبنا ونعلم أن قد صدقتنا ونكون عليها من الشاهدين) .

(قال عيسى بن مريم اللهم ربنا أنزل علينا مائدة من السماء تكون لنا عيداً لأولنا وآخرنا

وآية منك وارزقنا وأنت خير الرازقين . قال الله إنى منزلها عليكم فمن يكفر بعد منكم فإنى أعذبه عذاباً لا أعذبه أحداً من العالمين) .

فكانت النتيجة الحتمية لهذه السلسلة المتصلة من الخوارق المفحمة أن لجأ بنو إسرائيل إلى محاولة الخلاص من هذا الداعى القوى بتحريض حكام الرومان عليه .

وهى حيلة سائر معاندى الحق فى كل العصور مع كل رسول .

فلما أحكموا تدبيرهم وظنوا أنهم قد أدركوا غايتهم وأعدوا من أدوات الفتك والتنكيل ما شاءت لهم طبيعتهم الإجرامية ، وأحاطوا بالمكان الذى آوى إليه المسيح عليه السلام ، وصاروا منه قاب قوسين أو أدنى وأيقنوا أن لا محيص له من الوقوع فى برائنهم !

هنالك قهر تدبير الله تدبيرهم ورد كيدهم و بشر الله رسوله أنه لا سبيل لهم إليه ، وكانت النهاية خاتمة العجائب والغرائب فى تلك السلسلة الطويلة من المفاجآت المذهلة . يقول سبحانه (ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين . إذ قال الله ياعيسى إنى متوفيك ورافعك إلىّ ومطهرك من الذين كفروا ، وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا إلى يوم القيامة) سورة آل عمران .

و يقول تعالى :

(وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم ، و إن الذين اختلفوا فيه لفى شك منه ما لهم به من علم إلا اتباع الظن وما قتلوه يقينا . بل رفعه الله إليه وكان الله عزيزاً حكيما) سورة النساء .

يبين الله تعالى فى هذه الآيات أنه أطلع على ما بيته أعداء عيسى عليه السلام من الكيد الإجرامى وما أرادوه من قتله وصلبه تعالياً فى محادة الله فى شخص رسوله عيسى عليه السلام .

ولما كان كل هم بنى إسرائيل منحصراً فى التخلص من المسيح بقتله وصلبه ، وكان حقاً على الله نصر المؤمنين ، أنقذ الله تعالى عبده ورسوله من المصير المؤلم الذى بيته أعداء الله

وذلك مصداق قوله تعالى : (وما قتلوه يقينا . بل رفعه الله إليه) فى سورة النساء ، توكيداً وتوضيحاً لقوله تعالى (يا عيسى إنى متوفيك ورافعك إلى ومطهرك من الذين كفروا) من سورة آل عمران .

وفى تفسير هذه الآيات اجتمعت كلمة مفسرى السلف على أنه إنما رفع حيًّا بجسده وروحه مع اختلاف بسيط فى معنى التوفى ، فمنهم من قال إن التوفى هنا معناه الإنامة كما فى قوله تعالى : (الله يتوفى الأنفس حين موتها والتى لم تمت فى منامها فيمسك التى قضى عليها الموت ويرسل الأخرى) .

ومنهم من فسر التوفى بالقبض من الأرض والرفع إلى السماء . وأن عملية الرفع نفسها هى التوفية وأغلب السلف على هذا القول .

ومنهم من قال : الآية فيها تقديم متأخر لأن العطف بالواو لا يفيد الترتيب وعلى هذا يكون المعنى: إنى رافعك وإنى متوفيك عند انتهاء أجلك ، ولن ينال خصومك منك شيئا .

وقلة منهم ذهب إلى القول بأن متوفيك معناها مميتك وأضاف أصحاب هذا القول أنه أميت ثلاث ساعات من نهار حتى رفعه الله إليه .

ولا يؤثر هذا الاختلاف الجزئى فى العقيدة التى أجمع عليها سلف الأمة وهى رفع عيسى عليه السلام حياً ، إنقاذاً وتطهيراً له من أعدائه الذين لم يريدوا إلا قتله ، إذ لا يستقيم فى الأفهام أبداً أن يكون إنقاذ الله تعالى رسوله عيسى عليه السلام حين أرادوا إهلاكه بأن تولى هو سبحانه إماتته !

ومن عجائب أمر المجددين من متأخرى العلماء أنهم يصمون آذانهم ، ويردون أبصارهم عن صحيح الأخبار المروية بأقوى الأسانيد فى أصح كتب الأحاديث ، لأنها تقف دون تجديدهم المستند إلى رد الصحيح الثابت من الأحاديث وتجريح أئمة الهدى وحملة الدين ، ومنهم من يصرح ، ومنهم من يلمح من طرف خفى . ونحن نورد هنا بعض ما ذخرت به كتب الحديث مكتفين بالصحيح الثابت :

حديث نزول عيسى عليه السلام

١ — عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « والذى نفسى بيده ليوشكن[1] أن ينزل فيكم ابن مريم حكماً عدلا ، فيكسر الصليب ، ويقتل الخنزير ، ويضع الجزية ويفيض المال حتى لا يقبله أحد ، وحتى تكون السجدة خيراً له من الدنيا وما فيها » رواه البخارى ومسلم بطرق متعددة كثيرة .

٢ — وعنه رضى الله عنه بطريق آخر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ينزل ابن مريم فيقتل الخنزير ويمحو الصليب وتجمع له الصلاة ويعطى المال حتى لا يقبل ، ويضع الخراج ، وينزل الروحاء فيحج منها أو يعتمر أو يجمعها » رواه مسلم .

٣ — وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كيف بكم إذا نزل فيكم ابن مريم وإمامكم منكم » رواه البخارى .

٤ — قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ليهلن عيسى بن مريم بفج الروحاء بالحج أو العمرة أو ليثنينهما جميعا » رواه الإمام أحمد .

وتواردت الروايات الكثيرة عند جميع رواة الحديث دالة على إجماع السابقين الأولين وأهل القرون المفضلة جميعا على عقيدة السلف وهي رفع عيسى عليه السلام حيا وأنه ينزل حين يشاء رب العالمين .

وهذه الأحاديث الصحيحة التى لا خلاف على صحتها والتى نكتفى بإيرادها من بين الكثير مما روى فى هذا الباب ، نقول : إن هذه الأحاديث المتفق على صحتها انشرحت لها صدور مفسرى السلف . وعلى ضوئها فسروا ما ورد فى كتاب الله تعالى فى أمر المسيح عليه السلام إيمانا منهم بأنه صلى الله عليه وسلم « كان خلقه القرآن » .

---

(١) هكذا بالتوكيد ، باللام فى أول الكلمة وبالنون فى آخرها ـ فهل كان عليه السلام يشير إلى احتمال ظهور من يكذبون بذلك ؟ ـ ربما !

ولكن بعض مفسرى القرن العشرين أشاحوا بوجوههم عن مالا يتمشى مع رغبتهم فى التجديد ، وراحوا يترجمون آيات القرآن على ضوء شهوة التجديد، وتابعهم من تأثر بسحر بيانهم وإجادتهم فى الدفاع عن الدين وتجريده من البدع والخرافات .

ونحن نتابع من أجاد فيما أجاد فيه ، ونخالفه ونرد قوله فيما خالف فيه عقيدة السلف للدعمة بالصحيح من كلام رسول رب العالمين ، فنحن إنما نتابع من تابع رسول الله صلى الله عليه وسلم ونخالف من خالف سنته وهديه كائناً من كان ، وكل إنسان يؤخذ من قوله ويترك إلا نبي الله صلى الله عليه وسلم .

وها نحن نعود إلى ماسبق أن أوردنا من صحيح السنة ، ونستقرئ كل ماورد فى أمر عيسى عليه السلام واضعين نصب أعيننا أن لا نتكلم فى القرآن إلا على ضوء ماصح عن المأمور ببيانه للناس .

وعلى هدى مشكاة النبوة التى سار على نورها سلف هذه الأمة من أمثال : سعيد ابن المسيب ، وابن شهاب الزهرى وسفيان بن عيينة والليث وسفيان الثورى ومالك والشافعى وأحمد والإمام البخارى ومسلم ، وغير هؤلاء من أئمة الهدى ، يتبين بجلاء ووضوح صحة التفسير الذى قدره مفسروا السلف فى رفع عيسى حيًا ونزوله عند مايشاء الله تعالى .

ونورد باختصار محادثة بينى وبين أحد إخوانى ممن بهرهم تجديد المجددين ، فبعد إيرادى لسائر الأحاديث السابق بيانها ، وذكر أقوال الصحابة والتابعين ، قالى صديقى : إذا كان المسيح قد رفع حيًا — فما طريق حصوله على مقومات الحياة ، إذ لا حياة بغير طعام وشراب . و . . . . و . . . . وما يترتب على تناول الطعام والشراب ؟ .

قلت : لعلك تريد أن تقول : إنه ليس فى السماء طعام ولا شراب ، فمن أين يأكل المسيح ، وإذا وجد الطعام والشراب فأين يقضى حاجته ، إذ لا مراحيض فى السماء ؟ .

قال صديقى : نعم ، إن ذلك هو ماقصدت .

قلت : ألا تعلم أن هناك أحياء على وجه الأرض لم يبلغوا عند الله تعالى مكان المسيح

من الكرامة والوجاهة ، وهم مع ذلك قد عاشوا بغير حاجة إلى مقومات الحياة التى ترى أن لا حياة بدونها ، ولا أعوزتهم حياتهم إلى مراحيض يقضون فيها مايقضى سائر الناس ، لأنهم وإن كانوا قد عاشوا أضعاف أضعاف أعمار الأصحاء من أهل هذا الزمان ، إلا أنهم لم يأكلوا ولم يشربوا وبالتالى لم يحتاجوا لقضاء حاجة ؟ .

قال : إن ماتقول لم يطرق شىء منه سمعى ولا بصرى .

قلت : تعال نقرأ معًا من كتاب الله تعالى قوله : (إنهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى . وربطنا على قلوبهم إذ قاموا فقالوا ربنا رب السموات والأرض لن ندعو من دونه إلهًا لقد قلنا إذاً شططا . هؤلاء قومنا اتخذوا من دونه آلهة لولا يأتون عليهم بسلطان بين فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا . وإذ اعتزلتموهم وما يعبدون إلا الله فأووا إلى الكهف ينشر لكم ربكم من رحمته ويهيىء لكم من أمركم مرفقا . وترى الشمس إذا طلعت تزاور عن كهفهم ذات اليمين وإذا غربت تقرضهم ذات الشمال وهم فى فجوة منه ذلك من آيات الله من يهد الله فهو المهتد ، ومن يضلل فلن تجد له وليًا مرشداً . وتحسبهم أيقاظًا وهم رقود ونقلبهم ذات اليمين وذات الشمال وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد لو اطلعت عليهم لوليت منهم فراراً ولملئت منهم رعبًا) . إلى قوله تعالى : (ولبثوا فى كهفهم ثلاث مائة سنين وازدادوا تسعا) .

ثم نظر بعضنا إلى بعض فى سكوت عميق .

والعجب العجاب أن يمر أحدهم فى سيرة المسيح بكل هـذه الخوارق العجيبة ، الواحدة بعد الأخرى مرور الموقن المصدق ، ثم يزعم أن عقله يشكل عليه هضم أقل تلك المعجزات غموضًا ، فإن رفع عيسى حيا ثم نزوله حين يريد الله ليس فى حقيقته بأغرب من حمل مريم بغير بعل ، ولا من ولادته وتكلمه فى المهد ، ولا من خلق الطين كهيئة الطير ، والنفخ فيه ليكون طيراً ، ولا من سائر مايوقن المؤمنون به من خوارق قوانين الطبيعة ،

وسنن الحياة وهى خوارق توالت وتتابعت من يوم حملت به أمه حتى اختتمت برفعه ، والله عزيز حكيم .

مالكم أيها الناس ؟ أإذا قال الله تعالى إن موسى عليه السلام ضرب بعصاه البحر فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم ، قلتم لم يكن ذلك إلا المدّ والجزر ، وإذا قال الله تعالى (اقتربت الساعة وانشق القمر) قلتم لم ينشق القمر ، لأن المؤرخين لم يذكروا ذلك ، وإذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ينزل فيكم ابن مريم حكماً وعدلا » رددتم عليه قوله لأنكم لم تهضموا القول بأن الله تعالى رفعه إليه كما قال فى كتابه (وما قتلوه يقينا بل رفعه الله اليه) مع أن من الواضح أن الرفع كان إنقاذاً وتخليصا للمسيح عليه السلام مما أراده له الكافرون . ولم يكن مجرد رفع لدرجته ومكانته .

هدانا الله وإياكم إلى الحق وإلى الصراط المستقيم .

عبد اللطيف حسين

التبرعات « لصندوق الاعانة »

إننا نهيب بجميع الاخوان أن يسارعوا بإرسال تبرعاتهم وزكاة أموالهم أو بعضها — أجزل الله مثوبتهم — حتى يمكن تغطية الإعانات الدائمة التى تصرف شهرياً للأسر المحتاجة .

والله فى عون العبد مادام العبد فى عون أخيه .

وترسل التبرعات باسم الأخ محمد رشدى خليل أمين صندوق جماعة أنصار السنة المحمدية المركز العام ٨ شارع قوله — عابدين — القاهرة .

توحيد الله عز وجل

ومن أسمائه الحسنى سبحانه (الباعث والوارث) قال الشاعر :

بالباعث الوارث الأموات قد ضمنت إياهم الأرض فى دهر الدهارير

أما الباعث فهو فاعل البعث ، وأصل البعث الإشارة والتحريك ، وقد ورد فعل البعث مسنداً إلى الله عز وجل فى مواضع كثيرة ، من القرآن الكريم بمعان مختلفة منها إحياؤه الموتى ، وهذا البعث منه ماوقع بالفعل فى الدنيا كقوله تعالى فى خطاب بنى إسرائيل (وإذ قلتم ياموسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فأخذتكم الصاعقة وأنتم تنظرون . ثم بعثنا كم من بعد موتكم لعلكم تشكرون) .

وكقوله فى شأن الذى مر على قرية وهى خاوية على عروشها ، قال أنى يحيى هذه الله بعد موتها (فأماته الله مائة عام ثم بعثه) .

وكقوله تعالى فى شأن أصحاب الكهف (فضربنا على آذانهم فى الكهف سنين عدداً . ثم بعثناهم لنعلم أى الحزبين أحصى لما لبثوا أمداً) .

ومنه ماسيقع يوم القيامة ، وأكثر ما ورد البعث فى القرآن بهذا المعنى الذى هو إخراج الناس من قبورهم أحياء ، وكان المشركون ينكرونه ويستهزئون برسول الله صلى الله عليه وسلم حين يخبرهم بوقوعه ويستعجلونه ، ولهذا عنى القرآن بتوكيده وأقسم عليه وأكثر من إيراد الأدلة المثبتة له كقوله تعالى من آخر سورة يس (وضرب لنا مثلاً ونسى خلقه قال من يحيى العظام وهى رميم . قل : يحييها الذى أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم . الذى جعل لكم من الشجر الأخضر ناراً فإذا أنتم منه توقدون . أوليس الذى خلق السموات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم بلى وهو الخلاق العليم) .

والإيمان بهذا البعث أحد أركان الإيمان الستة التى وردت فى حديث جبريل

عليه السلام حيث قال له الرسول صلى الله عليه وسلم حين سأله عن الإيمان « أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله ، وتؤمن بالبعث بعد الموت ، وتؤمن بالقدر » .

وقد اختلف الناس فى كيفية هذا البعث فنهم من زعم أن هذه الأجساد التى كانت فى الدنيا تنعدم بالكلية ، ثم يوجدهم الله بعد العدم إيجاداً مثل الإيجاد الأول ، ومنهم من ذهب إلى أن الله ينشىء أجسادًا جديدة لا صلة لها بالأجساد الأولى ، ويعيد الأرواح إليها ، وكلا الرأيين خطأ محض وضلال بين ، بل الذى دل عليه صريح الكتاب والسنة أن هذه الأجساد التى كانت فى الدنيا هى التى تبعث بأن يجمع الله أجزاءها المتفرقة ، ويؤلف بينها ويخلقها خلقاً جديداً ، ويعيد الأروح إليها ، وهو الذى يقتضيه عدل الله وحكمته فإن هذه الأجساد هى التى باشرت الطاعة والمعصية فى الدنيا فلا بد أن تباشر جزاء ذلك أيضًا ، إما ثواباً ولذة على الطاعة ، وإما عقوبة وألماً على المعصية .

على أن البعث لو كان متعلقاً بأجساد جديدة بالكلية لما استبعده المشركون ، فإنهم يرون كل يوم مالا يحصى من الأشخاص التى يخلقها الله بالولادة ، بل كان مناط عجبهم هو أن هذه الأجساد التى بليت وتفتتت وضلت فى الأرض كيف تعود إليها الحياة مرة أخرى ، ولقد حكى القرآن شبهتهم هذه أكثر من مرة كقوله من سورة بنى إسرائيل (وقالوا أئذا كنا عظاماً ورفاتًا أئنا لمبعوثون خلقاً جديدًا) وكقوله من سورة ألم تنزيل السجدة (وقالوا أئذا ضللنا فى الأرض أئنا لفى خلق جديد ؟) .

ومن معانى البعث التى وردت فى القرآن كذلك إيقاظه سبحانه النائمين برد أرواحهم التى خرجت عند النوم إليهم كما قال تعالى من سورة الأنعام (وهو الذى يتوفاكم بالليل ويعلم ماجرحتم بالنهار ثم يبعثكم فيه ليقضى أجل مسمى) وكقوله من سورة الزمر (الله يتوفى الأنفس حين موتها ، والتى لم تمت فى منامها فيمسك التى قضى عليها الموت ويرسل الأخرى إلى أجل مسمى) .

ومنها : بعثه الرسل عليهم الصلاة والسلام إلى قومهم مبشرين ومنذرين وبه معرفين

و إليه داعين كما قال تعالى (ولقد بعثنا فى كل أمة رسولاً أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت فنهم من هدى الله ومنهم من حقت عليه الضلالة) .

وأما اسمه تعالى (الوارث) فمعناه الذى يصير و ينتهى إليه كل شىء بحيث لا يبقى لأحد معه شبهة ملك ولا شائبة تصرف فى شىء من الأشياء ، فإن الله خلق لبنى آدم جميع مافى الأرض ، وسخره لهم وملكهم إياه وأذن لهم فى الانتفاع به مدة بقاء هذه الدنيا ، فإذا مات الناس وقامت القيامة آلت هذه الأشياء كلها إلى مالكها الحقيقى جل شأنه ، قال تعالى من سورة الحجر (إنا نحن نحيي ونميت ونحن الوارثون) .

وقال تعالى من سورة مريم عليها السلام : (إنا نحن نرث الأرض ومن عليها و إلينا يرجعون) .

يقول الغزالى :

(الوارث) هو الذى يرجع إليه الأملاك بعد فناء الملاك ، وذلك هو الله سبحانه ، أذ هو الباقى بعد فناء خلقه و إليه يرجع كل شىء ومصيره ، وهو القائل إذ ذاك (لمن الملك اليوم) وهو المجيب (لله الواحد القهار) اهـ .

محمد خليل هراس
كلية أصول الدين

جواب خاطىء

عن ابن عباس رضى الله عنهما أن رجلا قال للنبي صلى الله عليه وسلم : ماشاء الله وشئت . فقال : « أجعلتنى لله نداً . قل ما شاء الله وحده » رواه النسائى .

غضب رسول الله صلى الله عليه وسلم من هذا الذى سوى بينه و بين الله تعالى فى المشيئة ، وكأنه يقول : أجعلتنى لله مِثْلاً وشريكا ؟ لاينبغى لك أن تسوينى بالله ، تعالى الله عن ذلك علواً كبيرا .

قال شارح كتاب التوحيد لابن عبد الوهاب . وهذا يبين أن النهى عن الشرك بالله عام ، لا يصلح منه شىء لا لملك مقرب ولا نبى مرسل ، ولا للكعبة التى هى بيت الله فى أرضه . اه

***

دعانى لهذه التقدمة فى بيان الشرك من التوحيد ، من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ما قرأته فى باب بريد القراء من مجلة « لواء الإسلام » التى تصدر بالقاهرة ـ عدد صفر سنة ١٣٨٣ ـ من إجابة بعضهم على سؤال لأحد القراء من نيالا بالسودان جاء فيه :

« بينما كنا جلوساً فى مجلس إذ قام واحد من الحاضرين ـ منصرفاً ـ وقال (استودعتكم الله ورسوله) فاعترض أحد الحاضرين وقال : إن هذا شرك . ودارت مناقشة انقلبت إلى معركة . وهو يريد أن يعرف الحكم فى ذلك » .

ومن غريب أمر المجيب على هذه المسألة قوله :

« ليس فى كلمة استودعتكم الله ورسوله شىء من الشرك . أو خروج عن تعاليم الدين الحنيف . فإن الله تبارك وتعالى قد قرن اسم النبي صلى الله عليه وسلم باسمه تعالى فى كثير من آى الذكر الحكيم ، وليس فى هذا أى معنى من معانى المشاركة » .

أقول : وليته وقف عند هذا الحد من الخلط ، بل قال : « فإن اسم الرسول صلى الله عليه وسلم يأتى دائماً بعد اسم الله معطوفاً عليه . فلا داعى للنقاش ولا للشجار » اه .

* * *

لو أن السائل طلب من المفتى رأيه لكان له أن يجيب بمثل تلك الإجابة ، لأن ذلك رأيه ومبلغ فهمه . ولكن السائل « يريد أن يعرف الحكم فى ذلك » كما هو نص سؤاله الوارد بالمجلة . ولا شك فى أن المراد بالحكم هنا هو حكم الله ، أو ما جاء عن الله ورسوله فى مثل تلك المسألة التى اختلفت فيها الآراء (وما اختلفتم فيه من شىء فحكمه إلى الله) . ولكنه لم يفعل وإنما أفتاه بكلام هو إقرار منه لعين الشرك ، وإذا لم يكن هذا الذى قيل شركا ؛ فكيف يكون الشرك ؟

إن الذى أفتى فى هذه المسألة لم يفهم حقيقة قول القائل (استودعتكم الله ورسوله) لأنه لو علم حقيقة مؤداها — كما سأبينه بعد — لأفتاه بما يطمئن نفس السائل ويريح ضمير المؤمن . وإلا فقل بربك — أيها القارىء الكريم — ماذا يفهم السائل من قوله « إن الله تبارك وتعالى قد قرن اسم النبى صلى الله عليه وسلم باسمه تعالى فى كثير من آى الذكر الحكيم ؟ » دون أن يأتى ولو بآية واحدة تؤيد زعمه ، إلا لأن ذلك زعم باطل ، ودعوى تحتاج إلى برهان .

وأيضاً فإنه لا فائدة كذلك تعود على السائل من القول « بأن اسم الرسول صلى الله عليه وسلم يأتى دائماً بعد اسم الله معطوفا عليه » وإن كان هذا القول أكثر جرأة فى باطله وأشد بطلاناً من سابقه . فإن الزعم بأن اسم الرسول يأتى دائما بعد اسم الله معطوفا عليه ، زور وبهتان من قائله (كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذبا) .

إن هذه جرأة افتراء على الله ، وعلى رسوله صلى الله عليه وسلم تردى صاحبها فى مهاوى الضلال . وصدق الله إذ يقول : (وإن كثيراً ليضلون بأهوائهم بغير علم) .

* * *

إن المؤمن إذا قال لأخيه حين مفارقته له « استودعتك الله ـ فإنما يريد بذلك أن يجعله وديعة عند الله ، يحفظه ويرعاه بعين عنايته ، ذلك ما يقصده القائل ـ استودعك ، وليس فى هذا شك ، ولا يمارى فيه أحد . لأن حفظ العباد وكلاءتهم من أخص صفات الله تعالى . يقول عز من قائل (فالله حفيظ عليهم ، وما أنت عليهم بوكيل) ويقول (فالله خير حافظاً وهو أرحم الراحمين) إلى آيات كثيرة فى هذا المعنى . وهذا هو اللائق فى جانب الله تعالى ، وهو أن يجعل المؤمن أخاه وديعة عنده يحفظه ويرعاه .

فهل يعتقد صاحب تلك الفتوى أن ذلك جائز فى حق الرسول أيضا ؟ إن ذلك شرك ولا شك . ففى الحديث القدسى عن أبى هريرة رضى الله عنه قال ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى : (أنا أغنى الأغنياء عن الشرك ، من عمل عملا أشرك معى فيه غيرى تركته وشركه) رواه مسلم . ولا شك أيضا فى أن القائل لأخيه «استودعتك ورسوله » كما جاء فى السؤال ، واقع فى الشرك ـ أراد أم لم يرد ـ لأنه كما جعل أخاه وديعة عند الله ، يحفظه ويرعاه ، جعل الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ مثل ما لله فى ذلك ، ولا فرق . وهذا هو عين الشرك . يدل مع ذلك الحديث القدسى الذى قدمته آنفاً ويؤيده الحديث الذى رواه الطبرانى بسنده « أنه كان فى زمن النبى صلى الله عليه وسلم منافق يؤذى المؤمنين فقال بعضهم : قدموا بنا نستغيث برسول الله صلى الله عليه وسلم من هذا المنافق . فقال النبى صلى الله عليه وسلم : « إنه لا يستغاث بى وإنما يستغاث بالله » .

وأيضا فإن الحديث الذى صدرت به هذه الكلمة توضحه ويبينه . لأن النبى صلى الله عليه وسلم أنكر على الذى قال له (ماشاء وشئت) إنكاراً شديدا . لأنه صلى الله عليه وسلم لا يقبل أن يسوى بينه وبين الله تعالى بحال من الأحوال ـ هذا مع ماله من الجاه والمنزلة عند الله .

* * *

وأعود إلى قوله « إن الله قرن اسم النبى باسمه تعالى فى كثير من آى الذكر الحكيم » فأقول :

نعم . هذا صحيح . ولكنه لم يقرن اسم النبى صلى الله عليه وسلم مساواة له تعالى ، وإنما فرق فى ذلك الاقتران فجعل ما لله لله ، وما للرسول للرسول . مثال ذلك قوله تعالى من سورة (الفتح) (لتؤمنوا بالله ورسوله وتعزروه وتوقروه ، وتسبحوه بكرة وأصيلا) فجعل التعزير والتوقير للرسول . وأما التسبيح فله تعالى خاصة .

ولعل مثل هذه الآية أشكلت على صاحب الفتوى فجعلته لا يفرق بين ما لله وما للرسول ، حتى قال « ليس فى كلمة استودعتكم الله ورسوله شيء من الشرك » .

ومثال آخر يبين الفرق فى مثل ذلك الاقتران ، يقول الله تعالى فى سورة (التوبة) والكلام هنا على تقسيم الزكاة والصدقات ، لأن المنافقين لم يرتضوا قسمة رسول الله لها : (ولو أنهم رضوا ما آتاهم الله ورسوله ، وقالوا حسبنا الله ، سيؤتينا الله من فضله ورسوله ، إنا إلى الله راغبون) .

فأنت ترى أنه جعل الإيتاء لله والرسول وهو قوله (رضوا ما آتاهم الله ورسوله) ويوضح الإيتاء من الرسول صلى الله عليه وسلم قوله « إنما أنا قاسم والله المعطى » وتقول الآية (وقالوا حسبنا الله) فجعل الحسْبَ وهو التوكل على الله والاكتفاء به وحده ، لأن الله كاف عبده ، كما تقول آية أخرى . وتقول الآية بعد ذلك . (سيؤتينا الله من فضله ، ورسوله) وهنا جعل فضل الإيتاء لله ، وجعل إيتاء الرسول تبعاً له . (إنا إلى الله راغبون) ولم يقل إنا إلى الله ورسوله راغبون . كما زعم ذلك المفتى بأن اسم الرسول يأتى دائما معطوفا بعد اسم الله تعالى . بل أفرد الرغبة هنا فى الله ، ولله خاصة .

وفى تفسير ابن كثير يقول (تضمنت هذه الآية الكريمة أدباً عظيماً وسرا شريفا حيث جعلها الرضا بما آتاه الله ورسوله ، والتوكل على الله وحده ، وهو قوله (وقالوا حسبنا الله) وكذلك الرغبة فى التوفيق لطاعة الرسول وامتثال أمره ، وترك زواجره ، وتصديق أخباره ، والاقتفاء آثاره . اه

وفى هذا بين المثالين المتقدمين الكفاية لمن أراد أن يعرف الفرق بين كيفية ورود

اسم النبي صلى الله عليه وسلم مقترناً باسم الله تعالى . وبين ما يدعيه صاحب الفتوى من أن اسم النبي صلى الله عليه وسلم يأتى دائما مقترنا باسم الله تعالى .

وأغلب الظن أن الآيات التى من قبيل المثالين السابقين هى التى جعلت صاحب تلك الفتوى يظن أن فى الأمر مساواة تامة ، فوقع فى الشرك من حيث لا يدرى .

فليتق الله المتكلمون فى الدين بغير علم ، وليعلموا أن الله محاسبهم على ما يقولون ، ومؤاخذهم بما يفترون . (فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا ، ليضل الناس بغير علم ، إن الله لا يهدى القوم الظالمين[1]) .

هدانا الله وإياهم صراطه المستقيم . محمد صالح سعدان

التعاون

رفقا يا أخى . . !

ولا تنس أن الله سبحانه خلق آدم من تراب . وأنت ابن آدم ، وبجوارك أخوك الإنسان . الكل من آدم ، وآدم من تراب . فلا داعى إذاً أن يأخذك غرور المال أو الجاه ، فتتعاظم على أخيك الإنسان . فلا تتعاون معه ، ولا تسدى إليه معروفاً أو جميلاً . والحق : أن تراجع إنسانيتك ، فلا يغرنك الشيطان ، أو يسيطر عليك الهوى حتى لا يقع هـذا أو يتحقق تلك . .

ولئن كان الجاه هو الفار أو المسيطر : فدعنا من الجاه ، ومن نتج من الجاه . . ولئن كانت نعمة الله فى المال هى الدافعة : فإنما اختصك الله بها إبتلاء واختباراً . وإن ربك لبالمرصاد . فكن شاكراً لنعمة ربك ، ولن يكون شكرها إلا برعاية هؤلاء الأناسى من حولك ، ومعاملتهم معاملة إنسانية كريمة . . . كن سخياً بجانب الكريم . مشجعاً المجد بجانب المنتج ناصحاً لغيره إذ يتقاعد ، فيركن إلى حياة الخمول . عاملا على نشر روح التآخى والتآزر فيما بين الجميع من المواطنين . فإن فعلت فإنك إذاً من الفائزين . وإلا . . . فبؤ بالخيبة والخسران (وتعاونوا على البر والتقوى ، ولا تعاونوا على الإثم والعدوان) .

(١) الآية - ١٤٤ - من سورة الأنعام .

أمة التوحيد تتوحد

نشرت مجلة الأزهر بعددها الصادر فى المحرم سنة ١٣٨٣ مقالا بهذا العنوان بقلم مديرها الأستاذ أحمد حسن الزيات جاء فيه :

« إن الوحدة المحمدية كانت كلية عامة لأنها قامت على العقيدة ، ولكن العقيدة مهما تدم فقد تضعف أو تحول ، وإن الوحدة الصلاحية كانت جزئية خاصة ، لأنها قامت على السلطان ، والسلطان يعتريه الوهن فيزول . أما الوحدة الناصرية فباقية نامية ، لأنها تقوم على الاشتراكية فى الرزق ، والحرية فى الرأى ، والديمقراطية فى الحكم . وهذه المقومات الثلاثة ضمان دائم للوحدة ، ألا تستأثر فتستغل ، وألا تستبد فتطغى ، وألا تحكم فتتحكم ، والأثرة والطماعية والطغيان والحسد كانت وما زالت علة العلل فى فساد الزمان وهلاك الأمم » .

وقد تولت مجلة لواء الإسلام فى عددها الصادر فى ربيع الأول سنة ١٣٨٣ الرد على مقال الأستاذ الزيات ، واستنكرت جرأته على شخصية الرسول صلى الله عليه وسلم ، وعلى نظام الإسلام . كما نشرت استنكار ندوة « لواء الإسلام » ، وبيانا من جبهة علماء الأزهر ، ومقالا لفضيلة الأستاذ الشيخ محمد أبى زهرة ، ومقالا آخر للاستاذ صلاح أبو اسماعيل .

إن المسلمين والعرب فى مشارق الأرض ومغاربها ، يدعون الله مخلصين ، أن يوفق الرئيس جمال عبد الناصر ، فى المحاولة التى يبذلها جاهدا لإعادة وحدتهم على أسس الوحدة المحمدية التى من أخص خصائصها التكافل الاجتماعى وحرية الرأى وديمقراطية الحكم . إنما أفزعهم وأقض مضجعهم أن يحط الأستاذ الزيات من قدر الوحدة الإسلامية الجامعة التى أقامها رسول الله صلى الله عليه وسلم بتأييد من الله سبحانه وتعالى ، وأن يعقد المقارنة بينها وبين الوحدة الصلاحية ـ نسبة إلى صلاح الدين الأيوبى ـ والوحدة الناصرية ، ويجعل مع ذلك الوحدة المحمدية أقلها شأنا .

وليس هذا جديدا من الأستاذ الزيات ، فقد سبق له أن عقد المقارنة بين الهجرة النبوية من مكة المكرمة إلى المدينة المنورة ، وبين هجرة فوزية إلى إيران عند زفافها إلى شاه إيران ، وكان ذلك بمجلة « الرسالة » التي كان يصدرها . وكانت المقالة بعنوان « براعة استهلال العام » فردت عاية مجلة « التمدن الإسلامي » بمقال عنوانه : « أبراعة استهلال أم رقاعة وضلال » .

فإذا كان الأستاذ الزيات قد كتب اليوم ما كتب ، فإنه إنما يصدر من نفس المعين ، ونسأل الله العافية ؟

(الهدى النبوى)

نصيحة رجل لهشام بن عبد الملك

خرج الزهرى يوما من عند هشام بن عبد الملك ، فقال : مارأيت كاليوم ، ولا سمعت كأربع كلمات تكلم بها رجل عند هشام .

دخل عليه فقال : ياأمير المؤمنين ، إحفظ عنى أربع كلمات فيهن صلاح ملكك وإستقامة رعيتك .

قال ماهن ؟

قال : لا تَعِدْ عِدَةً لاتثق من نفسك بإنجازها ، ولا يغرنك المرتقى وإن كان سهلا إذا كان المنحدر وعراً . واعلم أن للأعمال جزاء فاتق العواقب . وأن الأمور بغتات فكن على حذر .

أسئلة وأجوبة

من الصومال

الحمد لله وكفى والصلاة والسلام على عباده الذين اصطفى .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له القائل : (٤ : ٣٦ — واعبدوا الله ولا تُشركوا به شيئاً) وأشهد أن محمداً عبده ورسوله القائل : « حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا ، وحق العباد على الله أن لا يعذب من لا يشرك به شيئا » رواه البخاري ومسلم . وصلى الله على الرسول الكريم ذى الخلق العظيم القائل : « كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة فى النار » .

أما بعد فقد ورد إلىَّ أسئلة علمية من المشايخ الأجلاء : الشيخ حامد شيخ محمد والشيخ يوسف معلم حسن والشيخ عبد السلام عيسى من أهالى « نقال » يريدون الإجابة عنها مع علمى أنهم عارفون بها فامتثلت لأمرهم إجابة لطلبهم لأنهم ممن لا يسعنى إلا تلبية ندائهم لما لهم عندى من عظيم الاحترام .

الأسئلة والإجابة عنها

السؤال الأول : ما حكم ضرب قضيب على الطبل عند قراءة القرآن والصلاة على الرسول صلى الله عليه وسلم وسائر الأذكار مع التغنى والتواجد والرقص والتمايل والزعم بأن ذلك قربة إلى الله تعالى وأنها سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وطريقة أولياء الله تعالى وفيها ذوق للعارف ؟

الإجابة : هذا العمل المذكور – وأمثاله مما يقال له الحضرة أو السماع حسب العرف – منكر وضلالة ، وهو من أعمال الجهلة والشياطين ، ومن زعم أن ذلك قربة إلى الله فقد كذب وافترى على الله ، ومن زعم أنه يزيد فى الذوق فهو جاهل أو شيطان ، وليس هذا

طريقة أولياء الله تعالى الذين هم حزب الله المفلحون أتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بل هذه طريقة أهل اللهو واللعب والباطل ، ويجب الإنكار على ذلك باليد واللسان والقلب .

عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « من رأى منكم منكراً فليغيره بيده ، فإن لم يستطع فبلسانه ، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان » رواه مسلم .

وينبغى للمسلم أن يتدبر الآيات القرآنية الناعية على الذين اتخذوا دينهم لعباً ولهواً ويحسبون أنهم مهتدون وأنهم بأوامر الله عاملون وبسيرة سلفهم الصالح مقتدون مع بطلان أعمالهم وضياع ثوابها فأصبحت هباء منثورا .

قال الله تعالى (٥ : ٥٧ ـ يأيها الذين آمنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزواً ولعباً من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم والكفار أولياء واتقوا الله إن كنتم مؤمنين) .

وقال الله تعالى (٦ : ٦٨ ـ ٧٠ ـ وإذا رأيت الذين يخوضون فى آياتنا فأعرض عنهم حتى يخوضوا فى حديث غيره وإما يُنْسِيَنَّكَ الشيطانُ فلا تقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين . وما على الذين يتّقون من حسابهم مِنْ شىء ولكن ذِكْرَى لعلهم يتقون . وَذَرِ الذين اتخذوا دينهم لعباً ولهواً وغرّتهم الحياة الدنيا وذكر به أن تُبسل نفسٌ بما كسبت ليس لها من دون الله ولىّ ولا شفيع) .

ويقول الله تعالى (٧ : ٢٨ ـ ٣٠ ـ وإذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا بها قل إن الله لا يأمر بالفحشاء أتقولون على الله مالا تعلمون . قل أمر ربى بالقسط وأقيموا وجوهكم عند كل مسجد وادعوه مخلصين له الدين كما بدأكم تعودون فريقًا هدى وفريقًا حقّ عليهم الضلالة إنهم اتخذوا الشياطين أولياء من دون الله ويحسبون أنهم مهتدون) .

وقال الله تعالى (٧ : ٥١ ـ الذين اتخذوا دينهم لهواً ولعباً وغرتهم الحياة الدنيا فاليوم ننساهم كما نسوا لقاء يومهم هذا ، وما كانوا بآياتنا يجحدون . ولقد جئناهم بكتاب فصّلناه على علم هُدًى ورحمة لقوم يؤمنون) .

وقال الله تعالى (١٨ : ١٠٢ ـ ١٠٥ أفَحَسِبَ الذين كفروا أن يتّخِذوا عبادى مِن دونى أولياء إنا أعتدْنا جهنم للكافرين نزُلاً . قل هل ننَبِّئُكم بالأخسرين أعمالاً . الذين ضل سعيهُم فى الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا . أولئك الذين كفروا بآيات ربهم ولقائه فحبطت أعمالهم فلا نقيم لهم يوم القيامة وَزْنا . ذلك جزاؤهم جهنم بما كفروا، واتخذوا آياتى ورُسُلى هُزُوًا) .

وقال الله تعالى (٥٨ : ١٨ ـ ٢٠ ـ يوم يبعثهم الله جميعاً فيحلفون له كما يحلفون لكم ويحسبون أنهم على شىءٍ ألا إنهم هم الكاذبون. استَحْوَذَ عليهم الشيطاَن فأنساهم ذكر الله أولئك حزبُ الشيطان ألاَ إن حزبَ الشيطان هم الخاسرون . إن الذين يُحادُّون الله ورسولَه أولئك فى الأذَلِّين) .

قال صاحب المدخل : أما الرقص والتواجد فأول من أحدثه أصحاب السامرى لما اتخذ لهم عجلا جسداً له خوار قاموا يرقصون حواليه ويضربون بالدف ويتواجدون فهو دين الكفار وعباد العجل » .

ونقل الإمام القرطبى عن الإمام الطرطوسى أنه سئل عن قوم فى مكان يقرأون شيئا من القرآن ثم ينشد لهم منشد شيئاً من الشعر ، فيرقصون ويطربون ويضربون بالدف هل الحضور معهم حلال أو لا ؟

فأجاب : « مذهب السادة الصوفية أن هذا بطالة وضلالة ، وما الإسلام إلا كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأما الرقص والتواجد فأول من أحدثه أصحاب السامرى لما اتخذ لهم عجلاً جسداً له خوار، قاموا يرقصون حوله ويتواجدون، والرقص دين الكفار ، وعباد العجل وإنما كان مجلس النبى صلى الله عليه وسلم مع أصحابه كأنما على رؤسهم الطير من الوقار .

فينبغى للسلطان ونوابه أن يمنعوهم من الحضور فى المساجد وغيرها ولا يحل لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر أن يحضر معهم ولا أن يعينهم على باطلهم .

هذا مذهب الأئمة مالك وأبي حنيفة والشافعى وأحمد وغيرهم من أئمة المسلمين رضى الله عنهم .

وقال الإمام الكبير ابن قدامة جوابا عن مثل هذا السؤال :

« إن فاعل هذا مخطىء ساقط المروءة والدائم على هذا الفعل مردود الشهادة فى الشرع غير مقبول القول فإن هذا لعب ومعصية ذمه الله ورسوله ، وكرهه أهل العلم ، وسموه بدعة ، ونهوا عن فعله ، ولا يتقرب إلى الله تعالى بمعاصيه ، ولا يطاع بارتكاب مناهيه ، ومَنْ وسيلته إلى الله معصية كان حظه الطرد والإبعاد ، ومن اتخذ اللهو واللعب دينا كان كمن سعى فى الأرض بالفساد ، ومن طلب الوصول إلى الله تعالى من غير طريق رسول الله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم وسنته ، فهو بعيد عن الوصول إلى المراد » .

وقد ألف بن حجر الهيتمى كتابا سماه « كف الرعاع عن محرمات اللهو والسماع » قصد به الرد على هؤلاء الجهلة .

قال الله تعالى (٣٠ : ٢٩ ـ بل اتبع الذين ظلموا أهواءهم بغير علم فمن يهدى من أضلّ اللهُ وما لهم من ناصرين) وقال الله تعالى (٤٥ : ٢٤ ـ وما لهم بذلك من علم إن هم إلا يظنون) .

وقال الله تعالى (٥٣ : ٢٨ ـ وما لهم به من علم إن يتبعون إلا الظنّ وإن الظن لا يغنى من الحق شيئا) .

وقال الله تعالى (٤٥ : ٢٣ ـ أفرأيتَ من اتخذ إلهَهُ هواه وأضلّه الله على علم ، وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة فمن يهديه من بعد الله ؟ أفلا تذكرون) .

وقال الله تعالى (٣١ : ٧ ـ ومِن الناس من يشترى لَهْوَ الحديث ليضلّ عن سبيل الله بغير علم ويتخذها هُزُواً أولئك لهم عذاب مُهين . وإذا تتلى عليه آياتنا ولّى مستكبراً كأن لم يسمعها كأنّ فى أذنيه وقراً فبشره بعذاب أليم)

وقال الله تعالى (٣١ : ٢١ ـ وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما وجدنا عليه آباءنا أولو كان الشيطان يدعوهم إلى عذاب السعير) .

فتدبر هذه الآيات القرآنية البينات .

السؤال الثانى : ما حكم التصفيق خارج الصلاة بضرب إحدى الراحتين بالأخرى ؟

الإجابة : التصفيق محرم على الرجال فى داخل الصلاة وخارجها ، وإن التصفيق للنساء مندوب لهم فى الصلاة للضرورة . وأما خارج الصلاة ففيه أقوال ثلاثة : محرم مطلقا ومكروه مطلقا ومحرم عند قصد اللعب ، مكروه عند غيره .

وعلى كل حال فتصفيق الرجل خفة ورعونة مشابهة لرعونة الإناث ولا يفعله إلا أرعن أو متصنع جاهل وفعل ذلك دليل على جهالة فاعله ، لأن الشريعة الإسلامية لم ترد به لا فى كتاب ولا فى سنة ولا فعل ذلك أحد من الأنبياء ولا معتبر من أتباع الأنبياء وإنما يفعله السفهاء الذين التبست عليهم الحقائق بالأهواء .

قال الله تعالى ذامًّا على الذين يفعلون ذلك (٨ : ٣٥ ـ وما كان صلاتهم عند البيت إلا مكاء وتصدية فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون) .

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « التسبيح للرجال والتصفيق للنساء » رواه البخارى ومسلم وأبو داود والنسائى .

السؤال الثالث : ماحكم شرب الدخان وأكل القات عند قراءة القرآن والموالد ؟ .

الإجابة : إعلم أيها المسلم أن شرب الدخان أو أكل القات عند قراءة القرآن مما يشعر بالاستهانة والاستخفاف وعدم الاحترام لكتاب الله تعالى والإعراض عنه وإن لم يقصد الفاعل ذلك ، وذلك ضد ماوصف الله به عباده المؤمنين عند سماع كلامه العظيم . قال الله تعالى (٥ : ٧٣ — وإذا سمعوا ماأنزل إلى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق يقولون ربنا آمنا فاكتبنا مع الشاهدين) . وقال الله تعالى (٧ : ٢٠٤ — وإذا

قرىء القرآن فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون . واذكر ربك فى نفسك تضرعاً وخيفة ودون الجهر من القول بالغدو والآصال ولا تكن من الغافلين) .

والاستماع : الإصغاء ، والإنصات : السكوت عند قراءة القرآن فى الصلاة وغيرها ، تعظيما واحتراماً ، وبذلك يرجى الفوز والرحمة من الله .

وأما قراءة الموالد فهى من الأعمال التى لم يكن عليها أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا أمر خلفائه الراشدين ولا سائر الصحابة والتابعين لهم بإحسان من أئمة الهدى وغيرهم فى القرون المفضلة الثلاثة بل الخمسة ، ولو كان عمل ذلك خيراً لسبقونا إليه ، فعمل ذلك إحداث أمر فى الدين لم يكن عليه أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وقد ثبت عن أم المؤمنين عائشة بنت أبى بكر الصديق رضى الله عنها أنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من أحدث فى أمرنا هذا ماليس منه فهو رد » . رواه الشيخان فى الصحيحين .

وبناء على ذلك فكل عبادة لم يتعبد بها رسول الله صلى الله عليه وسلم فهى حدث فى الدين وزيادة على المشروع وعمل غير مقبول بل مردود على فاعله لأن ذلك أمر محدث فى الدين . وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة .

والبدعة كل عمل أحدث فى الدين أصلاً أو وصفاً على غير مثال سابق من هدى الرسول صلى الله عليه وسلم يقصد به التقرب إلى الله تعالى وإنما كان كل ذلك ضلالة ، لأن الله تعالى قال فى القرآن الكريم (٥ : ٣ اليوم أكملت لكم دينكم ، وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الإسلام دينا) .

قال الإمام مالك رحمه الله تعالى : مالم يكن يومئذ ديناً[١] فلا يكون اليوم دينا .

وقال الإمام الشافعى رحمه الله : من حسّن بدعة فقد استدرك على النبى صلى الله عليه وسلم اهـ .

وأما الأمور الحادثة فيما يتعلق بالدنيا فلا تسمى بدعة ولا سنة شرعية لأن ذلك ليس عبادة ولا يقصد به التقرب إلى الله تعالى .

---

(١) أى فى عهد النبى صلى الله عليه وسلم وصحابته . (الهدى النبوى)

السؤال الرابع : ماحكم شرب الدخان وأكل القات ؟ .

الإجابة : لا شك أن صرف المال فى شرب الدخان (التمباك) وأكل القات إسراف وتبذير للمال فى غير حقه ولا ريب أن ذلك محرم وممنوع شرعاً .

قال الله تعالى (٦ : ١٤١ — ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين) .

وقال الله تعالى (١٧ : ٢٧ — ولا تبذر تبذيرا . إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين وكان الشيطان لربه كفوراً) .

وورد فى الحديث الصحيح أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال : « إن الله كره لكم قيل وقال ، وكثرة السؤال ، وإضاعة المال » رواه مسلم .

قال صاحب فتح البيان فى تفسيره : التبذير : هو الإنفاق فى غير الحق وإن كان يسيرا » اه .

وقال الإمام مالك رحمه الله تعالى « التبذير هو أخذ المال من غير حقه ووضعه فى غير موضعه ، وهو الإسراف المحرم » اه .

وقال الإمام الشافعى رضى الله عنه : « التبذير إنفاق المال فى غير حقه » اه .

وقال عبد الله بن مسعود رضى الله عنه « التبذير هو إنفاق المال فى غير حقه » اه .

وقال عبد الله بن عباس رضى الله عنهما : المبذرون هم الذين ينفقون المال فى غير حقه اه

وقال سفيان رحمه الله : ماأنفقت فى غير طاعة الله فهو إسراف وإن كان قليلا اه .

وفى الآية الأولى تصريح بأن كل إنفاق لم يأذن به الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم مثل الإنفاق فى شرب الدخان وأكل القات فهى سرف وتبذير لم يأذن به الله ، بل نهى وزجر عنه وصرح بأنه لا يحب المسرفين بإسرافهم ، وذلك زجر عن الإسراف فى الإنفاق ووعيد شديد عليه ، لأن من لا يحبه الله فهو من أهل النار .

وفى الآية الثانية تسجيل على المبذرين بمماثلة الشيطان ، ثم التسجيل على جنس الشيطان بأنه كفور ، فاقتضى ذلك أن المبذر لماله فى شرب الدخان وأكل القات وسائر أنواع

التبذير فى الإنفاق أخ للشيطان مماثل له حكمه حكم الشيطان ، وكل شيطان كفور فالمبذر كذلك لأنه موافق للشيطان فى الصفة والفعل .

السؤال الخامس : هل يمكن للإنسان رؤية الجن واستخدامه ومعاملته ، وهل يجوز للإنسان أخذ الأجرة من المريض بزعم إخراج الجان منه ؟ .

الاجابة : الجن خلق من خلق الله تعالى خلقه من النار .

قال الله تعالى (١٥ : ٢٧ — والجان خلقناه من قبل من نار السموم) .

وقال الله تعالى (٥٥ : ١٥ وخلق الجان من مارج من نار) .

وهم من عالم الغيب يروننا ولا نراهم قال تعالى (٧ : ٢٧ يابنى آدم لا يفتننكم الشيطان كما أخرج أبويكم من الجنة ينزع عنهما لباسهما ليريهما سوآتهما إنه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم ، إنا جعلنا الشياطين أولياء للذين لا يؤمنون) .

وسمى إبليس بالشيطان وهو فاسق من الجن .

قال الله تعالى (١٨ : ٥٠ — وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه) .

هذا هو خبر الله تعالى الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد) .

وقال الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم فى بعض أدعيته « اللهم إنك سلطت علينا عدواً بصيراً بعيو بنا يرانا هو وقبيله من حيث لا نراهم » .

وهذا هو خبر الرسول المعصوم الذى لا ينطق عن الهوى .

وقال الإمام الشافعى : من زعم أنه رأى الجن رددنا شهادته مالم يكن نبياً لأن الله تعالى يقول : (إنه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم) . هـ ا

هذا والذين يزعمون غير ذلك يحرفون الكلم عن مواضعه ويجادلون فى الحق بعد ما تبين لهم ، وأما الزعم بالتعامل مع الجن واستخدامه بقضاء الحاجات والاطلاع على

الغيوب ، فهذه كلها مفتريات وأكاذيب يحتالون بها على البله وضعاف العقول ليسلبوهم أموالهم ، وهم عن كيدهم غافلون .

كيف يمكن التعامل بين الجن والإنس ؟ بين النار الطين ؟ بين عالم الغيب وعالم الشهادة ؟ والجن لا يعلمون الغيب ولا يطلعون أحداً على شيء ، ولا يقضون له حاجة ، ولا يحضرون له غائباً ولا يسمعون نداءه ولا يفهمون كلامه لعدم الصلة بين الإنس والجن ولعدم علمهم بالغيب ، كما لا يعلم أحد من البشر شيئاً من الغيب ولا يطلع الله عليه إلا الرسل عليهم الصلاة والسلام ؛ وليس للجن سلطان إلاّ على الذين لا يؤمنون ، ولا يستطيعون أن يفعلوا بالإنسان شيئا سوى الإغراء بالوسوسة .

قال الله تعالى : (٧٢ : ٢٦ — عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحداً . إلاّ من ارتضى من رسول) . وقال الله تعالى : (٣ : ١٧٩ — وما كان الله ليطلعكم على الغيب ، ولكن الله يجتبي من رسله من يشاء ، فآمنوا بالله ورسله) .

وقال الله تعالى : (٦ : ٥٩ — وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلاّ هو) .

ومفاتح الغيب خمسة مذكورة فى قول الله تعالى : (٣١ : ٣٤ — إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم مافى الأرحام ، وما تدرى نفس ماذا تكسب غداً وما تدرى نفس بأى أرض تموت ، إن الله عليم خبير) .

وقال الله تعالى (٣٤ : ١٤ — فلما قضينا عليه الموت مادلهم على موته إلا دابة الأرض تأكل مِنْسَأَتَه فلما خرَّ تبينت الجنُّ أن لو كانوا يعلمون الغيب مالبثوا فى العذاب المهين) .

وقال الله تعالى (٢٧ : ٦٥ — قل لا يعلم من فى السموات والأرضِ الغيبَ إلاّ الله ومايشعرون أيَّانَ يُبْعثون) .

وأما الزعم بإخراج الجن من الإنسان وطلب الأجرة على ذلك فهو زعم باطل كل البطلان ، روَّجه فى الناس طائفة من الدجالين المحتالين على الناس ليعبثوا بعقولهم و يسلبوهم أموالهم بالخداع ، ليأكلوه بالباطل .

قال الله تعالى : (١٥ : ٤٢ — إن عبادى ليس لك عليهم سلطان إلاّ من اتَّبعك

من الغاوين) . ولا يكون لأحد بعد نبي الله سليمان بن داود تسخير للجن ، قال الله تعالى (٣٦ : ٣٥ — قال رب اغفر لى وهبْ لى مُلْكًا لا ينبغى لأحد من بعدى إنك أنت الوهاب) .

فاقرأ أيها المسلم الآيات البينات من القرآن الكريم وتدبرها واعمل بمقتضاها ولا تسمع لأولئك الأفاكين الدجالين الذين يزعمون لك أنهم يسخرون الجن أو يستخدمون الشياطين فهذا من البهتان المبين الذى ينبغى للعقلاء أن لا يصدقوه ، بل ذلك استخدام الشيطان عليهم لأغراضه الخبيثة .

السؤال السادس : هل يجوز لأحد ترك الجمعة لغير عذر لوجود من يتركها من أدعياء العلم ؟ .

الإجابة : صلاة الجمعة حق واجب وفرض عينى على كل مسلم بالغ عاقل فى جماعة إلا من كان معذوراً عذراً شرعياً .

قال الله تعالى (٦٢ : ٩ ـ يا أيها الذين آمنوا إذا نودى للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله وذروا البيع ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون) .

عن طارق بن شهاب رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « الجمعة حق واجب على كل مسلم فى جماعة إلا أربعة: مملوك وامرأة وصبى ومريض» رواه أبو داود . وعن أبى هريرة رضى الله عنه وعبد الله بن عمر رضى الله عنهما أنهما سمعا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « لينتهين أقوام عن وَدَعهم الجمعات أو ليختمن الله على قلوبهم ثم ليكونن من الغافلين » رواه مسلم .

وقد واظب عليها النبى صلى الله عليه وسلم من الوقت الذى شرعها الله فيه إلى أن قبضه الله تعالى .

وقد حكى ابن المنذر الإجماع على أنها فرض عينى اهـ .

وقال العلامة القاضى ابن العربى : الجمعة فرض بإجماع الأمة اهـ .

وقال العلامة ابن قدامة : أجمع المسلمون على وجوب الجمعة اهـ .

انتهت الإجابة عن الفتاوى ، والله ولى التوفيق و بيده الهداية و إليه المرجع والمآب .

اعتذار للسادة السائلين

وصلت إلىّ هذه الأسئلة منذ زمن ولكن نسيتها وذلك لكثرة أشغالى العمومية والشخصية فلمت نفسى فى ذلك ثم تركت سائر الأعمال وأسرعت بالإجابة عنها فمعذرة .

الشيخ نور الدين على الصومالى الأزهرى
رئيس المحكمة الشرعية الاستئنافية بمقدشو بالصومال

صلاة الجماعة

عن ابن مسعود رضى الله عنه قال :

إن الله تبارك وتعالى سنّ لكل نبى سنة ، وسن لنبيكم ، فمن سنة نبيكم : هذه الصلوات الخمس فى جماعة وقد علمت أن لكل رجل منكم مسجداً فى بيته ، ولو صليتم فى بيوتكم لتركتم سنة نبيكم ، ولو تركتم سنة نبيكم لضللتم . رواه مسلم .

« إجعلوا أمر دينكم إلى فقهائكم ، وأئمتكم قراؤكم » .

حديث شريف

غزوات الرسول
صلى الله عليه وسلم

دعوة الملوك إلى الإسلام

الهدنة بعد الحديبية : بعد ثلاثة أسابيع من إتمام صلح الحديبية بين المسلمين و بين قريش عاد النبي صلوات الله عليه إلى المدينة . على أن يدخل مكة فى العام المقبل إذ منعته قريش من دخول مكة فى عامه الذى ذهب فيه إليها .

والحق أن عهد الحديبية كان بمثابة هدنة وقعت بين الجانبين ووضعت قريشاً فى مأمن من غزوات المسلمين . كما جعلت المسلمين فى حمى من حملات قريش العدوانية ومؤامراتهم .

وكانت الدعوة المحمدية قد قطعت آنذاك شوطاً بعيداً فى نشر مبادئها ، و بث عقيدتها عن طريق الحجة والاقناع فى كثير من البلاد . وكذلك تمكنت من بسط سلطانها وسيادتها على أعدائها الذين كثيراً ما تآمروا عليها . الأمر الذى جعل هذه الدعوة الطيبة تبلغ من القوة والهيبة والعزة مبلغاً كبيراً .

وعند ما أمن الرسول جانب قريش إلى حين ، دفعه ذلك إلى نشر هذه الدعوة فى آفاق بعيدة تتجاوز شبه الجزيرة العربية . وخاصة بعد عهد الحديبية .

شأن دولتى الروم والفرس : وفى تلك الفترة من الهدنة فكر الرسول صلوات الله عليه أن يدعو ملوك الدول إلى تصديقَ دعوته ، والإيمان برسالته .

وكان أعظم ملوك هذه الدول شأنا هما هرقل وكسرى ملكا الروم والفرس ، إذ كانت دولة الروم تبسط نفوذها على مصر والشام : وكانت دولة فارس تسيطر على اليمن والعراق . أما الحجاز وسائر شبه الجزيرة فكانت محصورة فى دائرة نفوذ الإمبراطوريتين .

ومن المعلوم أن حروبا طاحنة قامت بين هاتين الدولتين العظيمتين صاحبتى الكلمة فى

ذلك العصر ، وكانت الغلبة فى أول الأمر للفرس ، فهزمت الروم واستولت على مصر وفلسطين ، ووضعت يدها على بيت المقدس ، ثم عادت الروم[1] فانتصرت على الفرس ، واستردت مصر وفلسطين وسورية . وللقارىء أن يعلم ما كان لهاتين الدولتين من مكانة تبعث الرهبة والهيبة فى نفوس بقية الدول الأخرى . بحيث لم يكن يخطر ببال أحد من حكام الدول أن يفكر فى مناصبتهما العداء . . وإلا فعلى من كان يفكر فى مواجهة أى منهما أن يكون متحققاً من قوته ، واثقاً من نفسه .

لكن لم يكن عجباً أن يجرؤ النبى صلى الله عليه وسلم على مراسلة هاتين الدولتين ودعوتهما إلى الإسلام دون أن يخشى ما سيترتب على عمله هذا من نتائج قد تكون لها أثر فى جعل بلاد العرب خاضعة لنفوذ فارس والروم .

ولم يكن ذلك عجبا لأن الرسول صلوات الله عليه مؤيد من الله تعالى . وعلى يقين من نصره لأنه مبعوث إلى الناس كافة يدعوهم إلى حياة ينعمون فيها بأفضل ما عرفته الشعوب من العدالة الاجتماعية والنظم السياسية .

ابلاغ فكرته إلى المسلمين . وذات غداة خرج النبى عليه الصلاة والسلام على أصحابه وقال لهم « أيها الناس . إن الله قد بعثنى رحمة للناس كافة فلا تختلفوا على كما اختلف الحواريون على عيسى بن مريم » قال أصحابه رضوان الله عليهم : وكيف اختلف الحواريون يارسول الله قال « دعاهم إلى الذى دعوتكم إليه . فأما من بعثه مبعثاً قريبا فرضى وسلم .

---

(١) كان المسلمون يودون أن ينتصر الروم على الفرس لأن الروم أهل كتاب . بينما كان المشركون يودون أن تغلب الفرس الروم لأن أهل فارس كانوا يدينون بالمجوسية .

وعند ما انتصر الفرس على الروم وحزن المسلمون طمأن الله تعالى المسلمين بقوله تعالى (الم . غلبت الروم فى أدنى الأرض ، وهم من بعد غلبهم سيغلبون . فى بضع سنين . لله الأمر من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح المؤمنون . بنصر الله ، ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم) الآيات من ١ ــ ٥ : الروم .

وأما من بعثه مبعثاً بعيداً فكره وجهه وتثاقل » ثم ذكر لأصحابه أنه مرسل إلى هرقل وكسرى والمقوقس . والحارث الغسانى ملك الحيرة ، والحارث الحميرى ملك اليمن . وإلى نجاشى الحبشة يدعوهم إلى الإسلام . فلقيت هذه الفكرة قبولا من أصحابه .

كتب الدعوة إلى الإسلام : وشرع الرسول صلى الله عليه وسلم فى إرسال كتب دعوة للملوك إلى الإسلام . فصنع له خاتماً من فضة نقش عليه (محمد رسول الله) وكتب رسائله إلى هؤلاء الملوك : ومن مثال كتبه ، الكتاب الذى بعثه إلى هرقل عظيم الروم الذى قال فيه « بسم الله الرحمن الرحيم . من محمد بن عبد الله إلى هرقل عظيم الروم . سلام على من اتبع الهدى . أما بعد : فإنى أدعوك بدعاية الإسلام . أسلم تسلم . يؤتك الله أجرك مرتين . فإن توليت فإنما عليك إثم الأريسيين[١] و(ياأهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أربابا من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون)[٢] » .

ودفع بكتاب هرقل إلى دحية بن خليفة الكلبى ، وبكتاب كسرى إلى عبد الله ابن حذافة السهمى . وبكتاب النجاشى إلى عمرو بن أمية الضمرى . وبكتاب المقوقس إلى حاطب بن أبى بلتعة . وبكتاب ملكى عمان إلى عمرو بن العاص السهمى . وبكتاب ملكى اليمامة إلى سليط بن عمرو . وبكتاب ملك البحرين إلى العلاء بن الحضرمى . وبكتاب الحارث الغسانى ملك تخوم الشام إلى شجاع بن وهب الأسدى . وبكتاب الحارث الحميرى ملك اليمن إلى المهاجر ابن أمية المخزومى . فانطلق هؤلاء الرسل برسائلهم كل إلى حيث أرسل . على أن إرسال محمد صلى الله عليه وسلم هذه الكتب للملوك لم يكن وحده عجباً بل قل إن الذى يثير العجب والدهشة أيضاً أن هاتين الدولتين اللتان كانتا صاحبة البطش والسلطان فى ذلك العصر غدتا موطئا لأقدام الفاتحين من المسلمين الذين عملوا على توسيع

---

(١) أى الخدم والحشم . ويراد بالكلمة : أن هرقل مسئول عن إثم رعيته إن هو صدها عن تقبل دعوة الإسلام .

(٢) الآية ٦٤ : آل عمران .

الرقعة الإسلامية من بعد موت الرسول . فرفرفت أعلام الدعوة الإسلامية خفاقة بالسلام والهدى والخير ودان أكثر من فى الدولتين بالإسلام وقد كانت من قبل تدين بالمجوسية والنصرانية .

ردود الملوك على رسائل النبي : وعند ما تسلم هرقل ملك الروم كتاب النبى صلى الله عليه وسلم وقرىء عليه لم يغضب بل رحب به وانشرح صدره . ثم جمع عظماء الروم فى قصره وأطلعهم عليه وقال : أتانى كتاب هذا الرجل يدعونا إلى دينه . و إنه والله النبى الذى نجده فى كتابنا فهلم نتبعه . ونصدقه . فتسلم لنا دنيانا وآخرتنا ولكنهم غضبوا ونفروا نفرة رجل واحد . فناداهم هرقل إلى مجلسه وقال لهم : إنما قلت ماقلت لأنظر صلابتكم فى دينكم . وقد رأيت منكم ماسرنى ، فسجدوا له . ثم رد على النبى رداً لا بأس به . وهكذا آثر هرقل الملك والدنيا على الإسلام .

أما النجاشى فقد آمن بكتاب النبي واتبعه . وتقول الروايات أنه أسلم . كما رد إلى النبي جميع المسلمين الذين كانوا بالحبشة ومعهم جعفر بن أبى طالب[1] وأم حبيبة التى تزوجها النبي بعد عودتها إلى المدينة .

أما المقوقس عظيم القبط فى مصر فقد أحسن استقبال مبعوث النبي . ثم أرسل إليه يخبره أنه يعتقد أن نبياً سيظهر ولكنه سيظهر فى الشام كما بعث بهديتين عظيمتين من من بينهما جاريتان : مارية القبطية التى تزوجها رسول الله وولدت له إبراهيم . وسيرين التى أهداها إلى حسان بن ثابت . (للغزوات بقية)

سعد صادق محمد

---

(١) كان جعفر بن أبى طالب قد هاجر مع امرأته أسماء بنت عميس إلى أرض الحبشة مع المسلمين يوم أن اضطهدتهم قريش : وظل بها إلى أن أرسل النبى كتابا إلى النجاشى ليرسل إليه المسلمين المقيمين لديه . ويروى أن جعفرا عندما التقى برسول الله صلى الله عليه وسلم يوم فتح خيبر قبله بين عينيه والتزمه وقال « ما أدرى بأيهما أسر : بفتح خيبر . أم بقدوم جعفر » . راجع تهذيب سيرة ابن هشام ص ٣٦٢ ج ٢ .

العدد ٥ جمادى الأولى
المجلد ٢٨ سنة ١٣٨٣

خير الهدى هدى محمد صلى الله عليه وسلم

الهدى النبوي

تصدرها جماعة أنصار السنة المحمدية

رئيس التحرير
عبد الرحمن الوكيل

مدير الإدارة
سليمان حسونه

مطبعة السنة المحمدية
١٧ شارع شريف باشا الكبير
ت ٩٠٦٠١٧

٣٠ مليما

الفهرس

صفحة			
٣	التفسير	للأستاذ الشيخ عبد الرحمن الوكيل
١٨	عقيدة القرآن والسنة	» »	محمد خليل هراس
٢١	الألم نعمة	»	الدكتور أمين رضا
٢٣	نظرات فى التصوف	»	الشيخ عبد الرحمن الوكيل
٢٩	تعليقات على الصحف	»	سعد صادق محمد
٣٤	حرية الفكر فى الإسلام	للأستاذ الشيخ عبد الحليم حسين ملاق
٣٨	أسئلة وأجوبة	» »	محمد خليل هراس
٤٣	مولد الدعوة (قصيدة)	» »	عمرو بحمد التندى
٤٥	خطبة منبرية	»	سليمان رشاد محمد

رجــــاء

نرجو من السادة أعضاء الجماعة بالمركز العام ، المتأخرين فى سداد اشتراكاتهم أن يتفضلوا بالمبادرة إلى سدادها ، حتى يسهموا فى نشر دعوة التوحيد ونُصرة السنة المحمدية .

والله يتولى جزاءهم خيراً .

وترسل الاشتراكات باسم الأخ محمد رشدى خليل أمين صندوق الجماعة ٨ شارع قوله بعابدين — القاهرة .

خير الهدى هدى محمد صلى الله عليه وسلم

الهدى النبوي

مجلة شهرية دينية

تصدرها جماعة أنصار السنة المحمدية

رئيس التحرير
عبد الرحمن الوكيل
أصحاب الامتياز : ورثة
الشيخ محمد حامد الفقى

مدير الإدارة
سليمان صونه
الاشتراك السنوى
٣٠ — قرشا في الجمهورية العربية المتحدة والسودان
٤٠ — في الخارج

المركز العام : ٨ شارع قوله — عابدين القاهرة — تليفون ٧٦٥٧٦

العدد ٥ | جمادى الأولى سنة ١٣٨٣ | المجلد ٢٨

نور من القرآن

بسم الله الرحمن الرحيم

قال — جل ذكره — : (مَا أَشْهَدْتُهُمْ خَلْقَ ٱلسَّمَوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ ، وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلْمُضِلِّينَ عَضُدًا . وَيَوْمَ يَقُولُ : نَادُوا شُرَكَآئِىَ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ ، فَدَعَوْهُمْ ، فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ ، وَجَعَلْنَا بَيْنَهُم مَّوْبِقًا . وَرَءَا ٱلْمُجْرِمُونَ ٱلنَّارَ ، فَظَنُّوٓا أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا ، وَلَمْ يَجِدُوا عَنْهَا مَصْرِفًا) — الكهف : ٥١ — ٥٣ .

معانى المفـــــردات

« أشهد » أصل الكلمة يدل على حضور وعلم وإعلام . وقال الراغب : الشهود والشهادة الحضور مع المشاهدة ، إما بالبصر أو البصيرة . وقد يقال للحضور مفرداً . . لكن الشهود بالحضور المجرد أولى .

« خلق » قال ابن فارس عن أصل الكلمة : إنه يدل على تقدير الشيء ، وقال : إن

لها أصلا آخر هو مَلَامَسة الشيء . وقال الراغب : الخلق التقدير المستقيم، واستعمل فى إبداع الشىء من غير أصل ولا احتذاء ، وفى إيجاد الشىء من غير أصل ولا احتذاء ، وفى إيجاد الشىء من الشىء . وليس الخلق الذى هو الإبداع إلّا لله تعالى ، وأما الذى يكون بالاستحالة فقد جعله الله لغيره . والخلق لا يستعمل فى كافة الناس إلا على وجهين : أحدهما فى معنى التقدير ، والثانى الكذب . وكل موضع استعمل الخلق فى وصف الكلام فالمراد به الكذب .

« عضداً » للكلمة أصل صحيح يدل على عضو من الأعضاء ، يُستعار فى موضع القوة والمُعين . ويقال : فلان عضدى : لمكان القوة التى فى العضد .

« شركائى » قال الراغب : الشركة والمشاركة : خلط المِلْكَيْن ، وقيل : هو أن يوجد شىء لاثنين فصاعدا عَيْنا كان ذلك الشىء أو معنى . . وشرك الإنسان فى الدين ضربان : أحدهما الشرك العظيم ، وهو إثبات شريك لله تعالى ، وذلك أعظم كفر . . والثانى : الشرك الصغير ، وهو مراعاة غير الله معه فى بعض الأمور ، وهو الرياء والنفاق . . وفى كلام الراغب هذا قصور ، فما فى القرآن إلا لعن الشرك دون تقسيم له إلى أكبر وأصغر. والمرائى كافر لئيم الكفر ، والمنافق كافر خبيث الكفر ، وهو فى الدرك الأسفل من النار .

وقال ابن فارس : إن للكلمة أصلين ، أحدهما : يدل على مقارنة وخلاف انفراد ، والآخر : يدل على امتداد واستقامة ، فالأول الشِّركة ، وهو أن يكون الشىء بين اثنين لا ينفرد به أحدهما . وأما الأصل الآخر فالشَّرَك .

« زعمتم » للكلمة أصلان ، أحدهما : القول من غير صحة ، والآخر : التكفل بالشىء . وقال الراغب : الزعم حكاية قول يكون مظنة للكذب ؛ ولهذا جاء فى القرآن فى كل موضع ذُم القائلون به ، نحو : زعم الذين كفروا ، بل زعمتم ، كنتم تزعمون . وقيل للضمان

بالقول والرئاسة زعامة ، فقيل للمتكفل والرئيس زعيم للاعتقاد فى قوليهما أنهما مظنة الـكذب .

« مَوْبقاً » قال الراغب : وبق إذا تثبط فهلك . أما ابن فارس فيقول : إن للكلمة أصلين ، الأول : يقال لكل شيء حال بين شيئين موبق ، والآخر : وَبَق بمعنى هلك ، والموبِق : الموعِد . وفى اللسان : وَبَق الرجل يَبِق وَبْقا ووبوقا ، ووبِق وَبْقا واستوبق هلك . . وفيه لغة أخرى : وَبِق يَوْبَق وَبَقا . قال الفراء فى قوله : (وجعلنا بينهم موبقا) . أى جعلنا تواصلهم فى الدنيا موبقا ، أى مَهْلِكا لهم فى الآخرة .

« ظنوا » قال ابن فارس : إن لها أصلا واحداً يدل على معنيين مختلفين ، يقين وشك . . والعرب تقول ذلك وتعرفه . أما الراغب ، فيقول : الظن : اسم لما يحصل عن أمارة ، ومتى قويت أدت إلى العلم ، ومتى ضعفت جداً لم يتجاوز حد التوهم . وفى اللسان نقلا عن المحكم : الظن : شك ويقين ، إلا أنه ليس بيقين عِيان ، وإنما هو يقين تدبر ؛ فأما يقين العِيان فلا يقال فيه إلا علم .

« مواقعوها » مخالطوها ، وواقعون فيها .

« مصرفا » مَعْدِلا ، ومكانا ينصرفون إليه .

المعـــــنى

قال علماء اللغة : إن الولاية هى أن يحصل شيئان فصاعدا حصولا ليس بينهما ما ليس منهما ، ويستعار ذلك للقرب من حيث المكان ، ومن حيث التشبيه ، ومن حيث الدين ، ومن حيث الصداقة ، والنصرة والاعتقاد . ومن أسماء الله الولى ، وهو الناصر أو المتولى لأمور العالم والخلائق ، القائم بها . وقالوا عن الولاية أيضاً : إنها تشعر بالقرب وبالتدبير والقدرة والفعل ، ولهذا قالوا عمن يلى أمر اليتيم ، ويقوم بكفايته ولياً ، وأطلقوا اسم المولى على الرب ، والمالك والسيد والابن والأخ والعم ، وابن العم ، وعصبة الإنسان

كلها ، والجار ، والمنعم ،والمنعم عليه،والمعتِق والمعتَق، والناصر،والتابع والحليف والعبد والمحب[1] .
وهكذا نجد مادة الـكلمة دالة على قرب ومحبة ولا يدخل فى مفهومها إلا كل من له بك صلة قوية لحمتها القرب وسداها المحبة . فالموالاة المتابعة الرَّضية التى يدفعك إليها حب ، أو شعور بالجميل . أو ثقة يطمئن إليها القلب والعقل فيمن تولى إليه ، ولا يوالى عدوَّه إلا إنسان به دَخَل . أو يستبد به خبل ، أو هو فاسد الفطرة . ولن يهفو القلب ، أو يرف بحبه إلا على من يعلم أنه يتجاوب معه ، أو يملك له خيراً كجلب منفعة . أو دفع مضرة مع كرم وسماحة لا ضيق بالطالب ، أو بخل بالمطلوب .

ولقد قلت فى العدد السالف عند قوله « أفتتخذونه وذريته أولياء من دونى » الهمزة للإنكار ، وللتعجب ، فالفطرة التى لم تجُر عن قصدها ، ولم تأذن للشر أن يدنسها تحب الخير وتكره الشر . تحب من يحبها . وتبغض من يبغضها . تحب من يحسن إليها ، وتمقت من يسيء إليها » .

وفى هذه الآية بيانٌ مشرق الفصاحة معجز البلاغة لسبب إنكار اتخاذ الشياطين وذريته أولياء من دون الله . وبيان لتفرد الله جل شأنه بالخالقية ، وهى أجل صفات الربوبية التى بها تجب له الألوهية ، وهذا فى قوله سبحانه .

« ما أشهدتهم خلق السموات والأرض » ما كان هؤلاء الذين تتخذونهم أولياء من دونى معى حين خلقت السموات والأرض ، فلا يعلم أحدهم متى خلقتها ، ولا كيف خلقتها ولا كيف دبرت أمرها ، وسخرت لـكم ما فيها .

وهذا الجزء من الآية يقرر هذه الحقائق .

أن الله — سبحانه — هو الأول .

أنه — جل شأنه — هو الخالق .

---

(١) أنظر لسان العرب . ومفردات الراغب .

أنه ليس له ولى من الذل ، ولا معين من العجز ، ولا ولد .

أن كل من عداه هم من خلقه وعبيده ، ومنهم هؤلاء الذين يتخذهم المشركون أولياء لهم من دون الله .

وأنه ليس له شريك فى ربوبيته القاهرة القادرة المكافئة التى تهيمن على كل مقاليد السموات والأرض .

وأن هؤلاء الشركاء لا يعلمون شيئاً — من أنفسهم — عن خلق السموات والأرض ، إذ ما شهدوا خلقها ، ولا عاينوه ببصيرة أو بصر ، فكيف يتخذ المخلوق مخلوقا مثله إلها له من دون الله ؟

وكيف نصدق أن هؤلاء يستطيعون تدبير الأمر من السماء إلى الأرض ، وهم على جهالة ببدء السموات والأرض وكيفية خلقهما وتدبير أمرهما ؟ .

إن الضُّلال من البشر يستعينون بهؤلاء الشركاء فى قضاء مالا يقدر عليه سوى الله سبحانه ، فجعلوهم بهذا شركاء لله فى قدرته وعلمه وملكه .

والله الذى يظنون أن له شريكا يقرون هم أنه ما كان معه من أحد يعينه يوم خلق السموات والأرض ، فكيف يطلبون من سواه شيئاً من السموات والأرض شيئاً لا يقدر عليه سواه ؟ أليس هذا معناه أنهم يبهتون الله بأنه فى حاجة إلى من يعينه ، أو يضم قدرته إلى قدرته ، أو يرشده إلى حالٍ لا يعلمها ، أو إلى مكان شىء يجهله ؟ ! .

لو أنه — سبحانه — كان فى حاجة إلى شىء من هذا ، لكانت حاجته أشد يوم خلق السموات والأرض ، يوم خلق هذا الكون العظيم بسمائه ونجومه وكواكبه ، بأرضه وجباله وبحاره وأنهاره . فما لهذه كالإنسان عقول ولا مشيئات ، ولا إرادات قد تتعاون بها مع من يريد لها أو بها أمراً ، ولكنها مع هذا أبت إلا أن تأتى الله طائعة وأبت إلا أن تظل على تسبيحها لخالقها ، لأنها تشهد عن بينة من نفسها وواقعها ووحى ربها أنها خلق الرب العظيم الذى لا رب سواه . تدبَّر هذه الآية : (ثم استوى إلى السماء ، وهِىَ دُخَانٌ

فقال لها، وللأرض ائتيا طَوْعاً ، أو كرها ، قالتا أتينا طائعين)ـ فصلت : ١١ . وخلقهما أعظم من خلق الناس (أأنتمْ أشدُّ خَلْقاً أم السماء ؟ بَنَاها . رَفَع سَمْكَها ، فَسَوَّاها . وأغْطَشَ لَيْلَها وأخرجَ ضُحاها . والأرضَ بعد ذلك دَحَاها . أخرجَ منها ماءها ومرعاها. والجبالَ أرْسَاها . متاعاً لكم ولأنعامكُمْ [1]) ـ النازعات : ١٧ ـ ٣٣ وتدبرها صريحة (لَخَلْقُ السموات والأرضِ أكْبَرُ من خلق الناس ، ولكنَّ أكثر الناس لا يَعْلَمُون. غافر : ٥٧) .

أما خلقنا وَبَعْثُنَا . فقد قال الله عنه : (ما خَلْقُكُمْ ، ولا بَعْثُكُمْ إلاَّ كَنَفْسٍ واحدةٍ ، إن الله سميع بصير) ـ لقمان : ٢٨ .

فإذا كان الخالق لم يحتج إلى من يعينه فى هذا الخلق الأعظم ، فكيف يحتاج إلى شىء من هذا فيما هو أقل شأنا وأهْوَن ـ ولله المثل الأعلى ؟ .

ومن أفواه المشركين نسمع الشهادة لله بأنه لم يكن معه أحد يوم خلق السموات والأرض ، وبهذا الحق الذى يقرون به يقيم الله حجته البالغة العالية عليهم . إذ كانوا يقرون بأنه ليس له شريك فى خالقيته ، فكيف يجحدون بألوهيته ، ويشركون بها . وهى من توابع الخالقية ؟ .

ولهذا تحداهم الله سبحانه تحديه القاهر المعجز بقوله : (قُلِ ادْعُوا الذين زَعَمْتُمْ من دُونِ الله لا يَمْلِكونَ مِثْقالَ ذَرَّةٍ فى السَّمواتِ ، ولا فى الأرضِ ، وما لهم فيهما من شِرْكٍ ، وما له مِنهم من ظهير ـ سبأ : ٢٢) حقيقة يسجد مذعنا لها الجماد والحيوان ، ويجادل فى شأنها الإنسان !؟ .

---

(١) سمكها مقدار ارتفاعها من الأرض أو ثخنها الذاهب فى العلو رفيعا ، أغطش جعله ـ مظلما . وأخرج ضحاها ـ أبرز ضوء شمسها . دحاها ـ وسعها وجعلها صالحة للسكنى .

« ولا خَلْقَ أنفسهم » كذلك ينفى الله عن هؤلاء الشركاء أنهم شهدوا خلق الأنفس وأن بعضهم شهدوا كيف خُلِق الآخر . فكيف ألوذ بمن لا يعرف عن خلق نفسه ولا نفسى شيئا ؟ .

إن الخالق وحده هو العليم بصوالح خلقه . وفى متعارف البشر وواقعهم المشهود ما يؤكد أن المرء لا يلجأ إلى إصلاح مافسد عنده من آلة إلا إلى خبير بهذه الآلة نفسها وأنه لا يطلب إلا ممّن يملك ، ولا يتجه بالسؤال إلا إلى من يعلم ، ولا يستفتى فى شأن من الشئون إلا من يثق أنه على بينة من أمر هذا الشأن . وإذا ماتوجه المرء بشىء من هذا إلى غير مختص . حكم عليه بالجهالة أو الضلالة . فكيف بالمرء يسأل المخلوق أمراً هو من شأن الخالق وحده ؟! .

(وما كنتُ متخذ المضلين عَضُدا) . أمر آخر يكشف عن نكد ضلالة المشركين وعمايتهم ، فقد اتخذوا المضلين ـ وهم الشيطان وذريته وأولياؤه ـ أولياء من دون الله ، وجعلوهم شركاء لله فى خلقه . والله غنى . والله رب الهدى ، ويحب الهدى ويكره الضلالة يحب الصلاح ، ويكره الفساد ، يرضى عن المهتدى ، ويغضب على الضال المضلّ ، وإذا كانت هذه من صفاته ، فكيف يتخذ الله من هؤلاء الضالين المضلين[1] عضدا أى عونا له فيما هو مختص به وحده ، وهو خالق السماء والأرض والناس ؟! .

كيف نظن فيه أنه يجعل ضلالة الضال المضل مُقوّماً لربوبيته وعَوْناً يبدأ بمعونة خَلْقَه ؟ لو كان لفسدت السموات والأرض .

ولهذا تحدى الله بصفة هى له ولا يملكها أحد سواه إلا بإذنه ووحيه وتوفيقه . وهى مذكورة فى هذه الآية : (قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَهْدِى إِلَى الْحَقِّ ؟ قُلِ : اللهُ

---

(١) ذكروا أولا بالضمير فى قوله سبحانه « ما أشهدتهم » ثم عدل عن الضمير إلى ذكرهم بصفة من صفاتهم . لبيان أنها موضع الذم من هؤلاء وأنهم ضالون

يَهْدِي لِلْحَقِّ ، أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى ٱلْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ ، أَمَّنْ لَا يَهِدِّي إِلَّا أَنْ يُهْدَى . فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ؟ ـ يونس . ٣٥) .

الخالقية : والخالقية أجل وأعظم صفات الربوبية ، وهى تستلزم وتتضمن وجود الصفات الأخرى ؛ فالخالق حى رازق قدير سميع عليم بصير حكيم عزيز أول آخر كريم رحمن رحيم . وهكذا ولهذا تحدى الله بها المشركين فى كثير من الآيات ، وما تحدى بصفة غيرها كما تحدى بها[1] .

تدبر هذه الآيات : (قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَبْدَأُ ٱلْخَلْقَ ، ثُمَّ يُعِيدُهُ ؟ قُلِ : ٱللَّهُ يَبْدَأُ ٱلْخَلْقَ ، ثُمَّ يُعِيدُهُ ، فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ ؟ ـ يونس : ٣٤) ، (هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ ، فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِنْ دُونِهِ ؟ بَلِ ٱلظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ) ـ لقمان : ١١ ثم تدبر ما فى هذه الآية من استهزاء يكشف لنا عن عَمَه الجهالة ، وغباء العماية فى أولئك الذين أشركوا بالله ما لم ينزل به سلطاناً : (قُلْ مَنْ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَاتِ وَٱلْأَرْضِ ، قُلِ : ٱللَّهُ قُلْ : أَفَٱتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا ؟ قُلْ : هَلْ يَسْتَوِي ٱلْأَعْمَى وَٱلْبَصِيرُ ، أَمْ هَلْ تَسْتَوِي ٱلظُّلُمَاتُ وَٱلنُّورُ ، أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ ، فَتَشَابَهَ ٱلْخَلْقُ عَلَيْهِمْ ؟ قُلِ : ٱللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ ، وَهُوَ ٱلْوَاحِدُ ٱلْقَهَّارُ) ـ الرعد : ١٦ .

ثم تهدى الآيات إلى أنه لا يجوز أن يدعو الإنسان إلا الخالق ، ولا خالق إلا الله .

---

(١) حتى الصفات الأخرى التى يتحدى بها تدل دلالة وثيقة على أنها ترتبط بصفة قبلها هى الخالقية ، فإذا ما تحدى الله بأنه يرزق ، ويملك السمع والبصر ، ويخرج الميت من الحى ويخرج الحى من الميت ، ويدبر الأمر ، ويهدى إلى الحق . فهذه الصفات كلها ترتبط بالخالقية ارتباط النور بمصدره ، ولله المثل الأعلى .

تدبر قوله جل شأنه : (قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ ، أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ ، أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمٰوَاتِ ، ائْتُونِي بِكِتَابٍ مِنْ قَبْلِ هٰذَا أَوْ أَثَارَةٍ مِنْ عِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) ـ الأحقاف : ٤ .

إن الآية تقول : « تدعون » لتهدى إلى أن من دعا غير الله فقد عبد غير الله . ولتهدى إلى أنه لا يجوز أن يُدْعى غير الخالق ، وإلى أن من دعا غير الله فقد نسب إلى من دعاه أنه خالق مع الله . فليتدبر الذين يدعون غير الله ، وليتدبر الذين يزعمون أن للأقطاب والأبدال شركا فى السموات والأرض والأقدار الإلهية ! !

ثم جاءت الحقيقة جُزْءا من آية تضىء وتشرق بها القلوب والدنيا ، هدى ويقيناً وسكينة فى قوله جل شأنه : (أَلَا لَهُ[1] الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ ، تَبَارَكَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ[2]) الأعراف : ٥٤ .

موقف الفلسفة والتصوف من هذه الصفة : أما الفلسفة ، فتنفى عن الله سبحانه أنه الخالق ، ومع هذا النفى الحاقد الجاحد نسبت إليه أسماء وصفات أُخَر لا تثير فى النفس إلا ما يثيره تصور الصنم أو العدم أو التيه ، أو الأحجية المحيرة ، فقالوا : هو العلة ، هو الصورة المجردة ، هو مثال المثل . أما التصوف ، فنفى عن الله أيضاً أنه الخالق . إذ لو قلنا بوجود مخلوق لاعترفنا بوجود اثنين ، فمن تصفه بأنه المخلوق هو فى حقيقته الخالق . غاية الأمر أنه كان باطناً ، أو حقيقة مجردة ، أو عماء ، ثم صار ظاهراً ، أو متعيناً فى صوره وأشكاله .

---

(١) تقديم الجار والمجرور فى « له » يؤكد أن لله وحده هذه الصفة .

(٢) فى إضافة كلمة « رب » إلى « العالمين » رحمة وإحسان وعدل لا يتصف أبدا بمثلها إلا الخالق سبحانه . إنه ليس رب المؤمن وحده ولا رب الإنسان وحده ، ولا رب السماء وحدها ، وإنما هو رب كل شىء يربيه حالا بعد حال برحمته ورزقه ، حتى يبلغ كماله ومآله ، ولا يحرم مربوبا من عطائه ، فما كان عطاء الله محظورا على أحد .

الفلسفة تفرق بين العلة والمعلول ، أو بين السبب والمسبب أو بين المفيض والمفاض عليه . أما التصوف فلم يفرق بينهما ، فجعل العلة عين المعلول ، والسبب عين المسبب ، والمفيض عين المفاض ، و إذا شئت تعبيراً لا يظلم التصوف أبداً : فقل : لقد نفى التصوف وجود الخالق !! وأثبت وجود المخلوق !!

وقارن بين شرك الجاهلية و إلحادية الصوفية !! .

(ويوم يقول : نادوا شركائى الذين زعمتم) . يذكر الله بيوم الفصل . يوم الحساب يوم القيامة ، يوم يقول الله فيه للمشركين : نادوا شركائى [1] .

إن كل امرىء تشتد حاجته فى هذا اليوم إلى ولى أو نصير أو شفيع . بل إنها هى الحاجة . والولى الصادق من ينفع وليه فى الضوائق والملمات والنكبات . وما فى الدنيا والآخرة أشد على النفس ، وأرهب أخذاً لمشاعرها بالخوف والرعب من هول ذلك اليوم . وكان المشركون يظنون أن هؤلاء ينفعونهم أكثر ماينفعون فى الآخرة . فإذا لم يبد لهم نفع فى هذا اليوم ، فمتى ؟ .

و إذا لم يبذلوا نفعا فى هذا اليوم وهذا المكان فأين ومتى ؟

فتدبر التحدى ، وتدبر السخرية والاستهزاء الذى تفهمه من أمر الله لهم بأن ينادوا شركاءهم !! .

فليتدبر من يربطون مصائرهم بأمثال البدوى والدسوقى !! .

ليتدبروا ماسيكون مما تشير إليه هذه الآية ، وليتدبروا قوله تعالى : « زعمتم » فهو دفع لما يفترونه بأنه زيف و بهتان .

---

(١) أضاف الشركاء إلى نفسه تقريعا وتوبيخا ، فضحا لضلالتهم يوم يقوم الأشهاد .

« فَدَعَوْهُم فلم يستجيبوا[1] لهم » . وتدبر الدعاء وعدم الاستجابة وحال الداعين والمدعوين ، والندم القاتل والحسرة العاصفة التى تدوّى فى روح المشرك وقلبه حين يرى هذا التخذل من وليه ، وهذا العجز والرعب والخوف ممن كان يعتقد فيه أنه ضامن له الجنة يوم القيامة · وأنه ملك الرحمة ، ونجم الهداية حينذاك !!

ولنذكر من هَدْى الله بهذه الآيات ، فلعل مشركا يرجع عن شركه ، وكافراً يصرف نفسه عن كفره ، وفاسقاً يعود إلى إيمانه .

إلى من يظن فى بعض الناس أنهم شفعاء له يوم القيامة : (ولقد جئتمونا فُرَادَى كما خلقناكم أوّلَ مَرّةٍ ، وتركتم ما خَوّلناكم وَرَاء ظهوركم ، وما نَرَى معكم شفعاءكم الذين زَعَمتُمْ أنهم فيكم شُرَكاء ، لقد تَقَطّع بَيْنَكم ، وضَلّ عنكم ما كنتم تَزْعُمُون) الأنعام : ٩٤ وتدبر « تقطع بينكم » ففيها عبرة بالغة ، وقصة مأساة رهيبة دامية .

إلى من يدعو غير الله : (وَمَنْ أضَلُّ مِمّن يدعو من دونِ اللهِ مَنْ لا يَستجيب له إلى يَوْمِ القيامة ، وهم عن دعائهم غافلون . وإذا حُشِرَ الناسُ كانوا لهم أعداء وكانوا بعبادتهم كافرين) الأحقاف : ٥ ، ٦ . ليتدبر الذين يدعون البدوى والدسوقى بل ليتدبر الذين يدعون النبى صلى الله عليه وسلم على جلاله وعظم شأنه ، فقد جاءت الآية بكلمة « مَنْ » وهى إسم موصول يفيد بصلته العموم والشمول وليتدبر المدى الذى نُفى فيه عنهم استجابة الدعاء وغفلتهم عنه ، وهو يبلغ إلى يوم القيامة ، ثم نفيه عنهم يوم القيامة مع إثبات عداوتهم لمن كانوا يدعونهم . ما صرحت الآية الأولى إلا بكلمة « يدعو » وما صرحت الأخرى إلا بكلمة « عبادتهم » . ليهديك الله إلى أن الدعاء هو العبادة فما أثبت الله فى الآية الأولى ، إلا أنهم كانوا يدعون ، وما قالت الأخرى إلا أنهم كفروا

---

(١) استعمال : لم يستجيبوا بدلا من يجيبوا لا ينفى عن هؤلاء الشركاء الإجابة فحسب ، بل ينفى أيضاً حتى التهيؤ لها أو الاستعداد .

بهذه العبادة . فهل تجد دليلا أصرح وآكد من هذا الدليل الذى يدل على التسوية بين مفهوم الدعاء ومفهوم العبادة ؟

وهل بعد هذا يخدعك خادع بزعمه أن المشرك ما كان مشركا إلا لأنه كان يعبد . أما من يدعو فلا يسمى مشركا . وها أنت ترى أن القرآن يدمغ الداعين بأنهم مشركون ؟ !

ولهذا يقول الله عن هؤلاء وأمثالهم : (واتَّخَذُوا من دون الله آلهة ؛ ليكونوا لهم عِزًّا . كلا سَيَكفُرُونَ بعبادتهم ، ويكونون عليهم ضِدًّا) مريم : ٨١ ، ٨٢ . لا يقولن قائل : ما اتخذته إلهًا ، وإنما اتخذته وليا ، فالقرآن يسوى بين الاتخاذين تدبر ما سبق ، وتدبر قول ربنا سبحانه : (مَثَلُ الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتاً ، وإن أوْهَنَ البيوت لبَيْتُ العنكبوت لو كانوا يعلمون . إن الله يعلم ما يدعون من دونه من شيء وهو العزيز الحكيم — العنكبوت : ٤١ ، ٤٢) والآية الأخيرة تثبت حقيقة يجحد بها المشركون إذ يغفلون عنها ، تلك هى أن الذين يدعون الأولياء لا يدعون شيئاً . فقد ضاع دعاؤهم هباء وما تجاوب معه غير أصدائه فى حسرة وضياع !!

والحكم على الداعين غير الله بالشرك حكم واضح جَلِىّ ، ولكنه التراث الملعون الذى ورثه المشركون عن أجدادهم ، والكتب المطبوعة المنسوبة إلى شيوخ ! ! والعمائم السود والخضر والحمر والبيض !! فقد جعل الناس كل هؤلاء صوارف لهم عن الله وعن كتابه .

وغباء هؤلاء فى شركهم واضح جداً ، فهم يقرون بأن هؤلاء الأولياء ، ليسوا شركاء لله فى ربوبيته ، لا يشركونه فى أنه الخالق ، أو الرازق ، أو غيرها ، فما لهم يجعلونهم شركاء لله فى ألوهيته . والواضح أن من تجب له الربوبية وحده ، يجب أن تكون له الألوهية كذلك ، لأن هذه تشرق عن تلك وتابعة لها .

حقيقة : لو كان المشرك يعتقد فى قرارة نفسه أن الله يتفرد بالخالقية والرازقية وغيرها لتوجه إليه وحده . ولكنه — عن شعور يسيطر على أعماقه — يدعو ويدعو ، ويتفانى

فى الدعاء ، دعاء غير الله . ففى أعماقه دين مستور يقرر أن فى قلبه إيماناً بأن الله غير متفرد بشىء ، لهذا دمغ الله الداعى بأنه مشرك ، لأن الشركة تستلزم وجود شىء يكون بين اثنين لا ينفرد به أحدهما . والمشرك فى قرارة نفسه يدين بأن الوجود شركة بين الله وولى المشرك وإلا ما دعا وليه من دون الله أو مع الله .

ألوان من الشرك : وللشرك صور وفنون شتى أكثرها شيوعاً بين المنتسبين إلى الإسلام دعاء غير الله ، وهو أشد أنواع الشرك ، والتوسل إلى الله بغير ما شرع الله أن نتوسل به إليه ، وأن نقسم على الله بأحد من خلقه كقول المشرك : وَحَقِّ رسول الله ، بجاه النبى ، وحياة النبى .

والنذر لغير الله[1] كما يفعل المشركون بقول « السيدة » وعجل السيد وعجل الشيخ ، والقسم بغير الله لأن مقترفه يجعل ما لا يُحلف به محلوفا به كاسم الله الذى يكون به القسم ، والرياء ، لأنه أشرك فى عمله غير الله ، والطِّيَرة والتمائم « الأحجبة » ففيهما اعتقاد جلب النفع ودفع الضر فى غير الله . ومجىء العرّاف ، ومثله « فتح الكوتشينة ، والفنجال والطالع الذى ينشر فى الصحف » ففى هذا اعتقاد أن مع الله شريكاً يعرف غيب السموات والأرض .

تلبية المشركين : كان المشرك إذا حج لَبَّى ، وكان يقول فى تلبيته : « لَبَّيْكَ لا شريكَ لك ، إلا شريكاً هو لك تملكه وما ملك[2] » ويقول ابن الأثير : « يريدون

---

(١) النذر العظيم الجليل هو ما كان بدون شرط تشترطه على الله كنذر أم مريم « رب إنى نذرت لك ما فى بطنى محرراً فتقبل منى » فما اشترطت على ربها شيئاً . أما النذر بشرط ففيه يقول الرسول إنه لا يأتى بشىء ، وإنما يستخرج به من البخيل ، فليتدبر من ينذرون لله ويشترطون ! ! أما النذر لغير الله فهو طبعاً شرك صراح .

(٢) نقل ابن منظور صاحب معجم « لسان العرب » عن ابن الأثير شرحاً لقول المشركين عن الصنم « تملكه وما ملك » ثم عقب عليه بقوله : « اللهم إنا نسألك صحة التوحيد =

أن الصنم ، وما يختص به من الآلات التى تكون عنده وحوله ، والنذور التى كانوا يتقربون بها إليه «لك لله تعالى » هذا إذا اعتبرنا كلمة « ما » اسماً موصولا ، وإن اعتبرناها نافية كان المعنى إثبات الملك لله ، ونفى الملك عن الصنم . ومن يقارن بين ظن مشركى الجاهلية وبين ظن المشركين بعد هذا ولا سيما فى عصرنا الحاضر ، فسيجد الشرك المعاصر أشد لآمة وأنتن خبثاً وريحا ، وأخبث نية ومظهراً .

« وجعلنا بينهم مَوْبِقاً » هذا هو المصير التعس المحتوم ـ نجانا الله وإياكم منه ـ وهذه هى كل الصلة التى تكون بين المشرك والشريك ! ! وهذا كل ما يناله المشرك من نفع ! !

لقد كان بينهم فى الدنيا مودة ومحبة ، أو علاقة العابد بمعبوده . فماذا فى الآخرة ؟

ما بينهم إلا هذا المهلك الذى يظل مع الأبدية ، والذى لا بُدَّ لهم من اقتحامه إن طَوْعاً وإن كَرْهاً . تصور هوة سحيقة تضطرم فيها النار محصورة بين جُدُر سميكة مصمتة لا باب لها ولا نافذة وقد وقف على شفاها مشرك ، وعلى شفاها الآخر شريكه فما بينهما إلا هذه الهوة من النار ، ولا بُدَّ من أن يلتقيا ، فكيف يلتقيان ؟ فى قاع الهوة !!

وتدبر بعد هذا قول الله سبحانه : (هٰذا وإنَّ للطاغينَ لَشَرَّ مآب جهنم يَصْلَوْنَها ، فبئس المهادَ . هذا فليَذُوقوه حَميمٌ وغسَّاق . وآخَرُ من شَكْلِهِ أزواجٌ . هذا فَوْجٌ مُقتَحِمٌ معكم لا مَرْحَباً بهم ، إنهم صالوا النار) ص : ٥٥ ، ٥٩ .

والاقتحام توسط شدة مخيفة ، أو ركوب الشدة والدخول فيها . هذه النار هى الموبق هى المهلك ، هى كل ما بين المشرك وشريكه ، وسيقتحمها المشرك مع هذا الشريك الضال .

وتدبر أيضاً قول الله : (ونسوق المجرمين إلى جَهَنَّمَ وِرْداً) مريم : ٨٦ .

« ورأى المجرمون النار » هذه النار هى الموبق الذى بينهما ، والذى يراه هؤلاء

= والإخلاص فى الإيمان . أنظر إلى هؤلاء لم ينفعهم طوافهم ؛ ولا تلبيتهم ولا قولهم عن الصنم هو لك . ولا قولهم : تملكه وما ملك مع تسميتهم الصنم شريكا . بل حبط عملهم بهذه التسمية ؛ ولم يصح لهم التوحيد مع الاستثناء . ولا نفعهم معذرتهم بقولهم : إلا ليقربونا إلى الله زلفى » هذا قول رجل لغوى فهل يعتبر الذين يزعمون أنهم أئمة فى الدين ؟

المجرمون . وقد عدل عن التعبير عنهم بالضمير إلى هذا ليكشف الله عن صفة فيهم هى أنهم مجرمون .

« فظنوا أنهم مواقعوها » فأيقنوا أنهم ساقطون فيها مخالطون لها . وفى رؤية النار بهذه الصورة مع هذا الظن عذاب أيما عذاب ، ولن تكون رؤية عابرة ، بل هى رؤية تثير فى النفس علماً ينتج عن تدبر المشرك لحاله ومكانه ومكان النار منه ! فيصل إلى نتيجة أنه ساقط فى النار ، وفى الإتيان بواقع ومصدره المواقعة سخرية ، و بيان قوى عن العلاقة التى تكون بين المشرك و بين النار ، وعن قوة الالتحام بينهما .

« ولم يجدوا عنها مصرفا » تفيد أن المشرك ينظر هنا وهناك ، و يبحث هنا وهناك من شدة ما يكابد ، وتغلى به أمعاؤه لعله يجد مكانا يهرب إليه من النار ، ولكنه لا يجد بعد طول الكد عنها مصرفا . إنه عذاب نفس وعذاب جسد . نضرع إلى الله أن يقينا شره وأسبابه إنه سبحانه سميع قريب مجيب الدعاء .

عبد الرحمن الوكيل

بيان

من المركز العام لجماعة أنصار السنة المحمدية بالقاهرة

اتصل بنا بعض أهل العلم وسألوا عن نشرات تحوى تكذيباً لبعض الأحاديث النبوية الصحيحة ، ورداً لبعض الأحكام المعروفة فى الدين ؛ وذكروا أنها صادرة من المدعو سيد قنديل باسكندرية .

ونحن نعلن أن جماعة أنصار السنة المحمدية لا صلة بينها و بين تلك النشرات ؛ ولا علاقة لناشرها بالجماعة . كما أننا اتصلنا بفرع الجماعة بالاسكندرية ، وتبين لنا أن المدعو سيد قنديل انقطعت صلته بالفرع منذ زمن طويل .

لذلك نلفت نظر سائر فروع الجماعة وجميع الهيئات الإسلامية ليكون معلوماً لديهم أن أمثال تلك النشرات لا تصدر عن جماعة أنصار السنة المحمدية ، بل هى تستنكرها وتبرأ منها ومن ناشرها .

وقد سبق للجماعة أن نشرت مثل هذه البراءة من الشخص المذكور مع أمثلة مما تحويها تلك النشرات .

توحيد الله عز وجل

ومن أسماء الله الحسنى سبحانه (الشهيد) وهو اسم فاعل بمعنى شاهد ولكنه أبلغ منه ، وهو إما من الشهادة بمعنى الإخبار عن الشيء بما علمه منه إخباراً يتضمن معنى الإلزام والحكم . أو من الشهادة بمعنى الحضور مع الشيء بأن يحيط به علماً ورؤية لا يفوته منه شيء. والمعنيان ثابتان لله عز وجل ، وكلاهما وارد فى القرآن الكريم .

فمن الأول قوله تعالى من سورة آل عمران (شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولوا العلم قائما بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم) .

وقوله من سورة النساء (لكن الله يشهد بما أنزل إليك أنزله بعلمه والملائكة يشهدون وكفى بالله شهيدا) .

وقوله من سورة الأنعام (قل أى شيء أكبر شهادة قل الله شهيد بينى وبينكم) .

وقوله من سورة المنافقين (إذا جاءك المنافقون قالوا نشهد إنك لرسول الله والله يعلم أنك لرسوله ، والله يشهد إن المنافقين لكاذبون) .

ومن الثانى قوله تعالى من سورة آل عمران (قل ياأهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله والله شهيد على ماتعملون) أى مطلع عليه وحاضر عند عمله .

وقوله من سورة الأعراف (فلنسألن الذين أرسل إليهم ولنسألن المرسلين . فلنقص عليهم بعلم وما كنا غائبين) فإن نفى غيبته سبحانه مستلزم لشهوده وحضوره . وقوله من سورة يونس عليه السلام (وما تكون فى شأن وماتتلو منه من قرآن ولا تعملون من عمل إلا كنا عليكم شهودا إذ تفيضون فيه ، وما يعزب عن ربك من مثقال ذرة فى الأرض ولا فى السماء ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا فى كتاب مبين) .

وقوله من سورة فاطر (قل ماسألتكم من أجر فهو لكم إن أجرى إلا على الله وهو على كل شيء شهيد) .

وقوله من سورة المجادلة (يوم يبعثهم الله جميعا فينبئهم بما عملوا أحصاه الله ونسوه ، والله على كل شيء شهيد) .

وأكثر ما يأتى اسمه تعالى (الشهيد) بهذا المعنى الثانى وهو يرجع إلى عمله تعالى وخبرته وإحاطته بأحوال العبيد كلها حتى كأنه حاضر معه . ولهذا كان لهذا الاسم تأثير عظيم جدا فى استقامة أحوال المؤمن . فإنه إذا علم أن الله يراه وأنه معه حيث كان وأنه رقيب ومطلع عليه ، لاشك يتأدب مع الله عز وجل غاية الأدب ويستحق منه تعالى أن لا يراه حيث نهاه أو يفقده حيث أمره ، فلا يقصر فى طاعة ولا يقدم على معصية ، ويصل بذلك إلى مقام الإحسان ، وهو أن يعبد الله كأنه يراه ، فإن لم يكن يرى الله فإن الله عز وجل يراه .

وفى الحديث الصحيح « صريح الإيمان أن تعلم أن الله معك حيث كنت » . وفى حديث آخر « استحى من الله عز وجل استحياءك من رجلين من صالحى عشيرتك لا يفارقانك »

ومن أسمائه الحسنى كذلك (الحق) وهو اسم فاعل من حق الشيء يحق حقا إذا ثبت ووجب ، ويقابله الباطل الذى لاحقيقة له ولا ثبات . وقد ورد هذا الاسم كثيرا فى الكتاب الكريم والسنة المطهرة .

فمن الكتاب قوله تعالى من سورة الحج (ذلك بأن الله هو الحق وأنه يحي الموتى وأنه على كل شيء قدير) .

وقوله من سورة النور (يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق ويعلمون أن الله هو الحق المبين)

وقوله من سورة لقمان (ذلك بأن الله هو الحق وأن ما يدعون من دونه الباطل وأن الله هو العلى الكبير) .

وقوله من سورة يونس عليه السلام (فذلكم الله ربكم الحق ، فماذا بعد الحق إلا الضلال فأنى تصرفون) .

وأما من السنة فقد ورد فى الصحيح عن ابن عباس رضى الله عنهما أن النبى صلى الله عليه وسلم كان إذا قام من الليل يقول : « اللهم لك الحمد أنت نور السموات والأرض وما فيهن ولك الحمد أنت قيم السموات والأرض وما فيهن أنت الحق ووعدك حق ولقاؤك حق والجنة حق والنار حق والساعة حق ومحمد حق والنبيون حق الخ » .

والحق من الأسماء المشتركة بين الله عز وجل وبين غيره فأنه يطلق على كل ماله حقيقة وثبوت من الأشخاص والعقائد والأخبار وغيرها كما يقال للشيء الذى يجب عليك نحو غيرك أنه حق لحق الله على عباده أن يعبدوه وأن لا يشركوا به شيئاً ، وحق الوالدين على ولدهما أن يحسن إليهما وأن يبرهما الخ ، ولكن الحق المطلق الذى لا باطل معه بوجه من

الوجوه ليس إلا الله عز وجل وصفاته. فقوله الحق وله دعوة الحق وله الملك الحق يوم القيامة.

يقول الغزالى فى كتابه (المقصد الأسنى) عند شرحه لهذا الاسم.

(وعند هذا تعرف أن الحق المطلق هو الموجود الحقيق بذاته الذى يأخذ منه كل حق حقيقته وقد يقال أيضاً للمعقول الذى صادف به العقل الموجود حتى طابقه أنه حق فهو من حيث ذاته يسمى موجوداً ومن حيث إضافته إلى العقل الذى أدركه على ماهو عليه يسمى حقاً.

فإذاً أحق الموجودات بأن يكون حقاً هو الله تعالى، وأحق المعارف بأن يكون حقا هو معرفة الله تعالى، فإنه حق فى نفسه أى مطابق للمعلوم أزلا وأبداً ومطابقة لذاته لا لغيره لا كالعلم بوجود غيره فإنه لا يكون إلا مادام ذلك الغير موجودا فإذا عدم عاد ذلك الاعتقاد باطلا وذلك الاعتقاد أيضا لايكون حقاً لذات المعتقد لأنه ليس موجوداً لذاته، بل هو موجود لغيره.

وقد يطلق ذلك على الأقوال فيقال قول حق وقول باطل، وعلى ذلك فأحق الأقوال قول: لا إله إلا الله، لأنه صادق أزلا وأبداً لذاته لا لغيره.

فإذاً يطلق الحق على الوجود فى الأعيان وعلى الوجود فى الأذهان وهو المعرفة. وعلى الوجود الذى فى اللسان وهو المنطق.

فأحق الأشياء أن يكون حقا هو الذى يكون وجوده ثابتا لذاته أزلا وأبداً ومعرفته حقاً أزلا وأبداً، والشهادة له حقاً أزلا وأبداً. وكل ذلك لذات الموجود الحقيق لا لغيره) اهـ

نسأل الله الحق أن يهدينا لما اختلف فيه من الحق بإذنه وأن يثبتنا على دعوة الحق حتى نلقاه.

محمد خليل هراس
المدرس بكلية أصول الدين

الألم نعمـة

يقول بعض العصريين . لماذا خلق الله الألم ؟ ألا تقولون - أيها المتدينون المتمسكون برواسب العصور الغابرة - أن ربكم هو الذى خلق الكون وبث فيه الحياة ؟ ألا تقولون عنه إنه رحمن رحيم ، وإنه يشفق بعباده ويرفق بهم ؟ فأين هى الرحمة ، والألم يستبد بالناس ؟ ألا يدل هذا على أنه لا وجود لهذا الذى تصفونه بالرحمة ؟ وهكذا انحدر بهم سؤالهم هذا إلى إنكار وجود الله مقلدين فيه فيلسوفهم الفرنسى العتيق الذى قال هذه القولة من قبل . فاتبعه من اتبعه من غير ترو ولا وعى .

إن الله يعلمنا فائدة الألم بما نجده فى خلقه . ألم تر أطفالا يولدون وحاسة الألم عندهم منعدمة أو قليلة ؟ هؤلاء يمسكون الأشياء الساخنة من غير أن يشعروا بأنها تحرقهم ، فيصابون بالحروق البالغة . وهم يلعبون بلاحذر ، فتجرح أعضاؤهم وتنكسر وتلتهب وتتقيح وكل ذلك لا يحسون به . فتتمادى الأمراض فى أجسامهم وتصيبها فى النهاية بعاهات شديدة أو يموتون متأثرين بها . وكل ذلك يتم وهم لا يشعرون بأى شىء من الألم . ونحمد الله على أن مثل هذه الحالات نادرة جداً .

ويعلمنا الله شيئاً آخر عن فائدة الألم ، وهذا فى الأمراض التى تبدأ بأوجاع شديدة . فهى تدفع المريض دفعاً إلى أن يسعى بحثاً عن الدواء فإذا ما وجده واظب على تعاطيه مواظبة دقيقة ، فيشفى شفاء عاجلا مؤكداً بإذن الله .

أما الأمراض - ولا سيما الأورام - التى تبدأ بسكون وهدوء ، ولا تسبب ألماً إلا بعد زمن طويل ، فلا يسعى من يمرض بها نحو البحث عن الدواء إلا بعد أن يستفحل أمرها ويصعب شفاؤها .

إذاً فمنذا الذى يمكنه أن يقول : إن الألم لا فائدة منه ؟ يكفى أنه إنذار ينبه الناس إلى ما يؤذيهم فيدفعون الأذى عن أنفسهم .

وإنك لتجد من يزين له تفكيره أن يسأل سؤالا آخر ، بعد أن تتبين له فائدة الألم ؟ فيقول : ولكن لماذا يخلق الله إنذاراً مؤلماً ؟ .

لا تعجب إذا مارد السائل على نفسه قائلا : آسف لأننى أطلقت هذا السؤال دون ترو فإن الإنذار إن لم يكن مؤلماً لم يكن حافزاً إلى إزالة الأذى ومداركة الخطر .

إن الله وضع هذا الإنذار فينا وقد أسميناه ألماً . وأصبح هذا الاسم يبعث فى نفوسنا شعوراً بالبؤس والانزعاج ، بل بالضجر والاحتجاج . وهو فى الحقيقة نعمة من نعم الله رب العالمين ، وهبها لنا لتنذرنا منبهة إلى ما يؤذينا .

ولكننا لا نتعلم إلا عند ما نتألم فنتأمل . (وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها إن الله لغفور رحيم ١٦ : ١٨) (وإن ربك لذو فضـــل على الناس ، ولكن أكثرهم لا يشكرون ٢٧ : ٧٣) .

ربنا أوزعنا أن نشكر نعمتك ، وأن نرى الحق حقاً ، ولا تزغ قلوبنا . وثبت الإيمان فى أفئدتنا .

الدكتور أمين رضا
الأستاذ المساعد بكلية طب الاسكندرية

بيـــــان

نلفت نظر سائر فروع جماعة أنصار السنة المحمدية إلى ضرورة التحقق من شخصية الوعاظ المكلفين بالخطب أو المحاضرات من قبل المركز العام ، ومطالبتهم بما يثبت إيفادهم من قبل الجماعة ، حتى لا يتمكن بعض الدخلاء ممن يزعمون أنهم من أنصار السنة ، من إثارة الفتن ومحاولة الوصول إلى مآرب شخصية . وبهذه المناسبة فقد قال رئيس الجماعة :

سألنى البعض عن الشيخ إبراهيم السمان هل هو من جماعة أنصار السنة المحمدية ؟ .

وأجيب بأنه لا صلة له بجماعة أنصار السنة المحمدية بتاتا .

عبد الرحمن الوكيل
الرئيس العام لجماعة أنصار السنة المحمدية

٢٤ - نظرات فى التصوف

« تكلمت عن الحب عند الصوفية ، وعرضت بعض ما يدين به الغزالى فى أمر الحب الإلهى ، وهنا تتمة الحديث » .

التشابه بين المحب والمحبوب . عرض الغزالى أسباب المحبة ، ثم ذكر السبب الخامس وهو « المناسبة والمشاكلة ؛ لأن شبيه الشىء منجذب إليه » ثم قال : « وهذا السبب أيضاً يقتضى حب الله تعالى لمناسبة باطنة لا ترجع إلى المشابهة فى الصور . والأشكال ، بل إلى معان باطنة يجوز أن يذكر بعضها فى الكتب ، وبعضها لايجوز أن يسطر ، بل يترك تحت غطاء الغبرة حتى يعثر عليه السالكون للطريق » .

ثم ذكر أن ما يجوز ذكره فى الكتب هو قرب العبد من الله فى الصفات التى أمر فيها بالاقتداء ، والتخلق بأخلاق الربوبية : « أما مالا يجوز أن يسطر فى الكتب من المناسبة الخاصة التى اختص بها الآدمى فهى التى يومىء إليها قوله تعالى : « قل : الروح من أمر ربى » . وأوضح من ذلك قوله تعالى : « سويته ونفخت فيه من روحى . ولذلك أسجد له الملائكة ، ويشير إليه قوله تعالى : إنا جعلناك خليفة فى الأرض » ؛ إذ لم يستحق آدم خلافة الله إلا بتلك المناسبة » .

ثم قال الغزالى : وهذا موضع يجب قبض عنان القلم فيه(١) » .

إن ما جبن الغزالى عن التصريح به هو الزعم أن روح الإنسان هى جزء من روح الله فالإنسان شبيه الله فى باطنه لا فى ظاهره . شبيهه فى حقيقته لا فى صورته !! ألا ترى قوله « لا يجوز أن يسطر فى كتاب ! » وزعمه أن قوله تعالى : « ونفخت فيه من روحى (٢) »

---

(١) ص ٢٨٧ ج ٤ الإحياء (٢) ص ٤٦٣ ج ٤ الإحياء .

(٢) يزعم الغزالى أنه يستفاد من إضافة كلمة روح إلى الله سبحانه فى قوله : « ونفخت فيه من روحى » أمران . الأمر الأول : أن هذه الروح هى روح الله التى بها حياته وقيوميته . الأمر الآخر : أن روح الإنسان جزء من هذه الروح التى بها يحيا الله سبحانه !! وهذا هو عين دين الصليبية فى عيسى ، وعين دين الذين ندد الله بكفرهم فى قوله سبحانه : (وجعلوا له من عباده جزءاً إن الإنسان لكفور مبين) ومافهمه الغزالى فى الآية يقرر =

إيماء إلى هذا المعنى الذى لا يجوز أن يسطر فى كتاب (١) ؟! إن الغزالى يفهم جيداً معنى الآية ، ولكن غلبة الصوفية عليه جملته يلغى فهمه ، ويلغى فكره ويلغى إيمانه !!

وعجب أن ترى الغزالى بعد هذ ينقد نقداً هيناً ليناً - كأنه رقة عتاب - قول القائلين الحلول والاتحاد ، ولعله ينقد أو ينقم منهم أنهم باحوا بالسر وسطروا السر فى كتاب !! .

ثم يقول عن المعارف التى يورثها الحب أنه لا يجوز أن يشرك الناس فيها ، ولا يجوز أن يظهرها من انكشف له شىء من ذلك لمن لم ينكشف له ، بل لو اشترك الناس فيها لخربت الدنيا ؛ ولهذا يفرض الغزالى على محبي الله كتمان حبهم ، ويحرم عليهم أن يقولوا ، أو يفعلوا ما يكشف عن حبهم لله !!

فهل من الخير كتمان الحب الإلهى ، كما يوصى الغزالى ؟ .

وهل يورث الصدق فى حب الله إلا أجل المعارف وأزكاها وأسماها ، والتى يجب على المحب بثها ونشرها ، فمن كتم علماً ألجمه الله بلجام من نار كما جاء فى الحديث الصحيح ، فكيف يحرم الغزالى على المحبين تسطير معارفهم فى كتاب ؟ إنه يتحدث عن العشق الذى يتلظى بين ذكر وأنثى ، لا عن الحب الذى يكون بين الرب والعبد فذلك العشق المدنس هو وحده الذى يجب الملوثون به ألا يسطروا معارفهم فى كتاب !!.

والغزالى - فى دهاء غنوصيته ، ومكر صوفيته المنمقة - يحذر أحبابه الصوفيين من سلطان الحق ، ونقد النور للظلام . يحذرهم من أن يتكلموا فى كتبهم عن أسرارهم الملحدة

= أن الإنسان جزء من الله ، وبعد هذا المس الصليبى من [illegible] اقرأ قوله سبحانه : (وسخر لكم مافى السموت ، وما فى الأرض جميعاً) ترى هل [illegible] وأحزابه أن السموات والأرض كذلك جزء من خالقها ؟ إن فهمه فى الآية [illegible] عليه أن يدين بهذا أيضاً !! وما أشنعه من دين !! إن الروح التى نفخها الله فى آدم من [illegible] الله ، وبأمره ، وجل الخالق أن يحتاج إلى خلقه ، وإنما أضافها إلى نفسه إظهاراً لجلال [illegible] التى خلقت هذه الروح التى لا يستطيع العالمون جميعاً خلق نفحة منها ، وإظهاراً لشرف هذه الروح ، كما أضاف الناقة والبيت إلى نفسه ، وكما أضاف روح عيسى إليه .

(١) ص ٢٨٩ ج ٤ الإحياء .

عن نزغات الحلول ، ونزوات الاتحاد . وزندقات وحدة الوجود ، حتى لا يثور المسلمون على الغزالى وصوفيته ، ولهذا تراه يكرر هذا التعبير : « إفشاء سر الربوبية كفر » !!

فلماذا ؟ وهل للربوبية من سر يطلع عليه البشر ؟ سلوا الغزالى !!

الحب يبيح النطق بالكفر : تزعم الصوفية أن المحب الصوفى إله ، وهو شريك لله ، فى الأمر والنهى والتدبير ، يروى الغزالى عن محب صوفى أنه سأل الله لأحد الأبدال أن يرزقه ذرة من المعرفة به ، فهام البدل فى الجبال والتاث عقله ، فعاد المحب الصوفى ، وسأل الله أن ينقص من الذرة فأوحى الله إليه : إنما أعطيناه جزءاً من مائة ألف جزء من ذرة من المعرفة ، وذلك أن مائة ألف عبد سألونى شيئاً من المحبة فى الوقت الذى سألنى هذا ، فأخرت إجابتهم إلى أن شفعت أنت لهذا ، فلما أجبتك فيما سألت أعطيتهم كما أعطيته ، فقسمت ذرة من المعرفة بين مائة ألف عبد ، فهذا ما أصابه من ذلك . فقال : سبحانك يا أحكم الحاكمين أنقصه مما أعطيته . فأذهب الله عنه جملة الجزء وبقى معه عشر معشاره وهو جزء من عشرة آلاف جزء من مائة ألف جزء من ذرة ، فاعتدل خوفه وحبه ورجاؤه ، وسكن وصار كسائر العارفين(١)

---

(١) ص ١٨٨ ج ٤ الإحياء . يقول الدكتور على سامى النشار « إن الغنوص - وهو يهودية ومسيحية ووثنية ومذاهب شرقية - استطاع أن ينفذ إلى عدد كبير من المفكرين وتمكن فى صورة معدلة أو مخففة وتحت الستار السنى أن يجتذب إليه أكبر أعدائه أبو حامد الغزالى ، ص ٤٧ نشأة الفكر الفلسفى فى الإسلام . ويقول كارل هينرش بكر « ولقد ساد روح الغنوص فرق صدر الإسلام كلها ، ثم سادت التصوف الذى كان يعد فى البدء بدعة خارجة عن الدين ، ولكنه أصبح بفضل الغزالى خالياً من السم معترفا به من أهل السنة » .. ص ١٠ التراث اليونانى .

وحق ما يقوله الأستاذ النشار غير أنى أقول للباحث الفاضل إن الغنوصية أثرت تأثيراً كبيراً فى الغزالى ، بل إن الغنوصية لم تجد باحثاً كبيراً كالغزالى يقدم سمها الزعاف على أنه شهد مذاب ، وحسبنا ما يوحى به كلام الدكتور النشار نفسه وهو ، أن غنوصية الغزالى قدمت تحت ستار من الانتصار للسنة ، والرياء أخبث أنواع الشر . فهو هدم حيث ينتظر البناء وخذلان حيث يترقب الانتصار . ولقد قدرت الغنوصية للغزالى مجهوده الشاق المضنى =

هذا هو الغزالى مهتوك القناع مهدل الطيلسان يزعم أن خرافة موهومة معبودة تسأل الله ذرة من المعرفة به لأحد الناس ، فيسمع الله ويجيب ، ثم تعود الخرافة المعبودة فتطلب من الله إنقاص ما أعطى ؛ لأنه سيهلك الرجل بما وهب له ، فيسمع الله ويجيب . ويأبى الغزالى إلا أن يثبت تلقى المحب الصوفى الوحى من الله ، وتأكيد الله له أنه أخر إجابة مائة ألف من أجله ، أليس الهدف هو دفع الناس إلى عبادة هؤلاء من دون الله ؟ ولم لا ، وإرادتهم تتصرف فى مقدرات الله وإرادته ؟! لو كان الرب كما يصوره الغزالى ما استحق أن يعبد !! .

والحب كما يقول الغزالى : « يثمر نوعا من الأنس الذى يثمر انبساطاً فى الأقوال والأفعال والمناجاة مع الله تعالى ، وقد يكون منكر الصورة لما فيه من الجراءة ، وقلة الهيبة ولكنه محتمل ممن أقيم مقام الأنس » هذا قول الغزالى .. غير أنه يوجب على من لم يقم فى ذلك المقام ألا يتشبه بهؤلاء وإلا هلك !! .

إذن ، فليفهم المسلمون أن المحبين الصوفيين هم وحدهم الذين يباح لهم كل شىء ، حتى سوء الأدب مع الله !! فليجعلهم الناس الملاذ ، وليمسكوا ألسنتهم عنهم إذا رأوهم يقترفون المنكر والكفر !! ويضرب الغزالى أمثلة لأنس المحبين وانبساطهم بإسرائيلى اسمه برخ !! فقد استسقى موسى عليه السلام لسبعين ألفاً بعد قحط سبع سنين فأمره الله أن يرجع إلى « برخ » هذا[1] ويأمره بالخروج معه ، ليستجيب الله دعاء موسى ! وعثر موسى على

= خلعت عليه أعظم لقب فى التاريخ « حجة الإسلام » . وبسحر هذا اللقب فتكت الغنوصية بمئات من الباحثين الذين جعلوا من الغزالى حجتهم وخلعت على كتابه « الإحياء » أنه القرآن الثانى للمسلمين وعن طريقه أوقعت بمئات الضحايا أيضا . على حين نجد كتاب الإحياء صورة من رسالة القشيرى وقوت القلوب لأبى طالب المكى . وفى كلام « هينرش بكر » دقة بالغة غير أن ختام كلامه فى حاجة إلى تصحيح ، فما خدع تصوف الغزالى أحدا من أهل السنة الذين يستحقون هذه التسمية ، وحسبنا موقف شيخ الإسلام ابن تيمية من الغزالى ، فقد هتك القناع عن صوفيته المارقة ، وسيأتى رأيه فيه .

(١) اقرأ قوله تعالى: «وإذ استسقى موسى لقومه، فقلنا اضرب بعصاك الحجر، فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا » أليس ما يذكره الغزالى هنا يعارض هذه الآية المحكمة ! ولكن لعل عشاقه يزعمون أن الحجر هو برخ ، أو أن القصة تكررت فما يسكت الشيطان عن هؤلاء حتى يعتذروا عن خطاياه .

« برخ » وكان عبداً أسود ، وطلب منه الاستسقاء ، فوقف الإسرائيلى يدعو ، وكان من قوله لله : « ما الذى بدا لك ؟ أنقصت عليك عيونك ؟ أم عاندت الرياح عن طاعتك . أم نفد ما ماعندك ، أم ترينا أنك ممتنع ، أم تخشى الفوت ، فتعجل بالعقوبة » ويوشى الغزالى هذه الصورة بقوله : « فما برح حتى اخضلت بنو إسرائيل بالقطر ، وأنبت الله الله تعالى العشب فى نصف يوم حتى بلغ الركب » ثم يزعم أن الإسرائيلى « برخ » قال لموسى : « كيف رأيت حين خاصمت ربى ، كيف أنصفنى » فهم موسى بالرجل ليؤدبه . فأوحى الله إليه أن « برخا يضحكنى كل يوم ثلاث مرات »

من يفترى هذا المنكر ؟ إنه كما يزعم الناس له : حجة الإسلام !! على حين تذهب الكلمة الواحدة من ذلك المخرف بإيمان المرء ! .

ثم ينقل الغزالى عن سيد الطائفة الجنيد قوله : « أهل الأنس يقولون فى كلامهم ومناجاتهم فى خلواتهم أشياء هى كفر عند العامة . لو سمعها العموم لكفروهم ، وهم يجدون المزيد فى أحوالهم بذلك ، وذلك يحتمل منهم ويليق بهم[1] » فكيف تزعم الصوفية أنها تصلح لقيادة البشرية كلها ؟

هذا ظن الذين كفروا بربهم ، فما من مسلم يدين أبداً أن كلمة الكفر تصلح للتعبير عن حقيقة الإيمان الصادق ، أو أن الكفر دليل صادق على سمو الحب ، أو أن المؤمن يخاطب ربه بكلمة كفر أو سوء أدب ! .

وينقل الغزالى عن محب صوفى قوله أيضاً : « إذا بلغ الرجل فى هذا العلم الغاية رماه الخلق بالحجارة أى يخرج كلامه عن حد عقولهم ، فيرون مايقوله جنونا أو كفراً » .

وعن هذا المحب أيضا نقل الغزالى : « إنى أقول : يارب » ياألله ، فأجد ذلك على قلبى أثقل من الجبال ؛ لأن النداء يكون من وراء حجاب ، وهل رأيت جليسا ينادى جليسه[2] ؟ » وتدبر قول الله بعد هذا الكفر البواح : (واذا ذكر الله وحده اشمأزت

---

(١) ص ٢٩٢ المصدر السابق .

(٢) ص ٢٦٧ المصدر السابق وأوقن أن كل مسلم يعتقد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يدانيه بشرى فى العلم بالله سبحانه ، أو فى حبه لله ، وما سمعنا عن سيد المحبين صلى الله عليه وسلم إلا إيمانا وخشية وحباً يرجو ويخاف ، ويعلن أسمى آيات الإيمان وأزكى شعائر العبودية .

قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة) وقوله : (ألا بذكر الله تطمئن القلوب) وقوله : (قل : ادعو الله أو ادعو الرحمن أياما تدعو ، فله الأسماء الحسنى) وتدبر ما علمنا الله فى كتابه من أدعية ندعوه بها تجدها مفتتحة بنداء الرب « ربنا ما خلقت هذا باطلا » « ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة » (ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا) (ربنا ولا تحملنا مالا طاقة لنا به) إلى غير ذلك من آيات الله المحكمة . فكيف يشعر الغزالى ومحبه الصوفى بأن شيئاً أثقل من الجبال يضغط قلبه حين يقول: يارب ؛ أو ياالله ؟ ، لأن هذا النداء كما يزعم يوحى بأن بينه وبين الله حجابا على حين هو جليسه ؟! ألم أقل لك إنه عشق امرأة مبرح ، وتخيل عناق لهذه المرأة فى مخدعها الساهر على العطر والخمر والإثم !

إن ذلك المحب الصوفى يشعر بهذا الشعور ؛ لأن النداء يشعر بالغيرية . يشعره بأنه عبد لرب ، والصوفى يرى أن الرب عين العبد ، فكيف ينادى الصوفى نفسه ؟ .

غير أننا نسأل : إلى متى يفهم الناس فى الغزالى أنه حجة الإسلام ؟ .

ويقول الغزالى : « قال بعض المكاشفين من المحبين : عبدت الله تعالى ثلاثين سنة بأعمال القلوب والجوارح على بذل المجهود واستفراغ الطاقة حتى ظننت أن لى عند الله شيئا » فذكر أشياء من مكاشفات آيات السموات فى قصة طويلة قال فى آخرها : « فبلغت صفا من الملائكة بعدد جميع ما خلق الله من شىء ، فقلت : من أنتم ؟ فقالوا : نحن المحبون لله عز وجل نعبده ههنا منذ ثلثمائة ألف سنة ، ماخطر على قلوبنا قط سواه ، ولا ذكرنا غيره ، قال : فاستحييت من أعمالى ، فوهبتها لمن حق عليه الوعيد تخفيفا عنه فى جهنم »

وتلمح فى هذه القصة تحقيرا لشأن العبادة الخالصة النقية الروح ، كما يبدو لك فيها إيمان هؤلاء الصوفية - وحجتهم الغزالى - بأن فيهم من يرى ملكوت السموات والأرض كخليل الله إبراهيم ، وبأن من قدراتهم أن يهبوا أعمالهم لمن يشاءون ، لينقذوا بعملهم بعض الذين تضطرم بهم جهنم ، وما وراء هذا إلا المروق الملحد عن دين الله ، وتسفيه للرسل فى دعوتهم الناس إلى عبادة الله ، بل فيه الحكم على الله بالسفه ، لأنه هو الذى أمر الرسل بدعوة الناس إلى عبادته !

ولكن الغزالى فى خبث دهائه ، ودنس ريائه الصوفى يدفع به حقده على الله إلى تحقير شأن العبادة ! .

ولماذا يعبد الصوفى ، وقد رفع عنه التكليف ؟ .

ومن يعبد ، وهو عين المعبود ؟! .

أيقول حجة إسلام قول الغزالى ؟

«للنظرات بقايا» عبد الرحمن الوكيل

دجل قديم مكشوف

أبلغ حانوتى بجهة مصر القديمة شرطة النجدة أنه توجه لدفن جثة خادم سيدى (١) محمد مسلم بمدافن العائلة حسب المقرر فى تصريح وزارة الصحة . ولكن المشيعين لم يتمكنوا من حمل الجثة ، . وقال أقارب المتوفى أنهم شاهدوا الجثة تتحرك داخل الصندوق . وقد أشرف رجال الشرطة على تشييع الجنازة . ودفنها حسب المقرر فى تصريح وزارة الصحة

« الأخبار يوم ١٥ / ٧ / ١٩٦٣ »

ليست هذه بأولى الحوادث التى نسمعها ونقرؤها عن بعض موتى القرن العشرين بل لقد سبق أن ادعى بعض الدجالين وهم يشيعون جنازات أن الميت كان يتحرك بحملة نعشه إلى الأمام وإلى الخلف . وأنه كان يجرى بهم هنا وهناك ثم ينتهى به المطاف إلى المكان الذى اختاره كما يزعمون .

واننا لنرى عجبا فى هذه الحوادث فما من حادثة من حوادث تحكم الميت فى حملة نعشه كما يزعمون ـ إلا ويكون صاحبها شيخا من شيوخ الصوفية أو أحد اتباعها . ونحن نتساءل ، لماذا لاتحدث هذه الظاهرة عند بقية موتى المسلمين . بل ولماذا لم تحدث مثل هذه الظاهرة عند الصدر الأول وهم الذين سبقونا بالايمان والتقوى ؟ لم يؤثر عن أحد من السلف الصالح أنه طار بنعشه بعد موته . أو تحكم فى حملة نعشه . ولاشك أن هذه الظاهرة تتعارض تماما مع حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم القائل (إذا مات ابن آدم انقطع عمله) فالانسان إذن إذا زايلت الروح بدنه تعطلت جوارحه وشلت إرادته ، وصار جثة هامدة لاحراك بها . وبذلك انقطعت صلته بالدنيا فكيف نقبل ـ بعد أن تقرر هذا ـ أمر هذا الميت أو

(١) هو فى الواقع « سيدهم » هم . ولكننا نقول « سيدى » كما جاء على لسان الحانوتى . والمسلم الموحد لاينبغى له أن يعترف بسيادة أحد من هؤلاء عليه وخاصة إذا كان من الموتى المؤلهين الذين اتخذهم الناس أربابا من دون الله تعالى .

ذاك حين يقال أنه فعل كذا وكذا ، وهو عمل نفاه الحديث المتقدم ؟ هل نلغى عقولنا التى منحنا الله إياها لنميز بين الحق والباطل، حتى نصدق هذا الزعم الخارج عن نطاق المألوف . والمتعارض مع سنن الله التى تجرى على جميع خلقه ؟

على أن دفن هذا الميت بمدافن الأسرة تحت اشراف الشرطة كان أكبر دليل - لذوى الألباب - على كذب من زعموا عدم قدرتهم على حمل الميت لدفنه حسب المقرر . كما أثبت تلاعبهم الواضح بالنعش لحاجة آثمة فى أنفسهم ، ولو كان هذا الميت قد دفن بجوار (سيده) محمد مسلم كما رسم حملة نعشه لشيدوا له ضريحا ولأحاطوه بمقصورة ثم جعلوه مزارا يقصده طلاب الحاجات . فيدر عليهم المال الوفير ولكن الله تعالى كشف أمرهم وخيب أملهم .

* * *

سهولة فهم القرآن

فى باب (حديث المدينة) الذى تنشره صحيفة (الجمهورية) سأل محرره إحدى الشخصيات المسئولة عن الشئون الاسلامية فى احدى أجهزة الدولة عن عدم اهتمامه بتفسير القرآن . وقصر نشاطه على ترجمته إلى اللغة الأجنبية فأجاب بأن القرآن ليس فيه صعوبة إنه مفهوم منذ نزوله حتى الآن .

« الجمهورية يوم ٣٠ - ٧ - ١٩٦٣ »

كلمة حق نلفت إليها انظار أولئك الذين يكذبون على المسلمين ويزعمون لهم أن القرآن ليس فى متناول فهم كل إنسان . وبذلك حجبوا نور العلم الذى يشع من هدى القرآن عن الناس ليسهل لهم الطريق إلى احتكار الدين . مع أننا إذا نظرنا إلى كتاب الله نجد أن آياته تحثنا على قراءة القرآن . وتلح فى تدبره . والتفقه فيه لمعرفة مافيه من المعانى الهادية . يقول الله تعالى (ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر) سورة القمر . ويقول جل شأنه (أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها) الآية ٢٤ : محمد .

وسنة الرسول صلى الله عليه وسلم لم تخل أيضاً من ترغيب الناس فى قراءة القرآن وتدبره بقدر المستطاع . بل وبين منزلة قرائه عند الله تعالى. وذلك فى الحديث القائل (الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة . والذى يتتعتع[1] فيه وهو عليه شاق له أجران[2]) .

فالقرآن إذن لايحتويه الغموض . ولا يكتنفه الإبهام . بل هو ميسر لكل من أقبل عليه يلتمس منه الهداية والخير والعافية بقلب مخلص . وعزيمة صادقة .

فمتى يزيل الناس غشاوات الجهل والغفلة التى وضعها على قلوبهم الكهان من تجار الدين ليحرموهم من التفيؤ بظلال القرآن . والانتفاع بثماره الطيبة ؟ . .

* * *

الاحتفال بذكرى مولد النبى

احتفل المسلمون بذكرى مولد الرسول صلى الله عليه وسلم . فاقيمت الاحتفالات لهذا الغرض فى الساحات الشعبية وعقد رجال الطرق الصوفية حلقات الذكر ، كما تليت القصة النبوية . وسهر المواطنون حتى الفجر لإحياء هذه الذكرى .

صحف يوم ١٢ ربيع الأول ١٣٨٣
الموافق ٢ أغسطس ١٩٦٣

•• تأتى هذه الذكرى على المسلمين فى العام مرة . فيقيمون الاحتفالات . ويسهرون الليالى فيها . فكيف يحتفلون ؟ وماذا يصنعون فى هذه الاحتفالات ؟

إن الصورة التى تراها فى هذه الاحتفالات كل عام واحدة . لايطرأ عليها تغيير أو جديد فهم يحتفلون به بتماثيل عرائس الحلوى والمأكولات .. وباقتراف الرقص والغناء الشركى والخلاعة ولعب القمار ومنكرات من كل لون .. هذه هى مظاهر الاحتفال عند مسلمى اليوم . فهل فى هذه المظاهر شىء يليق بمقام الرسول صلى الله عليه وسلم وقدره ؟ أو يذكر المحتفلين

---

(١) التعتعة : التردد فى الكلام ، والقراءة بصعوبة .

(٢) أجر المشقة فى القراءة . وأجر محاولة القارىء التفقه فى القرآن والانتفاع به .

به بحياة الرسول صلى الله عليه وسلم . وما كان يتصف به من أدب وخلق وبر ورحمة ؟! وإنما يفعلون خلاف ماجاءت به شريعته ، وسارت عليه سنته .

ولا ندرى لماذا يهتم المسلمون اليوم بذكرى مولد الرسول البشرى . والاهتمام به بهذه الصورة المنكرة . وقد كان جديراً بهم أن يهتموا بمعرفة مولد رسالته كما كان يفعل سلفنا الصالح رحمة الله عليهم .

لقد عرف السلف الصالح أن ما ينبغى أن يهتم به هو ذلك اليوم الذى ولدت فيه رسالة النبي فى غار حراء حين جاءه الوحى وأخبره باصطفاء الله له بحمل رسالة الهدى والخير وتبليغها للناس جميعاً . . فخرج من الغار لتأدية هذه المهمة الثقيلة : فكانت ذكرى ذلك اليوم ماثلة فى أذهان صحابته يحيونها فى كل يوم وكل وقت بترسمهم خطى الرسول صلى الله عليه وسلم فى حياتهم الخاصة والعامة قولا وعملا . فكانوا بحق (خير أمة أخرجت للناس) .

وبمناسبة ذكرى المولد كتب[1] فضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمود شلتوت كلمة قيمة ننشر هنا جزءاً منها . قال فضيلته (... وكان إيمان الأولين بهذه الذكرى . وبصاحب هذه الذكرى عليه السلام إيمانا عمليا بالأفعال لا بالأقوال . بالقلوب والأرواح . بالدماء والأموال والأهل والعشيرة . بالمتاع والنعيم . بكل لون من ألوان التضحية والإيثار والجهاد . آمنوا بنبيهم . وبذكرى نبيهم عن طريق اتباعه . وإحياء سنته والتحلى بأخلاقه . وإقامة شرعه ودينه .

وظل المسلمون كذلك حتى غيروا ما بأنفسهم . فانطفأ هذا النور من قلوبهم . وأقفرت بصائرهم من أسراره . ولم يبق لهم منه إلا صورة مرسومة بحروف فى الصحف أو الكتب ، يرجعون إليها كلما عاودتهم الذكرى ، أو أهل عليهم شهر ربيع . اكتفوا بذكرى محمد صلى الله عليه وسلم فى شهر ربيع من كل عام . وتركو الاقتداء والتأسى به . وانحازوا إلى شرائع وتقاليد وأخلاق لايعرفها محمد . وما أنزل الله بها من سلطان ... الخ)

هذه هى كلمة فضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر التى أبان فيها صلة المسلمين بالأمس واليوم .

ثم يحق لنا بعد ذلك أن نتساءل : هل كان الرسول صلى الله عليه وسلم يحتفل بذكرى

---

(١) راجع المقال بصحيفة الجمهورية الصادر يوم ١٩٦٣/٨/٢

مولده ؟ أو هل احتفل صحابته والمسلمون من بعده بهذه الذكرى ، وعلى هذا النحو الذى نراه اليوم؟ .

لاشك أن وقائع التاريخ تنفى ذلك تماما . فلم يكن يحتفل بذكرى ميلاده . وكذلك صحابته الأطهار أو التابعون من بعدهم لم يفعلوا ذلك ، وإنما نشأ الاحتفال بمولد النبي البشرى فى عهد الدولة الفاطمية . . تلك الدولة التى أرادت أن تقيم دولتها فى مصر على زعم حب الرسول وأهل بيته . ليرضى عنها الناس . فابتدعت[1] له ولأهل بيته هذه الموالد . وسنت الاحتفال به . فكان لها ما أرادت . ثم سار المنتسبون إلى الإسلام بعد ذلك على سنة الفاطميين فى الاحتفال بهذه الموالد كل عام .

* * *

العناية بتدريس القرآن والسنة

أوصى مؤتمر المعلمين العرب الذى عقد فى الجزائر بأن تتضمن المناهج الدراسية فى المدارس العربية القدر المناسب من القرآن الكريم والحديث الشريف حفظا ودراسة . مع اعتباره مادة أساسية كما أوصى بالعناية الدينية داخل المدرسة .

« الجمهورية يوم ١٩٦٣/٨/١٢ »

• • وفضلا عن ذلك . حبذا لو جعلنا مادة القرآن والحديث شرطا لنجاح الطالب بنسبة معينة .. فإن الواجب يفرض علينا أن نغرس عقائد الإسلام ومبادئه القويمة فى نفوس أبنائنا حتى نمكنهم من صد تيارات الإلحاد التى يروجها فى بلادنا الجاهلون بحقيقة الإسلام من أبناء هذه الأمة وغيرهم من أعداء ديننا الحنيف . . تلك التيارات التى تغزو مجتمعنا فى شكل كتب ومجلات وافلام ماجنة وأزياء فاضحة ، وغير ذلك مما نقلد فيه الأجانب .

على أننا نرى أنه بدون نشر مبادىء الدين القويمة فى المجتمع لا يمكن لأمتنا أن تنشىء جيلا قويا مسلحا بالإيمان والعزيمة والرجولة كما أن الحياة ذاتها إذا خلت جوانبها من هيمنة الدين عليها . فإنها تنقلب إلى فوضى وإباحية وتحلل . وتكون مرتعا خصباً للفساد والضلال . . وهذا شر ما تبتلى به الجماعات .

سعد محمد صادق

---

(١) راجع تفصيل نشأة هذه الدعة فى كتاب : « تاريخ الاحتفال بالمولد النبوى » للاستاذ حسن السندوبى

حرية الفكر في الاسلام

بقلم السيد عبد الحليم محمد حسن الملاقى

لقد أتى على الناس حين من الدهر ، كان مبلغهم من العلم بالدين أنه مجموعة من العقائد والأعمال التي لا مجال فيها للعقل ، ولا متسع فيها للبحث والنظر ، لأن القادة الدينيين الذين استمدوا قيادتهم من وحى الأهواء ، وطغيان الشهوات ، كانوا يقولون لمن يلقنونه هذه العقائد والأعمال : « اطفىء مصباح عقلك . ثم اعتقد وأنت أعمى » فلا يباح له أن ينظر فيها بعقله وفكره وإنما عليه أن يتلقاها بالتسليم المطلق والتقييد الأعمى ، وبذلك سيطروا على عقولهم ، وسلبوهم حرية الفكر ، واستقلال الإرادة ، وفرضوا عليهم ماشاءوا من العقائد التي اختلقوها بأهوائهم ، والشرائع التي ابتدعوها بجهلهم وضلالهم .

وبقى هذا الضلال شائعاً في عقائدهم وأعمالهم ، حتى جاء الإسلام في جلال الحق ، وصفاء النبع ليضع عنهم تلك الأغلال التي كانت جاثمة على عقولهم وأفكارهم ، ويزيل هذه الأكنة التي كانت مضروبة على قلوبهم وأبصارهم ، فنادى بصوت ملأ الخافقين ، وأسمع الثقلين ، أنه الدين الذي يساير الفطرة والوجدان ، ويحكم الحجة والبرهان ، ويطالب العقلاء بالبحث والنظر وتحكيم العقول ، ومراجعة الضمائر ، والاهتداء بنور العلم والمعرفة ، وأقام صرح هذه الدعوة التحررية على الدعائم الآتية :

الدعامة الأولى : تحرير الإنسان من الحجر العقلي والكبت الفكري ، لكي يكمل بذلك عقله ، ويستقيم تفكيره ، وتكتمل له شخصيته وإنسانيته ، فإن كمال العقل هو الدعامة الأولى لصحة العقائد وكمال الأخلاق وصلاح الأعمال كما يشير إلى ذلك قوله صلى الله عليه وسلم : « إن الأحمق يصيب بجهله أكثر من فجور الفاجر ، وإنما يرتفع العباد غداً في الدرجات الزلفى عند ربهم على قدر عقولهم » و « ما اكتسب رجل مثل فضل عقل يهدى صاحبه إلى هدى ، ويرده عن ردى ، وما تم إيمان عبد ولا استقام دينه حتى يكمل عقله » ولقد عنى القرآن ببناء هذه الدعامة عناية كبرى ، فاستنهض العقول والأفهام ، وأيقظ الحواس ونبه المشاعر ، وطالب العقلاء بالنظر في ملكوت السموات والأرض ، والتعرف على أسرار العوالم الكونية ونواميسها ، وما فيها من الدلائل على وجود الله ووحدانيته ،

فى ألوهيته وربوبيته ، كما قال جل شأنه (أو لم ينظروا فى ملكوت السموات والأرض وما خلق الله من شيء) ، (أفلم يسيروا فى الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها ، أو آذان يسمعون بها ، فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور) ، (وفى الأرض آيات للموقنين . وفى أنفسكم أفلا تبصرون) وأكثر من ذكر الآيات الكونية ومطالبة العقول بالنظر فيها كما يتجلى ذلك فى التعقيب عليها بمثل قوله جل جلاله (إن فى ذلك لآيات لقوم يعقلون . . لقوم يتفكرون . أفلا تعقلون . . أفلا تبصرون) .

وذم الغافلين ونعى عليهم غفلتهم وإعراضهم عن دلائل هذه الآيات كما فى قوله تعالى : (ولقد ذرأنا لجهنم كثيراً من الجن والإنس ، لهم قلوب لا يفقهون بها ، ولهم أعين لا يبصرون بها ، ولهم آذان لا يسمعون بها ، أولئك كالأنعام بل هم أضل ، أولئك هم الغافلون) (وكأين من آية فى السموات والأرض يمرون عليها وهم عنها معرضون) .

وبشر الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه ، ومدحهم وأثنى عليهم كما قال تعالى (فبشر عباد . الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه ، أولئك الذين هداهم الله ، وأولئك هم أولوا الألباب) .

الدعامة الثانية : تحرير الإنسان من رق التقليد الأعمى ، وتربيته على حرية الفكر ، واستقلال الإرادة واحتقار التقليد والتبعية العمياء ، فإن التقليد الأعمى من شر ماتبتلى به الأفراد والجماعات فإنه هو السبب الأول فى الجمود على الأباطيل الموروثة ، وإهمال مواهب الفكر والنظر ، وعدم التمييز بين الحق والباطل ، وفى ذلك جناية على الحق ، وقدسية النفس ، وقتل للمواهب ، وامتهان للعقول ، وهو الباعث القوى على الوقوف فى طريق الإصلاح والمصلحين ، وقيام التعصب الجماعى لحماية المعتقدات والعادات الموروثة ، ومحاربة كل جديد يكشف عن زيفها وباطلها ، لأن العقائد والمذاهب إذا قامت على أساس الوراثة ، أو تقليد الآباء والأجداد فإن ذلك يضفى عليها قداسة تستحوذ على عواطف الوارثين لها ، وتصرفهم عن التفكير فى مدى صحتها أو بطلانها ، وتحملهم على التعصب الجماعى لحمايتها والإبقاء عليها ، ومعارضة كل جديد يخالفها ، أو ينتقص من قداستها ، ولو كان ذلك الجديد أهدى منها سبيلا ، وأقوم طريقاً ، وقد قرر القرآن هذه الحقيقة فى آيات كثيرة كقوله تعالى (وكذلك ماأرسلنا من قبلك فى قرية من نذير إلا قال مترفوها إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون ، قال أو لو جئتكم بأهدى مما وجدتم عليه آباءكم قالوا إنا بما أرسلتم به كافرون) وقوله (وعجبوا أن جاءهم منذر منهم وقال

الكافرون هذا ساحر كذاب . أجعل الآلهة إلهاً واحداً إن هذا لشيء عجاب ، وانطلق الملأ منهم أن امشوا واصبروا على آلهتكم إن هذا لشيء يراد) .

فانظر كيف يفعل التعصب الجماعي بأهله ، فقد كانت صناديد قريش يعرفون رسولهم كل المعرفة ، ويعلمون صدقه وأمانته حق العلم ، ولكن التعصب القائم على تقديس ماوجدوا عليه آباءهم ، هو الذي حملهم على الكفر بنبوته ورسالته ، ورميه بأنه ساحر كذاب ، ووصف التوحيد الذي جاءهم به بأنه شيء عجاب ، والتواصي بالصبر والثبات على شركهم وضلالهم ، ولو أنهم سلكوا طريق التحرر من سلطان التعصب الجماعي الذي أرشدهم إليه القرآن بقوله : (قل إنما أعظكم بواحدة . أن تقوموا لله مثنى وفرادى ثم تتفكروا مابصاحبكم من جنة ، إن هو إلا نذير لكم بين يدى عذاب شديد) وقاموا لله مثنى وفرادى ، وخلا كل منهم بصاحبه أو بنفسه ، يستطلع رأيه ، ويستكشف سره ويستوحى عقله ، ويستفتى قلبه ، لزالت تلك الغشاوة التى عقدها التعصب على القلوب والأبصار ، ولعلموا أن صاحبهم صلوات الله عليه ، ليس به من جنة كما يفكرون ، وما هو إلا نذير لهم بين يدى عذاب شديد . من هنا يتجلى لنا السر فى تمسك الأمم بالعقائد والمذاهب الموروثة ، وإن كانت لا تقوم على أساس من الحق ، ولا تعتمد على نظر صحيح ولا تتفق مع مابلغته من الرقى العقلى ، والتقدم العلمى ، وهو أن التقليد الأعمى من شر ماتبتلى به الأفراد والجماعات ، ولهذا كان لابد للاسلام وهو يقيم دعائم التحرير ، ويبنى قواعد الإصلاح ، أن يحمل حملة قوية على المقلدين لإعراضهم عن الحق ، وجمودهم على متابعة ماوجدوا عليه آباءهم من الضلال والانحراف ، ونعى عليهم جهلهم وافتراءهم على الله الكذب ، كما قال تعالى (وإذا قيل لهم اتبعوا ماأنزل الله قالوا بل نتبع ماألفينا عليه آباءنا ، أو لو كان آباؤهم لايعقلون شيئاً ولا يهتدون) ، (وإذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا بها ، قل إن الله لا يأمر بالفحشاء ، أتقولون على الله مالا تعلمون) وسجل عليهم مايقع منهم فى الدار الآخرة من الاعتراف بما جنته عليهم الطاعة العمياء لسادتهم وكبرائهم كما قال تعالى : (يوم تقلب وجوههم فى النار يقولون ياليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسولا . وقالوا ربنا إنا أطعنا سادتنا وكبراءنا فأضلونا السبيلا . ربنا آتهم ضعفين من العذاب والعنهم لعناً كبيراً) .

وهكذا كشف الإسلام عن مدى جناية التبعية العمياء على الأتباع والمتبوعين ، وقضى على سلطة المتألهين من قوى القيادة الضالة ، والزعامة الزائفة ، وخلع عنهم رداء القداسة

التى انتحلوها لأنفسهم ، والتى جعلتهم فى نظر المخدوعين فيهم أربابا من دون الله تعالى ، وأهاب بأسرى التقليد والتبعية العمياء ، أن يحرروا أنفسهم من هذه العبودية التى أهدرت كرامتهم وإنسانيتهم ، وأن يعلموا أن الاشقاء والإسعاد ، وربوبية التشريع والعبادة . أمور خالصة لله ملكا واستحقاقا ، وأن أساس الإيمان الصادق والدين الخالص ، هو التسليم الكلى لشرع الله الذى أنزله على رسوله ، لا إلى تشريع أحد من البشر رؤساء كانوا أم مرءوسين كما يشير إلى ذلك قول الله عز وجل : (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون) . (فأولئك هم الظالمون) . (فأولئك هم الفاسقون) ، (أفحكم الجاهلية يبغون ، ومن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون) ، (فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ، ثم لا يجدوا فى أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما) .

المقال بقية

من رسائل القراء :

ذكريات

قصيدة عامرة الأبيات للأستاذ الشاعر نجاتى عبد الرحمن ، يذكر فيها ذكريات الهجرة النبوية ، ومولد الرسالة المحمدية ، وأمجاد المسلمين فى عصرهم الذهبي فى القرون الفاضلة (خير القرون) سننشرها فى العدد القادم إن شاء الله .

المحدثات (البدع)

أرجوزة شعرية شيقة للأستاذ عبد المنعم محمد حلمى عبد الرحمن ، ينعى فيها على البدع والمحدثات فى الدين ، كما ينعى على أصحابها والقائمين على تلك البدع ، ويدعوهم فيها إلى الدين الحق ، وترك ما أحدث الناس من أهواء وضلالات . سننشرها فى عدد تال إن شاء الله.

غزوات الرسول ﷺ

ضاق نطاق هذا العدد عن إدراج (الغزوات) التى يحررها الأستاذ سعد صادق محمد ، فإلى العدد القادم إن شاء الله .

أسئلة وأجوبة

جاءتنا هذه الأسئلة من الأخ العريف : محمود اسماعيل الجزار من شرطة النجدة بالفيوم :
أرجو بيان درجة صحة هذه الأحاديث للأهمية ولكم الشكر .

س — ١ — روى عن عمر رضى الله عنه مرفوعاً ، أن آدم عليه السلام رأى اسم محمد صلى الله عليه وسلم مكتوبا على العرش ، وأن الله تعالى قال لآدم ، لولا محمد ما خلقتك . أخرجه الحاكم فى المستدرك ج — ٤

عن ابن عباس أن النبى صلى الله عليه وسلم قال « أتانى جبريل فقال إن الله يقول : لولاك ماخلقت الجنة . لولاك ما خلقت النار ، أخرجه الديلمى فى مسند الفردوس ج - ٥

وقال ابن عباس . « أوحى الله إلى عيسى ، آمن بمحمد ومر أمتك أن يؤمنوا به ، فلولا محمد ما خلقت آدم ولا الجنة ولا النار . ولقد خلقت العرش على الماء فاضطرب . فكتبت عليه (لا إله إلا الله ، محمد رسول الله فسكن) أخرجه الحاكم وصححه وأقرهالسبكى فى شفاء السقام والبلقينى فىفتاويه ، ومثله لا يقال رأيا فحكمه الرفع ، وفى سنده عمر ابنأوس لا يدرى من هو - أنظر صفحة ٤٤ — ج — ١ شرح الزرقانى على المواهب ج — ٦

ج ١ — هذه الأحاديث التى وردت فى السؤال كلها غير صحيحة ولم يجىء شىء منها فى الصحيحين ولا فى السنن والمسانيد المعتبرة ولا عبرة بتصحيح الحاكم أو غيره لها فانه معروف بتساهله وقد استدرك على الشيخين أحاديث كثيرة زعم أنها على شرطهما وغرضه من ذلك الترويج لها وهى ليست بشىء أصلا .

وخصائص نبينا صلى الله عليه وسلم قد وردت فى القرآن الكريم والأحاديث الصحيحة وليس منها أن الله خلق الأشياء جميعا من أجله ، فمن خصائصه التى نطق بها القرآن أنه خاتم النبيينلا نبى بعده .

قال تعالى من سورة الأحزاب (ما كان محمداً أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين) .

ومنها أنه يشفع فى عموم الخلق يوم القيامة ليصرفهم الله من الموقف إلى فصل القضاء بينهم وهذا أصح الاقوال فى تفسير المقام المحمود المذكور فى قوله تعالى من سورة

الإسراء (ومن الليل فتهجد به نافلة لك عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا) .

ومنها عموم رسالته إلى جميع أهل الأرض بل وإلى الثقلين من الإنس والجن .

قال تعالى من سورة الأعراف (قل ياأيها الناس إنى رسول الله إليكم جميعا) .

وقال من سورة الأنبياء (وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين) .

وقال من سورة سبأ (وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيراً ونذيراً)

ومنها تفضيل أمته على سائر الأمم وهذا بالضرورة يقتضى تفضيله على سائر الرسل قال تعالى من سورة البقرة (وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً) .

وقال من سورة آل عمران (كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله) .

ومنها البشارة فى الكتب السابقة وعلى لسان المسيح عليه السلام آخر أنبياء بنى إسرائيل قال تعالى من سورة الأعراف (الذين يتبعون الرسول النبي الأمى الذى يجدونه مكتوبا عندهم فى التوراة والأنجيل) .

وقال من سورة الصف (وإذ قال عيسى بن مريم يابنى إسرائيل إنى رسول الله إليكم مصدقا لما بين يدى من التوراة ومبشراً برسول يأتى من بعدى اسمه أحمد) .

ومنها حفظ الكتاب الذى أنزل عليه مما وقع للكتب قبله من التحريف والتبديل وجعله معجزة باقية أبد الدهر كما قال تعالى من سورة الحجر (إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون) .

وأما خصائصه صلى الله عليه وسلم من السنة فقد صح عنه أنه قال أعطيت « خمسا لم يعطهن أحد قبلى : نصرت بالرعب مسيرة شهر وأحلت لى الغنائم ولم تحل لأحد قبلى وجعلت لى الأرض مسجداً وطهوراً فأيما رجل من أمتى أدركته الصلاة فعنده مسجده وطهوره وبعثت إلى الناس كافة وكان كل نبي يبعث إلى قومه خاصة وأعطيت الشفاعة) .

وفى بعض الروايات وأوتيت خواتيم سورة البقرة من كنز تحت العرش لم يعطهن أحد قبلى . وأوتيت مفاتيح خزائن الارض .

وصح عنه كذلك إنه قال « إذا سمعتم النداء فقولوا مثل مايقول المؤذن ، ثم صلوا على فان من صلى على مرة صلى الله عليه بها عشرا . ثم سلوا الله لى الوسيلة فإنها درجة فى الجنة لا تنبغى إلا لعبد من عباد الله وأرجو أن أكون هو » .

وقال أيضا فى الصحيح عنه « أنا سيد ولد آدم ولا فخر ، وأنا أول من تنشق عنه الأرض ، وأول من يجوز الصراط ، وأول من يحرك حلق الجنة الخ » .

وقال « لكل نبى دعوة مستجابة وقد تعجل كل نبي دعوته فى الدنيا ، وخبأت دعوتى شفاعة لأمتى ، فهى نائلة إن شاء الله من مات لا يشرك بالله شيئاً » فهذه جملة خصائصه التى لا يمارى فيها أحد . فقد نطقت بثبوتها الآيات والأحاديث الصحيحة كما قدمنا . أما أن الله خلق الأشياء كلها من أجله فلو كان صحيحا لتوفرت الدواعى على نقله ولم تقتصر روايته على مثل الحاكم والديلمى فان المنقبة فيه أعظم لو جاز أن يكون لأحد من الناس .

على أن هذا معارض لما صرحت به الآيات من أن الحكمة فى خلق المكلفين إنما هى عبادة الله ومعرفته وابتلاء المكلفين واختبارهم .

قال تعالى من سورة الذاريات (وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون) .

وقال تعالى من سورة الملك (الذى خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا) .

والذى يظهر أن هذا القول قد اخترعه غلاة المتصوفة يضاهئون به قول النصارى فى عيسى عليه السلام حيث زعموا أنه خلق أولا ثم وكل الله إليه عملية الخلق والإيجاد وأنه هو الذى يحاسب الخلق يوم الدينونة إلى غير ذلك مما نهانا عنه نبينا صلى الله عليه وسلم من الغلو الممقوت حيث قال :

« لا تطرونى كما أطرت النصارى ابن مريم وإنما أنا عبد فقولوا عبد الله ورسوله »

والذى يقرأ كتب هؤلاء المتصوفة لا سيما كتاب (الإنسان الكامل) للجيلى يعرف كيف غلوا فى هذا الباب مثل غلو النصارى أو أشد .

وقد افتتن بكلامهم كثير من الناس حتى ممن ينتسبون إلى العلم والدين وجرى هذا القول على ألسنتهم وفى أشعارهم كما يقول البوصيرى :

وكيف تدعو إلى الدنيا ضرورة من   لولاه لم تخرج الدنيا من العدم

بل ويشتد فى غلوه مرة أخرى حين يقول مخاطباً النبي صلى الله عليه وسلم :

فإن من جودك الدنيا وضرتها   ومن علومك علم اللوح والقلم

فنسأل الله لنا ولجميع إخواننا السلامة من الزيغ والانحراف والتزام سبيل القصد والانصاف ، إنه سميع مجيب .

س٢ — فقدت حافظة نقودى وكان ضمن مابها مبلغا أمانة (لله) أعطته لى صديقة لاقوم بتوصيله لبعض الفقراء والمحتاجين . فما حكم هذه الأمانة ؟

هل اقوم بسداد مابها ؟ مع العلم بأن من ستدفع لهم هذه الأمانة لم يعينوا لى وإنما كان متروكا لى اختيارهم ؟ .

س ٣ — هل يجوز لفتاة بلغت من العمر التكليف الشرعى أن تتعلم فن الخياطة والتفصيل على يد رجل خياط يقوم بالخياطة للسيدات مع ماهو معروف عما يمارسه أى خياط فى قياس الملابس على اجسام السيدات من نظرة فاحصة ولمس عما هو فى حاجة إليه لضبط خياطته ؟ ؟

أفيدونا والله يتولى جزاءكم .

قارئة من قارئات المجلة

ج ٢ — أن الإسلام قد عظم من شأن الأمانة ونهى أشد النهى عن تضييعها وأمر بأدائها إلى أهلها حتى ... قال تعالى من سورة النساء (إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها) .

وقال عليه الصلاة والسلام ... لا أمانة له ، والأمانة التى كانت بحافظة النقود قد تعلق بها حق ... عن صديقتك فى توصيل هذه النقود إليه فلا تبرأ الذمة إلا ... دعت عند شيئا لحفظه فسرق أو تلف بدون إهمال منك فلا ...

ج ٢ ب ... حد من الرجال أن يقوم بخياطة

ثياب السيدات لأن ذلك يستلزم النظر إلى أعضاء جسومهن . ووضع اليد عند التفصيل والقياس .

وعلى ذلك فلا يجوز للفتاة المسلمة أن تلجأ إلى رجل خياط لتتعلم عنده الخياطة , والخائطات من النساء كثير فما الذى يدعوها إلى الدخول فى أمر لا تحمد عاقبته , وزادك الله أيتها السائلة حرصا على دينك .

س ٣ — لى ابنة عم وفى نفس الوقت شقيقتى فى الرضاع فهل يجوز لى الزواج منها ؟ وأيضا ابنة عمى هذه لها ابنة أخ يكبرها ، فاذا حصل أن حرم زواجى من ابنة عمى فهل يجوز لى الزواج من ابنة أخيها ؟

نور الهادى محمد
كريمه - مصنع البلح
سودان

ج ٣ — قال عليه الصلاة والسلام (يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب) وعلى ذلك فابنة عمك التى رضعت معك من ثدى واحد خمس رضعات مشبعات حرام عليك لأنها أختك من الرضاع سواء كانت التى أرضعتكما أمك انت أم أمها , ولكن الأمر يختلف بالنسبة لبنت أخيها فان كنت أنت الذى رضعت من أمها فقد صار أخوها كذلك أخا لك فتحرم عليك ابنته لأنها ابنة أخيك وإن كانت هى التى رضعت من أمك فأخوها أجنبى عنك وبذلك تحل لك ابنته والله أعلم .

محمد خليل هراس
المدرس بكلية أصول الدين

فرع إمبابة

عقد فرع الجماعة بامبابه جمعيته العمومية السنوية مساء الخميس ٢٥ من ربيع الأول سنة ١٣٨٣ الموافق ١٥ من أغسطس سنة ١٩٦٣ . ألقيت فيها كلمات ثم أجريت الانتخابات . ولضيق المقام فإننا نؤجل نشرها للعدد القادم إن شاء الله .

مولد الدعوة

[جاءتنا هذه القصيدة العصماء من فضيلة الأستاذ صاحب التوقيع فى ستين بيتاً تقريباً ، وقد نشرنا هنا ما اتسع لها المقام منها] .

يا للسماء تألقت أجرامها ... وبدا من الدر الثمين وسامها
وتلألأ الكون البديع بنورها ... وأتى من الملأ العلى سلامها
والصبح يطلع للعباد بضوئه ... هدياً ، فولى ظلمها وظلامها
بالوحى جبريل الأمين منزل ... والآى حق وحيها وكلامها
اقرأ محمد ! للبرية وحيه ... اقرأ فأنت رسولها وإمامها
اقرأ ! فأنت اليوم قائد أمة ... لله قام على الهدى إسلامها
دين الشريعة والحنيفة والتقى ... دين السعادة للنفوس عصامها
سر بالعباد على الصراط ميمماً ... نحو المكارم فى يديك زمامها
الله أكبر ، إن دينك شرعة ... عظمت بدستور الهدى أحكامها
من فوق عرش الله ينزل وحيها ... غيثاً ، يفيض على الورى إنعامها
الحكم فيها بالمشورة قائم ... والحاكمون لشعبهم خدامها
والنصر معقود لكل حماتها ... والسعد موصول به أيامها
والعيش ود كله ومحبة ... والأمن قد فازت به أقوامها
والحق مرفوع العماد موضح ... خفقت به نحو العلى أعلامها
والله يحفظ شرعه وكتابه ... وجنوده بالحق عز مقامها
وتحررت فى الأرض جل عبيدها ... وتبددت فوق الثرى أصنامها
وتنورت تلك العقول بهديها ... إذ زال عنها بالهدى أوهامها
والقوم تسجد للإله عبادة ... لا تنثنى للهالكين عظامها
لا تنحنى للظالمين وإنما ... لله كان سجودها وقيامها
لا ترتضى بالذل بعد معزة ... إن المذلة للنفوس حمامها
فى (مكة) الغراء بجمع شملها ... حج يجىء من العلى إكرامها

المسلمون فقيرهم وغنيهم عند المناسك قد تسامت هامها
المال ينفقه الغنى لبائس نزلت به بأساؤها آلامها
حق الفقير لدى الغنى زكاته والله صاحب ماله قسامها
يعطى ويمنع لا مرد لحكمه يعلى ويخفض للورى قوامها
ولرب منع قد يكون عطاءه ولرب مال قد أضر حرامها

الدين بالإيمان يرفع أمة فى العالمين وشركها هدامها
والمرء لن يرقى بغير خليقة يحيي النفوس كمالها وتمامها
والناس لن تحيا بغير شريعة بالحق قد زالت بها أسقامها
والملحدون على الظلام مسيرها ألقت بها نحو الردى آثامها
ظنوا الحياة إباحة فتجرأت تعدو على الإسلام طاش سهامها
والجامدون على الضلال بقاؤها إرث الأبوة فى الظلام هيامها
هل يبصر الخفاش ضوءاً ؟! إنه يخشى الضياء ، ومثلها أقوامها
يا أمة الإسلام ! دعوة أحمد أنتم لها جند ! لها خدامها
الدين يدعوكم فأين كماتها ؟ أين الهداة بها ؟ وأين عظامها
الحق يبلغه الكرام بجدهم والخير لن يحظى به نوامها
والدين علم ، واتباع شريعة وجمال أخلاق يسود نظامها
والحق يبقى رغم كل مكيدة والمبطلون يبيدهم علامها

لبيك رب العرش إنا أمة ! لبى النداء خيارها وكرامها
فامنن بنصر المسلمين فقد طغى حقد العداة ، شرورها ، آثامها
واجعل صلاتى للنبى وصحبه نوراً ، يضىء مع الزمان دوامها

عمرو محمد حسن النشرى
إمام المسجد الجيدى بملوى

خطبة منبرية

الخطبة الأولى

الحمد لله الذى له ملك السموات والأرض ، يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير ، هو الأول والآخر والظاهر والباطن ، وهو بكل شيء عليم . هو الذى خلق السموات والأرض فى ستة أيام ثم استوى على العرش ، يعلم مايلج فى الأرض وما يخرج منها ، وما ينزل من السماء وما يعرج فيها ، وهو معكم أينما كنتم ، والله بما تعملون بصيرله ملك السموات والأرض وإلى الله ترجع الأمور . يولج الليل فى النهار ، ويولج النهار فى الليل ، وهو عليم بذات الصدور .

وأشهد أن لاإله إلا الله ، الذى لم يتخذ ولداً ، ولم يكن له شريك فى الملك ، وخلق كل شيء فقدره تقديراً .

وأشهد أن نبينا محمداً عبده ورسوله ، صاحب الشفاعة العظمى والمقام المحمود ، واللواء المعقود ، والحوض المورود ، فرض الله على العباد طاعته ، وتوقيره وتعزيره ومحبته . صلى الله عليه وعلى آله وسلم تسليما كثيراً .

أما بعد : فيقول الله تبارك وتعالى وهو أصدق القائلين (وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحى إليه أنه لاإله إلا أنا فاعبدون ، وقالوا اتخذ الرحمن ولداً سبحانه بل عباد مكرمون . . لايسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون ، يعلم مابين أيديهم وما خلفهم ولا يشفعون إلا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون) ويقول (وكم من ملك فى السموات لا تغنى شفاعتهم شيئاً ، إلا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى) ويقول (إن ربكم الله الذى خلق السموات والأرض فى ستة أيام ثم استوى على العرش يدبر الأمر مامن شفيع إلامن بعد إذنه . ذلكم الله ربكم فاعبدوه أفلا تذكرون) ويقول فى آية الكرسى (من ذا الذى يشفع عنده إلا بإذنه) ويقول (يومئذ لا تنفع الشفاعة إلا من أذن له الرحمن ورضى له قولا) .

أيها المسلمون : يبين الله سبحانه وتعالى فى هذه الآيات البينات ، ماهى الشفاعة ، وكيف تكون ، ومتى تكون ، وعلى أى صورة تكون ، الشفع ضد الوتر ، والشفاعة أن تنضم إلى صاحب حاجة فتسعى معه إلى من بيده حاجته ليقضيها له ، فتكون شفعاً له — أى ثانياً — بعد أن كان وتراً منفرداً ، لتساعده وتعاضده ، أو تشرح حاله لمن لا يعرفه ، ولمثل هذا

الشافع أجر سعيه فى مصالح عباد الله ، وجلب المنافع لهم ، ودفع المضار عنهم ، هذا بالنسبة للناس بعضهم لبعض . أما بالنسبة له سبحانه وتعالى فإنه أعلم بحال عباده وما ينفعهم وما يضرهم أكثر من علمهم هم أنفسهم ، وقد اشترط سبحانه لقبول الشفاعة عنده شرطين . أولهما أن يشاء ويأذن للشافع أن يشفع ، وثانيهما أن يرضى عن المشفوع فيه . وكيف للناس أن يعلموا استيفاء هذين الشرطين إلا بوحى منه سبحانه ؟ لا سبيل لأحد أن يعلم من ذلك شيئا . فقد انقطع الوحى بعد أن رفع الله رسوله صلى الله عليه وسلم إلى الرفيق الأعلى فمن الجرأة على الله أن يقتحم إنسان كائنا من كان هذا الباب فيشفع عند الله لإنسان آخر وهو لا يملك من الله إذنا ولا يعلم منه رضى .

إن المؤمن الصادق الإيمان الذى عرف قدر نفسه وعرف مقام ربه لا يستطيع أن يجترىء عليه ويدعى القدرة على الشفاعة لغيره ، بل إنه يكون دائم الخوف والوجل والاشفاق على نفسه ، إنه قد عرف — وهو العبد الخاشع الخاضع لربه — أنه سبحانه قد حجب الشفاعة عن عباده واختص بها هو وحده ، فسمع العبد وأطاع ووقف عند حده ، ألم يقل الله فى محكم آياته (الله الذى خلق السموات والأرض وما بينهما فى ستة أيام ثم استوى على العرش مالكم من دونه من ولى ولا شفيع أفلا تتذكرون) . فكيف يتخذ لنفسه بعد ذلك ولياً أو شفيعا من دون الله ؟ بل يهتف من أعماق قلبه ليس لى من دونك ياربى ولى ولا شفيع ، ألم يرتجف من الانذار الذى وجهه الله إليه فى كتابه بقوله تعالى (وأنذر به الذين يخافون أن يحشروا إلى ربهم ليس لهم من دونه ولى ولا شفيع لعلهم يتقون) فكيف لا يخاف ويتقى وقد أنذره الله أنه سيحشره إليه ليس له من دونه ولى ولا شفيع ؟ .

أيها المسلمون : إن الله سبحانه وتعالى هو الولى الحميد ، وله سبحانه الشفاعة جميعاً ، فلا تسأل غيره ، ولا ترجو سواه ، ولا تتوكل إلا عليه . وما كفر من كفر ، ولا أشرك من أشرك إلا لاتخاذهم الأولياء والشفعاء من دون الله ، واسمع إلى قول العبد الصالح الذى قال : (ومالى لا أعبد الذى فطرنى وإليه ترجعون ، أأتخذ من دونه آلهة إن يردن الرحمن بضر لا تغن عنى شفاعتهم شيئاً ولا ينقذون . إنى إذاً لفى ضلال مبين) .

أما هؤلاء الذين وصفهم الله بالشرك فأنهم اتخذوا من عباد الله شفعاء كما قال تعالى (ويعبدون من دون الله مالا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله ، قل أتنبئون الله

بما لا يعلم فى السموات ولا فى الأرض ، سبحانه وتعالى عما يشركون) . ألا ما أتعس هؤلاء الجهلة الذين يظنون بالله ظن السوء ، فيزعمون أن شفعاءهم هؤلاء سينفعونهم لا فى الدنيا فحسب بل فى الآخرة أيضا . إنهم عجزوا أن يقدموا لأنفسهم خيراً لأنهم سلموا قيادهم للشيطان فزين لهم حب الشهوات من النساء والبنين والقناطر المقنطرة من الذهب والفضة ، فلم يعرفوا الله فى شىء من ذلك أمرا ولا نهيا ، ولم يطيعوا له فيها حكما ولا شرعا فانسلخوا من آيات الله ، واخلدوا إلى ارض البهيمية والشهوات . ثم زين لهم بعد ذلك أن يتعلقوا بخيوط العنكبوت من الأولياء والشفعاء ، (وإن أوهن البيوت لبيت العنكبوت لو كانوا يعلمون) .

أيها المسلمون : لو أننا تدبرنا آيات الله حق تدبرها ، وتلوناها وفهمناها حق تلاوتها وفهمها ، لوجدنا فيها الشفاء من كل داء ، ولعلمنا أنه لن تنفعنا عند الله شفاعة الشافعين ولن يجدينا عنده إلا سعينا وعملنا بطاعته واتباع أوامره واجتناب نواهيه . وقد قال لنا سبحانه وتعالى (وأن ليس للانسان الا ماسعى . وأن سعيه سوف يرى . ثم يجزاه الجزاء الأوفى) . وهو سبحانه حذرنا فى كتابه قائلا (ويوم تقوم الساعة يبلس المجرمون ، ولم يكن لهم من شركائهم شفعاء وكانوا بشركائهم كافرين) ويحذرنا أكثر من ذلك بقوله تعالى (ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة وتركتم ما خولناكم وراء ظهوركم ، وما نرى معكم شفعاءكم الذين زعمتم أنهم فيكم شركاء ، لقد تقطع بينكم وضل عنكم ما كنتم تزعمون)

هل بقى بعد ذلك عذر لمن يرجو لنفسه النجاة ؟ أليست هذه آيات الله البينات تقطع رجاء كل تعلق بغير الله ؟ لا يغرنك يا أخى ما يروجه الصوفية وسدنة القبور من الباطل الذى لايغنى من الحق شيئا . إن الله سائلك حين توسد قبرك — وهو أول منزل من منازل الآخرة — عن كتابه وعن نبيه صلى الله عليه وسلم ، فهل أعددت الجواب ؟ هل ستقول سمعت الناس يقولون فقلت مثل ما يقولون ؟ أعد الجواب الذى ينجيك فى ذلك اليوم الذى لاريب فيه ، أعرف كتاب ربك ، وأعرف سنة نبيك ، لاتبغ عنهما حولا ، ولا تطلب عنهما بدلا ، فهما وحدهما حبل النجاة ، وفيهما وحدهما الهدى والفوز والرجاء .

أيها المسلمون : إن العاقل الرشيد هو الذى يسير فى حياته على نور وبصيرة ، فى دينه ودنياه ، ولا يليق به أن يتعلق بالخيالات والأوهام ، ويترك الطريق الواضح المنير الذى يجد فيه اليقين والثبات ، وهو طريق كتاب الله وطريق سنة رسوله صلى الله عليه وسلم . أين يجد اليقين من يتخذ من دون الله الأنداد والوسطاء والشفعاء ؟ هل يجده فى كتب المناقب والكرامات التى سودها عباد المقاصير والقباب وصناديق النذور ؟ هل يجده فى كتب الأوراد والأحزاب والدلائل التى زورها المبطلون ليصرفوا الناس عن كتاب الله وحديث رسوله ؟ هل يجده فى حلقات الرقص الماجن التى يسمونها كذبا ذكرا وهو فى الحقيقة عبث وغفلة ؟

لايقين فى شىء من ذلك أبدا ، إنما اليقين فى كتاب الله ، وقد استمعتم أيها الأخوة من آياته المشرقة ما يثلج صدور المؤمنين ، ويملؤها ثقة بالله وحبا وتوكلا عليه إن المؤمن حينما يقرأ فى كتاب الله آيات قدرته سبحانه فى الأرض والسماء وما بث فيهما من مخلوقاته من الكواكب والنبات والحيوان ، وما سخر فيهما من الرياح والسحاب والبحار والأنهار ، إنه حين يقرأ ذلك وأمثاله من دلائل عظمته ورحمته يسجد لله مسبحا مكبرا ، لا تستطيع قوة فى الأرض أن تصرفه عن الله وآياته ليتخذ له الأنداد والشفعاء . إن الشيطان إنما يحتال الغافلين عن آيات الله ، إنما يضل الجاهلين المقلدين الذين لا يطلبون الدين والهدى عند الله وعند رسوله ، بل يطلبونهما عند الشيوخ والآباء .

إن آية واحدة تكفى لهداية من أراد لنفسه الهدى ، فكيف به كله وهو الذى أنزله الله هدى ونورا ؟ اصغ إلى قوله تعالى فى سورة سبأ : (قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لايملكون مثقال ذرة فى السموات ولا فى الأرض ، وما لهم فيهما من شرك ، وما له منهم من ظهير . ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له) ألم يقطع الله سبحانه وتعالى فى هذه الآية كل الأسباب التى يتعلق بها المشركون جميعا ؟ انه سبحانه نفى أن يكون أحد كائنا من كان مالكا لمثقال ذرة فى السموات والأرض ، بل هو مالك الملك وحده ، ونفى أن يكون أحد شريكا معه فيهما ، ونفى ان يكون قد اتخذ منهم معينا وظهيرا فى تدبير ملكه ، ونفى ان يقدر أحد منهم ان يشفع عنده لأحد إلا من بعد إذنه . لقد نفى الله كل مايمكن

أن يتخذه المشرك سببا لشركه . فهل يبقى لمتأول بعد ذلك عذر ؟ فماذا ترجو عند الخلق بعد ذلك ؟ كفى بهذه الآية نورا وبرهانا وقطعا لأصول الشرك وموارده ، ولكن أين العقول التى تفهم ، وأين القلوب التى تتدبر ؟ إنهم يظنون أن هذه الآية وأمثالها نزلت فى السابقين وفى قوم آخرين ، وكأنها أصبحت منسوخة بالنسبة لهم ، أو لا تجرى عليهم أحكامها ولو ارتكبوا مانهى الله عنه فيها ، واتصفوا بالصفات التى ذمها الله فى أهلها ، إن هذا الفهم الخاطىء هو الذى يحول بين العقول وبين فهم القرآن فهماً صحيحاً ، فنسأل الله العفو والعافية فى الدين والدنيا والآخرة . وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله أجمعين .

الخطبة الثـــانية

الحمد لله نحمده ، ونستعينه ونستهديه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادى له .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن نبينا محمداً عبده ورسوله ، أرسله رحمة للعالمين ، وداعياً إلى الصراط المستقيم ، فبلغ الرسالة ، وأدى الأمانة ، ونصح الأمة ، وجاهد فى الله حق جهاده حتى أتاه اليقين ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه ومن اتبعه إلى يوم الدين .

أما بعد : فقد أوضحنا فى الخطبة الأولى أن الله سبحانه وتعالى قد نفى نفياً باتاً قاطعاً أن يستطيع أحد الشفاعة عنده إلا بإذنه ورضاه ، كما بينا جواز الشفاعة فى أمور الدنيا بين الناس بعضهم لبعض إلا أن تكون فى حد من حدود الله أو حكم من أحكامه . روى البخارى ومسلم عن عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها قالت : « إن قريشاً أهمهم شأن المرأة المخزومية التى سرقت ، فقالوا : من يكلم فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقالوا : ومن يجترىء عليه إلا أسامة بن زيد — حب رسول الله ، وابن حبه — فكلمه أسامة ، فتلون وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال : أتشفع فى حد من حدود الله تعالى ، ثم قام فخطب فقال : إنما أهلك من كان قبلكم ، أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه ، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد ، وايم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها » هكذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قوياً فى الحق ، شديداً فى إقامة حدود الله ، صارماً فى تنفيذ أحكام الله ، مع ما كان معروفاً عنه من الدعة والسماحة ولين الجانب ، كما مدحه الله سبحانه فى كتابه بقوله : (فبما رحمة من الله لنت لهم ، ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك) .

مع هذه الشدة والصرامة فى تنفيذ حدود الله وعدم قبول أية شفاعة من أقرب الناس وأحبهم إليه فيها ، كان يشفع فى الأمور الأخرى وكان يأمر أصحابه عليهم رضوان الله أن يشفعوا ، وقد روى البخارى عن ابن عباس رضى الله عنهما فى قصة بريرة وزوجها أنه عليه الصلاة والسلام قال لها : « لو راجعتيه ، فقالت يارسول الله تأمرنى ؟ فقال : إنما أشفع ، فقالت : لا حاجة لى فيه » ، وروى البخارى ومسلم عن أبى موسى الأشعرى رضى الله عنه أنه قال : « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم جالسا ، فجاء رجل يسأل ، وأقبل علينا بوجهه وقال : اشفعوا تؤجروا ، ويقضى الله على لسان نبيه ماشاء » .

كل ذلك فيما بين الناس بعضهم لبعض ، وقد أذن الله فى ذلك بقوله (من يشفع شفاعة حسنة يكن له نصيب منها ، ومن يشفع شفاعة سيئة يكن له كفل منها ، وكان الله على كل شىء مقيتا) أى مقتدراً ، وقال المفسرون : إن الشفاعة الحسنة هى ما كانت لإزالة ضرر أو رفع مظلمة عن مظلوم ، أو جر منفعة لمستحق ، والشفاعة السيئة هى ما كانت فى إسقاط حد ، أو هضم حق ، أو إعطائه لغير مستحق ، أو محاباة فى عمل بما يجر إلى خلل أو زلل ، وللأول نصيبه من الثواب ، وللثانى نصيبه من العقاب ، وهذه الآية وردت فى سياق آيات فى قتال الكافرين والجهاد فى سبيل الله مما حمل فريقاً اخر من المفسرين إلى القول بأن الشفاعة الحسنة هى الإنضمام إلى صفوف المؤمنين بسيفك وإعانة غير القادرين ومدهم بالسلاح والزاد . والشفاعة السيئة هى إلى الوقوف بجانب الكفرة من أعداء الدين أو تخذيل المسلمين عن الجهاد .

هذا كله فى أمور الدنيا كما علمت ، أما فى أمور الدين والعبادة والزلفى عند الله والتقرب إليه بالطاعات ، والتوبة إليه وطلب المغفرة وستر السيئات ، والتجاوز عن الذنوب والعفو عن الخطيئات ، فليس لأحد أن يشفع لأحد ، ولا يقبل منه ذلك أبداً ، ولم يأذن الله تعالى بشىء من ذلك فى كتابه ، ولا على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم ، بل قال الله فى كتابه وعلى لسان نبيه إنه من الشرك الذى لا يغفره ، ولا يقبل منه صرفا ولا عدلا .

أما فى يوم القيامة ، يوم لا ينفع نفس إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت فى إيمانها خيراً ، يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم ، فى هذا اليوم يأذن الله تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم أن يشفع للمؤمنين المخلصين من أمته ، تكريماً له وتشريفا أمام الخلائق جميعاً من ادم عليه السلام إلى اخر واحد من أبنائه ، وليعلم أهل الموقف جميعا استحقاقه وحده للمقام المحمود سأل أبو هريرة رضى الله عنه رسول الله صلى الله عليه

وسلم من أسعد الناس بشفاعتك ؟ فأجاب : « من قال لا إله إلا الله خالصا من قلبه » فشفاعته لأهل التوحيد والإخلاص من أمته ، فلا مطمع فيها إذن لمن كان فى قلبه مثقال ذرة من شرك ، لا مطمع فيها لأولئك الذين اتخذوا الأنداد من الموتى والأحياء من الأولياء والصالحين بزعمهم ، لا مطمع فيها لأولئك الذين توجهوا بدعائهم ونداثهم ونذورهم ورجائهم لغير الله .

وقد فصلت دواوين الأحاديث النبوية الشفاعات التى ستكون لرسول الله صلى الله عليه وسلم يوم القيامة ، فمنها الشفاعة العظمى التى يتأخر عنها أولوا العزم من الرسل عليهم السلام حين تهرع إليهم الخلائق ليشفعوا لهم إلى ربهم حتى يريحهم من مقامهم فى الموقف ، فيعتذر كل منهم بما كان منه ويستحى أن يتقدم إلى الله ، فإذا انتهوا إليه صلى الله عليه وسلم يقول . أنا لها أنا لها ، ثم يتقدم حتى يسجد تحت عرش الرحمن فيسبح لله ويحمده ، ولا يبدأ بالشفاعة أولا ، فيقال له . ارفع رأسك ، وقل يسمع ، وسل تعطه ، واشفع تشفع . عند ذلك يشفع لأهل الموقف ، وهذه شفاعة يختص بها رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يشاركه فيها أحد .

ومن شفاعاته شفاعته لأهل الجنة فى دخولها ، وشفاعته لقوم من العصاة من المؤمنين من أمته قد استوجبوا النار لاتباعهم للشهوات فلا يدخلوها ، وشفاعته لطائفة منهم قد دخلوا النار بذنوبهم فيخرجون منها ، وشفاعته لقوم من أهل الجنة فى زيادة ثوابهم ورفع درجاتهم ، وغير ذلك من الشفاعات التى لن تكون للمشركين ولكنها ستكون لأهل التوحيد من المؤمنين ممن قد تغلبهم أحيانا نزواتهم وشهواتهم ، وحظوظ نفوسهم وغضبهم وتكالبهم على الدنيا فيستحقون عليها العقاب ، فيغفر الله لهم بشفاعة الرسول عليه الصلاة والسلام .

اللهم اجعلنا من الذين يسعدون بشفاعة نبيك يوم القيامة ، بحبنا وطاعتنا لك ، وحبنا وطاعتنا له ، اللهم جنبنا الزلل والخطأ ، ووفقنا إلى الرشد والصواب . اللهم أرنا الحق حقا وارزقنا اتباعه ، وأرنا الباطل باطلا وارزقنا اجتنابه . ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة ، وقنا عذاب النار . وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى اله ومن تبع هداه واستن بسنته إلى يوم الدين .

سليمان رشاد محمد

العدد ٦ | جمادى الآخرة
المجلد ٢٨ | سنة ١٣٨٣

خير الهدى هدى محمد صلى الله عليه وسلم

الهدي النبوي

تصدرها جماعة أنصار السنة المحمدية

رئيس التحرير
عبد الرحمن الوكيل

مدير الإدارة
سليمان رشاد محمد

مطبعة السنة المحمدية
١٧ شارع شريف باشا الكبير
ت ٩٠٦٠١٧

٣٠ مليما

الفهرس

صفحة

صفحة	الموضوع	الكاتب
٣	التفسير	للأستاذ الشيخ عبد الرحمن الوكيل
١٩	حرية الفكر فى الإسلام	للأستاذ الشيخ عبد الحليم حسين ملاق
٢٣	غزوات الرسول صلى الله عليه وسلم . .	للأستاذ سعد صادق محمد
٣٧	عقيدة القرآن والسنة	للأستاذ الشيخ محمد خليل هراس
٤٢	نظرات فى التصوف . . . . »	الشيخ عبد الرحمن الوكيل
٤٧	ذكريات (قصيدة)	للأستاذ نجاتى عبد الرحمن
٥٠	صراع بين الحق والباطل	

رئيس التحرير

عبد الرحمن الوكيل

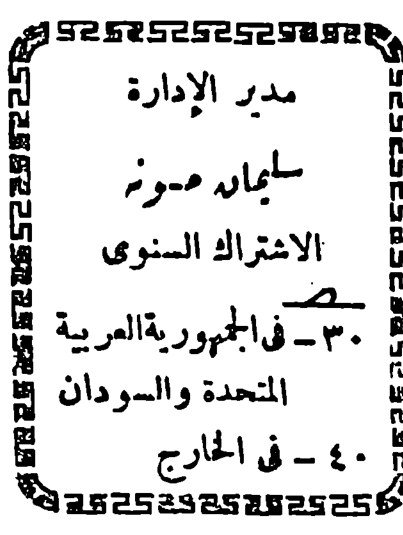
أصحاب الامتياز : ورثة

الشيخ محمد حامد الفقى

خير الهدى هدى محمد صلى الله عليه وسلم

الهدى النبوى

مجلة شهرية دينية


مدير الإدارة

سليمان حسونه

الاشتراك السنوى

٣٠ قرشا في الجمهورية العربية المتحدة والسودان

٤٠ – في الخارج

المركز العام : ٨ شارع قوله — عابدين القاهرة — تليفون ٧٦٥٧٦

العدد ٦ — جمادى الآخرة سنة ١٣٨٣ — المجلد ٢٨

نور من القرآن

بسم الله الرحمن الرحيم

قال – جل ذكره – : (ولقد صَرَّفنا فى هذا القرآن للناس من كل مَثَل ، وكان الإنسانُ أكثَرَ شىء جدَلاً . وَمَا مَنَعَ الناسَ أن يُؤمِنوا إذ جاءهم الْهُدَى ، ويَسْتَغْفِروا ربهم إلّا أن تأتِيَهُمْ سُنَّةُ الأوّلينَ ، أو يأتيهُمُ العذابُ قُبُلا . وما نرسل المُرْسَلِينَ إلا مُبَشِّرِينَ ومُنْذِرِين ، ويُجادِلُ الذين كفروا بالباطلِ ؛ لِيُدْحِضُوا به الحقَّ ، واتَّخَذُوا آياتى ، وما أُنذِروا هُزُوًا – الكهف : ٥٤ — ٥٦) .

« معانى المفردات »

« شىء » فى اللسان : إن الشىء مذكر ، وهو يقع على كل ما أخبر عنه ، وعند الراغب : « الشىء هو الذى يصح أن يعلَم ، ويخبر عنه . وعند كثير من المتكلمين : هو اسم مشترك المعنى إذا استعمل فى الله وفى غيره ، ويقع على الموجود والمعدوم . وعند بعضهم الشىء عبارة عن الموجود .

ونقل الزبيدى صاحب « تاج العروس فى شرح القاموس » قول سيبويه عن كلمة شىء ، وأنها بمذكر يقع على كل ما أخبر عنه ثم قال : « قال شيخنا والظاهر أنه مصدر بمعنى اسم المفعول أى الأمر المراد الذى يتعلق به القصد ، فيتناول الواجب والممكن والممتنع وقال الراغب : الشىء عبارة عن كل موجود إمّا حيًّا كالأجسام ، أو معنى كالأقوال ، وصرح البيضاوى وغيره بأنه يختص بالموجود ، وقد قال سيبويه : إنه أعم العام . و بعض المتكلمين يطلقه على المعدوم أيضًا كما نقل عن السعد . وضُعِّف . وقالوا : من أطلقه ـ أى على المعدوم ـ محجوج ـ أى تقام عليه الحجة ـ بعدم استعمال العرب ذلك ، كما علم باستقراء كلامهم و بنحو : « كل شىء هالك إلا وجهه » إذ المعدوم لا يتصف بالهلاك . و بنحو « وإنْ من شىء إلا يسبح بحمده » إذ المعدوم لا يتصور منه التسبيح » انتهى كلام الزبيدى(١) .

« صَرَّفنا » قال الراغب : الصَّرْف رد الشىء من حالة إلى حالة أو إبداله بغيره ، والتصريف كالصرف إلا فى التكثير ، وأكثر ما يقال فى صرف الشىء من حالة إلى حالة ، ومن أمر إلى أمر .

« جدلا » قال الراغب : الجدال : المفاوضة على سبيل المنازعة والمغالبة ، وأصله من جَدَلْتُ الحبل أى أحكمت فتله ، وقال ابن فارس عن أصل الكلمة أنه من باب استحكام الشىء فى استرسال يكون فيه ، وامتداد الخصومة ومراجعة الكلام .

« سنة » : للكلمة أصل واحد مطرد هو جَرَيانُ الشىء واطراده فى سهولة . والأصل قولهم سَنَنْتُ الماء على وَجْهى أسنه سَنًّا إذا أرسلته إرسالا ، ومما اشتق منه السنة وهى

---

(١) نخرج من هذا كله بأنها لا تقال إلا على الموجود ، وبأنها أعم كلمة . ولقد أطلت عمداً ليتبين لنا أن لغة العرب تعرضت للأهواء . وتجاذب المتكلمون والفلاسفة بعض كلماتها ، لتطابق معتقداتهم . كما ترى فى كلمة شىء ، فلنكن على حذر مما تنطوى عليه بعض المعاجم .

السيرة . وجاءت الريح سنائن إذا جاءت على طريقة واحدة . وقال ابن الأثير فى النهاية عن السنة : الأصل فيها الطريقة والسيرة .

« قُبُلا » : قال صاحب اللسان : رأيته قُبُلا وقبلا أى مقابلة وعيانا ، وقد تكون جمع قبيل أى الجماعة ، أى يأتيهم العذاب ضروبا وأنواعا . وعلى قراءة قِبَلا يكون معناها : معاينة .

« يدحِضوا » أصل الكلمة « دحض » يدل — كما يقول ابن فارس — على زوالٍ وزَلَقٍ ، يقال : دحضت رجله : زلقت ، ودحضت الشمس : زالت ، ودحضت حجته : لم تثبت .

« هزوا » قال الراغب : الهزؤ مَزَح فى خفة ، وقد يقال لما هو كالمزح . وفى اللسان الهزء والهزُء : السخرية .

« المعنى »

قال علماء اللغة : أصل المثول الانتصابُ ، والممثَّل المصوَّر على مثال غيره ، والمَثَل عبارة عن قول فى شىء يشبه قولا فى شىء آخر بينهما مشابهة ؛ ليبين أحدهما الآخر ، ويصوره . وقد يعبر به عن وصف الشىء .

وقال ابن السِّكِّيت : المثل : لفظ يخالف لفظ المضروب له ، ويوافق معناه معنى ذلك اللفظ ، شبهوه بالمثال الذى يعمل عليه غيره .

وقالوا سُميت الحِكَمَ القائم صدقُها فى العقول أمثالا لانتصاب صُورها فى العقول .

وقالوا : يجتمع فى المثل أربعة لا تجتمع فى غيره من الكلام : إيجاز اللفظ ، وإصابة المعنى ، وحُسْنُ التشبيه ، وجودة الكناية ، فهو نهاية البلاغة .

وقال ابن المقفع عن فائدة المثل : إذا جُعل الكلام مثالا كان أوضح للمنطق ، وآنق للسمع ، وأوسع لشعوب الحديث[1] فالمثل — إذن — قول محكم يعيننا على تصور الحقيقة

(١) الراغب فى مفرداته ، ومجمع الأمثال للميدانى .

تصوراً تاما يتمثل وجدانا صحيحا فى القلب ، وفكراً سليما فى العقل .

ولقد تكلمت من قبل عن أمثلة القرآن ، والحكمة منها ، وذكرت بعضها ، وتبين لنا من هذه الأمثلة أنها فى بيانها فوق سماء ينحسر دونها كل بيان أتى به قرون البلاغة والفصاحة والبيان ، لأنها كلام الله بألفاظها وحروفها ، لا كلام جبريل ، ولا كلام محمد ، ولا صياغة من أحدهما للمعانى الإلٰهية فى هذه الألفاظ التى نتلوها ، كما تبين لنا منها أنها تشرق فى أفق الحكيم والعالم والفيلسوف والأمى ، أعنى أن كلا منهم يفهمها إذا توجه إليها بالفكر والقلب الشاعر . غير أن من يحسن تدبرها يناله منها نصيب أوفى وأوفر . وقد يكون المثل قصة طويلة أو موجزة ، وقد وقعت أحداثها ، وأثبتها تاريخ الصدق والحق فى سجله . وقد يكون قصة يتجدد وقوعها فى الحياة ، وقد يكون حكمة زهراء ، وحجة بيضاء .

وأذكر بمثلين من سورة الكهف سبق تفسيرهما . أما الأول فقصة وقعت أحداثها ، وهى قصة صاحب الجنتين مع صاحبه المؤمن . ومن يقرأ آياتها ، ويتدبرها يتجلى له - دون ريب — أنها آيات قصة حدثت ، لا قصة يمكن أن تحدث فى المستقبل فحسب .

وأما الآخر فقصة يتجدد وقوعها ، ويشهدها الحس . وهى قصة الماء الذى ينزله الله من السماء ، فيختلط به نبات الأرض .

وقد جعل الله من هذين مثلاً للحياة الدنيا .

وقد ذكر الله سبحانه فى القرآن أمثلة عديدة ، بل ما ترك حقيقة تهدى الإنسان إلى الحق الذى أوحاه الله إلا وضرب لها مثلا .

وجاء بهذه الأمثال على وجوه مختلفة ، ولكنها على اختلافها تهدى إلى ما يحب الله أن يُهدِى إليه عباده . وقد يضرب للحقيقة الواحدة أمثالاً كثيرة يختص كل مثل منها ببيان ناحية منها قد يغفل الفكر البشرى عن الانتباه إليها ، وترى هذا واضحاً فيما يضرب به الله من أمثال تكشف عن طبيعة الكافر والمشرك والمنافق : فقد ذكر — مثلا —

للمنافقين فى سورة البقرة مثلين متتاليين ، فجعلهم كالذى استوقد ناراً .. إلى آخر المثل ، وجعلهم كالمطر الشديد الذى ينهمر من السماء .. إلى آخر المثل . ولا تكرار مما يعيبه فطاحل البلاغة ؛ فإنما يتعلق كل منهما بالكشف عن طبيعة من طبائع المنافق ، أو عن حال من أحواله . كما ذكر فى سورة البقرة عدة أمثلة لمن ينفق ماله فى سبيل الله ، فما ينفقه كحبة أنبتت سبع سنابل ، وهو كجنة بربوة أصابها وابل ، فآتت أكلها ضعفين .

ومن إعجاز أمثلة القرآن اتخاذها الشكل الواحد فى مثلين متباينين . فقد جيء بالوابل ـ وهو المطر الشديد ـ فيما ضرب به الله من مثل لمن ينفق ماله ابتغاء مرضاة الله ، وجيء به أيضاً فيما ضرب به الله من مثل لمن ينفق ماله رئاء الناس(١) !!

كما ذكر عدة أمثلة لمن ينفق ماله فى سبيل الشيطان فهو كصفوان ـ أى حجر ناعم ـ عليه تراب ، فأصابه مطر شديد ، فتركه صلداً ـ أى أملس ليس عليه شيء ـ وفى مثل آخر شبه ما ينفقه بريح فيها صر أصاب حرث قوم ظلموا أنفسهم .

هكذا صرّف الله الأمثال فى القرآن أى جاء بها على وجوه عديدة . فيضرب لهذه الحال مثلاً ، ثم يضرب لأخرى مثلا غيره ، ثم يعود فيضرب للأولى مثلا آخر غير المثل الأول ، وهكذا .

هذا البسط ، وهذا التنويع أو التصريف فى الأمثلة يمثل الحقيقة تمثيلاً مشرقاً فى فكر الإنسان وقلبه ، فلا يرتاب فى شيء منها ، ولا يبقى جانب منها غير بين . وتدبر قول الله سبحانه :

(ولقد صرّفنا فى هذا القرآن للناس من كل مَثَل) لقد ذكر فى سورة الإسراء قوله

---

(١) هكذا ترى الأمر بيد الله سبحانه ، فلا تيأس إذا ابتليت بما تظن أنه شر . فقد يجعله الله خيراً كالوابل بالنسبة للجنة . ولا تغتر ؛ فقد يبتليك الله بما تظنه خيراً فإذا هو ـ بسعيك ـ شر كبير . وتدبر قول الله سبحانه : (وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم ، وعسى أن تحبوا شيئاً ، وهو شر لكم ، والله يعلم وأنتم لا تعلمون ـ البقرة ٢١٦) .

سبحانه : (ولقد صَرّفنا للناس فى هذا القرآن من كل مثل) . ولقد سبق تفسير آية الاسراء غير أنى أشير هنا إلى أن آية الاسراء جاءت بالجار والمجرور وهو « للناس » عقب الفعل : « صرفنا » على عكس آية الكهف وهذا يفيد ـ والله أعلم ـ أن العناية فى سورة الاسراء كانت بذكر تصريف الأمثلة للناس أكثر من العناية بذكر تصريف الأمثلة فى القرآن والعناية بذكر تصريف الأمثلة فى القرآن فى سورة الكهف يناسب ما قبله تماما ، فقد ذكر قبل هذه الآية ، وعلى قرب منها عدة أمثلة .

وكلمة « للناس » تشمل ؛ فالأمثلة تستهدف هداية الناس جميعاً لا طائفة معينة ، ولا شعباً بذاته ، كما كان يفهم بنوا إسرائيل و « من كل مثل » تؤكد لنا هذه «الكلية » أن فى القرآن مثلاً لكل حقيقة تهدى الانسان سواء السبيل الذى يصل به إلى رضوان الله سبحانه .

للايمان أمثلة وللكفر أمثلة ، وللشرك أمثلة ، وللنفاق أمثلة ، وللرياء أمثلة ، وللعمل الناتج عن كل منها أمثلة . وللدنيا وزينتها أمثلة ، وللكلمة الطيبة ، والعمل الطيب ، وللكلمة الخبيثة ، والعمل الخبيث وللآخرة وما فيها .

أما الله سبحانه فله المثل الأعلى فى السموات والأرض . أما نوره فمثله مذكور فى سورة النور : فما ترك الله من شىء إلا وضرب له مثلاً .

والله لا يستحيى أن يضرب مثلا ما بعوضة فما فوقها . ولهذا ضرب مثلا للذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها ، بالحمار يحمل أسفاراً ، وللذين يدعون من دون الله أولياء بالعنكبوت اتخذت بيتاً ، وبالذى آتاه الله آياته ، ثم انسلخ منها بالكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث فما استحيا من ذكر الحمار أو الكلب أو العنكبوت[1] .

---

(١) من إعجاز القرآن أنك تشعر وأنت تقرأ بأنه كان لا بد وأن يذكر هذا الحيوان ولا تستشعر أبداً بحياء من ذكر هذه الكلمة كما تشعر أحيانا ، وأنت تأتى بها فى سياق آخر غير سياق الآية القرآنية ثم إنك تدرك عقب التدبر ما بين طرفى المثل من تشابه قوى ، حتى ليكاد يكون كل منهما عين الآخر ، تدبر اليهودى الذى يحمل فى رأسه مكتبة ، والحمار الذى يحمل كتباً . كل هذا تشعر به فى قلبك وتفهمه بعقلك .

فكان الانسان والحيوان والجماد مضرباً للأمثال القرآنية ، فهذا نوع آخر من تصريف الأمثلة في القرآن .

« وكان الإنسان أكثر شيء جدلا » الإتيان بالفعل « كان » يدل على ثبوت هذه الصفة وتحققها للإنسان دون ارتباط بزمن مقيد ، أي يدل على أن ما بعد كان وصف لازم للإنسان لا ينفك عنه . فالإنسان في ماضيه كان أكثر شيء جدلا ، والإنسان في حاضره هو أكثر شيء جدلا ، والإنسان في مستقبله سيكون أكثر شيء جدلا ، وشأن كان هنا كشأنها في قوله سبحانه : (وكان الإنسان كفوراً) (وكان الإنسان قَتُورا) (وكان الشيطان للإنسان خذولا) (وكان الشيطان لربه كفورا) فهي ليست كَيْنُونة الماضي فقط ، ولكنها كينونة الحاضر والمستقبل أيضاً ، وتأمل أيضاً : (وكان الله غفوراً رحيماً) فهي لا ترتبط المعنى بزمن مقيد كما ترى ، غير أنها مع الإنسان والشيطان لها زمن ذو بداية ونهاية . أما هي مع الله فأزليّة أبدية .

والإتيان بهذه الحقيقة وهو أن الإنسان أكثر جدلا بعد ذكر تصريف الأمثلة في القرآن يوضح لنا عمه الجحود الإنساني ويدمغه بأنه عقل جاف غليظ . كما يوضح مدى استكباره وعناده حتى ليرى ألق الشمس ويزعم أنه سواد ليل مركوم السحب والظلمات .

« أكثر شيء » ذكر كلمة « شيء » يحشد في ذهن القارىء كل « شيء » سواء أكان إنساناً أم غير إنسان ، فيحمله هذا على المقارنة بين الإنسان وغيره من الأشياء فيرى بعضها لا يمكن أن يتأتى منه جدل مطلقاً ، ويرى بعضها الآخر يمكن أن يتأتى منه جدل ، ولكنه مع هذا يرى الإنسان أكثر منه جدلا ، ومن الجدل ما يستهدف شراً ، ومنه ما يستهدف خيراً ومن هذا الأخير جدال إبراهيم عليه السلام لله حينما نبأته الملائكة بنبأ قوم لوط ، ولقد كان إبراهيم يستهدف من هذه المجادلة أن يعفو الله عن قوم لوط . أو يخفف عنهم من عذابه ؛ ولهذا ذكر الله عن إبراهيم : (إن إبراهيم لحليم أوّاهٌ منيب) كما نصحه بقوله : (يا إبراهيم أعرِضْ عن هذا إنه قد جاء أمرُ ربِّك ، وإنهم آتيهم عذابٌ غيرُ مردود ـ هود : ٧٥ ، ٧٦) .

حتى الجدال الذى يظن صاحبه أنه يستهدف به الخير يعظنا الله رب العالمين أن نقلع عنه بل يوجب علينا أن نعرض عنه ، ولا سيما إذا كان جدالا فى أمر بين واضح .

الجدال لإثبات حق : حتى فى هذا يوجب الله سبحانه أن يكون الجدال بالتى هى أحسن . يقول الله سبحانه : (ولا تُجادِلُوا أهل الكتاب إلا بالتى هى أحْسَنُ[1] إلا الذين ظلموا منهم ـ العنكبوت : ٤٦) الجدال لإثبات الحق يجب أن يكون كما ترى إلا مع الفئة الظالمة الباغية على الحق (ادعُ إلى سبيل رَبِّك بالحكمةِ والموعظة الحسنةِ وجادِلْهُمْ بالَّتِي هى أحْسَنُ ـ النحل : ١٢٥) .

لا تمادى فى الجدل بعد ظهور الحجة : تَبْدَه حجتك الخصم ، وتشعر أنت شعوراً صادقاً و يشعر هو شعوراً قاهراً أنه غلب على أمره غير أنه ـ عناداً ـ يأبى أن يقر بالهزيمة ، ويتمادى فى غي جدله بما لا يصلح أبداً أن يطرق سمع إنسان ، هنا يجب الإجهاز على ما بينك و بينه من جدال بكلمة موجزة محكمة ، تدبر قول الله سبحانه : (وادعُ إلى رَبِّك إنك لعلى هدى مستقيم ، و إن جادلوك فقلِ : الله أعلم بما تعملون ـ الحج . ٦٧ ، ٦٨)

يحرم الجدال عن الخائن : فالله تعالى يقول :(ولا تجادل عن الذين يَخْتَانُون أنفسَهم ، إن الله لا يُحبُّ من كان خَوَّانا أثيما ـ النساء : ١٠٧) فليتق الله قوم يعرفون من المجرم أنه مجرم ، ومع هذا يلقنونه شهادة الزور وكلمة الباطل و يحامون عنه .

الجدال فى آيات الله كفر : فالله يقول : (ما يُجادل فى آيات الله إلاَّ الذين كفروا فلا يَغْرُرْكَ تَقَلُّبُهُمْ فى البلاد ـ غافر : ٤) وختام الآية فيه تعزية وتأسية وقضاء على همسة الشك فى نفس المسلم حين يرى أعداء الحق ، وهم فى جاه وسلطان وغنى وفير وعيش خفيض ميسور ، و يقصد بالجدال فى آيات ، الجدال بغية العدوان عليها ، الجدال

---

(١) هدانا الله هنا إلى نوع من المجادلة بالتى هى أحسن . وهذا فى قوله فى هذه الآية: (وقولوا آمنا بالذى أنزل إلينا ، وأنزل إليكم وإلهنا وإلهكم واحد ، ونحن له مسلمون)

لتحريف الكلم فيها عن مواضعه ، الجدال لإثبات أنه لايراد بها ظاهرُها ومعناها أما الجدال لإثبات أنها حق ، وأنها كما أنزل الله دون تحريف أو تأويل يصرفها عن المراد منها ، فهذا ليس بكفر ، وإنما هو واجب بشروطه

جدال الكافر وحى من الشيطان : فالله يقول : (وإن الشياطينَ لَيُوحُون إلى أوليائهمْ ؛ ليجادلوكُمْ وإنْ أطَعْتُمُوهُمْ إنكم لَمُشْرِكون ـ الأنعام : ١٢١) ، فالجادل بالباطل ولى الشيطان ، ومن يرضخ للجدال بالباطل يتردى فى هاوية الشرك الملعون .

الكبر هو مصدر الجدال بالباطل . فالله يقول (إن الذين يُجادِلون فى آيات الله بغير سُلْطانٍ أتاهم إنْ فى صدورِهِمْ إلاَّ كِبْرٌ ماهم ببالغيه ، فاسْتَعِذْ بالله إنه هو السميعُ العليم ـ غافر : ٥٦) وهى حقيقة مشهودة تكاد تُلْمَس لمسا . فأنت لا ترى مجادِلا بالباطل إلا وهو يتنزّى كبراً بغيضاً وحقداً محموماً على الحق وأهله . والله ـ جل شأنه ـ يعد ، ووعده الحق أن هؤلاء لن يبلغوا لهم إرْباً يمكنهم من دحض الحق والقضاء عليه ، فسيظل الحق ـ بإذن الله ـ فى إشراقه الأعظم لتقبس منه قلوب المؤمنين وأرواح المسلمين نوراً يقضى على كل ظلمة .

أنواع المجادلين ، أو شروط الجدل : فئة تجادل عن جهل وتقليد لجاهل هو شيطان مريد فى كفره وجحوده . ولعلك قد ابتليت من هؤلاء بعديد . وتلقاهم كثيراً بين صفوف الطرق الصوفية ، إذ يتصدى لك « درويش » فى حماقة الجهل وجهل الحماقة ؛ ليجادلك عن جهل وكفر ، على حين يخنس شيطانه الإنسى مخافة أن يفتضح جهلُه . يقول ربنا سبحانه : (ومِن الناس مَنْ يُجادل فى اللهِ بغير علم ، ويتبعُ كُلَّ شيطانٍ مَرِيدٍ[١] . كُتِب عليه أنَّه مَنْ تَوَلاَّه فأنه يُضِلُّه ، ويهديه إلى عذابِ السعير) ـ الحج : ٣ ، ٤ ـ وفئة تتصدى هى بنفسها للجدال بغية إضلال الناس ، وما لجدالها سبب

(١) متجرد للفساد شديد فيه .

يصلها بعلم صحيح ، أو هدى صريح ، أو نقل عن كتاب يضيء الحق فيه . هذه الأحبار وشيوخ الطرق ، والمذهبية الحمقاء الرعناء . ومن على شاكلتهم . تدبر قول ربنا سبحانه : (ومن الناسِ مَنْ يُجادل في الله بغير علم ، ولا هُدًى ، ولا كتابٍ مُنير . ثانِيَ عِطْفِه ، لِيُضِلَّ عن سبيل اللهِ . له في الدنيا خِزْيٌ ، ونُذيقه يوم القيامة عذابَ الحريق . ذلك بما قدَّمت يداك ، وأنَّ اللهَ ، ليس بظلاَّم للعبيد ـ الحج ٨ ـ ١١) تدبر قوله : (ثانِيَ عطفه » لتلحظ التعمد المرذول ، والكبر المقيت والعناد الأحمق ، وتدبر « ليضل عن سبيل الله) ليتبين لك أن غايته من جداله هي هذه ، وأن هؤلاء يعرفون الحق ، ولكنهم يجحدون به .

والفرق بين هؤلاء وأولئك . أن الفئة الأولى تمثل الأتباع الجهلة ، أما الأخرى فتمثل المتبوعين الجاحدين .

وقد كشفت آية أخرى في سورة « لقمان » عن مبلغ علم هؤلاء ففي سورة لقمان وردت آية مثل آية الحج المختومة بقوله « ولا كتاب منير » ثم جاءت بعدها هذه الآية (وإذا قيل لهم : اتَّبِعُوا ما أنزل الله قالوا : بل نتبع وجدناها عليه آباءنا . أَوَلَوْ كان الشيطان يدعوهم إلى عذاب السعير ١٢ ـ لقمان : ٢١) حتى هؤلاء ليس عندهم من علم يخرجونه للناس ، وإنما لديهم عبادة للتراث الملعون تراث وحي الشياطين . لديهم كتب تنابذ كتاب الله . لديهم موروثات قولية تناهض الحق من كتاب الله . لديهم عصبية لشيخ ما ونزواته وشطحاته . ثم تبين الآية أنهم لا يأخذون ما وجدوا عليه الآباء حقيقة ، ويأخذون دعوة الشيطان الذي دعا آباءهم إلى النار ، كما دعا آباءهم ، وهكذا التقليد ، فإنه مرتبط الأسباب والمصير بالشيطان .

هذا يؤكد لنا أن كل منحرف عن الحق ، ليست لديه حجة ، وإنما هو وهم من الباطل ، وهمز من الشيطان يتراءى بأنه وَحْيٌ مُطَيَّب برضوان الله ومن الآيات نفسها نستنبط ما يجب أن يكون عليه المجادل من ثقافة ! ! المجادل الذي لا يمقت اللهُ جدالَه .

أولا : أن يكون على علم .

ثانياً : أن يكون على هدى ، مطبقاً لما علم ولما اهتدى إليه .

ثالثاً : أن يكون مستنداً في جداله إلى نقل صحيح صريح مشرق الحق والآيات ، وليس أجدر من كتاب الله بهذه الصفات .

الجدال في الآخرة : هؤلاء الحمقى المأفونون الذين يجادلون بالباطل عن شيوخهم وأضرحتهم وأصنامهم وتراثهم وكتبهم الضالة ، ويتفانون في سبيل الذياد عنها ، سيأتون الله يوم القيامة فرادى ، ولن يهب أحدهم للجدال عن شيخه أو صنمه أو كتابه الضال وإنما سيحاول عن نفسه فقط : (يَوْمَ تأتى كلُّ نفسٍ تُجادِل عن نَفْسِها ، وتُوَفَّى كلُّ نفسٍ ما عمِلت ، وهُمْ لا يَظلَمون — النحل : ١١١) .

ألوان من جدال الإنسان : يقص الله علينا في القرآن من قصص جدل الإنسان في كثير من آياته ، وإليك بعضها : (ومِنْهُمْ مَن يستمع إليك ، وَجَعَلْنَا على قلوبهم أكِنَّةً أنْ يَفْقَهوهُ وفي آذانِهم وَقْرًا ، وإن يَرَوْا كلَّ آيةٍ لا يُؤمنوا بها حتى إذا جاءوك يُجادِلونك يقول الذين كفروا إن هذا إلا أساطير الأولين — الأنعام : ٢٥) .

وعن الملأ من قوم نوح يقص الله : (فقال المَلأُ الذين كفروا من قومه : ما هذا إلا بَشَرٌ مثلُكم يريد أن يتفضّل عليكم ، ولو شاء الله لأنزل ملائكةً ما سَمِعْنا بهذا في آبائنا الأولين . إنْ هُوَ إلا رجُلٌ به جِنَّةٌ فتربَّصُوا به حتى حين ـ المؤمنون . ٢٤ ، ٢٥) .

وعن الملأ من قوم رسول آخر لعله صالحا : (وقال الملأُ من قومه الذين كفروا ، وكذبوا بلقاء الآخرة ، وَأتْرَفْنَاهُمْ في الحياة الدنيا : ما هذا إلا بَشَرٌ مثلُكمْ يأكل مما تأكلون منه ، ويشرب مما تشربون . ولَئِنْ أطَعْتُمْ بَشَرًا مثلَكم إنكم إذاً لَخاسِرون. أيَعِدُكم أنكم إذا مِتُّمْ وكنتُم تُراباً وعظاماً أنكم مُخرَجون . هَيْهاتَ هَيْهَاتَ لما توعدون . إنْ هِيَ إلا حياتُنا الدنيا نموت ، ونحيا ، وما نحن بمبعوثين . إن هو إلا رَجُلٌ افترى على الله كذباً ، وما نحن له بمؤمنين ـ المؤمنون : ٣٣ ـ ٣٨) .

وعن جدال قوم محمد صلى الله عليه وسلم يخبرَ الله بقوله : (وإذا تُتلَى عليهم آياتُنا . قالوا : قد سَمِعنا ، لو نشاء لقلنا مِثْلَ هذا ، إنْ هذا إلاّ أساطيرُ الأوّلين . وإذ قالوا : اللهمَّ إن كان هذا هو الحقَّ من عندِكَ ، فأمْطِرْ علينا حجارةً من السماء ، أو ائتنا بعذابٍ أليم ـ الأنفال ؛ ٣١ ، ٣٢) .

وعن جدال أصحاب القرية التى جاءها المرسلون يخبرنا الله بقوله : (قالوا : ما أنتُمْ إلاّ بَشَرٌ مِثْلُنَا ، وما أنزل الرحْمٰنُ من شَيْء إنْ أنتُمْ إلا تَكْذِبون) ثم تدبر قول الرسل بعد هذا : (قالوا : رَبُّنَا يعلم إنا إليكم لَمُرْسَلون . وما علينا إلا البلاغُ المُبين) تدبر غِلظ الجحود وعُتُوَّ العناد السائل فى موقف أصحاب القرية . ثم تدبر جمال الإيمان ورحمة القلب ، وصفاء الروح فى رد المرسلين ثم رد أصحاب القرية بقولهم الذى أخبر الله عنه بقوله (قالوا : إنا تَطَيَّرْنا بكم ، لَئِنْ لَمْ تَنْتَهُوا لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُمْ مِنَّا عذاب أليم ـ يس : ١٥ ـ ١٨) .

الجادلة فى الأولياء : لقد جادل المشركون من قبل عن اتخاذهم الأولياء شركاء بقولهم الذى يخبر الله عنه بقوله : (والذين اتخذوا من دُونِهِ أولياء ما نعبدُهم إلا لِيُقَرِّبونا إلى اللهِ زُلْفَى ـ الزمر : ٣) ، (وَيَعْبُدُون من دونِ الله ما لا يَضُرُّهُمْ ، ولا يَنْفَعُهُمْ ، ويقولون هٰؤلاء شُفَعاؤنا عند الله ، قُلْ أتنبِّئُون الله بما لا يَعْلَمُ فى السمواتِ ، ولا فى الأرض . سُبْحَانه وتعالى عَمّا يُشْرِكون ـ يونس . ١٨) فمن يسند الشفاعة فيه إلى أحَدٍ ، فقد جعله شريكاً من دون الله ، ولا سيما حين نسندها إلى من نجهل عاقبته . فلله وحده الشفاعة جميعاً . ونحن نجهل ما يأتى : أيقبل الله شفاعة الشافعين فينا أم لا ، أيأذن الله لهذا أو ذاك بالشفاعة أم لا . أما من جاءت الأحاديث بذكر شفاعتهم ، فهؤلاء أيضاً لا تدرى أنت أيُشَفِّعُهم الله فيك أم لا ؟ ثم هم لا يملكون شفاعةً ، ولا يشفعون من أنفسهم . ان يشفعوا إلا بعد أن يأذن الله لهم : (قل : لِلّهِ الشفاعةُ جميعاً له مُلكُ السَّمٰوات والأرضِ ، ثم إليه تُرْجعون ـ الزمر : ٤٤) وأنت وأنا نلحظ أن الجدال عن عبادة الأولياء بهذه الصورة هو نفس جدال الناس عنهم اليوم ، فماذا تحكم عليهم ؟ !

جدال المشرك يوم القيامة : حتى فى يوم القيامة يظل عُبَّاد الأولياء على جحودهم زاعمين أن دعاءهم للأولياء وتوسلهم بهم لم يكن شركا . تدبر قول الله سبحانه : (ويوم نحشرهم جميعاً ، ثم نقول للذين أشركوا : أين شركاؤكم الذين كُنْتُم تزعمون . ثم لم تكن فِتْنَتُهُم إلاّ أن قالوا : واللهِ رَبِّنَا ما كُنَّا مُشْرِكين . انظر كيف كَذَبوا على أنفسهم ، وضَلَّ عنهم ما كانوا يَفْتَرُون ـ الأنعام : ٢٢ ـ ٢٤) ، وبمثل دعوى هؤلاء يتذرّع من ورثوا عنهم شركهم !!

الجدال فى المشيئة فى الآخرة مثل الدنيا : يعتذر كثير من الناس عن شركهم وكفرهم وضلالهم بأنها مشيئة الله ، فيسندون إلى مشيئة الله الجور والبغى ، وقد جادل المشركون فى مشيئة الله بما يقصه الله : (سَيَقُولُ الذين أشركوا لو شاء اللهُ ما أشْرَكْنا ، ولا آباؤُنا ، ولا حرّمنا من شىء ، كذلك كذَّبَ الذين من قبلهم حتى ذاقوا بأسَنَا . قُلْ : هل عندكم من عِلْمٍ فتخرجوه لنا ، إن تَتّبِعون إلا الظنّ ، وإن أنتم إلا تخْرُصون ـ الأنعام : ١٤٨) الإيمان بهذه الجبريّة الباغية الساحقة كان من دين المشركين ، وتجده كثيراً فى التراث الصوفى ، وسيكون من دَيْدنِ هؤلاء اقتراف هذا البغى يوم القيامة . تدبر قول الله : (وَبَرَزُوا لِلّه جميعاً ، فقال الضعفاء للذين استكبروا : إنا كُنَّا لكم تبَعاً ، فهل أنتم مُغْنُونَ عَنَّا من عذابِ الله من شىء ؟ ! قالوا لو هدانا اللهُ لهديناكم ، سواء علينا أجَزِعْنَا أم صَبَرْنا مالنا من محيص ـ إبراهيم : ٢١) .

المجادل بالباطل لا يقتنع حتى بالمحسوسات : المجادل جحُود وحقدٌ وكبر يصرفه عن الإذعان للحق فى غلابه وقهره وإشراق حجته . ويبين الله لنا طبيعة المجادل بياناً هاديا شافيا ، فيقول : (ولو نزّلنا عليك كتاباً فى قِرطاسٍ ، فَلَمَسُوه بأيديهم لقال الذين كفروا إنْ هذا إلاّ سِحْرٌ مُبين ـ الأنعام ـ ٧) بالحس اللامس يكذبون بأبرز معالم الواقعية التى يُدركها المجادل باللمس يجْحَد ويُكذِّب . يرى بعينه الكتاب نازلا من السماء فى قرطاس ، ثم يلمسه بأصابعه ، ومع هذا يظل على كبره الحاقد الجاحد .

ويقول : (ولو فتحنا عليهم باباً من السّماءِ ، فظلّوا فيه يعرجون . لقالوا إنّما سُكِّرَتْ أبصارُنا ، بل نحنُ قومٌ مسحورون ـ الحجر ـ ١٤ ، ١٥) .

أترى الصَّلْدَ الأصمّ العاتى الغليظ ، إن حقد المجادل أشد منه عتواً وغلظا ؟!

ولن ترى أشد من هذا عتواً وعناداً وجحوداً ، يكفر بالمحسوسات بالمرئيات والمسموعات والملموسات كفراً عنيداً مريدا !!

« وما منع الناس أن يؤمنوا إذ جاءهم الهدى ، ويستغفروا ربهم إلاّ أن تأتيهم سنة الأوّلين » يبين الله سبب امتناع هؤلاء عن الإيمان وهو سلوكهم سلوكَ من تقدموهم من الأمم . وقد بين الله هذا فى سورة الإسراء فقد بين لنا فيها أنهم قالوا : (أبعث الله بَشَرًا رسولا) فجعلوا من بشرية الرسول حجة لهم يدّرعون بها لكفرهم . فجاءتهم سنة الله فى المكذبين . فأهلكهم بعذابه ، وثمّت قالوا ـ حين عاينوا عذاب الله ـ إنهم آمنوا ، كما فعل فرعون (فلما أدركه الغرقُ قال : آمنت) وتدبر قول الله (وكم قصمْنا مِنْ قريةٍ كانت ظالمةً وأنشأنا بعدها قوْماً آخرين . فلما أحسُّوا بأسنا إذا هم منها يرْكضون . لا ترْكضوا وارجعُوا إلى ما أُترِفتُمْ فيه ومساكِنِكم لعلكم تُسْئلون . قالوا : يا ويْلنا ، إنا كنا ظالمين ـ الأنبياء ـ ١١ ، ١٤) .

فما منع مشركى قوم محمد من الإيمان إلا الذى منع مَن قبلهم وتلحظ أن كلمة « الناس » جاءت فى آيتى الاسراء والكهف ، وهذا يهدينا إلى أن طبيعة المجادل الكافر واحدة .

وإذنْ لا يحملهم على الإيمان إلا أن تأتيهم سنة الله فى الأولين ففى الآية إيجاز بليغ يهديك إليه ما ذكر الله فى سورة الإسراء ، وسياق الآية نفسه . والتقدير : وما منع الناسَ من الإيمان إلا انتظارُ سنة الأولين لسلوكهم نفس سبيلهم . فقد قال السابقون : (وما أنتَ إلا بَشَرٌ مثلُنا ، وإنْ نظنُّك لمن الكاذبين . فأسْقِطْ علينا كِسَفاً من السماءِ إن كنتَ من الصادقين ـ الشعراء : ١٨٦ ، ١٨٧) . وقال قوم محمد كما بين الله :

(اللَّهُمَّ إنْ كَانَ هذا هو الحقَّ من عندك فَأَمْطِرِ علينا حجارةً من السماءِ أو ائْتِنا بعذابٍ أليم ـ الأنفال : ٣٢) .

وهناك تفسير آخر : ما منع الناس من الإيمان إلا إتيان طريقة الأولين لهم . أى إصابتُها لهم . أى صَيْرورتهم مثلهم في السلوك أى أن يسيروا فى الحياة سيرتهم ، وهنا لا يكون فى الكلام إيجاز بالحذف « أو يأتيهم العذاب قبلا » أى لا يصرفهم عن عنادهم وجحودهم إلا أن يصيبهم الله بفنون من العذاب ، كما فعل قومٌ فرعون حين ابتلاهم الله بالجراد والقمل والضفادع والدم ، فقالوا لموسى كما بين : (يَا أَيُّها الساحِرُ ادْعُ لنا رَبَّكَ بما عَهِد عِنْدَكَ إنَّنا لَمُهْتَدون . فلما كَشَفْنَا عنهم العذابَ إذا هُمْ يَنْكُثُون ـ الزخرف : ٤٩ ، ٥٠) فهؤلاء حينما ابتلاهم الله بفنون مختلفة من العذاب رَجَعوا عن عنادِهم ، وأسرعوا إلى الإيمان ، فلما كُشِف عنهم العذاب عادوا إلى جحودهم .

وقد يكون المعنى أن يأتيهم العذاب مواجهة ويروه جهرة ، ويعانوه . كما فعل فرعون ، فإنه حينما أدركه الغرق : قال آمنت .

« وما نرسل المرسلين إلا مُبَشِّرِينَ ومُنْذِرِين » يبين الله مهمة الرسل فى الحياة الدنيا . إنما هى البلاغ ، بلاغ ما جاءوا به من وعد ووعيد . من أنباء تبهج قلب المؤمن ، لأن فيها بشائر من الله ، وتُرْعِد قلبه ، لأن فيها تخويفاً وإرهاباً . ولا تتعدى مهمة الرسل هذا . فليس أحدهم على الناس بوكيل وما هو لهم بشفيعٍ إلا بإذن الله ، وما هو بمالكٍ لأحد نفعاً ولا ضراً وما هو بمُجيرٍ أحداً من الناس ، وما هو بعالم الغيبِ ، وما هو بحفيظٍ على الناس . فكيف بمن هم دون الرسل ؟ ! .

« ويجادل الذين كفروا بالباطل » توسعت فى ذكر معنى الجدال وبيان ألوان من جدال المبطلين .

« ليدحضوا به الحق » هدف المبطل القضاء على الحق ، ومجىء كلمة « يدحضوا » يكشف عمل المبطل إنه يعمل ليزيل الحق عن مكانه ، ويضع الباطل موضعه فهو لون

من ألوان تحريف الكلم عن موضعه ، وتأويله بما ليس له . كفعل الذين يؤولون صفات الله بما لم يجيء عن الله وعن رسوله . إن من يضع . « استولى » مكان « استوى » يقترف جريمة الذين يعملون في سبيل إدحاض الحق .

« واتخذوا آياتى وما أُنذِروا هُزُوا) آيات الله هُزأةً لهم ، وجعلوا ما أنذرهم الله به ، أى استخفوا بشأن هذا وذاك ، والعبثُ بآيات الله بالتحريف والتأويل المبطِل هزؤٌ ما بعده هزؤ ، وكذلك الشأنُ فيما أنذر الله به .

نضرع إلى الله سبحانه أن يجعل قلمنا للحق و بياننا للحق ، وذيادَنا عن الحق ، وأن يجعل كل هذا خالصاً لوجهه الكريم إنه سميع قريب مجيب الدعاء ؟

عبد الرحمن الوكيل

---

٢ - حرية الفكر فى الإسلام

بقلم السيد عبد الحليم محمد حسين الملاقى

الدعامة الثالثة : تحرير الانسان من عبادة الأهواء ، والخضوع لسلطانها . فان الهوى مذهب للعقل ، ومضيعة للحق ، لا يستقيم لصاحبه رأى ، ولا يعتد له قصد ، ولا تسلم له طوية ولا يخضع لحق ليس فى جانبه . ولهذا عنى القرآن بتحرير الانسان من عبودية الأهواء عناية كبرى ، فندد بالعاكفين على تأليه الأهواء وعبادتها كما قال تعالى : (أفرأيت من اتخذ إلهه هواه وأضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه ، وجعل على بصره غشاوة ، فمن يهديه من بعد الله أفلا تذكرون) . (فإن لم يستجيبوا لك ، فاعلم أنما يتبعون أهواءهم ، ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله إن الله لا يهدى القوم الظالمين) ونعى عليهم أخلاقهم ، وسوء طواياهم كما فى قوله سبحانه (وإذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم اذا فريق منهم معرضون . وإن يكن لهم الحق يأتوا إليه مذعنين . أفى قلوبهم مرض ، أم ارتابوا ؟ أم يخافون أن يحيف الله عليهم ورسوله ، بل أولئك هم الظالمون)

هذه هى أخلاقهم فى الماضى وفى الحاضر ، يستفتونك فى الأمر وقلوبهم منطوية على رأى دفين ، فإذا أفتيتهم بما فى أنفسهم فرحوا ورضوا ، وإن أفتيتهم بغيره مما أنزل الله سخطوا وأعرضوا وسخروا منك ماشاءوا وشاءت لهم أخلاقهم ، وإذا دعوتهم إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلتهم بالتى هى أحسن ، ركبوا رءوسهم ولجوا فى عتو ونفور ، وخاضوا فى جدال عنيف ، ونقاش عقيم ، لأنهم ليسوا طلاب حق وهدى ، وإنما هم أصحاب غرض وهوى لأن طالب الحق يطلب مايطلب من حكم ورأى ، وهو مجرد عن كل هوى يطاوعه ، أو غرض يتابعه ، ومستعد لقبول الحق والتسليم به متى ظهر له ، وذلك هو منطق العقل ، وطريق الوصول إلى الحق .

أما أن يضع مستفت نصب عينيه رأيا معينا ويطوى نفسه على هوى دفين ، ويأبى

إلا أن يكون الحق تابعاً لرأيه وهواه ، فذلك هو منطق القلوب المريضة ، ومسلك النفوس العليلة ، ووحى الأهواء المضلة ، (ولو اتبع الحق أهواءهم ، لفسدت السموات والأرض ومن فيهن) .

الدعامة الرابعة : تحرير الإنسان من مرض الجهل وظلمته ، فإن الجهل يطفىء نور القلب ، ويقتل مواهب الفكر ، ويميت فى الأمم عناصر الحياة والقوة ، ويفقدها قوة الإرادة ، وصدق العزيمة .

وقد عنى الإسلام بهذه الدعامة عناية كبرى ، فرفع شأن العلم ، وحث على طلبه ، وعظم شأن العلماء ، وأعلى منزلتهم . وجعلهم رواد الحق ، ودلائل الهدى ، كما فى قوله تعالى : (قل هل يستوى الذين يعلمون ، والذين لا يعلمون ، إنما يتذكر أولوا الألباب) . (وتلك الأمثال نضربها للناس ومايعقلها إلا العالمون) ، (فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون) وقوله صلى الله عليه وسلم « ومن سلك طريقاً يلتمس فيه علما ، سهل الله له به طريقاً إلى الجنة » : « الحكمة ضالة المؤمن يأخذها أنى وجدها ، ولا يضيره من أى وعاء خرجت » .

وأنحى باللائمة على الذين يتبعون الظنون والأوهام ، ويجادلون فى الله بغير علم ، كما قال الله عز وجل : (وما يتبع أكثرهم إلا ظناً ، إن الظن لا يغنى من الحق شيئاً) ، (ومن الناس من يجادل فى الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير) . وبذلك فتح الإسلام لأهله طريق المعرفة ، وأعد قلوبهم للحياة بنور العلم ، ووجه عقولهم للبحث والنظر ، وأرشدهم إلى أن العلم هو سبيل سعادتهم فى الدنيا والآخرة ، فإن الإسلام إذ يمتدح العلم ويرفع من شأنه ، ويحث المسلمين على طلبه والاهتداء بنوره ، إنما يريد به العلم الذى يوضح لهم معالم السعادة ، فى المعاش ، وفى المعاد ، ويكشف لهم عن أسرار الكائنات ، ويعد لهم وسائل الحياة والقوة ، ويبنى لهم قواعد السيادة والمجد . ولقد حمل المسلمون الأولون بهذا التوجيه اسلامى ، فكانوا رسل الهداية ، وقادة الاصلاح ، وأساتذة العالم بلا منازع ..!!

هذه هى الدعائم التى رفع الاسلام قواعدها وفتح بها للانسان طريق التحرر الفكرى والاستقلال الإدارى ، وبوأه للنزلة اللائقة بكرامته ، وعرفه أن الله لم يخلقه عبداً يقاد كما تقاد الأنعام ، ولم يجعل لأحد حق السيطرة على عقله وقلبه ، وإنما خلقه حراً مالكا لأمره ، يفكر بعقله ، ويعمل بآرائه ، ويستمع إلى دعوة الحق ، ويهتدى بنور العلم . ويسترشد بدلائل الكائنات ، ويعتبر بما يجرى فيها من الحادثات . !!

***

وبعد :فقد تبين لنا من كل ماتقدم .

١ — أن التقليد الذى ذمه الإسلام ، وشدد النكير على أهله ، إنما هو التقليد الذى يقوم على العصبية الوراثية ، والنصرة الطائفية ، والذى لا يميز بين الحق الذى أنزله الله على رسوله ، والباطل الذى أوحت به الشياطين إلى أوليائهم ، ولا يفرق بين التقليد فى الخير والتقليد فى الشر . وبهذا جعل الله الاعتصام بكتابه وسنة رسوله هما سبيل النجاة من شرور الفتن والاختلاف ، وطريق العصمة من ضلال الرأى وطغيان الهوى .

٢ — إن الحرية الفكرية التى قررها الإسلام ودعا إليها : وجعلها حقاً للانسان هى التى تنبثق بنضوج العقل ، ونور العلم ، واستقامة التفكير ، وتقوم على قضايا الحق والمنطق . وتحكيم الحجة والبرهان ، واحترام النصوص الشرعية وتقديسها ، والتزام قواعد الاستدلال التى جرى عليها سلف الأمة فى فهمها والاستنباط منها ، إذ لو وكل أمر الدين إلى الناس يحكمون فيه أهواءهم وأفهامهم كما يشاءون ، ويقبلون ويردون كما يشتهون ، لصار أمر الدين فوضى لا ضوابط له ولا حدود ، ولاختلفت موازين الحق والباطل ،فإن العقول والأفهام متفاوتة ، والنوازع والأهواء متضاربة والكملة من أهل الحق فى كل زمان ومكان قليلون .

وبالجملة فإن الحرية المقصودة هنا . هى الحرية التى تصلح العقائد ولا تفسدها ،وتبنى

المجتمعات الصالحة ولا تهدمها ، وتجعل من أهل الرأى قادة مصلحين ، لا قادة مضللين !!

أما الحرية الفكرية التى لا تتقيد بقضايا الحق والمنطق ، ولا تلتزم قواعد النظر والاستدلال ، ولا تعبأ بحرمة النصوص الشرعية وقداستها ، ولا تبالى بالخروج على الأصول الاسلامية المقررة ، ولا تعتمد إلا على الجهل والسفسطة . والغرور والغطرسة ، إذ ليس لها رائد من الحق تلتزم طريقه ، ولا هدف من الاصلاح تسلك سبيله ، وإنما رائدها مرض القلوب ، وطاعة الأهواء ، والتى هدفها الإفساد والهدم ، لا يبيحها الإسلام ، ولا يرضاها لأهله .

فيامن أوسعتم لحرية الرأى مجالا غير محدود ، واصطنعتم لها معنى غير معقول : وأطلقتم ألسنتكم وأقلامكم تتهجم على قدسية الدين وتعاليمه ، وتشكك الناس فى أصوله ومصادره وتهدم صروح الفضائل باسم الاصلاح والتجديد ، راجعوا عقولكم وضمائركم فيما تصنعون فما هكذا تكون حرية التفكير ، وقيادة الرأى . وما هكذا يكون الاصلاح والتجديد ، واتقوا الله فى أنفسكم ، وأممكم وأوطانكم . (يأيها الناس إن وعد الله حق فلا تغرنكم الحياة الدنيا ، ولا يغرنكم بالله الغرور) .

حسن الجواب

أحب الرشيد[1] أن ينظر إلى أبى شعيب القلال[2] كيف يعمل القلال . فأدخلوه القصر وأتوه بكل مايحتاج إليه من آلة العمل .

فبينما هو يعمل إذا هو بالرشيد قائم فوق رأسه ، فلما رآه نهض قائماً . فقال له الرشيد : دونك مادعيت له ، فإنى لم آتك لتقوم إلىّ ، وإنما أتيتك لتعمل بين يدى ، قال : وأنا لم آتك لسوء أدبى ، وإنما أتيتك لأزداد بك فى كثرة صوابى .

فقال له الرشيد : إنما تعرضت لى حين كسدت سوقك .

قال أبو شعيب : ياسيد الناس : وما كساد عملى فى جلال وجهك ؟ فضحك الرشيد حتى غطى وجهه ، ثم قال : والله مارأيت أنطق منه أولا ، ولا أعيا منه آخراً .

(١) هارون الرشيد الخليفة العباسى . (٢) صانع القلل .

غزوات الرسول

صلى الله عليه وسلم

بقية « دعوة الملوك إلى الإسلام »

تحدثنا فى العدد الماضى من (الهدى النبوى) عن كتب النبى صلى الله عليه وسلم التى أرسلها إلى ملوك الدول وامرائها يدعوهم فيها إلى الإسلام . كما تحدثنا عن ردود بعض أولئك الملوك . وهم هرقل ملك الروم . ونجاشى الحبشة . وللمقوقس عظيم القبط فى مصر . ووقفنا بالحديث عند هذا القدر .

أما باقى الملوك فقد ردوا[1] على رسول الله ردوداً غير كريمة وأرسلوا يتوعدون . فدعا عليهم النبى صلى الله عليه وسلم وحقق الله تعالى فيهم دعاءه وذلك عند ما فتح المسلمون من بعده بلادهم وسادوها .

غزوة خيبر

القضاء على معاقل الشمال أيضاً : استطاع رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقضى على يهود بنى قينقاع و بنى النضير و بنى قريظة بأن استأصل بعضهم . وأجلى البعض الآخر عن المدينة ، فأمن بذلك غدرهم ، واستراح من شرهم ، كذلك أمن الرسول جانب قريش بموجب عهد الحديبية .

---

(١) كانت ردود هؤلاء الملوك أثناء غزوة خيبر وبعدها . ولكننا اضطررنا إلى الخروج عن النهج الذى سرنا عليه فى تسلسل الحوادث منذ كتابة هذه الغزوات لكى ننهى حديث إرسال الرسل إلى الملوك .

لـكن كان لايزال يقيم فى شمال المدينة بعض اليهود يضمرون العداء والحقد للدين الإسلامى . ألا وهم يهود خيبر ، وربما يستعين أعداء المسلمين من غير اليهود بهؤلاء اليهود عن طريق تذكيرهم بإخوانهم سكان جنوب المدينة الذين تخلص منهم النبى ، ليثأروا لهم فيظاهرونهم على المسلمين فى أى حرب مقبلة .

فلا بد إذن من القضاء على معاقل اليهود فى الشمال كما قضى عليها فى الجنوب حتى لاتقوم لهم بعد فى بلاد العرب قائمة .

الرسول يسير إلى خيبر : لذلك مكث الرسول صلى الله عليه وسلم بالمدينة بعد الحديبية ما يقرب من عشرين يوما ثم أمر الناس بالتهيؤ لغزو خيبر ، واستخلف على المدينة سباع ابن عرفطة .

وانطلق[1] النبى إلى خيبر فى ألف وستمائة من المسلمين ومعهم مائة فارس يحدوهم جميعاً نصر الله وغايتهم إعلاء كلمته ، فقطعوا الطريق ما بين المدينة وخيبر فى ثلاثة أيام دون أن تشعر بهم خيبر ، فلما دنا من حصونهم أمر أصحابه بالوقوف ثم قال « اللهم رب السموات وما أظللن . ورب الأرض وما أقللن . ورب الشياطين وما أضللن . ورب الرياح وما أذرين . فإنا نسألك خير هذه القرية وخير أهلها وخير ما فيها ، ونعوذ بك من شرها وشر أهلها وشر ما فيها . أقدموا باسم الله » وكان صلى الله عليه وسلم يقول مثل هذا الدعاء فى كل قرية يدخلها .

فبات الرسول ليلتـه أمام حصون خيبر ، ولمـا أصبح الصباح رآه عمال خيبر وهم فى طريقهم إلى مزارعهم فولوا الأدبار وهم يصيحون : هذا محمـد والجيش معه ، فقال رسول الله عندما سمعهم : « الله أكبر خربت خيبر ؛ إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين »

---

(١) كان ذلك فى المحرم سنة سبع هـ .

غطفان تناصر يهود خيبر : وترامى خبر الرسول إلى بنى غطفان ، فخرجوا إلى يهود خيبر ليظاهروهم على المسلمين لـكن النبى صلى الله عليه وسلم نزل بجيشه بجهة الرجيع ليحول دون غطفان و إمدادها يهود خيبر بالسلاح والرجال فرجع بنو غطفان إلى ديارهم بعد أن كانوا قد قطعوا مرحلة فى السير لمناصرة خيبر وأحسوا بالخطر وراءهم .

أمام حصون خيبر : وأمام حصون خيبر وقف النبى صلى الله عليه وسلم بجيشه وعدته يواجه جيشاً يهوديا يفوقه فى العدد والعدة . وتشاور يهود خيبر مع بعضهم فيما يفعلون ، فأشار عليهم زعيمهم سلام بن مشكم أن يدخلوا أموالهم وأولادهم ورجالهم داخل الحصون ، ففعلوا .

ثم التقى الجمعان فى حصن ناعم ، ودارت بينهما معركة حامية الوطيس من داخل الحصن وخارجه ، وضيق المسلمون الحصار على الحصن ، وأحكموا الضرب فيه حتى استسلم من بداخله وتم فتحه .

و بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا بكر الصديق (رضى الله عنه) برايته إلى حصون خيبر فقاتل ثم رجع دون فتحها . ثم بعث فى الغد عمر بن الخطاب (رضى الله عنه) فقاتل ثم رجع دون فتحها . إذ كانت مقاومة يهود خيبر عنيفة مستميتة . فقال رسول الله « لأعطين الراية غداً رجلا يحب الله ورسوله . يفتح الله على يديه ليس بفرار » فدعا إليه على ابن أبى طالب (رضى الله عنه) وهو أرمد فتفل فى عينه وقال له « خذ هذه الراية فامض بها حتى يفتح الله عليك » فخرج على يهرول و يصول فى حصون خيبر حتى فتحها الله على يديه .

وأخذ المسلمون يحاصرون حصون خيبر ، ويقاتلونهم بشدة . و يمنعون عنهم الطعام والشراب . حتى انهارت مقاومتهم وعجزوا عن الصمود أمام المسلمين و إن كانوا يستميتون فى الدفاع عن حصونهم باعتبار أن المعركة معركة حياة أو موت . فتتابعت الحصون فى السقوط الواحد بعد الآخر حتى لم يبق من حصونهم إلا الوطيح والسلالم .

وأثناء القتال خرج مرحب اليهودى يخطر بسيفه وينشد قائلا :

قد علمت خيبر أنى مرحب شاكى السلاح بطل مجرب
أطعن أحيانا وحينا أضرب إذا الليوث أقبلت تحرب
إن حماى للحمى لا يقرب

ونزل إليه كعب بن مالك وأجابه قائلا :

قد علمت خيبر أنى كعب مفرج الغمى جرىء صلب
إن شبت الحرب تلتها الحرب معى حسام كالعقيق عضب

فقال رسول الله : « من لهذا ؟ » قال محمد بن مسلمة : أنا له يا رسول الله . أنا والله الموتور الثائر . قتل أخى بالأمس فقال النبي « فقم إليه . اللهم اعنه عليه » .

فلما دنا أحدهما من صاحبه دخلت بينهما شجرة فأخذ كل منهما يلوذ بها من صاحبه حتى اقتطعاها بسيفيهما . ثم حمل محمد بن مسلمة على مرحب بقوة فقتله .

استسلام آخر الحصون : وظل الرسول صلوات الله عليه محاصراً ليهود خيبر داخل حصنى الوطيح والسلالم . حتى إذا دب اليأس إلى نفوسهم وأيقنوا بالهلكة خرج إليه سلام بن أبى الحقيق وسأله أن يخرجهم ويحقن دماءهم فأجابهم النبى صلى الله عليه وسلم إلى طلبهم بعد أن حاز أموالهم بالشق ونطاة والكتيبة . فلما أراد الرسول إخراجهم من بلادهم قالوا له : نحن أعلم بهذه الأرض منكم فدعنا نكون فيها . فابقاهم النبى على أرضهم على أن يكون لهم نصف ثمارها مقابل عملهم .

يهود فدك : ولما سمع أهل فدك بما صار إليه أمر إخوانهم يهود خيبر من الهزيمة والاستسلام — مع ما كانو فيه من قوة — بعثوا إلى رسول الله يطلبون منه أن يصالحهم ويحقن دماءهم . فقبل النبى الصلح معهم على نصف أموالهم كما صنع مع خيبر . فتصالحوا

على ذلك . فكانت أموال خيبر للمسلمين لأنهم قاتلوا لاستخلاصها . وكانت أموال فدك خالصة للنبي لأن المسلمين لم يجلبوا عليها بخيل ولا ركاب .

زواجه بصفية : وعند ما خلصت صفية ابنة حيي بن أخطب إلى المسلمين . وصارت ضمن السبايا قدمت لرسول الله صلوات الله عليه فأعتقها وتزوجها . نخشى أبو أيوب خالد بن زيد أن تتحرك في نفس صفية الضغينة على النبي ، إذ مات في المعركة أبوها وزوجها وأهلها . لذلك بات أبو أيوب حول الخيمة التي أعرس فيها النبي بصفية في طريق عودته من خيبر . وكان أبو أيوب متوشحا سيفه . فلما كان الصبح ورآه الرسول فسأله « مالك يا أبا أيوب؟ » قال : خفت عليك من هذه المرأة . وكانت امرأة قد قتلت أباها وزوجها وقومها وكانت حديثة عهد بكفر نخفتها عليك . . ولكن صفية حفظت رسول الله . وأقامت معه على الإخلاص والوفاء حتى قبضه الله إليه .

إلى وادي القرى : وتهيأ الرسول صلوات الله عليه بعد ذلك للعودة إلى المدينة عن طريق وادي القرى فتأهب يهودها لقتال المسلمين . والتقوا ونازلوهم . ولكنهم وجدوا من قوة المسلمين مالم يمكنهم معها الصمود لقتالهم . فاضطروا إلى الإذعان والاستسلام وتصالحوا مع رسول الله كما صنعت خيبر .

وبذلك ضعفت شوكة اليهود في بلاد العرب . ولم يعد لهم قوة ولا سلطان بعد أن قوى سلطان المسلمين عليهم . وغدوا يعيشون ضعفاء أذلاء يدينون للمسلمين بالولاء . ويعيشون تحت إمرتهم وفي كنفهم . . وبذلك غدا النبي في مأمن من أهل الشمال أيضاً بعد أن أمن من أهل الجنوب وقريش بعهد الحديبية .

عمرة القضـــاء

تنفيذ عهد الحديبية[1] . انقضى عام بعد عهد الحديبية وأصبح من حق الرسول صلوات الله عليه والمسلمين معه بمقتضى ذلك العهد أن يدخلوا مكة إن شاء الله آمنين لزيارة

(١) في حديثنا عن «عهد الحديبية» الذي نشر بالهدى النبوي عدد صفر ١٣٨٣ ذكرنا=

البيت الحرام . وتأدية شعائر العمرة التى منعتهم منها قريش فى عامهم الفائت ولا يستطيع المرء أن يتصور كيف مكث المهاجرون فى المدينة طيلة ذلك العام حتى استدار . وكم كان شوقهم شديداً إلى القيام بهذه الرحلة الحبيبة إلى قلوبهم . وكم كانت لهفتهم إلى حلول الساعة التى يتحرك فيها ركبهم قاصدين مكة !

لقد كان كل واحد منهم يترقب ذلك كله بشغف وتطلع شديدين . . وكيف لا يرقبه بكل حواسه وفكره ، وهو الذى سيعود إلى موطنه أم القرى ليرى البيت الذى تربى فى جنباته ، والأصحاب الذين عاش فى مجتمعهم وربطته بهم ذكريات عزيزة وأرض البلدة الطيبة التى هى مهد الرسالة المحمدية .

لقد كانت فرحة أى فرحة تلك التى غمرت قلوبهم . وسرت فى كل ذرة من كيانهم حين نادى فيهم رسول الله بالتجهز للخروج إلى عمرة القضاء ، فلم يلبثوا أن ابوا النداء ، وخرجوا مسرعين للتجهز والاستعداد

وفى شهر ذى القعدة من السنة السابعة خرج النبى صلى الله عليه وسلم لهذا الغرض ، وساق معه الهدى ، فلما بلغ (يأجج) تجرد المسلمون من النبل والرماح ؛ ولم يأخذوا معهم من السلاح إلا سيفاً مغمداً .

= أن المسلمين الذين حضروا عهد الحديبية لم يرقهم تساهل النبى وسهيل بن عمرو فى مفاوضات الصلح . وأن عمرو بن الخطاب غضب لذلك وتوجه أولا إلى أبى بكر ليتحدث معه فى الأمر. ثم أتى النبى صلى الله عليه وسلم لهذا الغرض .

والصحيح : أن عمر بن الخطاب أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم أولا بعد كتابة العهد فتحدث إليه فى كيفية إتمام الصلح على أساس تشدد سهيل وتساهل النبى . ثم أتى أبا بكر وتكلم إليه بمثل ما تكلم به مع النبى . راجع صحيح مسلم بشرح النووى ص ١٤١ ج ١٢ ، زاد المعاد للامام ابن قيم الجوزية ص ٣٠٧ ح ٢ .

قريش تجلو عن مكة : وترامى إلى قريش نبأ قدوم الرسول والمسلمين إلى مكة نزولا على حكم صلح الحديبية فصعد بعضهم إلى التلال المجاورة لمكة . وخرج البعض الآخر إلى أماكن أخرى مرتفعة حيث ضربوا هنالك خيامهم . وأقاموا بها ، كراهة أن ينظروا إلى رسول الله ومن معه أثناء دخولهم مكة فتثور نفوسهم وهم يرون من خرج منها بالأمس مستخفيا يدخلها اليوم أمام أعينهم ورغم إرادتهم .

الرسول يدخل مكة : ودخل النبي صلى الله عليه وسلم مكة يحف به المسلمون من كل جانب . فلما ظهر لهم البيت الحرام أمامهم انفرجت شفاههم عن ابتسامة تترجم عن روح الفرحة التي سرت في نفوسهم . فصاحوا في صوت واحد لبيك اللهم لبيك . وقلوبهم متوجهة إلى الله الواحد القهار شاكرين له أن مكنهم من التمتع بهذه الرحلة الروحية .

وعند مادخل المسلمون البيت الحرام قال لهم الرسول صلى الله عليه وسلم « اكشفوا عن المناكب . واسعوا في الطواف ليرى المشركون جَلدهم وقوتهم » .

وعند ما دخل الرسول صلى الله عليه وسلم اضطبع[1] بردائه . وأخرج عضده اليمنى وقال « رحم الله أمرأ أراهم اليوم من نفسه قوة » . ثم استلم الركن اليمانى . وخرج يهرول وأصحابه معه ، بينما المشركون ينظرون إليهم ونفوسهم تمتلىء حقداً وغيظاً وهم يطوفون بالبيت . ثم مشى الرسول بأصحابه حتى استلم الحجر الأسود ، ثم هرول ثلاثة أطواف . ومشى سائرها والمسلمون خلفه .

فلما أتم الطواف بالكعبة خرج بأصحابه إلى الصفا والمروة . فطاف بينهما سبعاً ثم نحر الهدى عند المروة . وحلق رأسه وبذلك أتم شعائر العمرة .

زواج النبي بميمونة : وكان الرسول صلى الله عليه وسلم عند ما قدم مكة بعث

---

(١) اضطبع : أدخل بعضه تحت عضده اليمنى . وجعل طرفه على منكبيه .

جعفر بن أبى طالب بين يديه إلى ميمونة بنت الحرث بن حزن العامرية فخطبها إليه . فجعلت أمرها إلى العباس بن عبد المطلب إذ كان العباس زوجا لأختها أم الفضل فزوجها العباس إلى رسول الله صلوات الله عليه .

قريش تطلب من النبى الرحيل : وأقام عليه السلام بمكة ثلاثة أيام . فلما حل اليوم الرابع أتاه سهيل بن عمرو[1] وحويطب بن عبد العزى وهو جالس فى مجلس الأنصار ومعه سعد بن عبادة وقالوا له : إنه قد انقضى أجلك[2] فاخرج عنا : فقال النبى عليه السلام « وما عليكم لو تركتمونى فأعرست بين أظهركم . وصنعت لكم طعاما فحضرتموه» قالوا له لا حاجة لنا فى طعامك . فاخرج عنا .

وأدرك النبى أن زيارته لمكة لأداء العمرة قد تركت أثراً سيئاً فى نفوس أهل مكة فآثر الرحيل تنفيذاً لعهد الحديبية . وأمر أبا رافع بأن يؤذن فى الناس بالرحيل .

وخرج النبى صلوات الله عليه من مكة ومن ورائه المسلمون . وترك ميمونة مع أبى رافع فأتاه بها بسرف[3] فبنى بها هناك ثم انصرف عائداً إلى المدينة .

ومما يذكر أن ميمونة بنت الحرث هى آخر أزواج النبى . وقد طلبت منه أن تدفن حيث بنى بها .

غزوة مؤتة[4]

سبب الغزوة وخروج المسلمين لها : كان سبب هذه الغزوة أن رسول الله صلوات الله عليه قد بعث الحرث بن عمير الأزدى ـ أحد بنى لهب ـ بكتاب إلى عامل هرقل بالشام[5]

---

(١) هو الذى بعثته قريش ليجرى مع النبى صلى الله عليه وسلم صلح الحديبية .

(٢) أى المدة التى اتفق عليها فى صلح الحديبية وهى ثلاثة أيام .

(٣) موضع قريب من مكة .

(٤) وهى تقع بأدنى البلقاء من أرض الشام .

(٥) بجهة بصرى .

فغدر شرحبيل بن عمرو الغسانى بمبعوث رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن أوثقه وضرب عنقه وحين بلغ رسول الله مصير مبعوثه اشتد ذلك عليه ، وقرر أن يرسل جيشاً لتأديب المعتدين .

وفى جمادى الأولى سنه ثمان خرج لهذا الغرض جيش من المسلمين مؤلفا من ثلاثة آلاف مقاتل بقيادة زيد بن حارثة وخرج معهم خالد بن الوليد[1] فدعا لهم النبى بخير . كما صحبهم الناس إلى خارج المدينة مودعين مشجعين .

وسار جيش المسلمين حتى بلغ معان من أرض الشام ، لكن خبرهم كان قد وصل إلى شرحبيل عامل هرقل على الشام ، فأسرع وجمع جيشاً مؤلفا من مائة ألف مقاتل من الروم ، وانضم إليهم مثلهم من قبائل لخم وجذام والقين وبهاء و بلى .

تشاور المسلمين فى الأمر : وعند ما علم المسلمون بما أعد لهم هرقل من قوة لملاقاتهم باتوا يتشاورون فى الأمر ، ويفكرون فيما يصنعونه أمام هذا العدد الكبير من جيش العدو فقالوا : نكتب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنخبره بعدد عدونا : فإما أن يمدنا بالرجال . و إما أن يأمرنا بأمره فنمضى له .

وكاد القوم أن يتبعوا هذا الرأى لولا أن وقف عبد الله بن رواحة يعترضه ، وخطب فيهم مشجعاً فقال : ياقوم والله إن الذى تكرهون للتى خرجتم تطلبون: الشهادة ، وما نقاتل

---

(١) بعد أن عاد النبى صلى الله عليه وسلم إلى المدينة عقب فراغه من عمرة القضاء استبان لخالد بن الوليد أن الدعوة المحمدية هى دعوة حق . فشرح الله صدره للاسلام . وآمن بدعوة التوحيد . ونبذ دين الجاهلية . فوقف فى نفر من قومه وقال : لقد استبان لكل ذى عقل أن محمداً ليس بساحر ، ولا بشاعر وأن كلامه من كلام رب العالمين لحق على كل ذى لب أن يتبعه :

وكانت غزوة مؤتة هى أول غزوة يخرج فيها خالد بن الوليد رضى الله عنه فى جانب المسلمين بعد إسلامه .

الناس بعدد ولا قوة ولا كثرة ، ما نقاتلهم إلا بهذا الدين الذى أكرمنا الله به ، فانطلقوا فإنما هى إحدى الحسنيين ، إما ظفر . . و إما شهادة .

وهزت تلك الكلمات المؤمنة نفوس أصحاب النبى من أعماقهم . فاندفعوا إلى ملاقاة العدو فى إيمان و إقدام . ومضوا . . حتى إذا كانوا بتخوم البلقاء لقيتهم جموع هرقل بقرية يقال لها « مشارف » فلما دنا العدو منهم انحازوا إلى مؤتة ليتعبأوا منها . وهناك التقى الجمعان واقتتلوا : ولكنه كان قتالا بين فريقين غير متكافئين : فريق قوامه مائة ألف مقاتل ، والآخر مؤلف من ثلاثة آلاف مقاتل فقط .

وكان من اليسير على المسلمين ـ وقد بدا لهم قوة عدوهم المروعة ـ أن يعودوا دون قتال كى لا يواجهوا هذا الجيش الجرار . ولكنهم قرروا منازلة عدوهم مهما بدا كبيراً أمامهم . إيماناً منهم بنصر الله وتأييده .

المعركة تدور : وعند ما بدأت المعركة حمل زيد بن حارثة راية النبى صلى الله عليه وسلم وألقى بنفسه فى المعركة . وظل يقاتل حتى استشهد ، ثم حمل الراية من بعده جعفر ابن أبى طالب . وقاتل فأحاط به العدو حتى أرهقه القتال ، فنزل عن فرسه وعقرها وقذف بنفسه فى ساحة الوغى ، وأخذ يقاتل الأعداء حتى قطعت يمينه فقاتل بشماله . فقطعت هى الأخرى . فاحتضن راية القتال بعضديه حتى قتل ، ويروى أنه كان يقول وهو يقاتل منشداً :

يا حبذا الجنة واقترابها طيبة وبارداً شرابها

والروم روم قد دنا عذابها كافرة بعيدة أنسابها

علىّ إذ لاقيتها ضرابها

فلما قتل جعفر تسلم الراية من بعده عبد الله بن رواحة ، فتقدم بها وهو على فرسه .

وأخذ يستنزل نفسه ، ويتردد فى النزول إلى المعركة ، ثم قرر دخولها وهو يخاطب نفسه قائلا :

أقسمت يانفسى لتنزلنه لتنزلن أو لتكرهنه
إن أجلب الناس وشدوا الرنة مالى أراك تكرهين الجنه

ثم أخذ سيفه واقتحم الساحة ، وقاتل ببسالة حتى قتل .

زيد وجعفر ورواحه فى الجنة : وهكذا استشهد الثلاثة حملة راية رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سبيل الله ، الواحد وراء الآخر ، ولم يبال أحدهم بالموت مادام فى إعلاء لكلمة الله ، ونصرة لدين الحق .

والجدير بالذكر أن الرسول صلى الله عليه وسلم قد أخبر أصحابه عن هؤلاء الأبطال الثلاثة عند ماعلم باستشهادهم فقال :

« لقد رفعوا إلىّ فى الجنة فيما يرى النائم على سرر من ذهب ، فرأيت فى سرير عبدالله بن رواحة أزورارا[1] عن سريرى صاحبيه ، فقلت : مم هذا ؟ فقيل لى : مضيا[2] وتردد عبد الله بعض التردد ، ثم مضى » .

كما أخبر الرسول عن جعفر بن أبى طالب فقال « إن الله أبدله بيديه جناحين يطير بهما فى الجنة حيث شاء » .

الراية فى يد خالد : وبعد أن استشهد الأبطال الثلاثة كان لا بد لقائد آخر أن يتسلم راية رسول الله ليخوض بها غمار المعركة مع الروم . فتسلمها ثابت بن أرقم ـ أخو بنى عجلان ـ وقال ، يامعشر المسلمين . اصطلحوا على رجل منكم . قالوا أنت قال : ما أنا بفاعل ، فاختار الناس خالد بن الوليد فارس قريش فى أحد ، وأحد الأبطال الأفذاذ فى فتوحات الإسلام .

---

(١) أى كان بعيداً بسريره عن سريرى صاحبيه .
(٢) أى اقتحما المعركة دون تردد كما فعل عبد الله بن رواحه .

وعند ما تسلم خالد (رضى الله عنه) قيادة الجيش وجد أنه يواجه جيشاً كبيراً يفوق جيشه عدداً . وأن من الحكمة والصواب أن ينسحب بجيشه لينقذ المسلمين من معركة رأى أن الغلبة لن تتحقق فيها بأى حال بما يملكه من رجال .

لذلك وضع خالد خطة حكيمة للإنسحاب . فكان أول ما عمله أن ضم صفوف جيشه . وتوقف عن محاربة العدو . واكتفى بالقيام بمناوشات معه امتدت به إلى الليل . وهنا وضع الجيشان السلام حتى الصباح . وفى خلال تلك الليلة وزع عدداً من أفراد جيشه فى المؤخرة . وجعله يحدث من الجلبة فى الصباح ما أدخل فى روع الأعداء أن مدداً كبيراً جاء من النبى تعزيزاً للمسلمين . . ومن ثم خشى الروم أن يخاطروا فيقذفوا بجنودهم فى المعركة ليحاربوا ذلك المدد الذى خيل إليهم أنه جاء للمسلمين . ولا يعرفون هم عدته فيفقدوا من الجنود أكثر مما فقدوه .

إنسحاب منظم : وعندما جبن الروم عن مهاجمة المسلمين خوفا من ذلك المدد الذى توهموه ، وجد خالد أن الفرصة قد سنحت له للإنسحاب فتقهقر[1] بجيشه بانتظام . ورجع إلى المدينة بعد معركة لم يتم النصر فيها لأى من الجانبين .

كرار . . وليسوا بالفرار : وصل خالد بجيشه إلى المدينة فاستقبله أهلها استقبالا فاتراً لأنه فى نظرهم : لم يحمل معه من الغلبة والنصر ما هو جدير بالثناء والشكر ـ وإن كان انسحابه المنظم وانقاذه للجيش من الهلكة يعتبر فى نظر الحكمة نصراً لا جدال فيه .

(١) كان التقهقر المنظم الذى ابتكره خالد فى تلك الغزوة . وخرج به من المعركة سالما . أمراً بطوليا يدعو إلى الاعجاب . حتى كان جديرا بأن يلقب بـ « سيف الله » لأنه أنقذ جيش المسلمين من غائلة الروم .

وفى مستهل القرن التاسع عشر الميلادى استلهم القواد الروس عزيمة خالد وخططه فى الإنسحاب المنظم فى حربهم ضد نابليون عندما أطبق عليهم بجنود لا قبل لهم بها . فانسحبوا من المعركة بانتظام وخرجوا سالمين بعد أن أضرموا النار فى كل مكان تركوه .

وفى مستهل القرن العشرين أيضاً ومنتصفه استوحى القائدان الألمانيان « هندنبورج . وروميل خطط خالد فى التقهقر المنظم فى إحدى معارك كل منهما .

استقبل أهل المدينة خالداً وجيشه هذا الاستقبال المرير وجعلوا يحثون التراب على الجيش ويقولون : يافرار . . فررتم فى سبيل الله . ولكن الرسول صلوات الله عليه استقبلهم استقبالا تجلت فيه آيات الكرم وخلق النبوة . وقال لهم « ليسوا بالفرار . ولكنهم الكرار إن شاء الله » وكانت هذه العبارة تأسية من الرسول لخالد وجيشه .

غزوة ذات السلاسل[1]

عدوان قضاعة : بلغ الرسول صلوات الله عليه أن ناساً من قبيلة قضاعة قد تجمعوا يريدون الدنو إلى أطراف المدينة للعدوان على المسلمين . فدعا إليه عمرو بن العاص وأمره بالسير إلى قضاعة ليردها عن المدينة . وعبأ له جيشا مؤلفا من ثلاثمائة رجل من سراة المهاجرين والأنصار . وثلاثين فارسا . كما أمره بأن يستعين بمن مر به من بلى وعذرة وبلقين لا
فخرج عمرو بن العاص بجيشه إلى قضاعة يسير بالليل ويكمن بالنهار .

تعاون القادة فى سبيل الله : فلما كان عمرو قريباً من القوم بلغه أن لهم جمعاً كثيراً . فبعث رافع بن مكيث الجهنى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يطلب منه أن يمده بالرجال ليواجه جمع قضاعة الكثير . فبعث إليه النبى صلى الله عليه وسلم أبا عبيدة بن الجراح على رأس مائتى محارب من المهاجرين والأنصار . وفيهم أبو بكر وعمر بن الخطاب (رضى الله عنهما) وأمره باللحاق بعمرو بن العاص ونصحه بأن يتعاون معه وألا يختلفا .

وعندما التقى القائدان أراد أبو عبيدة أن يؤم الجيش فقال عمرو : إنما قدمت على مدداً . وأنا الأمير فأطاعه أبو عبيدة حرصا منه على وحدة المسلمين واحراز النصر فى المعركة . دون النظر إلى زعامة أو قيادة تجلب له مجداً شخصياً زائلا .

وبذلك لم يجد الاختلاف سبيلا إلى قلوبهما . . وكان عمرو يصلى بالناس .

---

(١) هو ماء لقبيلة جذام يقال له : السلسل . ويقع بمكان يبعد عن المدينة بمسيرة عشرة أيام .

وسار الجيش بقيادة عمرو بن العاص حتى وطىء بلاد قضاعة . ولتقى بجموعها . فحمل عليهم وقاتلهم حتى أقصى بلادهم . وشتتهم . فهربت جموعهم . وتفرقوا فى البلاد . وعندئذ بعث عوف بن مالك الأشجعى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يخبره انتصارهم على قضاعة . . ثم عاد جيش المسلمين إلى المدينة ظافراً منتصراً بعد أن أدب المعتدين . وكسر شوكة المشركين .

وإلى لقاء قادم إن شاء الله « مع فتح مكة »

سعد صادق محمد

حكمـــة

قال الشاعر :

وما المرء إلا حيث يجعـــل نفسه
فنى صالح الأخلاق نفسك فاجعل

قال محمد بن محمد الحمدانى :

من التوقى ترك الإفراط فى التوقى .

قيل للمسيح بن مريم عليه السلام : من نجالس ؟ قال : من يزيد فى علمكم منطقه ، وتذكركم الله رؤيته ، ويرغبكم فى الآخرة عمله .

كان أبو هريرة رضى الله عنه — إذا استثقل رجلاً قال :
اللهم اغفر له ، وارحمنا منه .

توحيد الله عز وجل

ومن أسمائه الحسنى سبحانه (البديع والهادى) وكلاهما مذكور فى القرآن ودال على صفة من صفات الفعل التابعة لمشيئته تعالى وقدرته .

أما البديع فهو فعيل بمعنى مُفْعِل ومعناه الخالق للأشياء والمخترع لها عن غير مثال سابق .

قال الراغب :

« الإبداع إنشاء صنعة بلا احتذاء واقتداء ، ومنه قيل (ركية بديع) أى جديدة الحفر وإذا استعمل فى الله فهو إيجاد الشىء بغير آلة ولا مادة ولا زمان ولا مكان ، وليس ذلك إلا لله .

والبديع يقال للمبدع نحو قوله (بديع السموات والأرض) ويقال للمُبْدَع نحو (ركية بديع) وكذلك (البدع) يقال لهما جميعاً بمعنى الفاعل والمفعول .

وقوله تعالى : (قل ما كنت بدعاً من الرسل) قيل معناه مبدعاً لم يتقدمنى رسول ، وقيل مبدعاً فيما أقوله) اهـ .

والعجب من قول الراغب أن البديع إذا استعمل فى الله تعالى كان معناه إيجاد الشىء بغير آلة ولا مادة ولا زمان ولا مكان ، فإنه إذا سلم أن خلقه تعالى للأشياء لا يحتاج فيه إلى توسط آلة بل لا يتوقف إلا على إرادته له ، كما قال تعالى : (إنما قولنا لشىء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون) فكيف يتصور الإيجاد من غير مادة ولا زمان ولا مكان مع أن هذه الثلاثة لازمة للخلق ، فإن كل مخلوق لا بد له من مادة سابقة عليه ولا بد أن يكون

وجوده مبتـدأ من لحظة معينة فى الزمان ، ولا بد أن يكون وجوده كذلك فى حيز ومكان .

ولعل مما يشهد لهذا قوله تعالى فى سورة « فصلت » (ثم استوى إلى السماء وهى دخان) فإنها تدل على أن السماء كانت عند استوائه سبحانه إليها وقصده إلى خلقها كانت دخانا .

وقوله فى سورة « الرحمن » (خلق الإنسان من صلصال كالفخار . وخلق الجان من مارج من نار) .

وقد روى مسلم فى صحيحه : (خلق الله الملائـكة من نور وخلق الجان من مارج من نار . وخلق آدم مما وصف لـكم) والحاصل أن اسمه تعالى (البديع) دال على أنه مخترع الأشياء ومنشئها من غير أن يستعين فى ذلك بخالق سبقه إذ لا خالق غيره سبحانه وهو الذى يبدىء الخلق ثم يعيده كما بدأه.

ولم يرد هذا الاسم الـكريم فى القرآن إلا مرتين إحداهما قوله تعالى فى سورة البقرة بصدد الرد على النصارى فى نسبتهم الولد إلى الله عز وجل : (وقالوا اتخذ الله ولدا سبحانه بل له ما فى السموات والأرض كل له قانتون . بديع السموات والأرض و إذا قضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون) والثانية فى سورة الأنعام فى معرض الرد على المشركين كذلك فى قولهم أن الملائـكة بنات الله .

قال تعالى (بديع السموات والأرض أنى يكون له ولد ولم تـكن له صاحبة وخلق كل شىء وهو بكل شىء عليم) . وأما فى السنة فقد كان النبى صلى الله عليه وسلم يكثر أن يقول فى دعائه (يا بديع السموات والأرض) .

وأما اسمه تعالى (الهادى) فهو اسم فاعل من الهدى الذى هو مقابل الضلال .

ومعناه كما قال (ابن الأثير) هو الذى بصر عباده وعرفهم طريق معرفته حتى أقروا بربوبيته وهدى كل مخلوق إلى ما لا بد له منه فى بقائه ودوام وجوده .

وقد ورد هذا الاسم كثيراً فى القرآن أحياناً بلفظه كقوله تعالى : (وأن الله لهادى الذين آمنوا إلى صراط مستقيم) وأحياناً بصيغ الفعل المتصرفة منه كقوله تعالى من سورة طه (قال ربنا الذى أعطى كل شىء خلقه ثم هدى) وكقوله تعالى من سورة الأعلى (الذى خلق فسوى . والذى قدر فهدى) وقوله من سورة البقرة : (يضل به كثيراً ويهدى به كثيراً) وقوله من نفس السورة فى شأن تحويل القبلة : (سيقول السفهاء من الناس ما ولاهم عن قبلتهم التى كانوا عليها قل لله المشرق والمغرب يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم) إلى غير ذلك من الآيات التى لاتكاد تحصر فى نسبة الهداية والضلال إلى الله عز وجل .

ولكن ينبغى أن يعلم أن الهداية المختصة بالله جل شأنه هى خلقه الهدى والضلال فى قلب العبد ولهذا نفاها الله عن نبيه صلى الله عليه وسلم حيث قال فى سورة القصص : (إنك لاتهدى من أحببت ولكن الله يهدى من يشاء) .

وأما الهداية بمعنى البيان والدلالة والإفهام فقد يوصف بها الرسول صلى الله عليه وسلم كما فى قوله تعالى فى سورة الشورى (وإنك لتهدى إلى صراط مستقيم) .

ويوصف بها القرآن العظيم كما فى قوله فى من سورة الإسراء : (إن هذا القرآن يهدى للتى هى أقوم) وقوله من سورة المائدة : (قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين . يهدى به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه ويهديهم إلى صراط مستقيم) .

وفى الصحيح أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يقول فى دعائه : « اللهم رب جبريل وميكائيل وإسرافيل فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون اهدنى لما اختلف فيه من الحق بإذنك إنك تهدى من تشاء إلى صراط مستقيم » .

وفى الدعاء الآخر « اللهم إنى أسألك التقى والهدى والعفاف والغنى » .

قال الراغب فى ﴿ المفردات ﴾ ما ملخصه :

وهداية الله تعالى للإنسان على أربعة أوجه :

الأول : الهداية التى عم بجنسها كل مكلف من العقل والفطنة والمعارف الضرورية التى أعم منها كل شىء بقدر فيه حسب احتماله كما قال : (ربنا الذى أعطى كل شىء خلقه ثم هدى) .

الثانى : الهداية التى جعل للناس بدعائه إياهم على ألسنة الأنبياء و إنزال القرآن ونحو ذلك وهو المقصود بقوله تعالى (وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا) .

الثالث : التوفيق الذى يختص به من اهتدى وهو المعنى بقوله : (والذين اهتـدوا زادهم هدى) . (ومن يؤمن بالله يهد قلبه) . (يهديهم ربهم بإيمانهم) . (لنهدينهم سبلنا) .

الرابع : الهداية فى الآخرة إلى الجنة المعنىّ بقوله : (سيهديهم ويصلح بالهم ويدخلهم الجنة عرّفها لهم) (ونزعنا مافى صدورهم من غل ـ إلى قوله ـ الحمد لله الذى هدانا لهذا) .

وهذه الهدايات الأربع مترتبة ، فإن من لم تحصل له الأولى لا تحصل له الثانية بل لا يصح تـكليفه ، ومن لم تحصل له الثانية لا تحصل له الثالثة والرابعة . ومن حصل له الرابع فقد حصل له الثلاث التى قبلها ومن حصل له الثالث فقد حصل له اللذان قبله . والإنسان لا يقدر أن يهدى أحداً إلا بالدعاء وتعريف الطرق ، دون سائر أنواع الهدايات وإلى الأول أشار بقوله (وإنك لتهدى إلى صراط مستقيم) (يهدون بأمرنا ـ ولـكل قوم هاد) وكل هداية ذكر الله عز وجل أنه منع الظالمين والكافرين فهى الهداية الثالثة . وهى التوفيق الذى يختص به المهتدين . والرابعة التى هى الثواب فى الآخرة وإدخال الجنة نحو قوله (كيف يهدى الله قوماً ـ إلى قوله ـ والله لا يهدى القوم الظالمين) .

وكقوله (ذلك بأنهم استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة وأن الله لا يهدى القوم الكافرين) وكل هداية نفاها الله عن النبى صلى الله عليه وسلم وعن البشر وذكر أنهم غير قادرين عليها ، فهى ماعدا المختص من الدعاء وتعريف الطريق ، وذلك كإعطاء العقل والتوفيق ، وإدخال الجنة . كقوله عز ذكره (ليس عليك هداهم ولكن الله يهدى من يشاء ـ وما أنت بهادى العمى عن ضلالتهم ـ إن تحرص على هداهم فإن الله لا يهدى من يضل) (ومن يضلل الله فماله من هاد . ومن يهد الله فماله من مضل) (إنك لا تهدى من أحببت ولكن الله يهدى من يشاء) اهـ .

وهكذا أطال الراغب وأجاد فى ذكر أنواع الهداية وبيان ما هو منها مختص بالله جل شأنه وما هو مشترك بينه وبين غيره ، إلا أنه لم يذكر الهداية العامة التى هدى الله بها كل مخلوق إلى القيام بالوظيفة التى هيأه لها بما أودع فيه من الغرائز والقوى والآلات التى يحتاجها ، ولعل هذا النوع من الهداية التى ترجع إلى الإلهام والتسخير هو المقصود فى قوله تعالى من سورة طه (قال ربنا الذى أعطى كل شىء خلقه ثم هدى) .

وقوله فى سورة الأعلى (الذى خلق فسوى . والذى قدر فهدى) .

وقوله من سورة النحل (وأوحى ربك إلى النحل أن اتخذى من الجبال بيوتاً ومن الشجر ومما يعرشون . ثم كلى من كل الثمرات فاسلكى سبل ربك ذللا) .

نسأل الله أن يهدينا صراطه المستقيم صراط الذين أنعم عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ، وأن يجنبنا طريق المغضوب عليهم والضالين .

محمد خليل هراس
المدرس بكلية أصول الدين

٢٥ - نظرات فى التصوف

« تكلمت عن الحب عند الصوفية ، ومنهم الغزالى . وأتابع الحديث عن هذا »

تحقير الخوف من النار والرجاء فى الجنة . وصفوة المحبين الصادقين عند الغزالى هم من لا يحبون الله خوفا من النار أو رجاء فى الجنة ، وإنما يحبونه لذاته :

يقول الغزالى ، « قال أبو سليمان الدارانى : إن لله عباداً ليس يشغلهم عن الله خوف النار ولا رجاء الجنة »(١) وينقل عن معروف الكرخى أن تلميذاً له سأله : « ياأبا محفوظ أى شيء هاجك إلى العبادة والانقطاع عن الخلق ، فسكت ، فقال — أى التلميذ — ذكر الموت ؟ فقال — أى الجنيد — وأى شيء الموت ؟ فقال : ذكر القبر والبرزخ ؟ فقال : وأى شيء هذا ؟ . إن ملكا هذا كله بيده : إن أحببته أنساك جميع ذلك . وإن كانت بينك وبينه معرفة كفاك جميع هذا » وينتقل الغزالى ونشوة الطرب تستخفه عن على بن الموفق أنه رأى بشر بن الحارث وأحمد بن حنبل فى الجنة على مائدتين . والملائكة عن أيمانهم وشمائلهم يطعمونهما من جميع الطيبات . ثم رأى رجلا آخر فى سرادق العرش من حظيرة القدس قد شخص ببصره ينظر إلى الله تعالى ، لا يطرف ، فسأل رضوان عنه فأنبأه أن هذا الرجل هو معروف الكرخى ، وأنه استحق هذه المنزلة ، لأنه عبد الله لا خوفا من ناره ولا شوقا إلى جنته بل حبا له ، فأباحه النظر إليه إلى يوم القيامة(٢) !! ومعروف هذا الصنم الذى يصدق الغزالى أن له هذه المنزلة كان يقول « إذا كانت لك حاجة إلى الله ، فاقسم عليه بى(٣) » . فهل بهذا القول الكافر استحق معروف عند الغزالى هذه المنزلة العظمى ؟

---

(١) ص ٢٨٩ جـ ٤ الإحياء .

(٢) ص ٢٦٦ جـ ٤ الإحياء .

(٣) ص ٩ الرسالة للقشيرى ، ويقول عن القشيرى : « يستشفى بقبره » .

أى فرق بين القَسَم على الله بالكرخى ، و بين القسم عليه باللات والعزى ؟ .

ويقص فى نفس الصفحة أن بعض الشيوخ رأى بشر بن الحارث فى النوم ، فقال له ما فعل أبو النصر التمار ، وعبد الوهاب الوراق ؟ فقال بشر : تركتهما الساعة بين يدى الله يأكلان ، و يشربان : فقال له الشيخ : وأنت ؟ فقال بشر : علم الله قلة رغبتى فى الأكل والشرب ، فأعطانى النظر إليه »

وهذه الرؤيا تناقض الرؤيا التى نقلها الغزالى عن ابن الموفق ! ! ثم يقص الغزالى أن شيخاً سأل رابعة : ماحقيقة إيمانك ؟ فقالت : ماعبدته خوفا من ناره ، ولا حباً لجنته . فأكون كالأجير السوء ، بل عبدته حباً له وشوقا إليه [1] » .

هذا سحر من التلبيس ، قد يجملك أخيذ النبرة الأولى منه . بيد أنك إذا عرضته على كتاب الله وجدته منكراً من القول وزورا .

إن فيه نشوة ساحرة وشاعرية سكرى . بيد أنها شاعرية عاشق دلهته امرأة ،فالعاشق المفتون لا يريد شيئاً سوى الحصول عليها هى ، إنها بذاتها بغينه وهواه وعشقه المحموم لا يريد الموعد وإنما يريد ربة الموعد ، لا يهمه أن تنعمه فى قصرها المنيف ، وإنما يهمه عناقها الذى يذيب جسده فى جسدها ! ! و بنفس الشعور تتحدث رابعة عن ربها . إنها لا تتحدث عن الله . إنما تتحدث عن عاشق أضنتها وعوده ، وشفها احتجابه فهى تريده وتريده ! .

أما المؤمنون الصادقون فى حبهم لله سبحانه ، فقد وصفهم الله بقوله : « يرجون رحمته ويخافون عذابه » وقال عن أنبيائه ورسله (٢١ : ٩٠ إنهم كانوا يسارعون فى الخيرات ، ويدعوننا رغباً ورهباً ، وكانوا لنا خاشعين) . وما الرغب والرهب إلا رجاء الرحمة والخوف من النار . وقال جل شأنه عمن سماهم « عباد الرحمن » (٢٥ : ٦٦ والذين يقولون ربنا اصرف عنا عذاب جهنم ، إن عذابها كان غراما . إنها ساءت مُسْتَقَرًّا ومُقاما) .

---

(١) ص ٢٦٦ جـ ٤ الإحياء .

وقال قاصًا قول خليله إبراهيم صلى الله عليه وسلم : (٢٦ : ٨٢ — ٨٦ والذى أطمع أن يغفرلى خطيئتى يوم الدين . رَبِّ هب لى حكما وألحقنى بالصالحين . واجعل لى لسان صدق فى الآخرين . واجعلنى من ورثة جنة النعيم) .

ومن دعاء الرسول عليه الصلاة والسلام الذى كان يدعو به ولا يتركه ، هذه الآية القرآنية : (ربنا آتنا فى الدنيا حسنة ، وفى الآخرة حسنة ، وقنا عذاب النار) .

فأين من هذا الحق والنور ماتهذى به وساوس تلك الشهوات السود ؟ .

إنك هنا تستنشق عَبَق الإيمان الطهور ، وتبصر كال العبودية وأدبها وصدقها فى المحبة[1] .

ولكنك حين تسمع دندنات رابعة لا تتصور سوى مخدع غانية أرمضها الحرمان من عاشق وعذبها هجرانه ، فهى تقضى عمرها موجعة لا تحلم إلا بعشاياه وخطاياه .

أيوجد من يجرؤ على القول بأن رابعة والكرخى وأضرابهما من مخابيل التصوف وعرابيد سكره وفجره يساوون شسعاً من نعل خليل الله إبراهيم ، وخاتم النبيين محمد صلى الله عليهما وسلم ؟ ، إن واحداً منهما لم يتكلم عن حب الله بما يزعم الصوفية أن الله أوحاه إليهم!! أهم خير عند الله من خليله وخاتم رسله ؟ وهل ينتسب هذا العشق الصوفى وعهره إلى ملمحة من نور حب النبوة وطهره ؟ .

عشق الصوفية فى مجونه وعربدته : يزعم التصوف فى عهره الماجن أن حب الله يوجب عليهم محبة كل شىء ، حتى الخطيئة !! ولقد عثر شيخ الإسلام ابن تيمية بواحد من هؤلاء فلامه على مجونه وإباحيته ، فقال الصوفى الماجن : المحبة نار فى القلب تحرق ماسوى مراد المحبوب ، والكون كله مراده ، فأى شىء أبغض منه ؟! .

فقال ابن تيمية : لهذا الإباحى الصوفى : إذا كان المحبوب قد أبغض أفعالا وأقوالا

---

(١) فى كتابى «هذه هى الصوفية» رد طويل على زعم رابعة العدوية .

وأقواماً ، وعاداهم ، فطردهم ، ولعنهم ، فأحببتهم تكون موالياً للمحبوب أو معادياً له ؟ »
قال شيخ الإسلام الجليل : « فكأنما ألقم حجراً ، وافتضح بين أصحابه[١] » .

لقد زعم أدعياء الحب أنهم من أجل الله يحبون كل شىء ، حتى الأجساد التى اتخذتها الخطايا حماة لها ، وتعبيراً عن فسوقها ، لأن كل شىء يحكى عن جمال الله وبهائه ، ثم تطور زعمهم هذا ، فقالوا : إنهم من أجله يعبدون كل شىء عين ذاته ، وسيأتى — بمشيئة الله — هذا الأخير . يقول ابن عربى :

لقد كنتُ قبل اليوم أنكر صاحبى ... إذا لم يكن دينى إلى دينه دانى
وقد صار قلبى قابلا كُلَّ صورة ... فمَرْعَى لِغزلانٍ ودير لرهبان
وبيتٌ لأوثان وكعبة طائف ... وألواح توراة ومصحف قرآن
أدين بدين الحب أنَّى توجَّهَتْ ... ركائبه ، فالحب دينى وإيمانى

أيعبر هذا الشعر عن سمو الحب لله ، كما يزعم بعض الذين فتنهم سحر ابن عربى ؟ ، أو بعض الذين خدعهم الاستعمار عن أنفسهم ، فظنوا أن التعصب الدينى شر كبير[٢] ، نعم إن التعصب شر كبير إن كان عن عمى وجهالة وضلالة ، إن كان فى سبيل تأريث أحقاد ، وأضغان ، إن كان ذياداً عن أساطير ، لكنه يكون هو الخير والحق إذا كان عن بينة ، وفى سبيل إعلاء كلمة الله .

وكل الذين يذمون التعصب الدينى لايذمونه إلا حين يرون مسلماً يجالد فى قوة وشكيمة

---

(١) ص ١٤ ج ٣ مدارج السالكين .
(٢) انظر ص ١٤٦ القضايا الاجتماعية الكبرى للدكتور عبد الرحمن شهبندر ، فثمت دفاع مستميت عن نزعة ابن عربى هذه وإعجاب بالغ بها ، وقد تأثر الدكتور فى هذا بدعاة التبشير وفلاسفة أوربا مثل الدكتور هوردبلى الذى كان رئيس أعظم مؤسسة للتبشير فى الشرق ، وهربرت سبنسر وغيرهما .

دون حرمات الله سبحانه . على حين يرون هذه العصبية خيراً ، وحقاً إذا أجج أوارها صليبي أو صهيوني ، ويسمونها شجاعة أدبية فائقة ! ونسأل الصوفيين ، والذين يحترقون بابن عربي : هل يحب الله سبحانه الوثنية والصليبية والصهيونية حتى يحبها ابن عربي ؟ ، إن دليل الحب الصادق هو أن يحب المسلم ما يحب الله ، وأن يكره مايكره ، فهل يحب الله الأوثان والصلبان وعبدة الشيطان ؟ ، حتى يجوز لمسلم أن يمجد ابن عربي في نزعته تلك ؟ ! .

إن ابن عربي في قصيدته تلك التي تستخف شهوات الأهواء الدنسة يعاند الله ، ويجحد بكتابه الحق ! ! .

إن ابن عربي يعشق ، وإنه يعبد ، ولكن ماذا يعشق ابن عربي ، وماذا يعبد ؟ إنه يعشق هواه ، ويعبد هواه ، وما أخسه من هوى يرى الحقيقة الإلٰهية جسد غانية ! ! ويرى الفضيلة في قدسها هي الخطيئة التي يشتهيها مع هذا الجسد ! .

وإني كلما ذكرت ابن عربي ، تذكرت قول الله سبحانه (أَفَرَأَيْتَ من اتخذ إلٰهه هواه ، وأضله الله على علم ، وختم على سمعه وقلبه ، وجعل على بصره غشاوةً ، فمن يهديه من بعد الله ، أَفَلاَ تذكرون ؟) فقد كان ابن عربي على علم .

إن الصليبية كانت تدق أبواب الشرق ، وتقتحم بأحقادها أقداسه ، وابن عربي يتغنى بهذه القصيدة التي ينادي فيها بحب الصليبي ، وقد يدهش بعض الناس من أن ابن عربي لم يشارك في حمل سيف أو قلم ضد الصليبية في عصره ، ولعلهم لا يدهشون الآن ؛ فالحب الصوفي يبسط أريحيته على كل صليبي وكل صهيوني ، وكل وثني ! ! .

« للنظرات بقايا »

عبد الرحمن الوكيل

ذكريات

فيها عظات وعبر من أمجد الذكريات وأعطرها سيرة

تألق نور الحق وانبلج الهدى ... بأكرم خلق الله قدراً وسؤدداً
وأشرقت الدنيا وعمّ ضياؤه ... وهزّ أقاصيها فمُ الدهر منشدا
هلالٌ تبدّى جل فى الكون قدره ... وقد عمّ نور الله من حين ما بدا
تبلّج صبح الحق فى جنباته ... فجلّى ظلام الشك حتى تبددا
فحيّوا هلالاً لاح فى الكون باسماً ... بشيراً ففى أيامه ولد الهدى
وقد زفّ للأكوان بشرى سعيدة ... وأظهر فى أفق الهداية فرقدا
وأطلع شمساً فى سماء غياهبٍ ... وأنجب هدياً للعباد « محمدا »
نبيٌ جليل القدر طابت أصوله ... سما نسباً فى العالمين ومحتدا
وذكرى سرى فى الخافقين عبيرها ... تطاول قرن الشمس مجداً وسؤددا
ومن يُرد الرحمن إعلاء شأنه ... يَسُدْ رغم من كانوا عداةً وحسدا
سما فى مهاد الطّهر طفلاً ويافعاً ... وشبّ على الإيمان كهلاً وأمردا
دعا وحده للحق ماشدّ أزره ... معينٌ سوى المولى أعان وعضدا
على الله فى مسعاه كان اعتماده ... فوالاه بالنصر المبين وأيدا
وقد أثبت التاريخ فى صفحاته ... رسولاً بنى المجد المؤثّلَ أوحدا
فأيقظ شعباً بعد طول سُباته ... وأزكى شعوراً للسكينة أخلدا
فكم من أذىً فى جانب الله ذاقه ... وكم بات مكلوم الفؤاد مسهّدا
ولاقى من الإعنات سوءا وغلظةً ... فسار على ما سار والعَزمَ وطّدا

فلم يثنه عن عزمه كيد كائد   يُبيِّتُ من سوء له متوعدا
وما زال يدعو ليله ونهاره   ويبسط كفيه لمن تاب واهتدى
إلى أن أتمَّ الله للدين نصرهُ   وآمن بالقرآن عاصٍ ووحدا
وكل امرىء يدعو إلى الحق بيِّناً   جلياً يرى طرف المضلين أرمدا
ومن يتقاعد عن يقينٍ إلى غد   فأى جنًى يجنيه من قوله غدا
فسارع بنشر الحق ما دمت قادراً   ولا تخش من لم يتَّبع أو تمردا
تقوم على الحق الصريح دعائمٌ   وكم ضاع برهانٌ على باطلٍ سدى

* * *

أنيبوا بنى قومى فإنَّا أعزة   إذا ما اتبعنا فى الشريعة «أحمدا»
ذروا الخلف فيما بينكم لا تفرقوا   وردوا عن الإسلام عدوان من عدا
علام التَّجافى إنما نحن أخوة   يؤلِّفنا دينٌ ويجمعنا هدى
رويداً فإن الدين دين تسامحٍ   ويسر فلا تستعذبوا الخلف موردا
وما علماء الدين إلا عماده   يذودون عنه بغى من جار واعتدى
بهم نقتدى فى الصالحات ونهتدى   وما ضلَّ من بالمرشد المصلح اقتدى
فلا تصدعوا الدين الحنيف وأصلحوا
بنور الهدى والعلم ما الدهر أفسدا
إذا دبَّ داء الخلف يوماً بأمةٍ   سقاها كئوس الذل والهون والردى

* * *

تنبهت الدنيا ونمنا فأيقظوا   نياماً فنون الجهل طال به المدى
وطاشت عقول الناس من بدعٍ بدت
فخروا لها من غشية الجهل سجدا
وحادوا عن النهج القويم جهالة   فألقوا طريق الحق بالزيغ موصدا

وغُرٌ عليهم بين فرضٍ وسُنَّةٍ ... ولم يفرقوا بين المضلّ ومن هدى
كمن رام تبراً من الترب جاهلاً ... أكان تراباً ذاك أم كان عسجدا
فأنتم سيوف الدين ذودوا عن الحمى ... فلا خير فى سيف إذا هو أغمدا
إلى الله ردوا والرسول خلافكم ... يحل لكم من أمركم ما تعقدا
ولا تجعلوا الدين الحنيف وسيلة ... إلى الحقد ، إن الدين منه تجردا
وسيروا على نهج النبى « محمد » ... فقد خلّف النهج السوىّ ممهدا
لكم فى رسول الله أحسن أسوة ... ترون له فيها تراثاً مخلدا

« الجيزة » ... نجانى عبد الرحمن

اختيار الصديق

إذا ما كنت متخذاً خليلا ... فلا تثقن بكل أخى إخاء
فإن خُيرت بينهم فألصق ... بأهل العقل منهم والحياء
فإن العقل ليس له إذا ما ... تفاضلت الفضائل من كفاء
فإن الحق للأحساب غول ... وأهون دائه داء العياء
ومن ترك العواقب مهملات ... فأيسر سعيه سعى العناء
فلا تثقن بالحمق لشىء ... ولو كانوا أعز الأوفياء
فليسوا قابلى أدب فدعهم ... وكن من ذاك منقطع الرجاء

صراع بين الحق والباطل

كتاب جديد ستضمه قريباً إن شاء الله المكتبة السلفية ، تدور موضوعاته حول قضية من أهم القضايا التي تتصارع من أجلها قوى الحق والباطل والهدى والضلال والتوحيد والشرك .

خصصت أكثر أبوابه لبيان حقائق الإسلام وعقيدة التوحيد الخالصة مدعماً بالكتاب والسنة . . . وتفهيم المسلمين بطلان ما لصق بأذهانهم من المعتقدات البالية التي لقنها لهم الشيوخ وتجار الدين . وورثوها عن الآباء والمجتمعات القديمة الفاسدة . فتعلقوا بها . فأبعدتهم عن السير في السبيل الذي أمر به كتاب الله وسنة رسوله الكريم . قام بتأليفه أحد شباب أنصار السنة وهو الأديب «سعد صادق محمد» في الدفاع عن المبادىء والقيم التي جاءت بها الشريعة الإسلامية لتقيم عليها المجتمع الصالح . . . ولمحاربة دعوات المنكر والوثنية والخرافات التي روجها أهل الهوى والجهل من المنتسبين إلى الإسلام وغيرهم من أعدائه . يقع الكتاب في قرابة ٢٠٠ صفحة من الحجم المتوسط .

وقراء « الهدى النبوي » يعرفون الأديب من مقالاته الرائعة التي ينشرها في المجلة ، وهي تمتاز بالدقة وإشراق الأسلوب . وسيباع الكتاب بثمن مخفض عن طريق الاشتراك وثمن النسخة منه للمشترك قبل الطبع ١٥ خمسة عشر قرشا . أما بعد الطبع فثمنه العادي ٢٠ عشرون قرشا .

فبادر أيها الأخ الكريم بالاشتراك من الآن في هذا الكتاب الذي تفخر به المكتبة الإسلامية العربية .

والله نسأل أن ينفع به قارئه ، وأن يجعله له طريقاً إلى معرفة الحق والهدى الذي اتبعه سلفنا الصالح فكانوا من السعداء في الدنيا والآخرة .

أخبار الجماعة

الجمعية العمومية

لفرع الجماعة بإمبابة

اجتمعت الجمعية العمومية لفرع جماعة أنصار السنة المحمدية بإمبابة بمسجدها الكائن بشارع محمد حجازى مساء الخميس ٢٥ من ربيع الأول سنة ١٣٨٣ هـ الموافق ١٥ من أغسطس سنة ١٩٦٣ م ، وذلك لانتخاب أعضاء مجلس الإدارة الجديد وبحضور جميع الأعضاء المشتركين .

وقد افتتح الاجتماع الأستاذ الحاج شريف عكاشة رئيس الفرع بكلمة جامعة شاملة لكل ما قامت به الجماعة فى بحر السنة الماضية من أعمال كان لها أكبر الأثر فى نشر الدعوة فى هذا الحي . ثم تلاه الأخ أمين الصندوق بكلمة عن الميزانية وحث الأفراد على الموالاة فى سداد الاشتراكات . ثم تلاه الأخ السكرتير بكلمة عن أعمال المجلس وعن مبادىء الجماعة . ثم أجريت الانتخابات ، وشكل المجلس الجديد من السادة :

١) الحاج شريف عكاشة رئيساً
٢) الشيخ حسين أحمد حسين وكيلا
٣) محمود مصطفى أبو السعود سكرتيراً
٤) رمضان محمد حسن أميناً للصندوق
٥) توفيق عبد الرحمن مراقباً عاماً
٦) الحاج محمد سيد صبح عضواً
٧) عبد العظيم عبد المقصود عضواً
٨) أحمد عبد الغفار »
٩) على السيد »
١٠) سيد إبراهيم »
١١) محمد جاد المولى »
١٢) رمضان محمد شام »
١٣) حلمى شفيق حسين »
١٤) مدبولى على عمران »
١٥) فؤاد محمد أحمد »

العدد ٧ رجب
المجلد ٢٨ سنة ١٣٨٣

خير الهدى هدى محمد صلى الله عليه وسلم

الهدي النبوي

تصدرها جماعة أنصار السنة المحمدية

رئيس التحرير
عبد الرحمن الوكيل

مدير الإدارة
سليمان حسونة

مطبعة السنة المحمدية
١٧ شارع شريف باشا الكبير
ت ٩٠٦٠١٧

٣٠ مليما

الفهرس

صفحة			
٣	التفسير	للأستاذ الشيخ	عبد الرحمن الوكيل
١٤	عقيدة القرآن والسنة . . .	« «	محمد خليل هراس
١٧	ذكريات (قصيدة)	«	نجاتى عبد الرحمن
٢١	غزوات الرسول (صلى الله عليه وسلم)	«	سعد صادق محمد
٢٩	المجتمع الإسلامى	« الشيخ	عبد الحليم حسين ملاقى
٣٥	دمعة من القلب	« «	أحمد أحمد على حسن
٣٨	تعليقات على الصحف	«	سعد صادق محمد
٤٢	نظرات فى التصوف	« الشيخ	عبد الرحمن الوكيل
٤٧	الفتاوى	« «	محمد خليل هراس

رجاء إلى السادة المشتركين والمتعهدين

نرجو من السادة المشتركين المتأخرين فى سداد اشتراكاتهم أن يتفضلوا بالمبادرة إلى سدادها .

كما نرجو من المتعهدين بالفروع أن يتكرموا بإرسال مالديهم من أثمان المجلة .

والمرجو إرسال جميع الحوالات وقيم الاشتراكات والذممات المتأخرة

باسم السيد / محمد رشدى خليل أمين صندوق الجماعة .

٨ شارع قوله بعابدين — القاهرة

رئيس التحرير

عبد الرحمن الوكيل

أصحاب الامتياز : ورثة

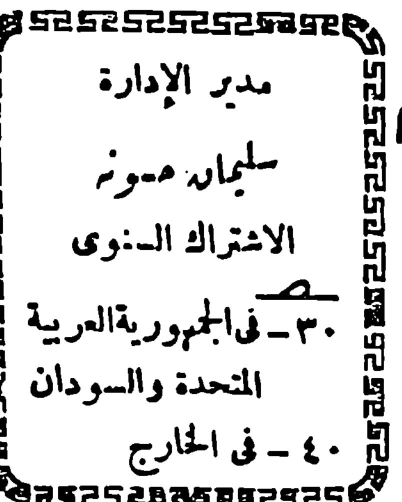
الشيخ محمد حامد الفقى

خير الهدى هدى محمد صلى الله عليه وسلم

الهدى النبوي

مجلة شهرية دينية

تصدرها جماعة أنصار السنة المحمدية



المركز العام : ٨ شارع قوله — عابدين القاهرة — تليفون ٧٦٥٧٦

العدد ٧ رجب سنة ١٣٨٣ المجلد ٢٨

نور من القرآن

بسم الله الرحمن الرحيم

قال ـ جلّ ذكره ـ : (وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ، فَأَعْرَضَ عَنْهَا ، وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ ، إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ ، وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا ، وَإِنْ تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَى ، فَلَنْ يَهْتَدُوا ـ إِذًا ـ أَبَدًا ـ الكهف ٥٧) .

« معانى المفـــردات »

« أعرض » قال الراغب : أعرض أظهر عُرْضَه ، أى ناحيته ، فإذا قيل : عرض لى كذا ، أى بدا عُرضُه ، فأمكن تناوله ، وإذا قيل : أعرض عنى ، فمعناه ولّى مبدياً عُرْضه .

« نسى » قال الراغب : النسيان : تركُ الإنسانِ ضبط ما استُودع ، إمّا لضعفِ قلبه ، وإما عن غفلة ، وإما عن قَصْدٍ حتى يحذف عن القلب ذكرُه . . وكل نسيان من الإنسان

ذمه الله تعالى به ، فهو ما كان أصله عن تعمد ، وما عذر فيه هو ما لم يكن سببه منه . وقوله : (فذوقوا بما نَسِيتُم لقاء يومِكم هذا ، إنَّا نَسِينَا كُمْ) هو ما كان سببه عن تعمد منه وتركه على طريق الإهانة . وإذا نسب ذلك ـ أى النسيان إلى الله ـ فهو تركه إيَّاه استهانةً به .

وقال ابن الأثير : أصل النسيان : التَّرْك .

« أ كِنَّةً » جاء فى لسان العرب : الـكِنُّ ، والـكِنَّة ، والـكِنان : وِقاء كل شىء وسِتره ، والـكِن : البيت أيضاً ، والجمع : أ كنان وأ كِنَّة . والـكِن ما يردُّ الحر والبرد من الأبنية والمساكن . والـكِن كل شىء وقى شيئاً فهو كِنَّة وكِنانة ، والفعل من ذلك : كَنَنْت الشىء ، أى جعلته فى كِنٍّ . والأ كِنة : الأغطية ، والواحد : كِنان .

« يفقهوه » قال الراغب : الفقه : هو التوصل إلى علم غائب بعلم شاهد ، وهو أخص من العلم ، والفقه : العلم بأحكام الشريعة . وجاء فى المختار : الفِقه : الفهم ، وقد فقِه الرجل فقها ، وأفقهته الشىء ، وقد فَقُه ، أى صار فقيهاً .

« وقراً » جاء فى لسان العرب : الوَقر ثِقَلٌ فى الأُذن ، وقيل هو أن يذهب السمع كله ، والثِّقَل أخف من ذلك .

وقد وقِرت أُذُنه تَوْقر وقرا ، أى صَمَّت ، ووَقرت أيضاً .

والوِقر : الثقل يحمل على ظهر أو على رأس ، أو الحمل الثقيل .

وقال ابن السِّكِّيت فى « إصلاح المنطق » : « الْوَقْر » : الثِّقل فى الأذن من قول الله تبارك وتعالى : (وفى آذاننا وَقْرٌ) .

ويقال منه : وُقِرت أذنه فهى موقورة . ويقال : اللهم قِرْ أُذنَه ، ويقال أيضاً : قد وَقِرَت أُذنُه تَوْقَرَ وَقْرًا .

والوقر : الثقل يحمل على رأس أو على ظهر ، من قوله تبارك وتعالى : (فالحاملات وقرا » ويقال : جاء يحمل وقره .

المعـــنى

بين الله فى الآية السابقة مهمة الرسل ، وهدف الكفار من معارضة الحق ، وسمة جدالهم وموقفهم من آيات الله ؛ فذكر أنه ما للرسل سوى أن يبلغوا عن الله ما يبشر به مَنْ أطاعه ، وما ينذر به من عصاه ، وأن هدف الكفار من معارضة الحق هو أن يجعلوا للباطل السيطرة والسلطان ، وكذلك كل من يأتى بشىء يحاول أن يحله ، محل كتاب الله سبحانه ، كما ذكر أن سمة جدالهم هى الاستناد إلى الباطل والاعتماد عليه ، ولن يكون الباطل مُسْتَنَدًا ولا مُعْتَمَدًا لعاقل .

ومن هذا نفهم أن معارضى القرآن بتراثهم وأهوائهم ليس لهم أبداً حجة يمكن أن يصدقها أحد حين تزعم أنها تنتسب إلى حقٍّ ، أو تسلك سبيله ! ! .

أما موقفهم من آيات الله ومما أنذرهم به ربنا سبحانه فالاستهزاء ! ! وأى استهزاء أشد بغياً وقحة فجورٍ من اللجوء إلى كتاب الله ليتلى فى استهزاء على مقبرة ، أو فى مأتم ، أو فى مناحة ، أو على قارعة طريق ، أو فى معبد طاغوت ، وعبيدُ الطاغوت يقترفون من أصواتِ المنكر ما يقترفون . . ثم اتخاذه مَهْجُوراً فيما أمر الله سبحانه أن نتخذه فيه . .

فلا الأمة الإسلامية تهتدى بنوره ، ولا أفراد هذه الأمة إلا من عصم الله . إنها لا تذكره إلا حين تقترف بغياً تزعم أنه من هدى الله ، فتحرف الكلم فيه عن مواضعه ، وتؤوله تأويلا ينتسب فى ضلالته وعمايته إلى اليهودية الصماء القلب والأذن ! ! .

وهل يسمى هذا ذكراً ؟ .

إنه نسيانٌ جاحد كنود ! ! .

كم من شيوخ اتخذوا من تحريف قوله سبحانه : (يـأيها الذين آمنوا أطيعوا الله ،

وأطيعوا الرسولَ وأولِي الأمر منكم) وسيلة لتعبيد ظهور الشعوب للملوك الطغاة البغاة الفسقة ، ووسيلة لتقبُّل ما يقترفه هؤلاء تَقبُّلَ الوحيِ الذى يشرق بهدى الله ! ! .

ثم يقول سبحانه بعد أن ذكّرنا بمجادلة الكفار بالباطل واتخاذهم آيات الله هزواً :

« ومَن أظلم[1] ممن ذُكِّرَ بآيات ربه ، فأعرض عنها ، ونسى ما قدمت يداه » إنّ استفتاح الآية يثير اهتمام القارىء وانتباهه ، فكأنما هو دعوة له ليشارك رب هذا القول فى الحكم على هؤلاء الذين ستُذْكَر صفاتهم . ولقد حكم الله فى أول الآية ، ثم ذكر أسباب حكمه . حكم بأنه لايوجد أحد أشد ظلماً من هؤلاء ، ومن يتدبر الأسباب بقلب خلِيٍّ من أحقاد الجاهلية ، وفكرٍ برىء من تراثها الملعون فسيحكم مذعناً موقناً مطمئناً بحكم الله سبحانه على أمثال هؤلاء . بل إنك لو سألت هذا الصنف الذى وصفه الله فى هذه الآية : أيوجد أظلم من هؤلاء القوم لقال لك : لايوجد أبداً ، ظنا منه أن مايقترفه هو من بغى لا يُدخله فى زمرة هؤلاء البغاة .

ومن صفات هؤلاء الذين وصفهم الله بأنهم أشد الناس ظلما أولا :

الإعراض عن آيات الله حين يُذَكَّرون بها .

والذين يحكمون بغير ماأنزل الله معرضون عن آيات الله .

والذين يفتون فى دين الله بالهوى معرضون عن آيات الله .

والذين يفتون فى دين الله بتراث المذهبية معرضون عن آيات الله .

والذين يتعبدون بمذهب معين معرضون عن آيات الله .

والذين يضربون القرآن بما ورثوه عن آبائهم وشيوخهم معرضون عن آيات الله .

إن الشيطان يلبس على المعرض عن آيات الله دينه فيصور له إعراضه إقبالا ومحبة وتقديساً للكتاب .

---

(١) فى هذا الاستفهام روعة ، ونفس الأسلوب يحدد معناه . يؤكد أن قائله لا يجهل أبداً ما يستفهم عنه . يؤكد حقيقة واضحة تستطيع بتدبر القلب فهمها . تلك هى أنه : لا أحد أظلم من هؤلاء .

وتدبر حال الذين يأخذون دينهم عن الشيوخ وتراث الشيوخ وسلهم : كيف تعرضون عن كتاب الله ؟

إنك لن تسمع منهم إلا منكرا من القول وزورا، وسيدمغونك بأنك تبهتهم بالسوء وسيؤكدون لك أنهم غير معرضين فى شىء ما عن كتاب الله .

وهنا تدبر قول الله عن المشركين :(ثم لم تكن فِتنَتُهم إلاَّ أن قالوا : واللهِ رَبِّنا ما كُنَّا مشركين) .

لقد استزلَّهم الشيطان هذه الضلالة الفاتكة ، حين صور لهم الشرك توحيدا ، والكفر إيمانا ، وعبادة غير الله إخلاصا فى عبادة الله، ونداء الموتى دعاءاً للحى القيوم !! وأنا لا أحصر لك طوائف المعرضين ، وإنما أضرب لك مثلا ، وإلا فهُمْ كُثر ، وأشدهم إعراضا وطغيانا فى الإعراض أحلاس ابن عربى ، وعَبَد ابن الفارض ، وعشاق رابعة !! فهم يعرضون عن أصول الدين وفروعه . عن رب الدين ورسوله، وحسبك أنهم يحكمون على الله واهب الوجود والخلود ، بأنه عدم ، أو شىء يمنحه خالقُه الوجود !! وَمَنْ يذَكِّر بالقرآن لا يبغى جزاءً ولا شكورا إلا من الله ، إن حبَّه لله وحبَّه للناس المشرق فى قلبه عن حب الله يدفعه إلى هذا التذكير . ولقد كاد أفضل الخلق وخاتم النبيين يهلك نفسه أسفا على أولئك الذين يُذَكِّرهم ، فلا يستجيبون له . واستجابتهم لا تقدم له نفعا ، ولا تمنع عنه ضرا ، إنما تقدم النفع لهم ، وإنما تمنع الضر عنهم .

هذه الرحمة الروحية الصافية لا تقابل من هؤلاء إلا بالصَّلَف والقسوة ، وحسبك التعبير بالإعراض ، فهم كمن يدير ظهره لمن يدعوه إلى الخير ويحذره من التردى فى هاوية . ومن صفات هؤلاء نسيان ما اقترفوا من معاصٍ وخطايا تهلك دنياهم وآخرتهم ، وتربط مصائرهم بجهنم . وبهذا النسيان العامد المتعمَّد يتعالون على الناس أيضا بأنهم تقاة ، لا طغاة ، وصالحون ، لا طالحون وأرباب عهد مع الله أن لهم الجنة . وهذه سمة واضحة بينة تكاد تراها فى فلتات اللسان ، وتسمعها من رفات الأهداب . إن كانت فلتات اللسان ترى ، ورفات الأهداب تسمع .

وإليك من آيات القرآن مايذكرك بصفات هؤلاء أيضا لعلنا نتخذ لنفوسنا منها جُنة تقينا غضب الله ولعنته .

فمن صفاتهم ماذكر الله فى هذه الآية :

(وَمَنْ أظلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مساجدَ الله أنْ يُذْكَرَ فيها اسْمُهُ وسَعَى فى خرابها — البقرة — ١١٤)

ومِنْ صفاتهم كتمانُ ما أنزل الله وبيَّن .

(ومن أظلم مِمَّن كتم شهادةً عندَه من اللهِ ، وما اللهُ بغافلٍ عما تعملون ـ البقرة ١٤٠)

ومن صفاتهم افتراء الكذب على الله والتكذيبُ بآياته .

(ومن أظلَمُ مِمَّن افترى على الله كذبا أو كذَّب بآياته إنه لا يُفلح الظالمون — الأنعام ـ ٢١) .

ومن صفاتهم زعمهم أن الله يوحى إليهم ، وأنهم يستطيعون الإتيان بمثل ما أتى به الله .

(ومن أظلمُ مِمَّن افترَى على الله كذبا ، أو قال : أُوحِيَ إلَيَّ ، ولم يُوحَ إليه شَيْءٌ ، وَمَنْ قال : سَأُنْزِلُ مثلَ ما أنْزَلَ اللهُ ـ الأنعام : ٩٣)

ومن صفاتهم عداوتهم للإسلام وسعيهم فى سبيل القضاء عليه ليعيش الناس فى ظلام الجاهلية . فبعد أن ذكر الله موقف بنى إسرائيل من عيسى بعد أن بين لهم أنه رسول الله إليهم ، وأنه يبشرهم برسول يأتى من بعده اسمه أحمد يقول سبحانه : (ومن أظلم مِمَّن افترى على الله الكذبَ ، وهو يُدْعى إلى الإسلام[1] . واللهُ لا يَهْدِى القومَ الظالمين . يُريدون لِيُطْفِئُوا نورَ الله بأفواهِهِمْ ، واللهُ مُتِمُّ نورِه ولَوْ كَرِه الكافرون ـ الصف : ٨)

---

(١) هذه الآية تنص بجلاء على أن دين الرسل جميعاً هو الإسلام فلنحذر من تقليد الصليبية ، فننسب إلى عيسى عليه السلام إنه دعا إلى المسيحية . ولنقل كما بين الله إن عيسى رسول من رسل الإسلام .

وقد شهد تاريخ المسلمين أن الله قد ابتلاهم بأمثال هؤلاء الذين ذكر الله عنهم أنهم أظلم الناس جميعاً ، فمن الساعين إلى مساجد الله بالخراب ومنع الناس من ذكر اسم الله فيها أولئك الذين يحتفون بمعابد الموتى ، ومعابد الأصنام ، ويتركون مساجد الله خرابا يبابا تبول فيها الكلاب الشوارد ، وتسلح عليها الغربان السود المناكيد !!

ومن الذين يكتمون ما أنزل الله أولئك الذين يعرفون الحق ويعادونه ، ويعرفون المنكر ، ويصورونه فى صورة المعروف . إنك لتجد من شيوخنا من يؤلف كتباً يحارب فيها البدع والخرافات بأسلوب رائع تتجاوب معه عواطف المسلمين وأفكارهم وآمالهم . ولكنك تراه أول من يغشى تَخَمَاتِ هذه الخرافات ، ومباءات هذه البدع يشارك طواغيتها التهنئات والتبريكات !!

ومن المفترين على الله الكذب أولئك الذين يحرفون الكلم عن مواضعه ، وينسبون إليه أنه أراد غير ما تكلم به كأولئك الذين ينكرون صفاته ، ويعطلونها بالتأويل الفاسد الحاقد ، وأولئك الذين يحلون ما حرم الله ، ويحرمون ما أحل الله مسندين ما افتروه إلى الله .

أما الذين زعموا أنه قد أوحى إليهم كالنبيين فهم كثيرون ، وقد تصدى التاريخ فسجل أسماء الكثيرين منهم . غير أنى أحب أن أشير إلى ظاهرة هى ليست بعجيبة ولا غريبة . وهى أنك تكاد لا تجد هؤلاء إلا من بين هذه الطوائف : « اليهود والشيعة والصوفية[1] » وأكثر هؤلاء يزعم أنه المسيح الموعود !! ومن هؤلاء يعيش اليوم مخبول فى ضاحية المصادى . وأقربهم إلى الذكر غلام أحمد القاديانى ، وأتباعه ينتشرون كثيراً فى الباكستان وطن غلام أحمد ، وإنجلترا وألمانيا الغربية .

---

(١) يزعم ابن عربى فى مقدمة كتابه فصوص الحكم أن رسول الله زاره وأعطاه كتابه فصوص الحكم ، فأبرزه للناس من غير زيادة ولا نقصان وأن من يقف على كتابه هذا سيتحقق من أنه من مقام التقديس المنزه عن الأغراض النفسية التى يدخلها التلبيس ص ٤٣ ط الحلبى .

وميرزا حسين على الذى لقب نفسه « ببهاء الله » وأتباعه ينتشرون كثيراً فى إيران والأرض المغتصبة من أرض فلسطين ، وأمريكا . ورئيسهم اليوم أحد زعماء الصهيونية فى أمريكا »[١] !!

ومن هؤلاء الباغين فى الظلم من يأتى بكتاب يضرب به كتاب الله ويدعو الناس إلى الأخذ به بدلا من كتاب الله . هذا من الذين يصدق عليهم قول الله « ومن قال سأنزل مثل ما أنزل الله » فلولا أنه يعتقد أنه رب ، وأن كتابه يسامى كتاب الله إن لم يكن أسمى منه ما دعا الناس إلى الأخذ بكتابه بدلا من كتاب الله !!

« إنا جعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفى آذانهم وقرا[٢] » بهذا الجزء من الآية بين الله سبب ما بين من قبل . هذا السبب هو أن الله جعل على قلوبهم أغطية تحول بينها وبين الفهم الذى يحبه الله ويريده ، وعلى آذانهم ما يحول بينها وبين السمع ، فصاروا لا يسمعون وَلا يفقهون . صاروا من شرّ الدواب !!

إلى الباغين على مشيئة الله : ويحرف الذين يبغون على مشيئة الله هذه الآية فيزعمون أنها تقتضى الإيمان بالجبْرِيّة المصمتة والحَتْمِيَّة القاهرة ، فلا اختيارَ لأحد ، ولا إرادَة ، ولا مشيئة . إنما العمل عمل الله . سواء أكان صالحاً أم طالحا ، وإنما الكلام كله كلام الله سواء أكان طيباً أم خبيثا ، وإنما الاعتقاد كله اعتقاد الله سواء أكان حقاً أم باطلا . وما نحن فى ظن هؤلاء إلا كما يقول الشاعر الجبرى :

ألقاه فى اليَمّ مَكْتُوفاً وقال له ... إيَّاك إيَّاك أن تَبْتَلّ بالماء

ولقد ذكر الله هذا الصنف فى كتابه ، ورد عليهم ، بعد أن ذمهم بأنهم مشركون

---

(١) أعان الله فأصدرت كتاباً عن البهائية ، وبعون الله أعمل فى كتاب عن القاديانية .

(٢) الضمير يرجع إلى آيات ربه ، مذكراً ، لأن المقصود بالآيات هنا القرآن . أو نقول إن الضمير يرجع إلى ما ذكروا به .

يكذبون على الله سبحانه . وإليك قوله جل شأنه فى حقهم : (سَيَقول الذين أشركوا : لو شاء اللهُ ما أشركنا ولا آباؤنا ، ولا حرَّمنا مِنْ شَىْء ، كذلك كَذَّب الذين من قَبلِهِمْ حتى ذاقوا بَأسَنَا ، قُلْ : هَلْ عندكم مِنْ عِلْمٍ ، فَتُخْرِجُوه لنا ، إنْ تَتَّبِعُونَ إلا الظَّنَّ ، وإنْ أنتمْ إلاَّ تَخْرُصون - الأنعام : ١٤٨) .

بهذه الآية دمَّر الله بهتان الذين يبغون على مشيئته ، ويبهتونها بأنها مشيئة قاسية ظالمة لا تعرف عَدْلاً ولا إحسانا ولا رحمة .

ولنقرأ معاً آيات الأكِنَّة فى القرآن ، وبهدى الله نضرع إلى الله أن نهتدى بتدبر هذه الآيات التى أذكِّر بها .

« وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إليكَ ، وجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ ، وَفِى آذانِهِمْ وَقْرًا ، وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ ءايَةٍ لا يُؤْمِنُوا بها ، حَتَّى إذَا جَاءُوكَ يُجَادِلُونَكَ ، يقول الذين كفروا : إنْ هٰذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ . وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ ، وَيَنْأَوْنَ عَنْهُ ، وَإِنْ يُهْلِكُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ ، وَمَا يَشْعُرُونَ - الأنعام ٢٥ ، ٢٦ » . أرأيتَ إلى بَغْيِ هؤلاءِ على القرآن ؟ أرأيت إلى مَقْتِهِم للإيمان وجدالهم بالباطل ، وتنفيرهم الناسَ من القرآنِ ، ونهيهم الملأ عن اتباعه[1] ؟ .

وفى سورة الإسراء : « وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْءانَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَسْتُورًا . وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِى آذَانِهِمْ وَقْرًا . وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِى الْقُرْءانِ وَحْدَهُ وَلَّوْا عَلَى أَدْبَارِهِمْ نُفُورًا - الإسراء ٤٦ » .

وتدبر هنا هذه الصورة النكراء ، صورة الذى يفر على دبره ، تأمل صورته فى فراره جيداً ! ! والله الحق لايقول إلا الحق ، أفبأمثال هؤلاء نقتدى ؟ .

---

(١) تذكر هنا حال الذين ينفرونك من أنصار السنة ، لأنهم يدعون إلى الكتاب والسنة ! ! .

« كِتَابٌ فُصِّلَتْ ءايَاتُهُ قُرْءانًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ . بَشِيرًا وَنَذِيرًا ، فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ ، فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ . وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ ، وَفِي ءاذَانِنَا وَقْرٌ ، وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ ، فَاعْمَلْ إِنَّنَا عَامِلُونَ ـ فصلت : ٤ ، ٥ » . وفى هذه الآية فَصْلُ الخطاب .

فالأكِنَّة والوقر والحجاب من عمل الطغاة البُغاة وإرادتهم وعمدهم . لقد طلبوا الأكنة ، طلبوا الوقر ، طلبوا الحجاب ، طلبوا هذا من الله الذى لايظلم أحداً ، وأعطاهم الحجاب . أعطاهم ما طلبوا ، وهو قبل أن يعطيهم بَيَّن لهم أن هذه الأكِنَّة قاتلة ، وأن هذا الوقر مُهْلِك ، وأن هذا الحجابَ حِجَابٌ عن السعادة . . ولكنهم أبوا إلا أن يُلِحوا فى طلبها .

فهل نتهم مشيئةَ الله بالبغى ؛ لأنها تعطى ما نريد ؟!

ولن أتعرض هنا لتاريخ هذه الشبهة ، فتاريخها طويل . وحسبك أنها شبهة قديمة ، وأنها نشأت فى بيئة غير إسلامية . فمنذ خولط الإنسان بمسٍّ الشيطان ، وهو يحمل على مشيئة الله بالزور والبهتان !! .

« وَإِنْ تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ ، فَلَنْ يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا » . هذه هى النتيجة ، أو قل : هذا هو جوابُ من يسأل : ولماذا لا أدعوهم إلى الهدى ، أو قل : هذا بيان عن طبيعة هؤلاء وأمثالهم .

وقد بلغ هؤلاء من الحقدِ والجحودِ والانسلاخ عن كل معنى يَنْتَسب إلى الإنسانية المهذبة التى تحترم الفكرة الرشيدة واللمحة من الحق . بلغ هؤلاء من كل ما ذكرت مبلغاً جيء له فى الآية بكلمة « أبداً » التى تفيد الزمان الذى لا يتجزأ ولا ينتهى ، مع أن بقاءهم فى هذه الحياة محدود لا أبدية له ولا خلود .

هكذا بهذه الكلمة العظيمة فى مكانها يكشف الله عن باطن هؤلاء القوم الذين لا تنفع فيهم عظة ، ولا تستميلهم إلى الهدى عبرة ، ولا تأخذ بهم إلى الحق آيات وآيات .

ولعل الذين يتصدون للدعوة إلى الله قد رزئوا بأمثال هؤلاء .

لكن هذا لا يثنينا عن الدعوة إلى الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ولنا أسوة بهؤلاء الدعاة المسلمين الذين قص الله شأنهم فى سورة الأعراف . وتدبر أنت حالهم فى هذه الآيات : « وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِنْهُمْ : لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ؟ قَالُوا : مَعْذِرَةً إِلَى رَبِّكُمْ ، وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ . فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ ، أَنْجَيْنَا ٱلَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلسُّوءِ ، وَأَخَذْنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ[1] بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ . فَلَمَّا عَتَوْا عَمَّا نُهُوا[2] عَنْهُ ، قُلْنَا لَهُمْ : كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ ـ الأعراف : ١٦٤ ـ ١٦٦) .

هؤلاء الدعاة كانوا فى قرية وصفها الله بأنها كانت حاضرة البحر .

نضرع إلى الله أن يجعلنا من حزبه المؤمنين الداعين إلى الخير ، الآمرين بالمعروف ، الناهين عن المنكر ؟

عبد الرحمن الوكيل

عن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما أن رجلا سأل النبي صلى الله عليه وسلم ، أى الإسلام خير ؟ قال : « تطعم الطعام وتقرىء السلام على من عرفت ومن لم تعرف » .

---

(١) شديد .

(٢) تكبروا عن ترك ما نهوا عنه ، وأصل العتو مجاوزة الحد فى الاستكبار ، أو المبالغة فى ركوب المعاصى بحيث لا ينفع وعظ ولا تنبيه .

توحيد الله عز وجل

ومن أسمائه الحسنى سبحانه (الرشيد والصبور) ولم يجىء واحد منهما فى القرآن الكريم وصفاً لله عز وجل بلفظه ، ولكن ورد كل منهما وصفاً لبعض عباده . كقول لوط عليه السلام لقومه وهو يجادلهم فى شأن ضيفه ويحذرهم من التعرض لهم بسوء :

(يا قوم هؤلاء بناتى هن أطهر لكم فاتقوا الله ولا تخزون فى ضيفى أليس منكم رجل رشيد) .

وكقول قوم شعيب عليه السلام له حين دعاهم إلى الله عز وجل .

(يا شعيب أصلاتك تأمرك أن نترك ما يعبد آباؤنا أو أن نفعل فى أموالنا ما نشاء إنك لأنت الحليم الرشيد) .

وكقوله تعالى من سورة لقمان عليه السلام (ألم تر أن الفلك تجرى فى البحر بنعمة الله ليريكم من آياته إن فى ذلك لآيات لكل صبار شكور) .

أما الرشيد فهو مشتق من الرشد الذى هو ضد الغى ومعناه : الذى لا يقول ولا يفعل إلا ما كان صوابا .

فقوله سبحانه وفعله كله رشد وفى أعلى الغايات من الاستقامة والسداد ، لا يمكن أن يداخله شىء من ضلال أو انحراف .

فكلماته وأقواله القدرية التى يوجد بها الأشياء ويدبر بها الأمور ، كلها حق ورشد لاشتمالها على الحكم والمصالح والغايات الحميدة ، وعلى تمام الحسن ونهاية الإتقان .

قال تعالى (وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما باطلا) .

وقال جل شأنه (وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما لاعبين . ما خلقناهم إلا بالحق ولكن أكثرهم لا يعلمون) .

وقال سبحانه (صُنْع الله الذى أتقن كل شىء ، إنه خبير بما تفعلون)

وقال (الذى أحسن كل شىء خَلَقَه وبدأ خلق الإنسان من طين) .

وأقواله وكلماته الشرعية الدينية وهى التى تكلم بها فى كتبه وعلى ألسنة رسله رشد كلها ، فإنها مشتملة على الصدق التام فى الإخبار والعدل التام فى الأحكام ، فلا أحد أصدق من الله قيلا ، ولا أحسن منه حديثاً . قال تعالى (وتمت كلمة ربك صدقا وعدلا لا مبدل لكلماته ، وهو السميع العليم) .

فهذه الكلمات من أعظم وأجل ما يرشد به العباد . بل لا يحصل لأحد الرشاد بغيرها أصلا ، فمن ابتغى الهدى فى غيرها أضله الله ، ومن لم يسترشد بها فى جميع أمره فليس هو برشيد . إذ يحصل بها الرشد العلمى ، وهو معرفة الحقائق التى لا سبيل إلى معرفتها إلا من طريق الوحى ، والوقوف على المصالح والمضار الدينية والدنيوية ، ويحصل بها كذلك الرشد العملى ، فإنها تزكى النفوس وتطهر القلوب وتدعو إلى أصلح الأحوال وأحسن الأخلاق ، وترغب فى كل جميل ، وترهب من كل ذميم رذيل .

وبالجملة فإن الله سبحانه لم يجعل لأحد عليه حجة بعد بعثته للرسل وإنزاله الكتب المشتمله على الهدى المطلق والإرشاد الكامل ، فهو سبحانه الرشيد الذى كم بفضله هدى ضالا وأرشد حائراً ، وخصوصاً من تعلق به وطلب الهدى منه من صميم قلبه ، وعلم أنه المنفرد بالهداية .

يقول الإمام ابن القيم رحمه الله فى القصيدة النونية :

وهو الرشيـــد فقوله وفعاله ... رَشَـدٌ وربك مرشد الحيران

وكلاهما حق فهـــذا وصفه ... والفعل للإرشـــاد ذاك الثانى

وأما اسمه تعالى (الصبور) فإنه مبالغة من صابر ، ومعناه : الكثير الصبر . والصبر فى الأصل حبس النفس على ما تكره من الآلام والمشقات انتظاراً لحسن العاقبة ونفى الهلع والجزع عنها .

والصبر فى حقه سبحانه معنى يليق بذاته إذ لا يبلغ أحد من العباد صبره . والمراد به حلمه سبحانه وتعالى على أعدائه ومتابعة نعمه عليهم وعدم معاجلتهم بالعقوبة مع إيذائهم إياه بتكذيبه ومعاندة رسله .

قال صلى الله عليه وسلم فى الحديث الصحيح « لا أحد أصبر على أذى سمعه من الله عز وجل ، يجعلون له الولد وهو يعافيهم و يرزقهم » .

وثبت فى الصحيح أيضاً قال الله تعالى « كذبنى ابن آدم ولم يكن له ذلك ، وشتمنى ابن آدم ولم يكن له ذلك . فأما تكذيبه إياى فقوله ، لن يعيدنى كما بدأنى ، وليس أول الخلق بأهون على من إعادته ، وأما شتمه إياى فقوله أن لى ولداً ، وأنا الواحد الأحد الفرد الصمد الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد) .

فالله تعالى يدرُّ على عباده الأرزاق ، المطيع منهم والعاصى .

والعصاة لا يزالون فى محاربته وتكذيبه وتكذيب رسله والسعى فى إطفاء دينه . والله تعالى حليم صبور على ما يقولون وما يفعلون ، يتتابعون فى الشرور وهو يتابع عليهم النعم . فلا أحد أكمل صبراً من الله عز وجل لأنه صبر عن كمال قدرة وكمال غنى عن الخلق ، وكمال رحمة و إحسان .

فتبارك الرب الرحيم الذى ليس كمثله شىء ، الصبور الذى يحب الصابرين ويعينهم فى كل أمورهم .

(ربنا أفرغ علينا صبراً وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين) .

محمد خليل هراس
المدرس بكلية أصول الدين

عن أبى الدرداء رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « تدعون يوم القيامة بأسمائكم وأسماء آبائكم ، فأحسنوا أسماءكم » رواه أحمد وأبو داود .

ذكريات

الكاتب والأديب الشاعر الذى فقدناه

كان الأستاذ « محمد صادق عرنوس » رحمه الله ، فحلًا من فحول الأدب والشعر والبيان ، يشار إليه بالبنان ، نثره كاللؤلؤ المنثور ، ونظمه كالسحر الحلال ، خفيف الروح فى كتاباته ، عَفّ اللسان ، كلامه يدخل إلى أعماق القلوب ويستقر بها ، يغار على الدين وعلى اللغة العربية كما يغار على شرفه وعلى كرامته ، فإذا رأيته يدافع عن الدين ، يخيل إليك أنه فى ميدان الجهاد، يؤيد نظريته بأسانيد قاطعة تشاد على الحق المبين من كتاب الله وسنة نبيه الكريم ، وكان رحمه الله يعد فى طليعة الكتاب والشعراء .

له من آثاره الشعرية مقطوعات رائعة جدية وفكاهية فى قالب رصين متين ، يحفظ ذلك كل أديب عرف الفقيد الكريم فى حياته ، وقد تحرك عاطفة الميل الشديد لكل إنسان لاستماع هذا الضرب من الفكاهة الطريفة ، والمساجلات التى تغذى الوجدان ، وتهذب العواطف وتدل على أن الشعر العربى الإسلامى رحيب لكل فنون الحياة الصافية الطيبة .

كنت أتبادل معه الرسائل والمساجلات وأنا فى سوهاج وهو فى المحلة الكبرى ، وقت أن كان موظفاً بوزارة الأوقاف ، ثم توقفت الرسائل مدة عام بتمامه ، وانقطعت الأسباب بينى و بينه على الرغم منا ، وكنت قانعاً بالذى ينشره فى مجلة الهدى النبوى شهريًّا من نثر ونظم بعنوان « من صور الحياة » ، وكان هو الوكيل لجماعة أنصار السنة المحمدية ومدير المجلة زهاء خمسة عشر عامًا ، ثم عادت مساجلاتنا القديمة سيرتها الأولى ، وكان يطلق على منزلى فى سوهاج الذى يجتمع فيه إخوان لنا من أدباء مجيدين ، وكرام كاتبين «دار الندوة» ، فأرسلت إليه كتاباً موجزاً وقلت فيه : إن دار الندوة فى شوق شديد إليك و إلى شعرك الرقيق ، وقد انقطعت كتبك ورسائلك عنها ، فما شغلك عنها ؟ .

فجاءنى منه الرد وفيه هذه الأبيات الرقيقة بعد مقدمة نثرية طريفة يبسط فيها أسباب انشغاله عنا وهى :

. . . وافى «الرسول» وعندى أن لعبته ... جاءت على «فترة» طالت على الراجى

إن لم أقاضك إياه ضننت به ... هل كان إرساله عن شبه إحراج ؟

عام تولى وما شاهدت من أثر ... تشتاقه النفس من آثار سوهاج

حيث الأحبة تزهو «دار ندوتهم» ... بعصبة فى هواهم غير أمشاج

تبادلوا الود فيما بينهم فهموا ... ما بين غزال إخلاص ونساج

جل القلوب لعمرى غير صافية ... وما بهم من قلوب لونها عاجى

صداقة جمعتهم غير مفرضة ... فحبها طبيعى دون «مكياج»

«دار» متى جئتها ألفيت تربتها ... للعلم والجود فيها خير إنتاج

يا طالما نعمت عينى برؤيتها ... بالأمس واليوم رؤياها مدى حاجى

يا ليتنى عدت كالماضى الأثير بها ... أو الأسير فما أسعى لإفراج

قد أدمج الود فيها وهى - معمله - ... روحى وروح «نجاتى» أى إدماج

فإن يئست من اللقيا على عجل ... فقل لروحك ناجى روحه ناجى

* * *

و«دار الندوة» عهدت لأديب كبير من أدبائها وشاعر مجيد من شعرائها أن يتولى الرد ، فنظم الأستاذ عبد الرحيم شاكر الموظف بمجلس المديرية سابقاً هذه الأبيات رداً على ما وافانا به الفقيد العزيز فقال :

يا «صادق» الود إنى قد غزلت لكم ... خيطاً من الود لا من وشى ديباج

وقد نسجت به ثوباً أمت به ... إليك فاوصل به مقطوع أوشاجى

جعلت لحمته حبى ومن أدبى ... سداه يا ليته قلبى وأوداجى

فجاء ثوباً من الإخلاص منسجماً تخلو حواشيه من نقش « ومكياج »
لله در « نجانى » فى كياسته « مكّوك » وصلٍ وإنتاج وإدماج
فكم له منّة مازلت أذكرها فى الصبح والظهر والحلوك الداجي
أذاع من خطرى ما كان مستتراً وأوضح النهج فى سيرى وإدلاجي
وأيقظ الشعر فى قلبى وأوقده وكاد يخبو بفعل البؤس والحاج

* * *

تنبيك « ندوته » عن حسن عشرته وعن فؤاد من الإخلاص وهّاج
لا عيب فيها سوى أن الأسير بها يرجو البقاء ولا يسعى لإفراج
قد ألّف الأدب العالى بها رحماً للشمس ينسب لا للماس والعاج
تعاونوا فى سبيل البر واتحدوا وعبّدوا لسراهم خير منهاج
تلألأ البشر سمحاً فى شمائلهم وضاع طيباً شذياً جوّ سوهاج

* * *

إنّا نحيّيك من فيحاء ندوتنا يا نادياً بين غزّالٍ ونسّاج
وأن وصلك واللقيا على عجلٍ أمنية طالما عزت على الراجى
فابعث خيالك كى نحظى بطلعته أو ناجنا بقريض « صادق » ناجى

* * *

وأنا أستغفر الله مما نالنى من مدح أو ثناء ، لأنى لا أستحق ولا أرجو ذلك جزاء ولا شكوراً ، وإنما النقل أمانة كما يقولون ، وليس من حقى وأنا أضع هذه الذكريات لصديق عزيز على أن أتعرف فى كل ما قيل ، والظاهر أن الأستاذ « صادق عرنوس » رحمه الله كان وهو ينظم أبياته ، متأثراً بمصانع « وورش » المحلة الكبرى من كثرة ما بها من الغزل والنسيج كما وصف أبياته ، وجاء الرد كذلك ، فقد احتذى على مثاله ونسج على منواله .

وقد مات بالأقطار الحجازية الشاعر الأديب « محمد صادق عرنوس » وأهيل التراب على تلك النفس العظيمة المطمئنة التى كانت العنصر الفعال فى ذكر سيرته الآن ، وإن الذكرى هنا حياة جديدة تذكر لتقدير العاملين المجاهدين فى سبيل الله ليتفهمها الناس ويقدرون أبطالها حق قدرهم .

ويوم مات صادق عرنوس كتبت مجلة الهدى النبوى فى ٢١ المحرم سنة ١٣٧٠ الموافق ٢ نوفمبر سنة ١٩٥٠ تقول ضمن رثائه « وكان رحمه الله فوق عنايته بالقرآن وسنة رسول الله حفظاً وفهماً — معنيًا بالأدب العربى ، شعراً ونثراً ، وله فى ذلك الميدان روائع نشر كثير منها فى مجلة « الهدى النبوى » إلى آخر الرثاء الذى كتب بالعدد الثانى الصادر فى شهر صفر سنة ١٣٧٠ .

وحين قرأت مانشر رثيته بهذه الأبيات ، وهو الصديق القديم ، والشاعر الملهم ، والأديب الذى ملأ صحائف كثيرة بأدبه ونقده الفعال المحبب لكل قرائه الكرام .

فاض الأسى وقضى « عرنوس » مغترباً ... عن عارفيه وعن أهلٍ وخلان

فى بقعةٍ جمعت خير العباد بها ... من سادة العُرب من عدنٍ وعدنان

طوى البقيع أديباً ، بل طوى عَلَماً ... قد كان يخفق ، من آنٍ إلى آن

وشاعراً طالعتنا عبقريته ... بوائعٍ من خيالاتٍ ووجدان

كانت فرائده فى نظمها مثلاً ... وحجةً عند تبيين وتبيان

إنى تصفحت فيضاً من خواطره ... ملأى بتقوى وإخلاصٍ وإيمان

ضربٌ من الشعر لم يخطر بذاكرةٍ ... للبحترىّ ولا فى نظم إنسان

كانت دعايته للدين خالصةً ... إن الدعايات تدعيمٌ لأديان

فرحم الله الفقيد العزيز رحمة واسعة .

الجيزة — نجاتى عبد الرحمن

سعد صادق محمد

غزوات الرسول
صلى الله عليه وسلم

فتح مكة

من مكة إلى يثرب : لاشك أن فتح مكة كان نهاية النصر العظيم الذى توج جهاد الرسول صلوات الله عليه والمسلمين وطوق أعناقهم بأكاليل الغار والفخر . وكان بمثابة أوسمة رفيعة زينت صدورهم بعظمة التضحية والمجد . وروعة الجهاد والبطولة .

فمنذ عشر سنوات من بداية الهجرة اشتد إيذاء قريش الباغية على الرسول والمسلمين . فاضطرته إلى الخروج ، مع تلك الصحبة القليلة المؤمنة ، من أرض الخوف والحقد والأذى ليهاجر إلى أرض النصرة والأمن والحرية .

لقد خرج الرسول والمسلمون من مكة فى ذلك الوقت وكلهم خوف ووجل . فهاجروا إلى يثرب . وهناك وجدوا الأمن فى أرضها . والنصرة عند أهلها . فاستقروا هنالك. حيث باشروا نشر دعوتهم و بدءوا فى إرساء قواعدها . وظلوا فى جهاد مستمر دءوب طوال عشر سنوات . حتى جاءوا مكة فاتحين . ودخلوها بإذن الله منتصرين .

بين بنى بكر . وخزاعة : وفتح مكة له أسباب ومقدمات دفعت النبى إلى القيام به .

فقد كان صلح الحديبية قد قضى : بأنه من أحب أن يدخل فى عقد النبى صلى الله عليه وسلم فليدخل فيه . ومن أحب أن يدخل فى عقد قريش . فليدخل فيه ، . وكانت خزاعة قد دخلت فى عهد النبى . كما دخلت بنو بكر فى عهد قريش وذلك عقب توقيع صلح الحديبية.

ولم تكن العلاقات بين خزاعة و بين بنى بكر طيبة . إذ كانت لا تزال بينهما تارات

قديمة سكنت قليلا بعد صلح الحديبية . وانحياز كل منهما إلى جانب من الفريقين المتصالحين .

وفى فترة هدنة الحديبية خيل إلى بنى الديل من بنى بكر — حلفاء قريش — أن الفرصة قد واتتهم لينالوا من خزاعة حلفاء المسلمين — أخذا بثاراتهم القديمة . وحرضهم على ذلك الاعتداء جماعة من قريش . وأمدتهم بالسلاح . وذات ليلة و بينما كانت خزاعة على ماء لهم يقال له : الوتير . فاجأتهم بنو بكر فقتلوا بعضا منهم . بمساعدة رجال من قريش مستخفين بالليل .

وإذ ذاك فرت خزاعة إلى مكة ولجئوا إلى دار بديل بن ورقاء الخزاعى . وشكوا إليه نقض بنى بكر وقريش لعهد رسول الله فسارع عمرو بن سالم الخزاعى . وغدا متوجها — مع أصحابه — إلى رسول الله صلوات الله عليه بالمدينة حتى وقف بين يديه وهو جالس فى المسجد بين ظهرانى أصحابه . ونقل إليه عدوان بنى بكر وقريش على قومه فقال : —

يارب إنى ناشـد محمدا حلف أبينا وأبيه الأتلدا

قد كنتموا ولداً وكنا والدا ثمة أسلمنا فلم ننزع يدا

فانصر هداك الله نصرا أبدا وادع عباد الله يأتوا مددا

فأجابه رسول الله بلسان المستجيب الملبي وقال « نصرت يا عمرو بن سالم » ثم قفل عمرو عائدا إلى مكة مع أصحابه .

قريش تشعر بجرمها : وشعرت قريش بعظم جرمها لنقضها عهد الحديبية فخشيت أن يهب النبي منتقما منها لخزاعة حليفته . فتتعرض مكة لخطر الغزو . . لذلك أوفدت قريش أبا سفيان إلى رسول الله صلوات الله عليه ليثبت العقد و يزيد فى مدته .

وخرج أبو سفيان قاصدا المدينة لهـذه المهمة . وفى الطريق قابل بديل بن ورقاء وأصحابه . فخشى أبو سفيان أن يكون بديل قد جاء إلى النبي وأخبره بمـا حدث . فيعرقل مهمته . . فسـأله قائلا : من أين أقبلت يابديل ؟ . قال : سرت فى خزاعة فى هذا الساحل . وفى بطن هذا الوادى . قال له : أو ماجئت محمدا ؟ قال : لا . . ثم انصرف كل منهما إلى وجهته . وما أن انصرف أبو سفيان حتى أتى مبرك راحلة بديل . فوجد فيه بعرها مختلطا بالنوى . فعرف أن بديلا كان بالمدينة عند النبي . . ولذلك قرر ألا يلقاه مباشرة . .

أبو سفيان يستعطف : فلما قدم المدينة جعل وجهته بيت إبنته أم حبيبة . فدخل عليها. وهم ليجلس على فراش رسول الله عليه السلام . ولكن ابنته طوت الفراش عنه . فقال لها : يا بنية . أرغبت بى عن هذا الفراش . أم رغبت به عنى ؟ قالت : بل هو فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم . وأنت مشرك نجس قال لها فى غضب : والله لقد أصابك بعدى شر . . ولما وجد صدوداً من ابنته قبل أن يفاتحها فى مهمته . أتى رسول الله وكلمه فى إطالة العهد . فلم يرد عليه شيئا . . فجاء أبا بكر ورجاه أن يشفع له عند رسول الله فى شأن العهد . فأبى أبو بكر . فأتى عمر بن الخطاب فكلمه . فقال عمر مغلظا له القول : أنا أشفع لكم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟! فوالله لو لم أجد إلا الذر لجاهدتكم به ثم جاء إلى على بن أبى طالب - وعنده فاطمة وابنها الحسن - فقال له . ياعلى . إنك أمس القوم بى رحما . وإنى قد جئت فى حاجة فلا أرجعن كما جئت خائبا . إشفع لى إلى محمد . قال على : ويحك يا أبا سفيان . والله لقد عزم رسول الله صلى الله عليه وسلم على أمر مانستطيع أن نكلمه فيه : فالتفت أبو سفيان إلى فاطمة وكلمها أن تأمر ابنها الحسن ليجير بين الناس . فرفضت قائلة : والله ما يبلغ ابنى ذاك أن يجير بين الناس . وما يجير أحد على رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وهكذا رفض الجميع أن يشفعوا لأبى سفيان عند رسول الله لإطالة العهد . وكذا قبول إجارته . . ولعل هذا الإجماع على الرفض لم يكن من هؤلاء فحسب : بل كان هذا أيضا شأن المسلمين جميعاً بالمدينة . وذلك لموقفهم العدائى من أبى سفيان وقريش

أبو سفيان يعود إلى مكة : وعندما اشتد الأمر على أبى سفيان . استنصح عليا وقال له: إنى أرى الأمور قد اشتدت على فانصحنى . . قال على والله ما أعلم لك شيئا يغنى عنك . ولكنك سيد بنى كنانة . فقم فأجر بين الناس ، ثم الحق بأرضك . قال : أو ترى ذلك مغنيا عنى شيئا ؟ : قال على : لا والله ما أظنه . ولكنى ما أجد لك غير ذلك .

فتوجه أبو سفيان إلى المسجد . وأعلن هناك فقال : أيها الناس ، إنى قد أجرت بين الناس . . ثم ركب بعيره وعاد إلى مكة . وقلبه يفيض حزنا وألما مما لقى فى المدينة من رفض ومذلة . . وفى مكة أخبر قريشا بأن أحدا لم يقبل جواره فى المدينة .

النبي يستعد لغزو مكة : أما الرسول صلوات الله عليه فقد رأى أن قريشا قد نقضت عهد الحديبية . وتمادت فى العدوان بصورة لم تعد تحتمل . فقرر غزوها تأديباً لها على جرمها . كما رأى ألا يعطى الفرصة لقريش بالتجهز ليأخذهم بغتة . فلا يجدوا عندهم من الوقت ما يمكنهم من الدفاع عن أنفسهم . فيضطروا إلى التسليم دون الدخول فى معركة تراق فيها دماء .

لذلك أمر الناس بالتجهز . كما أمر أهله بأن يجهزوه . فلما تجهز الناس أعلمهم أنه سائر إلى مكة . وأمرهم بالجد . ودعا على قريش فقال : « اللهم خذ العيون والأخبار عن قريش حتى نبغتها فى بلادها » .

مع حاطب بن أبى بلتعة : و بينما الرسول والناس على أهبة السير كتب حاطب بن أبى بلتعة كتابا إلى قريش يخبرها فيه بمسير النبي إليهم . وأعطى الكتاب لأمرأة تسمى :سارة. وجعل لها جعلا على أن تسلم الكتاب إلى قريش . فوضعته المرأة فى قرون رأسها . ثم خرجت به وانطلقت إلى قريش .

فأتى رسول الله صلوات الله عليه خبر الكتاب من السماء بما فعل حاطب . فبعث على بن أبى طالب . والزبير[1] بن العوام ليلحقا بسارة وقال لهما : « انطلقا حتى تأتيا روضة خاخ فإن بها ظعينة معها كتاب قريش » فانطلقا حتى أدركا المرأه . فالتمسا الكتاب فى رحلها فلم يجداه . فقال لها على : أحلف بالله ما كذب رسول الله صلى الله عليه وسلم . ولا كذبنا . والله لتخرجين الكتاب أو لنجردنك . فلما رأت المرأة منهما الغضب والجد أمرتهما بأن يعرضا عنها فحلت قرون رأسها . واستخرجت منه الكتاب ودفعته إليهما . فانطلقا وأتيا به رسول الله صلوات الله عليه . ودعا النبى حاطب بن أبى بلتعة وسأله :

---

(١) ويقول بعض كتاب السيرة : أن المقداد بن الأسود هو الذى خرج مع على - راجع « زاد المعاد » للإمام ابن قيم الجوزية ص ٣٨٨ ج ٢ .

« ما هذا يا حاطب ؟ . » قال : لا تعجل يا رسول الله . والله إنى لمؤمن بالله ورسوله . وما ارتددت ولا بدلت . ولكنى كنت امرأ ملصقا فى قريش لست من أنفسهم . ولى فيهم عشيرة وولد وليس لى فيهم قرابة يحمونهم . وكان معك لهم قرابات يحمونهم . فأحببت إذ فاتنى ذلك : أن أتخذ عندهم يدا يحمون بها قرابتى .

وكان عمر بن الخطاب واقفا يسمع كلام حاطب . فقال غاضبا للنبى : دعنى يارسول الله أضرب عنقه . فإنه قد خان الله ورسوله . وقد نافق . فقال رسول الله لعمر : « إنه قد شهد بدرا . وما يدريك يا عمر ؟ لعل الله قد اطلع على أهل بدر فقال : إعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم . . عند ذاك ذرفت عينا عمر لما قاله النبى وقال على الفور : الله ورسوله أعلم .

وكان حاطب من أهل بدر من ثقات المسلمين . ولم يكن يريد بعمله ذلك نفاقا أو خيانة . ولكن النفس البشرية ينتابها أحيانا نوع من الضعف يجعلها تطغى على ما فى جوانبها من إنسانية وسمو . فتنزل بصاحبها إلى ما يضره و يضر غيره . وقد نزل إذ ذاك فى شأن حاطب قوله تعالى : (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوى وعدوكم أولياء تلقون إليهم بالمودة ـ أول سورة الممتحنة) .

إلى مكة : ثم تحرك رسول الله صلى الله عليه وسلم فى جيش عظيم قوامه عشرة آلاف والنبى والجيش معه صائمون . . تحركوا وكل واحد منهم قد امتلأت نفسه بعظمة الإيمان بالله و برسوله . وتأكد لهم النصر والغلبة ما داموا قد خرجوا لنصرة دين الله تعالى .

وعند ما نزل النبى « الكديد » أفطر كما أفطر الناس . ثم تابع سيره حتى نزل « مر الظهران » .

أما قريش فقد كانت على وجل وخوف . مما دفع زعماءها إلى أن يرسلوا أبا سفيان . وحكيم بن حزام . و بديل ابن ورقاء يتحسسون أخبار المسلمين فخرجوا لهذا الغرض .

وخرج العباس بن عبد المطلب — تاركا قريشا فى حالهم ووجلهم — خرج بأهله وعياله مهاجرا . فلقى الرسول بالجحفة . فأعلن إسلامه . وانضم إلى المسلمين . كما خرج أيضاً لهذا الفرض اثنان من بنى هاشم — هما أبو سفيان بن حرب وعبد الله بن أبى أمية — فلقيا النبى بالأبواء ، فاستأذناه . فأعرض عنهما لما أصابه منهما من أذى وهو بمكة . ولكنهما ما زالا يلحان حتى رق لهما قلب رسول الله صلوات الله عليه فأذن لهما فدخلا عليه وأسلما .

منافسة بين أبى سفيان ، وعمر : وأمر رسول الله رجال جيشه بإيقاد النيران . فأوقدوها . وكانت عشرة آلاف نار ترتفع ألسنة لهيبها فى فضاء الصحراء الفسيح كانت كافية أن تلقى الرعب والخوف فى قلب أهل مكة . فتخرج إليه فتستأمنه قبل أن يدخل مكة عنوة فيريق على أرضها الدماء . . وهذا ما هدف إليه النبى حين أمر باشعال النار أمام الخيام بالإضافة إلى أنه أرسل عمه العباس يتحسس أخبار قريش علّه يجد أحدا يخبرها بقوة وعدد المسلمين . فلا تستعد للقائه . و يتحقق له ما أراد .

فركب العباس (بغلة) رسول الله عليه السلام . وخرج إلى حيث أمر ، و يقول العباس رضى الله عنه : والله إنى لأسير عليها إذ سمعت كلام أبى سفيان بن حرب . و بديل بن ورقاء وهما يتراجعان . وأبو سفيان يقول : ما رأيت كالليلة نيراناً قط ولا عسكراً . فيقول بديل : هذه والله خزاعة حمشها الحرب . فيقول أبو سفيان : خزاعة أقل وأذل من أن تكون هذه نيران عسكرها .

قال العباس : فعرفت صوته فقلت . أبا فضلة ؟ . فعرف صوتى فقال : أبا الفضل؟ قلت : نعم . قال مالك ؟ فداك أبى وأمى . قلت : هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الناس . و إصباح قريش والله . قال : فما الحيلة فداك أبى وأمى ؟ قلت : والله لئن ظفر بك ليضربن عنقك . فاركب فى عجز هذه البغلة حتى آتى بك رسول الله صلى الله عليه وسلم فأستأمنه لك .

فركب خلفى . ورجع صاحباه . فجئت به . فكلما مررت به على نار من نيران المسلمين قالوا : من هذا ؟ فإذا رأوا بغلة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا عليها قالوا : عم رسول الله صلى الله عليه وسلم على بغلته . حتى مررت بنار عمر بن الخطاب فقال : من هذا ؟ وقام إلى . فلما رأى أبا سفيان على عجز الدابة قال : أبو سفيان عدو الله ؟ الحمد لله الذى أمكن منك بغير عقد ولا عهد . ثم خرج يشتد نحو رسول الله صلى الله عليه وسلم . وركضت البغلة فسبقت . فاقتحمت عن البغلة . فدخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم ودخل عليه عمر فقال : يا رسول الله هذا أبو سفيان . فدعنى أضرب عنقه . قلت : يا رسول الله إنى قد أجرته ، ثم جلست إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخذت برأسه . فقلت . والله لا يناجيه الليلة أحد دونى . فلما أكثر عمر فى شأنه . قلت : مهلا يا عمر . فوالله لو كان من رجال بنى عدى بن كعب ما عملت مثل هذا . قال : مهلا يا عباس . فوالله لإسلامك كان أحب إلى من إسلام الخطاب لو أسلم . وما بى إلا أنى قد عرفت أن إسلامك كان أحب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من إسلام الخطاب .

بهذا انهى عمر والعباس مناقشتهما التى اتسمت بالحدة والغضب . . وكان لا بد للرسول صلوات الله عليه أن يرجىء التصرف فى أمر أبى سيفان فى تلك الساعة من الليل حتى لا يزيد من حدة المناقشة . وكان لابد له أيضاً ـ كما سنعرف ـ أن يخلى سبيل أبى سفيان ما دام قد دخل فى جوار عمه العباس (رضى الله عنه) وأن يعلن ذلك عندما تهدأ النفوس من ثورتها .

وبحكمة الرسول المعهودة فى معالجة مثل هذه الأمور قال للعباس « إذهب به يا عباس لى رحلك . فإذا أصبحت فائتنى به » .

<u>إسلام أبى سفيان</u> : قال العباس (رضى الله عنه) : فلما أصبحت غدوت به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم . فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « ويحك يا أبا سيفان .

ألم يأن لك أن تعلم أن لا آله إلا الله ؟ » قال : بأبى أنت وأمى ، ما أحلمك وأكرمك وأوصلك ! . لقد ظننت أن لو كان مع الله إله غيره لقد أغنى عنى شيئاً بعد .

قال الرسول « ويحك يا أبا سفيان ألم يأن لك أن تعلم أنى رسول الله ؟ . » قال : بأبى أنت وأمى ما أحلمك وأكرمك وأوصلك . أما هذه فإن فى النفس حتى الآن منها شىء . . فقال له العباس : ويحك أسلم وأشهد أن لا آله إلا الله . وأن محمداً رسول الله قبل أن يضرب عنقك . . فلم يجد أبو سفيان أمام ما شاهده وعرفه فى الإسلام من حق وقوة إلا أن يسلم : فأسلم وشهد شهادة الحق .

من دخل دار أبى سفيان فهو آمن : وعند ذاك التفت العباس إلى رسول الله وقال له : يا رسول الله إن أبا سفيان رجل يحب الفخر . فاجعل له شيئاً . قال « نعم . من دخل دار أبى سفيان فهو آمن . ومن أغلق عليه بابه فهو آمن . ومن دخل المسجد الحرام فهو آمن » .

« وإلى عدد قادم إن شاء الله لنتم بقية الحديث »

سعد صادق محمد

جماعة أنصار السنة المحمدية

بأسـوان

إن جماعة أنصار السنة المحمدية بأسوان لتبتهل إلى الله تعالى بخالص الدعاء أن يلبس الله الدكتور عزت سلامه محافظ أسوان ـ وقد غمرها بعطفه وتأييده ـ ثوب الصحة والعافية ، وأن يتم له الشفاء العاجل من مرضه الذى ألم به .

ولا تنسى الجماعة ما للسيد المحافظ من أيد مشكورة فى افتتاح مسجدهم (بالحصاية) بأسوان ولا سيما خدماته الطيبة فى عونهم ومساعدتهم فى إنشاء دورة المياه بالمسجد .

فجزاه الله خيراً ومتعه الله بالصحة والعافية ووفقه دائماً إلى ما فيه الخير والفلاح .

المجتمع الإسلامى

طلعت شمس الإسلام على مجتمع متحالل من الخير، حائر بين الشعاب، لم يحسن الاهتداء إلى الله ليعبده، ولم يعرف طريق القسطاس ليجده، ولم يذق طعم التطهر ليؤيده ويسنده، الإسلام يبنى من الأنقاض مجتمعاً سليماً جديداً، له كل مقومات المجتمع الكريم الفاضل. وتتابعت من الإسلام خطوات الإصلاح والبناء والتعمير والتحسين. أقام الناس على منهاج مثالى للحياة والاجتماع، وعلى محجة واضحة مستقيمة بيضاء، ليلها كنهارها لا يزيغ عنها الا هالك. وفى خلال سنوات استطاع الإسلام أن يبلغ بأبنائه القمة، ليكونوا لغيرهم القدوة، ليكونوا أمة مثالية، وليكونوا شهداء على الناس، وليكونوا خير أمة أخرجت للناس. كما نطق بذلك القرآن الكريم.

والمجتمع الإسلامى الفاضل. ينهض على قواعد ثلاث هى: ضمان الضروريات، وتوفير الحاجيات وتهيئة التحسينات، ففى باب الضروريات نراه يصون النفس والعقل والدين والنسل والمال: « كل المسلم على المسلم حرام: دمه وماله وعرضه » .. وفى باب الحاجيات نرى الحق تبارك وتعالى يحدث عباده بأنه الذى خلق لهم ما فى الأرض جميعاً، ويأمرهم بالانتشار فى الأرض والابتغاء من فضل الله: « هو الذى جعل لكم الأرض ذلولا فامشوا فى مناكبها، وكلوا من رزقه وإليه النشور ». وفى باب التحسينات: نرى الإسلام يبيح كل طيب. ويمكنّ أهله من ملذاتهم بطرقها المشروعة، وحدودها الحافظة،: « قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق، قل هى للذين آمنوا فى الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة كذلك نفصِّل الآيات لقوم يعلمون ». وتقول عائشة رضوان الله عليها: « ما تمتع الأشرار بشىء الا تمتَّع به الأخيار. وزادوا عليه رضوان الله » وما أبلغ البيان القرآنى حين يرمز على طريقته الخاصة إلى ذلك كله فيقول: « وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا، وأحسن كما أحسن الله إليك، ولا تبغ الفساد فى الأرض، إن الله لا يحب المفسدين ».

وقد بدأ الإسلام فى بناء مجتمعه الفاضل بإصلاح الفرد وجعله فاضلا ، فأرشده إلى تطهير داخله وتزكية نفسه ، وصيانة النواة فيه ، حفظ مصدر الأشعاع والتوجيه فى أعماقه وهو القلب ، فسمعنا القرآن يردد : «يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم» ويقول : «ألا بذكر الله تطمئن القلوب» وسمعنا نبي الانسانية محمداً صلوات الله عليه يقول : «ألا وإن فى الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله . وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهى القلب» ويقول : «اللهم يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك» وما دام القلب سليما صالحاً ، ذاكراً لربه ، ثابتاً على دين خالقه ، محافظاً على توحيد معبوده ، لم يعكر بشائبات الشرك والوثنية ، والبدع الخرافية ، والعقائد القبورية ، وضلالات أهل الطرق الصوفية ، فإنه سيحرك صاحبه إلى الخير ، وسيحول بينه وبين الإثم والبهتان ! وقد جعل الإسلام هذا الفرد الذكى فرداً حياً . نشيطا متحركا ، عاملا منتجاً ، وجعله فى عمله صابراً مصابراً مداوماً ، فقال الرسول صلى الله عليه وسلم : «أحب الأعمال إلى الله أدومها وإن قل» كما جعله فى عمله متقناً محسناً . فالرسول عليه السلام يقول «إن الله يحب من العبد إذا عمل عملا أن يتقنه» وجعله فوق هذا وذاك فرداً جماعياً متضامناً ، فالرسول صلوات الله عليه يقول : «والله فى عون العبد ما كان العبد فى عون أخيه» .

ثم انتقل الإسلام من الفرد إلى المجموعة الأولى فى المجتمع وهى الأسرة ، فبناها على السكينة والمودة والرحمه ، وعلى عشرة بالمعروف ، وعلى الخلق الكريم فى المعاملة فالقرآن يقول : «ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها ، وجعل بينكم مودّة ورحمة إن فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون» ويقول مخاطباً الأزواج فى شأن الزوجات : «وعاشروهن بالمعروف» ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم : «خيركم خيركم لأهله ، وأنا خيركم لأهلى» .

ثم انتقل الإسلام من الأسرة إلى الأمة المسلمة ، وإلى المتدين المؤمن الصالح المصلح

فجعله مجتمعاً يقوم على التكافل والتساوى بين الأفراد فى حقوقهم الطبيعية وواجباتهم الأساسية . فالنبى صلوات الله عليه يقول : « المسلمون تتكافؤ دماؤهم ويسعى بذمتهم أدناهم ، وهم يد على من سواهم » وليس فى هذا المجتمع ـ الإسلامى ـ مكان لطاغية فرد أو حاكم مستبد . يسوق الناس بلهيب عصاه ، وسوط عذابه . بل فيه جماعة راشدة تحكم نفسها بنفسها على أساس كتاب ربها وهدى نبيها ، « وشاورهم فى الأمر » ، « وأمرهم شورى بينهم » . . . ! !

والفرد فى هذا المجتمع له حرمته وكرامته وشخصيته . فلا يساق سوق البهائم ، ولا يزج فى به الجحيم الذى لا يطاق .. ولكن الشخصية الفردية لا تتعارض مع الشخصية الجماعية ولا تبغى عليها ، فهذا الفرد مطالب بالسمع والطاعة فى الرضا والغضب ، والمنشط والمكره ، ولذلك جاء الحديث : « اسمعوا وأطيعوا ، وإن استعمل عليكم عبد حبشى كأن رأسه زبيبة » وعن أبى ذر قال : « أوصانى خليلى صلى الله عليه وسلم أن أسمع وأطيع وإن كان عبداً مجدب الأطراف » . . . ولكن هذه الطاعة مشروطة بأن تكون فى حدود ما أمر الله به أو رضى عنه . أما إذا انتقل الأمر إلى حيز المعصية كان أمراً باطلا ، لا سمع فيه ولا طاعة له ، ومن هنا جاء فى الحديث : « لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق » ، وفيه أيضا « السمع والطاعة على المرء المسلم فيما أحب أو كره ، ما لم يؤمر بمعصية فإذا أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة » وليس وراء هذا المنهاج سبيل للتعادل بين سلطة الجماعة الراشدة وكرامة الفرد المسلم.

وهذا المجتمع يقوم على ضوابط العدل والخير والتعاون فيما يفيد وينفع ، والتواصى بالحق ، والتناهى عن الباطل : « إن الله يأمر بالعدل والإحسان ، وإيتاء ذى القربى ، وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى ، يعظكم لعلكم تذكرون » . « وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان ، واتقوا الله إن الله شديد العقاب » . « كنتم خير أمة أخرجت للناس ، تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر ، وتؤمنون بالله » . « والعصر . إن الإنسان لفى خسر إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات ، وتواصوا بالحق ، وتواصوا بالصبر » !.

وهو مجتمع يقوم على العدالة الكاملة فى الجزاء ، والحساب الدقيق فى العمل ، والمراجعة المضبوطة فى التصرف : « فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره » .

ويقوم على المماثلة فى مقابلة السيئة بمثلها للردع والتأديب ، ولكنه فى مجال الخير والإحسان يقوم على إثابة المحسن خير إثابة ، ومقابلته بأضعاف حسنته ، وذلك للترغيب والتشجيع والتحبيب « من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها » . « مثل الذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل فى كل سنبلة مائة حبة ، والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم » . . .

وهو مجتمع يدرك أن الجريمة ستقع ، وأن اعتداء البعض على البعض سيحدث ، وأنه لا بد من روادع وزواجر ، لتصد الناس عن هذه الجريمة ، وذلك الاعتداء ، وقد أقام الإسلام هذه الزواجر على أساس التهذيب والاقتصاص ، لا على أساس الثأر والانتقام « ولكم فى القصاص حياة يا أولى الألباب لعلكم تتقون » .

وهو مجتمع موصول الأسباب بالسماء . فكل فرد من أفراده يريد بعمله الخاص أو العام وجه الله ورضاه ، لا يريد به المنفعة ، أو المفخرة أو الحمية أو المراءاة ، وهو إذا أراد وجه الله فى أعماله كان له الأجر فى جميع هذه الأعمال ، سواء أكانت مادية أم روحية ، أخروية أم دنيوية ، فيكون له الأجر فى السعى على أولاده ، كما يكون له الأجر فى الجهاد من أجل دينه ، بل يكون له الأجر على اللقمة يأكلها ، وعلى أولاده يضاحكهم ، وعلى زوجته يأتى فراشها ليعفها ويعف نفسه ، والله رءوف رحيم !! . . .

وهذا المجتمع ـ أخيراً ـ مجتمع طهور متحنث متأثم ، يتذكر دائماً أن الله طيب لا يقبل إلا طيباً ، فهو لا يرتضى ـ بله أن يأتى ـ رذيلة أو إثماً أو منكراً . والحق تبارك وتعالى يقول : « قل إنما حرم ربى الفواحش ما ظهر منها وما بطن ، والإثم والبغى بغير الحق ، وأن تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطاناً ، وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون » .

ثم انتقل الإسلام بعد ذلك إلى المجتمع الإنسانى كله ، إلى عالم البشرية الواسع فأقام هذا المجتمع على دعائم ثابتة واضحة من اتحاد الأصل ، وشرعة التمايز للتعارف وأساس الأفضلية بالنفوس ، وقاعدة الاصطفاء والتكريم بوجود النفع للغير والإسهام فى الخير والبر ، فالقرآن يقول : « يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير » .

والحديث الشريف يقول : « خير الناس أنفعهم للناس » .

هذه هى الخطوات الأساسية التى خطاها الإسلام فى بناء المجتمع الفاضل وقد بلغ القمة بهذا المجتمع حتى أخرج للناس نماذج بشرية سامية ، تضىء الطريق لمعاصريها ولاحقيها ، وقد زانت هذه النماذج العالية جبين الدنيا بمكارم الأخلاق وعظيم الفعال ، وشريف الخصال ، ثم جاءت على هذا المجتمع الإسلامى الفاضل عوامل الهدم والتخريب ، فوقفت له أعداؤه من الداخل والخارج ، وتربصوا به الدوائر ، وكادوا له مستترين ومستعلنين ، وعاونهم الخلاف المستحكم بين أبناء الأمة الواحدة ، وأتباع دين التوحيد ، وساعدهم الترف المهلك ، وما ساقته الدنيا من فتن ومغريات ، فتجمعت هذه العوامل كلها وأخذت تنخر فى بناء المجتمع الإسلامى حتى أتت عليه أو كادت ، وتطاول الأمد على المسلمين وهم يرتعون أو يستعيرون أو يتخبطون ، بما نبت فى العالم عن يمين وشمال من مذاهب اجتماعية شتى ، تغرى ببريقها والتماعها ، وتخدع بزخرفها وزينتها ، وتزاحم منهاج الإسلام الاجتماعى الأعلى لتشاركه أو تحل مكانه .

فماذا يفعل أبناء التوحيد الآن ، حملة المبادىء والمثل العليا ؟ ؟ ! إن واجبهم عظيم . ويحتم عليهم الواقع ، قبل أن يحتم عليهم دينهم ، أن ينهضوا به حتى يعود المجتمع إسلامياً سليماً فاضلا كريماً ، كما كان فى الصورة المثالية التى رسمها التنزيل وحققها مبلغ هذا التنزيل إلى العالمين صلوات الله عليه ! ! .

إن العالم المنكوب يعانى ما يعانيه بسبب حيرته فى مجالات المذاهب الاجتماعية المستحدثة ، وهو يخرج من تجربة إلى أخرى . وإن شئت قلت : يخرج من محنة إلى محنة ، ودواء السماء بين يديه يصد نفسه عنه ، أو تدفعه عن ساحته يد الشيطان ، ولو أقدم عليه لانتفع منه وسعد به .

ومن العجائب – والعجائب جمة – قُرب الدواء ، وما إليه وصول
كالعيس فى البيداء يقتلها الظما والماء فوق ظهورها محمول !!

السيد عبد الحليم محمد حسين ملاقى

مؤلفات الأستاذ الكبير

« محمود الملاح »

تفضل الأستاذ الكبير محمود الملاح فأهدى إلينا خمسة عشر مؤلفاً من مؤلفاته . وكلها ثورة العروبة الإسلامية على الخرافة الملحدة والأسطورة الوثنية اللتين تحاولان أن تحلا محل قيم الإسلام ومثله العاليات . وهل يحتفى بهاتين سوى الرافضة وما تفرع عنها كالبابية والبهائية فى الحديث ، والاسماعيلية وسواها فى القديم . وسوى الصوفية .

وقد حمل الأستاذ حملته الصادقة الغيور فى أسلوب رائع جزل قوى .

وإنى لأشكر للأستاذ الكبير هديته الرائعة ، وأشكر له بلسان كل عربى مسلم حملته الصادقة المشكورة على البدع والخرافات والأفكار المستمدة من أحقاد الصليبية ، ودناءة الصهيونية .

عبد الرحمن الوكيل

دمعة من القلب على راحل كريم[1]

منذ خمسين سنة أو تزيد كنت تلمح فى سوهاج شابًا نحيفًا ذا لحية خفيفة يلبس ملابس الشيوخ ويعتلى المنابر عقيب صلاة الجمعة أو فى مجتمعات المساجد، يوضح للمسلمين عقيدة التوحيد الخالص وكان فى أسلوبه لطيفًا بليغًا، ويتساءل الناس جميعاً عنه: من هذا؟ ويجيب عنه عارفوه: هو الشيخ درويش. وقلما كان يستند فى حجته إلا إلى كتاب الله أو سنة رسوله صلى الله عليه وسلم فى وضوح وتصوير محبو بين، فهو يقرر مبادىء الإسلام الصحيحة. من توحيد الله بالعبادة وعدم دعاء غيره من الأنبياء والأولياء والملائكة والجن، (فلا تدعو مع الله أحدا) ولا نذر إلا لله، ولا استغاثة ولا استعانة إلا بالله، فيما لا يتصرف فيه غير الله، « وإنما يستغاث بالله » و (إياك نستعين) « من حلف بغير الله فقد أشرك ».

وقرر قواعد الإيمان بعيدة عن الشرك، وطوح بالوساطة بين العبد وربه إلا بالعمل الصالح والإيمان النظيف، وبين أن التمائم والأحجبة نوع من الشرك و « إن الرقى والتمائم والتولة شرك » فما كان من المتنفعين من علماء السوء إلا أن هبوا فى وجهه يدفعون عن كهانتهم ودنيوياتهم، فما بالى بهم، وباع نفسه لله، يغدو ويروح بدعوة الله لهذا الشعب الذى أنساه مرشدوه طريق النجاة فتخبط فى متاهات الضلال إلى مكان سحيق، ولم يؤيده إلا قلة من العلماء المخلصين وعلى رأسهم المغفور له « الشيخ شحاته » ومن سار فى ركاب السنة.

---

(١) جاءتنا هذه الكلمة من الأستاذ أحمد أحمد على حسن، وقد كان وكيلا لفرع جماعة أنصار السنة المحمدية بسوهاج، وأنه اختير رئيساً للجماعة هناك خلفا للشيخ أبى الوفاء محمد درويش، رحمه الله وأجزل مثوبته.

ونحن نضرع إلى الله تبارك وتعالى أن يكتب له ولإخوانه أنصار السنة بسوهاج دوام التوفيق فى الدعوة إلى الله، وأن يهىء لنا ولهم من أمرنا رشداً.

وكثر أتباعه من المثقفين فى بندر سوهاج وأرباضها ، كما تبعه كثير من العمال والفقراء الذين لا يبتغون بإيمانهم إلا وجه الله ، وتسامع به المسلمون فى الصومال والسودان وأبعد منها ، وتوالت فتاواه إليهم ، وعرض بذلك نفسه إلى نقمة أولئك الجهلة من حملة العمائم والمتفقهين الذين حرضوا سادتهم من حكام العهد البائد عليه ، وكان من عادته ألا يتصل بهؤلاء الحكام الجاهلين، إلا بحسب الضرورة ، وقد مكث يفسر كتاب الله تعالى نحو أربع عشرة سنة معتمداً كتاب الكشاف للزمخشرى فى مسجد الفرشوطى بسوهاج ، مع إبداء رأيه وآراء العلماء الأعلام ، وتوضيح آيات التوحيد بصفة خاصة ، وتحدى الجاهلين من العلماء الذين ينصرون البدعة والصوفية الجاهلة أن يحضروا درسه ويردوا عليه قوله إذا شاءوا فما استطاعوا ، بل تواصوا ألا يحضروا درسه خشية أن يجرهم إلى آرائه ، وذلك حفاظاً منهم على مكاسبهم الزائلة .

وقد استعدى عليه المتعالمون الجاهلون أحد المديرين السابقين من العهد البائد فأمره بالانقطاع عن درس التفسير وهدده بمحاربته فى وظيفته إذ كان مدرساً بمجلس المديرية إذ ذاك ، فخضع للأمر وظل فى بيته مركز إشعاع للتوحيد والسنة ، ثم خلف هذا المدير مدير آخر من رجال القانون ، وعلم بالأمر فطلب الشيخ وحادثه فعلم أن الحق معه فكلفه إلقاء محاضرة يبين فيها آراءه للناس وحدد له الزمان ، وسمع الناس منه فى ذلك اليوم آيات بينات وهدى للموحدين ، فكلفه المدير الجديد موالاة درس التفسير فأطاع الأمر حتى أتم تدريس القرآن الكريم .

وقصارى القول أن الشيخ أبا الوفاء محمد درويش — رحمه الله — ألف أكثر من عشرين كتاباً فى الدين والأدب والاجتماع وشرح فى أكثرها أغراض الكتاب والسنة ، وأجاد الإنكليزية والفرنسية وخاطب أهلهما ببيان فضائل الإسلام ودعاهم إليه ، وكان قوى الحجة حاضر البديهة ، كما أجاد علوم اللغة العربية إجادة بالغة ، ودرس الكتاب والسنة دراسة وافية ، وحصل على ليسانس الحقوق فى القوانين ، وكان يكسب قوته من عمله فى التدريس والتأليف ، واشتغل بالمحاماة بعد أن قعد عن التدريس ، فكان مثال

النزاهة والنشاط والبعد عن صغار الأمور ، وهو الذى أنشأ جماعة أنصار السنة المحمدية بسوهاج ، وبنى بمعونة إخوانه المخلصين وجمهرة للسلمين (مسجد الله) بشارع النيل فكان مشعلاً لأضواء الكتاب والسنة ، كما أنشأ المستوصف الخيرى لعلاج المرضى ، ودار الرعاية الاجتماعية بسوهاج ، وأهم مايوصف به من النظافة ، أنه ما كسب لنفسه شيئاً من أمور الدنيا بوساطة الدين ، وإنما كانت خدماته فى ذلك الوجه خالصة لوجهه الكريم . ولو شئنا تعداد ماقام به من أعمال الخير لاحتجنا إلى مجلد كبير .

وقد لفت إخلاصه أنظار رجال الثورة المصرية الكريمة فساعدته فى مواقفه العلمية لنشر التوحيد ، وأسندت إليه تدريب الهيئات الاجتماعية بمحافظة سوهاج فى حياته ، كما خلدت اسمه بعد وفاته بإطلاق اسمه على الشارع الذى به دار الرعاية الاجتماعية ، وعزمت على إنشاء مكتبة عامة باسمه فى قصر الثقافة الجديد بسوهاج ، كما أكرمت الجماعة التى كان يرأسها بمنحها قطعة أرض مجاورة للمسجد لإنشاء مكتبة عامة عليها .

نضر الله وجهه ، وأكرم ثواه فى جنات الخلد ، وجزاه الله جزاء المخلصين . وإنما يتقبل الله من المتقين .

أحمد أحمد على حسن

رئيس جماعة أنصار السنة المحمدية بسوهاج

النور المحمدى

عنوان لقصيدة رائعة من شعر فضيلة الأستاذ الشيخ عمرو محمد حسن التندى إمام وخطيب المسجد المجيدى بملوى ، نظمها فى تفنيد مايزعمه البعض من أن نبينا محمداً صلى الله عليه وسلم خلق من نور ، وفى بيان غيرها من الخرافات التى يلصقها الجاهلون بالنبى صلى الله عليه وسلم ، سننشرها فى العدد القادم . إن شاء الله .

مؤلفات الإمامين ابن تيمية وابن القيم
فى مسابقة وزارة الأوقاف

أعلنت وزارة الأوقاف أنها ستمنح السادة الأئمة ومفتشى المساجد مكافآت تشجيعية على حسب ما يحرزون من درجات فى المسابقة التى ستجريها الإدارة العامة للدعوة لهذا الغرض . . ومن الكتب المقررة لهذه المسابقة كتابا : —

١ — قاعدة جليلة فى التوسل والوسيلة للإمام أحمد بن تيمية .

٢ — زاد المعاد فى هدى خير العباد للإمام ابن قيم الجوزية .

« صحيفة الجمهورية يوم ٢٠/١٠/١٩٦٣ »

● ● إنه لتقدير عظيم . وتكريم مشكور أن تقرر وزارة الأوقاف جعل مؤلفات هذين الإمامين الجليلين ضمن المسابقة . ولا شك أن هذا يدل على مدى الفرق الشاسع بين الماضى والحاضر لمكانة كتب الإمامين .

فلقد كان الجهال من الناس فى الماضى يعتبرون مؤلفات الإمامين بعيدة عن نور الكتاب وهدى السنة . بل كانوا يعتبرون الإمامين « ضالين مضلين » فتعرضا ـ رحمهما الله ـ لكل ألوان الأذى والحرب والتعذيب فى تلك العصور حين ثارا على التقاليد والجمود والوثنيات والخرافات التى اتخذها الناس دينا لهم فى تلك العصور . . واليوم وبعد أن حظيت مؤلفات الإمامين بدراسة عميقة . وفهم صحيح من المنصفين . غدا الإمامان موضع اهتمام وأصبحت مؤلفاتهما مراجع هامة فى التشريع والأحكام . ومنهلا عذبا للعلم والمعرفة .

ولعل أصحاب الفضيلة الذين يرغبون فى الدخول فى هذه المسابقة تكون لديهم الرغبة الصادقة فى دراسة هذه المؤلفات . لا بقصد الحصول على المكافأة والشهرة . . بل بقصد

دراسة ما احتوته هذه الكتب من الفقة والهدى والحق . ونبذ الأباطيل والهراء الذى انطوت عليه الكتب الصفراء . وتعصب لها الشيوخ وملأوا بها عقول المسلمين . وشوهوا بها معتقداتهم .

ولا يفوتنا فى هذه المناسبة أن نوجه كلمة شكر وتقدير للاستاذ الكبير الدكتور محمد البهى وزير الأوقاف لتقديره العظيم لمؤلفات الإمامين الراحلين وجعله كتبهما فى مقدمة الكتب المقررة لهذه المسابقة . فإن هذا الصنيع المشكور هو فى الحقيقة تقدير منه لمنهج الإمامين وما قاما به من نضال معروف فى سبيل إعادة الأمة الإسلامية إلى عهد السلف الصالح وتعريفهما بعقيدة التوحيد الخالصة . وإبعادها عن حياة البدع واللهو والتقاليد العمياء .

ومرة أخرى . . للاستاذ الدكتور البهى . عظيم الشكر والثناء . وعاطر التحية .

* * *

القضاء على الخرافات
والأضرحة الخالية من الرفات

تدرس وزارة الداخلية ما يدخل فى اختصاصها للقضاء على البدع والخرافات التى تحدث أثناء الاحتفالات بموالد الأولياء مثل — الشعوذة . وأكل النار والثعابين إلى جانب انتهاز الفرص للنصب على السذج والاحتيال عليهم وترويج المخدرات — وثبت لوزارة الداخلية أن أكثر الأضرحة إما خالية[1] أو أن أصحابها مجهولو النسب .

---

(١) وليس أدل على ذلك من حادثة الضريح الذى كان مقاما بمبنى محافظة القاهرة القديم . والذى كان يطلق عليه اسم « الشيخة سعادة » .

وعند ما شرع المسئولون فى هدم مبنى المحافظة لبنائه من جديد اضطروا إلى هدم الضريح أيضاً . فلم يجدوا تحته سوى بقايا ساقية . وبعض المواسير والأسلاك والاحجار . =

ولا يقوم الدليل على صحة الكرامات التى تنسب إليهم . كما ثبت أن كثيرين من الأولياء المزعومين لاصلة لهم بالفقة أو الاجتهاد الدينى فى التفسير والتشريع ... وقد تبين أن الأتراك هم الذين كانوا يقيمون أضرحة ليدفنوا بها حيواناتهم المدللة . ويرغمون عبيدهم وأتباعهم على الترحم عليها وأوقفوا عليها الأموال والعقارات . ثم تطور الأمر فى نظر الجهلاء فاعتقدوا بمضى الزمن أنها تضم أولياء صالحين . كما انتهز بعض المستغلين الفرص فوضعوا بجوار هذه الأضرحة صناديق لجمع النذور .

وترى وزارة الداخلية أن سبيل القضاء على هذه المساوىء التى تسىء إلى الدين هو تأليف لجنة تضم ممثلين عن بعض أجهزة الدولة المختصة بالإرشاد وشئون الدين تكون مهمتها تصفية الأضرحه التى تحوم حولها الشكوك وتحويلها إلى أماكن للعبادة السليمة . ورسم خطة لأجهزة الإعلام لإرشاد المواطنين بأن سكان الأضرحه لايملكون للاحياء ضراً أو نفعاً .

« المساء يوم ١٩٦٣/١٠/٢٩ »

•• الآن فقط بدأت حقيقة هذه الأضرحه الكاذبه والخرافات والبدع تتكشف للمسؤلين . . فالحمد لله الذى استجاب لدعوة دعاة الحق . .

فمنذ أكثر من ثلث قرن من الزمن وجماعة أنصار السنة المحمدية لا تكف عن إرسال الصيحات المدوية من منابر مساجدها ، وكراسى الدروس ، وفى صفحات مجلتها ، ومؤلفات دعاتها . . لا تكف عن إرسال الصيحات المخلصة مطالبة بهدم مئات الأضرحة الوهمية المنتشرة فى كل ناحية من أنحاء بلادنا . . بل وفى العالم الإسلامى ، لاعتقادها أن سكان هذه الأضرحة ـ على فرض وجود رفاتهم بالأضرحة ـ لا يملكون لغيرهم ـ فضلا عن

= وحسبنا أن هذه الحادثة قد كشفت عن الاضرحة الوهمية . ودمغت مرتاديها بعبادة الاصنام ، وتقديس الأوهام . راجع صحف يوم ١٩٦٢/٢/١٨ .

أنفسهم - ضراً أو نفعاً . وأن الاستغاثة بهم والفزع إلى رحابهم لدفع ضر أو جلب نفع هو فى الحقيقة عقيدة شركية : ونزعة وثنية تخالف عقيدة التوحيد .

كذلك حارب أنصار السنة تلك الخرافات والبدع وأعمال الشعوذة التى نراها اليوم فى ساحات الموالد والأعياد الشركية التى تقام لأصحاب الأضرحة طوال العام .

ولقد تركز اهتمام هذه الجماعة فى دعوتها الحقة فى هدم الأضرحة ونبذ الخرافات والبدع لاعتقادها أنها مصدر الوثنية التى كانت سبباً فى إهلاك الأمم السابقة حين عبدت الأصنام . . وأنها مفتاح كل شر أفسد حياة المجتمع الإسلامى ، ودمر أخلاقه وهدم معنوياته ومقوماته وفى سبيل ذلك لقى أنصار السنة وما زالوا يلقون كثيراً من الأذى والإساءة والضيق .

والذى نرجوه - مخلصين - أن يكون اهتمام المسئولين بهذه المشكلة الحيوية اهتماماً ينتقل إلى الطبيعة والعمل . . اهتماما نابعاً من إيمانهم بضرورة تخليص الشريعة الإسلامية من هذه المساوىء العقائدية . وألا يكون اهتماما لايتجاوز حدود التقارير والورق وأدراج المكاتب .

سعد صادق محمد

---

٢٦ - نظرات فى التصوف

«انتهيت من الحديث عن الحب عند الصوفية ، وهنا أبدأ الحديث عن التوحيد عندهم».

« التوحيـــــد »

سئل الجنيد[1] عن التوحيد ، فقال : « معنى تَضْمَحِلُّ فيه الرسوم ، وتَنْدَرِج فيه العلوم ، ويكون الله تعالى كما لم يزل » وسئل أيضاً عن توحيد الخواص فقال : « أن يكون العبد شَبَحاً بين يدى الله سبحانه تجرى عليه تصاريف تدبيره فى مجارى أحكام قدرته فى لجج بحار توحيده بالفناء عن نفسه ، وعن دعوة الخلق له ؛ وعن استجابته بحقائق وجوده ووحدانيته فى حقيقة قربه بذهاب حسه وحركته ؛ لقيام الحق سبحانه له فيما أراد منه ، وهو أن يرجع آخر العبد إلى أوله ، فيكون كما كان قبل أن يكون » .

خلاصة هذا : إلغاء الوجود الإنسانى والإرادة الإنسانية ، والفكر الإنسانى ليزعم الدجال الصوفى أن الله هو الذى يفعل له ، ويتصرف له ويتكلم على لسانه ، ويشعر ويحس بدلا عنه! ! فلم إذن كان خلق السموات والأرض ، ولم إذن جعل الله آدم فى الأرض خليفة ، وسخر له ما فى السموات والأرض ؟ ولم أرسل الله الرسل ، ومنح عباده العقل ؟ وخلاصته إن دين الصوفية يؤكد أنه لا وجود إلا وجود الله ، ولا فعل إلا فعل الله ، فلا شر ولا ضلال ولا باطل ولا عوج فى السلوك ، فكل الأفعال منسوبة إلى الله حقيقة لا مجازاً . ولقد قيل للجنيد : « أيزنى العارف يا أبا القاسم ؟ » فقال : وكان أمر الله قدراً مقدوراً[2] . والعارف هو صفوة الصفوة من الصِّدِّيقين والقديسين عند الصوفيين !! .

---

(١) نختار الجنيد لأنه سيد الصوفية القدامى كما يعبر الصوفيون ، ولأن بعض من يحسن الظن بالتصوف القديم يظن الخير فى الجنيد ، فليقرأ إذن هؤلاء ما يقوله الجنيد ، ليعلموا أن التصوف هو التصوف !! .

(٢) ص ١٣٥ ، ١٦٠ الرسالة للقشيرى وتدبر — بعد زعم سيد الصوفية الجنيد — قول الله سبحانه : (قل : أمر ربى بالقسط) وقوله جل شأنه : (قل : إن الله لا يأمر =

وأى نفع للأمة من رجل فان عن نفسه ، وعن تعاونه معهم ، عن رجل يَزْعُمَ أنَّ خبث الخطايا الذى يتلوث به لا تجرى عليه معايير القيم ولا موازين الأحكام ؛ لأن الله هو الذى يتصرف له ، فهو تحت جبرية ساحقة ماحقة لا تأذن له أن يهمس بهمسة !! .

وقال الجنيد أيضاً : « التوحيد الذى انفرد به الصوفية هو إفراد القديم عن المحدث والخروج عن الأوطان وقطع المَحَابِّ ، وترك ما علم وجهل ، وأن يكون الحق سبحانه مكان الجميع » .

و إفراد القديم من المحدث لا يدل على حقيقة التوحيد الذى أرسل الله به رسله ؛ فعبدة الأصنام والمجوس والصابئة والفلاسفة ينسبون إلى الله القدم و ينزهونه عن الحدوث فلم ينفرد به الصوفية كما زعم الجنيد ثم هو لا يهب للصوفية مكانا بين المسلمين ؛ فإنه بعض الحق لا كله . قد يعتذر عشاق الجنيد عنه بأنه يريد إفراد القديم عن المحدث بمعنى إثبات مباينة الرب سبحانه لخلقه ، وعلوه فوق عرشه ، و إثبات صفاته التى أثبتها لنفسه ، و يريد أيضاً إفراده سبحانه بالعبادة . وهذا الحق لا يريده الجنيد ، ولا توحى به عبارته ، ولو كان يريد شيئاً منه لذكره ، فإن ليس بالْعَيِيِّ فى البيان ، ولا بالغَبِىِّ فى التعبير عن أفكاره !! وحسبك قوله : « ترك ما علم وجهل » بهذا الإطلاق وهذا التعميم !! فما علمته أن الله ليس كمثله شىء ، وأنه هو السميع البصير ، فهل يجوز ترك مثل هذا العلم ؟ ثم ما هذا التعميم فى قوله : « وأن يكون الحق ـ أى الله ـ مكان الجميع » إن من سمات هؤلاء مكر النفاق ، ولهذا يدعون كلماتهم مطلقة الاحتمال » ، فإذا أُخِذوا بها ، قالوا : نريد منها كذا وكذا ، ولو كانوا يريدون حقا هذا الحق لصرحوا به فى غير مواربة ولا مداجاة . ولا سيما ، وهم متمكنون من ناصية البيان . إن حقيقة ما يدين به الجنيد : هو أن ينظر الصوفى إلى الوجود كوحدة ، ليس فيه إلا الوجود القديم !! .

= بالفحشاء أتقولون على الله ما لا تعلمون) أما سيد الطائفة ، فيزعم أن العارف لا يزنى إلا عن أمر من الله له !.! .

ثم إننا لا نجد فى الكتاب ولا فى السنة وصف الله بالقدم[1] ، ولا إطلاق اسم القديم عليه ، وكلمة « القديم » كما وردت فى القرآن لا يجوز إطلاقها على الله .

اقرأ هذه الآيات : (١٢ : ٩٥ قالوا : تالله إنك لفى ضلالك القديم) ، (٣٦ : ٣٩ والقمرَ قدَّرْناهُ منازلَ ، حتى عاد كالعُرجُونِ القديم) ، (٤٦ : ١١ وإذْ لم يهتدوا به ؛ فسيقولون هذا إفك قديم) ، (٤٦ : ١١ ، ١٢ قال : أفرأيتُم ما كنتم تعبدون ، أنتم وآباؤكم الأقدمون ، فإنهم عَدُوٌّ لى إلا رَبَّ العالمين) . فقد قيل عن الضلال إنه قديم ، وكذلك عن الإفك وأعذاق النخل والآباء السابقين ، فهل يجوز إطلاق « القديم » على الله سبحانه وهذا معناه ، وهذه هى مواردها فى القرآن ؟ .

أما ما ورد فى القرآن مما لا يشوبه ما فى كلمة « القديم » من نقص فقوله سبحانه : (هو الأول والآخر والظاهر والباطن) ، ولهذا كان من مناجاة الرسول صلى الله عليه وسلم « أنت الأول ، فليس قبلك شىء ، وأنت الآخِر ، فليس بعدك شىء » .

وهكذا لم يردد علماء « الكشف » غير ما رددته الضلالة القديمة .

ولقد سُئل الشبلى :

أخبِرنا عن توحيد مجرد بلسان حق مفرد ، فقال : « ويحك ! مَن أجاب عن التوحيد بالعبارة فهو مُلحِد ، ومن أشار إليه فهو ثَنَوِىٌّ ، ومن أومأ إليه فهو عابدُ وثنٍ ، ومن نطق فيه فهو غافل ، ومن سكت عنه فهو جاهل ، ومن وهَم أنه واصل فليس له حاصل ، ومن رأى أنه قريب فهو بعيد ، ومن تواجد فهو فاقد ، وكل ما ميزتموه بأوهامكم ، وأدركتموه بعقولكم فى أتم معانيكم ، فهو مصروف مردود إليكم ، محدث مثلكم » ، وقيل : « التوحيد إسقاط الياءات . لا تقول : لى ، وبى ، ومِنِّى ، وإلىَّ » ، وقال رويم :

---

(١) قال ابن فارس فى معجمه ، يقال شىء قديم إذا كان زمانه سالفا . وقال الراغب فى مفرداته « ولم يرد شىء من القرآن والآثار الصحيحة « القديم » فى وصف الله تعالى ، والمتكلمون يستعملونه ويصفونه به وأكثر ما يستعمل القديم يستعمل باعتبار الزمان » .

« التوحيد محو آثار البشرية ، وتجرُّد الألوهية » ، وقال الشبلي : « ما شم روائحَ التوحيد من تَصَوَّر عنده التوحيد » ، وقالوا : « مِن الناس مَن يكون فى توحيده مكاشفاً بالأفعال يرى الحادثات بالله تعالى ، ومنهم من هو مكاشَفٌ بالحقيقة ، فيضمحل إحساسه بما سواه ، فهو يشاهد الجمع سراً بسر وظاهره بوصف التفرقة[1] » .

وفى كلام الشبلي استحالة التوحيد ، وعدوان أحمق الجراءة على القرآن ، فقد جاءت آياته كلها مفصحة فى جلاء و إعجاز عن حقيقة التوحيد . توحيد الله فى ربوبيته وتوحيده فى ألوهيته ، على حين يقول الشبلي : « من أجاب عن التوحيد بالعبارة فهو مُلْحِد ، ومن أشار إليه فهو ثنَوِيٌّ » ، وهو فى تعبيره هذا يفصح عن حقيقة معتقده ؛ فالإشارة تستلزم وجودَ مُشير ، ووجودَ مُشار إليه ، وتستلزم المباينة بينهما . ولهذا قال الشبلي : من أشار إليه فهو ثنوى ! ! أى يدين بإلهين ! ! .

هذا لأن الشبلي يدين بأن وجودَ الخلق عين وجود الخالق ؛ فلا مشير ، ولا مشار إليه ، بل المشار إليه عين المشير ! ! .

أما إسقاط الياءات ، فجَبْرِيَةٌ صماء ، أو هى تعبير ماكر عن وحدة الوجود أيضاً ، أما بقية التعريفات فتدور حول ما بينا .

تثليث : قيل لأبى بكر الطمستانى : « ما التوحيد ؟ فقال : توحيد ومُوَحَّد ومُوَحِّد هذه ثلاثة[2] » نفس الصورة أو الأقانيم « الآب والابن والروح القدس » .

وليس فيما نقلناه من تعريفات نور من الحق ، ولا عبق من طيب التوحيد .

قناع : يدين التصوف بأن للدين ظاهراً و باطناً[3] ، لهذا نجد للصوفية أقوالا يرضون

---

(١) اقرأ هذه التعريفات فى باب التوحيد من رساله القشيرى . (٢) ص ١٣٦ الرسالة .

(٣) ينسب الغزالى إلى الرسول صلى الله عليه وسلم هذا الزور : « ما من آية من آيات القرآن إلا ولها ظهر وبطن ، ولبطنه بطن إلى سبعة أبطن » ، وهذا الزور أيضاً : « للقرآن ظاهر وباطن وحد ومطلع » ص ٢٨ ، ٣٣١ الجواهر الغوالى ط الكردى . وكلا القولين مفترى على رسول الله صلى الله عليه وسلم .

بها أهل الظاهر فى عرفهم « أهل الظاهر هم أهل الحق الوثيق الجليل ؛ لأنهم يدينون بما أرسل الله به خاتم النبيين ، يؤمنون به إيمانا مستقيما لا اعوجاج فيه » .

ومن أقوال الصوفية التى ينطقون بها فى التوحيد تجنبا لسفك دمائهم بما رووه عن الجنيد ، وقد سئل عن التوحيد : « إفراد الموحَّد بتحقيق وحدانيته بكمال أحديته أنه الواحد الذى لم يلد ، ولم يُولَد بنفى الأضداد والأنداد والأشباه بلا تشبيه ولا تكييف ولا تصوير ولا تمثيل ، ليس كمثله شىء ، وهو السميع البصير » . وفى هذا التعريف ـ رغم وجود ألفاظ يمكر بمعناها ـ تعبير عن توحيد الربوبية . غير أن الجنيد القائل لهذا هو عين الجنيد الذى نقلنا لك تعريفه من قبل للتوحيد ، عين الجنيد الذى يقول : « إذا تناهت عقول العقلاء إلى التوحيد تناهت إلى الحيرة » . إذن لا توحيد ولا يقين ! ! .

وسئل البوشنجى عن التوحيد ، فقال : « غير مشبه الذات ، ولا منفى الصفات » . وفى تعريفه سكر صوفى يرائى الحق والإيمان والباطل والكفر . وبمثل هذه التعريفات التى تلمع بلمعة من نور الحق يتخذ الصوفية لأنفسهم جُنة يدرءون بها من صولة الحق وأنصاره فى بيئة تقدس الحق .

أمّا هم ـ كما رأيت ، وكما سترى ـ لا يدينون بحقيقة التوحيد الذى أرسل الله به رسله ولهم وجه إلى العوام ، ووجه إلى الخواص . والعوام هم من يأخذون دينهم عن الكتاب والسنة . أما الخواص : فهم من يأخذون دينهم عن كشف ! ! .

وسنضرب مثلا : الهروى ، والغزالى ؛ فقد كان لكليهما وجهان : وجه يلقى به المؤمنين ، وآخر يلقى به الصوفيين ، وهو الوجه الذى يحبه ، ويحب أن تعرفه به .

عبد الرحمن الوكيل

« للنظرات بقايا »

باب الفتاوى

أسئلة من الأخ عمر الحاج قسم الله بالنهود ـ سودان :

س ١ ـ ما حكم من قتل مؤمناً متعمداً ؟ وهل هو مخلد فى النار أبداً كما هو نص الآية الكريمة ؟ .

الجواب ـ قال الله تعالى : (ومن يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم خالداً فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذاباً عظيما) ، فهذا وعيد شديد لمن يقدم على هذه الجريمة النكراء حيث جُعل جزاؤه جهنم مع الخلود والبقاء وسجل عليه غضب الله ولعنته وهيىء له من العذاب أشده وآلمه ، ولم يرد فى القرآن الكريم هذا التغليظ فى العقوبة بالنسبة لذنب آخر غير القتل ، وقد جاء فى السنة المطهرة ما يؤيد هذا مثل قوله عليه السلام : « لزوال الدنيا أهون على الله من قتل امرىء مسلم » ، وقوله : « لا يزال المؤمن فى فسحة من دينه ما لم يصب دماً حراماً » .

ولهذا ذهب ابن عباس رضى الله عنهما إلى حمل الآية على ظاهرها ، وقال : إن القاتل لا توبة له ، وكان يرى أن الآية محكمة لم ينسخها شىء لأنها من سورة النساء وهى مدنية ، ومن آخر ما نزل .

وأجاب عن قوله تعالى من سورة الفرقان : (والذين لا يدعون مع الله إلهاً آخر ولا يقتلون النفس التى حرّم الله إلا بالحق ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق أثاما . يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهاناً . إلا من تاب وآمن وعمل عملا صالحاً فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات وكان الله غفوراً رحيما) بأن هذا فى حق من فعل هذه الأمور فى حال شركه ثم أسلم ، فإن الإسلام يجب ما قبله .

وأما آية النساء ففى حق من كان مسلماً فقتل نفساً مؤمنة بغير حق ، فهذا لا تقبل توبته .

ولكن الصحيح فى مذهب جمهور العلماء أن القتل كغيره من الذنوب التى تجوز التوبة منها ، وأنه إذا مات ولم يتب فأمره إلى الله إن شاء عذبه و إن شاء عفا عنه ، لقوله تعالى : (إن الله لا يغفر أن يشرك به و يغفر ما دون ذلك لمن يشاء) ، وما دون الشرك عام يتناول القتل وغيره إلا أنه يبقى حق القاتل فلا يسقط إلا بعفوه كما هو الشأن فى حقوق العباد كلها .

وقد أجاب الجمهور عن الخلود فى الآية الكريمة بأن المراد به المكث الطويل أو أن هذا جزاؤه لو جوزى ، و يجوز أن يعفو الله عنه ، أو أن هذا الوعيد بالنسبة إلى من قتل المؤمن مستحلا لقتله والله أعلم .

س ٢ ـ ما حكم من طلق امرأته ، ثم قيل له إنها مرجوعة ، ثم طلق الثانية ، ثم قيل له مرجوعة ، ثم طلق الثالثة ، هل تحرم عليه بعد ذلك ؟ .

ج ٢ ـ إذا كان قد طلق امرأته طلاقاً سُنّيًا ، بأن طلقها فى طهر لم يجامعها فيه ، ثم تركها حتى حاضت ، ثم طهرت ، ثم طلق الثانية ولم يراجع ، ثم تركها كذلك حتى حاضت ، ثم طهرت فطلقها الثالثة ؛ فهذه تحرم عليه ولا تحل له حتى تنكح زوجًا غيره بنكاح صحيح و يطلقها وتنقضى عدتها منه ، ثم ترجع إلى زوجها الأول بعقد ومهر جديدين.

وأما الطلاق البدعى ، وهو أن يطلق فى الحيض أو فى طهر قد جامعها فيه ، فهذا لا يلتفت إليه .

س ٣ ـ ما حكم من يفرشون للمآتم لتقبل العزاء ؟ وما حكم البكاء على الميت ؟ .

ج ٣ ـ لم يكن من عادة السلف رضى الله عنهم أن يعدوا أمكنة خاصة لتقبل العزاء فيها ، ولا كانوا يجلسون للعزاء ليالى وأياماً ، وإنما كانوا يؤدون هذا الواجب حسبما تيسر فأحياناً على القبر وأحياناً فى المسجد . وأما مايفعله الناس من ذلك فهو عادة ممقوتة لاسيما وقد اتخذت مجالا للمباهاة والإسراف .

وأما البكاء على الميت فإن كان بدمع العين من غير رفع صوت ولا نياحة فلا بأس به بل هو محمود ؛ فقد ورد أن النبي صلى الله عليه وسلم بكى وفاضت عينه يوم مات ولد ابنته ، ولما سئل قال : « إنها رحمة جعلها الله فى قلوب عباده وإنما يرحم الله من عباده الرحماء » ، وبكى كذلك يوم مات ولده إبراهيم ، وقال : « إن العين تدمع وإن القلب يحزن ولا نقول إلا ما يرضى ربنا » ، وقال : « إن الله لا يعذب بدمع العين ولا بحزن القلب ، ولكن يعذب بهذا أو يرحم » وأشار إلى لسانه .

س ٤ ـ ما حكم مَن أتى مِن الحج وجلس ثلاثة أيام فى داره ويعمل الكرامات (الذبائح) لهذا السبب جريًا على العادة .

ج ٤ ـ ليس للحاج إذا عاد إلى بلده أن يحبس نفسه فى داره ، بل عليه أن يسعى إلى الجمعة والجماعة فى المسجد ، وأن يعود مرضى المسلمين ويشيع جنائزهم ويمشى فى حوائجهم إلى غير ذلك ؛ فهذه جاهلية لا يعرفها الإسلام ، كما أن الذبائح التى تذبح لهذه المناسبة إن كانت تذبح على اسم الله ويقصد بها التقرب إليه وليطعم منها الفقراء والمحرومون فلا بأس فإنها من القرب النافعة ، وأما إن كانت تذبح لغير ذلك من الأغراض الفاسدة فهى فسق أهل لغير الله به ولا يجوز أكلها .

س ٥ ـ ما حكم آلاف القناطير من الفول التى توجد عندنا بالسودان هل يزكى عنها بالعشر أم لا ؟ .

ج ٥ ـ حكم الفول كحكم غيره من الحبوب التى تقتات وتدخر كالحنطة والشعير فالواجب إخراج زكاته إذا بلغ النصاب وهو خمسة أوسق ، إما العشر إذا كان يسقى بالسيح ، وإما نصف العشر إذا كان يسقى بالعمالة .

ومن الأخ عوض إبراهيم عثمان بمدينة الخرطوم ما يلى :

يوهم كثير من جهلة الصوفية فى ألفاظ التشهد ، ويقولون : حينما عرج برسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال للحق عز وجل : التحيات لله . إلى آخر ألفاظ التشهد .

فنرجوكم أن تفتونا بالبيان الشافى مما علمكم الله عن ألفاظ التشهد جملة جملة ، وتفسيرها من الكتاب والسنة ، حتى ينقطع ما بين الناس فى ذلك من خلاف . إن الله يجزى المحسنين .

الجواب ـ أما ما يزعمه جهلة الصوفية وغيرهم فى ألفاظ التشهد من أن الرسول صلى الله عليه وسلم لما عرج به فى ليلة الإسراء وقرب من ربه حتى كان قاب قوسين أو أدنى قال : « التحيات لله والصلوات والطيبات » ، فرد عليه ربه التحية وقال : «السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته » . . . إلخ .

فهذا كلام لا أصل له ، ولكن الذى ورد فى الأحاديث الصحيحة بالنسبة للتشهد قول ابن مسعود رضى الله عنه : « كان النبي صلى الله عليه وسلم يعلمنا التشهد كما يعلمنا السورة من القرآن ، يقول : « قولوا ـ التحيات لله ، والصلوات والطيبات ، السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته ، السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين ، أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله » .

وكذلك روى حديث التشهد عن ابن عباس رضى الله عنهما بلفظ آخر وهو : « التحيات المباركات الطيبات الصلوات لله » وروى أنهم قبل ذلك كانوا إذا تشهدوا يقولون : السلام على ربنا ، فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم : « إن الله هو السلام ، فإذا تشهد أحدكم فليقل التحيات لله ـ وذكر الحديث » .

وأما تفسير ألفاظ التشهد : فالتحيات جمع تحية ، والمراد بها الثناء على الله عز وجل بالقول . وأما الصلوات فالمراد بها العبادات البدنية . وأما الطيبات فهى العبادات المالية ، فكأن المصلى يجعل عبادته كلها خالصة لله ، سواء كانت قولا باللسان ، أو فعلا بالجوارح والأبدان ، أو مالا من طيب حلال ، والله تعالى أعلم .

أسئلة من الأخ أبو بكر محمد أحمد طه بالقضارف ـ سودان :

س ١ ـ ماذا يقول المأموم بعد الرفع من الركوع ؟ وكيف كان الصحابة يعملون ويقولون خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ .

ج ١ - يسن للمأموم إذا رفع الإمام رأسه من الركوع ، وقال : سمع الله لمن حمده ، أن يقول : ربنا ولك الحمد ، أو يقول : اللهم ربنا لك الحمد ، و إن زاد عليها قوله : حمداً كثيراً طيباً مباركا فيه ، فحسن .

فقد ورد فى الصحيح أن رجلا من الصحابة قالها خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما فرغ من الصلاة قال : « أيكم قال هذه الكلمات ؟ فقال الرجل : أنا يارسول الله ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم : « لقد رأيت بضعة وثلاثين ملكا يبتدرونها أيهم يكتبها أول »؛ وقد قيل : إن الحكمة فى هذا العدد من الملائكة أن عدد حروف هذه الكلمات بضعة وثلاثون حرفاً ، و إن شاء زاد على ذلك قوله : «ملء السموات وملء الأرض وملء ماشئت من شىء بعد أهل الثناء والمجد أحق ما قال العبد وكلنا لك عبد ، لا مانع لما أعطيت ، ولا معطى لما منعت ، ولا ينفع ذا الجد منك الجد » .

س ٢ - ما حكم الاضطجاع بعد صلاة رغيبة الفجر؟ وماذا كان يفعل الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه فى ذلك ؟ .

ج ٢ - ورد فى الصحيح عن عائشة رضى الله عنها أن النبى صلى الله عليه وسلم كان إذا أذن للفجر ركع ركعتين خفيفتين ثم اضطجع على شقه الأيمن حتى يأتيه بلال فيؤذنه بصلاة الفجر .

ومن هنا اختلف الصحابة رضى الله عنهم فى هذه الضجعة ، فكان بعضهم يفعلها و يراها سنة ، وكان بعضهم ينكرها و يراها بدعة . وقد كان ابن عمر رضى الله عنهما مع ما هو معروف عنه من شدة التحرى والاتباع للسنة ينكر ذلك ، وكان إذا رأى أحداً اضطجع فى المسجد بعد صلاة السنة ركله بقدمه .

والصحيح أن النبى صلى الله عليه وسلم لم يكن يفعل ذلك تعبداً ولا سنة لأمته ، و إنما كان يقصد به الراحة والاستجمام من تعب قيام الليل ، كما روى ذلك عن عائشة نفسها . وقد غلا ابن حزم الظاهرى فجعل تلك الضجعة فريضة وهو قول لا دليل عليه .

محمد خليل هراس

العدد ٨ شعبان
المجلد ٢٨ سنة ١٣٨٣

خير الهدى هدى محمد صلى الله عليه وسلم

الهدى النبوي

تصدرها جماعة أنصار السنة المحمدية

رئيس التحرير
عبد الرحمن الوكيل

مدير الإدارة
سليمان حسونه

مطبعة السنة المحمدية
١٧ شارع شريف باشا الكبير
ت ٩٠٦٠١٧

٣٠ مليما

الفهرس

صفحة		
٣	التفسير	للأستاذ الشيخ عبد الرحمن الوكيل
١٥	عقيدة القرآن والسنة . . . «	« محمد خليل هراس
١٨	الأسوة الحسنة . . . . «	« أحمد أحمد على حسن
٢١	نظرات فى التصوف . . . . «	« عبد الرحمن الوكيل
٣٠	غزوات الرسول (صلى الله عليه وسلم) «	سعد صادق محمد
٣٧	الفتاوى . . . . «	« محمد خليل هراس
٤٤	النور المحمدى (قصيدة) . . «	« عمرو محمد حسن التندى
٤٧	تعليقات على الصحف . . . . «	سعد صادق محمد

رجاء إلى السادة المشتركين

والمتعهدين

نرجو من السادة المشتركين المتأخرين فى سداد اشتراكاتهم أن يتفضلوا بالمبادرة إلى سدادها .

كما نرجو من المتعهدين بالفروع أن يتكرموا بإرسال مالديهم من أثمان المجلة .

والمرجو إرسال جميع الحوالات وقيم الاشتراكات والذممات المتأخرة

باسم السيد / محمد رشدى خليل أمين صندوق الجماعة .

٨ شارع قوله بعابدين — القاهرة

خير الهدى هدى محمد صلى الله عليه وسلم

الهدى النبوى

مجلة شهرية دينية

تصدرها جماعة أنصار السنة المحمدية

رئيس التحرير
عبد الرحمن الوكيل
أصحاب الامتياز : ورثة
الشيخ محمد حامد الفقى

مدير الإدارة
سليمان رشاد محمد
الاشتراك السنوى
٣٠ ـ ق فى الجمهورية العربية المتحدة والسودان
٤٠ ـ فى الخارج

المركز العام : ٨ شارع قوله — عابدين القاهرة — تليفون ٧٦٥٧٦

العدد ٨ | شعبان سنة ١٣٨٣ | المجلد ٢٨

نور من القرآن

بسم الله الرحمن الرحيم

قال ـ جلّ ذكره ـ : (وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ(١) لَوْ يُؤَاخِذُهُمْ بِمَا كَسَبُوا لَعَجَّلَ لَهُمُ الْعَذَابَ ، بَل لَّهُم مَّوْعِدٌ لَّن يَجِدُوا مِن دُونِهِ مَوْئِلًا * وَتِلْكَ الْقُرَى أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا ، وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا ـ الكهف ٥٨ : ٥٩) .

---

(١) من دين نفاةِ الصفات نفى رحمة الله سبحانه ، لأن الرحمة تقتضى وجود رقة فى القلب وقد رد الإمام ابن القيم عليهم رداً محكما فى كتابه : « الصواعق المرسلة » ، وإليك طرفاً من هذا الرد : « قولهم : الرحمة رقة القلب . تريدون : رحمة المخلوق أم رحمة الخالق ، أم كل ما سمى رحمة مشاهداً أو غائباً ؟ فإن قلتم بالأول صدقتم ، ولم ينفعكم ذلك شيئاً . وإن قلتم بالثانى والثالث كنتم قائلين غير الحق ، فإن الرحمة صفة الرحيم ، وهى فى كل موصوف بحسبه فإن كان الموصوف حيواناً له قلب ، فرحمته من جنسه رقة قائمة بقلبه ، وإن كان ملَكا فرحمته تناسب ذاته ، فإذا اتصف أرحم الراحمين بالرحمة حقيقة لم يلزم أن تكون رحمته من جنس رحمة المخلوق لمخلوق ، وهذا يطرد فى سائر الصفات كالعلم والقدرة والسمع والبصر والحياة والإرادة إلزاماً ووجوباً » ص ١١٤ ج ٢ ط ١٣٤٨ .

« معانى المفـــردات »

« موئلا » الملجأ . والكلمة من الأَوْل ، أى الرجوع إلى الأصل ، ولهذا سمى الموضع الذى يُرْجع إليه موئلا . وقد تكون من وَأَلَ إذا نجا . وَأَوْأَلَ إليه إذا لجأ إليه .

« القرى » قال الراغب : القريةُ اسم للموضع الذى يجتمع فيه الناس وللناس جميعاً ، ويستعمل فى كل واحد منهما . . يعنى أن اسم القرية يطلق على الموضع ، ويطلق أيضاً على الناس الذين يجتمعون فى هذا الموضع إطلاقاً حقيقياً .

وجاء فى « لسان العرب » : القَرية والقِرية لغتان : المِصرُ الجامع . . . والقرية من المساكن والأبنية والضياع ، وقد تُطْلَق على المدن .

« مَهْلِكهم[1] » فى هذا المصدر ثلاث لغات : فهو بفتح اللام وكسرها وضمها « مهلَك ، مهلِك ، مهلُك » ، ويجوز أن يكون اسم زمان بمعنى : وقت الهلاك .

« المعــــنى »

« كتب رَبُّكم على نفسِه الرحمة » هذا وعد الله وكلامه ، ووعد الله حق ، وكلامه صدق . وما كتب سبحانه هذا على نفسه مخافةً من أحد ، أو تحت قهر أدبى أو مادى ؛ فهو القاهر فوق عباده ، وإنما كتب هذا على نفسه ؛ لأنه ربنا الرحمن الرحيم الذى أخبرنا أنه استوى على أوسع مخلوقاته ، وهو العرش ، بأوسع صفاته ، وهى الرحمة ، فقال : « الرحمٰن على العرش استوى » .

ولهذا جعل الرزق ـ وهو أعظم رحمة ـ مما كتبه على نفسه ، فقال سبحانه : (وما من دابةٍ فى الأرضِ إلا على اللهِ رِزْقُها ـ هود : ٦) .

---

(١) هناك قراءة بضم الميم وإسكان الهاء وفتح اللام باعتبار الكلمة مصدراً ، من أهلكوا ويقول الطبرى : وأولى القراءتين بالصواب عندى فى ذلك قراءة من قرأه « لِمُهْلَكِهِمْ » بضم الميم وفتح اللام لإجماع الحجة من القراء عليه واستدلالا بقوله « وتلك القرى أهلكناهم » تلك القرى صفة ، لأن أسماء الإشارة توصف بأسماء الأجناس .

والله فى كبريائه وجلاله غنى عن العالمين ، فهو ليس فى حاجة أبداً إلى أن يتزلف بمثل هذا الخبر الأعظم فى مضمونه ومفهومه وصدقه إلى عبيده كما يتزلف بعض الملوك الطغاة إلى شعوبهم . إنما أخبر ؛ لأنه الرحمن المنان ربُّ الفضل العظيم ؛ لهذا جيء بكلمة « كتب » التى تفيد الإثبات والتقدير والإيجاب والغرض والعزم[١] .

ومن جمال رحمة الله أن يخبرنا بما أثبت وأوجب وفرض . ومن جلال حبه لعباده أن يقول لهم : « كتب ربكم » . ولكى يتبين لك شىء من جلال هذه المنة ، فإنى أرجو أن تتصور حاكما عظيما ـ ولله المثل الأعلى ـ ذا ملك عريض طويل ممتد الطول والعرض يقول هذه الكلمة لشعبه .

ثم تدبرها وأنت على بينة من أن القائل ليس حاكم شعب ، وإنما هو الخالق الرب . ولمن يقولها ؟ لخلقه وعبيده ! !

والله ــ سبحانه ــ يعامل عبيده برحمته وإحسانه قبل أن يعاملهم بعدله وعزة سلطانه ؛ ولهذا تجد خلقاً على ظهر هذه الأرض ، فلو أن الله كان يؤاخذ كل امرىء بما كسب لاستأصل البشرية كلها ، ولأهلك ما على الأرض من دابة حتى تصير خراباً يبابا ، فما من بشر إلا ويخطىء ، إلا ويقترف سيئة بعد سيئة . فلو حاسب الله الناس بعدله لأخذهم أخذ عزيز مقتدر ، ولكنه بسط رحمته ، وبسط إحسانه ، فالعيش خافض ، والحياة رخِيّة رضية ، والرزق ميسور موفور ، والنعم جلائل ، رغم الكفر الأصم ، والجحود الكنود ! !.

ولهذا قال سبحانه عقب أن ذكرنا بموقف الكفار من المرسلين : (وربك الغفور ذو الرحمة) لقد بين الله شيئاً من عمل أولئك الكفار وشيئاً مما عاملوا به رسل الله . وربما يظن من لا يأخذ الإيمان بقلبه ، أو من يرتاب فى أن الله قاهر جبار أن الله لا يستطيع

---

(١) هو الموجب ، وهو المثبت ، وهو الذى فرض ، فلا ينال استعمالها من جلاله شيئاً بل تزيدنا إيماناً بجمال ربنا وسمو رحمته .

أن ينصر رسله ، إذ يرى هؤلاء المرتابون الذين فى قلوبهم مرض أن الذين يعاندون رسل الله ، ويكفرون بآيات الله لا يزالون يتقلبون فى البلاد بجاهٍ ونعمة وسلطان ، وأن الله لم ينزل بهم وعيده . فإما أن يقولوا إنه لا وعيد أو لا رب ، وإما أن يقولوا إن هؤلاء الكفار ليسوا بكفار ، وإنما هم خلّص المؤمنين[1] .

وما ظنوا بالله ظن الخير ، الظن الذى يليق بربوبيته وألوهيته ، وهو أنه غفور ، وأنه رحيم .

ولهؤلاء المرتابين ، ولهؤلاء الذين فى قلوبهم مرض ، وللمؤمنين ليزدادوا إيماناً مع إيمانهم يبين الله سبب تركه لهؤلاء الكفار دون عقوبة عاجلة فى قوله : « وربك الغفور ذو الرحمة » .

وتدبر إضافة كلمة « رب » إلى ضمير المخاطَب لتلحظ التكريم العظيم لمحمد صلى الله عليه وسلم . كان يمكن أن يقال : « والله الغفور ذو الرحمة » ولكن جاءت هكذا ليبين الله لمن كفروا بمحمد فضل محمد ، وليبين لهم أن رب محمد غفور وأنه رحيم ، وأن الإيمان الحق هو الإيمان الذى يتعلق برب محمد ، أى بالرب الذى جاء محمد يدعو إليه . لا الرب الذى تدعو إليه اليهودية أو الصليبية أو المجوسية . فهذه أرباب مصنوعة بالأوهام والظنون والأهواء .

ثم اختيار كلمة « رب » وحدها هنا دليل على أن الرحمة والمغفرة من صفات الربوبية ، أو أن من صفات الربوبية الرحمة والمغفرة . وأنه لا يكون الرب إلا غفوراً رحيما . فالتربية

---

(١) بهذه الفتنة فتن بعض الذين كانوا ينتسبون إلى الاسلام ممن كانوا يطلقون على أنفسهم أنهم علماء . فقد فتنتهم حضارة الغرب المادية الهائلة . وقوة روسيا الجبارة ، فجنحوا إلى الشيوعية الملحدة , وحنوا على الصليبية الغادرة ، واتجهوا أول ما اتجهوا إلى الاسلام يطالبون بعزله عن شئون الحياة .. نعنى زعم الصليبية التى تقول : « أعطوا ما لقيصر لقيصر وما لله لله » ونفس زعم الشيوعية التى تبهت الدين بأنه أفيون الشعوب ، وبأنه المعوق عن كل حضارة وتقدم ، وبأنه مخترع إقطاعى .

إنشاء الشيء حالا بعد حال حتى يبلغ تمامه . وفى هذه الأطوار يحتاج المربوب إلى صبر ربه ومغفرته ورحمته ، والإخبار بالمغفرة أولا قبل الإخبار بالرحمة فيشرق بجمال التناسق . فالعبد محتاج أولا إلى أن يستر الله معاصيه وخطاياه ، ويتجاوز عنهما . أى فى حاجة إلى أن يسلم من العيوب قبل أن يتجمل بزينة لا يصح تعميره قبل تطهيره ، أو تجميله وسمات القبح لمّا تزَلْ عليه بادية واضحة .

وأصل الغفر : التغطية والستر ، وإلباس ما يصون عن الدنس ، وهكذا تجىء المغفرة فتغطى عيوبه ، وتستر ذنوبه ، وتلبسه ما يصونه ، ثم تأتى الرحمة جمالا ونعيما .

واختيار « غفور » بدلا من « غافر » دليل على أن الله لا يغفر مرة فحسب ، بل يغفر مرات ومرات ، ودليل أيضاً على ثبوت ودوام صفة المغفرة فهذه الصيغة بالنسبة للبشر تفيد المبالغة فى الوصف ، ولكنها تفيد أسمى وأعظم بالنسبة لله سبحانه .

« ذو الرحمة » صاحب الرحمة . إنه رب الرحمة وصاحبها ، وبرحمته يتراحم الناس ، ويرحم الآباء والأمهات الأبناء والبنات ، ويرحم الطير فراخه .

وحسبك أن تتدبر مرة أخرى : « كتب ربكم على نفسه الرحمة » لو قال « ذو رحمة » هنا لما كانت هكذا فى هذا الجمال والجلال والشمول والعموم : فمجىء « الرحمة » محلاة بكلمة « أل » يبين لك أن كل رحمة هى رحمته ، أو أن الرحمة هى منه وملكه ، وله وحده ، فنضرع إلى الله أن يمدنا برحمته .

« لو يؤاخذهم بما كسبوا لعجل لهم العذاب » تفيد المؤاخذة : المجازاة والمحاسبة ، وتعطى فوق هذا معنى أدق تستطيع أن تدركه إذا تدبرت مادة الأخذ .

وما يكسبه الانسان هو ما يقدمه من قول وعمل ، وما يضم عليه قلبه من اعتقاد ، فإنه يقدم كل هذا رجاء أن يكسب به الخير لنفسه فى الدنيا أو فى الآخرة . وقد يكون ليس سبباً فى كسب ، وإنما هو سبب فى خسارة . غير أنه لا يظن أنه كذلك والله لا يعاقب

إلا على كسب مشوب بالظلم ، أو نتج عن ظلم[1] » .

فلو أن الله سبحانه آخذ هؤلاء الذين كفروا بمحمد ، وكفروا برسله مؤاخذة تأتى عقب هذا الكسب مباشرة لعجل لهم عذابهم . ولكنه جل شأنه لم يفعل ؛ لأنه الغفور ذو الرحمة .

ولقد جاء الإخبار بنفى المؤاخذة بعد إثبات الصفتين كدليل على مغفرته ورحمته ، أو كمثل يضرب لمغفرته سبحانه ورحمته .

« بل لهم موعد لن يجدوا من دونه موئلا » إنه ــ جل شأنه ــ لا يتجاوز عن هؤلاء الذين ظلموا أنفسهم إلا لميقات معلوم . لقد تركت رحمته سبحانه لهم أجَلاً لعلهم يندمون ويتوبون ، فينيبون إلى ربهم ويسلمون له . غير أنهم لم يفعلوا ، فجاء عدله بجبروته ينتقم من الطغاة البغاة . تدبر قوله سبحانه : (وَأُمْلِي لهم إن كَيْدِى متين » وتدبر عقاب الله للقرية التى كانت حاضرة البحر (فلما نسوا ما ذُكِّرُوا به أنجينا الذين يَنْهَوْن عن السوء ، وأخذنا الذين ظلموا بعذاب بئيس بما كانوا يفسقون) غير أن هذا العذاب الشديد لم يحملهم على التوبة ، فعاقبهم الله بما ذكره فى هذه الآية . (فلما عَتَوْا عَمَّا نُهُوا عنه قلنا لهم كونوا : قِرَدَةً خاسئين ــ الأعراف : ١٦٥ ، ١٦٦) هكذا يؤجل العذاب برحمته ، ثم يأتى به بعدله .

ولن يجد هؤلاء الذين يتوعدهم الله بوعيده مكان نجاة ، أو مكانا يلجأون إليه حين يأتيهم أجل الله سبحانه .

والإتيان بكلمة « لن » يقطع كل أمل فى المستقبل ، فلا أمل فى نجاة أو منجى ، ولا فى لجوء أو ملجأ ، سواء أكان قريباً أم بعيدا . فكلمة « من دونه » تنفى وجود الملجأ القريب ، ولا ريب فى أنها تفيد نفى الملجأ البعيد . وهذه سنة الله سبحانه مع الناس جميعاً وإليك هاتين الآيتين :

---

(١) تدبر « ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم » ثم مثيلتها فى سورة فاطر : « ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا » فقد وضع « كسبوا » مكان « بظلمهم » ليتبين لنا أن الله لا يعاقب إلا على الكسب الذى يكون سببه الظلم .

(ولو يؤاخذ اللهُ الناسَ بظلمهم ما ترك عليها من دابةٍ ولكن يؤخرهم إلى أجلٍ مُسَمّى ، فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ، ولا يستقدمون — النحل : ٦١) .

(ولو يُؤاخذُ اللهُ الناسَ بما كسبوا ما ترك على ظهرها من دابةٍ ولكن يؤخرهم إلى أجلٍ مُسَمّى فإذا جاء أجلهم فإن الله كان بعباده بصيرا — فاطر : ٤٥) .

هذه سنة الله ، ولن تجد لسنة الله تبديلا ، فلا يفتتن بالكفار من يراهم الآن فى مَنَعة وقوة ومتاع . ولا يغتر كافر بتقلبه فى المتاع ؛ فعند الله أجل مسمى .

« وتلك القرى أهلكناهم[1] لما ظلموا وجعلنا لمهلكهم موعدا » هذا نذير للكفار الذين كانوا يقفون فى طريق دعوة الحق التى يدعو بها خاتم النبيين ، ولقد توعدهم الله فى آية تكاد تحدد أمكنة هذه القرى التى أهلكها الله . تلك هى قوله سبحانه : (ولقد أهلكنا ما حولكم من القرى ، وصرفنا الآياتِ لعلهم يرجعون . فلولا نصرهمُ الذين اتخذوا من دونِ الله قرباناً آلهةً ، بل ضلوا عنهم ، وذلك إفكهم ، وما كانوا يفترون — الأحقاف : ٢٧ ، ٢٨) .

فهو نذير وتذكير بتاريخ حى واقع لا تزال أخباره متواترة ، ولا تزال آثاره باقية[2] . ولقد مكّن الله هذه القرى التى أهلكها فى أكثر مما مكن فيه قوم محمد . كانوا أحسن أثاثا ورئيا . كانوا أشد قوة . فما أغنى عنهم شىء من ذلك كله حتى أولياؤهم الذين كانوا يدعونهم من دون الله ، فأهلكم الله ، فكيف يظن قوم محمد أن الله لا يهلكهم ، أو لا يستطيع هذا ؟! .

---

(١) لم يقل أهلكناها ، لأنه يريد أهلها .

(٢) يذكرهم الله بمصير حجر ثمود ، وهى بينهم وبين الشام ، وبسدوم وهى قرية قوم لوط فى فلسطين ، وأحقاف عاد بحضرموت ومأرب لسبأ وهم أهل اليمن ، ومدين لقوم شعيب وكانت فى طريق قريش وممرهم إلى غزة .

وقد بين الله لقريش سبب إهلاكه لهذه القرى بقوله : « لما ظلموا » ؛ ليحذرهم عاقبة الظلم . وليبين لهم أن الله لا يتجاوز عنه مهما كان شأن المقترف له . وليتدبروا قول الله : (وكَأَيِّنْ من قريةٍ هِيَ أشدُّ قوةً من قريتك التي أخرجتكَ ، أهلكناهم فلا ناصرَ لهم ـ محمد : ١٣) فمن ينصر قريشًا وسواهم ، ومن كانوا أشد منهم قوة لم يجدوا لهم ناصراً ؟ ! . والظلم أبغض رذيلة وصفة يمقتها الله سبحانه ، ولهذا نفاها عن نفسه ، أو حرمها على نفسه كما ورد فى الحديث القدسى . فما من رذيلة ، أو خطيئة ، أو معصية إلا وتنتسب إلى الظلم ، أو تنتج عنه . وأعظم ظلم لا يغفره الله سبحانه هو الشرك

سنة الله مع القرى : ولقد فصل القرآن دلائل وآيات سنة الله مع القرى إحياء و إماتة ، وإسعاداً و إشقاء ، ليحذر أهل القرى أسباب الفناء والدمار والهلاك ، وليأخذوا بأسباب البقاء والسعادة .

سنة الله فى بقاء القرى أو الأمة وسعادتها : يقول ربنا سبحانه (وَلَوْ أَنَّ أهل القُرى آمنوا ، واتقَوْا لفتحنا عليهم بَرَكاتٍ من السماء والأرضِ ، ولكن كذّبوا ، فأخذناهم بما كانوا يكسبون ـ الأعراف : ٩٦) .

فلا سعادة لأمة ، ولا بقاء لها إلا بالإيمان والتقوى . فبهما يفتح الله عليهما بركاته . فيمكنها من أسباب السعادة التي قد تكون فى السماء ، أو تكون فى الأرض .

أسباب هلاك القرى : بطر المعيشة (وكم أهلكنا من قريةٍ بطرت[1] معيشَتها فتلك مساكنهم لم تُسْكَنْ من بعدهم إلا قليلا وكُنّا نحن الوارثين ـ القصص . ٥٨) .

---

(١) عرفه ابن الأثير بقوله : البطر الطغيان عند النعمة وطول الغنى » وبسط الراغب تعريفه بقوله : « دهش يعترى الإنسان من سوء احتمال النعمة وقلة القيام بحقها وصرفها إلى غير وجهها » .

فسوق المترفين : ومن أسباب هلاك الأمم فسوق أهلها (وإذا أردنا أن نُهلِكَ قرية أمرنا مُترَفيها ، ففسقوا فيها فحقّ عليها القول ، فدمرناها تدميراً ـ الإسراء : ١٦) .

فعل الخبائث : وهى نوع من أنواع الفسوق ، وهذه الخبائث هى التى كان يترفها قوم لوط . وهى التى تشير إليها الآية الكريمة : (ولُوطًا إذ قال لقومه : أتأتون الفاحشة ما سبقكم بها من أحد من العالمين . إنكم لتأتون الرجال شهوة من دون النساء بل أنتم قوم مسرفون ـ الأعراف : ٨٠ ، ٨١) فلتتق الله قرية تقترف جريمة قوم لوط ، وإلا فصيرهم مصير قوم لوط .

وعن قرية قوم لوط هؤلاء يقول الله :(ولوطا آتيناه حُكْمًا وعلما ونجيناه من القرية التى كانت تعمل الخبائث ، إنهم كانوا قوم سَوْء فاسقين ـ الأنبياء : ٧٤) .

الكفر بالمرسلين : (وما أرسلنا فى قرية من نذير إلا قال مُترَفوها إنا بما أرسلتم به كافرون ـ سبأ : ٣٤)

الاقتداء بضلالة الآباء : أو إنا وجدنا آباءنا على أمة :(وكذلك ما أرسلنا من قبلك فى قرية من نذير إلا قال مترفوها : إنا وجدنا آباءنا على أمة ، وإنا على آثارهم مقتدون ـ الزخرف : ٢٣) .

وأنا لا أحصر لك كل أسباب الهلاك وإنما أذكر ببعض ماذكر القرآن ، وتستطيع أن تجمل كل هذه الأسباب تحت سبب واحد . ذلك هو الظلم . فالشرك ظلم ، وبطر المعيشة[1] ظلم ،والكفر ظلم ، والفسوق ظلم ، وبغى الأغنياء على الفقراء ظلم ، وفعل الخبائث ظلم . والاقتداء بضلالة الآباء والحرص على التراث الملعون ظلم . ولهذا أجمل الله كل هذه الأسباب فى سبب واحد ، أو سماها باسم واحد هو الظلم . تدبر الله : (وما كُنَّا مُهْلِكِي القرى إلاّ وأهلها ظالمون . القصص : ٥٩) (وقال الذين كفروا لرسلهم : لَنُخرِجَنَّكُمْ

---

(١) يقول ربنا . (وكم أهلكنا من قرية بطرت معيشتها . القصص : ٥٨) .

من أرضنا ، أو لَتَعُودُنَّ فى مِلَّتِنا ، فأوحى إليهم رَبُّهم لَنُهْلِكَنَّ الظالمين ـ إبراهيم : ١٣)

والله لا يهلك القرى إلا بعد أن ينذرها ، ويحذرها ، أو بمعنى آخر يرسل فيها رسولاً أو نذيراً من عنده ينهاها عن المنكر ويأمرها بالمعروف (وما أهْلَكْنا من قرية إلاّ لها مُنْذِرون . ذِكْرَى ، وما كنا ظالمين ـ الشعراء : ٢٠٨ ، ٢٠٩) .

(وما كان رَبُّكَ مُهْلِكَ القرى حتى يبعث فى أُمِّها رسولا يتلو عليهم آياتنا ، وما كنا مهلكى القرى إلا وأهلها ظالمون ـ القصص : ٥٩) ومن أم القرى تنتشر الرسالة فيما حولها من صغار القرى .

الابتلاء قبل الإهلاك بالبأساء والضراء : تجنح القرى إلى الظلم فيحذرها الله بعقوبة غير مستأصلة ، فيبتليها بالبأساء والضراء كالفقر والمرض . ونقص من الأموال والأنفس والثمرات وغير هذا لعلها تتوب : (وما أرسلنا فى قرية من نبى إلا أخذنا أهلها بالبأساء والضَّراء لعلهم يَضَّرَّعون . ثُمَّ بَدَّلنا مكان السيئةِ الحسنة[١] حتى عَفَوْا[٢] ، وقالوا : قد مَسَّ آباءنا الضراء والسراء[٣] ، فأخذناهم بغتة ، وهم لا يشعرون ـ الاعراف ٩٤، ٩٥)

الإملاء للقرية :(وَكَأَيِّن[٤] من قريةٍ أَمْلَيْتُ لها[٥] ، وهى ظالمةٌ ، ثم أخذتُها وإلَيَّ المصير ـ الحج : ٤٤) .

الله لا يهلك قرية صالحة : (وما كان ربك لِيُهْلِكَ القرى بظلمٍ وأهلها مصلحون ـ هود : ١١٧) .

---

(١) أى ابتلاهم بالنعمة والسلامة والغنى والصحة بعد ابتلائهم بأضدادها .

(٢) كثروا عددا وعُددا .

(٣) قالوا ذلك ظانين أنها ليست عقوبة من الله ، فكما أصيب آباؤهم أصيبوا هم ، وهذه عادة الزمن لا عقوبة من الله .

(٤) وكم من أهل قرية .

(٥) أمهلتها .

لابد من رسول أو منذر قبل الإهلاك : (وما كان ربك مُهْلِكَ الْقُرى حتى يبعث فى أمِّها رَسُولاً يتلو عليهم آياتِنا ، وما كنا مهلكى القرى إلا وأهلُها ظالمون . القصص : ٥٩) (وما أهلكنا من قرية إلا لها منذرون . الشعراء : ٢٠٨) .

قرى أهلكها الله : يقول الله سبحانه : (وكَأَيِّنْ من قريةٍ هى أشدُّ قوةً من قريتك التى أخرجتك ، أهلكناهم فلا ناصرَ لهم . محمد ١٣) .

ويقول (ولقد أهلكنا ما حولكم من القرى وصَرَّفْنا الآيات لعلهم يرجعون . الأحقاف : ٢٧) وهذى القرى كما يقال هى حجر ثمود بين أهل مكة وأهل الشام ، وقرية قوم لوط وهى سدوم ، وعاد بالأحقاف من حضرموت ومأرب لسبأ وهم أهل اليمن ومدين وكانت فى طريق العرب . وهم ذاهبون إلى غزة . وكل هذه القرى أخبر الله أنه أهلكها ، وتدبر آيات الله لتعرف بم أهلكها .

وتدبر حال القرية التى وصفت فى سورة الأعراف بأنها حاضرة البحر ؛ لتعلم أن المخالفة عن أمر الله هلاك ، ولتعلم أن الله لا يؤاخذ بما كسب الناس مباشرة ، بل يمهلهم قليلاً .

لكل قرية كتاب : وكما جعل الله لكل أجل كتاباً ، ولكل فرد كتاباً ، جعل كذلك لكل قرية ، ولكل أمة ، كتاباً يقول ربنا سبحانه (وما أهلكنا من قريةٍ إلاّ ولها كتابٌ معلوم . الحجر : ٤) .

متى ينزل وعيد الله ؟ : ووعيد الله ينزل بالقرى فى أى وقت يشاء ، والذى يتدبر آيات القرآن يتبين له أن الله يختار أوقاتاً يكون نزول العذاب فيها أشد وقعاً وهولاً . تدبر قوله سبحانه : (أفأَمِنَ أهل القرى أن يأتيهم بأسُنَا بَيَاتاً وهم نائمون ؟ ! أوَ أمِن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا ضُحىً وهم يلعبون ؟ أفأمنوا مَكْرَ الله ، فلا يأمَنُ مكرَ الله إلا القوم الخاسرون . الأعراف . ٩٧ : ٩٩) وقوله سبحانه فى نفس السورة : (وكم من قريةٍ أهلكناها ، فجاءها بأسنا بياتاً أو هم قائلون . الأعراف : ٤) .

هذا وعيد الله القرى ، ويحسن بنا أن نذكر أيضاً بوعده سبحانه ، لعل الذين لا يتدبرون ، يتدبرون . ولعل الذين يبحثون عن أسباب الفقر يعرفون أسبابه .

(وَلَوْ أَنَّ أَهلَ الْقُرى آمَنوا ، واتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عليهم بَرَكَاتٍ من السماءِ والأرضِ ولـكن كذَّبوا فأخذناهم بما كانوا يكسبون : الأعراف : ٩٦) .

فهل نؤمن بوعيد الله ووعده ؟ وهل نسعى سعى من يريد البركات الإلٰهية التى تفيض من السماء ، وتصعد من الأرض ؟ .

نضرع إلى الله سبحانه أن يملأ قلوبنا خوفاً من وعيده وحباً لوعده ، وأن يوفقنا إلى عمل ما يحبه ويرضيه إنه سميع مجيب .

عبد الرحمن الوكيل

عقيدة القرآن والسنة :

توحيد الله عز وجل

ومن أسمائه الحسنى سبحانه : (الواجد) وهو من الوجد بضم الواو ، بمعنى الغنى والسعة كما فى قوله تعالى : (أسكنوهن من حيث سكنتم من وُجدكم) أى مما وجدتموه وقدرتم عليه :

ولم يذكر هذا الاسم فى القرآن بلفظه ولكن مرادفه وهو (الغنى) قد ذكر كثيراً فى القرآن فإن الاسمين بمعنى واحد ، أو هما على الأقل متقاربان فلا يتحقق الغنى إلا مع وجود الشيء وتملكه . وأما فقده فهو الفقر أو العدم . فالغنى يقابله الفقر والوجد يقابله العدم ، ومعنى كونه تعالى (واجداً) أن كل أسباب الغنى حاصلة له ، فهو لا يفتقر إلى شيء أصلا لا فى وجوده ، ولا فى دوام وجوده ، ولا فيما يجب له من صفات الكمال ، فكلها حاصلة له على أكمل وجه وأتمه من غير أن يفتقر فى حصولها إلى أحد . فإن غناه وصف ذاتى له لا ينفك عنه لحظة ، فلا يتصور فى حقه فقر ولا حاجة ، كما أن فقر الأشياء كلها إليه فقر ذاتى لا ينفك عنها لحظة فلا يتصور لها استغناء عنه أبداً لا فى ابتداء وجودها ولا فى دوام وجودها ، ولا فيما يمدها به من أسباب الترقى والكمال .

وإطلاق هذا الاسم على الله عز وجل خير من إطلاق هذا الاسم المحدث الذى يطلقه عليه علماء الكلام وهو قولهم (بموجود) فإن الواجد كما قلنا أفاد استغناءه فى وجوده وفى جميع كمالاته عن غيره ، بخلاف الموجود فإنه لا يدل على ذلك . إذ من الموجودات ما هو ممكن محتاج فى وجوده إلى غيره . ولهذا يحتاج هؤلاء إلى أن يقولوا : « موجود واجب الوجود » .

ولا شك أن لفظ الوُجد على اختصاره أفاد هذا للمعنى وزيادة ، فضلا عما امتاز به من مجيئه على اسم الفاعل دون اسم المفعول .

وحينئذ فلا يجوز أن يعدل عن ألفاظ الشرع إلى تلك الألفاظ المحدثة المبتدعة . فإن ألفاظ النصوص فيها من الدقة والعمق والدلالة على المعنى المقصود ما لا يمكن أن يتوفر فى غيرها . ولنضرب لك مثلا آخر يوضح لك الفرق بين ألفاظ الشرع وألفاظ أهل البدعة فنقول : لقد سمى الله عز وجل نفسه فى كتابه (الأول) فوضع المتكلمون بدلا عنه القديم ، وأنت إذا تأملت هذا اللفظ وجدته مع استهجانه فى النطق لا يدل على المعنى المطلوب ، وهو تقدمه تعالى على كل شىء ، فإنه موضوع لكل ما تقدم بالزمان على غيره ، سواء كان تقدمه مطلقاً أو نسبياً ، ولهذا توصف به بعض الحادثات باعتبار تقدمها على غيرها مما يسمى جديداً بالنسبة لها . كقول أبناء يعقوب عليه السلام له : (تالله إنك لفى ضلالك القديم) وكقوله تعالى من سورة يس : (والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالرجون القديم) وكقول إبراهيم عليه السلام لقومه : (أفرأيتم ما كنتم تعبدون . أنتم وآباؤكم الأقدمون) وكقول الفقهاء . قال الشافعى فى المذهب القديم كذا وقال فى الجديد كذا .

وأما لفظ (الأول) فإنه مع حلاوة جرسه يدل على سبقه سبحانه للأشياء كلها بحيث لا يكون شىء منها سابقاً عليه ولا مقارناً له ولهذا فسره الرسول صلى الله عليه وسلم بقوله : « أنت الأول فليس قبلك شىء » كما يدل على أن الأشياء كلها آيلة ومستندة إليه فإن الأول مأخوذ من الأَوْل وهو الرجوع والانتهاء ، فهو مبدأ كل موجود ونهاية كل مقصود .

ومن الأسماء الحسنى كذلك (الماجد والمجيد) وهما من المجد الذى هو الشرف والسعة وكثرة الخير ، فهو يرجع إلى كثرة الصفات الوجودية وسعتها و بلوغها غاية الكمال والعظمة ، كما يدل على عظيم فضله و إحسانه و بره وجوده .

وقد ورد فى القرآن اسمه تعالى (المجيد) قال تعالى فى سورة هود على لسان الرسل الذين جاؤا إبراهيم للبشارة بإسحق (رحمة الله و بركاته عليكم أهل البيت إنه حميد مجيد) وقال سبحانه من سورة البروج : (وهو الغفور الودود . ذو العرش المجيد) فقد قرىء المجيد بالرفع على أنه اسم لله ، كما قرىء بالجر على أنه صفة للعرش . والقراءة الأولى أولى وأصح.
وقد ورد فى الصحيح أنه صلى الله عليه وسلم كان يقول أحياناً عند الرفع من الركوع : « اللهم ربنا لك الحمد ، ملء السموات وملء والأرض ، وملء ما شئت من شىء بعد ، أهل الثناء والمجد » .

و يقول أمية بن أبى الصلت فى بعض شعره فى التوحيد :

مجدوا الله فهو للمجد أهل ربنا فى السماء أمسى كبيراً
بالبناء الأعلى الذى بهر النا س وسوى فوق السماء سريراً
شرجعاً[1] ما ينا له بصر العين ترى حوله الملائك صوراً[2]

وكثيراً ما يجمع بين اسمه تعالى (الحميد) و بين اسمه (المجيد) كما فى الآية السابقة ، وكما فى قولنا فى التشهد عند الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم (إنك حميد مجيد) . .
والحكمة فى هذا الاقتران أن الحمد دال على كمال الأفعال والمجد دال على كمال الصفات فمن جمع بينهما فقد أثبت لله الكمال كله فى صفته وفعله .

والله تعالى أعلم .

محمد خليل هراس
المدرس بكلية أصول الدين

---

(١) الشرجع العالى البعيد . (٢) الصور جمع أصور وهو المائل العنق .

الأسوة الحسنة

قال الله تعالى فى سورة الأحزاب (لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر ، وذكر الله كثيراً) « الآية ٢١ » .

لو نظرنا فى تاريخ الإسلام لوجدنا أنه نشر نفسه بنفسه فلم يحتج إلى الحديد والنار إلا لحماية دعوته من المعاندين الذين يصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجاً من أجل زعامتهم وكهانتهم ، ولو درسنا فتوحات السيطرة فى التاريخ كسيطرة الإسكندر وفتوحات نابليون وضممنا إلى دراستها مكر الاستعمار الأوربى الحديث ، لوصل بنا الموضوع إلى أن كل ذلك لم ينل من الأمم المغلوبة إلا القشرة السطحية ، فهو لم يصل بعد إلى قلوب تلك الأمم ولم يغير شيئاً من مشاعرها وفهومها بل لم يزدها إلا بغضاً لتلك الأنظمة ومقتاً لهذه السيطرة وكرهاً لهؤلاء المسيطرين . أما الإسلام فلو اتجهنا إلى دراسة رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحابته رضوان الله عليهم لوجدنا أن حسن القدرة ودقة الأسوة هى العامل الأول لنشر الدين ،فهناك نبل الخلق ، وجمال الفضائل وسمو الكمال مختلطة بلحم الرسول الأكرم ودمه صلوات الله وسلامه عليه « وإنك لعلى خلق عظيم » : إيمان عميق ملك على حسه وشعوره ، وحب كامل أنساه كل شىء ، ما عدا تلك العقيدة الصافية الينبوع ، وأمل واقعى الغاية لاتكاد تفلت نتائجه من يد المؤمل الكريم .

آمن بدعوته إيماناً لا يزحزحه عنه وضع الشمس فى يمينه والقمر فى يساره ، وأحب الناس جميعاً ، وصار قصاراه أن يقنعهم بدعوته مهما أتعبوه وعاندوه وآذوه « رب اهد قومى فإنهم لايعلمون » وتسلح بخلق كامل لو أننا بحثنا عنه فى جميع أفراد المعمور ماوجدنا مثله من أدب وصدق ووفاء ، وشجاعة ، وصبر ومثابرة ، وحرص على بلوغ الغاية ، وتلطف فى الدعوة ، وقصد فى الحجة ، وتعليم بالأسوة والقدوة ، ونقاء فى السيرة والسريرة ،لا ضغن ولا حقد ، ولا ختل ولا مكر ،سخى بما يملك ،لا يمد عينيه إلى متاع الناس ، ضحى بحظوظ نفسه فى سبيل الدعوة إلى الحق ، مع صلابة فى تأييدها مهما لحق به من أذى فى شخصه ،

لم يكن همه نفع جزئى لأسرته أو لقريش أو للجزيرة العربية ولكنه كان يقصد نفع الناس جميعاً ، ويريد أن يعم هذا النور محيط الأرض كلها ، ولم يكن رحمة لاتباعه فحسب ولكنه وإن جعل لاتباعه أوفر نصيب منها إلا أنه كان رحمة لأوليائه وأعدائه أجمعين (عزيز عليه ماعنتم حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم) .

وهذا الوصف من جانب الرسول الكريم كان يؤيده أوصاف أخرى من جانب صحابته وأتباعه ، فقد تلقوا رسالته بالقبول ، واختلطت بلحومهم ودمائهم لمواءمتها للفطر السليمة ، فقد نبتوا فى أرض فسيحة لم تدنسها أقدام الفاتحين والغزاة المفسدين ، فما وصلت العقيدة إلى قلوبهم حتى انساحوا فى الأرض فنشروها بأخلاقهم وعدلهم ومحبتهم ، وحسن معاملتهم لمن عداهم من سكان الأرض المفتوحة .

وإن تعجب فعجب أن جميع الأديان التى تبشر برسالاتها فى المستعمرات وغيرها تتخذ الهدايا والمال وعلاج الأمراض وضمان الغذاء والحياة للأرض التى يبشرون فيها . . وأما الإسلام مع انطواء الداعين إليه والمبشرين به فإنا نجد حصيلة فى الداخلين فيه تفوق أضعاف الداخلين فى جميع الأديان ، وليس له من الأسلحة سوى القدوة الحسنة والأسوة الطيبة ، ويحدثك التاريخ الصحيح عن وصول الإسلام للهند والسند والصين ومجاهل إفريقيا ، وأن انتشاره كان بحسن القدوة من معتنقيه الذين احترفوا التجارة واستوطنوا فى تلك الجهات .

* * *

والذى أدعو إليه إنما هو القدوة الحسنة والأسوة الطيبة التى أمرنا الله بها (لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً) .

إن الأسوة الحسنة هى الطريق الوحيد لنشر الإسلام والسمو بالمسلمين إلى الدرجة التى يطمحون إليها ، وجدير بأنصار السنة فى جميع الأقطار الإسلامية وغيرها أن يكون اقتداؤهم بالرسول الكريم صلى الله عليه وسلم اقتداء فعلياً فى عقيدتهم وعباداتهم وأخلاقهم ومعاملاتهم ، فإن القدوة الطيبة من أقوى الأسلحة إلى النفاذ لأعماق القلوب ، والله يقول الحق وهو يهدى السبيل .

أحمد أحمد على حسن
رئيس جماعة أنصار السنة المحمدية بسوهاج

الإمام الأكبر الشيخ شلتوت

توفى إلى رحمة الله تعالى الأستاذ الأكبر الشيخ محمود شلتوت شيخ الجامع الأزهر وبوفاة الإمام الأكبر الشيخ محمود شلتوت فقد العالم الإسلامى ، شيخاً وقوراً واستاذاً جليلا قدم للبحث العلمى أجل الخدمات بما زود به المكتبة الإسلامية من مؤلفات وأبحاث قيمة ، ترجمت إلى عدة لغات أجنبية وكانت مؤلفاته تعتبر مراجع للفتوى والتشريع فى كافة انحاء العالم الإسلامى .

•• ولد رحمه الله فى أبريل ١٨٩٣ ببلدة منية بنى منصور مركز إيتاى البارود . والتحق بمعهد الإسكندرية الدينى سنة ١٩٠٦ ونال شهادة العالمية سنة ١٩١٨ وكان أول الناجحين فيها .

•• وفى سنة ١٩٣٧ مثل الأزهر فى مؤتمر لاهاى الدولى للقانون المقارن وتمكن بأبحاثه التى قدمها للمؤتمر أن يحصل على قرار إجماعى بصلاحية الشريعة الإسلامية مصدراً للتشريع فى العالم واعتبار الشريعة الإسلامية حية صالحة للتطور وقائمة بذاتها وليست مأخوذة من غيرها .

•• وفى سنة ١٩٤١ قدم رسالة فى المسئولية المدنية والجنائية فى الشريعة الإسلامية ونال بها عضوية جماعة كبار العلماء بالإجماع وكان أصغر الأعضاء سنا .

•• فى سنة ١٩٥٠ عين مراقباً عاماً للبحوث والثقافة الإسلامية بالازهر .

•• فى سنة ١٩٥٧ عين مستشاراً فى المؤتمر الإسلامى ، ثم وكيلا للجامع الأزهر وفى ٢٢ أكتوبر ١٩٥٨ عين شيخاً للأزهر .

تغمد الله الفقيد العظيم بواسع رحمته وأدخله فسيح جنته ، وعوض العالم الاسلامى عن خسارته الكبرى بفقده .

٢٧ - نظرات فى التصوف

« التوحيد عند الصوفية »

التوحيد عند الهروى: يقول ابن القيم عن الهروى : « كان شيخ الإسلام ـ قدس الله روحه ـ راسخاً فى إثبات الصفات ونفى التعطيل ومعاداة أهله ، وله فى ذلك كتب مثل : كتاب ذم الكلام وغير ذلك مما يخالف طريق المعطلة والحلولية والاتحادية[1] » وبمثل هذا استحق الهروى عند من لا يستبطنونه ذلك اللقب الضخم « شيخ الإسلام » . وبمثل ذلك استحق أن يخلع عليه زيف التاريخ طيلسان الجاه المعظم ، وأن تنسب إليه القدم الراسخة فى العلم !!.

تكلم الهروى عن التوحيد فى كتابه : « منازل السائرين[2] » فجعله ثلاث مراتب . ثم قال عن المرتبة الأخيرة هذه الأبيات :

ما وحد الواحد من واحد	إذ كل من وحده جاحد
توحيد من ينطق عن نعته	عارية أبطلها الواحد
توحيده إياه توحيده	ونعت من ينعته لاحد

---

(١) ص ٥٢١ جـ ٣ مدارج السالكين .

(٢) ألف ابن القيم كتابه مدارج السالكين ليشرح به كتاب الهروى «منازل السائرين» وقد حاول الامام الجليل ابن القيم الاعتذار فى بعض المواضع عن الهروى . غير أن الصوفية الجامحة فى كتاب الهروى جعلت ابن القيم فى كثير من المواضع يجهر بمخالفة ما ذهب إليه الهروى مما يخالف الاسلام مخالفة صريحة .

« ما وحد الواحد من واحد » هذا النفى يستغرق البشرية وغيرها ، فلا رسل الله ، ولا أنبياؤه ، ولا ملائكته ، ولا الصديقون ، ولا الشهداء ، ولا الصالحون . لافرد من هؤلاء قد وحد الله سبحانه ، وما سبحت باسمه ذرة فى السماء ولا فى الأرض ؛ لماذا ؟ لأن التوحيد يستلزم وجود اثنين موحِّد ، وموحَّد وفى هذا نقض لوحدة الوجود التى يدين بها الصوفية ، والتى تؤكد أن الموحَّد هو الله ، وأن الموحِّد هو الله . فإذا نسبنا إلى أحد أنه وحد الله سبحانه ، فقد حكمنا بثنائية الوجود ، أو بأن مع الله موجوداً غيره !! وما ثم غير ولا ثان ؛ إذ كل شىء هو الله القائم بتوحيد نفسه !!

إن الحكم على رسول واحد بأنه يوحد الله كبيرة تقذف بمقترفها من حالق إلى البعيد العميق المجهول من أغوار الهاوية ، فما بالك ببقية الكبائر التى اقترفها الهروى ؟.

ويقول فى الشطرة الأخرى : « إذ كل من وحده جاحد » يزعم : أن من وحد الله فهو فى حقيقته جاحد لله ، جاحد بوجوده وذاته ، لماذا ؟ إن الهروى يؤكد ماقاله فى الشطرة الأولى : فالتوحيد يقتضى وجود خالق وخلق ، والموحد بتوحيده يؤكد إيمانه بأن الخالق غير الخلق ، وأن الله ليس كمثله شىء . وهذا الإيمان فى دين الهروى كفر غليظ وجحود أصم ، لأنه يجعل لغير الله وجوداً ، مع أن هذا « الغير » هو عين الله ، ووجوده عين وجود الله ، فلا يجوز أن ننسب إليه وجوداً غير وجود الله !! وإنى لأسأل الهروى وأشياعه : أكان خاتم النبيين جاحداً ؟ إن الهروى بدينه هذا يؤكد ذلك ؛ لأن محمداً عليه الصلاة والسلام دعا إلى عبادة الله وحده ، و بلغ الناس فى إشراق من البيان ما أمره الله أن يبلغه ، وهو أن الله سبحانه ليس هو الخلق ، وإنما رب الخلق ، وأنه ليس كمثله شىء ، وأنه هو السميع البصير . وهذا ما جعل الهروى وأشياعه ينفثون حقدهم ضد رسول الله والقرآن ؛ لأن دعوة الرسول بالقرآن تقضى على خرافة الصوفية الملحدة التى تزعم أن الخلق هم الله ؛ وأن الله هو عين الخلق ذاتا وصفة !! وكل من يزعم أن الله شىء آخر غير هذا ، فهو لحقيقته جاحد وعلى كفره شاهد .

ثم يقول : « توحيد من ينطق عن نعته . الخ » يقول الهروى : لا تزعموا أن هؤلاء الذين ينطقون بتوحيد الله شىء آخر غير الله ، لماذا ؟ لأن كلا منهم هو الله سبحانه الواحد المطلق السارى فى مسمى المخلوقات والمبدعات .

إن كلا منهم هو الخالق والخلق تجمعهما حقيقة واحدة تسمى الحقيقة الإلهية .

إن هؤلاء الذين ينطقون بتوحيد الله ويتكلمون عنه يجب علينا وعليهم الإيمان به ، الناطق بما يقولون : هو الله الذى أعارهم نطقه وحقيقته وصفاته .

لقد سميت هذه الكائنات ووصفت بأسماء وصفات توحى بأنها شىء آخر غير الله ، ولها فطرها ، وغرائزها ، وشهواتها ، ونشواتها التى تؤكد بواقعيتها التى تلمع باليقين أنها مخلوقات أو مصنوعات ولن يستطيع العقل أبداً أن يظن أن الصنعة عين الصانع ، أو أن الخلق عين الخالق ، ففى هذا الظن حكم على الله بأنه عدم ، أو على الظان بأنه مجنون ، أو بأنه حاقد جاحد ، ولكن الهروى يحذرك من هذا الإيمان العقلى والقلبى والإلهى ، ويؤكد لك أن هذه الأسماء والصفات والفطر والغرائز والمشاعر والاحساسات عاريات أعارها الله لهؤلاء الذين تراهم وتحسب أنهم شىء غير الله ! ! .

ولا يجوز لمن استعار أن يزعم أنه رب العارية ومالكها والتى ظن واحد من هؤلاء الذين ينطقون بتوحيد الله أنه شىء غير الله ، وأن حقيقته ليست حقيقة الله ، وأن صفاته وأسماءه ليست صفات الله وأسماءه ، فقد جحد الحقيقة ، وعبر عن جهله العميق بها ، فالواجب عليه الايمان بأن مايقوله على الله يجب أن يحكم به ويقوله على نفسه حقيقة لا مجازاً ؛ لأنه هو الله ، والايمان أيضاً بأن مايقوله على نفسه إنما يحكم به على الله حقيقة لا مجازاً ؛ لأن الله هو عينه ! ! .

وفى بيته الأخير يؤكد دينه هذا ، ففى شطره الأول يقرر أن التوحيد الحق هو توحيد الله لنفسه ؛ وما ثم من يوحده سواه إذ لا يوجد غيره حتى ينسب إليه أنه يوحد الله ! وفى شطره الأخير يحكم بالإلحاد على الذين يوحدون الله بما وحده به الرسل ؛ أو يختص الله بالوحدانية ، أو يميزه بصفة عن خلقه ؛ لأن هذا الموحد بتوحيده يعبر بوجود رب هو

للموحَّد ، ويقر بعبدٍ هو الموحِّد . وفى هذا كفر بوحدة الوجود الصوفية التى تسوى بين الموحَّد والموحِّد فى كل شىء . وإذا كان الله هو عين خلقه ، فإنه يستحيل حصر صفاته وأسمائه والحصول على حدٍّ أو تعريف لذاته ؛ فإن الخلق غير متناهٍ . وتبعاً لهذا يحكم الصوفية على أسماء الله وصفاته بأنها لا تتناهى ، ولا يحصيها عَدّ ، فكل اسم فى الوجود هو اسمه ، وكل صفة هى صفته حتى أسماء الجمادات وصفاتها !! .

ذلكم هو دين الهروى ، ودين الصوفية فى غلو جحودها بالله سبحانه ، فهى لا تعترف أبداً بأن لله وجوداً ، وإنما تعترف بهذا الكون وحده ربًّا معبوداً ، وإلٰهاً مشهوداً !! .

ومن يلو فكره وقلبه عن هذا الاعتقاد ، فهو عند الهروى ملحد جاحد ، ومن آمن به فهو العليم بحقيقة التوحيد الفائز بالتوحيد .

هذا واحد من الذين كان لهم قناع ووجه !! أما قناعه فكان يرائى به أهل السنة ، وأما وجهه فصوفى تتلمظ فى عينيه لظى صوفيته . غير أنه لم يخدع بقناعه الموشى من أهل السنة أحداً سوى من كانت به إثارة مَسٍّ من صوفيته .

أما الإمام الجليل ابن تيمية ، فيقول : وهو يتحدث عن الحلوليين الذين يزعمون أن روح الله تحل فى الكائنات : « وحقيقة قول هؤلاء يشبه قول القائل : إن ما قاله النصارى فى المسيح حق ، وهو موجد لغيره من الأنبياء والأولياء لكن ما يمكن التصريح به ؛ لأن صاحب الشرع لم يأذن فى ذلك . وكلام صاحب منازل السائرين « الهروى » وأمثاله يشير إلى هذا » ، ثم ذكر هذه الأبيات التى نقلتها عن الهروى ، ثم قال : « فإن حقيقة قول هؤلاء : إن الموحَّد هو الموحِّد ، وأن الناطق بالتوحيد على لسان العبد هو الحقُّ ، وأنه لا يوحده إلا نفسه ، فلا يكون الموحَّد إلا الموحِّد ، ويفرقون بين قول فرعون : أنا ربكم الأعلى ، وبين قول الحلاج : أنا الحق أو سبحانى ؛ فإن فرعون قال ذلك ، وهو يشهد

نفسه ، فقال عن نفسه ، وأما أهل الفناء ، فغابوا عن نفوسهم ، وكان الناطق على لسانهم غيرهم[1] » ، ولا فرق بين قول الحلاج ، وقول فرعون !! .

وهكذا نرى شيخ الإسلام فى بصيرته المشرقة النفاذة يصدع بالحق ، ويضع الهروى حيث يجب أن يوضع ، دون أن يعطفه أن الهروى كان حنبلى المذهب ، أو أنه ناصر عقيدة السلف فى الصفات .

التوحيد عند الغزالى : يؤكد الغزالى أن التوحيد من علم المكاشفة ، وأنه البحر الخضم الذى لا ساحل له !! هكذا فصل بين التوحيد ، و بين براهين الكتاب والسنة و براهين العقل ، وهكذا يحاول أن يغمر القلب باليأس العميق من معرفة توحيد الله ، مؤكداً أنه لا يفوز بالوصول إلى حقيقة التوحيد إلا عصابة الصوفيـة !! أو إلا عن طريقهم ، و بئس الطريق !! .

ثم هو يبغى من وراء هذا القول أن يحملنا على تقبل ما سيقوله عن التوحيد الذى يعتقده ، والذى يعلم أنه مخالف لتوحيد القرآن وتوحيد الرسل ، وأن يحول بيننا و بين نقده والاعتراض عليه إذا جابهنا شططهُ وجابهتنا مخالفتُه لله ورسوله !! لأنه يزعم أن علمه مستمد من الكشف ، والكشفُ مقياس نفسه ، و به يقاس كل شىء ، ولا يخضع لعقل ، ولا لنقل !! .

مراتب التوحيد : يزعم الغزالى أن للتوحيد أربع مراتب ، وأنه ينقسم إلى لُبٍّ ، وإلى لب اللب ، و إلى قشر ، و إلى قشر القشر .

المرتبة الأولى : هو قول لا إله إلا الله باللسان والقلب غافل أو منكر ، وهو توحيد المنافقين ، ولكنه يعصم صاحبه فى الدنيا عن السيف والسنان .

المرتبة الثانية : أن يصدق بمعنى اللفظ قلبه كما صدق به عموم المسلمين ، وهو اعتقاد

---

(١) ص ٩٨ وما بعدها ج ٢ مجموعة الرسائل الكبرى .

العوام . ويسمى صاحب هذا موحداً بمعنى أنه معتقد بقلبه مفهوم لفظه ، وقلبُه خالٍ عن التكذيب بما انعقد عليه قلبه ، وهو عقدة على القلب ليس فيه انشراح وانفساح ، ولكنه يحفظ صاحبه من العذاب فى الآخرة إن توفى عليه ، ولم تضعف بالمعاصى عقدته .

الرتبة الثالثة : أن يشاهد ذلك بطريق الكشف بواسطة نور الحق ، وهو مقام المقربين. وذلك بأن يرى أشياء كثيرة ، ولكن يراها على كثرتها صادرة عن الواحد القهار ، ويسمى موحداً بمعنى أنه لم يشاهد إلا فاعلا واحداً إذا انكشف له الحق كما هو عليه ، ولا يرى فاعلا بالحقيقة إلا واحداً ، وقد انكشفت له الحقيقة كما هى عليه ، لا أنه كلف قلبه أن يعقد على مفهوم لفظ الحقيقة ، فأن تلك رتبة العوام والمتكلمين[1] .

ويقول فى كتابه « الإملاء» : « ومن أهل هذه للرتبة الثالثة يكون النقباء والنجباء والشهداء والصالحون .

المرتبة الرابعة : أن لا يرى فى الوجود إلا واحداً وهى مشاهدة الصدِّيقين ، وتسميه الصوفية : الفناء فى التوحيد ؛ لأنه من حيث لا يرى إلا واحداً ، فلا يرى نفسه أيضاً ، وإذاً لم ير نفسه ؛ لكونه مستغرقا بالتوحيد كان فانيا عن نفسه فى توحيده بمعنى : أنه فنى عن رؤية نفسه والخلق ، ويسمى موحداً بمعنى أنه لم يحضر فى شهود غير الواحد ، فلا يرى الكل من حيث أنه كثير ، بل من حيث أنه واحد وهذه هى الغاية القصوى فى التوحيد » . و يقول فى كتابه « الإملاء » : « ومن أهل هذا المقام يكون القطب والأوتاد والبدلاء » . وما القطب والأوتاد والبدلاء إلا أسطورة اقترفت ، لتصرف الناس عن رب الوجود ! !

ثم يتكلم الغزالى عن قيم التوحيد هذه ، فيحكم على التوحيد الأول بأنه كالقشرة العليا

---

(١) بهذا طعن الغزالى أستاذه أبا الحسن الأشعرى وكبار تلاميذ الأشعرى , فقد كانوا متكلمين بل طعن الغزالى كتبه الكلامية كلها ، فقد كان واحداً من كبار متكلمى الأشاعرة .

من الجوز ، وعلى التوحيد الثانى بأنه كالقشرة السفلى ، وعلى الثالث بأنه كاللب ، والرابع بأنه كالدهن المستخرج من اللب .

ويقول عن التوحيد الأول أيضاً إنه عديم الجدوى كثير الضرر ، مذموم الظاهر والباطن ، وعن الثانى ـ وهو الاعتقاد بالقلب ـ إنه ناقص القدر ؛ لأنه بدون كشف ، وعن الثالث ـ وهو توحيد الفاعل القائم على الكشف إنه المقصود بقوله تعالى . (فمن يُرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام) و بقوله : (أفَمَنْ شرح الله صدره للإسلام فهو على نُورٍ من ربه) غير أنه ينقد هذا النوع من التوحيد بأنه لا يخلو عن شوب لأن فيه ملاحظة للغير والتفاتاً إلى الكثرة !!

ثم يقول عن النوع الرابع الذى سماه الغاية القصوى من التوحيد : فإن قلت كيف يتصور ألاّ يشاهد إلا واحدا ، وهو يشاهد السماء والأرض ، وسائر الأجسام المحسوسة ، وهى كثيرة ، فكيف يكون الكثير واحداً ؟ فاعلم أن هذه غاية علوم المكاشفات ، وأسرار هذا العلم لايجوز أن تُسطّر فى كتاب ، فقد قال العارفون : إفشاء سر الربوبية كفر ؟ ثم هو غير متعلق بعلم المعاملة نعم ذكر ما يكسر سوْرة استبعادك ممكن ، وهو أن الشىء قد يكون كثيراً بنوع مشاهدة واعتبار ، ويكون واحداً بنوع آخر من المشاهدة والاعتبار . وهذا كما أن الإنسان كثيرٌ إن التفت إلى روحه وجسده وأطرافه وعروقه وأحشائه ، وهو باعتبار آخر ومشاهدة أخرى واحدٌ ؛ إذ نقول إنه إنسان واحد . . . فكذلك كل ما فى الوجود من الخالق والمخلوق له اعتبارات ومشاهدات كثيرة مختلفة ، فهو باعتبارٍ واحدٍ من الاعتبارات واحدٌ ، وباعتبارات أخرى سواه كثيرٌ . و يستبين بهذا الكلام ترك الإنكار والجحود لمقام لم تبلغه ، وتؤمن به إيمان تصديق . وهذه المشاهدة التى لا يظهر فيها إلا الواحد الحق تارة تدوم ، وتارة تطرأ كالبرق الخاطف ، وهو الأكثر . والدوام نادر عزيز . و إلى هذا أشار الحسين بن منصور الحلاج حيث رأى الخواص يدور فى الأسفار ، فقال : فيما ذا أنت ؟ فقال : أدور فى الأسفار ؛ لأصحح حالتى فى التوكل ، فقال الحسين : قد أفنيت

عمرك فى عمران باطنك(١) ، فأين الفناء فى التوحيد ، فكأن الخواص كان فى تصحيح المقام الثالث فى التوحيد ، فطالبه بالمقام الرابع » ثم يحكم الغزالى على التوكل بأنه لا ينبنى على التوحيد الرابع ؟ هذا ؛ لأن التوكل فيه ملاحظة الغير ملاحظة المتوكل لنفسه وملاحظة من توكل عليه . والتوحيد الرابع ينفى الغيرية نفياً باتاً ، إذ يثبت أن للمتوكل هو ومن توكل عليه حقيقة واحدة !!

ثم يقول إن التوحيد الثالث هو الذى يبنى عليه التوكل ، وحاصله ألا ينكشف لك ألا فاعلَ إلا الله ، ويرى من الشرك الالتفات إلى الجمادات واختيار الحيوانات . وخلاصة ما سوده فى صفحاته هو الحكم بالجبرية القاهرة على الإنسان ونفى الاختيار نفيا باتّا عنه . فهو إما قلم تحركه يد ، وإما يد يحركها إنسان ، وإما حيوان يقهره غيره على أن يفعل ، دون أن يكون له قدرة أو إرادة يعارض بهما القهر المهيمن عليه !! والأمثلة التى ذكرتها هى أمثلة الغزالى نفسه ، ويقول عن المكاشفين تعقيبا على هذا إنهم « شاهدوا بنور البصائر كون الكاتب مُسَخّراً مضطرا » ثم يقول تمجيداً لأهل هذا العلم وأرباب القلوب والمشاهدات ، قد أنطق الله تعالى فى حقهم كل ذرة فى السموات والأرض بقدرته التى بها نطق كل شىء ، حتى سمعوا تقديسها وتسبيحها لله تعالى وشهادتها على نفسها بالعجز بلسان زلق تتكلم بلا حرف ولا صوت .. بكلام ليس هو عربى ولا عجمى » ثم يقول : « واعلم أن لكل ذرة فى السموات والأرض مع أرباب القلوب مناجاة فى السر وذلك مما لا ينحصر ولا يتناهى ، فإنها كلمات تستمد من بحر كلام الله تعالى الذى لا نهاية له . . ثم إنها تتناهى بأسرار الملك والملكوت وإفشاء السر لؤم ، بل صدور الأحرار قبور الأسرار(٢) » .

---

(١) الذى يفنى عمره فى عمران باطنه بالحق والخير هو الصديق الولى لله رب العالمين وهل يوجد مثل أعلى للبشرية فى إيمانها أعظم من أن يكون الباطن معموراً بالايمان الصحيح الدافع إلى العمل الصالح .

(١) انظر ص ٢١١ وما بعدها ج ٤ « باب كتاب التوكل والتوحيد » إحياء علوم الدين ص ١٣٠ ج ١ من كتاب الإملاء على هامش الإحياء

وهكذا زج الغزالى بنفسه وبمن تابعوه فى تيه مهلكة داجية الظلمات لا يميز هو نفسه فيها معالم تهديه ، ولا يعرف منجاة تنجيه ، ولا توهم فجر قد يرف لحظة فى دياجيه .

كنا نترقب من حجة الإسلام ، وهو يحدثنا عن أمر ، هو ملاك الدين كله ، وقوام النجاة ، وصلاح الدنيا ، وسعادة الآخرة — كنا ننتظر — أن نظفر منه — وهو يتكلم عن التوحيد بحجة بيضاء من القرآن ، ودليل غالب من السنة ، أو برهان ساطع من العقل ، غير أن حجة الإسلام أدار ظهره للنور ، حتى لا يكشف الناس وجهه ، بيد أن النور غمره من كل مكان ، فبدا الغزالى فى صورته الحقيقية صورة الصوفى التائه . صورة الرجل الذى لا يقيم للقرآن ولا للسنة ولا للعقل وزنا .

أما السنة ، فقد حاربها بما ملأ به كتابه الإحياء من أحاديث جلها موضوع ، والأخرى : واهنة السند ، وقل أن تعثر فيه على حديث صحيح . أما العقل ، فصادمه بأسطورة الكشف أو بهذا عزله عن نقده ، وعزل نفسه عن أحكامه ، أما القرآن ، فناهضه بالتحريف الصوفى لمعانى آياته .

كنا ننتظر منه أن يلزم الناس الحجة بما أوتيه من بصر بكتاب الله ، غير أنه — مخافة أن ينكشف عواره ، وبغيته السطو على ضعاف الإيمان والقلوب — لجأ إلى ادعاء أن العلم بحقيقة التوحيد لا يؤخذ إلا عن طريق الكشف !! فإن جئناه من القرآن أو السنة أو العقل بما يناقض ظنونه وأوهامه وزعومه ، زم شفتيه وصعر خديه ، وقال : ولكنى أخذت علمى عن طريق الكشف !! هذا مبلغ حجة الإسلام من العلم ، حسبه أن يزعم أن الوحى السماوى يجد السبيل إلى قلوب أمثاله ، وأنه يهديه إلى مالم تأت به نبوة ، ويدله على ما لم ينزل به كتاب .

« للمنظرات بقايا »　　　عبد الرحمن الوكيل

(خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين)　　　قرآن كريم .

غزوات الرسول
صلى الله عليه وسلم

فتح مكة

« وقفنا فى حديثنا السابق عن فتح مكة عند إسلام أبى سفيان وعودته إلى مكة ليعلن فيها أن الرسول صلوات الله عليه قد أعطى الأمان لأهل مكة لمن يدخل منهم دار أبى سفيان . ولمن يغلق عليه بابه ، ولمن يدخل المسجد الحرام ، وهنا تتمة الحديث » .

الكتائب تمر أمام أبى سفيان : ولكن إسلام أبى سفيان لم يمنع رسول الله صلى الله عليه وسلم من أن يحتاط لنفسه وأن يتخذ كل ماعنده من أساليب القوة والحذر والأهبة لدخول مكة ، فإن القائد الحكيم الذى يرنو إلى النصر والظفر لا بد أن يحتاط لنفسه ، وأن يستعد للمعركة بكل ماعنده من أهبة وقوة . لا أن يعتمد على الأمل والتفاؤل فإن الله تعالى أمر بالاستعداد والأهبة والأخذ بأسباب النصر فى قوله تعالى (وأعدوا لهم مااستطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم — الأنفال : ٦٠) ، لذلك أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يحبس أبو سفيان بمضيق الوادى عند مدخل الجبل حتى تمر به جنود الله فيراها ، فينقل إلى قومه مارأته عيناه ما فى المسلمين من بأس وقوة ، فتها بهم قريش وترهبهم ، ولا يجرؤ على التحدى والمقاومة ، وبذلك يدخل مكة بدون حرب .

وحبس أبو سفيان ، فمرت الكتائب وهو ينظر إليها ، وكلما مرت به قبيلة سأل

عنها العباس بن عبد المطلب ، وعند مايخبره العباس باسمها لا يعيرها اهتماما ، وظل أبو سفيان على هذا الحال حتى سارت جميع القبائل مارة أمامه .

ثم مرت أمامه الكتيبة الخضراء وفيها رسول الله صلوات الله عليه ، يحف به المهاجرون والأنصار ، لايرى منهم إلا الحدق والحديد ، فراعه منظر هذه الكتيبة ، فقال مبهوراً : سبحان الله ! ياعباس : من هؤلاء ؟ قال : هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المهاجرين والأنصار ، قال أبو سفيان : مالأحد بهؤلاء قبل ولا طاقة ، ثم قال : والله ياأبا الفضل لقد أصبح ملك بن أخيك اليوم عظيما ، قال العباس : ياأبا سفيان إنها النبوة ، قال أبو سفيان : فنعم إذن ، قال العباس : النجاء إلى قومك .

إثارة فى غير موضعها : فلما مرت راية الأنصار بأبى سفيان — وكانت يومئذ مع سعد بن عبادة — قال له سعد بقصد الإثارة والإغاظة : اليوم يوم الملحمة ، اليوم تستحل الحرمة ، اليوم أزل الله قريشاً .

فلما حاذى رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا سفيان قال له شاكياً : يارسول الله ، ألم تسمع ماقال سعد ؟ قال رسول الله « وما قال » ؟ قال : قال كذا وكذا .

وهنا تدخل الصحابيان الجليلان عثمان بن عفان ، وعبد الرحمن بن عوف فى الأمر وقالا لرسول الله : يارسول الله ، مانأمن أن يكون له[1] فى قريش صولة . . فأراد النبى أن يطيب خاطر أبى سفيان ، فقال « بل اليوم يوم تعظم فيه الكعبة ، اليوم يوم أعز الله فيه قريشاً » ، ثم بعث رسول الله إلى سعد بن عبادة فنزع منه الراية ودفعها إلى ابنه قيس[2] . . . أجل ، لقد كان ماصدر من سعد إثارة فى غير موضعها ، فلم يكن من الحكمة بعد أن انتهى أمر أبى سفيان بالإذعان لدعوة الإسلام ، وأطمأن الرسول إلى أنه

---

(١) ويقصدان به « سعد بن عبادة » .

(٢) ويروى أن النبى أعطى الراية للزبير بن العوام ، راجع زاد المعاد للإمام ابن قيم الجوزية ص ٣٩٢ ج ٢) .

سيدخل مكة بغير حرب .. لم يكن من الحكمة إذن تحريك النفوس إلى الشر والفتنة ، ولقد عرف النبي صلى الله عليه وسلم خطأ تصرف سعد بن عبادة في هذا فاضطر إلى أن ينزع منه الراية ويسلمها لابنه .

أهل مكة يتفرقون : أما أبو سفيان فقد أخذ طريقه إلى قومه ، حتى إذا أتاهم صرخ بأعلى صوته : يامعشر قريش : هذا محمد قد جاءكم فيما لا قبل لكم به ، فمن دخل دار أبي سفيان فهو آمن .

وثارت هند بنت عتبة لما قاله أبو سفيان ، فقامت إليه وأمسكت بشاربه وقالت : اقتلوا الحميت[1] الدسم[2] الأحمس[3] الساقين ، قبح من طليعة قوم ، قال لهم أبو سفيان : ويلكم لا تغرنكم هذه من أنفسكم ، فإنه قد جاءكم بما لا قبل لكم به ، من دخل دار أبي سفيان فهو آمن . فقال له الناس في استخفاف : قاتلك الله ! وما تغني عنا دارك ؟ ! قال : ومن أغلق عليه بابه فهو آمن ، ومن دخل المسجد فهو آمن ، فتفرق الناس إلى دورهم وإلى المسجد .

عند دخول مكة : وسار النبي صلوات الله عليه حتى إذا دخل مكة من أعلاها ، ضربت له هنالك قبة ، ثم فرق الجيش إلى أربع فرق ، وأمرهم ألا يقاتلوا أحداً إلا إذا أكرهوا على القتال ، فجعل الزبير بن العوام على الجناح الأيسر ليدخل مكة من شمالها ، وجعل أبا عبيدة بن الجراح على الحسر والرجالة ليدخل مكة من أعلاها ، وجعل خالد ابن الوليد على الجناح الأيمن ليدخل مكة من أسفلها ، ورسول الله في كتيبة ، ثم أمر رسول الله خالد بن الوليد فقال : « إن عرض لكم عارض من قريش فاحصدوهم حصدا حتى توافونا على الصفا » .

ودخلت جيوش المسلمين مكة ، فلم يلق أحد منها مقاومة ، إلا جيش خالد ، فقد تجمع

---

(١) الحميت : زق السمن . (٢) الدسم: اللحم السمين ،
(٣) الأحمس : الشديد اللحم . وكلها صفات في الضخامة والسمنة .

نفر من سفهاء القوم ممن كانوا لا يزلون على الحقد والتعصب ولم يستمعوا لنداء أبى سفيان . تجمع هؤلاء السفهاء بالخندمة[١] بعدتهم لقتال المسلمين . وكان فيهم عكرمة بن أبى جهل . وصفوان بن أمية . وسهيل بن عمرو . وما أن تعرضوا للمسلمين حتى أمطرهم جيش خالد بوابل من النبل . واقتتل الفريقان . فتمكن خالد من ضربهم وتمزيقهم وتشتيتهم . ففر صفوان وعكرمة ضمن من فروا . واستشهد من المسلمين رجلان : كرز بن جابر الفهرى . وخنيس بن خالد بن ربيعة ، وكانا قد سلكا طريقاً غير طريق خالد وضلا . أما المشركون فقد قتل منهم اثنا عشر رجلا .

ومما يروى فى شدة قتال الخندمة أن حماس بن قيس بن خالد كان يعد سلاحاً قبل دخول المسلمين مكة لقتالهم ، فقالت له امرأته : لماذا تعد ما أرى ؟ قال : لمحمد وأصحابه ، قالت : والله ما يقوم لمحمد وأصحابه شيئاً ، فقال لها : والله إنى لأرجو أن اخدمك بعضهم ، ثم أنشأ يقول :

إن يقبلوا اليوم فما لى عله ... هذا سلاح كامل وإله

* وذو غِرَارَيْنِ سريع السله *

وعند ما انهزم المشركون . وفر حماس بسلاحه مع صفوان وعكرمة ، دخل بيته وأمر امرأته بأن تغلق عليه بابه ، فلما سألته عما كان يقوله قبل المعركة ، قال :

إنك لو شهدت يوم الخندمه ... إذ فر صفوان وفر عكرمه

وأبو يزيد قائم كالمؤتمه ... واستقبلتنا بالسيوف المسلمه

يقطعن كل ساعد وجمجمه ... ضرباً فلا يسمع إلا غمغمه

لهم نهيت حولنا وهمهمه ... لم تنطقى فى اللوم أدنى كلمه

---

(١) جبل بمكة .

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يرى وهو بالجبل مايدور فى أسفله من قتال فكان مضطراً أن يقبله ، ولو خالف ذلك خطته السلمية فى دخول مكة ، مادام سفهاء قريش قد أجبروا المسلمين على القتال .

الرسول يدخل مكة : ونهض الرسول والمهاجرون والأنصار بين يديه وخلفه ومن حوله ، فدخل المسجد ، وأقبل على الحجر الأسود فاستلمه ، ثم طاف بالبيت على راحلته و بيده قوس أخذ يضرب به الأصنام التى كانت منتشرة حول البيت وعليه ، وعددها ثلاثمائة وستون صنما ، أخذ يطعنها ويقول : (جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا — الإسراء : ١٧) جاء الحق وما يبدىء الباطل وما يعيد .

وتهاوت الأصنام وسقطت على الأرض ، واقتصر الرسول (ص) على الطواف لأنه لم يكن محرماً ، فما أن أكمل طوافه حتى دعا عثمان بن طلحة فأخذ منه مفتاح الكعبة ، فأمر بفتحها ، فلما دخلها رأى فيها صوراً كما رأى صور إبراهيم و إسماعيل يستقسمان بالأزلام فقال : « قاتلهم الله ، والله ما استقسما بها قط » فأمر بمحو هذه الصور ، فمحيت ، ثم أغلق عليه وعلى أسامة باب الكعبة ، واستقبل الجدار المقابل للباب ، وعلى مسافة تبعد عن الجدار بثلاثة أذرع صلى ركعتين ، ثم دار فى البيت وكبر فى نواحيه ووحد الله ، ثم فتح الباب وخرج من البيت ، وقريش قد ملأت المسجد صفوفاً ينظرون ماذا يصنع بهم فاتجه إليهم رسول الله صلوات الله عليه وقال « لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، صدق وعده ، ونصر عبده ، وهزم الأحزاب وحده ، ألا كل مأثرة أو مال أو دم : فهو تحت قدمىّ هاتين ، إلا سدانة البيت ، وسقاية الحاج ، ألا وقتل الخطأ شبه العمد : السوط والعصا ، ففيه الدية مغلظة : مائة من الإبل : أربعون منها فى بطون أولادها ، يامعشر قريش : إن الله قد أذهب عنكم عبية الجاهلية وتعظمها بالآباء ، الناس من آدم ، وآدم من تراب . ثم تلا قوله تعالى (ياأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا ، إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير — الحجرات : ١٣) .

أخ كريم وابن أخ كريم : ثم سأل الرسول صلى الله عليه وسلم قريشاً « يا معشر قريش ما ترون إنى فاعل بكم ؟ قالوا : خيراً . . أخ كريم ، وابن أخ كريم . قال رسول الله صلوات الله وسلامه عليه « فإنى أقول كما قال يوسف لأخوته (لا تثريب عليكم اليوم) اذهبوا فأنتم الطلقاء » .

يا له من عفو جميل صادر من نفس كريمة !! ما أكرم النفس التى تأتيها القدرة على الانتقام . فتسمو وترتفع عما تقدر عليه . . إنها ولا شك نفس جبلت على السمو والعفو ، وفطرت على الصفح والكرم ، لأن الله الكريم هو صانعها للكرم الجميل . وهاديها إلى الخلق العظيم .

لقد صفح الرسول صلوات الله عليه عن قريش فى أحلك اللحظات . وأقسى الظروف . بينما كانت قريش لا تكف لحظة عن إيذائه والإساءة إليه وإلى أصحابه يوم كانت صاحبة سلطان.. بل ولم تكن تتورع عن قتله لو سنحت لها الفرصة ، كما سوّل لها الشيطان يوم أن هاجر إلى يثرب . . وهكذا يدلل الإسلام على أنه دين عفو وكرم إلى جانب أنه دين يأخذ المعتدى بالشدة إذا ما اعتدى .

ثم دعى رسول الله صلى الله عليه وسلم عثمان بن طلحة فسلمه مفتاح الكعبة ، وقال له : « هاك مفتاحك يا عثمان . اليوم يوم برٍّ ووفاء » . . كما دعى إليه بلالا وأمره أن يصعد على الكعبة ليؤذن ففعل .

ثم دخل رسول الله دار أم هانىء بنت أبى طالب فاغتسل ، وصلى ثمانى ركعات فى بيتها وكان الوقت ضحى ، فظنها الناس صلاة الضحى .

ووقف الرسول صلى الله عليه وسلم وقفة تأمل يجيل بصره فيما حوله من وادى مكة وشعابها . وقلبه مفعم بشكر الله تعالى أن تفضل عليه وأعاده إلى مسقط رأسه . وأرض الرسالة الطيبة منتصراً عزيزاً بعد أن أخرجه قومه من أهله ودياره معذباً مهاناً .

ولما استقر الفتح أمّن الرسول صلى الله عليه وسلم الناس كلهم إلا تسعة نفر . أمر بقتلهم . وإن وجدوا تحت أستار الكعبة . وهم : عبد الله بن سعد بن أبى سَرْح . وعكرمة ابن أبى جهل . وعبد العزى بن خطل والحارث بن نفيل بن وهب ونفيس بن صبابة وهبار بن الأسود .وقينتان لابن خطل . وسارة مولاة لبعض بنى عبد المطلب . ولكن خمسة من هؤلاء أسلموا وحسن إسلامهم فقبلهم رسول الله وعفا عنهم ، وهم : عبد الله ابن أبى سَرْح . وعكرمة بن أبى جهل . وهبار بن الأسود وإحدى القينتين . وسارة . أما الباقون فقد قتلوا .

الرسول يخطب فى الناس : وفى غداة الفتح قام رسول الله صلوات الله عليه فى الناس خطيباً ، فقال : « أيها الناس إن الله حرم مكة يوم خلق السموات والأرض فهى حرام بحرمة الله إلى يوم القيامة ، فلا يحل لامرىء يؤمن بالله واليوم الآخر أن يسفك فيها دما أو يَعْضد بها شجرة . فإن أحد ترخص بقتال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقولوا : إن الله أذن لرسوله ولم يأذن لك . وإنما حلت لى ساعة من نهار . وقد عادت حرمتها اليوم كحرمتها بالأمس . فليبلغ الشاهد الغائب » .

النبى يأمر بكسر الأوثان : وفى خلال إقامته بمكة أخذ يرشد أهلها إلى أمور الدين ومبادئه . كما بعث إلى الأوثان التى حول الكعبة ، فكسرت : اللات . والعزى . ومناة وغيرها .

ونادى مناديه بمكة يقول : « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يدع فى بيته صنما إلا كسره » .

وبهذا محا رسول الله صلوات الله عليه آثار الوثنية فى مكة . ورفع عليها منار التوحيد الخالص .

باب الفتاوى

جاءتنا هذه الأسئلة من الأخ صالح حسن درويش بالقبابات :

أرجو التكرم بالإجابة على هذه الأسئلة بمجلة الهدى النبوى الغراء .

س ١ ـ اتفق جماعة من الناس على أداء الجمعة فى أحد منادر القرية مع تعدد المساجد بها فهل هذا جائز شرعاً ؟ .

س ٢ ـ ما هى الأضحية المجزية وما شروط كل نوع منها من الضأن والمعز والغنم والبقر من حيث السن وخلافه ؟ وهل يجوز شراء لحم من الجزار يوم وقفة عرفات وتوزيعه على الفقراء ثم الذبح من أول يوم إلى رابع يوم العيد دون إخراج شىء من الأضحية نفسها ؟ أرجو بياناً وافياً عن الأضاحى يقطع كل لبس .

س ٣ ـ أمرنا الله ورسوله بصلة الرحم فمن هم رحم المرء المقصودون بأمر الله ورسوله ؟ .

س ٤ ـ فى هذا العصر كثرت المزروعات مما لم يكن فى صدر الإسلام فهل كل المزروعات متى بلغت النصاب وجبت زكاتها ؟ وما هو حد الزكاة بالنسبة لمكاييل أيامنا ؟ هل الحد ٥٠ كيلة بالكيل وهى تساوى أربعة أرادب وكيلتين ؟ أرجو توضيح الزكاة وما يتعلق بها توضيحاً يغنى عن السؤال . وما حكم المزروعات التى لا تقوم بالكيل كالخضروات مثلاً ؟

س ٥ ـ كيف تكون الذكاة الشرعية (الذبح) وهل هناك تحديد للذبح لكل الذبائح أم أن لكل ذبيحة وضعاً خاصاً ؟

س ٦ ـ سجّل رجل لأولاده جزءاً كبيراً من أملاكه دون مقابل وذلك لغرض خاص ليس منه حرمان وارث من حقه ثم مات فهل تعتبر التركة المسجل منها وغير المسجل كُلاًّ ؟ أم يحصل من سجل له شىء وعليه ، وحده ثم يأخذ نصيبه فيما تركه المورث دون تسجيل لأحد ؟ مع بيان الوصية والفرق بين الوصية لوارث والوصية لغير وارث ؟

الحمد لله :

ج ١ - لم يؤثر عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه أدى صلاة الجمعة فى غير المسجد إلا ما رواه ابن سعد وأصحاب السير من أنه صلاها مرة فى بطن الوادى ، وهذا لم يصح . فمواظبته عليه السلام على أدائها فى المسجد دليل عدم جواز أدائها فى غيره .

و بناء على هذا لا يجوز أداؤها فى أحد منادر القرية مع تعدد المساجد بها .

ج ٢ - لا يجزىء فى الأضحية إلا المسنة من الإبل والبقر أو الجذع من الضأن وهو ماتم له سنة على الصحيح لما رواه جابر رضى الله عنه من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا تذبحوا إلا مسنة إلا أن يعسر عليكم فتذبحوا جذعة من الضأن » .

وأما جذعة المعز فلا تجزىء فى الأضحية لقوله عليه السلام لمن ذبح قبل الصلاة وأراد أن يذبح مكانها جذعة المعز « اذبحها ولا تصلح لغيرك » وقال النووى إن هذا متفق عليه . ولا تجوز الأضحية بأعضب القرن وهو الذى ذهب نصف قرنه فأكثر ولا بالعوراء البين عورها ، ولا بالمريضة البين مرضها ، ولا بالعرجاء البين ضلعها ولا بالكسراء التى لا تنقى ، ولا بالمصفرة التى استؤصلت أذنها .

و يستحب تسمين الأضحية لما رواه البخارى عن أبى أمامة بن سهل قال « كنا نسمن الأضحية بالمدينة وكان المسلمون يسمنون » .

ولما رواه أحمد عن عائشة قالت (ضحى رسول الله صلى الله عليه وسلم بكبشين سمينين عظيمين أملحين أقرنين موجوأين) .

و يستحب كذلك أن تكون عفراء أى بيضاء بياضاً ليس بالشديد لما رواه أحمد عن أبى هريرة أن النبى صلى الله عليه وسلم قال « دم عفراء أحب إلى الله من دم سوداوين » ويجزىء الجذع من الضأن عن واحد وأهل بيته وتجزىء المسنة من الإبل والبقر عن سبعة كذلك . وقيل تجزىء البدنة من الإبل عن عشرة ومن البقر سبعة لحديث ابن عباس رضى الله عنهما قال « كنا مع النبى صلى الله عليه وسلم فى سفر فحضر الاضحى فذبحنا البقرة عن سبعة والبعير عن عشرة .

ولا يجوز ذبح الأضحية قبل الصلاة لقوله عليه السلام لمن فعل ذلك : (شاتك شاة لحم) وأيام التشريق كلها أيام ذبح وهى يوم الأضحى وثلاثة أيام بعده ، فمن أخر الذبح إلى اليوم الرابع جاز ، ولكن عليه إذا ذبح أن يأكل منها ويطعم الفقراء والمساكين .

كما يجوز له أن يدخر منها لحديث سلمة بن الأكوع المتفق عليه : قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« من ضحى منكم فلا يصبحن بعد ثالثة وفى بيته منها شىء » . فلما كان فى العام المقبل قالوا يا رسول الله نفعل كما فعلنا فى العام الماضى ؟ قال : « كلوا وأطعموا وادخروا فإن ذلك العام كان بالناس جهد فأردت أن تعينوا فيها » .

ج ٣ ـ والرحم التى أمر الله ورسوله بوصلها هى كل من أدلى إليك بقرابة من جهة أبيك وأمك أو من جهة أحدهما ، فيتناول الإخوة والأخوات والأعمام والعمات والأخوال والخالات وفروع هؤلاء جميعا ، كل على حسب درجته فى القرب والبعد . وكلما كان الشخص أقرب فى الدرجة كان حقه فى الصلة أوكد ، كما قال عليه السلام لمن سأله عن أحق الناس بحسن صحابته : « أمك وأباك وأختك وأخاك ثم أدناك أدناك » .

ج ٤ ـ وأما المزروعات التى تجب فيها الزكاة متى بلغت نصابا ، فالصحيح أنها كل ما يقتات به ويدخر من الحبوب والثمار ، كالحنطة والذرة والشعير والفول والتمر والزبيب ونحو ذلك بخلاف ما لا يقتات به كالبرسيم أو مالا يدخر كالخضروات .

ومقدار النصاب الذى تجب فيه الزكاة هو خمسة أوسق لقوله عليه الصلاة والسلام : « ليس فيما دون خمسة أوسق صدقة » وقدر ذلك بالكيل المصرى بنحو خمسين كيلة .

والمقدار الذى يجب إخراجه هو نصف العشر إن كان الزرع قد سقى بالناضح يعنى بآلة ، والعشر إن كان قد سقى بالسيح أى من غير آلة . والله أعلم .

ج ٥ ـ وأما الذكاة الشرعية فشرطها التسمية فى ابتدائها ، وأن يكون الذبح بمحدد لا يكون سنا ولا ظفراً لقوله عليه السلام : « ما أنهر الدم وذكر اسم الله عليه فكلوا

ما لم يكن سنًّا أو ظفراً » ويسن للذابح أن يحد شفرته قبل الذبح لتجهز على الحيوان بأقل ألم وفى أسرع وقت وأن يريح البهيمة ولا يجرها جراً عنيفا ولا يريها المدية قبل الذبح .

فقد روى شداد بن أوس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : (إن الله كتب الإحسان على كل شىء فإذا قتلتم فأحسنوا القِتْلة وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة وليحد أحدكم شفرته وليرح ذبيحته » .

والسنة فى الإبل أن تنحر فى لبتها وفى البقر والغنم وغيرهما أن تذبح بقطع أوداجها .

جـ ٦ ـ صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : (لا وصية لوارث) . فلا يجوز لأحد أن يخص بعض أولاده بشىء من ماله على سبيل الوصية فإن الوصية حينئذ باطلة . وأما إن كان قد سجل له شيئا فى حياته فإن هذا يخرج من ملكه ولا يضم إلى التركة عند القسمة ، ولا يسقط هذا نصيب ذلك الولد فى الميراث ولكن ذلك يعتبر ظلما وجوراً من المورث . والله أعلم .

ومن عبد الرحمن محمد العبادى — درديب — سودان .

س ١ : اشتركت فى بنك يقال له التجارى وكنت أظن أن هذا البنك يشتغل فى الأعمال التجارية فقط ، ولكنى علمت أن البنك يقوم بجميع أعمال البنوك من دفع الفوايد (الفايظ) على الأموال المودعة وغيرها . ولذلك أردت سحب المبلغ الذى ساهمت به فى هذا البنك . لكن هذا البنك رابح جداً . فقد كان السهم فيه بجنيه واحد ، والآن السهم فيه بأربعة جنيهات .

فهل يمكننى أن أسحب مبلغى الخاص وأن أصرف الفوايد كلها للفقراء والمساكين ، بدلا من أن أتركها لأصحاب البنك المخالفين لأمر الله .

س ٢ : من هو العبد ؟ وهل العبيد نوع واحد أم عدة أنواع . مثلا أن يكون عبد شرعى وعبد غير شرعى . وهل يوجد نوع من الناس خلقهم الله عبيداً أعنى ـ عبيد الرق ـ ؟

أرجو الإفادة ولكم من الله الأجر والثواب .

ج ١ ـ مادمت قد تحققت من أن البنك يمارس أعمال الربا ويقوم بدفع فوائد على الأموال المودعة فيه فلا يحل لك أخذ شيء من هذه الفوائد ولو بنية التصدق به على الفقراء والمساكين فقد روى أبو هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « إن الله تعالى طيب لا يقبل إلا طيباً » .

وروى الإمام أحمد عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا يكسب عبد مالا من حرام فينفق منه فيبارك له فيه ، ولا يتصدق به فيقبل منه ، ولا يتركه خلف ظهره إلا كان زاده إلى النار . إن الله لا يمحو السيء بالسيء ولكن يمحو السيء بالحسن ، إن الخبيث لا يمحو الخبيث » .

ج ٢ ـ إن الله عز وجل خلق الناس كلهم أحراراً فكلهم لآدم وآدم من تراب . وليس لابن البيضاء فضل على ابن السوداء إلا بالتقوى قال تعالى (يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله اتقاكم إن الله عليم خبير) .

ولكن الشعوب هى التى أحدثت نظام الرق فكانت الأمم الغالبة تسترق من تحت يدها من الشعوب المغلوبة ، وكانوا يسترقون الأسارى والسبايا من النساء حين يحارب بعضهم بعضاً .

فلما جاء الإسلام وجد أن الضرورة قاضية ببقاء هذا النظام ، فإنه لو ألغاه لكان ذلك إلغاء من جانب واحد ولكنه لم يجعل للرق إلا سبباً واحداً فقط وهو أن يغلب المسلمون على قوم من الكفار فيأخذوا منهم أسرى من الرجال أو سبايا من النساء فيصبحوا غنيمة للمسلمين فيقسمهم الإمام بين الغانمين .

وقد عمل الإسلام على تصفية الرق فرغب فى عتق الرقاب وجعل العتق كفارة لكثير من المخالفات كقتل الخطأ والظهار والجماع عمداً فى نهار رمضان وغير ذلك .

فالعبد الشرعي هو من ملكت رقبته لهذا السبب وحده وهو وقوعه أسيراً للمسلمين . وليس هناك أمة من الناس خلقها الله عبيداً بالفطرة فيباعون و يشترون .

ومن أبو بكر محمد طه بالقضارف — سودان .

نشرت بعض الصحف بالسودان السؤال الآتى مع الجواب عليه . نرجو إفادتنا إذا كان الجواب صحيحاً أم لا . (ونشر ذلك بالهدى النبوى) وجزاكم الله خيراً .

السؤال — يقولون — الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر — وافرض إننى لا أعمل فحشاء ولا منكر . لماذا أصلى . ويقولون — الصيام : لكى يشعر الإنسان بأخيه الانسان ويعرف مرارة الجوع والفقر . وأنا أشعر بكل ذلك فلماذا أصوم .

سليمان إسماعيل محمد الشاعر

وكان الجواب :

١ — أنت تصلى رغماً من أنك لا تفعل فاحشة ولا منكراً ، لأنك أولا تؤدى فرضاً واجباً عليك ، ولأن الصلاة بجانب مكانتها الدينية تكسبك فوائد كثيرة ، إنها تتيح للناس فرص اللقاء فى المساجد وغيرها ، فيستفيدون من هذا اللقاء فى حياتهم ، ثم إن الصلاة تفيد المرء من حيث النظافة التى يلقاها من الوضوء والحركات التى يؤديها ، وقد علل عالم أمريكى قلة مرض السل لدى المسلمين مع أنهم فقراء فى الغالب الأعم ، لأنهم يزيلون بالوضوء الجراثيم التى تسبب الأمراض التى تفتك بهم .

٢ — أما فيما يتعلق بالصوم فأنت تصوم رغماً عن أنك تحس بما يلاقيه أخوك المسلم من حرارة الجوع لأنك تؤدى فرضاً واجباً عليك فى المقام الأول ، ثم تكسب معدتك راحة من عناء أحد عشر شهراً ، ولا يخفى مافى ذلك من فوائد صحية ، كما أنك فى الوقت نفسه تتعلم ضبط النفس والسيطرة عليها ، إلى غير هذا من فوائد الصوم الكثيرة .

ج — مانشر فى بعض الصحف جواباً عمن سأل عن فائدة الصلاة لمن لا يرتكب فاحشة ولا منكراً ، وفائدة الصيام لمن يحس بألم الفقراء هو جواب صحيح .

ونزيد على هذا أن الآية الشريفة أعنى قوله تعالى (إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر) لم تحصر فائدة الصلاة فى ذلك فإن الصلاة لها من الفوائد الروحية والاجتماعية بل والبدنية مالا حصر لها ، ولكن الذى لا يصلى فإنه لابد أن يرتكب الفحشاء والمنكر ، فإن عدم إقامة الصلاة دليل على فراغ القلب من حب الله ، والقلب لا بد أن يحب ويشتهى ، فإذا فرغ من حب الله فإنه يتعلق بأنواع من الشهوات كحب النساء والأموال والأولاد وغير ذلك ، فالصلاة هى التى تنفى ذلك عن القلب لأنها توجهه إلى محبوب واحد وهو الله عز وجل .

وإذا لم يكن لله عز وجل من الوقار والهيبة فى نفس العبد مايحمله على أداء فرائضه ، فكيف يرجى منه أن يقوم بحق غيره فيبذل للناس الخير أو يكف عنهم شره وأذاه .

محمد خليل هراس

النور المحمدى

هذه قصيدة ضمنتها رداً على العقائد الشركية التى اصطنعها أعداء الله من الشيعة والمتصوفة التى شابت ردحاً من الزمن جمال التوحيد ونضارة وجهه المشرق ، كقولهم إن نور النبى صلى الله عليه وسلم خلق قبل آدم ، وتناقلته الأصلاب والأرحام ، وأن الرسول صلى الله عليه وسلم قبضة من نور الله ، إلى غير ذلك . . ولعلى وفقت فى هذه القصيدة .

وتحضرنى قصة بهذه المناسبة : ذلك أن واعظاً رسمياً ، ذهب إلى قرية (دروة) من أعمال مركز ملوى ، وقال فيما يعظ به الناس : « إن الله أخذ قبضة من نوره فقال كونى محمدا ، فكانت محمداً !! » وظن أنه فى الريف قد يتسع المجال لأمثال هذه الترهات . ولكن أبى الله إلا أن يرسل إليه مصلياً من الفلاحين — لا من العلماء — وسأله قائلا : يا سيدى الشيخ ! هل هذه القبضة حسية أم معنوية ! ؟ فبهت الشيخ ، فأردف الفلاح قائلا : إن قلت ياسيدى (حسية) فقد كفرت .. فمحمد حسى ، والله ليس بحسى . . وإن قلت إن النور معنوى فيكون وهماً ، والله ورسوله ليسا بوهم . . ونحن أحوج إلى بيان خُلُق الرسول صلى الله عليه وسلم ، فإن الله قد أراحنا وقال له : (قل إنما أنا بشر مثلكم) فأغلق على الشيخ واضطرب وجلس مع المصلين واستمع لوعظ خطيب المسجد ، وهو مدرس ابتدائى ؛ والقصة تتناقلها الألسن دائماً فى (دروة) . وهذه هى القصيدة :

نور الرسالة للوجود منارُ — يسعى إليه الهائم المحتارُ
هدىُ الرسالة والرسول يمدها — وحى الكتاب ، وكلها أنوار
والقلب مشكاة الهداية مبصر — بالعلم يمنحه الهدى القهار
والحق بالإيمان فيه موضح . . — كالشمس ما حجب الضياء ستار
لا يهتدى للنور إلا مؤمن — يهوى المكارم والهدى يختار
كم جاهل جاء النبى محمداً — فتنورت بلقائه الأفكار
يأتيه يسأل عن هداية دينه — كيف النجاة من الردى وفرار ؟

ما كان يسأله الشفاعة طالباً — هل كان يملكها له المختار ؟؟
الله يملكها ويأذن مانحًا — إن الشفاعة أهلها الأطهار

ما كان نور محمد متنقلا .. — يحويه صلب فاجر كفار
بل كان نوراً فى القلوب مكانه — يحظى به أهل التقى الأبرار
نور من الله العلى مخلدٌ .. — المؤمنين ، وفيضه المدرار
لم تخلق الدنيا لأجل محمد — زعم — وربى — كله أوزار
هل كان يخلق للرسول مكذبا ؟ — من أجله ؟ أم زاغت الأبصار
بل كان خلق رسوله لقيادة — بالحق يسعى جندها الجرار
الله يخلق للعبادة خلقه[1] — وهو المقدّر ، جلّت الأقدار
قالوا ضياء العرش نور محمد — إفك — وربك — للضلال يثار
ما كان خلق محمد من قبضة — من نور ربك ، قالها الفجار
من (آدم) كل الخليقة إنسهم — والرسل إنس — كلهم أخيار
هل كان نور الله جسمًا باديًا ؟ — أو بعضه مما ترى الأنظار ؟ !
مثل النصارى يمدحون مسيحهم — ولهم جدالٌ باطل وحوارُ
قالوا المسيح هو الإله ، وتارة — ابن له ، كم يكذب الكفار !
كم شبهوا ذات الإله وضلّوا — كم حرفوا قول الرسول وجاروا !
كم أوّلوا قول الكتاب وآمنوا — بالإفك ، تلك ضلالة وبوارُ
الله يشهد ، والكتاب مبين — والحق يسطع ، والهداة تفارُ
والسنة الغراء يدفع نورُها — ذاك الظلامَ ، وباطلا ينهار
الشمس تكسف يوم موت وليده — قالوا : عجيب تحزن الأقمار ؟ !
فترى الرسول يردهم عن قولهم — ويقول : تلك جهالة وعثارُ
الشمس جرم ، والكواكب مثلها — خلق يطيع ، بأمره دوّارُ

---

(١) الإشارة إلى قوله تعالى (وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون) .

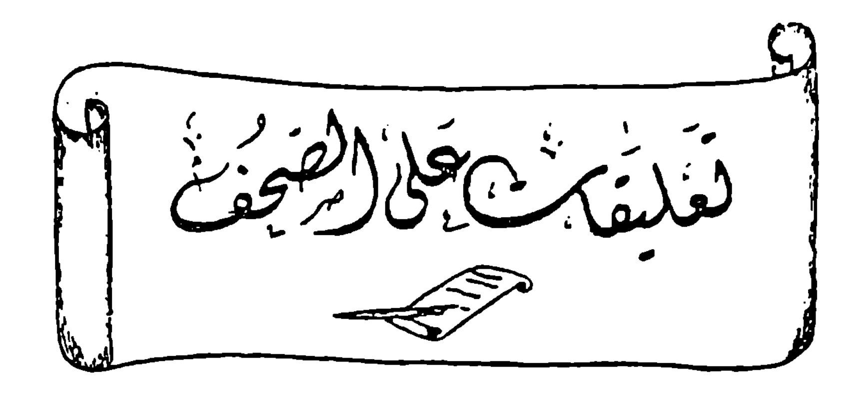
لا شأن للرسل الكرام وغيرهم ... والله يحكم ، لا يرد قرارُ
يا قوم إن الله يبعث آية .. للمؤمنين ، فيؤمن الأخيارُ

ماذا تقول وفى التشيّع محنة ؟ ! ... وكذا التصوف نكبة وخسار
كم قائل بالنور حل بشيخهم ... فتطاول الأشياخ والأشرار
وتشبهوا بالمشركين عقيدة ... وشيوخهم رهبانها ، الأخيار
شدوا الرحال إلى القبور عبادة ... فى ساحها كم يشرك الزوّارُ
هـذا يقبل أرضها متبركاً .. ... بالترب ، تلك فضيحة وشنارُ
أو ذاك يهتف ضارعاً ومنادياً ... للهامدين فتُعبد الأحجار
وترى المواكب بالذبائح قربة ... للقبر ، تلك مذلة وصغارُ

يا قوم هذا ملحد متربص ! ... بالمسلمين ، وحاقد جبارُ !
يا قوم قد صاح النذير منادياً ... أهل التقى ، هل ينفع الإنذار ؟ !
يا قوم نور الوحى يسطع فى الدجى ... حتى يراه مجاهد صبار
الذكر باق والشريعة عزة ... والدين حق ، كله إكبار
والشرك والإلحاد أحقر ذِلة ... لا تركنوا للذل ، فهو دمار
أنتم جنود الله فارعوا حقه ... والنصر مكفول لكم ونخار
سيروا على هدى الكتاب ويمموا ... نحو الشريعة ، والصراط نهار
وتوسلوا بالصالحات وسارعوا ... لجنان خلد تحتها الأنهارُ
الله يكلؤكم بصالح سعيكم ... وينير قلباً بالهدى ، فينار

عمرو محمد حسن النشرى

إمام وخطيب للمسجد المجيدى بحلوى



مجلة الشبان .. والتوسل بالأولياء

فى مجلة الشبان المسلمين باب تحت عنوان « الشرق والغرب يتلقيان فى لجنة الفتوى » ومهمة هذا الباب حل المشكلات الدينية التى يبعث بها إليها قراؤها . والرد عليها . . وفى هذا العدد تلقت اللجنة سؤالين من قارىء بطنطا يسألها حكم الدين فى التوسل بأولياء الله الصالحين . وتقديم الذبائح لهم .

أما السؤال الأول فقد قالت اللجنة فيه « نفيد بأن التوسل إلى الله تعالى بأوليائه الصالحين باعتبار أنهم أعظم عند الله شأناً . وأقرب إليه من غيرهم بعملهم أمر لاشىء فيه ما دام ذلك لم يؤد إلى ارتكاب محرم » .

. . . وأما السؤال الثانى فقد فتح الله على اللجنة فأصابت الحقيقة فى الرد عليه فقالت « أما ذبح الذبائح ونذر النذور للأولياء ، فإن قصد به الفاعل لنفس الأولياء فإن ذلك باطل والوفاء به حرام . أما إذا قصد الفاعل به انتفاع الفقراء فقط فهو جائز لأنه نوع من الصدقة ، ولا يلزم نقل الذبائح إلى مقار الأولياء . بل له أن يذبحها بمكانه هو ويوزعها على الفقراء ببلده . »

« مجلة الشبان عدد جمادى الآخر ١٣٨٣ الموافق أول نوفمبر ١٩٦٣ »

وهكذا لم توفق اللجنة الموقرة فيما افتت فيه عن السؤال الأول ، كما وفقت فى الإجابة عن السؤال الثانى .

ولما كان موضوع الفتوى يتصل اتصالاً وثيقاً بعقيدة التوحيد وحقائقه . فمن حقنا نحن المسلمين أن نسأل : إلى أى شىء استندت اللجنة فى أن التوسل بالموتى باعتبار أنهم أقرب عند الله شأناً وأن ذلك أمر لاغبار عليه ؟ وكيف عرفت أن التوسل بالموتى أمر لاحرمة فيه ؟ ! . هل بنت هذا الرأى على دليل من آية قرآنية ، أو سنة صريحة ؟ ! إن الذى نعتقده أخذاً من القرآن والسنة أن الشريعة الإسلامية ليس فيها ما يؤيد — من قريب أو بعيد — ما زعمته اللجنة فى شأن التوسل . بل الإسلام على النقيض من ذلك ينهى أن يلتجىء الحى إلى الولى الميت فى ساعات الشدة و الكرب – مهما بلغ الولى فى تقواه ومنزلته عند الله — لينقل إلى الله شكايته وطلبه . . لقد اعتبر الإسلام هذا العمل شركاً صريحاً يوجب غضب الله ومقته .

وما أمر به الإسلام فى شأن التوسل هو أن يلجأ الإنسان إلى الله بدون واسطة يتضرع إليه . و يسأله قضاء حاجته . سواء فى الصلاة أو فى أى وقت آخر . والله تعالى — وهو السميع البصير الخبير بأحوال العباد — قادر على أن يجيب دعوة الداع إذا آمن به وأخلص له التوجه والدعاء . وفى هذا يقول تعالى (وإذا سألك عبادى عنى فإنى قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان ، فليستجيبوا لى وليؤمنوا بى لعلهم يرشدون) البقرة . ١٨٦ . هذا هو التوسل المشروع الذى يرضى الله عنه و يستجيب لصاحبه . وفى قصة الثلاثة الذين أووا إلى الغار ليحميهم من المطر فانطبق عليهم الباب بصخرة . . فسألوا الله بصالح أعمالهم وخرجوا من الغار . . فى تلك القصة دليل عملى كبير على وجوب التوسل إلى الله بصالح العمل دون ما يعمله الناس من وسائط هى الشرك بعينه .

و إذا قلبنا صفحات التاريخ لنعرف صلة الأمم السابقة بالشرك . نجد أنهم كانوا يعتقدون أن الله هو خالق كل شىء . و بيده وحده تدبير الأمور . يقول تعالى (ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض وسخر الشمس والقمر ليقولن الله) العنكبوت : ٦١ و يقول عز من قائل (قل من بيده ملكوت كل شىء وهو يجير ولا يجار عليه إن كنتم تعلمون . سيقولون لله . المؤمنون : ٨٨ ، ٨٩) .

ومع إقرارهم بألوهيته تعالى فى الخلق والتدبير ، فإنهم حين سئلوا عن سبب توسلهم بالموتى قالوا (ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى) . الزمر : ٣ .

هكذا حكى القرآن عن شرك الجاهلية الأولى حين اتخذت الموتى وسطاء وشفعاء . . وهكذا نجد الجاهلية الثانية وهى تتخذ الموتى وسطاء وشفعاء . ولجنة الفتوى بالشبان المسلمين تفتى بذلك وتقول إنه : أمر لا شىء فيه . فما أشبه التوسلين . . وما أشبه الليلة بالبارحة ! ! . .

* * *

الذكر . . وصلته بالإسلام

تحت عنوان « التثنى والتمايل والعربدة الحركية ليست من الدين فى شىء » كتب الأستاذ عبد الوهاب دنيا كلمة فى باب « مع الناس » بجريدة ـ المساء ـ يستهجن فيها أعمال العربدة والمجون والتقاليد السيئة التى يمارسها بعض دعاة الدين باسم « ذكر الله » ومما كتبه فى هذا قوله :

إن هذه التقاليد السيئة تندرج تحت لفظ « الشعوذة والدجل الرخيص ، ومحاولة ارتداء ثوب الزهد والورع والتقوى والفضيلة لاستغلال البعض من الجماهير استغلالاً بشعاً يمكن أن يوصف بالاحتيال .

ومن العادات التى ينبغى أن يقضى عليها « الأذكار » فما زال يرن فى أذنى ما قاله البعض من الأجانب عندما كانوا يطوفون بمولد كبير من الموالد التى تقام فى العاصمة عند مشاهدتهم لبعض الناس يتمايلون ويتثنون ويهتفون باسم الله عز وجل فى صوت مبحوح من كثرة التثنى والتمايل . . لقد قالوا : هل تعاليم الدين يطالبكم بالقيام بهذه الحركات المحمومة الهستيرية ؟ .

إن الدين برىء من هذه الحركات الدخيلة عليه : فلا الدين طالبنا بأن نتثنى ونتمايل ونحن نذكر اسم الله ، ولا أقره أحد من أئمة المسلمين الأولين .

وإذا كان فى العاصمة التى يوجد فيها الأزهر الشريف بعلمائه الكبار . توجد فيها مثل هذه المهازل . فما بال القرى التى ما زال للأذكار فيها مكانة كبيرة ؟ .

وهذه البدع لا تقتصر على أضرحة الموالد فقط . بل إنها تمتد لتشمل المقابر أيضاً .

إن الدين الإسلامى حسب التعاليم السامية السمحة التى نراها بوضوح فى القرآن والحديث لم يطالبنا بشىء من هذا . من أجل ذلك يجب أن يتحرك الأزهر للقضاء على هذه البدع المضللة والشعوذة والدجل .

إن علماء الدين فى بلادنا . وهم أقدر الناس على فهم التفاصيل الدقيقة لتعاليمنا الروحية مطالبون بأن يحرروا أفكار السذج من تلك الأوهام الكاذبة التى يحاول المشعوذون إلباسها ثوب القدسية الروحية ، وعن هذا الطريق يثرون إثراء فاحشاً عريضاً .

« المساء » يوم ٢٣ نوفمبر ١٩٦٣ »

كلمة حق تقال فى أمر يتصل بسمعة الإسلام ومبادئه السامية . فالواقع إنه ليحزن المسلم الغيور أن يرى هؤلاء المفتونين الدجاجلة وهم يعبثون بقيم الدين ومبادئه وحقائقه — باسم الإسلام — ثم لا يتحرك ، ولا ينبه ولا يستنكر هذه المساوىء بقلبه . وهذا أضعف الإيمان .

ونحن مع الأستاذ الكاتب فى كل ما قاله — بكل تفاصيله — عن ذلك الأسلوب المبتدع البغيض الذى يتبعه المنحرفون المضللون فى أذكارهم لله تعالى . فإن المسلم الحق لا يليق به أن يذكر الله بهذه الصورة المزرية المنفرة . بل خليق به أن يذكر الله بما شرع وبما بين رسوله صلى الله عليه وسلم حتى لا تبدو مبادىء الإسلام مبتورة فى نظر أعدائه فيتخذون منها مادة للإساءة إليه . كما تشتهيها أهواؤهم وأحقادهم .

وإذا كنا مع الأستاذ الكاتب فيما قاله استنكاراً لما يفعله تجار الدين الآثمون فى حلقات الذكر . . ودفاعاً عن حقائق الإسلام ومنهجه وشرعه ، فإننا نخالفه رأيه فيما يتصل بموقف شيوخ الأزهر من بدعة الأذكار .

فالواقع أن بعض علماء الأزهر وغيرهم من دعاة الحق ـ أفراداً وجماعات ـ أدوا وما زالوا يؤدون ما عليهم من واجب التنبيه والتحذير فى كل أنحاء البلاد بقدر ما يملكون من جهد سلبى . . وماذا يملكون أكثر من وسيلة البيان والتنبيه .

وفى اعتقادنا أن الذى يملك الوسائل الفعالة الإيجابية لإبطال أعمال الدجل والبدع هى الدولة . فهى وحدها التى تملك السلطة التنفيذية لتنقية الدين من هذه الشوائب والمساخر . . نعم : الدولة قادرة على فعل ذلك بجرة قلم . . وبصورة حاسمة .

ونذكر أنه فى عام ١٩٦٠ طلب المسئولون فى شئون الإحصاء والتعداد من وزارة الثقافة والإرشاد إبطال مولد « العريان » — الذى يوجد ضريحه بطريق المعادى ، بعض الوقت . إذ تبين أن المحتفلين بالمولد كانوا يقضون فى ساحته سبعة أيام أو أكثر . الأمر الذى عطل أعمال التعداد فى تلك السنة . وفعلا استجابت وزارة الثقافة للطلب وأبطلت المولد لمدة معينة . . فلم يثر أحد من إبطال المولد . . بل ولم يغضب العريان نفسه لعدم إقامة مولده فى موعده — كما يتوهم أكثر الناس —

نسوق هذه الحادثة للتدليل على قدرة الدولة فى تنفيذ ما يصعب تنفيذه على رجال الأزهر وغيرهم ، من دعاة الحق .

إننا نطالب أجهزة الدولة أن تتحرك نحو الأمكنة التى تمارس فيها هذه البدع للقضاء عليها قضاء مبرما فإن هذه البدع محال أن تزال بخطب الواعظين . وإنما تزال بسلطان المسئولين « وإن الله ليزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن » كما يقول الحديث الشريف .

سعد صادق محمد

العدد ٩
المجلد ٢٨

رمضان
سنة ١٣٨٣

خير الهدى هدى محمد صلى الله عليه وسلم

الهدي النبوي

تصدرها جماعة أنصار السنة المحمدية

رئيس التحرير
عبد الرحمن الوكيل

مدير الإدارة
سليمان حسونه

مطبعة السنة المحمدية
١٧ شارع شريف باشا الكبير
ت ٩٠٦٠١٧

٣٠ مليما

الفهرس

صفحة		
٣	التفسير	للأستاذ الشيخ عبد الرحمن الوكيل
١٥	بساطة العقيدة الإسلامية. . . »	« أحمد أحمد على حسن
١٨	البحر	للسيدة الجليلة حرم الدكتور محمد رضا (رحمه الله)
٢٣	ذكريات رمضان	للاستاذ سعد صادق محمد
٢٦	الحكم والحكام فى الإسلام . .	للاستاذ الشيخ السيد عبد الحليم ملاقى
٣٠	الفتاوى . . . . »	« محمد خليل هراس
٣٥	تحية شهر رمضان (قصيدة)	للأستاذ نجاتى عبد الرحمن
٣٨	نظرات فى التصوف. . . .	الأستاذ الشيخ عبد الرحمن الوكيل
٤٦	ذكريات	للأستاذ نجاتى عبد الرحمن
٤٩	البدع (قصيدة)	للأستاذ عبد المنعم محمد حلمى عبد الرحمن

رجاء إلى السادة المشتركين

والمتعهدين

نرجو من السادة المشتركين المتأخرين فى سداد اشتراكاتهم أن يتفضلوا بالمبادرة إلى سدادها .

كما نرجو من المتعهدين بالفروع أن يتكرموا بإرسال مالديهم من أثمان المجلة .
والمرجو إرسال جميع الحوالات وقيم الاشتراكات والذمات المتأخرة
باسم السيد / محمد رشدى خليل أمين صندوق الجماعة .

٨ شارع قوله بعابدين — القاهرة

خير الهدى هدى محمد صلى الله عليه وسلم

الهدى النبوي

مجلة شهرية دينية

تصدرها جماعة أنصار السنة المحمدية

رئيس التحرير
عبد الرحمن الوكيل
أصحاب الامتياز : ورثة
الشيخ محمد حامد الفقي

مدير الإدارة
سليمان رشاد محمد
الاشتراك السنوى
٣٠ قرشا في الجمهورية العربية المتحدة والسودان
٤٠ في الخارج

المركز العام : ٨ شارع قوله — عابدين القاهرة — تليفون ٧٦٥٧٦

العدد ٩ — رمضان سنة ١٣٨٣ — المجلد ٢٨

نور من القرآن

بسم الله الرحمن الرحيم

قال — جـل ذكره — : (وإذ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ : لاَ أَبْرَحُ حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ ، أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا . فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فى البحرِ سَرَبًا . فَلَمَّا جَاوَزَا قال لِفَتَاهُ : آتِنَا غَدَاءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا . قَالَ : أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلى الصَّخْرَةِ ، فَإِنِّى نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنْسَانِيهُ إِلاَّ الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ ، واتَّخَذَ سَبِيلَهُ فى الْبَحْرِ عَجَبًا . قال ذَلِكَ ما كُنَّا نَبْغِ ، فَارْتَدَّا على آثَارِهِمَا قَصَصًا . فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا . قال لَهُ مُوسَى : هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا . قال : إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا . وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا . قال : سَتَجِدُنِى إِنْ شَاءَ اللهُ صَابِرًا ولا أَعْصِى لَكَ أَمْرًا . قال : فَإِنِ اتَّبَعْتَنِى ، فَلاَ تَسْأَلْنِى عَنْ شَيْءٍ حتى أُحْدِثَ لكَ مِنْهُ ذِكْرًا . الكهف : ٦٠ — ٧٠) .

معانى المفردات

« لا أبرح » قال الراغب : البراح المكان المتسع الظاهر الذى لا بناء فيه ، ولا شجر ، و برح ثبت فى البراح ومنه قوله عز وجل : لا أبرح . وخُص بالإثبات كقولهم لا أزال : لأن برح وزال اقتضيا معنى النفى [1] .

و « لا » للنفى . والنفيان يحصل من اجتماعهما إثبات مجمع البحرين [2] : قال قتادة وغير واحد: ملتقى بحر فارس مما يلى المشرق و بحر الروم مما يلى المغرب ، وعن محمد بن كعب القرظى : مجمع البحرين عند طنجة يعنى فى أقصى بلاد المغرب . وأقول : لعله طرف شبه جزيرة سيناء جنوبا حيث يلتقى الخليجان ، فما نعرف مجمعا لبحر فارس والروم .

«حُقُبًا» : جاء فى المختار : الُحقُب الدَّهْرُ وجمعه أحقاب والُحقْب بالضم وسكون القاف ثمانون سنة ، وقيل أكثر من ذلك وجمعه حِقاب . والحِقبة واحدة الحِقَب وهى السنون .

وقد اختلف فى مدة الحقب . فقال ابن كثير إنها فى لغة قيس سنة ، ونقل عن عبد الله بن عَمْرو أن الحقب ثمانون سنة ، وعن مجاهد أنه سبعون خريفاً ، وعن ابن عباس وقتادة أنه دهر . وقول ابن عباس وقتادة هو المعتمد ؛ ولهذا يقول الراغب : والصحيح : مدة من الزمان مبهمة ، وجاء فى البخارى تفسيرها بالزمان .

« حوتهما » الحوت : العظيم من السمك ، وهو مذكر وجمعه حيتان .

« سَرَبا » قال الراغب : السَّرْبُ الذهاب فى حُدورٍ . والسَّرْب الطريق المنحدر .

« فتاه » ورد فى البخارى أنه يُوشَعُ بن « نون » . وقد جاء فى سِفْرِ الخُرُوج من

---

(١) خلاصة هذا أن كلمة لا أبرح هنا تساوى فى المعنى : لا أزال أسير حتى أبلغ مجمع البحرين . وقد يكون التقدير لا يبرح مسيرى حتى أبلغ .

(٢) تزعم الصوفية أن البحرين هما موسى والخضر ، إذ كان موسى بحر علم الظاهر وكان الخضر بحر علم الباطن .

العهد القديم كتاب اليهود ما يأتى « وكان موسى ابن مائة وعشرين سنة حين مات ، ولم تكل عينه ولا ذهبت نضارته . . . ويشوع بن نون كان قد امتلأ روح حكمة ، إذ وضع موسى عليه يديه فسمع له بنو إسرائيل ، وعملوا كما أوصى الرب موسى . . . وكان بعد موت موسى عبدِ الرب أن الرب كلم يشوع بن نون خادم موسى قائلا : موسى عبدى قد مات ؛ فالآن قم اعبر هذا الأردُنّ أنت وكل هذا الشعب إلى الأرض التى أنا معطيها لهم أى لبنى إسرائيل [1] » وهذا يفيد أن يشوع نبى من أنبياء بنى إسرائيل . والله أعلم بهذا . وليوشع سفر خاص مسمى باسم « يشوع » يقع فى « العهد القديم [2] » بعد سفر « التثنية » وعدد إصحاحاته أو فصوله أربعةٌ وعشرون .

« غداءنا » الطعام الذى يتناول وقت الغداة وهى الضَّحوة وتحسب من أول النهار . وبعض اللغويين فرق بين الغداة والغُدوة . فالغدوة هى ما بين صلاة الصبح وطلوع الشمس . والغداة كما بينت . وبعضهم سَوَّى بينهما فى المعنى . ويبدو هنا أن الغداة هى الضحوة إذ المعروف أن موسى تناول طعامه بعد سفر من أول النهار .

« أوينا » أوى إلى الشىء انضم إليه . والمقصود ملنا إلى الصخرة وأقمنا عندها « واتخذ سبيله فى البحر عجباً » قد يكون تقديرها : واتخذ الحوت سبيله فى البحر سبيلا عجبا . أو : واتخذ الحوت سبيله فى البحر اتخاذاً عجباً . وقد تكون كلمة «عجباً» من كلام الفتى . كأنه قال فى آخر كلامه : عجبا . وقد تكون من كلام موسى : أى قال موسى فى آخر جوابه : عجباً . فيكون المعنى : إن الحوت اتخذ له سبيلا فى البحر أثار العجب والدهشة فى نفس موسى وفتاه . أو أن موسى اتخذ له عجباً من سبيل الحوت فى البحر .

---

(١) انظر الإصحاح الأخير من سفر التثنية والأول من يوشع .

(٢) العهد القديم مكون من التوراة المحرفة وعدة أسفار تنسب إلى أنبياء بنى إسرائيل وعلى هذه جميعاً أطلق النصارى اسم « العهد القديم » أما مجموعة أناجيل النصارى واسفار رسلهم فسموها العهد الجديد .

« نبغ » الابتغاء مجاوزة الحد فى الطلب . أو هو طلب عن شوق شديد . أو لهفة بالغة

« فارتدا على آثارهما » أى رجعا يسلكان نفس الطريق الذى سلكاه من قبل ، وهما يمشيان على ماتركا من آثار فى هذا الطريق حتى يهتديا إلى الصخرة التى نسيا عندها الحوت .

« قصصا » هو مصدر مؤكد لفعله المحذوف الذى تقديره : يقصان .

والقصُّ : تتبع الأثر . ومعنى هذا أن موسى وفتاه كانا يتتبعان آثارهما على الطريق اتباعاً محكماً دقيقاً حتى لاينحرفا عن الطريق المؤدى إلى الصخرة قيد شعرة . وهذا يدل على أنهما كانا يسلكان طريقاً معالمه قليلة وغير جلية . أو لا معالم فيه سوى آثارهما . وأستطيع استنباط أنه كان فى صحراء وسيعة .

« رشداً » الرشد عكس الغي يستعمل استعمال الهداية . والغى هو جهل عن اعتقادٍ فاسد فيكون الرشد هو علم من اعتقاد صحيح . وهو الصلاح ، وهو خلاف الغى والضلال وهو إصابة الصواب .

« خُبْرا » الخبرة : المعرفة ببواطن الأمور ، وقيل إن الخُبْر هو العلم بالأشياء المعلومة من جهة الخبر .

« ذكرا » يقال ذكرته بقلبي وبلسانى . فكل قول باللسان يسمى ذكرا ، وكذلك كل قول قلبيّ : يريد أنه سيعلمه علماً يكون على قلبه ولسانه هُدًى له .

« المعنى »

يذكِّرنا الله سبحانه بقصة رسول هو من أولى العزم من الرسل ، قصة حبه العظيم للمعرفة ، حتى ليستهين بالسعى المجهد حقبا طوالا فى سبيل الحصول على المعرفة . المعرفة التى تزيده قوة يقين ، وسمو إيمان وجمال توكل واستسلام بالغ الفل والعبودية لله سبحانه ، المعرفة التى تزيده بصرا بأمور الحياة وطبائع النفوس البشرية ، فيكسبه هذا خبرة دقيقة ، وتجارب يستطيع بعدها معالجة القضايا البشرية التى تعرض له كنبى ورسول وقائد أمة أجهدته ، وأكدّته ، وصابرها طويلا .

لقد رأى من العبد الصالح الجحود بالجميل حيث ظن وجوب العرفان به ، والسعى فى سبيل المكافأة عليه ، ثم تبين له أن هذا الذى ظنه إنما هو البر الكريم والعمل الذى كان يجب أن يكون به وحده التعبير عن العرفان بالجميل .

ورأى القتل يحدث حيث كان يجب ـ فى ظنه أن يكون الحب دافعا هنا إلى الحرص البالغ على حياة القتيل وصَوْنها من كل ما قد ينال من نضرتها الحلوة الزاهية .

ثم تبين له أن هذا القتل الذى أثار سخطه ، وأنساه الوفاء بوعده والحفاظ على عهده ، ما هو إلا أصدق تعبير عن حُنُو الحب وشفافيته الرقيقة الرفيقة الصافية ، وروحانيته التى تقدست بقدسية الغيب ، وعن تجسد قوة الإيمان فى عمل يحتاج إلى مجاهدة للعاطفة البشرية حين تهفو بصاحبها إلى العطف على جميل رائع الصبا ساحر الفتنة . تبين له أن قدرة الله لا تسير على هوى الإرادة البشرية ، وإنما بإرادة القوى الحكيم الخبير . تبين له أن الذى يقع هو ما يجب أن يكون ويحب الله أن يكون ، لا ما نريد نحن أن يكون ، وتظمأ أهواؤنا إلى أن يكون ! ! .

ورأى كيف كان الإحسان الرائع جزاء للإساءة البالغة التى تدمى الحياء ، وتجرح الكرامة ، فاستوفزت نفسه إلى القصاص العادل من هؤلاء ، ثم يتجلى له بعد أن هذا الإحسان كان يجب أن يكون ، وأنه لم يكن جزاء لإساءة وإنما كان ثواباً لإحسان قديم

هكذا علمه الله على يد بشرى مثله لم يكن فى مكانته ، وإن كان على علم من الله سبحانه فاختنقت همسات الإعجاب بنفسه فى نفسه ، وازداد إيماناً ـ كما آمنت الملائكة من قبل ـ بأن لله وحده علم الغيب . وأنه لا يمكن لكائن ما أن يعلم منه شيئاً إلا بفضل من الله سبحانه .

فهل يستطيع العقل البشرى وحده أن يستقل بمعرفة الخير والشر ؟ أو أن يفصل فى أمور الدين بين الحق والباطل ؟ .

هذا رسول عظيم استطاعت ظواهر الأشياء أن تصرفه عن حقيقتها ، فحكم على

العرفان بالجميل أنه جحود وعلى الفضيلة أنها رذيلة ، وعلى الطاعة أنها معصية ، وعلى القيام بالواجب أنه ذل وامتهان .

هكذا حكمت بشرية موسى بهذا الحكم حين لم يسعفها الوحى بالحكم الصادق ! !
فهل نستطيع أن نحكم نحن البشر ، ولسنا رسلا ، حكما صحيحاً على حقائق الأشياء الدينية دون عون من وحى الله ؟

لا أحد يستطيع أن يهمس بهذا سوى من خدعتهم أهواء بشريتهم عن الحقيقة ، ومن فتنهم الشيطان عن سبيل الله ، ومن أخذ التصوف بخطامهم فدلاهم إلى سواء الجحيم .

فنضرع إلى الله سبحانه أن يلهمنا الحكم الصائب فى قضايا الدنيا والدين .

ولم ترد قصة موسى هذه مع العبد الصالح إلا فى سورة الكهف ، وقد وردت وروداً يستطيع من أوتى حظا من القراءة والكتابة أن يفقه منه العبرة البالغة . ولم تفصل القصة كُلَّ ما كان يمكن أن يقال . فهى لم تذكر السبب الذى من أجله خرج موسى مسافراً ولم تذكر اسم العبد الصالح ، وإنما ذكرت بعض صفاته التى تتعلق بها العظة ، وهى أنه رجل آتاه الله رحمة من عنده ، وعلمه من لدنه . وهاتان الصفتان تقضيان على كل ما سطر الصوفية من أضاليل وأباطيل وأساطير حول الحقيقة والشريعة . فالذى كان العبد الصالح على بينة منه هو من الله وهو الحقيقة فى الشريعة . والذى كان موسى على بينة منه هو الحقيقة فى الشريعة . غير أن موسى وقت الاختبار كان موكولا إلى نفسه ! !

أما العبد الصالح ، فكان يتصرف بوحى من الله ، لا من نفسه ، فطابق عَمَلُه عِلْمَه ، أو طابقت شريعتُه حقيقتَه . فلم يكن ما فعله مخالفا لشريعته . وإنما كان مطابقاً كما ترى لما علمه الله ، وأوحاه إليه . وتدبر قول الله سبحانه « وعلمناه من لدنا علما » ليتجلى لك أن العبد الصالح ما كان يعمل إلا عن علم من الله . وسيأتى ـ إن شاء الله ـ فضل بيان عن هذا .

موسى صاحب القصة : هو - ولا ريب - موسى الرسول نبي بنى إسرائيل كليم الله . فقد نسب إلى كعب الأحبار وغيره أنهم يقول إن موسى القصة هو « موسى بن ميشا من أولاد يوسف بن يعقوب الذى كان نبياً قبل موسى » وهذا الزعم أسطورى ، فإن الله سبحانه لم يذكر فى القرآن مرة اسم موسى إلا وكان المراد منه موسى كليم الله سبحانه . فلو أن الله سبحانه كان يريد فى قصة الكهف موسى سواه ، لذكر معه صفة تميزه عن صاحب التوراة ، وقرينة تفصل فصلا تاماً بين موسى صاحب التوراة وموسى بن ميشان كما يزعمون ! !

وتجمع الأحاديث التى رويت عن أُبى بن كعب أن سبب ابتلاء الله لموسى بالعبد الصالح أنه سئل : أى الناس أعلم فقال : أنا أعلم . وموسى فى مقياس الحقيقة التى تقاس بمقاييس البشرية المؤمنة غير مخطىء ، هذا لأنه كليم الله . فهل يوجد من هو أعلم من كليم الله . ثم إن موسى لم يقل أنا العليم . ولكنه ذكر أنه أعلم الناس ، لأن يستمد علمه من الله دون وساطة من أحد . ولكن رغم هذا تذكر الروايات أن الله عتب عليه إذ لم يرد العلم إليه . فإنما النبوة فى جلاله وجماله لا يقبل مثل هذا التعالى : « أنا أعلم » إنما يقول إيمان النبوة الذى يرد كل سبب إلى سببه الحق : « الله أعلم » وإن كان السؤال غير متوجه فى الأصل إلى هذا الجواب .

تؤكد الآيات بسياقها المعجز فى روعته وبلاغته أنه كان لموسى موعد عند مجمع البحرين ؛ ليلتقى عنده عبداً صالحاً ، وأن موسى أكد عزمه على السير حتى يلقاه ، وإلا فسيظل أحقاباً طوالا يخب فى مسيره الدائب لا ينى عنه .

دلائل متلاحقة على قوة موسى ، وسمو همته ، وشغفه الذى أشرب به فى قلبه بالمعرفة .
وتستطيع من الآية القرآنية أن تفهم تماماً أنه قيل له مامعناه : ستلقى بغيتك عند مجمع البحرين عقب أن يضيع منك حوتك عند الصخرة . وكذلك ذكرت الأحاديث إذ تقول « فأوحى الله إليه — إلى موسى — إن لى عبداً عند مجمع البحرين هو أعلم منك .

قال موسى : يارب فكيف لى به ، قال : تأخذ معك حوتاً فتجعله فى مِكْتَل[١] فحيثما فقدت الحوت ، فهو ثَمَّ » أى فهو هناك .

وظل موسى سائراً وفتاه يحمل حوتاً ، حتى بلغا مجمع البحرين ، ونمت شُغِلا عن أمر الحوت[٢] ، فانسل الحوت من مكتله ومضى يتخذ له سبيلا منحدراً إلى البحر .

لم يذكر القرآن شيئاً عن قوم موسى وفتاه ، واقرأ الآية مرة أخرى . كل مايقوله : « فلما بلغا مجمع بينهما نسيا حوتهما » لكن بعض الأحاديث تسند إلى موسى أنه نام ، والأخرى تسند النوم إلى موسى وفتاه ، فانسل الحوت من مكتله .

و بعض الروايات فى البخارى لا تذكر شيئاً عن نوم موسى ، أو عن نوم فتاه .

ونعود إلى سياق القصة فى القرآن : وجاوز موسى المكان الذى نسيا عنده الحوت . فقال لفتاه — وقد أحس الجوع والتعب — آتنا طعامنا ، وكانا فى غدوة النهار ، ولهذا سمى الطعام غداء .

ونلحظ هنا من نسق الآية ونظامها أن موسى طلب الغداء عقب أن جاوز الصخرة بقليل[٣] ، فلا يعقل أن يظل سائراً بقية نهاره وليله ولا يتذكر غداءه إلا غدوة النهار اللاحق ، رجل مسافر مجهد تطالبه الفطرة البشرية بأن يتناول طعامه ، أتراه وهو فى سفره ووعثاء سفره يصبر على طعامه ، أو ينساه نهاراً وليلة ؟ ! .

وذكر موسى — كما يبين الله — مايشبه أن يكون علة لطلب الغداء . وهو القول

---

(١) مكتل أو مكتلة ، الزبيل الكبير . قيل إنه يسع خمسة عشر صاعاً كأن فيه كتلا من التمر أو قطعاً مجففة . وبهذا نستدل على أن الحوت لم يكن ضخماً ضخامة عجيبة كما نتصور ، فالمكتل وعاء يسع أقل من ثلاث كيلات على أكثر تقدير .

(٢) نسب النسيان إلى موسى وفتاه لأن موسى مسئول عن هذا النسيان مسئولية فتاه . ثم نسب الفتى النسيان إلى نفسه تأدباً مع موسى .

(٣) يدلك على هذا وجود الفاء فى كلمة « فلما » .

الذى قصه الله : « لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا » . والحكم على الفتى فى هذه الصورة البيانية بأنه لقى تعبا فى سفره كما لقى موسى، يدل على بر موسى ورأفته وتواضعه ، فأنت لا تحس من كلمات موسى سوى أنه يخاطب رفيقاً أو صديقاً لا خادماً . وتحس بأنه شعر بما شعر به الفتى ، أو حكم عليه بما حكم به على نفسه لأنه آدمى مثله[1] ، وهذه أريحية نفسية تشرق بها نفوس الذين يخشون ربهم .

وقال الفتى بطريقة تشعرك بالألفة التامة بينه و بين موسى ، وتوحى إليك بعمق هذه المودة بين الخادم ومخدومه « أرأيت إذ أوينا إلى الصخرة » يبعث بذكريات موسى وحواسه إلى وقت قريب ، ومكان غير بعيد ، يبعث بذاكرته و بصره إلى الوقت الذى أويا فيه إلى الصخرة ، حتى إذا تذكر موسى الأحداث أعان هذا التذكر على الصفح عن الفتى لأنه يتحمل التبعة مثله ، ولكن الفتى أتبع هذا التذكير باعتراف يحمل به نفسه المسئولية ، فقال : إنى نسيت الحوت .

ثم وجه النظر إلى عدو يرجمه كل مسلم بلعنته ، وهو الشيطان ، فقال : « وما أنسانيه إلا الشيطان أن أذكره » أى وما أنسانى ذكره سوى الشيطان . . بهذا القول كشف الفتى عن أدبه الرائع ، فالله سبحانه ينسب النسيان إلى موسى وفتاه فى قوله « فلما بلغا مجمع بينهما نسيا حوتهما » . غير أن الفتى الأديب الطيب الخدوم ، أبى إلا أن ينسب النسيان إلى نفسه هو لا إلى موسى ، غير أنه فى حذر الحكمة ودقتها فى البيان أشار دون إساءة ما إلى أن موسى يحمل معه أيضاً أمر النسيان وذلك فى قوله « أرأيت إذ أوينا إلى الصخرة » بهذا يتذكر موسى العمل المشترك بينه و بين الفتى ، فيتذكر أيضاً أنه نسى مع الفتى . غير أن الفتى بعد أن يسند فعل « أوينا » إلى نفسه وإلى موسى ، يسند فعل النسيان إلى نفسه فقط ، فتدبر هذا الحظ العظيم من الأدب العظيم .

---

(١) أين هذا ممن يحكمون على من يزعمون أنهم عبيد لهم بالوقوف طيلة النهار إما على أحذيته ، وإما على مخدعه ، وإما على شهواته ، وإما على تدليك قدميه ! ! .

وفرح موسى بما حدث؛ لأنه آية على قرب نواله ما كدَّ، وتعب من أجله ، ثم عادا يقصان الأثر؛ ليصلا إلى نفس المكان الذى نسيا عنده الحوت ، فوجدا عبداً صالحاً من عباد الله لم يذكر القرآن اسمه ، وإنما ذكره بصفة هى أعظم مايتصف به المرء المسلم فى حياته ، وهى أنه عبد لله وذكر وصفه مُنَكَّراً ، فقال « عبداً » ولم يقل « العبد » . وجاء بعده بما يؤكد انتساب هذه العبودية إلى ربها العظيم ، فليس هو عبد الصنم ، ولا عبد الطاغوت ، ولا عبداً لشهوة ، ولا عبداً لحاكم ، وإنما هو عبد من عباد الله سبحانه ، والجهل بالاسم لا ينال من قيمة العبرة بما فعل المسمى ، ولا سيما والله قد وصفه بما يرفعَ من شأنه ، فوصفه بأنه عبده ، وبأن الله آتاه رحمة من عنده ، وعلمه من عنده علما . وهذه العِنْدية تكشف فى جلاء عن جمال هذه الرحمة وجلالها ، وجلال هذا العلم وسموه . كان يمكن أن يقال « آتاه رحمة ، وعلمه علما » . ولكن جاءت الكلمتان « عنده » و « لدنا » تضيئان ، وتهديان الروح والعقل إلى سمو الرحمة والعلم .

والإتيان بكلمة « علم » نكرةً ، تفيد أنه نوع خاص من العلم ، هو استبطان حقائق الأشياء ومعرفة غيبها ، وهذا ما كان يجهله موسى عليه السلام .

وبوصف الله له أنه آتاه رحمة ، وأنه علمه من لدنه علماً تحددت مكانة العبد الصالح ، وعرف أنه نبي ، فهو ليس شيخ طريقة كما يزعم عَبَد التصوف ، وهو ليس من أهل الباطن المحدد مفهومه فى عرف الصوفية ، وإنما هو نبي من عند الله سبحانه .

وجاء موسى فى أدب جم يعرض على العبد الصالح رجاءه فى أسلوب يكشف عن شوق موسى ولهفته ، وأدبه العظيم ، إذ قال له « هل أتبعك » إن كلمة « هل » هنا تبسط لنا نفسية موسى حينئذ ، وتكشف عن شغفه بالعلم ، وعن أدبه فى الطلب . ماقال : « سأتبعك » ماقال : « علمنى » . وإنما عرض تبعيته أولا ، ثم طلب جزاء كريماً على التبعية ، هو أن يعلمه العبد الصالح مما عُلِّم ثم جاء بكلمة تكشف عن حقيقة العلم الذى يريده ، وهى كلمة « رشدا » إنه لا يريد إلا علماً خاصاً . هو العلم الذى يهب له رشدا .

قال العبد الصالح بإلهام من الله وتعليم منه : « إنك لن تستطيع معى صبرا » ، إذ ما كان له أن يتحدث عن غيب من نفسه ، ولا سيما ، وهو لم ير موسى من قبل ، ولم يجرب فكره ، ولا خلقه من قبل . ولقد جاء العبد الصالح بمؤكدات تثبت لنا أنه كان على يقين مما يقول مما يدل دلالة قاطعة على أنه كان يقول عن تعليم من الله ، لقد جاء « بإنّ » التى تؤكد الجملة الإسمية ، وجاء بكلمة « عن » التى تستغرق المستقبل فى نفيها ، وجاء بكلمة « صبر » نكرة ؛ لينفى عنه حتى القليل من الصبر . ولكن العبد الصالح جاء بكلمة « معىَ » ليقيد نفى الصبر عن موسى بها . فهو لا ينفى عنه الصبر مطلقاً بل ينفى عنه الصبر معه فقط . وقد حدث ماقاله العبد الصالح ، وانقطع صبر موسى عقب كل عمل كان يقوم به العبد الصالح ، وكان يعتذر ، ويعد ، ثم يرغمه ما يرى من العبد الصالح على الخروج عن صبره وعلى نسيان وعده .

ولقد تلمس العبد الصالح نفسه لموسى العذر بعد أن نفى عنه الصبر ، فقال له « وكيف تصبر على مالم تحط به خبرا » أن تطلع النفس إلى معرفة الأسباب الخفية وشغفها بمعرفة المجهول ، ولمح الغيوب ، فطرة كامنة فيها ، وموسى بشر ، لهذا حكم عليه العبد الصالح بما هو مركوز فى جبلة البشر ؛ وهو أنه لن يصبر على شىء يراه دون أن يعرف أسراره ، وبواطنه ، ورد موسى فى لهفة المؤمن : « ستجدنى إن شاء الله صابراً » والفصل بين « ستجدنى » ومفعولها الثانى « صابراً » بالاتكال على مشيئة الله ، إيمان دقيق قوى ملهم ، وتعليم لنا أن نكل الأمر إلى مشيئة الله مع القيام بأسبابه ، وبأنه يجب علينا ألا نجزم بأن شيئًا ما سيكون إلا بعد أن تأذن له مشيئة الله ، فهذه مشيئة رسول من أعظم الرسل لم تجر كما قدرلها صاحبها ونفذت مشيئة الله سبحانه[1] .

« ولا أعصى لك أمراً » استسلام رائع يجلى لنا حب موسى للعلم ، ومجىء « أمر » نكرة فيها شمول وعموم كان يلزم موسى بطاعة العبد الصالح فى كل شىء . وما قال موسى

---

(١) كيف يزعم بعد هذا زاعم أن مشيئة الشيوخ لها الحكم على مشيئة الله ؟ .

هذا إلا بعد أن تبين له تقوى العبد الصالح وأنه لن يأمره بمعصية ، وإلا فقد كان له أن يقول « ولا أعصى لك أمراً صالحاً » .

وضح العبد الصالح شرطه ، وهو ألاّ يسأله عن شيء حتى يحدثه العبد الصالح عن أنبائه ، وطوى القرآن التصريح بما أجاب به موسى عن هذا الشرط ، غير أن سياق الآيات يدلنا على أن موسى وافق على هذا .

وقبل أن أترك الحديث أعود إلى رجاء القارىء ، وهو أن يتدبر القصة من القرآن بعد أن يقرأ ما كتبت ، فربما ندّت عنى كلمة ، أو بدر من القول ما لا يوافق سياقها الكريم الجليل فى القرآن .

وفى العدد القادم – إن شاء الله – أتكلم عن القصة كما وردت فى الأحاديث ، وعن الخضر الذى صورته الأساطير ! !

أضرع إلى الله أن يهب لنا السداد فيما نعمل ونقول ، وأن يوفقنا إلى ما يحقق لنا محبته ورضوانه .

عبد الرحمن الوكيل

« ليس الصيام من الأكل والشرب ، وإنما الصيام من اللغو والرفث ، فإن سابك أحد أو جهل عليك فقل : إنى صائم ، إنى صائم ، وكم من صائم ليس له من صيامه إلا الجوع والظمأ ، وكم من قائم ليس له من قيامه إلا السهر » حديث شريف .

« لا تزال أمتى بخير ما أخروا السحور وعجلوا الفطر . وتسحروا فإن فى السحور بركة » حديث شريف .

بساطة العقيدة الإسلامية

ما أبسط عقيدة الإسلام ، وما أيسرها على النفس المؤمنة . إنها اليسر الذى لا حرج معه والكمال الذى لا نقص فيه . هى إيمان نظرى بمده تصديق تام بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، والقَدَر خيره وشره ، وحلوه ومره ، دون تفريق بين أحد من رسله . وإسلام عملى نتيجة الإيمان النظرى يدفع للؤمن إلى الانقياد التطبيقى لجميع المأمورات فعلا ، والمنهيات تركا .

والانقياد التطبيقى وهو الإسلام لا يخرج عن العادات العملية كالصلاة والصوم ، والزكاة والحج ، والتزام الصراط السوى فى الإلهيات ، وعدم الانحراف بها إلى التشريك الذى هو أساس كل بلاء .

وهو لا يخرج أيضا عن المعاملات التى لا تنحصر فى البيع والشراء ، والشركة والمزارعة والمضارعة فحسب ، وإنما تمتد إلى ما وراء ذلك من شتى الروابط الإنسانية .

والغاية من كل ذلك تزكية النفس ، ونظافة القلب ، وسمو الخلق . فكمال الأخلاق ثمرة التدين ، والهدف من ذلك . إصلاح الفرد الذى يؤدى إلى إصلاح الجماعة فيعيش المسلم فى مجتمع سليم قانونه الضمان الاجتماعى ، ورائده الحب فى الله والبغض فى الله ، بل يتجاوز ذلك المجتمع الإسلامى إلى الأخوة الآدمية يغمرها بالعدل والمساواة والسلام ، ويتمنى لها الهداية « كلكم لآدم وآدم من تراب »[1] كما فى قوله تعالى (يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم) « سورة الحجرات » .

* * *

والقرآن الكريم يطلب من الإنسان أن تكون العقيدة منبعها العقل وليس المنفعة ، أو تقليد الآباء ، أو طاعة السادة والكبراء ، أو تحيز إلى الصف الذى يغمر أهله بالمنافع العاجلة ، أو يدفع عنهم الخوف المدمر .

---

(١) حديث شريف .

ويصكهم بالآيات ﴿ إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون ﴾ (سورة الزخرف) ﴿ ومن الناس من يعبد الله على حرف فإن أصابه خير اطمأن به وإن أصابته فتنة انقلب على وجهه خسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين ﴾ « سورة الحج » ﴿ إنا أطعنا سادتنا وكبراءنا فأضلونا السبيلا ﴾ « سورة الأحزاب » ﴿ وقالوا إن نتبع الهدى معك نتخطف من أرضنا ﴾ « سورة القصص » .

ويهيب بهم أن ينظروا ويتفكروا ﴿ أو لم يسيروا فى الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا أشد منهم قوة وأثاروا الأرض وعمروها أكثر مما عمروها ﴾ (سورة الروم) ﴿ أو لم يتفكروا ما بصاحبهم من جِنّة إن هو إلا نذير مبين . أو لم ينظروا فى ملكوت السموات والأرض وما خلق الله من شىء ﴾ (سورة الأعراف) ﴿ قل انظروا ماذا فى السموات والأرض وما تغنى الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون ﴾ (سورة يونس) .

* * *

والدين الإسلامى فى يسره لم يوجب أن يكون الشرط فى صحة النظر فى الإسلام بترتيب المقدمات المنطقية ، والفلسفات العقلية ، وإنما الغرض الوصول إلى الإيمان من أقرب طريق ، وأبواب النظر مفتوحة للجميع من أى مستوى . فالخلق دليل على الخالق والرزق دليل على الرازق . والبعرة تدل على البعير . والعالم كله أوجده ، ودبره ، وكلأه المبدع العظيم ﴿ رب السموات والأرض وما بينهما إن كنتم موقنين ﴾ .

الملحدون

ربما يعترضنا سؤال عن نزعة الالحاد المتفشية فى بعض المجتمعات التى تنسب نفسها إلى المدنية الحديثة فكيف يجاب عنه . ونحن نقول أن نزعة الشك البريئة البعيدة عن الدواعى البيئية والتعصب الأعمى الممقوت إنما هى نتيجة الغفلة . فرجال الأعمال والأموال الذين ألهتهم أموالهم وأعمالهم عن كل شىء واستغرقت كل أوقاتهم ، يقولون إنهم لا يدرون شيئا ، والقرآن يقرع أسماعهم وعقولهم لإيقاظها ولفتها إلى المعالم المنشورة فى كل مكان .

وفى كل شىء له آية تدل على أنه الواحد حتى لا يقولوا ﴿ إنا كنا عن هذا غافلين ﴾

وقد يكون مبعث الجحود غروراً يصاحب الجاحد بسبب علم وصل إليه ، أو قوة مستعظمة ، أو غنى مفرط ، أو غير ذلك .

﴿ فلما جاءتهم رسلهم بالبينات فرحوا بما عندهم من العلم ﴾ (سورة غافر) .

﴿ وقالوا من أشد منا قوة ﴾ (سورة فصلت) ﴿ إن الإنسان ليطغى أن رآه استغنى ﴾ سورة العلق. هذا القدر الضئيل من العلم،أو القوة ، أو الغنى إنما هو قطرة من بحار فى جانب علم الله وقوته وغناه . فمفاتيح الغيب لا يعلمها إلا الله ، ولو اجتمع الأقوياء جميعا لم يستطيعوا أن يخلقوا ذبابة ولو اجتمعوا له ، كما لا يستطيعون أن يقتصوا منه إذا سلبهم الذباب شيئا ، وتحداهم الله باختلاف الليل والنهار وأن يغيروها بسرمدية أحدهما . . وهناك أشد عوامل الإلحاد وهو الرغبة الجامحة فى عبادة الغرائز الدنيا ﴿ أفرأيت من اتخذ إلهه هواه وأضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة ﴾ (سورة الجاثية) أولئك الذين سدوا منافذ الهداية ، فكفروا ليفجروا وأنكروا وجود الخالق وسبحوا فى عالم اللذة سبحا طويلا متصلا بغاية الهلاك . والاستعمار الغربى هو الذى فتح باب عبادة الهوى ليخلق من شبابنا الأغرار شبابا طريا ، لا يهمه الوطن ولا تهمه القومية . ولكن يهدف إلى تقوية الاستعمار من حيث لا يدرى ، وحسبه إرواء ظمئه من اللذات الخبيثة . وكان من أجل ذلك البهائية وغيرها من النحل المنحرفة .

ولو أن شباب المسلمين تركوا وفطرتهم لجنحوا إلى استقامة العقيدة وتكون منهم المجتمع الفاضل ، وتحقق وعد الله لهم فى قوله ﴿ وأن لو استقاموا على الطريقة لأسقيناهم ماء غدقا ﴾ .

ولطالما صاح الواعظون : نحن فى أشد الحاجة إلى أخلاق كاملة ولكن من أين نأتى بالأخلاق الكاملة وليس مناطها سوى العقيدة الراسخة فى أعماق القلوب ، وإقامة العبادات التى تبعثها تلك العقيدة بعثاً يثمر مكارم الأخلاق وحسن المعاملات . وأرجو أن أوفق فى فرصة قريبة — إن شاء الله — إلى بيان نتائج العبادات وصلتها بغرس الأخلاق . والله المستعان ؟

أحمد أحمد على حسن
رئيس جماعة أنصار السنة المحمدية — بسوهاج

البحـــــــر

بقلم السيدة الجليلة حرم الدكتور محمد رضا رحمه الله

« سافرت الأخت الجليلة مع محرم لها إلى أوروبا لأمر صحى ، واقترحت عليها ـ حين ودعتها ليلة سفرها ـ أن تكتب لنا عما تشاهده من آثار قدرة الله وجلاله وجماله ، وعما تشعر به من عبرة يجليها قلمها العبقرى .

والله يقول : « أو لم يسيروا فى الأرض ، فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا أشد منهم قوة وأثاروا الأرض وعمروها أكثر مما عمروها ، وجاءتهم رسلهم بالبينات فما كان الله ليظلمهم ، ولكن كانوا أنفسهم يظلمون » .

وقد برت السيدة الجليلة بما وعدت . وهذه أولى مقالاتها وقد كتبتها عن بديع صنع الله فى البحر فى أسلوب رقيق مشرق يكشف عن موهبة رائعة فى الأدب الفنى . والله أسأل أن يمد لنا فى عمر السيدة الجليلة ، وأن يجزيها عن الإسلام وأهله أبر الجزاء . ولعلنا نحن أنصار السنة أحوج ما نكون إلى تعلم البيان القوى ؛ لأننا نعرف الحجة القوية . ولنذكر الحديث « إن من البيان لسحرا » .

عبد الرحمن الوكيل

* * *

(الله الذى سخر لكم البحر لتجرى الفلك فيه بأمره ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون)

(الله الذى خلق السموات والأرض وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم وسخر لكم الفلك لتجرى فى البحر بأمره وسخر لكم الأنهار) .

يذكر الله تعالى عبده فى هاتين الآيتين الكريمتين بنعمة البحر . إذ لولا البحار ما كانت الأمطار . ولولا الأمطار ما كانت الأنهار . فإن البحر مخزن ميـــاه الأرض . ومن الماء كل شىء حى . والبحر أيضاً سبيل المواصلات بين الموانى والقارات . فلولا البحر

مايتيسر للبلاد مهما كانت نائية أن تتبادل تجارتها ومحصولاتها فتنتفع وتنفع غيرها . إذ لولا البحر ما جرت الفلك بما تحمل من فضل الله لتنقله إلى شتى البلدان . فإن البواخر تحمل الكثير من البضائع والأقوات والصناعات . بل تحمل الآلات الضخمة والسيارات . فلقد دهشت لما رأيت فى الثغور مما تنزله الباخرة إلى الأرض من صناديق وسيارات وحيوانات ثم تملأ من هذه الأرض ما أفرغته من مخازن لتفرغه فى أرض أخرى . فسبحان من سخر الفلك التى تجرى فى البحر بما ينفع الناس .

أبحرت الباخرة (إسپيريا) وتقدمت بنا بين زرقتين مختلفتين ، زرقة قاتمة مائجة تنبسط تحتنا مستديرة إلى الآفاق . وزرقة صافية هادئة تمثل فوقنا حتى تلتقى الزرقتان حولنا. و بعد قليل رأينا شاطىء الأسكندرية وقد ابتعد عنا أو بالأحرى قد ابتعدنا عنه ، فبدا كأنه شريط فى الأفق يخاله الناظر يعلو ويهبط ، فيبدو ويتوارى خلف مؤخرة الباخرة لأنها كانت تتأرجح فوق أمواج ثائرة صاخبة ، حتى إذا أدركت كل منها غريمتها انقضت عليها فارتطمتا قافذتين . وانهالتا مزبدتين . ثم تلاشتا معا فى رذاذ يتناثر متساقطا إلى الجانبين . جيش عرمرم يموج ويمتد إلى الآفاق . يتقدم فى سرعة . ويتلاحم فى قوة . ويبطش فى قسوة . ويتفانى حتى يفنى إذ تذوب كل موجة فى موجة أخرى . كل ذلك والباخرة تشق بمقدمتها هذه الصفوف من جيوش الموج المهاجمة فتقذف بها إلى الجانبين مقهورة متلاطمة. ولكنها كانت تمور مورا ، وتمايل ذات اليمين وذات اليسار وتقفز صاعدة ثم تنزل هابطة كأنها ريشة فى مهب ريح صرصر عاتية ، أو حبة قمح فى قدر يغلى فيه ماء . وكان لون البحر شديد الزرقة ترتسم فوقه تموجات من الزبد تتلوى وتتراقص وتنتثر على صفحته من رذاذها الأبيض فتكسوه حلة رقطاء . وعند الغروب انعكس احمرار ضوء الشمس على ماء البحر فصار كنار تتأجج ، وكأن أمواجه ألسنة من اللهب تندلع مزمجرة وتتلوى راقصة .

إعترانا دوار فأوينا إلى فراشنا فإذا بنا كأننا نرقد فى غربال يقذف بنا إلى جميع النواحى وظللنا كذلك حتى غلبنا النوم .

استيقظنا فى الغد فإذا بالبحر قد هدأ ثائره ، والحمد لله على فضله ، وظل يهدهدنا على

صدره فى رفق . ومر يومان والبحر على هدوئه وفى اليوم الثالث اقتربنا من خليج (مسينا) وبدا لنا شاطىء إيطاليا كالدخان ، أو كسحب قاتمة فى الأفق . ثم أخذت الجبال تتضح بالتدريج صفا من وراء صف ، وكل صف يبدو أقتم مما وراءه ، إذ كلما زاد الوضوح كلما زها اللون . فكان من سلاسل هذه الجبال شريط مدرج اللون يمتد أفقيا بين زرقة السماء وزرقة الماء . ثم ظهر ما على الجبال من نتوء وفروج ، فكان ما نتأ منها يلمع بضوء الشمس وما انخفض يتوارى مظلما . فيتراءى للناظر كثوب أدكن اللون قد نقش عليه بلا نظام رسمات لامعة متنوعة الشكل مختلفة الحجم .

وبعد قليل بدا لأعيننا مدخل خليج (مسينا) وقد انفرج شاطئاه وامتدا متباعدين كأنه يمد ذراعيه ليحتضن ويعانق القادم إليه حفاوة وترحيبا . وتقدمت الباخرة إلى حضنه ودخلنا فى صدره متوغلين بين شاطىء جزيرة صقلية عن يسارنا وشاطىء إيطاليا أو مسينا عن يميننا . ورأينا على الجانبين جبالا تنتشر فوقها مساكن جميلة ذات أسقف حمر وكثيرا من مصاب الأنهار تنحدر إلى البحر من الجبال فيلتقى الماءان ويختلط اللونان زرقة ماء البحر . بابيضاض ماء النهر .

ابتدأ الخليج عريضا ثم تقارب الشاطئان كلما تقدمنا حتى صار عرضه كعرض نهر النيل أربع مرات أو زيادة . ثم خرجنا منه بعد أن اجتزناه فى أكثر من ساعتين وتركنا هذه الشواطىء وهذه الجبال تتضاءل كلما نأينا عنها حتى غابت عن أعيننا فى الأفق . فما أجمل النمو والوضوح بعد الغموض . وما أروع التلاشى والاختفاء بعد الظهور . فلقد رأينا ما رأينا دخانا فى الأفق ثم شيئا غامضا ثم اتضح هذا الغموض تدريجيا حتى تجلى وتجسم . ثم عاد إلى التلاشى التدريجى فتضاءل حتى غاب كأنه ما كان لولا ما انطبع فى ذاكرتنا . وهكذا هى الحياة الدنيا بفرحها وترحها وسعادتها وشقوتها . نشوء فنمو . ثم تلاش فغياب .

ابتعدنا عن صقلية ومسينا واختفى أثرهما وصرنا فى بحر لا نرى فيه إلا الآفاق تحيط بنا دائرة من كل النواحى كأننا فى وسط قرص أزرق قاتم اللون تظلله وتحيط به قبة زرقاء زاهية تحتضن زرقة قاتمة . وتماوج ضوء الشمس على سطح البحر فصار كالإستبرق إذ كان

يلمع وتتنوع زرقته من زاهية إلى أزهى . ومن صافية إلى أصفى وأبهى . وصرنا فى سكون لا يسمع فيه إلا زفير الماء وهو يتمزق بمقدمة الباخرة التى كانت تمخر متبخترة وتمايل ذات اليمين وذات اليسار كأنها تميس دلالا واختيالا فى لانهاية زرقاء وكأنها تسبح فى زرقة السماء لا فى لجة الماء .

وفى الليل اقتربنا من بركان استرمبولى . وما أدراك ما استرمبولى. إنه هرم هائل يعلو عن سطح البحر ٩٢٦ مترا يبرز من البحر وحده ، وينبعث من فوهتيه عمودان من الدخان الأحمر فيتراكان فوق سحابة حمراء . أليس عجيبا أن يكون جبل نار فى وسط البحر تتأجج فيه النيران فيحترق من الداخل ويغتسل من الخارج ؟ . زدنا قربا من البركان فبدا لنا فى الظلام عينان حمراوان متقدتان يتطاير منهما الشرر . إذ للبركان تحت قمته المدببة الهرمية ثغرتان متوهجتان كلما هبت النار واندلعت من فوهته العليا تفجرت منهما مواد ملتهبة متوهجة وتدفقت كالماء جارية كأنهما غديران من النار قد نبعا من رأسه وانحدرا إلى سفحه . فمن وقت لآخر يرعد ويزمجر ويندلع من فوهته فى قمته لهب أحمر ينير ما يظلله وما يتراكم فوقه وما يقذف به من دخان ، فترى فوقه سحابة حمراء قانية ويزيد توهج عينيه وتدفق النار وتطاير الشرر منهما . فيا للهول ويا للعجب . ما الذى يغضبك أيها الجبل المسكين حتى تبكى طوال حياتك دموعا من نار وتزفر زفرات ملتهبة مستعرة . ويتأجج فى قلبك لهيب الغضب والسخط فيتطاير من عينيك المتقدمين الشرر ؟ . أيغضبك ماتراه من فجور الإنسان وكفره أنيران وجد . أم نيران حقد : ما أشد غضبك . أو ما أعظم حبك . وما أثبت قلبك . حتى تتأجج النار بين جوانحك من قديم ولم تخب ولن تخمد إلى أن يأذن الله .

وقفت ساهمة أنظر إلى البركان والسحب تشف عن وجه البدر . ونوره الخافت يتلألأ راقصا على أمواج البحر ، أرى احمرار نار البركان يلمع متوهجا . وابيضاض ضوء البدر يلمع متموجا . هذا يتأجج غضبا . وذاك يرقص طربا . وهذا يبدو ساخطا ثائرا . وذاك يبدو هادئا راضيا .

ومن أعجب العجب أن هناك مساكن على انحدار سفح البركان وأن يعيش قوم

منعزلين عن العالم فى هذا القفر ، يصيدون الأسماك ويشربون من آبار أو مما يختزنون من ماء المطر .

إن هؤلاء الناس يفضلون جيرة النيران وخطر ثورة البركان . على ثورة وخيانة الإنسان . وصوت زمجرة الهب . على ضجيج اللهو والطرب .

وصلنا ثغر (جنوا) قبل ظهر الغد . ونزل إليها آلاف من المسافرين وتلال من البضائع والحقائب . ورأيت بعينى معنى قوله تعالى [ربكم الذى يزجي لكم الفلك فى البحر لتبتغوا من فضله] .

من آداب الصائم

يقول الرسول صلى الله عليه وسلم « للصائم فرحتان : فرحة عند فطره ، إذا أفطر فرح بفطره . وفرحة عند لقاء ربه ، إذا لقى ربه فجزاه ، فرح بصومه . والذى نفسى بيده لخلوف فم الصائم أطيب عند الله ، يوم القيامة ، من ريح المسك » .

ومن أكل ناسياً أو شرب ناسياً وهو صائم فليتم صومه ، فإنما أطعمه الله وسقاه .

وفى رواية : إنما هو رزق ساقه الله إليه ، فلا قضاء عليه ولا كفارة .

وثلاث لا يفطرن الصائم : الحجامة والقىء والاحتلام . ومن ذرعه القىء وهو صائم فليس عليه قضاء . ومن استقاء عمداً فليقض . وكان النبى صلى الله عليه وسلم يستاك أول النهار وآخره وهو صائم .

وأول شهر رمضان رحمة ، ووسطه مغفرة ، وآخره عتق من النار . وخير خصال الصائم السواك . والصائم فى عبادة من حين يصبح إلى يمسى ما لم يغتب مسلماً أو يؤذه ، فإذا اغتاب خرق صومه ، والصيام جنة ، وحصن حصين من النار ما لم يخرقها بكذب أو غيبة .

ذكريات عزيزة فى رمضان

من الذكريات العزيزة التى ترسخ فى أعماق النفس . وينعطف إليها القلب هى تلك الذكريات التى ترتبط بأحداث جليلة مما أفرد لها التاريخ صفحات بيضاء ناصعة فى سجله الحافل لتكون حية خالدة على مر الدهور والأزمنة .

وشهر رمضان الذى نستقبله اليوم حافلة أيامه بذكريات عزيزة من هذا النوع . . ذكريات خالدة مجيدة لا ينالها الزمن بالمحو . ولا تهيل السنون على معالمها النسيان . ذلك لأن أحداث هذه الذكريات غيرت من حياة أمم وشعوب . وصنعت تاريخًا جديداً لمجتمع كان يعيش فى ظلمات وجهالة . ويتقلب فى حياة مليئة بمفاسد عقائدية واجتماعية .

وإذا فتشنا فى سجل التاريخ الاسلامى عن أولى الذكريات التى توجت شهر رمضان . فسنجدها ذكرى عزيزة غالية تحتل من قلب كل مسلم مكان الصدارة والاعتزاز . . تلك هى نزول القرآن « المعجزة الإلهية الكبرى » .

ففى يوم عظيم حافل بالتأملات والمناجاة من أيام شهر رمضان المبارك هبط الوحى « جبريل » على رسول الله صلوات الله عليه وهو فى غار حراء بعيداً عن مفاسد قريش ومعتقداتها وأصنامها ، فجلس إليه وقال له : اقرأ . قال الرسول « ما أنا بقارئ » فعصره جبريل حتى ظن الرسول أن الموت قد حضره . ثم أرسله وقال : اقرأ . قال الرسول « ما أنا بقارئ » فعصره مرة ثانية حتى ظن أنه الموت. ثم أرسله وقال : اقرأ . قال الرسول «ما أنا بقارئ» ؛ فعصره مرة ثالثة حتى ظن أنه الموت ثم أرسله وقال : « اقرأ باسم ربك » الذى خلق . خلق الإنسان من علق .. » .

وهكذا نزل القرآن فى هذا الشهر يشرق على العالمين بالنور والهدى والخير ، لينير لهم طريق الحياة الطيبة . ويهديهم للتى هى أقوم . كما يقول تعالى (شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن هدى للناس و بينات من الهدى والفرقان — ١٨٥ : البقرة) .

وفى شهر رمضان المبارك يتلو المسلمون القرآن كله طوال لياليه تذكراً منهم بنعمة إنزال القرآن ، وشكراً لله على هذه النعمة الجليلة . وقد كان جبريل يأتى رسول الله صلوات الله وسلامه عليه كل ليلة فى رمضان ليدارسه القرآن .

ويذكرنا شهر رمضان بعدة غزوات خرج إليها الرسول والمسلمون حيث تردد صداها الكبير فى شبه جزيرة العرب مؤذنة بنصرة دين الله والقضاء على دين الوثنية والباطل .

وأولى تلك الغزوات هى السرية التى خرج فيها حمزة بن عبد المطلب فى جيش قوامه ثلاثون رجلا من المهاجرين يعترضون عيراً لقريش آتية من الشام . وفى العير أبو جهل ابن هشام . فلما بلغ المسلمون سيف البحر من ناحية العيص ، التقوا بالمشركين واصطف الفريقان للقتال : ولكن حليفا لهما حال بينهما فعاد المسلمون إلى المدينة دون قتال .

ثم كانت غزوة بدر الكبرى فى السابع عشر من رمضان . . تلك الغزوة التى كانت بحق حداً فاصلا بين عهدين . عهد وثنية وظلمات وضلال . . وعهد توحيد ونور وهدى . ومن أجل تلك الغزوة خرج الرسول صلوات الله عليه والمسلمون معه ليعترضوا قافلة أبى سفيان وهى مقبلة من الشام . وكانت هذه العير قد افلتت من النبى صلى الله عليه وسلم حين سارت بإزاء الساحل وهى متجهة إلى الشام بتجارة عظيمة .

وعندما عرف أبو سفيان بما اعتزمه النبى ، أسرع بإرسال مبعوث إلى قريش يستنفرها لحماية عيرها فخرجت النجدة وعلى رأسها أبو جهل واتجهت إلى بدر وهناك نازل المسلمون جيش قريش . والتقت سيوف الجميع فى معركة حامية انتهت بهزيمة جيش قريش على يد جيش المسلمين الذين أمدهم الله بقوة من عنده . . وبذلك انتصرت قوى الخير على قوى الشر والبغى والباطل .

ثم كانت بعد ذلك غزوة بنى سليم حيث خرج إليها الرسول صلى الله عليه وسلم بعد

فراغه من بدر بسبعة أيام . فمكث ثلاثة أيام فى مكان يقال له الكدر[1] فى انتظار المشركين . ثم عاد إلى المدينة ولم يقاتل أحدا .

ثم كان الخروج إلى غزوة النصر المظيم . والظفر الكبير وهى « فتح مكة » وفى تلك الغزوة أمر رسول الله أهله بتجهيزه . كما أمر الناس بالتجهز . وأخبرهم أنه سائر إلى مكة . ونصحهم بالتهيؤ والجد وقال « اللهم خذ العيون والأخبار على قريش حتى نبغتها فى بلادها » ثم خرج من المدينة قاصداً مكة فى عشرة آلاف من المسلمين المهاجرين والأنصار . ولم يتخلف عنه منهم أحد .

فلما غدا رسول الله صلى الله عليه وسلم على مشارف مكة منّ على أبى سفيان ـ وكان قد أسلم ـ بأن جعل من يدخل بيته من أهل مكة آمناً . . ومن يدخل المسجد فهو آمن . ومن يغلق عليه بابه فهو آمن .

وعند ما التقى أبو سفيان بقريش صرخ بأعلى صوته : يا معشر قريش هذا محمد قدجاءكم فيما لاقبل لكم به فمن دخل دار أبى سفيان فهو آمن وأن من أغلق عليه بابه فهو آمن ومن دخل المسجد فهو آمن . .

ودخل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة فاتحا . فقصد إلى المسجد وطاف بالبيت الحرام . ثم حطم الأصنام التى كانت حوله . كما أمر بمحو الصور التى بالكعبة . ثم وقف ببابه وقال : رافعاً صوته صوب قريش « لا إله إلا الله وحده لاشريك له ، صدق وعده . ونصر عبده وأعز جنده ، وهزم الأحزاب وحده . . إلخ » وبذلك استقر الأمر لدولة المسلمين فى بلاد العرب ، و بدأوا فتوحاتهم للبلاد والأمصار .

تلك هى الذكريات العزيزة التى حدثت فى رمضان فى فجر الإسلام . والتى شهدها الزمن . وسجلها التاريخ فى صفحاته بمداد الفخر والتمجيد . . فما أعظمها ذكريات عطرة ، تذكر المسلمين بماضى أسلافهم المجيد . وتشعرهم بما فى دينهم الحق من عظمة وقوة وعزة .

سعد صادق محمد

---

(١) موضع بالقرب من المدينة .

﴿ الحكم والحكام فى الإسلام ﴾

آية السعادة أن يعيش الإنسان فى طمأنينة وراحة . وسلام ومحبة ، وسكينة واستقرار . وطيب الحياة وهناءتها ، وعزها وسعادتها لا تكون فيما يختاره المرء لنفسه أو فيما اختاره له غيره من البشر . لأن الإنسان هو العبد المخلوق الذى لا يدرك حسن الأشياء وقيمتها من مدلولاتها الواقعية فى الماضى البعيد ، أو المستقبل القريب . . ! ! وذلك لا يكون إلا من لدن حكيم خبير ! ! .

ومَنْ غير الله يعلم ما خفى وما ظهر ، وما غاب وما حضر ، وما يضر وما ينفع وما يسعد وما يشقى ؟ . . ! ! إنه خالق للعبد بقدرته ، ونافخ فيه من روحه ، ومسويه بمشيئته ، فلا يدعه فى الدنيا هائما على وجهه . لا يدرى لم خلق ، ولا كيف يسير ، ولا إلى أين المصير ؟ ! ! كلا . . . فتعالى ربنا عن اللهو والعبث ، إنه هو الحكيم العليم . . . !

فهو سبحانه شرع لهؤلاء الخلق فى دنياهم ما يكفل لهم سعادتهم وهناءتهم ، وعزهم وراحتهم كل أمة وما يصلح لها ، حتى جاءت آخر الأمم . الأمة الباقية إلى نهاية هذا الوجود وكان دستورها دستور السابقين لها فى أصول الشرائع : « شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذى أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى ، أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه » « يريد الله ليبين لكم ، ويهديكم سنن الذين من قبلكم ويتوب عليكم ، والله عليم حكيم ، والله يريد أن يتوب عليكم ، ويريد الذين يتبعون الشهوات أن تميلوا ميلاً عظيما . يريد الله أن يخفف عنكم وخلق الإنسان ضعيفاً » .

وأمر صاحب هذه الرسالة (صلى الله عليه وسلم) أن يحكم بينهم بما أنزل إليه . ويعلم أمته أن هلاكها فى التولى عن شرعته ومنهاجه : « وأن احكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم ، واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله إليك ، فإن تولوا فاعلم أنما يريد الله أن يصيبهم ببعض ذنوبهم وإن كثيراً من الناس لفاسقون » . .

ومقتضى إيمان المؤمن أن يخضع لأوامر الله . ويجعلها محل توقيره واحترامه . ويجتهد في إنفاذها سرا وجهرا . ولا محيص لمؤمن أبدا إذا أمر الله بشيء أن يهجر أمر ربه ويدع حكمه « وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا » . « إنما كان قول المؤمنين إذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم أن يقولوا سمعنا وأطعنا » لا عصينا وجحدنا ! !

فمرد الحكم إلى الله ولنبيه المبلغ (ص) في كل ما نشب فيه الخلاف ليس لأهواء الناس وآرائهم . ويكون الأذعان والقبول لما حكما به « فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما » .

فمن ظن أن الله لا يحكم بالعدل فهو كافر . ومن حكم غير الله في شئون الخلق فهو كافر ، فإن من ضروب الوثنية استغناء مخلوق في الحل والحرمة : فشيخ الطريقة الذي يحل لأتباعه ويحرم عليهم من وحي هواه وشهوته كافر . والذي يسير على حكمه وثني لاتخاذه إياه ندا مع الله : كذلك الحاكم الذي يجعل مرد الأشياء إليه مجرم كفور . والذي يرضى بحكمه ويتبعه فيه وثني موتور ، روى ابن كثير في تفسيره أن عدي بن حاتم عند ما سمع قول الله جل شأنه يصف المسيحين: « اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله والمسيح ابن مريم وما أمروا إلا ليعبدوا إلها واحدا لا إله إلا هو سبحانه عما يشركون » قال عدي: يارسول الله . ما كنا نعبد الأحبار والرهبان فقال له الرسول (ص) : ألم تكونوا تسألونهم في شئون الحلال والحرام . فيفتونكم بما يرون ؟ يحلون الحرام ، ويحرمون الحلال ؟ قال بلى : قال فذلك اتخاذهم أربابا من دون الله . » فاتخاذهم أربابا من دون الله لم يكن بالسجود لهم ، وعبادتهم لم تكن بالمعنى المتبادر إلى الأذهان . وإنما كان بتحكيمهم في شئون الناس ، وحكمهم بغير ما أنزل الله .

فالسمع والطاعة لما أنزل الله هما أمارة الإيمان المقبول . وعلامة اليقين الصحيح !! أما أن يقول الإنسان لا سمع ولا طاعة — لما أنزل الله من أحكام — فهو مخالف بهذا

لمقتضى الإيمان . وخارج على حدود الله !! والخروج على حدود الله هو عين الجحود والكفران . وعدم الحكم بما أنزل الله هو — أيضاً — منبع الكفر والظلم . والفسوق والعصيان !! قال الله جل شأنه : « ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون . . ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون » .

قال ابن عباس : من لم يحكم بما أنزل الله جاحدا به فهو كافر . ومن أقر به ولم يحكم به فهو ظالم فاسق . وعليه فلا سمع ولا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق !!! ولا يليق بالمؤمنين أن يتركوا شرائعهم إلى شرائع البشر . وواجبهم أن يظلوا على حفاظهم لله ورسوله ودينه كى لا يكونوا ممن قال الله فيهم : « أفحكم الجاهلية يبغون ؟ ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون » .

فالحكم منزلته خطيرة عند الله لذلك أولاه من التوضيح والتبيين ما لم يول سواه مثله ، ذلك لأنه هو المشرع فالخضوع إليه لا يكون إلا بما شرع وسن . والخضوع لمشرع معه أو غيره عين الشرك به . فمن ذلك كانت منزلة الحاكم أخطر وأشد لأنه يقوم عليها . ويسهر على تنفيذها إن كان من المؤمنين ، ويعطلها ويدوسها إن كان من الفاسقين !!

عدل الحاكم بين رعاياه وحبه لشعبه ، وإخلاصه له ، وحنوه عليه، هذا شأنه أن يوثق الصلة بين الحاكم والمحكوم ، ويربط بينهما برباط وثيق لاتنفصم عروته ، ولاتهن قوته ، فتشيع الطمأنينة ، وتستقر الأوضاع ، ويمضى كل إلى غايته . فبينما الحاكم يعمل دائباً على إصلاح أمته والنهوض بها ، إذا بالمحكوم يتجاوب معه . ويضطلع بعبء الإصلاح عن رضى واختيار وقد أظل الجميع ألوية الأمن والسلام . ومن ثم أعظم الإسلام شأن الحاكم العادل ونوه به . فيوم من أيام عدله فى ميزان حسناته خير من عبادة ستين سنة وقيام لياليها وصيام نهارها . روى الطبرانى عن ابن عباس بسند حسن أن النبى (ص) قال : « يوم من إمام عادل أفضل من عبادة ستين سنة » وهو رفيع المنزلة عظيم الجاه عند الله والناس . روى الترمذى عن أبى سعيد الخدرى أن رسول الله (ص) قال : « أحب الناس إلى الله يوم القيامة

وأدناهم منه مجلسا . إمام عادل ، وأبغض الناس إلى الله تعالى ، وأبعدهم منه مجلساً إمام جائر » .

والحاكم العادل مستجاب الدعوة وفى ظل الله يوم لا ظل إلا ظله !! .

روى مسلم عن عبد الله بن عمرو بن العاص أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إن المقسطين عند الله على منابر من نور ، عن يمين الرحمن ، وكلتا يديه يمين . الذين يعدلون فى حكمهم وأهليهم وما ولُّوا » . وهو موطد السلطان ما بقى العدل خلقا له . فإذا تقلص عنه ظله وهو عدله ، كان ذلك إيذاناً بزوال حكمه وغروب شمسه . . ! ! !

روى الإمام أحمد عن أبى موسى أن رسول الله صلوات الله وسلامه عليه قال : « إن هذا الأمر فى قريش ما إذا استرحموا رحموا ، وإذا حكموا عدلوا ، وإذا قسموا أقسطوا ، فمن لم يفعل ذلك منهم فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين لا يقبل منه صرف ولا عدل » .

بل الأمة التى يفشوا فيها الظلم ، والبغى ، ويُغلب فيها الضعيف على أمره ، لا تستحق الحياة وتسقط من رعاية الله ! !

روى الطبرانى عن ابن مسعود عن معاوية أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لا تقدس أمة لا يقضى فيها بالحق . ولا يأخذ الضعيف حقه من القوى غير متعتع » وصلاح الناس وفسادهم بصلاح الأمراء وفسادهم ، لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم « صنفان من أمتى إذا صلحا صلح الناس ، وإذا فسدا فسد الناس ، العلماء والأمراء »

والسلطان فى يده من القوة والقهر ما يجعل الناس تستقيم أو تعوج ، قال عثمان رضى الله عنه « إن الله ليزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن » .

فإذا استجاب الحاكم لما شرع الله ، كانت له الحسنى وزيادة ، وإن كانت الأخرى فعليه الحسرة والندامة ، يوم لا ينفعه فيه سلطانه ، ولا يغنى عنه جنده ووزراؤه ، ويقف دائم الحسرات ، ويقول رب أرجعنى لأحكم بالآيات البينات والسنن الواضحات ، فيقال له هيهات هيهات ، لقد عمرت وكفرت بالآيات فلك جهنم ، وبئس المهاد ، وليتذكر الطغاة . إن فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد ، والله يتقبل التائبين .

السيد عبد الحليم محمد حسين مهلاوى

باب الفتاوى

سؤال

من العريف : محمود إسماعيل بشرطة النجدة بالفيوم .

قرأت فى إحدى المجلات السؤال الآتى وجوابه ، نرجو بيان الحق فى ذلك .

السؤال : عندى مال مدخر وخوفاً من الضياع صنعت به خاتمين من ذهب وأخرج عنهما الزكاة فى كل عام . وسمعت أحد العلماء يوم الجمعة يحرم لبس الذهب . وقال آخر : إن الحرمة هى ضيق النقد . أى للاستعانة به وقت الضيق . فهل يباح لى لبس الذهب بناء على ماورد بهذه المجلة ؟ .

وكان الجواب : — الحمد لله وحده . والصلاة والسلام على من لا نبى بعده . فقد جاء فى كتاب البريقة المحمودية فى شرح الطريقة المحمدية مايأتى :

« قال فى الجامع الصغير : لا يتختم إلا بالفضة ، وهذا اللفظ يقضى حرمة الذهب والحديد وغيرهما على الرجال . أما حرمة الذهب : فمذهب عامة العلماء — وعن بعضهم لابأس يه ، لأن البراء بن عازب لبس خاتم الذهب وقال : كسانيه رسول الله صلى الله عليه وسلم . وكذا وجد على طلحة بن عبيد الله خاتم ذهب عند قتله — فأما التختم بالحديد والرصاص والصفر فحرام على الرجال والنساء ، وجوز قاضى خان التختم بالعقيق ، والعبرة للحلقة لا للفص ، فيجوز أن يكون الفص من ياقوت أو عقيق أو فيروزج » .

أرجو التكرم بالرد على صفحات مجلتنا (الهدى النبوى) مع البيان الكافى الشافى فى هذه المسألة ، وما درجة هذه الآثار المروية عن بعض الصحابة ؟ .

جعلكم الله عوناً لنا فى نشر الدين والسنة الصحيحة .

بسم الله الرحمن الرحيم

ج ١ ـ صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم النهى عن لبس الحرير والذهب للرجال ، وأن من لبسهما فى الدنيا لم يلبسهما فى الآخرة وهذا أمر مجمع عليه بين المسلمين .

فادعيه المجلة المذكورة وتنسبه لبعض العلماء من أن التختم بالذهب لا بأس به لأن البراء ابن عازب لبس خاتم الذهب الخ ، كلمة هراء لا يلتفت إليه ولا توجد هذه الأحاديث فى كتب السنة المعتبرة إلا ما ورد من أن طلحة بن عبد الله قطع أنفه يوم أحد فأذن له الرسول فى اتخاذ خرطوم من ذهب كما أباح للزبير وعبد الرحمن بن عوف لباس الحرير لحكة كانت بهما . فهذه ضرورات لا يجوز القياس عليها . والله أعلم .

(٢) ومن الأخ الطاهر حسين سعيد من — كريمه — سودان .

س ١ — أنا عامل بمصنع البلح ويصادف أن يكون عملى مستديماً فى يوم الجمعة بحيث لا يمكننى الذهاب للمسجد لصلاة الجمعة ، فهل أصليها ظهراً أم جمعة ركعتين ، مع أنى لم أذهب المسجد ، ولم أسمع خطبة ولم تكن معى جماعة ، فما حكم الإسلام القاطع ؟ وفقكم الله .

س ٢ — ما حكم من يدخل المسجد والإمام يخطب ولم يصل تحية المسجد ، مع أنه عالم من خريجى المعاهد الدينية ، ويعرف قول الرسول صلى الله عليه وسلم وحكمه فى هذا ، ويقول : قال مذهبنا كذا وكذا ، خلافاً لقول الرسول صلى الله عليه وسلم ؟ .

ج ١ — لا يجوز التخلف عن الجمعه لمثل هذا العذر الذى ذكره السائل ، فإن الأعذار المسقطة لوجوب الجمعة هى المرض أو السفر أو نحوها ، بل يجب عليه أن يطلب من إدارة المصنع أن تعطيه فرصة لشهود الجمعة ، وقد ورد فى الحديث الصحيح « إن من ترك ثلاث جمع تهاوناً طبع الله على قلبه » .

ومن تخلف عن الجمعة فلم يشهدها فى المسجد ولم يسمع الخطبة فالواجب فى حقه أن يصلى الظهر أربعًا لأن الجمعة لا تجب إلا بشرائط خاصة وهى كونها فى جماعة والخطبة ونحو ذلك ، وقد أجمع الأئمة الأربعة على أن من فاتته الجمعة يصليها ظهراً والله أعلم .

ج ٢ — يسن لكل من دخل المسجد أن يصلى ركعتين قبل أن يجلس ولو كان الإمام يخطب فقد جاء سليك الغطفانى إلى المسجد والنبى صلى الله عليه وسلم يخطب فجلس

ولم يصل فقطع النبى صلى الله عليه وسلم الخطبة والتفت إليه وقال له : أصليت ياسليك ؟ قال لا يارسول الله ، قال قم فصل ركعتين .

وقد صح عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال « إذا جاء أحدكم المسجد والإمام يخطب فليصل ركعتين وليتجوز فيهما » .

وأما قولهم : « إذا صعد الخطيب المنبر فلا صلاة ولا كلام » فهو بالنسبة لمن كان داخل المسجد عند خروج الإمام .

سؤال من الأخ محمد على الخطيب فزاره — أسيوط

س ١ — سمعت فضيلة المفتى بالإذاعة وقد سئل عن قصة داود عليه السلام فقال كلامًا لا يطمئن له ضمير المسلم الذى يؤمن بعصمة الأنبياء : وهو أنه أحب امرأة قائد له يقال له (أورياء) فأراد أن يضمها إلى زوجاته التسع والتسعين ليكمل بها المائة ، وأنه لكى تخلص له هذه المرأة أرسل هذا القائد إلى خط القتال ليقتل ، فهل هذا صحيح ؟ وما الرأى الصحيح فى تفسير هذه القصة ؟ أفتونا مأجورين إن شاء الله .

ج ١ — هذه فرية افتراها اليهود قبحهم الله ، على نبى الله داود عليه السلام وكان من عادتهم الجرأة على الأنبياء وإلصاق التهم الشنيعة بهم ، وقد حكى القرآن عنهم أنهم كلما جاءهم رسول بما لا تهوى أنفسهم إما أن يكذبوه أو يقتلوه .

ومن العجيب أن عامة المفسرين ينقلون هذه القصة النكراء يفسرون بها القصة الواردة فى القرآن الكريم من سورة (ص) ، وهى قصة الخصمين اللذين تسورا على داود المحراب ليلا وسألاه أن يحكم بينهما بالحق فيما تنازعا فيه من أمر نعاجهما .

ويغفل هؤلاء الجهلة الأغبياء عما فى تضاعيف هذه القصة من رمى نبى كريم بجرائم لو ارتكبها آحاد الناس لحق عليه أبلغ الذم وأشد العقاب ، وإلا فأى جرم أشنع من أن يحب الإنسان امرأة غيره ثم يدفعه هذا الحب إلى ارتكاب حماقة أفظع ، وهو تدبير الحيلة اللئيمة والكيد الدنىء للتخلص من هذا الغريم حتى تخلص له المرأة التى عشقها فى الحرام

فلا يليق بمسلم يؤمن بالله وبعصمة رسله وأنبيائه أن يصدق هذا الهراء ولو كان قائله فضيلة مفتى الديار ، فيا للعار والشنار .

وأما الرأى الصحيح فى الآية فهو مايدل عليه ظاهرها دون تكلف لتفسير الخصمين بملكين ولا لتفسير النعاج بالنساء ، بل هما خصمان حقيقيان أراد أحدهما وهو صاحب التسع والتسعين أن يضم إليه نعجة أخيه فعز على هذا الأخير أن يقبل هذا الظلم الصارخ

فلم يطق صبراً حتى الصباح فانطلق هو وأخوه ليحتكما إلى داود عليه السلام فلما وجدا الباب مغلقاً وعليه الحراس تسوروا المحراب ، ولا يستغرب هذا من الرعاة لأن أخلاقهم فيها مجافاة للذوق وعدم رعاية للأدب ، ففزع منهم داود عليه السلام فسكنا روعه بأنهم لم يجيئا بشر ولكنهما خصمان بغى بعضهما على بعض وطلبا إليه أن يحكم بينهما بالحق ، ثم ذكر له صاحب النعجة ماراوده عليه أخوه من ضم نعجته إلى نعاجه فجاشت عاطفة داود بالإنكار لهذا الظلم ، وتعجل النطق بالحكم قبل أن يسمع كلام المتهم لعل عنده مايدافع عنه وقال (لقد ظلمك بسؤال نعجتك إلى نعاجه) وانصرف الخصمان وتنبه داود إلى خطئه (فاستغفر ربه وخر راكعًا وأناب) ولهذا ينبهه الله عز وجل إلى مايجب على مثله من الحكم بالحق وعدم الميل مع الهوى فقال (ياداود إنا جعلناك خليفة فى الأرض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله) .

فالقصة كلها فى شأن الحكم والقضاء ولا علاقة لها بالحب والنساء ، ولكن أنى لنا بشفاء هذه الأمة من دائها العياء فى الجرى وراء الأساطير والخرافات بلا تعقل ولا تفكير ، والله يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم .

ومن الأخ عثمان محمد الحاج بوادى حلفا – سودان :

س ١ – إذا مات زوج امرأة وهى حامل ثم وضعت بعد الدفن ، فهل عليها أن تتم عدة المتوفى عنها زوجها ، وهى أربعة أشهر وعشراً أم لا ؟ .

وهل آية سورة (الطلاق) (وأولات الأحمال أجلهن أن يضعن حملهن) حجة في هذا أم خاصة بالطلاق ؟ .

أفتونا مأجورين ولكم من الله الثواب .

ج ١ — اختلف في عدة الحامل المتوفى عنها زوجها ، فقيل تعتد بأبعد الأجلين ، وهو رأى ابن عباس ، وقيل عدتها وضع الحمل مطلقاً ولو لأقل من أربعة أشهر وعشر وهو الصحيح لأن النبي صلى الله عليه وسلم أذن لسبيعة الأسلمية بعد ماوضعت حملها أن تتعرض للخطاب وكان ذلك بعد وفاة زوجها بأيام قليلة فقوله تعالى (وأولات الأحمال أجلهن أن يضعن حملهن) عام يتناول المعتدة من طلاق والمعتدة من وفاة ، وأما قوله تعالى من سورة البقرة (والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجاً يتربصن بأنفسهن أربعة أشهر وعشراً) فهو خاص بغير أولات الأحمال ، والله أعلم .

محمد خليل هراس

بذل الفضل

عن أبي أمامة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يابن آدم إنك إن تبذل الفضل خير لك . وإن تمسكه شر لك . ولا تلام على كفاف . وابدأ بمن تعول . واليد العليا خير من اليد السفلى » .

تحية شهر رمضان

أشرق على جنبات الكون مبتسما ... فقد تجسم فيك البشر وارتسما
وأحي باليمن والإقبال أفئدة ... قاست من المحن الأهوال والألما
نرى بطلعتك الغراء بلسمها ... وفي جبينك ما يستأصل النقما
وفي سمائك آمالاً محلقة ... كالحلم ، يا رب حقق ذلك الحلُما
واجمع شتاتاً من الإسلام طال به ... دهراً ، وكان بحبل الله معتصما
قد فرقته يدٌ بالنار لاهية ... فسار خَلْف هوى اللاهين وانقسما
حاكت شباكاً من الأحقاد محكمة ... فأوقعت وفق ما تهوى بها أمما
تنافرت أممٌ من بعد ما ائتلفت ... واستحكم الخُلْف بين الناس واحتدما
أعمى البصائر ما حاك الحسود لها ... فما رَعَتْ بينها ديناً ولا رحما
والنفس لو وجِّهت للشر لانجهت ... والشر يورث من يأتي به الندما
ولو تسامت لفعل الخير لاندفعت ... ومن تعوده من دهره سلما

* * *

شهرَ الصيام تبدى في هلالك ما ... يحيي الأماني وما يستنهض الهمما
تطلعت نظرات المسلمين إلى ... سنا هلالك لما طارد الظلما
وكبّروا لجلال الله وارتفعت ... أصواتهم بدعاء طال وانسجما
تحيةً من صميم القلب صادرةً ... ما بارحت من عداد المسلمين فما
الله أكبر تدوى في السماء لها ... صوتٌ يجلجل مثل الرعد إن هزما
قد هال رجع صداها كل طاغية ... وأسمع الخلق حتى من شكا الصمما

* * *

شهر الصيام لقد فضلت منزلة — والله يسبغ ضافى فضله كرما
وفقت عشراً وشهراً من أهلته — وكنت بالهدى فيها المفرد العلما
كفاك يا شهر بالقرآن معجزة — على الشهور إذا ما شأنها عظما
أتى به الوحى آيات مفصلة — من العظات فجاءت كلها حكما
يهدى إلى الرشد من زاغت عقيدته — ويبعث النور فى عين امرىء ظلما
روضت بالصوم منا أنفسا فجرت — وحللت فى المماضى كل ما حرما
وذاق ذو عسرة من كف ميسرة — ما لم يكن ذاقه من قبل أو طعما
والجوع يخلق من نفس البخيل إذا — ما ذاقه ، كرماً من ماله عمما
شهر يتوب بك العاصى لخالقه — عن المعاصى ويمحو كل ما اجترما
ماضر لو يتآخى المسلمون به — فلا نرى واجداً منهم ومنتقما
شمل تفرق والإسلام يجمعه — كالجرح سال ولكن جف والتأما
ضمته جامعة شرقية جمعت — فيها الشهامة والإقدام والشمما
هزت جبابرة الدنيا عروبتها — والنسر لا يرهب العقبان والرخما
إن العروبة إن ثارت حميتها — صارت جحيما من النيران مضطرما

* * *

شهر الصيام بمن أعلاك منزلة — عظمى وزادك فى عين الورى عظما
أشرق بيمن وبدد كل غاشية — ضل الخلائق حتى ما رعوا ذمما
ففى هلالك آيات مسطرة — دلائل اليسر قد كانت لها قدما
جار الزمان وجار الطامعون به — واستأسد الذئب حتى هاجم الأكما
رحماك رب فإن الخلق قد سئموا — وأنت أعظم من والى ومن رحما

« الجيزة »

نجاتى عبد الرحمن

٢٨ - نظرات فى التصوف

« ذكرت فى العدد السابق مراتب التوحيد عند الغزالى وزعمه أن التوحيد لا يعرف إلا عن طريق الكشف ، فهو — أى التوحيد — علم المكاشفة لا علم القرآن والسنة ، والمرتبة الأولى من التوحيد هى مرتبة المنافقين الذين ينطقون بالشهادتين وقلوبهم مكذبة والثانية هى : مرتبة العوام وهم الذين تصدق قلوبهم بمعنى الشهادة . والمرتبة الثالثة هى : التى يرى صاحبها عن طريق الكشف أن الفاعل واحد رغم التعدد والكثرة . والمرتبة الرابعة هى أن يرى وحدة الوجود ! ! وفى هذا المقال رد عليه » .

وقبل أن نرد عليه نقول هذه الكلمة : إننا نتكلم عن دين ، وعن حقيقة التوحيد فى هذا الدين ، ولهذا الدين كتاب واحد هو القرآن ، وله نبى خاتم هو محمد صلى الله عليه وسلم ، فإذا شئنا أن نتبين أحكامه ، فما لنا من سبيل إلى ذلك إلا الرد إلى الله ورسوله . أما إذا جمح بأحدهم الهوى وعصف به الرأى فقال : ولم لا نعمل بكذا ، أو نقول به .

أما إذا قيل هذا ، فإنما نقول لصاحبه : أنت وهواك ، ولكن ليس لك أن تزعم أنك بما ترى وبما تقول — مما ليس له شاهد من الكتاب والسنة — تدين بالإسلام ، وإن حاولت فسنقول لك الزم مكانك ، لا ترم النجم ، وأنت فى القاع المظلم من الحضيض لا تريم . نقول هذا لمن يحاول أن يجعل كلام الغزالى حجة فى الدين ، أو يرى الرأى يهدهد به نزوةً أو شهوة ، ثم يحاول أن يدنس به الإسلام ! ! لا يرهبنى أن أكون صغيراً ، والغزالى كبير ، وحوله تاريخ عتيق عبق بمباخر المجوسية وأساطير وخرافات رفعوه بها إلى مرتبة الألوهية . لا يرهبنى شىء من هذا ، فالله أكبر ؛ وكتابه هو المهيمن على كل كتاب .

قد يقول الذين مرنوا على العبودية للأصنام ، والذين يحقرون من شأن نعمة الله التى منَّ بها عليهم نعمة الدين والعقل : وهل تفهم فى الدين كما يفهم الغزالى ؟ !

وأقول : إن الله لم يحرم عليّ ولا على أحد الفهم ، بل أوجب التدبر على كل مسلم . ثم إن ما ذكره الغزالى لا يحتاج بيان ما فيه من زيغ إلى فهم دقيق أو جهد كبير . جرد نفسك من سلطانه عليك وتدبر كتاب الله ثم انظر وستبصر من النظرة الأولى زيغه وجنوحه عن حقيقة التوحيد .

إن ما يحجب الناس عن نور الحقيقة و يعميهم عن البدهيات والضروريات أحياناً هو إيمانهم بشيوخهم ، هو عمى التقليد وضلالته . . . ولو أنك سألت عاميا لم تخط قدمه إلى مدرسة ، ولم يفسد عليه فطرته التقليد : أترى الخالق عين المخلوق ، أو ترى الله وخلقه شيئاً واحداً ، لرماك بالنظر الشزر ، ولرماك إمَّا بالجنون أو الكفر ، فقد أودع الله فى فطرته التى لم تفسد : أن الله ليس كمثله شىء ، وأنه الواحد الخلاق القهار المهيمن ، وأنه رب العالمين .

يقول شيخ الإسلام الجليل ابن تيمية وهو يتحدث عن السلف : « وكان من أعظم ماأنعم الله به عليهم اعتصامهم بالكتاب والسنة ، فكان من الأصول المتفق عليها بين الصحابة والتابعين لهم بإحسان أنه لا يقبل من أحد قط أن يعارض القرآن ، لا برأيه ، ولا بذوقه ، ولا معقوله ، ولا قياسه ولا وجده ، فإنهم ثبت عندهم بالبراهين القطعيات ، والآيات البينات أن الرسول جاء بالهدى ودين الحق ، وأن القرآن يهدى للتى هى أقوم : فيه نبأ من قبلهم ، وخبر ما بعدهم ، وحكم ما بينهم . هو الفصل ليس بالهزل ، مَنْ تركه مِنْ جبَّارٍ قصمه الله ، ومن ابتغى الهدى فى غيره أضله الله . هو حبل الله المتين ، وهو الذكر الحكيم ، وهو الصراط المستقيم ، وهو الذى لا تزيغ به الأهواء ، ولا تلتبس به الألسن ، ولا يخلق من كثرة الترداد[1] ، فإذا رُدِّد مرة بعد مرة لم يخلق ، ولم يمل كغيره من الكلام ، لا تنقضى عجائبه ، ولا تشبع منه العلماء . من قال به صَدَق ،

---

(١) قارن بين كلمة هذا المؤمن الجليل ، وبين ما زعمه الغزالى فى باب السماع ، وهو أن القرآن يذهب تأثيره عند المرة الثالثة !!.

ومن عمل به أُجِر ، ومن حكم به عَدَل ، ومن دعى إليه هدى إلى صراط مستقيم ، فكان القرآنُ هو الإمامَ الذى يُقتدى به ؛ ولهذا لا يوجد فى كلام أحد من السلف أنه عارض القرآن بعقل ورأى وقياس ولا بذوق ووجد ومكاشفة ، ولا قال قط : قد تعارض فى هذا العقل والنقل فضلا عن أن يقول : فيجب تقديم العقل ، ولا فيهم من يقول : أن له ذوقاً أو وجداً أو مخاطبة أو مكاشفة تخالف القرآن والحديث فضلا عن أن يدعى أحدهم أنه يأخذ من حيث يأخذ الملك الذى يأتى الرسول . . فإن هذه الأقوال لم تكن حدثت بعد فى المسلمين . وإنما يعرف مثل هذا عن ملاحدة اليهود والنصارى[1] » وحق جليل ما قاله الإمام الجليل ، فإذا جاء الغزالى يزعم أنه يستمد ما يقوله عن حقيقة التوحيد عن طريق الكشف ، فإنا نقول له : إن ما تقوله لا يعرفه مؤمن من القرآن ، ولم يدن به أحد من خيار سلفنا الصالح ، وإنما هو قول جماعة آخرين ذكرهم شيخ الإسلام ! ! .

ولا حديث لنا مع الغزالى عن الرتبتين الأولى والثانية من مراتب التوحيد ، وإنما نسائله أولاً عن الثالثة التى قرر أنها تقوم على أساس شهود وحدة الفاعل ! ! يريد من وراء هذا إثبات أن كل فعل يفعله إنسان أو جن أو ملك أو حيوان ، فهو فعل الله سبحانه ، وما هؤلاء إلا آلاتُ فعله ! ! ولن ندخل معه فى جدل كلامى ممل ، وإنما نذكره ونذكر الذين سلكوا دربه بآيات من كتاب الله : (٢ : ١٢٥ وما تفعلوا من خير ، فإن الله به عليم) (٤ : ١١٤ لا خَيْرَ فى كثير من نجواهم إلا من أمر بصدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس ، ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضاة الله ، فسوف نؤتيه أجراً عظيماً) (٣ : ١١٥ وما يفعلوا من خير فلن يكفروه والله عليم بالمتقين) (٣٩ : ٣٠ ووفِّيت كل نفس نفس ما عملت ، وهو أعلم بما يفعلون) (٢٢ : ٧٧ اركعوا واسجدوا ، واعبدوا ربكم وافعلوا الخير لعلكم تفلحون) (٢٣ : ٤ والذين هم للزكاة فاعلون) هذا فى الخير

---

(١) ص ١٩ جـ ١ مجموعة الرسائل الكبرى .

أما فى الشر ، فقال جل شأنه : (٤ : ٣٠ ومن يفعل ذلك عدواناً وظلماً فسوف نصليه ناراً) وقال عن بنى إسرائيل (٥ : ٧٩ كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه) . تثبت الآيات نسبة الفعل إلى غير الله سبحانه حقيقة ومجازاً سواء كان خيراً أم شراً ؛ لتتحقق المسئولية والجزاء ؛ فكيف يطلب الغزالى أن نصدق كشفه الذى يزعم أن توحيد الرتبة الثالثة هو شهود وحدة الفاعل ؟ ويفرض علينا أن ننسب كل فعل — حتى فعل المشركين — إلى الله حقيقة لا مجازاً . ثم اقرأ قوله تعالى : (٣ : ١٨٨ لا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا ، ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا ، فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب ، ولهم عذاب أليم) فالحمد أو الذم إنما يقع على مايفعل الإنسان نفسه من خير أو شر لا على ما يفعل غيره ، فكيف يحمد مؤمن أو يذم كافر ، ولِمَ يكون ثواب وعقاب أو جنة ونار مادام الفاعل هو الله ؟ .

لا يسأل وهم يسألون : يقول الله : (٢١ : ٢٣ لا يُسأل عما يفعل وهم يسألون) . ليس فوقه سبحانه من أحد يحاسبه ، وفعله كله حق وخير وإحسان وعدل وحكمة ، أما الإنسان ، فهو المسئول كما تقرر الآية ، فهل يصدق معناها إذا كان الفاعل هو الله ؟ ! .

إن الله يفعل مايريد : هذا هدى القرآن ، فإذا كان الفاعل واحداً فلم نرى بعض الناس تتحقق إرادتهم ، والبعض الآخر لا تتحقق له إرادة .

نرى آلاف الآلاف يقعدهم العجز البالغ عن فعل مايريدون ؟ .

لو كان الأمر كما يقول الغزالى ، لما رأينا إنساناً يعجز عن شىء ، ولما رأينا إرادة تقف فى طريقها عقبة ، بل لرأينا كل امرىء إلهاً يفعل مايريد . .

وهذا الإلزام الذى نلزمه به يعترف به فى ثنايا مايتحدث به عن كرامات الأولياء ويتحدث به تلاميذه كذلك ، فالولى عندهم يفعل مايريد ! ! .

والغزالى يثبت لنفسه أنه قد كوشف بالحقيقة[1] ، وشهد وحدة الفاعل ووحدة

---

(١) يقول الغزالى عن سر القدر : « ووراء هذا البحر سر القدر الذى تحير فيه الأكثرون . ومنع من إفشاء سره المكاشفون ص ٢٢٣ ج ٤ الإحياء .

الوجود فلم لم يفعل المسلمين الخير فى أيامه ؟ لم لم يطرد الصليبية وهى تدوس بنجسها الآثم بيت المقدس ، وتمزق المصاحف ؟ .

وإذا كان الفاعل واحداً فلماذا لام الغزالى الفلاسفة فى بعض كتبه على الهادم ؟ .

إذن فلنترك الصليبية والصهيونية والشيوعية . لنترك هؤلاء يفعلون بنا ما يشاءون ! ! أليس الفاعل هو الله عند الغزالى ؟ ! .

هنالك حجج عديدة تبطل خرف الغزالى ، ولكن يكفى إلزام واحد لدحض ماقال :

يقول الإمام ابن تيمية وهو يعدد فرق المحتجين بالقدر فيما يقترفون من منكرات : « ومنهم من يقول هـذا فى حق أهل الحقيقة الذين شهدوا توحيد الربوبية ، وفنوا عما سواه ، فيرون ألا فاعل إلا الله ، فهؤلاء لا يستحسنون حسنة ، ولا يستقبحون سيئة ؛ فإنهم لا يرون لمخلوق فعلا ، بل لا يرون فاعلا إلا الله بخلاف من شهد لنفسه فعلا ، فإنه يذم ويعاقب ، وهذا قول كثير من متأخرى الصوفية المدعين للحقيقة ، وقد يجعلون هذا نهاية التحقيق ، وغاية العرفان والتوحيد » .

وهذا الذى حكاه ابن تيمية هو عين قول الغزالى ، بل لعل الغزالى قد زاد ، فيخلط هذا السوء بما هو أسوأ ، إذ جعل الرتبة الرابعة فوق هذه الرتبة ، فزاد الخطيئة شناعة ! ! .

ثم يعقب ابن تيمية على رأى القائلين بهذا . « وفى الجملة فهذا المعنى دائر فى نفوس كثير من الخاصة من أهل العلم والعبادة ، فضلا عن العامة ، وهو مناقض لدين الإسلام[1] » .

وحسبنا هذا فى الرد على الرتبة الثالثة .

شهود وحدة الوجود : هذه هى الغاية القصوى من التوحيد عند الغزالى وهى ألا يشهد السالك فى التوحيد إلا واحداً ، أو لا يرى الخالق والخلق إلا شيئاً واحداً

---

(١) ص ٩٠ جـ ٢ مجموعة الرسائل الكبرى .

كالإنسان وأعضائه والشجرة وفروعها ! ! . ولسنا ندرى وفى الوجود أمثال إبليس وأبى جهل وأبى لهب وفرعون ، كيف يرى السالك أن هؤلاء جميعاً هم الله ! ! كيف يرى الخنازير والقردة والجيف هى الله ؟[1] .

على أن الغزالى ـ وقد رأى أن هذه الغنوصية الصرفة قد تقتله بيد الناس فى عصره ، قد لجأ بسرعة إلى التقية ؛ إذ قال : « وأسرار هذا العلم لا يجوز أن تسطر فى كتاب ، فقد قال العارفون إفشاء أسرار الربوبية كفر » ولا عاقل يدرى ، ولا مسلم يدرى كيف يكون البيان عن حقيقة التوحيد كفراً ؟ ! ، والقرآن كله كلام عن حقيقة التوحيد ؟ ! .

قالها الغزالى ! ! فهل نضرب بقوله هدى القرآن ؟ .

سيقول عُبّاد الغزالى : نعم ، فإنه حجة الإسلام ، وحجة الإسلام أعرف بالحق وآخذ به من القرآن ، لأن القرآن كتاب الظاهر ، أما الغزالى فيأخذ عن الباطن أى عن الله مباشرة ، ونسائل الغزالى وأتباعه فى هدوء :

ترى هل فى كتاب الله وسنة رسوله مثل ذلك القول ، وهو أن إفشاء سر الربوبية كفر ؟ لا يأتونا بأقوال شيوخهم . فإن هؤلاء الشيوخ يكونون من نفس الدن الخبيث . ولكن ليأتونا ـ إن كانوا مسلمين ـ بآية واحدة أو حديث صحيح يدعم زعم الغزالى ؟ ! لن يستطيعوا .

---

(١) يقول صاحب كتاب النفحات الأقدسية فى شرح الصلوات الأحمدية الإدريسية ط ١٣١٤ فى ص ١٦ ، ٣٣٨ مايأتى : « بعث الرسول ليتم مكارم أخلاق الله ، فكذب وشتم وأوذى وجاع وظمىء ومرض واستمرض ، وكل ذلك وارد فى حق الله تعالى ، فانطبق اسم الله على محمد بالكمال والتمام » « ينسحب على الوجود الإلهى السخرية والظمأ والمرض والجوع والنسيان » وتجد أشنع من هذا عند ابن عربى ، وسيأتى إن شاء الله .
ولقد نقل صاحب هذا الكتاب ـ وهو صوفى معتق ـ عن شيخه الأكبر ابن عربى مايأتى :

وما الكلب والخنزير إلا إلهنا ... وما الله إلا راهب فى كنيسة

ونسأل مرة أخرى : هل أفشى رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الحقيقة أو لا ؟ إنه صلى الله عليه وسلم بالمؤمنين رءوفٌ رحيم ، كما وصفه الله ، ورأفته ورحمته تحولان بينه وبين أن يكتم عن أمته مايصحح لها توحيدها لله. ثم إن الله أوجب عليه البلاغ ، وطاعته لله توجب. عليه أن يسمع ويفعل ، فأين ماأفشاه؟ ماأظن أن الغزالي يقولها ؛ لأنه يحكم على المفشين بالكفر ، فلم يبق له إذن إلا الزعم بأنه صلى الله عليه وسلم كتمها ! ! وماذا كتم ؟ - علم الغاية القصوى من التوحيد . وهذه وحدها كبيرة تردى في الهلكة . ثم إنه بعد أن كتمها عن أصحابه همس بها سراً لبعض خاصته[1] ، وظل ما كتمه ينتقل عبر الأجيال في سرية تامة حتى علم به الغزالي الذي أبى هو أيضاً أن يفشيه في كتاب ، وهمس به لبعض خاصته ! ! وهذه كبيرة تزلف صاحبها إلى الجحيم . وإذا لم يكن ذلك كذلك ، فكيف يلم بها الغزالي؟ لعله يزعم أنه تلقاها عن الله مباشرة ! ! ولم لا ، وهو يدعي أنه مكاشف ، والكشف اتصال مباشر بالله عند الصوفية ، وفي هذا مافيه من محاولة للقضاء على القرآن ، وعلى عقيدة ختم النبوة بمحمد صلى الله عليه وسلم

---

(١) يزعم الغزالي في كتابه ما يأتي :

« إن النبي — صلى الله عليه وسلم — يصرح بعلوم المعاملات ، وأشار مما وراءها بما لا يفهمه إلا أرباب التخصص » والتوحيد عند الغزالي ليس من علوم المعاملات . وهذا يدل على أن الغزالي يدين بأن القرآن والسنة ليس فيهما البيان الجلي عن التوحيد ، وإنما فيهما مجرد إشارات لا يفهمها إلا طائفة خاصة . ويقول ابن عجيبة في شرحه لحكم ابن عطاء عن علم التصوف : « وأما واضع هذا العلم ، فهو النبي — صلى الله عليه وسلم — علمه الله له بالوحي والإلهام ، فنزل جبريل — عليه السلام — أولا بالشريعة ، فلما تقررت نزل ثانياً بالحقيقة ، فخص بها بعضاً دون بعض . وأول من تكلم فيه وأظهره سيدنا علي » وهي كلمة صريحة تعبر تعبيراً تاما عن زندقة التصوف ، ولا تحتاج إلى تعليق . انظر النص الأول ص ١٨٠ جـ ١ الإملاء على هامش الإحياء ،: والنص الثاني ص ٥ من كتاب إيقاظ الهمم جـ ١ ط ٢ سنة ١٣٣١ .

أو مافيه من اتهام للرسول صلى الله عليه وسلم بأنه لم يكن على بينة من التوحيد الغزالى ، إذ ليس فى كلام الرسول عنه شيء ! ! واتهام للقرآن بأنه لا يوصله إلى يقين التوحيد وحقيقته ، إذ ليس فيه توحيد الغزالى ، وحسبنا زعم الغزالى أن التعبير عن التوحيد الرابع كفر لنؤمن من أنه لا يمكن أن يكون فى القرآن ، فما فى القرآن إلا كلمة الإيمان .

واستشهاد الغزالى بقصة الحلاج يؤكد لنا إيمان الغزالى به ، وتقديسه لحلوليته ، وإلا فأى مسلم لا يمكن أن تهمس فى قلبه ، أو على سنّ قلمه همسة عطف على هذا الزنديق الحلولى ! .

لقد زادت الصليبية بحلول الله فى عيسى ، أما الحلاج فيعرف الغزالى كما نعرف أنه يدين بحلول الله فى كل شيء ! ! فكيف يتخذ الغزالى من كلام الحلاج مع الخواص حجة له ؟ إن الحلاج مثل أعلى للغزالى ، والخطأ الوحيد الذى وقع فيه — عند الغزالى — هو أنه باح بسر الربوبية ! ! . « للنظرات بقايا إن شاء الله »

عبد الرحمن الوكيل

الأستاذ الفاضل رئيس تحرير مجلة الهدى النبوى

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

وبعد : فقد ألف الناس فى هذه الأيام وشاع فيما بينهم نعى الموتى بشكل وصورة تكاد لا تختلف عن عادة العرب فى الجاهلية وكان من شأنهم إذا مات منهم أحد ، أن يركب رجل فرساً يجرى به ذات اليمين وذات الشمال منادياً « نعاء فلاناً » ويزيد على ذلك ماشاء وشاءت له شهوة الفخر فيذكر من صفات الميت مايرفع قدره ويعلى شأنه .

وأبطل الإسلام تلك العادة ضمن ما أبطل من عادات الجاهلية — ودعى الناس إلى التزام الوقار وتشييع جنازة الأموات فى خشوع وصلاة يتوجهون فيها إلى الله تعالى بما يليق من الدعاء والاستغفار .

وقد روى الإمام أحمد وابن ماجه والبيهقى والترمذى رضى الله عنهم عن حذيفة ابن اليمان رضى الله عنه قال — سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ينهى عن النعى ، كذلك روى الإمام أحمد أن جابراً رضى الله عنه سئل عن ذلك فقال — ماأباح لنا فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا أبو بكر ولا عمر — رضى الله عنهما .

وروى الترمذى عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم نه قال « إياكم والنعى فإن النعى من عمل الجاهلية » .

وورد عن كثير من أهل العلم فى الصدر الأول من الإسلام أنهم نهوا عن الإعلام بموتهم خشية أن يكون من النعى المنهى عنه ومن هؤلاء عبد الله بن مسعود وعلقمة وعمرو ابن شرحبيل والربيع وغيرهم .

واليوم نرى الأفراد والهيئات قد استغنوا عن سنن عيادة المرضى وصلاة الجنازة بهذه البدعة ، بدعة النعى الشبيه بصنيع الجاهلية ، ولما كان بعض المنتسبين إلى السنة قد جاروا غيرهم فى هذا الأمر ، فنرجو التفضل ببيان الحق فى ذلك .

والسلام عليكم ورحمة الله . همام حارث

(الهدى النبوى) سنجيب عن هذا السؤال فى العدد القادم إن شاء الله .

ذكريات

وتهنئـــة :

من هو رئيس الجماعة فى سوهاج ؟

الشيخ أحمـد على حسن من رجال التعليم ومن أبناء محافظة سوهاج ، عالم أديب كثير الاطلاع ، غزير المادة .

كان هو وشقيقه المرحوم الأستاذ شاكر على حسن من أكبر أعوان وأشد أنصار أستاذنا المرحوم الشيخ « أبى الوفاء » ولهما مواقف كثيرة فى شد أزره عند ماتحزبت الأمور فى سوهاج وتحالف المعارضون المغرضون على الأستاذ أبى الوفاء ، وتألبوا عليه لإيقاف سير حركته فى دعوته الدينية ، وكان لهؤلاء وفد خليط من طبقات مختلفة لا شأن لها بالعلم ولا صلة بالدين ، وكنا نسميهم « الكليشيه » الذى يتحين الفرص لمقابلة كل حاكم جديد يعين أو ينقل « لمحافظة جرجا » ولا يعرف من أمرها شيئاً ، فيقولون مايقولون بغير دليل أو برهان حتى كشف الله أمرهم وأحبط عملهم فى محاضرة جمعت فأوعت ألقاها « الأستاذ أبو الوفاء » رحمه الله ، فى حفل عام أمه الناس من كل فج عميق ، ومن كل جنس وملة ، أعده له الحاكمون بأمرهم ، وإذا بهؤلاء الحاسدين الموتورين يتوارون عن الأنظار ، ويختفون وراء ستار ، ويدفنون رءوسهم فى التراب كما يفعل النعام ، فلم تقم لهم قائمة بعد ذلك ، وانتصر حزب الله ، ألا إن حزب الله هم الغالبون .

وفى مؤلف الأستاذ أبى الوفاء « صيحة الحق » مقدمة طويلة شرح فيها الأحداث كلها وبين للناس ما كان من أمر هؤلاء الذين تصـدوا له بالباطل ولـكنهم لم ينالوا منه شيئاً .

* * *

وأخيراً أصبح الشيخ أحمد على حسن رئيساً لجماعة أنصار السنة المحمدية فى سوهاج

بعد وفاة رئيسها ونستطيع الآن أن نخرجه من تواضعه الكريم ، لا إلى تسجيل جهد ديني مشكور ، بذل فيه مابذل ، وتحمل ما تحمل فيما سبق ، ولكن إلى ماهو أبقى عند الله لخدمة المبدأ والعقيدة بالكتاب والسنة والتوحيد الخالص ، تلك العقيدة التي أسهم فيها بالنصيب الأوفى من أول ماتألفت جماعة أنصار السنة المحمدية في سوهاج إلى وقتنا هذا ، وسنرى إن شاء الله نوعاً جديداً من الجهاد الذي يحفظ سيرة الرئيس الراحل الكريم . كما يحفظ مبادىء دعوة الجماعة وأغراضها .

والأستاذ الشيخ أحمد على حسن هو هو في حسن عقيدته ، ولسنا الآن بسبيل الكلام عن أدبه وعلمه ، وإنما هي كلمة ترحيب نتلقى بها نبأ اختياره رئيساً للجماعة الموقرة في سوهاج ، وإن شئت فهي باقة من الشعر نحيي بها الأستاذ مع الأخ عبد الرحمن الوكيل حيث لقي الشيخ أحمد على حسن ماهو خليق به من التوفيق وحسن التقدير .

« ثم نمق الأستاذ الشاعر قصيدة نكتفي بإيراد بعض أبياتها شاكرين للأستاذ نجاتي حسن ظنه الكريم « الهدى النبوي » :

على بركات الله نجمك سائر ... يحوطك طرفٌ للعناية ساهر
خبرناك حيناً مرّ كالبرق خاطفاً ... تجلت به للعين منك السرائر
أبان لنا عن غضبةٍ مضرية ... سقى نبتها ماءٌ نقي وطاهر
وعن قدرة للطيبات عريقة ... تروق لمن بالمكرمات يفاخر
وإنك أهل الجد تعمل دائباً ... وأنت على حمل الرسالة صابر

* * *

حليف « الوفا » سعياً وفعلاً وغاية ... تقبل تحايا صاغها لك شاعر
إذا أنا ماهنأت ، هنأت مخلصاً ... صدقتْ منه عن صدق الجهاد الضمائر
كفاك هُدى التوحيد ماعشت إنه ... رضاءٌ به أصفاك في الناس قادر
وحسبك من روح الوفاء سجية ... وإن تخفها فالحب في الدين ظاهر

طوينا زماناً مرّ كالحلم فى الكرى — لنا فيه من حسن الوداد مسامر
تصافت به منا القلوب وأخلصت — وأوفت بما توفى إليها الخواطر
وصارت كأطيار على الروض حلقت — يلى طائرٌ إلفاً ويصدح آخر
فعذراً إذا قصرت فى القول مثنياً — فإن يقينى فيك أنك عاذر
وإن تكن الأيام فرقن بيننا — فإنك مهما غبت فى القلب حاضر
توكل على الخلاق ماعشت واعتمد — عليه فإن الله للخلق ناظر
سيجزيك من حسن الفعال مثوبةً — وأنت لما يجزيك ربك « شاكر »

« الجيزة » — نجانى عبد الرحمن

المحدثات (البدع)

المحـــدثات منفـــرة فمن المروق معـــبره
أصحـــابها زغب الحجا وبطونهـــم مأوى الشره
تركوا المقاتل والفـــــرا ئض والحقـوق المهـدره
بل واثنوا يبغون أمـ ـرا ليس فيـه تبصره
تخـذوا من الدين الحنيـ ـف إلى هوام قنطره
يبغون دينـــاً غيره بفعالهم ذى المنكره !
جعـلوا من التشـويه فى دين المهيمن مفخـره ! !
بل وادعـوا أن الذى لم يبتدع فى معثره ! ! !
بل إنهـم بفعـــــالهم هـذى هووا فى مصهره
فـروا من الدين المتيـ ن فرارهم من قـسوره
جعـــلوا الديانة مســـخة فقلوبهـــم متحجـــره
وأذانهـــم متميـــع ! هل جا بهـــذا مأثره ؟ !
كرهوا الأذان كما جرى زمن الصحاب الخيرة !
كرهـاً لكيفيـة النبـ ـى ويدعون التذكره ! !
أفنحن أعـداء النبى ! ! أم هؤلاء المقـــذره ! !
من أبغضـوا فعـل النبـ ـى هم الأعادى المعـوره
شرع النبى مقـــدس لا شرعكم ! ! يا معشره !
أتكفرون من اهتـــدى بالســـــنة المتطهره ! !
ماذا تركتم لليهـــو د من الفعال المنكره ؟ !
تلبيس إبليس اللعيـــ ـن على قـلوب مقفره

عبد المنعم محمد حلمى عبد الرحمن

الكفر والمعصية والفرق بينهما

جاءنا هذا السؤال من الأخ محمد النور الشيخ الطيب — الخرطوم :

يختلف كثير من الناس فى كلمتى : كَفَرَ — وعَصَى — والجميع يؤمنون بأن للكافر عذاب الخلد ، ولكنهم مختلفون بالنسبة للعاصى ، فمنهم يرجو له عذاباً مؤقتاً ثم مآله إلى الجنة ، ولو مات تاركاً للصلاة ، ومنهم من يقول غير ذلك .

نرجو بيان الحق فى ذلك . إن الله يجزى المحسنين .

بسم الله الرحمن الرحيم

الجواب

نعم هناك فرق بين كلمة « كفر » وكلمة « معصية » فإن الكفر فى اللغة معناه الستر والتغطية ، ولهذا يسمى الزارع كافراً لأنه يدفن الحب فى الأرض كما قال تعالى :

(كمثل غيث أعجب الكفار نباته) .

والكفر فى لسان الشرع مأخوذ من هذا المعنى اللغوى ، فإن معناه ستر الحق بالجحود والإنكار .

فكل من جحد شيئاً مما علم أن النبى صلى الله عليه وسلم جاء به بيقين كالإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقضاء والقدر وكوجوب الصلاة والزكاة والصيام والحج .

وكحرمة الزنا والقتل والربا والسحر الخ . فهذا كافر باتفاق المسلمين وحكمه التخليد فى النار .

وأما المعصية فمعناها المخالفة بترك مأمور أو بفعل محظور ، فمن ترك شيئاً من الواجبات أو فعل شيئاً من المحرمات فهو عاص وحكمه أنه مؤمن ناقص الإيمان ينقص من إيمانه بقدر معصيته وأمره فى الآخرة إلى الله إن شاء غفر له وإن شاء عذبه بقدر معصيته ثم يخرجه من النار لقوله تعالى :

(إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء) .

وأما ترك الصلاة والزكاة وغيرهما من بقية أركان الإسلام ، فقد اختلف أهل السنة في حق تاركها ، والصحيح أنه يكفر بترك واحدة منها عمداً لورود النصوص الكثيرة من الكتاب والسنة بتسميته كافراً ، فقد جاء في حديث عبد الله بن عمر المتفق عليه .
« بني الإسلام على خمس : شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت لمن استطاع إليه سبيلا » .

وليس معنى قوله « بني الإسلام على هذه الخمس » ، أن الإسلام شيء آخر غيرها بل هو عينها فمن تركها أو واحدة منها فلا حظ له من الإسلام كما قال سعيد بن جبير : من ترك الصلاة متعمداً فقد كفر بالله ومن ترك صوم رمضان متعمداً فقد كفر بالله .

فواجب العبد الناصح لنفسه أن لا يستهين بشيء من هذه الفرائض وأن لا يجري وراء الأماني الكاذبة فليس الإيمان بالتمني ولكن ماوقر في القلب وصدقة العمل .
والله أعلم .

محمد خليل هراس

المغفرة في رمضان

عن كعب بن عجرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « احضروا ، فحضرنا فلما ارتقى الدرجة قال : آمين ، ثم ارتقى الدرجة الثانية فقال : آمين ، ثم ارتقى الدرجة الثالثة فقال : آمين . فلما فرغ ، نزل عن المنبر ، فقلنا يارسول الله سمعنا منك اليوم شيئاً ما كنا نسمعه ، فقال : إن جبريل عرض لي فقال : « بَعُدَ من من أدرك رمضان فلم يغفر له ، فقلت آمين ، فلما رقيت الثانية قال « بَعُدَ من ذكرت عنده فلم يصلِّ عليك ، فقلت آمين ، فلما رقيت الثالثة قال : « بَعُدَ من أدرك أبويه الكبر أو أحدهما فلم يدخل الجنة فقلت آمين » .

العدد ١٠ شوال
المجلد ٢٨ سنة ١٣٨٣

خير الهدى هدى محمد صلى الله عليه وسلم



الهدى النبوي

تصدرها جماعة أنصار السنة المحمدية

رئيس التحرير
عبد الرحمن الوكيل

مدير الإدارة
سليمان حسونه

مطبعة السنة المحمدية
١٧ شارع شريف باشا الكبير
ت ٩٠٦٠١٧

٣٠ مليما

الفهرس

صفحة		
٣	التفسير	للأستاذ الشيخ عبد الرحمن الوكيل
١٦	عقيدة القرآن والسنة . .	» » محمد خليل هراس
٢٠	أهداف العبادات فى الإسلام	» » أحمد أحمد على حسن
٢٣	سويسرا . . .	للسيدة الجليلة حرم الدكتور محمد رضا (رحمه الله)
٢٩	غزوات الرسول صلى الله عليه وسلم	للاستاذ سعد صادق محمد
٣٧	صلاة الجمعة فى غير المسجد	للأستاذ محمد صالح سعدان
٤٠	سنن العيدين	
٤٤	وشهد شاهد . . . : .	للأستاذ الشيخ زكريا على يوسف
٤٧	الفتاوى	» » محمد خليل هراس

عيد سعيد

تتقدم جماعة أنصار السنة المحمدية بالقاهرة ومجلة الهدى النبوى إلى المسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها بخالص التهنئة والتبريك بعيد الفطر المبارك . جعله الله عيداً ميمون الطالع مباركا على الأمة الإسلامية والعالم أجمع وأن يجمع شمل ملوك المسلمين ورؤسائهم إلى ما فيه الخير لهم ولأمتهم .

خير الهدى هدى محمد صلى الله عليه وسلم

الهدى النبوى

مجلة شهرية دينية

تصدرها جماعة أنصار السنة المحمدية

رئيس التحرير
عبد الرحمن الوكيل
أصحاب الامتياز : ورثة
الشيخ محمد حامد الفقى

مدير الإدارة :
سليمان صونه
الاشتراك السنوى
٣٠ - فى الجمهورية العربية المتحدة والسودان
٤٠ - فى الخارج

المركز العام : ٨ شارع قوله — عابدين القاهرة — تليفون ٧٦٥٧٦

العدد ١٠ — شوال سنة ١٣٨٣ — المجلد ٢٨

نور من القرآن

بسم الله الرحمن الرحيم

قال - جـل ذكره - : (وإذ قال موسى لفتاه : لا أَبْرَحُ حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أو أَمْضِيَ حُقُبًا - الكهف : ٦٠) .

* * *

فى العدد السابق تكلمت عن تفسير هذه الآية وما بعدها إلى قوله سبحانه وتعالى : (قال : فإنِ اتبعتنى ، فلا تسألنى عن شىء حتى أُحْدِث لك مِنْه ذكرا) وقلت فى العدد الماضى أننى سأكتب فى هذا العدد عن قصة موسى والخضر كما وردت فى الأحاديث . وعن الخضر كما هذت به الأساطير . وأبدأ بقصة موسى والخضر فى الأحاديث .

روى البخارى حديث الخضر وموسى فى عدة أبواب ، فرواه فى العلم عن عبد الله ابن محمد ، وعن أبى القاسم خالد بن خلى ، وعن محمد بن غرير الزهرى ، وفى أحاديث الأنبياء عن على بن عبد الله ، وعن عمرو بن محمد الناقد ، وفى التفسير عن قتيبة ، وفى صفة

إبليس وفى النذور عن الحميدى ، وفى الإجارة وفى الشروط وفى التفسير عن إبراهيم ابن موسى ، وعن الحميدى ، وفى التوحيد عن عبد الله بن محمد .

ورواه مسلم فى فضائل الأنبياء عن عمرو بن محمد الناقد ، وإسحاق بن إبراهيم ، وأبى قدامة عبيد الله بن سعيد ، ومحمد بن يحيى بن أبى عمر ، وعن عبد الله بن حميد ، وعن محمد بن عبد الأعلى ، وعن حرملة بن يحيى ، وعن عمرو بن محمد الناقد .

ورواه الترمذى فى التفسير عن محمد بن يحيى بن أبى عمر ، وعن محمد بن عبد الأعلى . وحديث الغلام الذى قتله الخضر رواه مسلم فى القدر عن القعنبي وأبو داود فى السنة عن القعنبي ، وعن محمود بن خالد السلمى ، والترمذى فى التفسير عن عمرو بن على .

وعسير نقل كل ما روى من أحاديث حول قصة موسى والخضر ، وعسير أيضاً التعليق على جميعها ، ولهذا سأختار رواية من الروايات التى ذكرها البخارى فى كتاب العلم ، وأخرى من الروايات التى ذكرها البخارى فى كتاب التفسير .

أما الرواية التى ذكرها البخارى فى صحيحه فى كتاب العلم ، فنصها « ما ذُكر فى ذهاب موسى صلى الله عليه وسلم فى البحر إلى الْخَضِرِ وقوله تعالى (هل أتَّبِعُكَ على أن تُعَلِّمَنِي مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْداً) حدثنى محمد بن غرير الزُّهْرِيُّ قال : حدثنا يعقوب بن إبراهيم قال حدثنى أبى عن صالح عن بن شهاب حدث : أنَّ عُبيد الله بن عبد الله أخبره عن بن عباس أنه تمارَى هو والحُرُّ بنُ قيس بن حصن الفَزَارِيُّ فى صاحب موسى ، قال : بنُ عباس : هو خَضِرُ فمر بهما أُبَيُّ بن كعبٍ ، فدعاه بن عباس فقال : إنى تماريت أنا وصاحبى هذا فى صاحب موسى الذى سأل موسى السبيل إلى لُقِيِّه : هل سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يذكر شأنه ؟ قال : نعم سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول بينما موسى فى ملأ من بنى إسرائيل جاءه رجل فقال : هل تعلم أحداً لا أعلم منك ؟ قال : موسى : فأوحى الله إلى موسى : بَلَى عبدُنا خَضِرٌ فسأل موسى السبيلَ إليه ، فجعل اللهُ له الحوتَ

آية . وقيل له : إذا فقدتَ الحوتَ فارجع فإنك ستلقاه وكان يتبع أثر الحوتِ فى البحر فقال لموسى فتاهُ : أرأيت إذْ أوَيْنا إلى الصخرةِ فإنى نسيت الحوت ، وما أنسانيهِ إلا الشيطانُ إن أذكره . قال ذلك ما كنا نبغى ، فارتدا على آثارهما قصصاً ، فوجدا خَضِراً ، فكان من شأنهما الذى قَصَّ اللهُ عز وجل فى كتابه » وواضح جداً أن هذه الرواية لم تجىء بزيادات عما فى القرآن إلا ما ورد عن قول موسى إنه أعلم ، وأن الله قال له بل الخضر ، ثم يتفق كل ما بقى مع روح الآية . وأجمل ما ذكر فيها قول الراوى : « فكان من شأنهما الذى قص الله عز وجل » .

لقد استبرأ الراوى لدينه. فأبى أن يزيد شيئاً عما ورد فى القرآن . أما الرواية التى فى تفسير سورة الكهف ، فهذا نصها : حدثنا الحميدى ، حدثنا سفيان ، حدثنا عمرو بن دينار قال أخبرنى سعيد بن جبير قال . قلت لابن عباس : إن نوفاً البكالى يزعم أن موسى صاحب الخضر ليس هو موسى صاحب بنى إسرائيل فقال له ابن عباس : كذب عدو الله حدثنى أبى بن كعب أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : إن موسى قام خطيباً فى بنى إسرائيل فسئل : أىُّ الناس أعلم ؟ فقال : أنا ، فعتب الله عليه إذ لم يردَّ العلم إليه ، فأوحى الله إليه : إن لى عَبْداً بمجمع البحرين هو أعلم منك . قال موسى : يا رب فكيف لى به ؟ قال : تأخذ معك حوتاً ، فتجعله فى مكتل ، فحيثما فقدت الحوت فهو ثَمَّ فأخذ حوتاً ، فجعله فى مكتل ، ثم انطلق ، وانطلق معه فتاه « يوشع بن نون » حتى إذا أتيا الصخرة وضعا برؤسهما فناما ، واضطرب الحوتُ فى المكتل ، فخرج منه فسقط فى البحر ، فاتخذ سبيله فى البحر سربا ، وأمسك الله عن الحوت جِرْيَةَ الماء فصار عليه مثلُ الطاق ، فلما استيقظ نسى صاحبُه أن يخبره بالحوت فانطلقا بقيةَ يومهما وليلهما حتى إذا كانا من الغد قال موسى لفتاه : آتنا غداءنا لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا . قال : ولم يجد موسى النَّصَبَ حتى جاوز المكان الذى أمر اللهُ به . فقال له فتاه : أرأيت إذ أوينا إلى الصخرة ، فإنى نسيت الحوت ، وما أنسانيه إلا الشيطان أن أذكره ، واتخذ

سبيله فى البحر عجباً قال : فكان للحوت سَرَبًا ، ولموسى ولفتاه عجباً ، فقال موسى : ذلك ما كنا نبغى ، فارتدا على آثارهما قصصا . قال : رجعا يقصان آثارهما حتى انتهيا إلى الصخرة فإذا رجل مُسَجًّى ثَوْبًا ، فسلم عليه موسى ، فقال الخضر : وأنَّى بأرضك السلام ؟ قال أنا موسى قال موسى بنى إسرائيل ؟ قال : نعم أتيتك لتعلمنى مما علمت رشداً قال : إنك لن تستطيع معى صبرا يا موسى . إنى على علم من الله علمنيه لا تعلمه أنت ، وأنت على علم من علم الله علمك الله لا أعلمه . فقال موسى : ستجدنى إن شاء الله صابراً ، ولا أعصى لك أمراً ، فقال له الخضر : فإن اتبعتنى فلا تسألنى عن شىء ، حتى أُحدث لك منه ذكرا .

فانطلقا يمشيان على ساحل البحر ، فمرت سفينة ، فكلموهم أن يحملوهم فعرفوا الخضر فحملوهم بغير نول ، فلما ركبا فى السفينة لم يفجأ إلا والخضر قد قلع لوحاً من ألواح السفينة بالقدوم فقال له موسى : قوم حملونا بغير نول عمدت إلى سفينتهم ، فخرقتها ؛ لتغرق أهلها لقد جئت شيئاً إمرا . قال : ألم أقل إنك لن تستطيع معى صبرا . قال لا تؤاخذنى بما نسيت ولا ترهقنى من أمرى عسرا . قال : وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : وكانت الأولى من موسى نسيانا . قال : وجاء عصفور فوقع على حرف السفينة ، فنقر فى البحر نقرة ، فقال له الخضر : ما علمى وعلمك من علم الله إلا مثل ما نقص هذا العصفور من هذا البحر ، ثم خرجا من السفينة فبينما يمشيان على الساحل إذ أبصر الخضر غلاماً يلعب مع الغلمان ، فأخذ الخضر رأسه بيده فاقتلعه بيده ، فقتله ، فقال موسى : أقتلت نفساً زاكية بغير نفس . لقد جئت شيئاً نكرا قال : ألم أقل لك : إنك لن تستطيع معى صبراً قال : وهذا أشد من الأولى قال : إن سألتك عن شىء بعدها فلا تصاحبنى .قد بلغت من لدنى عذرا ، فانطلقا حتى إذا أتيا أهل قرية استطعما أهلها فأبوا أن يُضَيِّفوهما فوجدا فيها جدارا يريد أن ينقض ، قال : مائل ، فقام الخضر ، فأقامه بيده فقال موسى : قوم أتيناهم فلم يطعمونا ، ولم يضيفونا لو شئت لا تخذت عليه ، أجرا قال : هذا فراق بينى و بينك إلى قوله ذلك إلى تأويل

ما لم تسطع عليه صبرا . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : وددنا أن موسى كان صبر حتى يقص الله علينا من خبرهما . قال سعيد بن جبير فكان بن عباس يقرأ ، وكان أمامهم ملك يأخذ كل سفينة صالحة غصبا ، وكان يقرأ وأما الغلام فكان كافراً وكان أبواه مؤمنين فلما بلغا مجمع بينهما نسيا حوتهما ، فاتخذ سبيله فى البحر سربا « مذهبا يسرب » يسلك . منه : سارب بالنهار[1] » وستأتى معانى مفردات الحديث فى آخر المقال — إن شاء الله —

تعقيب : يقينى أن قصة القرآن فى وضوحها وإشراقها ليست فى حاجة أبداً إلى مزيد ، ولكنه التطلع إلى المجهول يثير شغف الإنسان إلى أن يعرف وإلى أن يشرف علمه على المصير . وأنا هنا فيما أنقل من قصة تزيد قليلا عما نص عليه القرآن إنما أنقل عن ثقة بسندها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد مهد عُذْرَه ، فرواها عن كل من حدثه بها ليخلص للصدق وللأمانة الدقيقة روايته ، وسنرى بعض الاختلاف الذى قد يأتى به تطاول الزمن ، واختلاف الألسنة على قصة طيبة ، فتزيد قليلا ، أو تنقص ، أو تأتى بفهم يخالف فهم الآخر ، أو بتعبير لا يكون فى دقة تعبير الراوى الآخر .

ففى القرآن مثلا يذكر الله سبحانه أن موسى قال للعبد الصالح (هل أتبعك على أن تعلمنى مما علمت رشداً) وأن العبد الصالح قال له : (إنك لن تستطيع معى صبراً ، وكيف تصبر على مالم تحط به خبراً) .

وهكذا تمضى الآيات فى إعجازها الإلهى فى تقرير القصة ، ثم نجد بعض الأحاديث

---

(١) لم يرو حديث الخضر وموسى سوى أبى بن كعب رضى الله عنه وهو أبى بن كعب الأنصارى الخزرجى . كان يكتب الوحى للرسول صلى الله عليه وسلم ، وأحد الستة الذين حفظوا القرآن على عهده ، وكناه النبي : أبا المنذر ، وكناه عمر : أبا الطفيل ، ولقبه الرسول بسيد الأنصار ، وعمر بسيد المسلمين مات سنة تسع من الهجرة بالمدينة .

تذكر عن الخضر أنه قال لموسى : « ياموسى إنى على علم من علم الله علمنيه لا تعلمه أنت . وأنت على علم علمكه لا أعلمه » وهى فى مضمونها لا تخالف روح القصة القرآنية .

وفى رواية أخرى نجد ما يأتى : « فوجدا خضراً فكان من شأنهما الذى قص الله عز وجل فى كتابه » فأحالت الرواية على القرآن . ونعم الإحالة الهادية . وفى رواية أخرى نجد موافقة تامة للرواية الأولى فى هذه المسألة . وفى رواية رابعة ، وهى التى رويت عن إبراهيم بن موسى ، وأخبرت أن مصادر ابن جريج فى رواية الحديث هما يعلى بن مسلم ، وعمرو بن دينار وغيرهما .

فى هذه الرواية جاءت هذه المسألة هكذا : « قال — أى موسى للخضر — جئتُ لتعلمنى مما علمت رشداً ، قال : أما يكفيك أن التوراة بيديك وأن الوحى يأتيك ياموسى ، إن لى علماً لا ينبغى لك أن تعلمه ، وأن لك علماً لا ينبغى لى أن أعلمه » ومن يتأمل ما وضعت تحته خطاً يجد أن هذه الرواية ليست فى دقة ولا ضبط الروايات الأخرى ، وقد لمح البخارى فى سندها إلى مايشير إلى هذا فجملة « لا ينبغى أن تعلمه ، وجملة : لا ينبغى لى أن أعلمه » لا تستقيم أبداً مع قوله تعالى : (إنك لن تستطيع معى صبراً ، وكيف تصبر على مالم تحط به خبراً) ولا مع الروايات الأخرى ، فالروايات الأخرى تنفى فقط عن موسى أنه يعلم علم الخضر ، وعن الخضر أنه يعلم علم موسى ، أما هذه فتقول : إنه لا يصح لموسى أن يعلم علم الخضر ، ولا يصح للخضر أن يعلم علم موسى .

كأنما الإسلام الذى جاء يدعو إليه موسى لا ينبغى أن يعلمه الخضر ! ! .

ومثل هذا الفهم والتعبير أعطى للصوفية حجتهم فى مسألة الظاهر والباطن ، أو الشريعة والحقيقة ، وأن الخضر كان يعلم الحقيقة أو الباطن ، أما موسى فكان لا يعلم سوى الشريعة أو الظاهر ، ولهذا يفضلون الخضر على موسى ، وتأمل التعبير فى سند هذه الرواية « يزيد أحدهما على صاحبه » لتعلم أى دقة كان يتحراها البخارى فى روايته .

مقارنات بين بعض الروايات

ومن الخير أن نعقد بعض المقارنات بين بعض المسائل التي وردت في الأحاديث .

سبب ابتلاء الله لموسى : تجمع كل الروايات على سبب واحد ، وهو قول موسى : أنا أعلم حينما سئل : أى الناس أعلم .

الحوت : في الحديث المروى عن إبراهيم بن موسى أن الحوت كان ميتاً غير أنه لم يذكر أن الحوت شرب من ماء الحياة ، ثم إنه سمى الحوت (نوناً) . وقد أسند ابن جريج مسألة الحوت الميت إلى يعلى ، ولم يسندها إلى الراوى الآخر الذى روى عنه ، وهو عمرو ابن دينار ، وفى المروى عن خالد بن خلى جاء عن الحوت : « فجعل الله له الحوت آية ، وقيل له : إذا فقدت الحوت فارجع فإنك ستلقاه ، فكان موسى صلى الله عليه وسلم متتبع الحوت فى البحر » .

وفى الحديث المروى عن قتيبة بن سعيد جاء أن فى أصل الصخرة عين ماء يقال لها : الحياة لا يصيب من مائها شيء إلا حَيِيَ ، فأصاب الحوت من ماء تلك العين ، قال : فتحرك وانسل من المكتل .

وفى المروى عن الحميدى لم يرد ذكر أن الحوت ميت ، ولم يجيء ذكر للعين التى التى قال قتيبة إنها كانت بأصل الصخرة .

وكذلك المروى عن محمد غرير الزهرى . وفى المروى عن عبد الله بن محمد ، إذ لم يرد فيهما أن الحوت كان ميتاً ، ولم يجيء ذكر هذه العين التى فى أصل الصخرة ، وكذلك فى المروى عن خالد بن خلى .

انسلال الحوت : فى الرواية عن محمد بن غرير لم يرد عن انسلال الحوت من المكتل إلا ما يأتى : « إذا فقدت الحوت فارجع فإنك ستلقاه ، وكان يتبع أثر الحوت فى البحر » ومثلها الرواية عن خالد بن خلى .

وفى الرواية عن عبد الله بن محمد جاء : « وحملا حوتاً فى مكتل حتى كانا عند الصخرة وضعا رءوسهما ، وناما ، فانسل الحوت من المكتل فاتخذ سبيله فى البحر سربا ، وكان لموسى وفتاه عجبا » .

وفى المروى عن قتيبة بن سعيد أن الحوت تحرك ، ودخل البحر ، ولكنه لم يتعرض لما قيل من أن الماء توقف عن الجرى على الحوت ، فكان عليه مثل الطاق . وفى المروى عن إبراهيم ابن موسى ذكر أن الله أمسك عنه جرية البحر حتى كأن أثره فى حجر . وفى المروى عن الحميدى : « وأمسك الله عن الحوت جرية الماء ، فصار عليه مثل الطاق » .

الصخرة وما يتعلق بها : لم تزد الرواية عن ابن غرير عما ذكره القرآن شيئاً . وكذلك الرواية عن عبد الله بن محمد . أما فى رواية الحميدى : « أتيا الصخرة ، وضعا رءوسهما ، فناما ، واضطرب الحوت » .

وفى المروى عن قتيبة بن سعيد : « انتهيا إلى الصخرة ، فنزلا عندها ، فوضع موسى رأسه فنام ، وفى أصل الصخرة عين يقال لها الحياة ، لا يصيب من مائها شىء إلا حيي » .

وفى المروى عن إبراهيم بن موسى : « فبينما هما فى ظل صخرة فى مكان ريان إذ تضرب الحوت ، وموسى نائم ، فقال فتاه لا أوقظه » .

انطلاق موسى وفتاه : لم تزد الرواية عن ابن غرير عما ذكر القرآن ، أما فى رواية عبد الله بن محمد ، فتذكر أمراً زائداً لا يطابق المفهوم من الآية ولا بعض الروايات الأخرى ؛ إذ تذكر : « فانطلقا — أى موسى ويوشع — بقية ليلتهما ويومهما ، فلما أصبح قال موسى لفتاه : آتنا غداءنا لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا » وهذا يفيد أن موسى لم يطالب غداءه إلا فى اليوم التالى لليوم الذى فقد فيه الحوت ، وسياق القصة فى القرآن وفى الروايات الأخرى يناهض هذا المفهوم ، ومثل رواية عبد الله بن محمد — رواية الحميدى إذ تقول : « فانطلقا بقية يومهما وليلتهما حتى إذا كانا من الغد قال موسى لفتاه آتنا غداءنا » .

أما بقية الروايات ، فلا تزيد عما ذكر فى القرآن شيئاً .

الخضر وصفته ومكانه : جاء فى رواية الحميدى « رجعا يقصان آثارهما حتى انتهيا إلى الصخرة ، فإذا رجل مُسَجًّى ثوباً فسلم عليه موسى ، فقال الخضر : وأنى بأرضك السلام ؟ ! قال أنا موسى ، قال موسى بنى إسرائيل ؟ قال نعم » .

تحدد الرواية مكان الخضر بأنه عند الصخرة التى نسى عندها الحوت وتصفه بأنه مغطى بثوب .

وجاء فى رواية إبراهيم بن موسى : « فرجعا فوجدا خضراً ، قال لى عثمان بن أبى سليمان : على طِنْفَسَةٍ خضراء على كبد البحر . قال سعيد بن جبير : مسجى بثوبه وقد جعل طرفه تحت رجليه وطرفه تحت رأسه ، فسلم عليه موسى ، فكشف عن وجهه ، قال هل بأرض من سلام ، من أنت ؟ قال : أنا موسى ، قال موسى بنى إسرائيل ؟ قال : نعم » .

وهنا يحدد من اسمه عثمان بن أبى سليمان مكان الخضر بأنه على كبد البحر ، أى على جزيرة فى البحر ، وزاد أنه كان يجلس على طنفسة ، وزاد أيضاً بيان هيئة تغطيه بثوبه .

وجاء فى رواية قتيبة بن سعيد : « فلما انتهيا إلى الصخرة إذا هما برجل مسجًّى بثوب ، فسلم عليه موسى ، قال : وأنى بأرضك السلام ، فقال : أنا موسى ، قال : موسى بنى إسرائيل ؟ قال : نعم . أما رواية محمد بن غرير الزهرى ، فلم تذكر فى هذا غير ما ذكر القرآن .

فى المتجادلين فى شأن الخضر : تذكر رواية محمد بن غرير أنهما ابن عباس والحر ابن قيس ، ثم تذكر أن أبيا مر بهما ، فسألاه عن هذا الشأن ، أما رواية عبد الله ابن محمد ، فلم تذكر المتجادلين ، وإن ذكرت أن ابن جبير قال لابن عباس عن نوف البكالى أنه يزعم أن موسى الخضر ، ليس موسى بنى إسرائيل ، وأن ابن عباس قال : كذب عدو الله ، ثم مضى يحدثه بما سمع عن أبى ، ومثلها الرواية عن الحميدى ، ومثلها

الرواية عن إبراهيم بن موسى مع خلاف يسير ، ومثلها الرواية عن قتيبة بن سيد ، ولا تعارض فى هذا الأمر .

وأنصح إخوانى بأن يتدبروا قبل كل شىء القصة فى القرآن ، لتكون لهم بصيرة تهديهم فيما يقرءون من بعده .

« الخضر فى الأساطير »

جاء فى شرح القسطلانى لصحيح البخارى ما يأتى عن الخضر : « وكنيته : أبو العباس ، واختلف فى اسمه كأبيه ، وهل هو نبى أو رسول ، أو ملك ، وهل هو حى ، أو ميت . فقال ابن قتيبة اسمه بَلْيَاَ بن مَلْـكان ، وقيل إنه ابن فرعون صاحب موسى ، وهو غريب جداً ، وقيل ابن مالك وهو أخو إلياس ، وقيل ابن آدم لصلبه . . . والصحيح أنه نبى معمر محجوب عن الأبصار ، وأنه باق إلى يوم القيامة لشربه من ماء الحياة ، وعليه الجماهير ، واتفاق الصوفية ، وإجماع كثير من الصالحين ، وأنكر جماعة حياته منهم المؤلف — يعنى البخارى — وابن المبارك ، والحربى ، وابن الجوزى[١] » .

أما كونه حيا فيقطع بكذبه قول الله لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم « وما جعلنا لبشر من قبلك الخُلد » والخلد بقاء طويل دون سرمدية أو أبدية . أما كونه نبياً . فالقرآن يهدى إليه بقوله سبحانه « علمناه من لدنا علماً » وقول العبد الصالح كما قص الله : « وما فعلته عن أمرى » أما بقية الكلام فلا سند له مطلقاً ! ! ولا يزيد عن كونه قولا بغير علم !!

وقال ابن حجر الهيتمى - وهو من أخطر أنصار الخرافة وحماقة التصوف : « وما ذكرته من حياة الخضر هو الذى قطع به الأولياء ، ورجحه الفقهاء والأصوليون ، وأكثر المحدثين . وقد اجتمع به ، وأخبر عنه من لا يحصى من الصديقين والأولياء فى كل زمان . بل والله لقد أخبرونى أنه اجتمع بى ، وسألنى عن شىء فأجبته ، ولم أعرفه ، لأنه لم يعرفه إلا صاحب

---

(١) ص ٢٠١ ج ١ : ط ٣ .

استمداد ممن شاء الله[1] » .

الهيتمي يوغل في الخرافة . ثم يؤكدها بقسم جليل باسم الله . فما قطع بحياة الخضر الأبدية سوى أولياء الشيطان . أما كونه لقي الهيتمي وسأله فيكفيك علماً أن الهيتمي ربيب الصوفية إذ يقول : « إني إنما ربيب في حجور بعض أهل هذه الطائفة[2] » ومن ربي في حجرهم . فلا يمكن أن يعيش إلا نضوا للأساطير . وعبداً للخرافات ثم إن الهيتمي لم يذكر لنا هؤلاء الذين أخبروه بأن الخضر اجتمع بالهيتمي ! ! وهكذا تنكشف لنا حقيقة أصحاب الأسماء الرنانة الطنانة التي دوت في التاريخ بما لم تدو به أسماء صفوة الأبطال والشهداء ! ! تنكشف ، فنرى عَبَدَ ضلالة وخرافة .

ومن سنين عديدة كان هناك من يزعم من خطباء المساجد أن الرجل الذي لقيه موسى هو محمد عليه الصلاة والسلام الذي يظهر في صور عديدة متعاقبة ، وقد رددت عليه في صحيفة الهدى النبوي .

وما زال بعض العوام حتى الآن يقولون فجأة : وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته دون أن يحييهم أحد بتحية السلام ! ! فإذا سئلوا عن ذلك أجابوك : بأن الخضر قد مر الآن ، وألقى السلام ، ونسألهم : وما الدليل ؟ . فتكون الإجابة أنهم شموا رائحة عطرية وهذا دليل مروره ! ! وهو زعم خَرّف به من خَرّف . ثم مضى ينتشر كالوباء بين الناس نبرأ إلى الله من كل ما يخالف كتابه .

بين موسى والخضر

تستدل الصوفية بقصة الخضر على وجود ما يسمى الحقيقة والشريعة وأنه يجوز لمن يعلم الحقيقة أن يخالف ما في الشريعة . وقد رد الإمام الجليل ابن تيمية على هذه الفرية رداً محكماً ، فقال عن الصوفية أن منهم من يسوغ لنفسه اتباع طرق وإن خالفت شرع

(١) ص ٢٣٧ الفتاوى الحديثية .

(٢) ص ٢٣٨ المرجع السابق .

رسول الله ، ويحتجون بقصة الخضر ، ثم يقول : « ولا حجة فيها لوجهين « أحدهما » أن موسى لم يكن مبعوثا إلى الخضر ، ولا كان يجب على الخضر إتباع موسى ، فإن موسى كان مبعوثاً إلى بنى إسرائيل . . فليس لأحد الخروج عن مبايعة محمد باطناً وظاهراً ، ولا عن متابعة ما جاء به من الكتاب والسنة فى دقيق ولا جليل ، لا فى العلوم ، ولا الأعمال ، وليس لأحد أن يقول له كما قال الخضر لموسى .

وأما موسى ، فلم يكن مبعوثا إلى الخضر.

« الثانى » أن قصة الخضر ليس فيها مخالفة للشريعة بل الأمور التى فعلها تباح فى الشريعة إذا علم العبد أسبابها ، كما علمها الخضر ، ولهذا لما بين أسبابها لموسى وافقه على ذلك ، ولو كان مخالفاً لشريعته لم يوافقه بحال . فإن خرق السفينة مضمونه أن المال المعصوم يجوز للانسان أن يحفظه لصاحبه بإتلاف بعضه ! فإن ذلك خير من ذهابه بالكلية . وقصة الغلام مضمونها جواز قتل الصبى الصائل .

ولهذا قال ابن عباس : وأما الغلمان فإن كنت تعلم منهم ما علمه الخضر من ذلك الغلام فاقتلهم ، وإلا فلا تقتلهم ، وأما إقامة الجدار ، ففيها فعل المعروف بلا أجرة مع الحاجة إذا كان لذرية قوم صالحين[1] » .

ويقول فى كتاب آخر عما فعله الخضر « كان الذى فعله مصلحة ، وهو شريعة أمر الله الله بها ، ولم يكن ذلك مخالفاً لشرع الله لكن لما لم يعرف موسى الباطن ، كان فى الظاهر عنده أن هذا لا يجوز ، فلما بين له الخضر الأمور وافقه ، فلم يكن ذلك مخالفا للشرع[2] » وقد قلت من قبل فى كتابى « مصرع التصوف » : « على فرض أن فى القصة مخالفة الباطن للظاهر ، فهذا بالنسبة إلى شريعتين . شريعة الخضر وشريعة موسى ، أما الأمر

---

(١) ص ٦٧ ج ٤ مجموعة الرسائل والمسائل :

(٢) ص ٩٧ ج ٢ مجموعة الرسائل الكبرى .

بالنسبة إلى الخضر ، فكان مافعله هو عين الظاهر فى شريعته فلم يخالف ظاهر مافعل باطن مابه أمر ، فليس إذن ثمّ باطن خالف ظاهراً . كما دعوى الصوفية . فتفترى جواز مخالفة الباطن للظاهر فى الشريعة الواحدة [1] .

خاتمة : أضرع إلى الله أن يجعل ما كتبت قبسا من نور هديه ، وأن يجنبنا فيما نكتب ونعمل ونعتقد الزلل والخطأ إنه سميع مجيب .

عبد الرحمن الوكيل

معانى بعض المفردات التى وردت فى الحديث : مسجّى : مغطى . مكتل . وعاء كان يسع خمسة عشر صاعا كما جاء فى النهاية لابن الأثير .

طنفسة = بساط له خمل رقيق أو ما نسميه نحن « سجادة » .

(١) ص ٢٢ مصرع التصوف لعبد الرحمن الوكيل :

« توحيد الله عز وجل »

وإذا كانت أسماؤه عز وجل وما تتضمنه من معان ومدلولات مما لا يفي به الحصر ولا يمكن أن يتسع له جهد بشر ، فإني أكتفي بهذا القدر الذى قدمته فى التعليق على ماتقدم من الأسماء الحسنى التى تعتبر كالأصول لما دونها . وأذكر هنا جملة من القواعد الهامة التى تجب مراعاتها فى باب الصفات عامة ، وهى قواعد تعصم المتمسك بها من الزيغ والانحراف فى هذا الباب الذى ضل فيه كثير من الطوائف لعدم اتباعهم للنصوص من الكتاب والسنة ، وتعويلهم على ما يسمونه أقيسة عقلية أو مكاشفات صوفية أو غير ذلك مما ابتدعه الناس بأهوائهم فأضلهم عن المنهج الصحيح فى هذا الباب بل وفى كل ما أخبر عنه الشرع من الغيوب التى لامجال للعقول فى بحثها والتفتيش عنها . وظيفتها فقط أن تؤمن بصدق الخبر عنها ولا تجعله من مجالات العقول ، ثم تمسك عما وراء ذلك من حقائق هذه الأخبار وكيفياتها .

وإليك أيها القارىء بعض هذه القواعد ، فاحفظها وتفهمها لتكون من المهتدين على بصيرة .

أولا : ليس كل مايجوز الإخبار به عنه سبحانه يكون داخلا فى باب أسمائه وصفاته فإن مايدخل فى باب الأخبار أوسع مما يدخل فى باب الأسماء والصفات وذلك مثل : الشيء والموجود والقائم بنفسه ، وغيرها من الألفاظ التى تتضمن معانى صحيحة ولكن لم يرد الشرع بتسميته سبحانه بها فهى إخبار عنه وليست أسماء .

ثانيا : إن الصفة إذا كان إطلاقها محتملا للكمال والنقص لم تدخل بمطلقها فى أسمائه

بل لا يطلق عليه منها إلا ما كان كمالا ، وذلك مثل المريد والفاعل والصانع ، فلا يجوز أن يسمى فى حال الإطلاق بل لابد من تقييدها بما يجعلها متمحضة للكمال كقوله تعالى (فعال لما يريد) وكقوله (صنع الله الذى أتقن كل شىء) .

ثالثا . أنه لايلزم من الإخبار عنه بالفعل مقيداً أن يشتق له منه اسم مطلق ، فلا يجوز مثلا أن يسمى ماكراً لأنه قال (ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين) ولا فاتناً لأنه قال (لنفتنهم فيه) ولا كائدا ولا مضلا ولا مستهزئاً أخذاً من الآيات التى نسبت إليه ذلك فعلا . فهذه كلها من باب الإخبار لا الأسماء .

رابعاً : إن الاسم إذا أطلق عليه سبحانه جاز أن يشتق منه المصدر والفعل وأن يقع كل منهما خبرا عنه وذلك مثل : السميع ، البصير ، القدير ، فيقال هو ذو سمع و بصر وقدرة كما قال (قد سمع الله قول التى تجادلك فى زوجها وتشتكى إلى الله والله يسمع تحاوركما إن الله سميع بصير) وكما قال (فقدرنا فنعم القادرون) .

خامسا : إن أسماءه سبحانه كلها حسنى ، ليس فيها اسم غير ذلك أصلا . و إذا كان هناك من الأسماء مايطلق عليه باعتبار الفعل نحو الخالق والرازق والمحيى والمميت ، فهى تدل على أن أفعاله كلها خير محض لايدخلها الشر بوجه ، إذ لو فعل الشر لجاز أن يشتق له منه اسم ، ولم تكن أسماؤه كلها حسنى . فالشر لايضاف إليه سبحانه ، لافعلا ولا وصفاً وإنما يدخل فى مفعولاته التى هى مخلوقة منفصلة عنه .

سادسا : إن كل مايطلق عليه وعلى غيره من الأسماء والصفات له ثلاث اعتبارات ، لأنه إما أن يؤخذ من حيث هو بقطع النظر عن تقيده بالرب تبارك وتعالى أو بالعبد ، و إما أن يؤخذ مضافاً إلى الرب مختصاً به و إما أن يؤخذ مضافاً إلى العبد مقيداً به . فما أخذ مضافاً إلى الرب فهو مختص به لا يشاركه فيه المخلوق ، وما أخذ مضافاً إلى العبد فهو صفته التى يتنزه عنها الخالق . وما أخذ مطلقاً غير مقيد فهو ثابت للرب والعبد ، وللرب منه مايليق بكماله وللعبد منه مايليق به . وهذا كاسم السميع الذى يلزمه إدراك المسموعات والبصير الذى

يلزمه رؤية المبصرات والعليم والقدير وسائر الأسماء فإن شرط صحة إطلاقها حصول معانيها وحقائقها للموصوف بها ، فما يلزمه هذه الأسماء لذاتها عند الإطلاق فإثباته للرب جل شأنه لامحذور فيه بوجه ، ولكن تثبت له على وجه لايماثله فيه خلقه ، فمن نفاه عنه لإطلاقه على المخلوق ألحد فى أسمائه وجحد صفات كماله . ومن أثبته على وجه يماثل فيه خلقه به فقد شبهه بخلقه ومن شبه الله بخلقه فقد كفر . وأما من أثبته له على وجه لايماثل فيه خلقه بل كما يليق بجلاله وعظمته فقد برىء من التعطيل والتشبيه جميعا . وهذا هو طريق أهل السنة الوسط بين الفريقين .

سابعاً : إن الأسماء الحسنى لاتدخل تحت حصر ولا تحد بعدد ، فإن لله تعالى من الأسماء والصفات ما استأثر هو بعلمه فلا يعلمه ملك مقرب ولا نبي مرسل ، كما فى الحديث الصحيح : « أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك أو أنزلته فى كتابك أو علمته أحداً من خلقك أو استأثرت به فى علم الغيب عندك » . وكما فى قوله عليه السلام : « سبحانك لا أحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك » .

ثامناً : إن من أسمائه الحسنى ما يكون دالا على عدة صفات بحيث يكون متناولا لجميعها تناول الإسم الدال على الصفة الواحدة وذلك مثل اسمه العظيم والمجيد والصمد ، وقد فسر ابن عباس الصمد بأنه السيد الذى قد كمل فى سؤدده والشريف الذى قد كمل فى شرفه والعظيم الذى قد كمل فى عظمته والحليم الذى قد كمل فى حلمه إلخ . ثم قال هذه صفته لا تنبغى إلا له ليس له كفواً أحد ، وليس كمثله شىء سبحانه الله الواحد القهار .

تاسعاً : إن الإلحاد فى أسمائه تعالى أنواع : أحدها أن يسمى الأصنام بها كتسميتهم اللات من الإلهية والعزى من العزيز ، وكتسميتهم الصنم إلهاً ، وهذا إلحاد حقيقة لأنهم عدلوا بأسمائه سبحانه إلى أوثانهم وآلهتهم الباطلة .

الثانى : تسميته بما لا يليق به ، كتسمية النصارى له أبا ، وتسمية الفلاسفة له موجباً بذاته ، أو علة فاعلة بالطبع ، أو نحو ذلك .

ثالثها : وصفه بما يتعالى عنه ويتقدس من النقائص ، كقول اليهود قبحهم الله : إنه فقير وأنه استراح يوم السبت بعد أن فرغ من الخلق . وقولهم يد الله مغلولة .

رابعها : تعطيل الأسماء عن معانيها وجحد حقائقها ، كقول من يقول من الجهمية ، إنها ألفاظ مجردة لاتتضمن صفات ولا معانى ، وأنها أسماء مترادفة مدلولها هو نفس الذات ، فيطلقون عليه اسم السميع والبصير والحى والرحيم ، ويقولون لا حياة له ولا سمع ولا بصر ولا كلام ولا إرادة .

وهذا من أعظم الإلحاد فى أسمائه ، فإن كل من جحد شيئاً مما وصف الله به نفسه أو وصفه به رسوله فقد ألحد فى ذلك .

وخامسها : تشبيه صفاته بصفات خلقه ، تعالى الله عما يقوله هؤلاء المشبهة ، وإلحاد هؤلاء يقابله المعطلة ، فإن أولئك نفوا صفات كماله وجحدوها ، وهؤلاء شبهوها بصفات خلقه . فجمعهم الإلحاد وإن تفرقت بهم سبله ، وبرأ الله أتباع رسوله وورثته القائمين بسنته عن ذلك فلم يصفوه إلا بما وصف به نفسه ولم يجحدوا صفاته ولم يشبهوها بصفات خلقه ولم يعدلوا بها عما أنزلت عليه لفظاً ومعنى ، بل أثبتوا له الأسماء والصفات ، ونفوا عنه مشابهة المخلوقات فكان إثباتهم بريئاً من التشبيه ، وكان تنزيههم خلياً من التعطيل . والله يهدى من يشاء إلى سواء السبيل .

محمد خليل هراس

المدرس بكلية أصول الدين

أهداف العبادات فى الإسلام

بينا فيما سبق بعد « رمضان » (بساطة العقيدة الإسلامية) ، وأن عقيدة التوحيد هى هدف النشاط المحمدى المرموق يعيش من أجله ، ويتحمل جميع أنواع المشقات فى سبيل تركيزها فى قلبه وقلوب جميع أتباعه دون مبالاة بما يصيبه من نصب ناصب ، ووصب مدمر ، يتحرك فى محيطها حركته الدءوب المتفانى فى أمرها . وهبها حياته وأنفاسه وصحته وحبه وماله « قل إن صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين لا شريك له » . (سورة الأنعام)

ووعدت أن أوضح إن شاء الله تعالى أهداف العبادات التطبيقية وهى : الصلاة ، والزكاة ، والصوم ، والحج .

* * *

أهـــــداف الصلاة

الصلاة عمود الإسلام ، ولذلك كان اهتمام المصطفى ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ بها عظيماً . يكون مع أصحابه يمازحهم بالحق ، ويخالط نفسه بهم ، فإذا ما حان وقتها قام من بينهم كأنه لايعرفهم ولا يعرفونه ، ينفض همومه عن نفسه التى بين جنبيه فى الصلاة ، يجد فيها الروح والريحان والراحة وقوة اليقين ، وسرور النفس ، تملك عليه حسه ومشاعره .

ما هذا ؟ لا بد أن لذلك سراً غريباً ركزه الله فى قلب السيد الرسول الطاهر .

أجل ! إن الصلاة هى الرابطة الروحية المثالية بين المسلم وربه ، وبينه وبين إمامه ، وبينه وبين إخوانه المؤمنين فى مشارق الأرض ومغاربها .

* * *

هذه الرابطة الروحية الهائلة تتمثل تماماً فى صلاة الجماعة التى ترى فيها صفوف المصلين متماسكة مناكبهم بعضها ببعض متحدة حركاتهم ، متوالية مناجاتهم لربهم كأنهم يحاربون إغراءات الشياطين ، وخبث وسوساتها . انحدوا فى ركوعهم وسجودهم ، وائتموا بإمامهم ،

واتجهوا إلى قبلة واحدة ، قبل طلوع الشمس ، وقبل غروبهـا ، وبعد استوائها وبعد غروبها حتى لا يخلو زمن من مناجاة الخالق بديع السموات والأرض ، ولايخلو مكان من الملجأ إلى الله القدير بجأرون جميعاً « إياك نعبد وإياك نستعين ، اهدنا الصراط المستقيم » ، يسألون ربهم من فوقهم لهم وللصالحين من إخوانهم « السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين » .

* * *

هذه العبادة المهذبة تنتظم جميع المسلمين فى صلاتهم الجماعية والإفرادية ، فإن المنفرد فى صلاته من حوله ومن خلفه ، ومن بين يديه ، وعن يمينه وعن شمائله ، يقف إخوان له فى مختلف أنحاء الأرض يرددون أدعيته ، ويشتركون معه فى المناجاة الربانية .

إنهم جميعاً وفد الرحمن وأعداء الشيطان . إنهم فى وحدة قوية متماسكة لا تنتظم جيلهم الحاضر فحسب ، ولكنها تضم عصر النبوة المحمدية الأولى ، إلى عصر النبوات التى قبلها ممن أجابوا دعوة الرسل ، واطمأنوا بالإيمان بهم ، وكذلك تضم دنيا الأجيال الماضية والحاضرة والمستقبلة من أتباع خاتم النبيين صلوات الله وسلامه عليه وعلى إخوانه المرسلين « ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ، ولا تجعل فى قلوبنا غلا للذين آمنوا » . (سورة الحشر)

* * *

ودليل ذلك واضح فى القبلتين اللتين صلى إليهما الرسول الأعظم ، فإنه فى القبلة الأولى انضم إلى إخوانه من أنبياء بنى إسرائيل ، فصلى إلى بيت المقدس ليشعر أتباعهم أنه لايفرق بين أحد من رسل الله « آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله ، لا نفرق بين أحد من رسله » . (سورة البقرة)

ثم صلى إلى الكعبة عوداً منه إلى الأصل .

والكعبة هى البيت الذى بناه أبو الأنبياء الذى أقر بنبوته جميعهم ، وهو إبراهيم

عليه السلام « إن أول بيت وضع للناس للذى ببكة مباركا وهدى للعالمين . فيه آيات بينات مقام إبراهيم » الآية . (سورة آل عمران)

* * *

وللقبلة قصة أى قصة ! إنها ربطت بين مشاعر المسلمين فى جميع أنحاء الأرض ، ووحدت بين قلوبهم ، وقد كانت فى أول الأمر إلى بيت المقدس ، وحان الوقت وتحولت إلى الكعبة ، وأثار المرجفون حولها الأراجيف ، فصكهم القرآن بحججه الدامغة ، ورد كيدهم فى نحورهم بعد أن أبان لهم حكمة التشريع « لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه » (سورة البقرة) . « قل لله المشرق والمغرب » (سورة البقرة) . « فأينما تولوا فثم وجه الله » (سورة البقرة) .

* * *

أما الأهداف الخلقية للصلاة فهى أكثر من أن تحصى ، فهى المساواة بعينها ، والقضاء على الأنانية المدمرة ، والحض على الجماعية المطلقة ، ونهيها عن الفحشاء والمنكر لا شك فيه ، والتعارف والتآلف والتناصح ، والتشاور ، والتسامى ، والبعد عن سفساف الأمور و و . . . .

* * *

ولقد أراد المولى جل شأنه أن تكون عبادة الصلاة جامعة لروابط شتى بين الأسرة الإسلامية كلها ، و بين جميع الأنبياء والمرسلين ، وقصة القبلتين يكشف لنا أن بيت المقدس هو بيت الإخوة من المرسلين ، والكعبة بيت الجد الأعلى للأنبياء .

ولم تكن أى من القبلتين الأولى أو الثانية مقصودة لذاتها ، ولكنه التقرب الروحى إلى الله العلى العظيم ، جمع شمل الأنبياء ، وضم بعضهم إلى بعض ، وآمن كل منهم بأخيه فى أسرة واحدة هدفها المعبود الأعلى ، وهو الله العلى العظيم ، وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إذ يقول : « نحن معاشر الأنبياء أبناء علات أبوهم واحد وأمهاتهم شتى » وصدق الله العظيم فى قوله : « وإن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون » . (سورة الأنبياء)

أحمد أحمد على حسن

رئيس جماعة أنصار السنة المحمدية بسوهاج

٢ - سويسرا (١)

بقلم السيدة الجليلة حرم الدكتور محمد رضا

مكثنا فى القطار تسع ساعات ولم نضجر لبديع مارأينا من مناظر على الجانبين بعد ما اجتزنا أرض إيطاليا . فلقد زاد الطريق روعة وجمالا فى سويسرا وأحاطت طريق القطار غابات وينابيع متفجرة . ومياه متدفقة ساقطة من عل ، وغدران جارية تسابق القطار فى سرعته وترافقه جنباً إلى جنب ، وهى تقفز فوق الأحجار أو تمر من بين الصخور الضخمة التى تعترض طريقها مزبدة صاخبة إذ ترتطم بها ، فتتلوى دائرة حولها . تارة تجرى فى قرار عميق تنحنى عليها الأشجار ، وتتعانق فوقها أغصانها ، وتارة تندفع داخل غابة وتعدو متلوية بين جذوع أشجارها ، وتارة تنطلق فى الفضاء تتلألأ تحت أشعة الشمس كالفضة لامعة . وتارة تنحدر إلى هاوية فيزيد زبدها وتصير كاللبن ناصعة . وتارة يتسع مجراها فتهدأ وينقلب ابيضاضها وزبدها إلى زرقة باهتة . وتنبسط غضون وجهها وتمشى مشية رزينة ثابتة . وأجمل من ذلك مايهبط من الغدران من أعلى الجبال ثم يجرى تحتها . فمنها مايتفجر فى قوة ويندفع إلى الأمام ، فنراه طائراً فى الهواء ينتثر رذاذه على رءوس الأشجار فتغتسل تحته . ومنها ماينحدر على صخور ناتئة تنتصب فى طريقها عدة مرات ، فتصطدم بها وتتناثر رذاذاً أبيض كالدخان . ومنها مايتلوى راقصاً ويتفرع إلى عدة غدائر فيشبه البرق لماناً وسرعة وشكلا . ومنها مايسيل فى تؤدة ورزانة من فوق رف بارز أفقى من الصخور ، ويتساقط متسعاً متموجاً فى الفضاء كأنه ستار من الحرير الأبيض الشفاف ، يغطى الجبل من رأسه إلى سفحه مهتزاً فى الهواء . ومنها ما يتفجر فى قوة وينطلق خارجاً

(١) تتابع السيدة الجليلة فى هذا المقال وصف ماشهدته فى رحلتها من بديع وجمال صنع الله وقد بدأت بمقال سابق عنوانه « البحر » . « عبد الرحمن »

من فرج ضيق مزبداً كأنه يحاول الخلاص من هذا السجن المظلم إلى الهواء والنور فيلقى بنفسه فى أحضان نهير ، ويجرى معه فرحاً طروبا .

ومما زاد المنظر بهجة ما يحيط به من شتى الأشجار واختلاف أشكالها وألوانها . فإن منها ماشحب لونها ، وشاب رأسها ، واكفهرت أوراقها ، أو احمرت أو ابيضت لامعة كالفضه . فترى شجرة حمراء قانية . بجانب شجرة خضراء زاهية . وشجرة صفراء فاقعة . بجانب شجرة بيضاء ناصعة ، فهناك نوع من الشجر مستدير تغطى غصونه أوراق رفيعة دقيقة طويلة كالشعر قد شحب لونها حتى لمعت كالفضة . وهناك شجرة أوراق أغصانها حمراء . وهناك شجرة قد كساها التفاح الأحمر اللامع حتى أخفى أوراقها . منظر بديع يمتع الأعين إذ تنوعت ألوان الشجر بل تفاوت كل لون من قاتم إلى زاه وباهت . فتصور هذه الأشجار المتنوعة الألوان المتعددة الأشكال وهى تصطف إلى مدى النظر ، وتكسو الجبال من رأسها إلى سفحها وتملأ قاع الوديان تجرى تحتها وفوقها و بينها الغدران ، وتتوهج كل هذه للناظر تحت زرقة السماء شريط من الثلوج البيضاء الناصعة تتدلى منها أفرع من المياه المزبدة اللامعة ، فسبحان من خلق وأبدع . ولوّن وجمل ونوع . وأنعم ونعم ومتع .

إن هذه المناظر تذكرنا بما يصفه الله سبحانه فى الجنة من ظلال وقطوف دانية . وينابيع متفجرة وأنهار جارية . وكان القطار يلج من حين لآخر فى نفق تحت الجبال فنظل فى ظلام دامس عدة دقائق قد تصل أحياناً إلى عشرين دقيقة . وكان ذلك رحمة إذ تستريح أعيننا من التحديق . نعم . لقد تعبت عيناى من كثرة التحديق إلى جمال صنع الله حتى كل بصرى وتألم . لكثرة ما رتع وتنعم .

[ما ترى فى خلق الرحمن من تفاوت ، فارجع البصر هل ترى من فطور . ثم ارجع البصر كرتين ينقلب إليك البصر خاسئاً وهو حسير] .

وصلنا مدينة « لوسيرن » الجميلة وفى صباح الغد توجهنا إلى ساحل البحيرة وركبنا

باخرة صغير بيضاء ، فأبحرت وتوغلت بين الجبال . ورأينا ما يبهر العين ، ومالا يخطر على بال . فيالبديع صنع الله ويا للجمال !! ليتك يا عين تسجلين ما بهرك ، وليتك ياذاكرة تحفظين ماسرك ، وليتك ياقلب تذكر ماأبهجك ، وليتك ياعقل تنسى ماأزعجك ، وليتك يالسان تستطيع التعبير ، وليتك يا قلم تستطيع التصوير . ما هذا الجمال ؟ إن هذا لجليل ! شمس ساطعة . وسحب ناصعة . وثلوج لامعة . وثمار يانعة . وخضرة زاهية . وزرقة صافية . وجبال عالية. وعيون جارية. وقمم دقيقة. ووديان سحيقة. وهاويات عميقة . وذرى شاهقة . ومياه دافقة . وأشجار باسقة . وأغصان متعانقة . كانت صفحة البحيرة البلورية تلمع ساكنة كأنها مرآة مصقولة فانعكس على جانبيها اخضرار الجبال وعلى وسطها زرقة السماء وبياض السحب .

وكان المنظر يتنوع ويتغير كلما تقدمنا فنرى البحيرة تتسع ، ثم تضيق وتستطيل ثم تتعرج مع الجبال يمنة ويسرة ويتوغل ماؤها الأزرق بين جذوع الشجر ، إلى أن يتغلغل بين الجبال فى أخاديد ومضايق متعرجة كثيفة الظلال . نرى بعض الأشجار ينحنى بغصونه ، فتتدلى ، وتغتسل أطرافها فى الماء ، والبعض يرفع قامته المشوقة ويتمايل زهوا فى الهواء . والبعض يداعب البعض الآخر أغصانه يعانقه فى حب وولاء . ونرى الصف الأول من الجبال يلبس ثوبا من الحشائش الخضر تكسوه زاهية لامعة كأنها حلة من القطيفة . قد زينت برسوم داكنة الاخضرار بما انتثر فوقها من غابات كثيفة . ونرى بعض الجبال يحمل فوق قمته غابة فيبدو كأن شعر رأسه قطط منفوش . أو كأن فوق رأسه تاجا من الريش . وبعض الجبال قد اكتست بفروة خضراء كثة الشعر بما غطاها من قمم الأشجار المتلاصقة فبدت كالعهن المنفوش ، تعلوها سحب بيض كالقطن المنفوش . ونرى جبالا هرمية الشكل أو مستديرة كالقباب أو مستطيلة صفوفاً متفاوتة الأشكال والأحجام والألوان تظل من خلفها جبال شامخة تناطح السحب شاحبة اللون بادية الصخور جرداء القمم ، صلعاء الرءوس تتنوع ألوان صخورها . كل هذه المناظر تحيط بالبحيرة الزرقاء اللامعة . جمال يحيط بجمال . وجمال يتوسط جمالا . ومما يزيد هذا الجمال جمالا هذه القصور

المبينة على ساحل البحيرة وسفوح الجبال وما يحيط بها من حدائق فيح وغابات غن . وصلنا بعد ساعة وربع إلى شاطىء جبل (بيلاتوس) وعلوه « ٢١٣٢ » متراً . وصعدنا إلى القطار المنحدر المتسلق عليه وتوغلنا بعد قليل بين أشجار كثيفة الظلال فرأينا زرقة البحيرة من خلال جذوعها وزرقة السماء من خلال غصونها .

وكانت أشعة الشمس توصوص من خلال الغصون فتزين الأرض برسمات ذهبية تتلألأ وتتراقص فوق سندس أخضر ، وبعد ذلك تراكمت الغصون وزادت كثافتها فزاد جمالها وجلالها وهيبتها . إذ كلما تكاثفت الظلال . كلما أوحت الهيبة والجلال . فصارت إذا تغلغل نظرنا بين جذوعها فنرى ظلالا معتمة مهيبة ، وظلمة غامضة رهيبة ، فياله من ظلام أخضر أجمل من النور . ونرى جذوعا معتدلة مرصوفة فوق أرض خضراء تتخللها غصون يانعة يلثم بعضها بعضاً ، ويمد يده مداعباً وذراعه معانقاً . ونرى سماء من الأغصان المورقة المتنوعة الأشكال والألوان تظللنا وتحيط بنا . وما استرعى إعجابي منظر شجر السابان الهرمي الشكل الممشوق القد المعتدل القامة . يحيط بجذعه غصون أفقية متساوية الأطوال منبسطة كأنها أذرع ممتدة تبسط يدها ضارعة ، إهرامات خضر بعضها زاهي اللون ، وبعضها يضرب إلى السواد ، ويضرب أطراف غصونها إلى البياض تمتد معتدلة وتمد حولها من الأذرع تحيي ما يحيط بها من عالم الأشجار .

وبعد ذلك اجتزنا عدة أنفاق مظلمة مبتلة الجوانب والأسقف كأنها اسطوانة حجرية .

ثم علونا وتغلغلنا بين الجبال الوعرة فرأينا تحتنا هاويات ووديان عميقة سحيقة يهلع لرؤيتها القلب إذ يمر القطار على حافة الهاوية ويشرف على الحضيض . وتنحدر إلى بعض قاع الهاويات وتسقط إليها من عل خيوط من الماء المتدفق تتلوى لامعة فوق الصخور الجرد والحشائش الخضر . علونا ثم علونا وما زلنا نصعد ، فنعلو حتى وصلنا بين القمم الجرد الصلع . بعضها بيض وبعضها قاتم أو أرقط .

رءوس عديدة مختلفة الأحجام والأشكال والألوان بعضها أمامنا وبعضها تحتنا وبعضها

فوقها تتخللها هاويات وأخاديد مختلفة العمق والاتساع ، تتدفق فى بعضها مياه تجرى بسرعة كأنها خائفة هاربة . وتتلوى مزبدة كأنها ساخطة غاضبة ، ثم ترتطم بجذوع الشجر وتقفز فوق الأحجار صاخبة .

و بعد ذلك وصلنا إلى رأس جبل (بيلاتوس) ذى القرنين وشعرنا ببرد قارس إذ كنا نمشى على الجليد ورأينا على جانبى رأس الجبل قمتين مدببتين ولذلك سميت ذات القرنين، و بين هاتين القمتين فندق كبير ومطعم فاخر يمتد أمامه ساباط واسع . يرى منه الناظر إلى الحضيض صفحة البحيرة بتفرعاتها ومضايقها وأجنحتها وما حولها من جبال ووديان وهضبات وغابات وسهول متنوعة الألوان تبدو على جانب منها مدينة (لوسيرن) و بيوتها الفخيمة وعماراتها العالية ، منظر يسر العين من هذا العلو الشاهق يبدو كأنه رسم ملون فوق قرطاس . وما يزيده جمالا قطع السحب البيض تداعب القمم السفلى تحتنا وتتخلل الوديان وتكلل ببياضها الغابات الخضر . نراها أسفل منا وأعلى منا تتكسر على القمتين فتتناثر وتتشتت كالدخان فيزيد حجمها واتساعها وتخف كثافتها فتشف عن زرقة السماء كأنها حرير شفيف فوق إستبرق أزرق .

دخلنا من ممشى بجانب المطعم إلى فجوة داخل الجبل مستديرة لا تعلو عن رءوسنا إلا قليلا يتساقط من سقفها قطرات من الماء تزيد لمعة صخورها الخشنة غير المستوية من جميع النواحى . مشينا فى هذا النفق أو السرداب على أرضه الصخرية المبتلة تتساقط على رؤوسنا قطرات من الماء البارد وأظن أن هذا الماء يرشح من الصخور مما يذوب من الثلوج التى تعلوها وتكسوها . بعد ما تقدمنا قليلا صرنا فى ظلام دامس و برد قارس ، و بعد قليل رأينا بصيصاً من نور ضئيل ينعكس لامعاً على الأرض الصخرية المبتلة ثم رأينا ما ينفذ منه النور إلينا وهو نافذة أو بالأحرى ثقب مستدير يشرف على المناظر البديعة، ثم تركناه فصرنا ثانيا فى ظلام ، ثم استنرنا ثانياً بثقب آخر ثم عدنا إلى الظلام وعرجنا يسرة ثم يمنة ثم يسرة ، عدة مرات وأقدامنا تكاد تنزلق لابتلال الأرض ، والقطرات

المثلجة تبل رأسنا ووجهنا ثم بدا لنا بصيص من النور وازداد بالتدريج واستنرنا بثقب كما سبق ، ثم تلاشى النور بالتدريج حتى صرنا فى ظلام دامس وهكذا إلى أن خرجنا من الليل إلى النهار ومن الظلام إلى النور ورأينا أشعة الشمس تلمع على الصخور ووجدنا أنفسنا فى الناحية الأخرى المقابلة للناحية التى دخلنا منها أى دخلنا عن يسار المطعم وخرجنا عن يمينه لأن هذا النفق يمتد وراء المطعم ويقع فوق جبين الجبل مستديراً بين قرنيه .

عدنا إلى القطار وهبطنا فيه وكانت المناظر تختلف كلما هبطنا فنرى من بين الجبال زاوية مختلفة من البحيرة وغابة أخرى وقمة أخرى . فكلما انخفضنا وعرجنا كلما كنا أمام واد جديد ومنظر مختلف بديع وشاطىء آخر من البحيرة يقر العين ويبهج النفس، إذ تبدو من فروج بين الجبال قطعة زرقاء من صفحتها ، تارة مثلثة وتارة مستديرة أو مستطيلة أو يفصلها جبل أو هضبة خضراء إلى قطعتين أو ثلاث مختلفة الشكل والحجم . وما أجمل قمم الجبال وظهورها المحدودبة المتعرجة المتموجة وهى تصطف قائمة يطل طويلها من فوق كتف أو رأس قصيرها ، أو من بين رأسين كأنه يتوق إلى رؤية البحيرة أو كأنه أنيق يحب أن يرى وجهه على مرآة صفحتها الفضية .

فسبحان من أبدع ونظم . وأتقن وأحكم . ومتع ونعم . ورزق وأنعم . [ما ترى فى خلق الرحمن من تفاوت فارجع البصر هل ترى من فطور . ثم ارجع البصر كرتين ينقلب إليك البصر خاسئاً وهو حسير] .

الأخذ بالرخص

عن عائشة رضى الله عنها قالت : صنع النبى صلى الله عليه وسلم شيئاً ترخص فيه ، وتنزه عنه قوم . فبلغ ذلك النبى صلى الله عليه وسلم ، فحمد الله ثم قال « مابال أقوام يتنزهون عن الشىء أصنعه ؟ فوالله إنى أعلمهم بالله وأشدهم له خشية » رواه البخارى .

غزوات الرسول
صلى الله عليه وسلم

غزوة حنين[1]

بعد أن دخل الرسول صلى الله عليه وسلم والمسلمون معه مكة أقاموا بها مغتبطين بنصر الله ، فرحين بذلك الفتح العظيم . إذ أمكنهم الله من مكة — أم القرى — دون أن نسفك فى أرضها دماء كثيرة . ليعلن فى أرجائها : ألا أصنام . . ولا أوثان ولا آلهة تعبد بعد اليوم ، بل إله واحد معبود بحق ، لا إله إلا هو الله الواحد القهار .

هوازن وفتح مكة : ولم يكد المسلمون يستقرون بالمدينة عدة أيام حتى سمعت هوازن بما تم للمسلمين من فتح وما أعقب ذلك من تحطيم الأصنام وانتصار دعوة التوحيد . فخشيت أن تدور عليها هى الأخرى الدائرة كما دارت على قريش وغيرها من قبل .

لذلك جمع مالك بن عوف النضرى هوازن وثقيفاً . كما اجتمعت إليه مضر وجشم وأناس غيرهم من الحاقدين على الإسلام . وتخلفت كعب وكلاب من هوازن . فلما اكتمل جمعهم سار بهم مالك وأخذ معه نساءهم وذراريهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم لقتاله . وعند مانزلوا بأوطاس . وكان فيهم دريد بن الصمة — وهو شيخ كبير وكان شجاعاً مجرباً — عرف دريد أنهم ساقوا أموالهم ونساءهم وذراريهم ، دعى إليه مالك بن عوف

---

(١) وتعرف أيضاً بغزوة « أوطاس » وقد وقعت عام ثمان من الهجرة .

وسأله عن ذلك فأجابه مالك بأنه أراد أن يشجع المحاربين ، فقال دريد : وهل يرد المنهزم شيء ؟ . إنها إن كانت لك لم ينفعك إلا رجل بسيفه ورمحه . وإن كانت عليك فضحت فى أهلك ومالك . ولكن مالكا رفض النزول على رأى دريد وقال مخاطباً قومه فى عناد : والله لتطيعننى يامعشر هوازن أو لأتكئن على هذا السيف حتى يخرج من ظهرى . فتبعه قومه . وقالوا : أطعناك . . فلما رأى دريد من كعب الإصرار والاختلاف ، لم يشهد معهم الغزوة . وإن كان قد تابعهم .

مالك يرسم خطة للهجوم : وأمر مالك من معه أن ينحازوا إلى قمم حنين وشعابه . فإذا هبط المسلمون وادى حنين ، عليهم أن يكسروا جفون أسلحتهم . وأن يشدوا عليهم شدة رجل واحد . ثم بعث مالك عيوناً من رجاله ليقفوا على أخبار الرسول — صلوات الله عليه — فعاد الرجال إلى مالك وقد أصابهم فزع شديد من هول مارأوا عليه المسلمين من قوة وكثرة . فقال لهم مالك : ويلكم ماشأنكم؟ قالوا : رأينا رجالا بيضاً على خيل بلق . والله ماتماسكنا أن أصابنا ماترى . ولكن مالكا لم يثنه عن عزمه مارآه رجاله فى المسلمين من كثرة غالبة . بل تحدى وقرر أن يمضى إلى مايريد لعله يصيب المسلمين بهزيمة فيتفرقوا ويعودوا إلى المدينة ، وبذلك يزول انتصارهم فى مكة .

إعجاب المسلمين بكثرتهم : أما رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد علم بأمر مالك بن عوف وهوازن . فقرر السير إليهم . فاستعمل عتاب بن أسيد على مكة أميراً . ثم خرج ومعه ألفا رجل ممن أسلم من قريش وعشرة آلاف من أصحابه .

وسار جيش النبى بهذه القوة الهائلة . تلمع فى أيديهم سيوفهم ودروعهم . وتغمرهم الفرحة بكثرتهم حتى لقد قال بعضهم لبعض غروراً منهم وإعجاباً : لن نغلب اليوم من قلة . وفى شأنهم نزل قول الله تعالى : (لقد نصركم الله فى مواطن كثيرة ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئاً ، وضاقت عليكم الأرض بما رحبت ثم وليتم مدبرين) — التوبة : ٢٥ .

مفاجأة المسلمين بالقتال : ولما بلغ المسلمون حنيناً نزلوا على واد بها وأمضوا هنالك ليلتهم ثم انحدروا فى عماية الفجر إلى واد من أودية تهامة فى حنين . فلم يلبثوا أن رآهم

رجال مالك وفاجأوهم ، وانقضوا عليهم على غرة ، وشدوا عليهم شدة رجل واحد وأمطروهم وابلا من النبل ، وعندئذ اضطرب المسلمون ، وتراجعوا وتفرق جمعهم وجروا لا يلوى أحد منهم على شيء ، حتى إن ماأصاب المسلمين فى هذه الغزوة حرك نفوس بعض أهل مكة من غير المخلصين الجفاة . فقال أبو سفيان بلسان المغتبط الشامت : لا تنتهى هزيمتهم دون البحر . . وإن الأزلام[1] لمعى فى كنانتى . . وقال كلدة بن حنبل : ألا بطل السحر . فرد عليه أخوه صفوان من أمه أسكت فض الله فاك . فوالله لأن يربنى رجل من المسلمين أحب إلى من أن يربنى رجل من هوازن . وقال شيبة بن عثمان — وكان أبوه قد قتل يوم أحد — اليوم أدرك ثأرى من محمد . اليوم أقتل محمداً . ولما هم شيبة ليقتل رسول الله صلوات الله عليه أحس شيبة بشيء يغشى فؤاده فلم يطقه . فأيقن أنه قد حيل بينه وبين مايريد . فانصرف عن رسول الله . يقول : شيبة فنادانى رسول الله فدنوت منه فمسح على صدرى ثم قال : اللهم أعذه من الشيطان ، فوالله لهو أحب إلى من سمعى وبصرى ونفسى ، وأذهب الله ما كان فى نفسى . ثم قال : أدن فقاتل ، فتقدمت أمامه أضرب بسيفى . . . . . . فقلت إنى أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله . ثم قلت استغفر لى . فقال : غفر الله لك .

الرسول ينادى فى الناس : وبينما هذه الأحداث تتعاقب كان رسول الله صلوات الله عليه يرقب مايجرى . ويفكر فيما يصنعه إزاءها . وقد انحاز إلى ركن ذات اليمين وثبت فيه . وأحاطت به جماعة من المهاجرين والأنصار وأهل بيته . . . فماذا يصنع رسول الله فى هذه اللحظات الحرجة الشديدة ؟ هل يترك هو الآخر الميدان المحفوف بالمخاطر لتذهب بذهابه جهود تلك السنين الطويلة التى قضاها فى تضحيات وكفاح ، والتى كان من ثمارها الطيبة فتح مكة ؟ ! أم يثبت فى مكانه متطلعاً إلى نصر الله الذى ينصر من ينصر دينه ، ليعيد إلى جيشه الطمأنينة والإيمان . ويجمع شتات المسلمين . ويقودهم إلى النصر ؟ .

---

(١) الأزلام : السهام التى كان الجاهليون يقتسمون بها .

فمضى من مكانه الذى ثبت فيه وأخذ ينادى فى الناس : « إلى أين أيها الناس : هلم إلىّ أنا رسول الله ، أنا محمد بن عبد الله » ولكن الفزع كان قد استبد بالمسلمين مما جعلهم لا يستمعون إلى شىء من هذا النداء . فكانت نداءات الرسول صلوات الله عليه تضيع وسط ذلك الهرج وجلبته .

أما هوازن فقد انحدرت من مكمنها بشعاب جبال حنين تطارد المسلمين فى كل اتجاه ، يتقدمها رجل منهم على جمل له أحمر ، بيده راية سوداء فى رأس رمح طويل . فإذا أدرك هذا الرجل أحداً من المسلمين طعنه برمحه ، وتبعه من وراءه من هوازن وثقيف يطعنون المسلمين .

المسلمون ينتصرون : و بينما الرجل الذى من هوازن يفعل كذلك ثارت الحمية فى نفس على بن أبى طالب فاندفع هو وأحد الأنصار نحو الرجل . فضرب علىّ عرقوبى جمله فوقع الجمل على عجزه . فوثب الأنصارى على الرجل فضربه ضربة أطن[1] قدمه بنصف ساقه . فانجعف عن رحله[2] .

أما رسول الله صلى الله عليه وسلم فإنه لما رأى أنه لم يسمع أحد نداءه أمر العباس بن عبد المطلب رضى الله عنه أن ينادى فى النــاس . . ويقول العباس : إنى لمع رسول الله صلى الله عليه وسلم آخذ بحكمة بغلته البيضاء قد شجرتها وكنت امرءًا جسيما شديد الصوت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول حين رأى من الناس ذلك « إلى أين أيها الناس » فلم أر الناس يلوون على شىء فقال « ياعباس اصرخ : يامعشر الأنصار ، يامعشر أصحاب السمرة ، فأجابوا : إليك لبيك لبيك » .

وسرعان ماتجاوبت أصداء النداء فى الوادى . وكانت ظلمة الفجر قد بدأت تنجاب عن أفق الوادى و ينتشر فى ضبابة ضوء النهار . وتذكر النــاس عهدهم مع رسول الله

---

(١) أطن قدمه : أطارها وسمع لضربته دوى .

(٢) سقط صريعاً .

فى بيعة الرضوان[١] تحت الشجرة . . وتذكروا عهدهم لرسول الله حين بايعوه على : ألا يفروا منه حتى الموت ، كما تذكروا مابذلوه من تضحيات ، وما أحرزوه من بطولات رائعة فى سبيل نصرة الإسلام . فعز عليهم أن يضيع كل هذا فى ساعة شدة وأن تنتصر دعوة الباطل . فاندفع الناس نحو رسول الله وقد رأوه واقفاً كالطود فى ثبات وإيمان . ويقول العباس : بعد أن ابى المسلمون نداءه . فيذهب الرجل ليثنى بعيره فلا يقدر على ذلك . فيأخذ درعه فيقذفها فى عنقه ويأخذ سيفه وقوسه وترسه ويقتحم عن بعيره ويخلى سبيله . فيؤم الصوت حتى ينتهى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

هوازن تنهار وتفر : وأخذ المسلمون يعودون تباعاً إلى رسول الله فاجتمع عنده مائة منهم . ثم أصبحوا وجهاً لوجه مع هوازن وتابعيها ، فقاتلوهم ، وقد عادت إليهم عزائمهم وامتلأت قلوبهم بالصبر والإيمان والاستيقان بنصر الله . فجعل الأنصار يتصايحون : ياللأنصار . ثم يتنادون : ياللخزرج . . وأشرف رسول الله على المعركة فجعل ينظر إلى المسلمين وهم يقاتلون المشركين ببسالة واستماتة ، يبث فى نفوسهم روح الحماس والإقدام ويقول « الآن حمى الوطيس » كما كان يقول :

أنا النبى لا كذب　　　أنا ابن عبد المطلب

وفى خلال المعركة تناول الرسول صلى الله عليه وسلم حفنة من التراب من يد العباس ورمى بها فى وجوه الأعداء وهو يقول « انهزموا ورب محمد[٢] » فلم يبق أحد من المشركين إلا وأصابت عينه التراب .

وعجزت هوازن ومن معها عن الصمود أمام قوة المسلمين ، وانهارت مقاومتهم .

---

(١) راجع حديث بيعة الرضوان ، ضمن سلسلة هذه الغزوات بعدد الهدى النبوى ٢٨ الصادر فى صفر سنة ١٣٨٣ هـ .

(٢) ويقال أيضاً . أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نزل عن بغلته وقبض قبضة من تراب الأرض ثم استقبل بها وجوه المشركين وقال « شاهت الوجوه » انظر زاد المعاد للامام بن قيم الجوزية ص ٢٦٤ جـ ٢ ط صبيح .

وولوا مدبرين لا يلوون على شيء تاركين وراءهم نساءهم وأبناءهم وأموالهم غنيمة المسلمين فلجأ بعضهم إلى الطائف ومعهم مالك بن عوف ، ولجأ بعضهم إلى أوطاس .

وقد قتل من هوازن ومن معهم يومئذ سبعون رجلا ، وجرح عدد كبير . أماالمسلمون فقد استشهد بعضهم نتيجة مباغتة المشركين لهم .

غنائم المسلمين : .وعند ما انتهت المعركة أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بجمع الغنائم والسبايا و إيداعها الجعرانة لتحبس هناك حتى يتم له النصر على هوازن . وقد كان عدد الأسرى ستة آلاف نفس . أما الغنائم فقد كان عددها أربعة وعشرين ألفاً من الإبل ، وأربعة آلاف من الشاه ، وأربعة آلاف أوقية من الفضة .

وهكذا نصر الله المسلمين فى حنين ، وانهزم المشركون . وخيب الله آمالهم . وفى شأن هذه الغزوة نزل قوله تعالى (لقد نصركم الله فى مواطن كثيرة ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئاً وضاقت عليكم الأرض بما رحبت ثم وليتم مدبرين . ثم أنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وأنزل جنوداً لم تروها وعذب الذين كفروا وذلك جزاء الكافرين) ـ التوبة ٢٥ : ٢٦ .

غزوة الطائف

تعقب المشركين إلى الطائف : وتتبع المسلمون من فر من هوازن وثقيف إلى الطائف ، فلما بلغوها أمرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بضرب المعسكر هناك فى مكان قريب من حائط ثقيف ، ولكن المشركين ما لبثوا أن رأوهم من أعلى الحصون فرموهم بوابل شديد من النبل فقتل بعضهم ، وأصيب الآخر بجراح ، فاضطر المسلمون إلى الانسحاب بعيداً عن مرمى النبل ، إلى المكان الذى أقيم به مسجد الطائف بعد إسلام أهله . كما ضربت هنالك خيمتان لزوجتى رسول الله « أم سلمة وزينب » .

حصار المشركين داخل الحصون : ولم يكن من اليسير على المسلمين اقتحام حصون الطائف التى احتمت بها ثقيف لمناعتها فحاصر المسلمون هذه الحصون ، وضربوا

ثقيفاً بالمنجنيق [١] ونصبوا لهم الدبابات ، وزحفوا تحتها ليخرقوا جدار الحصون . ولكن ثقيفاً أحموا قطع الحديد ورموا بها الدبابات فأحرقتها . فاضطر المسلمون إلى الخروج من تحتها . والتراجع إلى أماكنهم ، فضربتهم ثقيف بالنبل فقتلت منهم جماعة ، ولما لم تفلح هذه الوسيلة فى إخضاع ثقيف أمر النبى بقطع أعنابها . وعند ما رأت ثقيف أن هذه الوسيلة ستجبرهم على التسليم سألوا الرسول أن يدعها لله وللرحم . فاستجاب لهم ، ونادى مناديه فيهم : أيما عبد نزل من الحصن وخرج إلينا ، فهو حر . فأذعنوا للنداء وخرج منهم بضعة عشر رجلا .

وطال حصار المسلمين لحصون الطائف ، وقبل أن تفتح الحصون أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم عمر بن الخطاب أن يؤذن فى الناس بالرحيل ، فضجوا وقالوا : نرحل ولم يفتح علينا ؟ فأذن لهم رسول الله بالقتال . فعادوا لقتال ثقيف . ولكن الرسول صلوات الله عليه رأى أنه لن يدرك من ثقيف ما يريد فى وقته ذاك ، وقد أقبل شهر ذى القعدة والقتال فيه حرام ، فأذن فى الناس بالرحيل ، فطلب المسلمون منه أن يدعو على ثقيف فقال صلوات الله عليه « اللهم اهد ثقيفا وائت بهم » .

وقد استشهد من المسلمين فى معركة الطائف اثنا عشر رجلا ، سبعة من قريش وأربعة من الأنصار ورجل من ليث .

الرسول يخرج من الطائف : وخرج النبى صلى الله عليه وسلم من الطائف بعد فك الحصار عن حصونها وتوجه إلى مكة ، ثم توقف بالجعرانة حيث تولى تقسيم سبايا وغنائم ثقيف وهوازن ، على المؤلفة [٢] قلوبهم . واحتجز الخمس لنفسه .

وبينما هو بالجعرانة أتاه وفد هوازن مسلمين فرجوه أن يرد عليهم أموالهم ونساءهم

(١) هى آلة من آلات الحصار يرمى بها الحجارة الثقيلة ونحوها

(٢) هم طلقاء يوم الفتح من قريش وكانوا حديثى العهد بالإسلام .

وابناءهم كما ذكروه بقرابته لهم . فتحركت فى نفس رسول الله صلى الله عليه وسلم عاطفة القرابة والبر بأهله[1] فقال لهم :

« أبناؤكم ونساؤكم أحب إليكم أم أموالكم ؟ » قالوا : يارسول الله خيرتنا بين أموالنا وأحسابنا ؟ بل ترد إلينا نساءنا وأبناءنا ، فهو أحب إلينا . . فرد عليهم نبى الله نساءهم وأولادهم .

إسلام مالك بن عوف : ثم سأل رسول الله وفد هوازن عن مالك بن عوف . فأخبروه أنه بالطائف مع ثقيف . فقال لهم النبى ﷺ : أخبروا مالكا أنه إن أتانى مسلماً رددت عليه أهله وماله وأعطيته مائة من الإبل » وسمع مالك بما من عليه رسول الله . فرأى أنه لا مفر من الدخول فى الإسلام ، وأن ملك الإسلام يتسع يوماً بعد يوم فى شبه جزيرة العرب . فأسرع ولحق برسول الله بالجعرانة . فأوفى الرسول بوعده ورد عليه أهله وماله والمائة الإبل فأسلم مالك . ثم أنشد هذه الأبيات ثناء على رسول الله صلوات الله عليه فقال :

ماإن رأيت ولا سمعت بمثله   فى الناس كلهم بمثل محمد
أوفى وأعطى للجزيل إذا اجتدى   ومتى تشا يخبرك عما فى غد

* * *

فاستعمله رسول الله على من أسلم من قومه . ثم خرج من الجعرانة معتمراً إلى مكة فلما قضى عمرته عاد هو والأنصار والمهاجرون إلى المدينة . وخلف عتاب بن أسيد على مكة ومعه معاذ بن جبل يفقه الناس فى دينهم ويعلمهم القرآن .

---

(١) وتذكر كتب السير : أن الأنصار غضبوا حين قسم رسول الله غنائم هوازن وثقيف على قريش والعرب دون الأنصار ، ونقلوا إليه تألمهم مما فعل ، فدعاهم رسول الله وخطب فيهم وكلمهم كلاما حسناً حتى ابتلت فبكوا لحاهم وقالوا : رضينا برسول الله قسما وحكما . راجع تهذيب سيرة بن هشام ص ٤٢٨ ج ٢ ،

صلاة الجمعة فى غير المسجد

وجه سؤال إلى الأستاذ العلامة الشيخ محمد خليل هراس — بعدد شعبان — عن جماعة يؤدون صلاة الجمعة فى أحد المنادر بقريتهم مع تعدد المساجد بها ، فأجاب : أنه لم يؤثر عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه صلى فى غير المسجد ، ولذا فإنها لا تجوز فى المنادر مع تعدد المساجد » هذا موجز ما أجاب به الأستاذ الفاضل .

وأقول : لعل الذى حدا بهؤلاء إلى الصلاة فى أحد المنادر دون مساجد القرية ، هو وجود القبور فى تلك المساجد أو شيوع البدع والخرافات فتحرجوا من الصلاة فيها لهذا السبب ، فإن من المعروف من السنة النبوية المطهرة النهى عن الصلاة فى المساجد المبنية على القبور ، وأن النبى صلى الله عليه وسلم لعن من فعل ذلك ، فهم لهذا لا يريدون الصلاة فى تلك المساجد ، ومع هذا فإن اتخاذ مكان ما للصلاة — جمعة كانت أم جماعة — وتخصيص ذلك المكان للصلاة ، وإقامة الصلوات الخمس ، والمناداة لكل صلاة ، مما يجعل حكم ذلك المكان حكم المسجد ، ولأن صلاة الجمعة حكمها حكم سائر الصلوات ، لا تمتاز عنها إلا بوجوب الخطبة والجماعة ، وما دام الأمر كذلك فالصلاة تجوز فى كل مكان ، إلا فى الأماكن المنهى عنها ، لقوله صلى الله عليه وسلم فى الحديث الصحيح المتفق عليه « وجعلت لى الأرض مسجداً وطهوراً فأيما رجل من أمتى أدركته الصلاة فليصل » وفى لفظ « فحيثما أدركتم الصلاة فصلوا » .

وأرى أن هذا دليل عام يشمل جميع الصلوات ، وليس هناك مايخرج الجمعة من هذا العموم .

* * *

روى أبو داود فى سننه عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك — وكان قائد أبيه بعد ماذهب بصره — عن أبيه كعب بن مالك أنه كان إذا سمع النداء يوم الجمعة ترحم

لأسعد بن زرارة ، فقلت له : إذا سمعت النداء ترحمت لأسعد بن زرارة ؟ قال : لأنه أول من جمع بنا فى هزم النبيت من حرة بنى بياضة فى نقيع يقال له نقيع الخضمات ، قلت : كم كنتم يومئذ ؟ قال : أربعين » .

فهذا إثبات لصلاة الجمعة فى غير المسجد ، لأن النقيع هو مستنقع المياه ، لا عمران فيه ولا مسجد ، وقد أقرهم النبى صلى الله عليه وسلم على ذلك .

ويروى عن أبى هريرة رضى الله عنه أن أهل البحرين كتبوا إلى عمر بن الخطاب يسألونه عن الجمعة وهم بالبحرين ، فكتب إليهم : أن جمعوا حيثما كنتم » أورد ذلك الحافظ بن حجر فى (الفتح) . وروى عبد الرزاق بسند صحيح عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما أنه كان يرى أهل المياه[1] بين مكة والمدينة يجمعون فلا يعيب عليهم ، ولا ينهاهم عن ذلك .

* * *

وقد أورد الإمام ابن حزم فى (المحلى) عن عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلى من الليل فى حجرته وجدار الحجرة قصير ، فرأى أناس شخص النبى صلى الله عليه وسلم ، فقام الناس يصلون بصلاته ، وذكر الحديث ، قال : وحكم الإمامة سواء فى الجمعة وغيرها والنافلة والفريضة ، لأنه لم يأت قرآن ولا سنة بالفرق بين أحوال الإمامة فى ذلك ، ولا جاء نص من الأئتمام بالإمام إذا اتصلت الصفوف فلا يجوز المنع من ذلك بالرأى الفاسد ، وصح عن النبى صلى الله عليه وسلم « جعلت لى الأرض مسجداً وطهوراً فحيثما أدركتك الصلاة فصل » فلا يحل أن يمنع أحد من الصلاة فى موضع إلا موضعاً جاء النص بالمنع من الصلاة فيه ، فيكون مستثنى من هذه الجملة . روينا عن القاسم بن محمد عن عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها أنها كانت تصلى فى بيتها بصلاة الإمام ، وهو فى المسجد ، وقد جاء ذلك مبيناً فى صلاة الكسوف ،

---

(١) هى الآبار التى فى الطريق بين مكة والمدينة . .

إذ صلت فى بيتها بصلاة النبى صلى الله عليه وسلم بالناس ، ومن طريق حماد أخبرنى جبلة ابن أبى سليمان الشقرى قال : رأيت أنس بن مالك يصلى فى دار أبى عبد الله فى الباب الصغير الذى يشرف على المسجد ، يرى ركوعهم وسجودهم .

وعن حماد بن سلمة عن هشام بن عروة عن أبيه أنه جاء يوم الجمعة إلى المسجد وقد امتلأ ، فدخل دار حميد بن عبد الرحمن بن عوف ، والطريق بينه و بين المسجد ، فصلى معهم وهو يرى ركوعهم وسجودهم » . انتهى ماأردت نقله من بعض ما أورده الإمام ابن حزم فى مسألة الصلاة فى غير المسجد .

هذا وروى البيهقى من طريق الوليد بن مسلم : سألت الليث بن سعد (أى عن صلاة الجمه فى المدينة أو القريه) فقال : « كل مدينة أو قرية فيها جماعة أمروا بالجمعة ، فإن أهل مصر وسواحلها كانوا يجمعون الجمعة على عهد عمر وعثمان — رضى الله عنهما — بأمرهما وفيهما رجال من الصحابة » أورد ذلك اللفظ ابن حجر فى (الفتح) .

وبعد : فإن صاحب السؤال لم يبين الأسباب التى دعت هؤلاء المصلين فى المنادر دون الصلاة فى مساجد القرية ، وكان ذلك من دواعى الايجاز فى جواب الأستاذ هراس . إذ لا يصح ترك مساجد الله خاوية والصلاة فى غيرها من الأماكن ، لأن الصلاة فى المساجد هو مقصود الشارع أولاء إلا إذا كانت هناك ضرورة تمنع الصلاة فيها .

فقد جاءتنا رسائل عديدة من بعض الاخوان بالريف تطلب منا زيادة الإيضاح والبيان فاقتضى الحال كتابة ماتقدم . والله ولى التوفيق.

محمد صالح سعدان

سنن العيدين

وزكاة الفطر

روى البخارى عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخرج يوم الفطر والأضحى إلى المصلى . فأول شىء يبدأ به الصلاة ، ثم ينصرف فيقوم مقابل الناس ، والناس جلوس على صفوفهم ، فيوصيهم و يأمرهم .

وفى هذا دليل على الخروج إلى المصلى فى العيد ، وأن صلاة العيد فى المسجد لا تكون إلا لضرورة ، وأنها مستحبة فى الصحراء ، وأن ذلك أفضل من صلاتها فى المسجد ، لمواظبة النبى صلى الله عليه وسلم على ذلك ، مع فضل الصلاة فى مسجده ، وأنها بألف صلاة وروى البخارى عن أم عطية رضى الله عنها قالت « كنا نؤمر بأن نخرج يوم العيد ، حتى تخرج البكر من خدرها ، وحتى تخرج الحيض فيكن خلف الناس فيكبرن بتكبيرهم و يدعون بدعائهم ، يرجون بركة ذلك اليوم وطهرته » .

وهذا صريح الدلالة على الخروج إلى الصحراء لصلاة العيد وتأكيده حتى على النساء . .

وروى البخارى عن ابن عمر رضى الله عنهما قال : كان النبى صلى الله عليه وسلم يغدوا إلى المسجد والعنزة[1] بين يديه تحمل وتنصب بين يديه فيصلى إليها . وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال : خرجت مع النبى صلى الله عليه وسلم يوم فطر أو أضحى ، فصلى ثم خطب ، ثم أتى النساء فوعظهن وذكرهن وأمرهن بالصدقة ، فرأيتهن يهوين بأيديهن يقذفنه فى ثوب بلال ، ثم انطلق هو و بلال إلى بيته .

و يجوز خروج الصبيان إلى المصلى يوم العيد ، سواء منهم من يصلى ومن لا يصلى

---

(١) العنزة : رمح صغير فيه زج .

ليشاهدوا هذه الخيرات والبركات ، كما شرع هذا للحيض من النساء ليشهدن الخير ودعوة المسلمين .

وكان صلى الله عليه وسلم لايصلى العيد فى المسجد إلا لعذر أو مطر . فعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : أصاب الناس مطر فى يوم عيد على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فصلى بهم فى المسجد .

زكاة الفطر

قال الله تعالى (قد أفلح من تزكى) أى أخرج زكاة الفطر وغيرها . (وذكر اسم ربه) أى كبر الله تعالى وهو ذاهب فى طريقه إلى المصلى ، كما روى ذلك عن ابن عمر رضى الله عنهما (فصلى) أى صلاة عيد الفطر .

وعن ابن عمر رضى الله عنهما قال : فرض رسول الله صلى الله عليه وسلم زكاة الفطر صاعا من تمر أو صاعاً من شعير على الحر والعبد والذكر والأنثى والصغير والكبير من المسلمين . وأمر أن تؤدى قبل خروج الناس إلى الصلاة .

وروى البخارى عن بن عمر رضى الله عنهما أنه كان يعطيها الذين يقبلونها ، وكان يعطونها قبل الفطر بيوم أو يومين .

وأخرج أبو داود أن ابن عباس رضى الله عنهما قال : فرض رسول الله صلى الله عليه وسلم زكاة الفطر طهرة للصائم من اللغو والرفث ، وطعمة للمساكين . فمن أداها قبل الصلاة ، فهى زكاة مقبولة . ومن أداها بعد الصلاة فهى صدقة من الصدقات . ويروى : « أغنوهم عن الطواف فى هذا اليوم » أى اغنوا المساكين .

الاغتسال للعيد

عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يغتسل يوم الفطر ويوم الأضحى .

ويستحب التجميل يوم العيد بالثياب وغيرها لما روى عن ابن عمر رضى الله عنهما أنه كان يلبس أحسن ثيابه فى العيدين . وعنه أيضاً : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يلبس يوم العيد بردة حمراء . وعن أبى رمثة قال : رأيت النبى صلى الله عليه وسلم يخطب يوم العيد وعليه بردان أخضران .

وكان صلى الله عليه وسلم لا يغدو يوم العيد — للصلاة — حتى يأكل تمرات ، ويأكلهن وتراً . وليس فى العيد نداء ولا أذان ولا إقامة منذ زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولاخلاف فى ذلك .

* * *

وأما تكبيرات العيد فعن بن عباس رضى الله عنهما قال : حق على المسلمين إذا نظروا هلال شوال أن يكبروا حتى يفرغوا من عيدهم ، لأن الله تعالى ذكره يقول (ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما هداكم) .

وروى البخارى عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا كان يوم عيد خالف الطريق — أى رجع من غير الطريق الذى ذهب منه — ومن فاتته صلاة العيد صلى ركعتين .

وكذلك النساء ومن كان فى البيوت والقرى يقول النبى صلى الله عليه وسلم « هذ عيدنا أهل الإسلام » . وأمر أنس بن مالك رضى الله عنه جميع أهله و بنيه وصلى به كصلاة أهل المصر وتكبيرهم . وليس من السنة صلاة شيء قبل العيد أو بعده — أ: ليست للعيد سنة قبلية أو بعدية .

وإذا اجتمعت الجمعة والعيد فى يوم واحد فيجوز الاكتفاء بصلاة العيد عن الجمعة روى النسائى وأبو داود عن وهب بن كيسان قال : اجتمع عيدان على عهد بن الز فاخر الخروج — للصلاة — حتى تعالى النهار ثم خرج فخطب فأطال ثم نزل فص

ركعتين . ولم يصل الناس يومئذ جمعة فقال ابن عباس : أصاب السنة . وأخرج الإمام أحمد وأبو داود والدارمى وابن ماجه ، وفيه : سمعت معاوية سأل زيد ابن أرقم : أشهدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم عيدين [1] ؟ قال : نعم . صلى العيد أول النهار ثم رخص فى الجمعة . فقال « من شاء أن يجمع فليجمع » .

* * *

وروى البخارى عن عائشة رضى الله عنها قالت : دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعندى جاريتان تغنيان بغناء (بعاث) ، وليستا بمغنيتين ، فاضطجع على الفراش وحول وجهه . ودخل أبو بكر فانتهرنى وقال : مزمارة الشيطان عند النبى ؟ فأقبل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال « دعهما فإن لكل قوم عيد ، وهذا عيدنا » . فلما غفل غمزتهما فخرجتا ، وكان يوم عيد ، يلعب السودان بالدرق والحراب ، فإما سألت النبى ، وإما قال « تشتهيين تنظرين ؟ فقلت نعم ، فأقامنى وراءه خدى على خده وهو يقول : دونكم يابنى أرفدة ، حتى إذا مللت قال : حسبك ؟ قلت نعم ، قال فاذهبى » .

وفى رواية مسلم « وعندى جاريتان تلعبان بالدف » وفى رواية أنه قال « لتعلم يهود أن فى ديننا فسحة » .

وأخرج الإمام أحمد وابن ماجه عن قيس بن سعد بن عبادة أنه قال :

مامن شىء كان على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا وقد رأيته ، إلا شيئاً واحداً . إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقلس له يوم الفطر » .

والتقليس هو الضرب بالدف والغناء . فكان الصبية يجتمعون فى الطرقات يلعبون بالطبل فيراهم النبى صلى الله عليه وسلم فيقرهم على ذلك .

كما أقر الجارية التى نذرت ضرب الدف بين يديه والجاريتين اللتين كانتا عند عائشة رضى الله عنها .

---

(١) أى الجمعة فى يوم العيد .

وشهد شاهد ....

بعد أن سجلت هذه المحاورة التي دارت بين فتاتين من العاملات في الوظائف العامة والتي انتهت نتيجتها إلى أن استقرار المرأة في بيتها هو الشيء الطبيعي لها. قرأت بجريدة (الأخبار) التي تصدر بالقاهرة آراء بعض كبار الأدباء في مصر، فوجدتهم يرون عودة المرأة إلى البيت، وأنه ليس من الطبيعي لها مزاحمة الرجال.

فالكاتب الكبير الأستاذ عباس محمود العقاد يقول: إن المرأة مكانها البيت، لأن الطبيعة أرادت لها البيت، لأن تركيب جسم المرأة قد صنعته الطبيعة من أجل إنسان آخر .... من أجل الطفل الذي ستحمله وترضعه وتربيه بعد ذلك. فدولة المرأة ومملكتها هي البيت، ومهما حاولت المرأة أن تتمرد على هذا الوضع وتخرج من البيت، فلا بد أن تعيدها الطبيعة إلى البيت مرة أخرى.

وأما الأستاذ توفيق الحكيم فيقول إنه موافق على كل كلمة قالها الأستاذ العقاد في المرأة، ويزيد عليه فيقول: إن مجال المرأة في بيتها لأنها تصنع فيه الأجيال القادمة، فإذا هي تركت البيت فمن الذي يربي الأطفال. ويقول إن هيئات كثيرة اعترضت على تشغيل الفتيات لأن إنتاجهن قليل، فهي لا تكاد تتزوج حتى يتناقص إنتاجها إلى الربع أو إلى العشر، فهي مشغولة بالحمل والرضاعة والولادة وتربية الأطفال. وهو لا يمانع في اشتغال الفتيات المحتاجات أو الأرامل اللاتي يخشين الانحراف. الخ.

— وهكذا نجد أيها القارىء الكريم - أن الأديبين الكبيرين يريان أن المرأة مكانها البيت، وليس لها مزاحمة الرجال في الأعمال والارزاق، وهذا ما سجلته هنا في هذه المحاورة:

* * *

« سعاد » فتاة من خريجي الجامعات تعمل على الآلة الكاتبة في إحدى المؤسسات العامة، وراتبها الشهري اثنا عشر جنيهاً. تقدم للزواج منها شاب يعمل في إحدى

الشركات براتب قدره عشرون جنيهاً ، فقبلت ، و بعد فترة تم الدخول بها واستمرت في العمل بعد الزواج وفق رغبة زوجها .

و « زينب » صديقة لسعاد منذ أيام الجامعة ، وظروفها تشبه ظروف سعاد من كل وجه ، فهى تعمل فى شركة قريبة من مؤسسة سعاد ، وتزوجت من شاب كزوج سعاد .

كانت سعاد وزينب تتقابلان كثيراً ، أحياناً فى الأوتو بيس ، وأخرى فى الطريق ، و بعد نحو عام من زواجهما مضت فترة لم تتقابل فيها زينب مع سعاد . فرأت زينب أن تزورها فى منزلها . وعند ما استقر بهما المجلس دار بينهما هذا الحديث :

زينب ـ لماذا لم أقابلك مدة طويلة ؟ .

سعاد ـ كنت حبيسة البيت ، فقد استولى علىّ ضعف شديد لم أستطع معه الذهاب إلى العمل. ومن المصادفات التى لا أدرى إن كانت سيئة أو حسنة أننى كنت أقلب منذ أيام فى بعض الكتب والمجلات الدينية والاجتماعية ، فقرأت فى بعضها مباحث غاية فى الوضوح والبرهان العقلى ، وكلها تناقش موضوع (عمل المرأة خارج البيت) .

تناولت هذه المباحث المرأة من جميع جهاتها : العقلية والجسدية والصحية والأدبية والاقتصادية وانتهت جميعها بالاتفاق على أن المرأة بهذا التكوين الذى فطرها الله عليه لا يمكن أن تستطيع الجمع بين العمل خارج البيت والقيام بأعمال البيت .

وأصارحك القول يا صديقتى إننى كدت أقتنع بهذا الرأى لأنه يؤيده الواقع ، ولذلك بدأت أفكر فى ترك العمل فى المؤسسة .

زينب ـ صدقينى يا سعاد أنه سبق لى الاطلاع على شىء من الآراء الإصلاحية ، ولكنى نسيتها فى زحمة الأفكار المضادة التى كانت تنشر صباح مساء بأقلام مأجورة وأفلام مصورة ، وإذاعات مسمومة ، حتى وقعنا فى هذه الشباك المنصوبة باسم الحرية والحضارة والمدنية .

سعاد ـ لم يبق أمامى لتنفيذ فكرة ترك العمل فى المؤسسة إلا عقبة واحدة إذا استطعنا تذليلها فلن أتوانى عن تنفيذها .

زينب ـ وما هى تلك العقبة ؟ .

سعاد ـ هى كيف نعيش بمرتب واحد بعد أن كنا نعيش بمرتبين ؟ .

زينب ـ هذه عقبة هينة إذا صح العزم وتركتم المظاهر الخداعة ، وآثرتم الصحة والعافية على النفخة الكاذبة .

سعاد ـ إذاً فهل يمكن الاستغناء عن مرتبى مع الاحتفاظ بمعيشة صحية معقولة ؟ .

زينب ـ بكل تأكيد إذا استغنيتم عن مظاهر الترف والكماليات التى لا ضرورة لها .

سعاد ـ أرجو أن ترسمي لى صورة للميزانية الجديدة للحالة الجديدة بمرتب زوجي فقط .

زينب ـ كم مرتبك ؟ .

سعاد ـ اثنا عشر جنيهاً .

زينب ـ حسن جداً ، لاشك فى أن المواصلات تأخذ منك نحو الجنيه الواحد فى الشهر ، والنثريات فى أثناء العمل للمشروبات والمرطبات والوجبات الخفيفة تستغرق نحو ثلاثة جنيهات ، وملابس الخروج من الفساتين التى تتغير كلما تغيرت المودة ، والمعاطف الخفيفة والشتوية والاحذية والجوارب .. الخ كل ذلك يستنفد أيضاً نحو ثلاثة جنيهات ، وأيضاً الفرق الذى تدفعونه فى أسعار الأطعمة الجاهزة التى تشترونها أحياناً لعدم الفراغ ، لا يقل عن جنيهين اثنين ، فهذه تسعة جنيهات تنفق للحصول على اثنى عشر جنيهاً . ويمكن للزوج أن يقتصد فرق الجنيهات الثلاثة الباقية من مصروفه الشخصى ، فيقلل من السجاير أو يقاطعها ، ويقلل من السهر أو يقاطعه فهل تعتقدى أن زوجك على نصيبه من التضحية فى هذه الحالة ؟

سعاد ـ بكل تأكيد لا سيما ووقتى كله سيصبح له وحده ولشئون بيته ، وستعود إلى صحتى التى يفتقديها بكل مرتخص وغال .

زينب ـ إعرضى عليه الأمر قبل تنفيذك له حتى لا يفاجأ به .

سعاد ـ إن شاء الله .

زكريا على يوسف (الإمام)

باب الفتاوى

سؤال

حضرة الأستاذ الشيخ محمد خليل هراس — السلام عليكم ورحمة الله — و بعد :

نشرت مجلة الأزهر فى عددها الصادر فى رجب سنة ١٣٨٣ ، فتوى هذا نصها : (قضاء الصلوات الفائتة واجب شرعاً ومتى كان للمصلى قادراً على تأدية الصلاة من قيام فلا يجوز له أن يؤديها بالإيماء — أما عدد الصلوات الفائتة فيكفى فيه غلبة الظن فيقضى بعضها فى كل يوم حسب إمكانه حتى يغلب على ظنه أنه قضى جميع مافاته —) هذا نص ماجاء فى مجلة الأزهر منسوبا إلى لجنة الفتوى بالأزهر . فما رأيكم وما الدليل الذى اعتمدت لجنة الفتوى عليه ؟

و إنى أنتظر إجابتكم على صفحات مجلتكم والله يجزيكم خير الجزاء — محمد إسماعيل خليفة

بسم الله الرحمن الرحيم

الجواب

ما نشرته مجلة الأزهر منسوباً إلى لجنة الفتوى بالأزهر من وجوب قضاء الصلوات الفائتة هو مذهب الجمهور من الأئمة الأربعة وغيرهم .. واحتجوا لذلك بأمور منها :

١ — قوله صلى الله عليه وسلم لمن سأله هل يحج عن أبيه: (فدين الله أحق أن يقضى) قالوا والصلاة كالحج فإذا خرج الوقت كانت قضاء ، فلا يصلح خروج الوقت مسقطاً لوجوب القضاء .

٢ — قوله صلى الله عليه وسلم فى الحديث المتفق عليه من رواية أنس بن مالك : (من نسى صلاة فليصلها إذا ذكرها لا كفارة لها إلا ذلك) ، وفى رواية المسلم : إذا رقد أحدكم عن الصلاة أو غفل عنها فليصلها إذا ذكرها فإن الله عز وجل يقول : (أقم الصلاة لذكرى) .

قالوا فإذا وجب القضاء على الناسى والنائم وهما أخف حالا من العامد ، يجب القضاء على العامد بطريق الأولى ، والحق إن كلا الحديثين لا يصلح حجة لهم ، أما الأداء فى الوقت يعتبر شرطاً فى صحة الصلاة فإذا تعمد الترك حتى خرج الوقت لايعتبر فعله لها بعد ذلك لفوات شرطه ولا يجوز قياس الصلاة فى ذلك على الحج لأن عنصر الوقت ليس معتبراً فيه لاسيما عند من يقول إنه واجب على التراخى .

وأما الحديث الثانى فهو حجة عليهم لأنه شرط للأمر بأدائها بعد خروج الوقت أن يكون تركها عن عذر من نوم أو نسيان . فيدل هذا بمفهوم الخطاب أن العامد للترك ليس مأموراً بالقضاء وليس الحديث من باب التنبيه بالأولى على الأعلى كما يزعمون فإن الناسى أو النائم لم يتعمد الترك بل خرج عنه الوقت وهو غير مكلف فلما تذكر أو استيقظ كان هذا هو وقت الأداء بالنسبة له لعدم تمكنه قبله ، فجعلت له فرصة لتدارك ما فاته بغير اختيار منه ، وجعل أداؤه للصلاة حينئذ كفارة له . فأين من هذه من يتعمد ترك الصلاة وهو ذاكر لوجوبها حتى يخرج وقتها ؟ وكيف يكون قضاؤه لها بعد مسقطا للإثم عنه ؟ فالحق ما ذهب إليه شيخ الإسلام ابن تيمية وأئمة أهل الظاهر كداود وابن حزم و بعض أصحاب الشافعى أن الصلاة التى تترك عمداً لا تجبر بالقضاء ، بل الواجب على من ترك صلاة متعمداً أن يجدد إسلاماً فإنه قد كفر بهذا الترك ، وأن يكثر من الندم والاستغفار معترفاً بعظيم جرمه و إساءته ، عسى الله بمنه وكرمه أن يقبل توبته والله تعالى أعلم ؟

سؤال : من الأخ الهادى إبراهيم — من الخرطوم

اختلف الكثير من الناس فى تفسير الآية الكريمة : (والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم إذا آتيتموهن أجورهن ... الآية) سورة المائدة :

يفسرها البعض كالآتى : يحل زواج المسلم بالمحصنة من أهل الكتاب لو آمنت بما نزل على محمد صلى الله عليه وسلم . و إن لم تؤمن فلا زواج . مستدلين بقوله تعالى (وتمسكوا بعصم الكوافر) ويفسرها البعض الآخر بأنه يحل زواج المسلم بالمحصنة من أهل الكتاب ،

وإن لم تؤمن بما نزل على محمد صلى الله عليه وسلم . بحيث يصير هو فى دينه وهى فى دينها مدى حياتهما . فنرجوكم أن تفتونا بما يزيل الخلاف . إن الله يجزى المحسنين .

الجواب

قال الله تعالى من سورة المائدة: « اليوم أحل لكم الطيبات وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم والمحصنات من المؤمنات والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم إذا آتيتموهن أجورهن محصنين غير مسافحين ولا متخذى أخدان ، ومن يكفر بالإيمان فقد حبط عمله وهو فى الآخرة من الخاسرين » .

تفيد هذه الآية الكريمة أنه يحل للمسلم أن يتزوج بالكتابية إذا كانت محصنة أى عفيفة ، سواء كانت يهودية أم نصرانية ولا يشترط فى ذلك أن تهجر دينها وتدخل فى دين الإسلام ، أذلو فعلت ذلك لم تكن كتابية بل مؤمنة .

وهذا الحكم استثناء من قوله تعالى (ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن) فإن الكتابية داخلة فى عموم المشركات لقوله تعالى من سورة براءة : (وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله ذلك قولهم بأفواههم يضاهؤن قول الذين كفروا من قبل قاتلهم الله أنى يؤفكون اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله والمسيح ابن مريم وما أمروا ألا ليعبدوا إلها واحداً لا إله إلا هو سبحانه عما يشركون) .

ولهذا روى عن ابن عمر أنه لا يجوز نكاح الكتابية أخذاً بعموم هذه الآية ويقول : أى شرك أعظم من قولها المسيح ابن الله ، ولكن الصحيح رأى الجمهور فى جواز التزوج بالكتابية وهى على دينها فإن آية المائدة متأخرة فى النزول عن آية البقرة ، فهى مخصصة لها .

وأما قوله تعالى من سورة الممتحنة (ولا تمسكوا بعصم الكوافر) فالمراد بهن المشركات من العرب غير الكتابيات ولهذا لما نزلت طلق عمر امرأتين منهما كانتا تحته وكذلك فعل غيره من الصحابة والله أعلم .

أسئلة

من الأخ عمر الحاج قسم الله بالنهود — سودان

س ١ — ماحكم الكلام فى المقابر وزيارتها ؟ .

س ٢ — ماحكم القبض فى الصلاة ، وإذا كان القبض سنة فما حكم تاركها عمداً ، وهل كان الرسول صلى الله عليه وسلم يقبض أحياناً و يسدل أحياناً ؟ .

س ٣ — ما حكم رفع اليدين فى الركوع والرفع منه ؟ .

س ٤ — ماحكم المأموم الذى لم يأت بفاتحة الكتاب ، هل صلاته صحيحة و يكفيه قراءة الإمام ، وكيف نوفق بين حديث « لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب ؟ » .

س ٥ — ما الحكم فيمن أمر حفاظ القرآن ليقرؤه و يهبوا ثوابه للميت ، هل يصله هذا الثواب ، وهل من أخذ الأجر على القراءة حلال له هذا الأجر ؟ ، أم الثواب للذى دفع الأجر فقط ؟ .

ج ١ — المقصود من زيارة القبور هو الاتعاظ بما صار إليه حال هؤلاء الموتى من السكون والهمود وسكنى الأجداث بعد القصور حتى يقصر العبد حبل الأمل ولا يغتر بما هو فيه من زينة الحياة الدنيا ونعيمها و يستعد بالعمل الصالح لمثل هذا المصير ثم يدعو للموتى بالمغفرة والرحمة و يسلم عليهم كما قال الرسول صلى الله عليه وسلم : « إذا زرتم القبور فقولوا: السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين ، و إنا إن شاء الله بكم لاحقون ، يرحم الله المستقدمين منا ومنكم والمستأخرين ، اللهم لا تحرمنا أجرهم ، ولا تفتنا بعدهم ، نسأل الله لنا ولكم العافية » .

وعلى هذا فالكلام فى المقابر بما ينافى هذه الأغراض المقصودة من الزيارة غير جائز .

ج ٢ — اختلف العلماء فى حكم القبض الذى هو وضع اليد اليمنى على اليسرى فى الصلاة فذهب الجمهور إلى أنه سنة مؤكدة حيث ورد فيه عشرون حديثاً ولم يرد عن النبى

صلى الله عليه وسلم أنه أرسل يديه فى الصلاة من طريق واحد حتى قال الحافظ ابن عبد البر إنه لم يأت عن النبى صلى الله عليه وسلم فيه خلاف وقد روى أحمد والبخارى من طريق أبى حازم عن سهل بن سعد قال « كان الناس يؤمرون أن يضع الرجل اليد اليمنى على ذراعه اليسرى فى الصلاة » ولا شك أن هذا الحديث فى حكم المرفوع فإن قول الصحابى أمرنا بكذا أو نهينا عن كذا لا معنى له إلا نسبة ذلك إلى النبى صلى الله عليه وسلم بل قد استدل بعضهم بهذا الحديث على وجوب وضع اليدين فى الصلاة لأن الأمر إذا أطلق ينصرف إلى الوجوب والله أعلم .

جـ ٣ – أما رفع اليدين عند إرادة الركوع وعند الرفع منه فهو سنة كذلك ، فقد أخرج البيهقى من حديث عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال : « كان النبى صلى الله عليه وسلم إذا قام إلى الصلاة رفع يديه حتى يكونا بحذو منكبيه ثم يكبر فإذا أراد أن يركع رفعهما مثل ذلك وإذا رفع رأسه من الركوع رفعهما كذلك أيضاً وقال سمع الله لمن حمده ربنا ولك الحمد » وهذا حديث متفق عليه رواه الشيخان وغيرهما . حتى قال على بن المدينى : (هذا الحديث عندى حجة على الخلق ، كل من سمعه فعليه أن يعمل به لأنه صحيح الأسناد جداً وقد صنف البخارى فى هذه المسألة جزءاً مفرداً روى فيه عن الحسن وحميد بن هلال أن الصحابة كانوا يرفعون أيديهم فى المواطن الثلاثة ولم يستثن الحسن أحداً) ، فدل هذا على أن الرفع هو مذهب جمهور الصحابة ولا عبرة بخلاف ابن مسعود . وقال محمد بن نصر المروزى : أجمع علماء الأمصار على مشروعية ذلك إلا أهل الكوفة يعنى أتباع أبى حنيفة وأما مالك فلم يرو عنه ترك الرفع إلا ابن القاسم وقد نقل الخطابى وتبعه القرطبى أن الرفع هو آخر قول مالك . والله أعلم .

« بقية الأجوبة فى العدد القادم إن شاء الله »

محمد خليل هراس

العدد ١١ — ذى القعدة
المجلد ٢٨ — سنة ١٣٨٣

خير الهدى هدى محمد صلى الله عليه وسلم

الهدى النبوي

تصدرها جماعة أنصار السنة المحمدية

رئيس التحرير
عبد الرحمن الوكيل

مدير الإدارة
سليمان رشاد محمد

مطبعة السنة المحمدية
١٧ شارع شريف باشا الكبير
ت ٩٠٦٠١٧

٣٠ مليما

الفهرس

صفحة

٣ التفسير . . . . للأستاذ الشيخ عبد الرحمن الوكيل
١١ نظرات فى التصوف » » » » »
٢٣ جولة فى البحيرة للسيدة الجليلة حرم الدكتور محمد رضا (رحمه الله)
٢٩ عقيدة القرآن والسنة . . . للأستاذ الشيخ محمد خليل هراس
٣٢ خطبة منبرية . . . . للاستاذ سليمان رشاد محمد
٤١ الفتاوى . . . . » » محمد خليل هراس
٥٠ أنا غير مؤمنة بالمساواة . . . للسيدة بلقيس عبد الله الحميدى

رجاء إلى السادة المشتركين

والمتعهدين

نرجو من السادة المشتركين المتأخرين فى سداد اشتراكاتهم أن يتفضلوا بالمبادرة إلى سدادها .

كما نرجو من المتعهدين بالفروع أن يتكرموا بإرسال مالديهم من أثمان المجلة .

والمرجو إرسال جميع الحوالات وقيم الاشتراكات والذممات المتأخرة

باسم السيد / محمد رشدى خليل أمين صندوق الجماعة .

٨ شارع قوله بعابدين — القاهرة

خير الهدى هدى محمد صلى الله عليه وسلم

الهدى النبوي

مجلة شهرية دينية

تصدرها جماعة أنصار السنة المحمدية

رئيس التحرير
عبد الرحمن الوكيل

أصحاب الامتياز : ورثة
الشيخ محمد حامد الفقى

مدير الإدارة
سليمان رشاد محمد

الاشتراك السنوى
٣٠ — فى الجمهورية العربية المتحدة والسودان
٤٠ — فى الخارج

المركز العام : ٨ شارع قوله - - عابدين القاهرة — تليفون ٧٦٥٧٦

العدد ١١ ذو القعدة سنة ١٣٨٣ المجلد ٢٨

نور من القرآن

بسم الله الرحمن الرحيم

قال — جل ذكره — : (فانطلقا ، حتى إذا ركبا فى السفينة خرقها . قال : أخرقتها ، لتغرق أهلها . لقد جئت شيئاً إمراً . قال : ألم أقل : إنك لن تستطيع معى صبراً . قال : لا تؤاخذنى بما نسيت ولا ترهقنى من أمرى عسراً ـ الكهف : ٧١ — ٧٣) .

« معانى المفردات »

انطلقا : قال الراغب : أصل الطلاق : التخلية من الوثاق . . . وانطلق فلان إذا مر متخلياً اعتباراً بتخلية سبيله .

خرقها : الخرق : قطع الشىء على سبيل الفساد من غير تدبر ولا تفكر ، وهو ضد الخلق : فالخلق هو فعل الشىء بتقدير ورفق والخرق بغير تقدير .

« إمْرًا » : قال الراغب : شيئاً إمراً ، أى منكراً من قولهم : أمِر الأمر أى كبُر وكثر . وقال ابن الأثير عن الإمر الأمر العظيم الشنيع . وقيل : العجب . وقال البقرى : الإمر فى كلام العرب : الداهية ، وأصله كل شىء شديد كثير .

« تُرْهِقْنِي » : رَهِقه الأمر غشيه بقهر .

« عُسراً » : العسر هو الضيق والشدة والصعوبة .

المعنى

أخذ العبدُ الصالح على موسى — عليه السلام — عهداً ذكره الله سبحانه في هذه الآية : (قال : فإن اتبعتني ، فلا تسألني عن شيء حتى أُحْدِثَ لك منه ذِكْراً . الكهف ٧٠) .

وسياق الآيات ، ومفهوماتها البينة تبين لنا أن موسى رضي بهذا ، وتطامنت إليه نفسه ، وأقوى الأدلة على هذا اعتذاره مرتين، عقب نقضه العهد مرتين . وأخذ العهد بهذه الصورة تدل على قوة نفسية من العبد الصالح تستمد من الله سلطانها وهداها . ألا تراه — وهو ليس من أولى العزم من الرسل — يشترط هذا الشرط القوى الذى لا يكون إلا بين أستاذ وتلميذه[1] ؟ ! . وليس في هذا الشرط من حكم على موسى بإخماد عقله ، أو عزله عن نقد المنكر ، فإن موسى يعلم أن العبد الصالح لن يفعل منكراً ، أو يعلم أن العبد الصالح يعمل عن أمر إلهى ، وما دام الأمر كذلك فَلْيَتَنَحَّ العقلُ رضيًا طائعاً مختاراً ؛ لأن الوحى الإلٰهى هو الذى يدبر الأمر .

ورضاه موسى بهذا ، وخضوعه ، واستسلامه يدل على سمو أدب موسى وحبه للمعرفة ، وإيمانه بالله سبحانه . فلم تأخذه — وهو كليم الله — العزة بالإثم ، ولم يتعال — في سبيل أن يزداد إيماناً وعلماً — على رجل أقل منه مكانة ، وأدنى مقاماً . لقد أمره الله ، وعلّمه ، وما كان لموسى إلا أن يخضع ، ويخشع ويحمد الله .

« فانطلقا » . من الآية نستطيع أن نفهم أن الانطلاق كان على سيف بحر أو ساحله ،

---

(١) بهذا يستدل الصوفية على أنه يجب على المريد أن يكون كذلك بين يدى الشيخ ويتناسى هؤلاء أن الأمر بين رسول ونبي يوحى الله إليهما لا بين مريد وشيخ يوحى إليه الشيطان .

ولقد جاء هذا الفهم مصرحاً بألفاظه فى الحديث كما ورد فى البخارى : « فانطلقا يمشيان على ساحل البحر » .

« حتى إذا ركبا فى السفينة خرقها » هذا أول اختبار لموسى عليه السلام ، ويدل سياق الآية : أنه ظل سائراً هو والعبد الصالح حتى وجدا سفينة فركباها . وأظن أنه لم يكن فى ركوب السفينة شيئاً يثير دهشة موسى أو عجبه . أعنى كان الركوب أمراً طبيعياً عادياً يقصدان به جهة معينة ، كما بدا لموسى ، لأنه لم يقل مثلا : ولماذا نركب السفينة ؟ أو لعل نفس هذا العمل — وهو ركوب سفينة — لم يستطع أن يفتن موسى عن عهده فلم يسأل عن علة ركوب السفينة[1] ، واستسلم لصاحبه ، ومن حديث نستطيع أن نستدل على أن البحر الذى كانا سيعبرانه غير وسيع أو غير بعيد مابين الشطين ؛ فقد جاء فى البخارى - رواية عن إبراهيم بن موسى « حتى إذا ركبا فى السفينة وجدا معابر صغاراً[2] تحمل أهل هذا الساحل إلى أهل هذا الساحل » ، فلعلهما كانا سيعبران نهراً أو خليجاً ضيقاً ، والخليج والنهر يطلق عليهما فى اللغة لفظ بحر . ولقد قلت فى عدد رمضان عن مجمع البحرين : أظن أنه ملتقى خليج السويس بخليج العقبة ، فلعلهما كانا سيعبران أحدهما .

مسألة السفينة وخرقها فى الأحاديث : أفادتنا الآية العبرة أما الحديث ، فعنى بتفصيل موضوع العبرة ، فلنذكر ماورد فى الأحاديث عن هذه المسألة ، وسنعرض ماورد فى بعض أبواب البخارى التى عنيت بتفصيل قصة موسى والعبد الصالح ، ففى الرواية عن عمرو بن محمد : « فانطلقا يمشيان على ساحر البحر ، فمرت بهما سفينة ، كلوهم أن يحملوهم ، فعرفوا الخضر فحملوه بغير قول » .

ثم يتحدث عن خرق السفينة ، فيقول : « إذ أخذ الفأس فنزع لوحاً ، قال : فلم يفجأ موسى إلا وقد قلع لوحاً بالقدوم » .

وفى رواية عبد الله بن محمد : « فانطلقا يمشيان على ساحل البحر وليس لهما سفينة ، فمرت بهما سفينة فكلموهم أن يحملوهما ، فعُرِف الخضر ، فحملوهما بغير قول » .

(١) هذا إذا فهمنا أنه لم يكن على علم بنية ركوب البحر من العبد الصالح .

(٢) والمعابر الصغيرة لا تخترق البحار الفسيحة من الساحل إلى الساحل .

ثم يتحدث عن كيفية خرق السفينة : « فعمد الخضر إلى لوح من ألواح السفينة ، فنزعه » .

ورواية البخاري عن الحميدي فى « التفسير » توافق رواية عبد الله بن محمد فى هذه المسألة ، غير أنه زاد أن الخضر استعمل « القدوم » فى قلع لوح السفينة .

أما فى الرواية عن إبراهيم بن موسى ، فقد جاء ما يأتى : « حتى إذا ركبا فى السفينة وجدا معابر صغاراً تحمل أهل هذا الساحل إلى أهل هذا الساحل ، عرفوه ، فقالوا : عبد الله الصالح . قال : قلنا لسعيد[1] : خَضِر ؟ قال نعم : لا نحمله بأجر[2] ، فخرقها ووتد فيها وتدا » .

أما فى الرواية عن قتيبة بن سعيد ، فقد جاء مايلى : « فانطلقا يمشيان على الساحل ، فمرت بهما سفينة ، فعرف الخضر ، فحملوهم فى سفينتهم بغير قول . يقول : بغير أجر ، فركبا السفينة ... قال فلم يفجأ موسى إذ عمد الخضر إلى قدوم ، فخرق السفينة » .

تجمع الأحاديث على ما يأتى : أنهما انطلقا يمشيان على ساحل البحر — وكلمة بحر تقال على الخليج ، وعلى النهر — وأن أصحاب السفينة كانوا يعرفون العبد الصالح من قبل ، وأنهم حملوا موسى والعبد الصالح بغير أجر . ونجد فى مسألة خرق السفينة اختلافاً يسيرا ، فرواية تذكر أن العبد الصالح عمد إلى لوح من ألواح السفينة فنزعه ، وأخرى تذكر أنه نزعه بقدوم ، وأخرى تذكر أنه وتد فيها وتداً بعد الخرق . ولكنها لا تذكر كيف خرقها ، وأخرى تذكر أنه خرق السفينة بقدوم ، وأخرى تذكر أنه أخذ الفأس ، فنزع لوحا ، ثم تقول : فلم يفجأ موسى إلا وقد قلع لوحاً بالقدوم !! وحسبنا أن نعلم أنه خرق السفينة !!

ونلحظ أن الآيات و بعض الأحاديث لم تذكر شأن الفتى مع موسى والعبد الصالح

---

(١) يعنى سعيد ابن جبير أحد رواة الحديث .

(٢) هذا من كلام أصحاب السفينة التى ركبها العبد الصالح هو وموسى يرويه سعيد .

بعد أن لقى موسى العبد الصالح وقد قيل : إن المقصود بالسياق إنما هو قصة موسى مع الخضر، وذكر ما كان بينهما ، وفتى موسى معه تبع ، فلا ضرورة لذكره ، ثم إن بعض روايات الحديث تذكر : « فحملوهم » بضمير الجمع .

والأرجح أن الفتى تركهما ، فالآيات كلها ، وكثير من روايات الحديث تسند الفعل إلى موسى وصاحبه « فانطلقا ، ركبا ، فانطلقا ، لقيا ، فانطلقا ، أتيا ، استطعما ، وَجَدَا » كل هذه الأفعال يسندها الله إلى موسى وصاحبه ، وهذا يؤكد لنا أن فتى موسى لم يكن معهما فى كل هذا ، ولا نستطيع أن نترك كل هذا لإحدى الروايات ! ! .

وقد روى ابن جرير خرافة أسندها غيره إلى ابن عباس أن الفتى شرب من الماء فخلد ، فأخذه الخضر فوضعه فى سفينة ، ثم أرسله فى البحر ، فإنها لتموج به إلى يوم القيامة ، لأنه لم يكن له أن يشرب من عين ماء الحياة ! ! وهى خرافة لا تستأهل مناقشة ! ! .

ونستطيع أن نستنبط من الآيات أن خرق السفينة حدث ، وهما فى مكان يأمنان فيه — هما وأهل السفينة — من الغرق ، فإما أنه حدث قبل أن تقلع(١) ، أو حدث ، وهى على الساحل الآخر ، إذ ليس من المعقول أن يقوم العبد الصالح بخرق السفينة فى مكان خطر يؤدى خرق السفينة فيه إلى أن يغرق هو وموسى وأهل السفينة ، أما الزعم بأن الماء لم يدخلها عقب خرقها ، أو أن موسى سدها بثوبه ، فليس بشىء .

وقول موسى « أخرقتها ، لتغرق أهلها » يفيد أمرين : أن الخرق يمكن أن يحدث الغرق منه ، وأنه خرقها فى مكان لا تغرق فيه بمن فوقها ، ولهذا قال : « لتغرق أهلها بدلا من : لتغرقنا ، فلو أنه أحدث فيها الخرق فى مكان يمكن فيه أن تغرق بهم جميعاً لقال : « لتغرقنا » .

---

(١) تدبر جعل « خرقها » جواباً للشرط فى قوله سبحانه « حتى إذا ركبا فى السفينة خرقها » فلعل هذا يفيد أن الخرق حدث مباشرة عقب الركوب .

ومن سياق الآيات أيضاً ، ومما ذكر فى بعض الأحاديث تفهم أيضاً أن خرق السفينة كان مفاجأة لموسى ، ولكن ماذا فعل أصحاب السفينة ؟ ولم تتعرض الآيات صراحة لموقفهم من عمل العبد الصالح ، وكذلك الأحاديث . ولكنك تستطيع أن تفهم أحد أمرين ، إمّا أن العبد الصالح أسرّ إليهم بحكمة فعله ، فتركوا الخرق فى السفينة كما هو ، ولم يقوموا بإصلاحه ، وإما أنهم لم تتح لهم الفرصة التى يعلمون فيها بنبأ الخرق[1] ؛ إذ جاء الملك الغاصب ، أو جنوده عقب خرقها ، فوجدوها غير صالحة .

هذا أو ما قبله نفهمه من قول الله تعالى قاصًّا قول العبد الصالح : « فأردت أن أعيبها ، وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصباً » إذن بقى العيب فى السفينة ، أى بقى الخرق حتى مر الملك أو جنوده ، ولا نعقل أن أهل السفينة رأوا الخرق ، وتركوه كما هو دون سبب قوى ، وهذا السبب قد يكون — كما قلت — إسرار العبد الصالح لهم بحكمة فعله ، أو إقبال الملك أو جنوده مباشرة عقب الخرق ، قبل أن يتبينوا أمره ، أو لعلهم تبينوه ، ولم تكن لديهم الفرصة الكافية لإصلاحه .

« قال : أخرقتها ، لتغرق أهلها ، لقد جئت شيئاً إمراً » ويأخذنا — نحن البشر عاطفة إشفاق قوية صافية على موسى إذ جعله ظاهر ما رأى ينسى عهده مع العبد الصالح فيتهمه بالإتيان بعمل عدوانى فظيع ، يبدو أنه الجحود المقيت ، ويحكم بسرعةٍ عليه ، أنه أتى داهية

---

(١) هذا إذا فهمنا — وهو الواضح — من كلمة « وكان وراءهم ملك » المعنى الظاهر ، وهو أن الملك كان خلفهم ، وسيمر بهم ، أما إذا فهمنا — كما يذكر بعض المفسرين — أن وراءهم بمعنى : أمامهم ، فيكون قصد العبد الصالح تعطيل أهلها عن الإبحار بها حتى لا يدركوا الملك فى الطريق فيغتصبها ، ولا يمنع هذا الفهم من كونهم شاهدوا الخرق عقب إحداثه ، فوقفوا يصلحونه ، فلم يلحقوا بالملك . ولقد جاء فى تفسير البغوى أن الخضر اعتذر إلى القوم ، وذكر لهم شأن الغاصب ، ولم يكونوا يعلمون بخبره . وقال : أردت إذا هى مرت به أن يدعها لعيبها ، فإذا جاوزه أصلحوها ، فانتفعوا بها ! والله أعلم بما كان .

شنعاء . لقد اتهمه بأنه اقترف خرق السفينة ، ليغرق أهلهـا[١] ، ثم حكم عليه بأنه جاء بأمر فظيع منكر . ولقد قلت من قبل عن هـذا فى عدد « رمضان » : « لقد رأى — موسى — من العبد الصالح الجحود بالجميل حيث ظن وجوب العرفان به ، والسعى فى سبيل المكافأة عليه ، ثم تبين له أن هذا الذى ظنه جحوداً إنمـا هو البر الكريم ، والعمل الذى كان يجب أن يكون به وحده التعبير عن العرفان بالجميل » .

وكنت أقصد بهذا القول أمر السفينة ، ففى مقياسنا — نحن البشر — أنه كان يجب على العبد الصالح أن يكافىء أهل السفينة ، لا أن يخرقها[٢] ، ولكن ثبت لموسى بعدُ أن العبد الصالح أدى إلى أهل السفينة عملا جليلا عظيما ، فليسجد العقلُ خاشعاً حين يأمر الله ، وليحذر من أن يمس جانبَ الوحى بنقد أو معارضـة ، وليحذر أولئك الذين يظنون أنهم يعرفون كل شىء ، وأن العقل له الهيمنة على وحى الله[٣] ، فيجب أن يخضع الوحى الإلٰهى لمقاييس العقل البشرى ، أى مشيئة الخالق وحكمه لمشيئة المخلوق وحكمه !!

(قال : ألم أقل : إنك لن تستطيع معى صبراً[٤]) ماأروع نبل العبد الصـالح ، وسكينة نفسه ، وسمو ألفاظه ، إنه يذكر موسى فى رفق بالعهد الوثيق ، ويذكره بأن يأخذ نفسه بالصبر معه ، وفى ثنايا التذكير عتاب رقيق . وخطأ موسى هنا أنه اعترض على رجل يعلم أنه مأمور من الله سبحانه ، فما كان ينبغى له أن يعترض على أمر الله . أما لو كان

---

(١) ذكرت من قبل أن قوله : « ليغرق أهلها » يدل على أنه خرق السفينة إما فى مكان ضحل ، وإما على الساحل بحيث لا يغرق الخرق السفينة بمن فيها ، ولو كان الأمر غير هـذا لقال : « لتغرقنا » بدلا من . لتغرق أهلها .

(٢) فى حديث البخارى : « فقال له — أى للخضر — موسى : قد حملونا بغير نول — أى أجر — فعمدت إلى سفينتهم ، فخرقتها ، لتغرق أهلها » .

(٣) أشباه هؤلاء أولئك الذين يؤولون آيات الصفات بتجريدها من معانيها ! .

(٤) لاحظ أنه لا ينفى مطلق الصبر عن موسى ، وإنما ينفى صبره معه وحده ، لأن الذى سيقوم به مخالف للأعراف والتقاليد ومقاييس البشر ، لا لشريعة الله سبحانه .

الأمر غير هذا ، لكان مصيباً فى موقفه ، لأنه ينهى عن منكر . ولهذا نجد أن موسى سرعان ما كان يعتذر و ينيب حتى قال ـ كما قص الله .

« لا تؤاخذْنى بما نسيتُ ، ولا ترْهقِنى من أمرى عسرا » من أسلوب الآية تستبين أن موسى آمن بأنه يستحق المؤاخذة . ولهذا لهج برجاء العبد الصالح فى ألاّ يؤاخذه وعقّب بما يبيح له أن يلهج بهذا الرجاء ، وهو قوله : « بما نسيت » أى بنسيانى ، فتدبر أدب موسى !!

كان يمكن أن يقول : « لقد نسيت » ولو قالها ، لبدا لنا أنه لا يعترف بأنه مؤاخذ وكان يمكن أن يقول « لقد نسيت[1] فلا تؤاخذنى » ولكنه بادر بالاعتراف بأنه يستحق المؤاخذة : ليمهد للرضا والعفو والمغفرة السبيل إلى قلب العبد الصالح ، وليستثير أكرم عواطفه وأسمحها .

ثم عقب موسى برجاء آخر هو ألاّ يحمل عليه ما يبهر حمله ، أى : ألاّ يضيّق عليه ، و يشدد . وفى هذا ما فيه من خضوع جميل ، بل فيه ما يشعرك بأن موسى أصبح يرى نفسه أقل شأنا من هذا العبد الصالح ، فلا يرجو مثل هذا الرجاء مَنْ يشعر بأنه أعظم ، و إنما يقوم به من يشعر بأنه أقل ، يقوم به التلميذ ، يقوم به الابن .

أضرع إلى الله أن يهب لنا الخضوع لكلمة الحق والإيمان القوى بالحق إنه سميع مجيب

عبد الرحمن الوكيل

(١) العجيب أن يسند المفسرون إلى ابن عباس أنه قال عن موسى : ما نسى ، وفى هذا ما فيه من تكذيب لموسى ، وابن عباس لا يتردى فى مثل هذه المهلكة !

نظرات في التصوف

- ٢٩ -

تكلمت في العدد السابق عن التوحيد في نظر الغزالي ، وهنا أذكر رأى شيخ الإسلام ابن تيمية فيه ثم نأتي بنصوص تبين لنا أأخطأ ابن تيمية في نقده أم أصاب .

***

رأى ابن تيمية في الغزالي . للغزالي أقنعة متباينة ، فهو كلامي أشعري ، وهو يذم علم الكلام[1] ؛ وهو فيلسوف يقول بكثير مما كفر به الفلاسفة ، وهو يؤلف كتاب « التهافت » ليهدم به الفلسفة ! ! وهو من مؤولة الصفات ، وأمور الآخرة ! وهو ينقد التأويل ، ويطلب منك أن تؤمن بأمور الآخرة كما وردت في القرآن والحديث في كتابه « الدرة الفاخرة » ، وهو باطني يحرف الكلم عن مواضعه ، ويجرد الكلمات من مدلولاتها ويخترع لها معاني مبتدعة ، ثم هو يؤلف ضد الباطنية ! وهو صوفي يسلك مع الصوفية كل درب وتيه ، ثم هو ينقد القائلين بالحلول والاتحاد ، على حين يقول في بعض كتبه بما يجعله من دعاة الحلول والاتحاد ؛ ويوغل وراءهما في كل مهلكة . بل تكاد تشعر أنه يجب أن تؤمن بأنه يدين بالاتحاد مشترطاً ألا تفضح سره ، ولهذا عبر عنه في كتبه بألفاظ ذات وجوه ! .

على أنه صرح في كتابه « المنقذ من الضلال »[2] أنه لم يجد الحقيقة إلا في الصوفية .

---

(١) يذكر في كتابه « إلجام العوام عن علم الكلام » أن مذهب السلف هو الحق ،

(٢) اقرأ اعترافات الغزالي للدكتور عبدالدايم أبو العطا البقري ، فقد أثبت فيه المؤلف مدى كذب الغزالي في اعترافاته : يقول الدكتور : «إن الاعترافات التي سجلها بين صفحات المنقذ ليست باعترافات صادقة صريحة مطابقة للواقع ، وإنما هي اعترافات مثالية كان يتمنى الغزالي أن تكون حياته على شاكلتها ص ١٦

وأقول ما كان رسول الله صوفيا ، ولكن كان حنيفاً مسلماً ، وما كان من المشركين. وما كان أحد من الصحابة وخيار التابعين ينتسب إلى ردغة الصوفية .

وهكذا قطع الغزالى صلته بنى هذه الأمة ، وخيار سلفها الأبرار حين أقر بأنه لم يجد غير الصوفية دينًا قيما يصح أن ينتسب إليه .

كان الغزالى يؤلف لكل فئة ما يجعلها تظن أنه منهم ! غير أنك تستطيع أن تعرف حقيقة دينه فى تلك الكتب التى سماها « المضنون بها على غير أهلها » وفى الإحياء من موضوعاتها كثيراً .

والرجل الذى استطاع أن يكشف لنا حقيقة دين الغزالى ، ويهتك كل الأقنعة عن وجهه هو الإمام الجليل « ابن تيمية » . وهذا هو رأيه فيه .

هاجم ابن تيمية الملاحدة من أمثال الفاطميين ، وإخوان الصفا ، والصوفية كابن عربى وابن سبعين ، ثم قال : « وفى كلام أبى حامد الغزالى فى الكتب المضنون بها على غير أهلها ، وغير ذلك من معانى هؤلاء قطعة كبيرة »[1] .

ويقول : إن كلامه برزخ بين المسلمين وبين الفلاسفة ، ففيه فلسفة مشوبة بإسلام ، وإسلام مشوب بفلسفة .. وكان يعظم الزهد جداً ، ويعتنى به أعظم من اعتنائه بالتوحيد الذى جاء به الرسل » ويقول : « ذاكرنى مرة شيخ جليل له معرفة وسلوك وعلم . فقال : كلام أبى حامد . يشوقك ، فتسير خلفه ، وهو يشوقك ، فتسير خلفه ، منزلا بعد منزل ، فإذا هو ينتهى إلى لا شىء » ثم يحكم على كتابه المسمى : « المضنون به على غير أهله » بقوله : « وهو فلسفة محضة . قول المشركين من العرب خير منه ، دع قول اليهود والنصارى بل قوم نوح وهود وصالح » ويقول : « وأبو حامد بين علماء المسلمين وبين علماء الفلاسفة . علماء المسلمين يذمونه على ما شارك فيه الفلاسفة مما يخالف دين الإسلام ، والفلاسفة يعيبونه عن ما بقى معه من الإسلام ، وعلى كونه لم ينسلخ منه بالكلية إلى قول الفلاسفة ، ولهذا كان الحفيد بن رشد ينشد فيه :

---

(١) ص ٨١ تفسير سورة الإخلاص :

يوما يمانٍ إذا ماجئت ذا يمن   وإن لقيت مَعَدِّيًا فَعَدْنَانُ

وأبو نصر القشيرى وغيره ذموه على الفلسفة ، وأنشدوا عنه أبياتا معروفة يقولون فيها:

برئنا إلى الله من معشر   بهم مرض من كتاب الشفا
فماتوا على دين إرطالس   وعشنا على سنة المصطفى[1]

ولهذا كانوا يقولون : أبو حامد قد أمرضه الشفاء ، وكذلك الطرطوسى والمازرى وابن عقيل ، وأبو البيان ، وابن حمدين ، ورفيق أبى حامد أبو نصر المرغينانى ، وأمثال هؤلاء لهم كلام كثير ، فى ذمه على مادخل عليه من الفلسفة ، ولعلماء الأندلس[2] فى ذلك مجموع كبير » كما يروى الإمام الجليل أن الغزالى قال لشيخ كبير : « أخلصتُ أربعين صباحا[3] ، فلم يتفجر لى شىء ، فقال : يابنى أنت أخلصت للحكمة ، لم يكن الله مرادك : والإخلاص لله أن يكون الله هو مقصود المرء ومراده » .

ويقول عن موقف الغزالى من الفلاسفة : « وهو فى التهافت وغيره يكفرهم وفى المضنون به يذكر ماهو حقيقة مذهبهم . حتى يذكر فى النبوات عين ماقالوه ، وكذلك فى الإلهيات[4] ويتكلم شيخ الإسلام عن طرق أصحاب الخلوات ثم يقول : «وأكثرهم يخرجون إلى أجناس غير مشروعة ، من ذلك طريقة أبى حامد ، ومن تبعه ، وهؤلاء يأمرون صاحب الخلوة ألا يزيد على الفرض ، لاقراءة ولا نظرا فى حديث نبوى ، ولا غير ذلك ، بل قد يأمرونه بالذكر .

---

(١) الشفا يعنى به كتاب الشفاء للفيلسوف ابن سينا وإرطاس ايعنى به أرسطو الفيلسوف اليونانى .

(٢) المعروف أن هؤلاء العلماء أفتوا بوجوب إحراق كتب الغزالى .

(٣) هذا لأن الصوفية تزعم كما يقول الطوسى فى اللمع والقشيرى فى الرسالة من زهد فى الدنيا أربعين يوما صادقا مخلصا تظهر له الكرامات « أنظر باب إثبات الكرامات فى اللمع ، ولهذا طمع الغزالى فى أن تظهر له الكرامات .

(٤) اقرأ هذه النصوص فى كتاب النبوات للامام الجليل ابن تيمية صفحات ٧٩ ، ٨٠ ، ٨١ ، ٨٢ ، ٨٤ ، ١٦٩

ثم قد يقولون مايقوله أبو حامد : ذكر العامة لا إله إلا الله ، وذكر الخاصة : الله الله وذكر خاصة الخاصة :. هو هو [١] » ثم يعرض لغايات أصحاب هذه الخلوات وهى الدعوة إلى الإيمان بوحدة الوجود ، ثم يقول : « وأما أبو حامد وأمثاله ممن أمروا بهذه الطريقة ، فلم يكونوا يظنون أنها تفضى إلى الكفر ، لكن ينبغى أن يعرف : أن البدع بريد الكفر» ثم يقول : « ومنهم ـ أى أصحاب الخلوات ـ من يزعم أنه حصل له أكثر مما حصل للانبياء، وأبو حامد يكثر من مدح هذه الطريقة فى الإحياء وغيره ، كما أنه يبالغ فى مدح الزهد ، وهذا من بقايا الفلسفة عليه: وأبو حامد يقول : إنه سمع الخطاب كما سمعه موسى عليه السلام، وإن لم يقصدْ هو بالخطاب ، وهذا كله لنقص إيمانهم بالرسل ، وأنهم آمنوا ببعض ماجاءت به الرسل ، وكفروا ببعض [٢] .

ونص ماقاله الغزالى فى الإحياء ، وهو يتكلم عن الجبرية المحضة وعن التنزيه والتشبيه وعن المناسبة الباطنة بين العبد والرب ـ هو : « واطو الطريق ، فإنك بالواد المقدس طوى ،

---

(١) ذكر الغزالى هذا فى كتابه «مشكاة الانوار» ص ١٢٥ ، وفى ميزان العمل ، وقد عد الذكر بلا إله إلا الله ذكرا للعوام ، لأن الذكر بها يثبت الإيمان بوجود ربوبية وعبودية، ربوبية المذكور ، وعبودية الذاكر ، ففى هذا الذكر تثنية يبغضها الصوفية وحجتهم الغزالى

أما الذكر بالاسم المفرد « الله » فعدوه من ذكر الخاصة ، لأن فيه ذكر ملاحظة الحقيقة الإلهية وحدها ، والفناء عن غيرها ، غير أن هذا الاسم يشعر بوجود إله ومألوه ولهذا يرغب الصوفية عن الذكر به إلى الذكر بهو ، فإنه ذكر خاصة الخاصة ، لأنه ذكر يثبت وجود هوية واحدة ، أو حقيقة واحدة ، أو يستلزم الإقرار بوجود واحد فقط ، على أن بعض الصوفية يجعل أفضل الذكر « أنا أنا » ومنهم السهروردى المقتول ، لأنه يثبت العينية المطلقة .

(٢) وانظر ما ذكره ابن تيمية فى ص ٨٦ ، ٨٧ من الرسالة الخاصة من مجموعة الرسائل والمسائل .

واستمع بسر قلبك لما يوحى ، فلعلك تجد على النار هدى ، ولعلك من سرادقات العرش تنادى بما نودى به موسى : إنى أنا ربك [1] » :

ولقد انتقد بعض الشيوخ على الغزالى هذا القول الذى نقلناه عنه ، فرد عليهم فى كتابه الذى سماه الإملاء ، وقد أكد فى رده أن الولى يسمع الوحى ، وقد ضرب مثلا لهذا خلاصته . أن الملك قد يولى أحد رعاياه ولاية ، ثم يجلسه فى حضرته ، ويلقى إليه بأوامره وفى المجلس انسان آخر يسمع ما يأمر به الملك هذا الوالى ، ثم يقول :

« وكذلك هذا السالك المذكور إذا وصل فى طريقه ذلك بحيث يتصل بالمكاشفة والمشاهدة واليقين التام الذى يوجب المعرفة والعلم بتفاصيل المعلوم ، فلا يمتنع أن يسمع ما يوحى لغيره من غير أن يقصد هو بذلك ، إذ هو محل سماع الوحى على الدوام ، وموضع الملائكة

ولقدذكرت كلام الغزالى بنفس ألفاظه ، وهو يؤكد صدق ما دمغه به ابن تيمية . يؤكد أن الغزالى يدين بأن بعض الصوفية يسمعون وحى الله ! ! ومع وضوح كلامه هنا ، فإنه أبى إلا أن يزيده إيضاحاً وتوكيداً ، فذكر رأى من اعترض عليه وهذا نص كلام المعترض كما ذكره الغزالى : « أراك قد أوجبت له نداء الله تعالى ، ونداء كلامه والله تعالى يقول : (تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله ، ورفع بعضهم درجات) فقد نبه أن تكليم الله تعالى لمن كلمه من الرسل إنما هو على سبيل المبالغة فى التفضيل ، وهذا لا يصلح أن يكون لغيره ممن ليس بنبى ولا رسول » .

وقد رد الغزالى على هذا الاعتراض [2] بقوله : « ليس فى الآية مايرد ما قلنا ، ولا يكره ، لأنا ما أوجبنا أنه كلمه قصداً ، ولا توخاه بالخطاب عمدا ، وإنما قلنا : يجوز أن

---

(١) ص ٢١٦ جـ ٤ الإحياء .

(٢) ثار العلماء المغاربة على كتاب الإحياء ، وأظهروا مافيه من زيغ ، فألف الغزالى كتابه « الإملاء » يرد فيه على العلماء المغاربة الذين انتقدوه .

يسمع ما يخاطب الله تعالى به غيره »[١] هذا خرق يظنه الغزالى حجة له ! ! ، وما يأذن القلب المسلم لمثل هذا الـكيد لدين الله حتى أن يطرق بابه.

وإنى لأقول : إن الغاية من ترديد مثل هذه الخرافات هو القضاء على هدى القرآن ودفع القلوب إلى الإصغاء إلى ما يزعم الصوفية أنه وحى إلهى يوحى إليهم ، ولقد رأيت نتيجة هذا الوحى ! !

ويقول : المنقذ من الضلال ، « ومن أول الطريقة تبتدىء المـكاشفات والمشاهدات حتى إنهم فى يقظتهم يشاهدون الملائـكة ، وأرواح الأنبياء ، ويسمعون منهم أصواتا ، ويقتبسون منهم فوائد ، ثم يترقى الحال من مشاهدة الصور والأمثال إلى درجات يضيق عنها نطاق النطق ، ولا يحاول معبر أن يعبر عنها إلا اشتمل لفظه على خطأ صريح » .

ويقول فى « كيمياء السعادة » عن الذاكر : « إذا جلس فى مكان خال ، وعطل طريق الحواس ، وفتح عين الباطن وسمعه ، وجعل القلب فى مناسبة عالم الملـكوت ، وقال دائما : « الله الله الله » بقلبه دون لسانه إلى أن يصير لا خبرة معه من نفسه ، ولا من العالم ، ويبقى لا يرى شيئاً إلا الله سبحانه وتعالى انفتحت له تلك الطاقة ، وأبصر فى اليقظة الذى يبصره فى النوم ، فتظهر له أرواح الملائـكة والأنبياء ، والصور الحسنة الجميلة الجليلة وانـكشف له ملكوت السموات والأرض ، ورأى مالا يمكن شرحه ولا وصفه »[٢].

ويقول فى الإحياء . « قال بعض المـكاشفين : ظهر لى الملك ، فسألنى أن أملى عليه شيئاً من ذكرى الخفى عن مشاهدتى من التوحيد ، وقال : ما نـكتب لك عملا ، ونحن نحب أن نصعد لك بعمل تتقرب به إلى الله عز وجل ، فقلت : ألستما تـكتبان الفرائض قالا : بلى . قلت ، فيكفيكما ذلك » ويقص عن بعض العارفين قوله : « سألت بعض

---

(١) ص ١٤٣ وما بعدها الإملاء بهامش ج ١ من الإحياء .

(٢) ص ١٥ الجواهر الغوالى .

الأبدال عن مسألة من مشاهدة اليقين ، فالتفت إلى شماله ، فقال : ماتقول رحمك الله ، ثم التفت إلى يمينه ، فقال : ماتقول رحمك الله ، ثم أطرق إلى صدره ، وقال :ماتقول رحمك الله ، ثم أجاب بأغرب جواب سمعته ، فسألته عن التفاته ، فقال : لم يكن عندى فى المسألة جواب عتيد ، فسألت صاحب الشمال ، فقال : لا أدرى ، فسألت صاحب اليمين ، وهو أعلم منه ! فقال : لا أدرى ، فنظرت إلى قلبى ، وسألته فحدثنى بما أجبتك ، فإذا هو أعلم منهما[1] » .

لقد نقلت لك من كتب الغزالى بعض دينه ، وبهذا يتجلى لنا أن ابن تيمية كان فى نقده مثلا أعلى للصدق والأمانة والعدل والإنصاف ، فما نسب إلى الغزالى شيئا لم يقله ، وما حكم عليه إلا بما حكم به القرآن على من يدعون بغير دعوته ، ويناهضون الحق الصراح منه . ويتجلى لنا أيضاً أن الغزالى ليس حجة الإسلام ، وإنما هو صنم للصوفية ! وإنما هو كما وصفه ابن تيمية ! !

العلة فى انحراف الغزالى :

ثم يفصل ابن تيمية رأيه فى الغزالى ، ويذكر علة انحرافه ، وبعده عن سواء السبيل ، فيقول : « وتجد أبا حامد الغزالى ــ مع أن له من علم الفقه والتصوف والكلام والأصول وغير ذلك . مع الزهد والعبادة وحسن القصد ، وتبحره فى العلوم الإسلامية أكثر من من أولئك ــ يذكر فى كتاب الأربعين ، ونحوه ، وكتابه المضنون به على غير أهله ، فإذا طلبت ذلك الكتاب ، واعتقدت فيه أسرار الحقائق ، وغاية المطالب وجدته قول الصابئة المتفلسفة بعينه قد غيرت عباراتهم ، وترتيباتهم ، ولم يعلم حقائق مقالات العباد ، ومقالات أهل الملل معتقداً أن ذاك هو السر الذى كان بين النبى صلى الله عليه وسلم وأبى بكر ، وأنه هو الذى يطلع عليه المكاشفون الذين أدركوا الحقائق بنور إلهى فإن أبا حامد كثيراً ما يحيل فى كتبه على ذلك النور الإلهى وعلى ما يعتقد أنه يوجد للصوفية والعُبّاد برياضتهم

---

(١) ص ٢٢ جـ ٣ الاحياء .

ودياناتهم من إدراك الحقائق وكشفها لهم ، حتى يزنوا بذلك ما ورد به الشرع وسبب ذلك أنه كان قد علم بذكائه وصدق طلبه ، ما فى طريق المتكلمين والمتفلسفة من الاضطراب وآتاه الله إيمانا مجملا ، كما أخبر به عن نفسه ، وصار يتشوق إلى تفصيل الجملة ، فيجد فى كلام المشايخ والصوفية [١] ماهو أقرب إلى الحق ، وأولى بالتحقيق من كلام الفلاسفة والمتكلمين والأمر كما وجده ، لكن لم يبلغه من الميراث النبوى الذى عند خاصة الأمة من العلوم والأحوال ، وما وصل إليه السابقون الأولون من العلم والعبادة حتى نالوا من المكاشفات [٢] العلمية والمعاملات العادية مالم ينله أولئك فصار يعتقد أن تفصيل تلك الجملة يحصل بمجرد تلك الطريق ، حيث لم يكن عنده طريق غيرها ، لانسداد الطريقة الخاصة السنية النبوية عنه بما كان عنده من قلة العلم بها ، ومن الشبهات التى تقلدها عن المتفلسفة والمتكلمين ، حتى حالوا بها بينه و بين تلك الطريقة ، ولهذا كان كثير الذم لهذه الحوائل ولطريقة العلم . و إنما ذاك [٣] لعلمه الذى سلكه ، والذى حجب به عن حقيقة المتابعة للرسالة ، وليس هو بعلم ، و إنما هو عقائد فلسفية وكلامية ، كما قال السلف « العلم بالكلام هو الجهل » وكما قال أبو يوسف « من طلب العلم بالكلام تزندق » .

ولهذا صار طائفة ممن يرى فضيلته وديانته يدفعون وجود هذه الكتب عنه حتى كان الفقيه أبو محمد بن عبد السلام [٤] . فما علقه عنه ــ ينكر أن يكون كتاب « بداية الهداية » من تصنيفه ويقول : إنما هو تَقَوُّل عليه ، مع أن هذه الكتب مقبولها أضعاف مردودها ، والمردود منها أمور مجملة ، وليس فيها عقائد ولا أصول الدين .

---

(١) يقصد بعض متقدمى الصوفية ، فقد كانوا ــ كما قلت من قبل ــ يخلطون باطلا بحق وحقا بباطل .

(٢) لا يرتضى الحق التعبير بكلمة مكاشفات ، فهى فى الدين الصوفى مكاشفة الله سبحانه !

(٣) أى إن ذمه إنما يقع على علم خاص هو ما عرفه من العلوم الكلامية والفلسفية .

(٤) شهرته العز ، أو عز الدين .

وأما « المضنون به على غير أهله » فقد كان طائفة أخرى من العلماء يكذبون ثبوته عنه ، وأما أهل الخبرة به وبحاله ، فيعلمون أن هذا كله كلامه لعلمهم بمراد كلامه ومشابهة بعضه بعضاً ، ولكن كان هو وأمثاله — كما قدمت — مضطربين لا يثبتون على قول ثابت ، لأن عندهم من الذكاء والطلب ما يتشوفون به إلى طريقه خاصة الخلق ، ولم يقدر لهم سلوك طريق خاصة هذه الأمة الذين ورثوا عن الرسول صلى الله عليه وسلم العلم والإيمان ، وهم أهل حقائق الإيمان والقرآن ، كما قدمناه ، وأهل الفهم لكتاب الله والعلم والفهم لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأتباع هذا العلم بالأحوال والأعمال المناسبة لذلك ، كما جاءت به الرسالة ؛ ولهذا كان الشيخ أبو عمرو بن الصلاح يقول ، فيما رأيته بخطه : « أبو حامد كثر القول فيه ومنه ، فأما هذه الكتب — يعنى المخالفة للحق — فلا يلتفت إليها[1] . وأما الرجل فيسكت عنه ويفوض أمره إلى الله .

ومقصوده[2] أنه لا يذكر بسوء ؛ لأن عفو الله عن الناس والمخطىء وتوبة المذنب تأتى على كل ذنب ، وذلك من أقرب الأشياء إلى هذا وأمثاله ، ولأن مغفرة الله بالحسنات منه ومن غيره وتكفيره الذنوب بالمصائب تأتى على مغفرة الله بالحسنات منه ومن غيره وتكفيره الذنوب بالمصائب تأتى على محقق الذنوب — فلا يقدم الإنسان على انتفاء ذلك فى حق معين[3] إلا ببصيرة ، ولا سيما مع كثرة الإحسان والعلم الصحيح والعمل الصالح والقصد الحسن وهو يميل إلى الفلسفة ولكنه أظهرها فى قالب التصوف والعبارات الإسلامية[4] ؛ ولهذا فقد رد عليه علماء المسلمين حتى أخص أصحابه أبو بكر بن العربى ، فإنه قال : « شيخنا أبو حامد دخل فى بطن الفلاسفة ، ثم أراد أن يخرج منهم فما قدر »

---

(١) ولكن ماذا نفعل وكتابه الإحياء مرجع الخاصة والعامة من الصوفية وسواهم ؟ .

(٢) أى مقصود أبى عمرو بن الصلاح .

(٣) ونحن جميعاً لا نحارب الغزالى ، فقد لقى ربه ، وإنما نحارب تراثه وكتبه الصارفة عن الحق .

(٤) ومن هنا كان خطره لأنه جاء بالضلالة فى ثوب هدى .

وقد حكى عنه من القول بمذاهب الباطنية مايوجب تصـديق ذلك فى كتبه ، ورد عليه أبو عبد الله المازرى[1] فى كتاب أفرده ، ورد عليه أبو بكر الطرطوش ، ورد عليـه أبو الحسن المرغينانى رفيقه ، ورد عليه كلامه فى مشكاة الأنوار نحوه ، ورد عليه الشيخ أبو البيان والشيخ عمرو بن الصـلاح ، وحذر من كلامه فى ذلك هو وأبو زكريا النواوى وغيرهما ، ورد عليه بن عقيل وابن الجوزى وأبو محمد المقدسى وغيرهم .

ويتكلم عن مدى معرفته بالحديث ، فيقول : « فإن فرض أن أحداً نقل مذهب السلف كما يذكره ، فإما أن يكون قليل المعرفة بآثار السلف كأبى المعالى « الجوينى عبد الملك الشهير بإمام الحرمين » وأبى حامد الغزالى ، وابن الخطيب « أبى عبد الله محمد ابن عمر الرازى » وأمثالهم ممن لم يكن لهم من المعرفة بالحديث ما يعدون به من عوام أهل الصناعة ، فضلا عن خواصها ،ولم يكن الواحدمن هؤلاء يعرف البخارى ومسلماً وأحاديثهما إلا بالسماع كما يذكر ذلك العامة ، ولا يميزون بين الحديث الصحيح المتواتر عند أهل العلم بالحديث ، و بين الحديث المفترى المكذوب ، وكتبهم أصدق شاهد بذلك ، ففيها عجائب ، وتجد عامة هؤلاء الخارجين عن منهاج السـلف من المتكلمة والمتصوفة يعترف بذلك ، إما عند الموت ، و إما قبل الموت ، والحكايات فى هذا كثيرة معروفة[2] » . وصـدق شيخ الإسلام ، فقد بنى كتاب الإحياء على أحاديث أكثرها إما ضعيف بالغ الضعف ، وإما موضوع ، وقد أظهر عواره الحافظ العراقى وغيره .

وقد زعم الفلاسفة مثل الفارابى وابن سينا وغيرهما أن خاصة النبوة هى جودة تخييل الأمور المعقولة فى الصور المحسوسة ، وأن موسى ومحمداً ما كان يمكنهما أن يبينا الحقائق على ماهى عليه لقومهما ، لأنهم كانوا يعجزون عن فهم ذلك ، ولو أنهم فهموه على ماهو عليه لانحلت عزماتهم عن الاتباع ، لأنهم لا يرون فيه من العلم مايقتضى العمل ، ويعقب

---

(١) شارح مسلم .

(٢) من ص ٥٣ ، ٨٤ نقض المنطق .

ابن تيمية على هذا بقوله : « وهذا المعنى يوجد فى كلام أبى حامد الغزالى وأمثاله ، ومن بعده طائفة منه فى الإحياء وغير الإحياء .

هكذا لا مداهنة ولا مداجاة ، ولا بَهْت بباطل ، وفى روح سمح نقى تشمر من رفيفه بعدى الأسى البالغ على الغزالى ، وبأن ابن تيمية كان يتمنى الخير للغزالى ، ولولا شدة اعتصام ابن تيمية بالحق لدافع عنه ، ولكنه دائماً جندى من جنود القرآن .

للنظرات إن شاء الله — بقايا

عبد الرحمن الوكيل

تعليق : تمنى بعض الإخوة فى سورية أن لو كان موقفى من الغزالى ليس فى هذه الصورة التى يتجلى فيها أننى أقطع فيها كل سبب بين الغزالى وبين خيار سلف هذه الأمة ، ويعترف هؤلاء الإخوة أن ماأدين به الغزالى هو حق لا ريب فيه .

ولهؤلاء الإخوة أقول : لا يجوز مطلقاً مداهنة تراث الغزالى ، فهو ليس بالتراث المجهول أو البغيض لدى الناس ، وإنما هو تراث حاول عشاقه أن يقدموه للمسلمين بديلا عن القرآن والسنة ولو كان خطأ الغزالى — وهو ملقب بحجة الإسلام — فى الفروع لحاولت شيئاً لا يثير عشاقه ، ولكنه أخطأ فى التوحيد ، أى فى الأصل الأول للدين ، ويقول بعض هؤلاء الإخوة : ليت موقفنا من الغزالى كان كموقف الشيخ جمال الدين القاسمى ، فقد اختصر كتاب الإحياء وترك مافيه من شر ومخالفة . وأقول : بل هذا عمل خطير ، فهو يدفع بالمسلم — ولا شك إلى ترك المختصر الجميل ليقرأ الأصل أى نفس الإحياء فكأننا زينا له — المختصر — كتاب الإحياء » . وهذه أحدث طريقة يقوم بها رواد الثقافات لدفع الناشئين إلى قراءة الأصول الأولى بعد أن يقدموها لهم فى صورة مختصرات جميلة تحبب إليهم مطالعة الأصول ، بعد أن طالعوا المختصرات ، وكم من شاب كان لا يعرف شيئاً عن سيرة ابن هشام راح يلتهمها بعد أن قرأ « على هامش السيرة » للدكتور

طه حسين ، وكم من فتى كان يخشى مطالعة الإحياء ، ولكنه صابره حتى طالعه كله بعد أن نشرت له مختصرات جميلة تخيل إلى الناشئين أن الكتاب كله هكذا فى هذا المجال .

وأقول للأخ الكريم : إن خير مافى الإحياء ، نقل كما هو من كتاب « قوت القلوب » لأبى طالب المكى الصوفى على مافيه من ضلالة ، فماذا بقى للغزالى . لا تخف ياأخى عشاق التراث الغزالى ، فالله سبحانه مع أوليائه ، جعلنى الله وإياك منهم .

عبد الرحمن الوكيل

جولة البحيرة[1]

بقلم السيدة الجليلة حرم الدكتور محمد رضا رحمه الله

أبحرت الباخرة فى بحيرة « لوسيرن » وتقدمت بنا وهى تشق الماء، فترسم وراءها شريطاً من الفضة ورأينا من الجمال مالايخطر على بال، فالجمال متشابه وغير متشابه كما أن جمال الوجوه يختلف بالرغم من تشابهه فى اتساع العينين وضيق الفم وصغر الأنف واستدارة الوجه. فكم من وجوه جميلة متشابهة وغير متشابهة، رأينا على الجانبين جبالا تكسوها الغابات فتبدو كتلاً خضراء. وجبالا تنخفض ظهورها ويقل عرضها تدريجياً حتى تصل إلى سطح الماء فتبدو صفاً من الجبال قد سجدت على ساحل البحيرة كأنها تصلى جماعة. ورأينا جبلا أصلع الرأس عارى الصدر قد ارتدى سروالا من الشجر وجلس القرفصاء. وجبلا قد انتصب فى الماء وشمر عن نصفه الأسفل فبدا عارياً أما نصفه الأعلى فتكسوه غابة غناء. وجبلا يتفجر من ثقب تحت قمته ماء مزبداً كاللبن على الحشائش السكنة الخضراء. وما أجمل شاطىء البحيرة عند ما ينعرج بجباله وغاباته وما أجمل الشاطئين عند مايقتربان حتى تكاد جبالها تتعانقان فترى بعض الأشجار قد خاضت الماء وتقدمت بساقها داخل البحيرة على الجانبين كأنها تريد العبور لتلتقى ببعضها ولكنها وقفت خائفة مترددة. عاجزة جامدة.

ظللت أتأمل ماتحدثه الباخرة من تموجات فى الماء الأخضر الشفاف فتتلألأ كالزمرد وتنطلق إلى الجانبين حتى تصل إلى الشاطئين فتداعب حشائشه وتلثم أقدام أشجاره. وهذه القصور والمقاهى المسورة المبنية داخل الماء وهذه الجزر الصغيرة التى يملوها مسكن واحد صغير تظلله الأشجار وكيف تنعم بالاستقلال. وهذه الصخور المربعة الناتئة فى الماء

---

(١) هذا هو المقال الثالث الذى تحدثنا فيه السيدة الأديبة الجليلة عن جمال الله الذى شهدته فى رحلتها « عبد الرحمن »

التي تظللها شجرة أو شجرتان . وهـذه الهضبات الخضراء العالية المنحدرة وما فوقها من مسا كن بالرغم من انحدارها الشـديد وارتفاعها الـكثير وتساءلت كيف يصعد إليها القاطنون عليها وكيف يهبطون منها إلى السـاحل بل كيف لا يخافون أن يتدحرجوا وهم يمشون عليها .

وكم أعجبتني الأشجار باختلاف أنواعها وألوانها وشكل جذوعها وغصونها وأوراقها . فمنهـا الطويل النحيف . ومنها الضخم القصير . ومنها أبيض الساق لا تمتد غصونه إلا بالقرب من قمته . ومنها المستدير في نحافة وطول المدبب القمة كأنه مآذن . فتصور غابة من مآذن خضراء متساوية الطول والحجم . أو من أشجار جذوعها نحيفة بيضاء تصتف معتدله في نظام على انحدار الجبل من سفحه إلى رأسه كأنها جيش عرمرم لأنها متساوية الطول متماثلة الشكل واللون كالجنود . فيا للجمال . هنا قمة وهناك هوه . وهنا واد وهناك ربوه . وهنا نبع وهناك فجوه . وهنا زرقة وهناك خضره . وهنا لمعة وهنا نضره . وما أجمل شجر السابان باختلاف ألوانه وغرابة أوراقه . فمنه الزاهي الاخضرار ومنه القاتم الضارب إلى البياض عند أطرافه ومنه الرمادي ومنه الضارب إلى الزرقة . وما يزيد في جمـاله هو شكل أوراقه وغصونه الأفقية المرصوفة المنتظمة حول جذعه . وكيف تحيط به أطول من الأسفل وأقصر من الأعلى حتى تنتهي بقمة هرمية . تغطي هذه الغصون بدل الأوراق أصابع طويلة من الشعر الأخضر كالشوك مرصوفة . بعض هذه الأصابع يشير إلى الأرض و بعضها يشير إلى الجانبين و بعضها يشـير إلى السماء كأنها تحذر الناس من الدنيا وتذكرهم بالآخرة . وهناك شجر يعادلها جمالا و يشبهها بشوك أغصانه إلا أن أصابع أغصانه طويلة جداً وتشـير كلها إلى السماء كأنها توحد الله . فسبحان الخلاق العظيم . وأنه لمن المحال أن أصف كل أنواع الشجر ولا كل ما أراه لـكثرته وتنوعه وعظمته . فإذا كانت الـكاميرا لا تبدي كل هذا الجمال على حقيقته . فـكيف بالقلم الضعيف كقلمي . . وأخيراً وصلنا نهاية بحيرة لوسيرن ورأينا أمامنا جبلا شامخاً شاحب اللون يكلل رأسه الأشيب تاج من الماس مما تراكم على قمته من الثـلوج اللامعة . وقد أصتفت على جانبيه جبال خضراء أقصر منه وأصغر

كأنها حاشية هذا الملك العجوز . وانعكس هذا المنظر البديع على صفحة الماء الفضى واهتز على تموجاته فتضاعف جماله وزاد جلاله .

هبطنا من الباخرة وصعدنا إلى قطار صغير فتقدم بنا و بعد قليل بدأ يصعد الجبل فرأينا بين القضيبين قضيباً ثالثاً ذا أسنان كالمنشار وهـذا القضيب تدور عليه عجلة ذات أسنان كذلك ليصعد القطار إلى القمة ولا ينزلق فى الصعود وفى الهبوط . سار القطار سيراً بطيئاً فوق بساط أخضر و بين أحراش وغابات تنحدر على الجانبين وتمتد أسفل منا حتى زرقة البحيرة وأعلى منا حتى زرقة السماء وكلما علا القطار كلما رأينا جمالا أكثر من ذى قبل . و بعد ذلك اجتاز القطار غابة كثيفة الظلال حجبت عنا الأرض والسماء و بدأ المطر يهطل فى غزارة وجرى الماء بين غصون الشجر وتدفق بين جذوعه ثم انحدر على الحشائش وتلوى بين الأحجار . وارتعشت أوراق الغصون ولمعت عليهـا قطرات المطر ثم أخذت تنسكب من ورقة إلى ورقة فتتقاطر على الأرض وتتناثر كاللؤلؤ على سندس أخضر و إستبرق . وانهمرت هذه القطرات كالدموع على خدود الشمس المكفهرة الصفراء . وعلى خدود الخوخ والتفاح الحمراء . فاغتسلت وزادت نضرة ولمعة . كانت شجرة الخوخ أو التفاح الأحمر تنتصب قامتها الرشيقة الممشوقة وقد ارتدت من هذه الثمار الحمراء ثو باً غيب ماتحته من أوراق فلمعت كالياقوت لابتلالها وكانت تلمع كذلك الأشجار الخضراء كالزبرجد . وكان التفاح بخده الوردى المستدير تنوء به الغصون لـكثرة ماحملت منه وتختفى تحته أوراقها إلا قليلا فيتخلل اخضرارها احمراره .

وكانت الـكمثرى الوردية المستطيلة تتدلى من الأغصان وتهتز لامعة بين الأوراق الخضراء كأنهامصابيح كهربائية تزين الأشجار . فسبحان المبدع . إنهذه المناظر تستوجب الخشوع وتدعو قلب المؤمن إلى تسبيح الخالق ، فـكل شىء يلمع زهاء ونضارة ونظافة . الماء الشفاف يلمع صافياً كالبلور . وأوراق الشجر تلمع زاهية كالزبرجد ، ورؤوس الجبال تلمع عليها الثلوج متلألئة كالماس ، وصخور الجبال المبتلة تلمع مصقولة كالرخام ، وحشائش الأرض المبتلة تلمع زاهية كمخمل أخضر أو استبرق . وغدران المياه تلمع متدفقة كسلاسل

من فضة . ورمال الطرق تلمع مبتلة كالذهب . وقطرات المطر تلمع فوق كل ذلك كحبات اللؤلؤ . .

وصلنا القمة ولكن لم نر شيئاً لأن الضباب أخفى كل شيء ، فعدنا من حيث أتينا وركبنا الباخرة وسارت تحت وابل من المطر . وكم كان منظر هذا الوابل جميلا .

هذا الوابل الذى كان يغمر الماء بالماء وينثر فوقه لآلىء لامعة فيجعل صفحة البحيرة رقطاء مزركشة إذ كل قطرة من المطر ترسم حولها حلقة بعد ما تثير تحتها نقطة . فترى تحت كل نقطة تسقط نقطة تقفز . وحول كل نقطة تقفز حلقة تتسع وتتلاشى فى مثيلاتها .

وهكذا تزينت صفحة البحيرة الفضية بزركشة ورسمات رائعة متحركة راقصة .

إن الطبيعة جميلة حتى وهى تبكى . فلقد رأيت من نافذة غرفتى التى تشرف على البحيرة بعد ما عدت إليها بعض الجبال قد اختمرت بخمار أبيض من السحب وضربت بخمرها على صدورها . وبعضها خلعته مستهترة فتدلى على بطنها . ومنها ما عممت رؤوسها عمامة بيضاء ، ومنها ما يأتزر ويتدثر بدثار من السحب فلا يبدو إلا رأسه الأصلع مطلا من هذا الكفن الأبيض . فتبدو رؤوس مدببة قاتمة تبرز من السحب البيضاء الناصعة .

أما ماء البحيرة فقد انعكس عليه بياض السحب فتلألأ ؛ وصارت البحيرة قرصا من الفضة ، فتصور هذا الشريط الأخضر من الجبال ينحصر بين بياضين ، بياض البحيرة الفضى اللامع . وبياض الثلوج والسحب الناصع . فسبحان من أبدع السموات والأرض وما بينهما .

وفى الغد تحسن الجو فذهبنا إلى البحيرة وركبنا الباخرة إلى (ريجى) وما أدراك ما ريجى ، إنها جنات فوق جنات ، وغابات فوق غابات ، وهضبات قد اكتست بمخمل أخضر تنحدر بين الخمائل حتى البحيرة . صعدنا بالقطار على رف ضيق يمتد على حافة الهاويات العميقة وسار يتبختر تحت الأغصان وبين الخمائل حتى وصلنا محطة (ريجى كالتباد) وجلسنا فى ساباط الفندق الذى يشرف على البحيرة فرأينا ما يقابلنا من جبال خضراء

ورؤوس ثلجية بيضاء ثم رؤوس الأشجار الباسقة تمتد صاعدة حتى سطح الفندق الذي يعلو عن البحيرة ١٤٠٠ متر . وتحيط بالفندق غابة من شجر السابان فقمنا بعد قليل وسلكنا ممشى ضيقا تظلله الأغصان وتكثر على جانبيه الأشجار الباسقة الضخمة الجذوع العظيمة الفروع حتى تحجب البحيرة عن العيون إلا قليلا وتحجب كذلك ضوء الشمس إلا بقعاً مختلفة الأحجام تزين الجازون من هنا وهناك وتلمع من خلال الغصون فوق أوراقها ومما يزيد فى جمال هذا المكان هو شجر السابان الهرمى الشكل يتصف بقوامه المعتدل ورأسه المدبب فوق بساط الحشائش الخضراء كبيراً ومتوسطا وصغيراً . فمنه الضخم الباسق المسن العجوز قد تغضنت وتشققت جذوعه وشابت شعوره وتصلبت وبهتت غصونه . ومنه الشاب قد لمعت وزهت جذوعه وغصونه ، ومنه المراهق والطفل الغض فى اختلاف سنه وأطواله وقصر غصونه ونعومة أوراقه وزهاء ألوانه ، فثمة شعب من هذه الأشجار ينتثر فوق انحدار الجبل صفوفا أو محتشدا . أو فرادى أو مثنى وثلاث ورباع . قصيراً وطويلا . ضخماً وهزيلا . زاهياً وباهتاً . ذابلا ونضيرا . كأنه أمم وقبائل . وبعد ذلك هبطنا بالقطار المنحدر ومررنا فوق غدير يسقط على الصخور بين الأغصان ويجرى مزبداً تحت الظلال ثم يهبط فى أخدود عميق قد تكاثفت عليه الأغصان حتى غاب بين ظلالها الوارفة ، وكلما هبطنا رأينا منظراً يختلف ويتنوع على الجانبين حتى وصلنا السفح وانتظرنا الباخرة على ساحل البحيرة ونحن نمتع أنظارنا بلمعة الماء الصافى الشفاف كالبلور قد بدا فيه السمك يحوم لامعاً ويعوم عليه البط والبجع الأبيض وهو يجدف فى رشاقة بكفيه المنبسطتين .

ووصلت الباخرة ومخرت بين جنات معروشات وغابات منحدرات . ورؤوس شامخات ومياه لامعات ، كانت تتبختر بيضاء كالعروس فى ثوب الزفاف على صفحة خضراء تتلألأ كالزبرجد وقد ساد سكون لا تشوبه إلا زفرات الماء تهمس همسات أحلى من أنغام الموسيقى فلم أدر أنى يقظة أنا أم فى منام وخشع قلبى فسبح باسم ربى وسالت دموعى .

لقد بكت عيناى انبهارا وشكراً لله على ما متعهما به من بديع صنعه فنطقتا بلسان الدمع شكراً وثناء عليه .

إن هذه المناظر لآية لمن كان له قلب . إن هذا الجمال من صنع الله وهذه الأرض قد أخذت زخرفها وأزينت لتراها أعين الناس فتقدر وتشكر . إن النظر إلى هذا الجمال وحمد مبدعه العظيم عبادة و إجلال لبديع صنع الله وتقدير عظيم لما زينه وأحسن خلقه بيده الكريمة.

وهذه المناظر لا يمكن أن توصف بل أن العين لا تفهمها ولا تحصرها وتحار مبهوتة مبهورة متنقلة بين جمال وجمال حتى تكل وترجع خاسئة وهى حسيرة .

أصبح صباح الغد وقد تلألأت الشمس على رءوس الجبـال فبدت الثلوج المتراكمة فى الأخاديد بين القمم بيضاء كالقشدة وقد تزينت بعض الرؤوس والانحدارات بخطوط بيضاء لامعة بما تراكم فى الشقوق الطويلة من ثلوج . فانطلقت الناس إلى البحيره فى الزوارق والدراجات المائية البيضاء تزاحم ماعلى صفحتها من بواخر و « لانشات » وقوارب بيضاء مختلفة الأحجام تروح وتغدو بين البط والأوز والبجع الأبيض فتزينت زرقة البحيرة بنقط متحركة بيضاء متنوعة الأشكال متفاوتة الأحجام . و بعد قليل تجهم وجه السماء فأرعدت وأبرقت على حين غرة و بصقت على كل ذلك وابلا من فيها ، فهرب الناس وخلت البحيرة إلا من البواخر والطيور وقد ابيض وجهها فتلألأت كالفضة إذ انعكس ماخيم عليها من سحب بيضاء كالقطن .

عقيدة القرآن والسنة :

توحيد الله عز وجل

سبق أن ذكرنا أن صفاته عز وجل تنقسم إلى صفات ذاتية لازمة لذاته لا تنفك عنها ولا تكون تابعة لمشيئته تعالى وقدرته مثل علمه وحياته وعظمته وكبريائه ومجده وجلاله . وإلى صفات فعلية لا تكون لازمة للذات أزلا وأبداً بل تحدث فى ذاته بقدرته تبعاً لمشيئته تعالى وحكمته وتلك مثل محبته تعالى ورحمته ورضاه وغضبه وعفوه وانتقامه . ومثل صفات الخلق والرزق والإعطاء والمنع والإحياء والإماتة والإشقاء والإسعاد والإضلال والهداية الخ .

وقد اختلف الناس فى صفات الأفعال هذه اختلافاً كبيراً ليس سببه أبداً اشتباهها فى النصوص ولا غموضاً فى الإفهام والدلالة فإن النصوص فى هذا الباب صريحة كل الصراحة لا تلتوى إلا على ذوى الأفهام المدخولة والبصائر المعلولة التى تدنست بأرجاس الكلام الباطل والفلسفات الوثنية الجائرة فعميت عليها السبل ولم تهتد إلى الحق الصريح من كلام الله وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم .

لقد اتفق المتكلمون من معتزلة وأشعرية على نفى صفات الأفعال فليس لله عندهم فعل يكون صفة له قائمة به فخلقه تعالى للأشياء لا يستلزم أن تقوم به صفة هى الخلق ورزقه للعباد لا يستلزم أن يقوم به الرزق وهكذا فى كل صفات الأفعال وحجتهم فى ذلك أن هذه الأفعال إذا وجدت لا تكون إلا حادثة وبناء على ماأسسوه من قواعد الكلام الباطل يمتنع عندهم قيام الحادث بالقديم فلا يتجدد عندهم فى ذاته شىء ولا يحدث له معنى لم يكن بل هو الآن على ماعليه كان وسلطوا النفى والتأويل على كل ماتضمنته نصوص الكتاب والسنة من صفات الأفعال وأرجعوها إلى تعلقات وإضافات لصفتى القدرة والإرادة فهو عندهم لم يزل متكلما بكلام هو معنى قائم بذاته ليس بحرف ولا صوت ولم يزل محبا لمن علم

أنه يموت مؤمناً ولم يزل ساخطاً على من علم أنه يموت كافراً ، ولا معنى لمحبته إلا إرادة الثواب ولا لكراهته إلا إرادة العقاب ولا لرحمته إلا إرادة النفع والإحسان إلى عباده إلى غير ذلك مما امتلأت به كتبهم ولا سيما طائفة الأشعرية الذين يزعمون أنهم أهل السنة والجماعة .

وإنى أضع بين يديك أيها الأخ الكريم طائفة من نصوص الكتاب والسنة التى تثبت لله عز وجل الصفات الاختيارية والتى تشهد على هؤلاء المتكلمين بالزيغ والانحراف ومجانبة الحق فى هذا الباب كما فعلوا بالنسبة للصفات الخبرية التى ورد بها النقل الصحيح كالوجه واليد والعين والاستواء والنزول لتعلم أن القوم إنما يتبعون أهواءهم وأنهم لا يرجعون فى شىء من عقائدهم إلا إلى ماأسسه لهم أسلافهم فى الضلال من الزنادقة والمتفلسفة وأن آراءهم لا تمثل العقيدة الإسلامية لا من قريب ولا من بعيد وأن الحق فى هذا الباب لا يمكن أن يعدو الكتاب والسنة وأن الواجب الاعتصام بهما وحدهما فى هذه المزالق الخطرة وأن من قال فى الله بغيرهما فقد افترى على الله الكذب وقال عليه مالا يعلم وجادل فى الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير ، وإليك الآيات والأحاديث بغير تعليق إذ هى أوضح من كل تعليق . قال الله تعالى من سورة البقرة (وما جعلنا القبلة التى كنت عليها إلا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه) (قد نرى تقلب وجهك فى السماء) . (ولو شاء الله مااقتتلوا ولكن الله يفعل مايريد) .

وقال من سورة آل عمران (قل أن تخفوا مافى صدوركم أو تبدوه يعلمه الله ويعلم مافى السموات وما فى الأرض) (قل أن كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم) (وليعلم الله الذين آمنوا ويتخذ منكم شهداء والله لا يحب الظالمين وليمحص الله الذين آمنوا ويمحق الكافرين أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين) (لقد سمع الله قول الذين قالوا أن الله فقير ونحن أغنياء سنكتب ماقالوا)

وقال تعالى من سورة النساء (يريد الله ليبين لكم ويهديكم سنن الذين من قبلكم

ويتوب عليكم والله عليم حكيم والله يريد أن يتوب عليكم ويريد الذين يتبعون الشهوات أن تميلوا ميلا عظيما يريد الله أن يخفف عنكم وخلق الإنسان ضعيفا) . وقال سبحانه من سورة المائدة (ومن يرد الله فتنته فلن تملك له من الله شيئاً) (قل هل أنبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله من لعنه الله وغضب عليه وجعل منهم القردة والخنازير وعبد الطاغوت) (لبئس ما قدمت لهم أنفسهم أن سخط الله عليهم) (يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا أجبتم قالوا لا علم لنا أنك أنت علام الغيوب إذ قال عيسى بن مريم أذكر نعمتى عليك وعلى والدتك) وقال جل شأنه من سورة الأنعام (من يشأ الله يضلله ومن يشأ يجعله على صراط مستقيم) (فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقاً حرجا كأنما يصعد فى السماء) .

وقال سبحانه من سورة الأعراف (أن الذين اتخذوا العجل سينالهم غضب من ربهم وذلة فى الحياة الدنيا) (قال عذابى أصيب به من أشاء ورحمتى وسعت كل شيء فسأكتبها للذين يتقون الآية) (والذين كذبوا بآياتنا سنستدرجهم من حيث لا يعلمون وأملى لهم أن كيدى متين) .

وقال تعالى من سورة الأنفال (ومن يولهم يومئذ دبره ألا متحرفا لقتال أو متحيزا إلى فئة فقد باء بغضب من الله) (واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه) (إن تتقوا الله يجعل لكم فرقانا) (ياأيها النبي قل لمن فى أيديكم من الأسرى إن يعلم الله فى قلوبكم خيرا يؤتكم خيرا مما أخذ منكم ويغفر لكم والله غفور رحيم) .

وإلى العدد القادم إن شاء الله لنسرد بقية الأحاديث والله سبحانه ولى النعمة والتوفيق.

محمد خليل هراس

خطبة منبرية :

الخطبـــة الأولى

الحمد لله رب العالمين ، الذى يربيهم بنعمه وفضله وآلائه ، ومن أجل نعمه عليهم أنه سبحانه أرسل إليهم رسلا من أنفسهم ، وأنزل عليهم كتبا فيها الهدى والنور والرحمة ، ووهبهم من العقول ما يفقهون به عن ربهم ليسعدوا فى الدنيا والآخرة .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شىء قدير ، خلق السموات والأرض بالحق ، وصوركم فأحسن صوركم وإليه المصير . يعلم مافى السموات والأرض ، ويعلم ما تسرون وما تعلنون ، والله عليم بذات الصدور .

وأشهد أن نبينا محمدا عبد الله ورسوله المصطفى المختار ، اصطفاه الله واختاره على علم بأنه أحق أهل الأرض وأجدرهم بحمل رسالته إلى الناس كافة ، والله أعلم حيث يجعل رسالته ، فبلغ الرسالة أصدق البلاغ ، وأدى الأمانة خير الأداء ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه مصابيح الهدى ، وشموس العرفان .

أما بعد : أيها المسلمون ، إن الله سبحانه وتعالى إنما فضل بنى آدم على كثير من خلقه بالعقل وبالعلم اللذين يميزون بهما بين الهدى والضلال ، والإيمان والكفر ، والحق والباطل والنافع والضار . فإذا جهل الإنسان وعطل عقله ، وكفر بنعمة السمع والبصر والفؤاد ، وغفل عما بين يديه من آيات الله ، فأنه يصبح حيوانا فى صورة إنسان ، بل أحط من الحيوان مسلكا وحياة . يقول الله تعالى : (ولقد ذرأنا لجهنم كثيراً من الجن والإنس ، لهم قلوب لا يفقهون بها ، ولهم أعين لا يبصرون بها ، ولهم آذان لا يسمعون بها ، أولئك كالأنعام بل هم أضل ، أولئك هم الغافلون) .

إن الإسلام دين العلم الذى يحترم العقل ويرسى قواعده عليهما ، ويحارب الجهل فى جميع مبادئه وعقائده وشرائعه وأحكامه ، وكلنا نعلم أن أول كلمات أنزلها الله على نبيه من القرآن الكريم كانت لفتاً للأنظار إلى مكانة العلم وفضله ، وإشارة منه سبحانه للسعى

فى طلبه والحث على تحصيله ، وذلك فى قوله تعالى : (اقرأ باسم ربك الذى خلق . خلق الإنسان من علق . إقرأ وربك الأكرم . الذى علم بالقلم ، علم الإنسان مالم يعلم) . فهو سبحانه خلق الإنسان الأول وعلمه الأسماء كلها ، وفطره على النظر فيما حوله من الأشياء ليكتسب منها علما ومعرفة وتجربة لأنها لازمة له فى حياته لزوم الماء والهواء والغذاء .

إن القرآن يجعل العلم قرين الإيمان والهدى والنور والحياة ، ويجعل الجهل قرين الكفر والضلال والظلام والموت والعمى فى كثير من آياته فيقول : (قل هل يستوى الأعمى والبصير أفلا تتفكرون ؟) ويقول : (قل هل يستوى الأعمى والبصير ، أم هل تستوى الظلمات والنور ؟) .

ويقول : (وما يستوى الأعمى والبصير . ولا الظلمات ولا النور ، ولا الظل ولا الحرور وما يستوى الأحياء ولا الأموات ، إن الله يسمع من يشاء وما أنت بمسمع من فى القبور) ويقول: (مثل الفريقين كالأعمى والأصم والبصير والسميع هل يستويان مثلا أفلا تذكرون؟) ويقول (هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون ؟ إنما يتذكر أولو الألباب) .

وفى القرآن كثير من هذه الآيات التى تشيد بجلال العلم وقدره العظيم .

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحث على طلب العلم ويجعله من فرائض الإسلام فيقول :

« طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة » ويقول : « أطلبوا العلم ولو فى الصين » ويعنى بذلك التحريض إلى طلب العلم ولو كان فى أقصى المعمورة ، وما أكثر ما كان يقول فى سجوده : « يامعلم آدم وإبراهيم علمنى » امتثالا لقوله تعالى (وقل رب زدنى علماً » . وقال عليه الصلاة والسلام : « من خرج فى طلب العلم فهو فى سبيل الله حتى يرجع » وقال : « من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الله له به طريقاً إلى الجنة » . فهذا طريق الجنة مفتوح لطالب العلم ، فاقتحموه ولا تحجموا عنه ، ولا تسأموا السير فيه مهما كان شاقاً طويلا فإن ثمرة الجهد الذى يبذل فيه من أشهى الثمرات ، فى نعيم الجنات ، وإن أرباحه لوفيرة ، وإن فوائده لكثيرة .

أيها المسلمون : إن أنفع العلوم جميعاً وأجداها على الإنسان ، هو ما يصل به إلى معرفة ربه بأسمائه وصفاته ، وبره ورحمته وعظمته وكبريائه ، ومعرفة رسوله صلى الله عليه وسلم وسيرته وهديه وخلقه وإيمانه وتقواه لربه ، ولا سبيل إلى معرفة الله ورسوله ، إلا من القرآن والسنة ، بتدبرهما وفهمهما والعمل بما فيهما ، وكلما ازددت عملا ازددت علماً ومعرفة ، وإن العلم الذى يُرَغِّب فيه القرآن ، ويحث عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم هو هذا النوع من العلم ، فبه يزداد المسلم إيماناً وهدى وبصيرة فى الدنيا وفلاحًا ونجاحًا فى الآخرة . إن العلوم الأخرى من اللغة والتاريخ والجغرافيا والحساب وغيرها إنما ينبغى تعلمها لتكون أداة ووسيلة لفهم كتاب الله وسنة رسوله ، لا لتكون هى الغاية التى نقف عندها كما هى الحال اليوم ؛ وكما كانت حالها عند من وصفهم الله تعالى فى كتابه بقوله : (يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون) .

إن فى البحث والدرس والفهم لكتاب الله تعالى وحديث رسوله عليه الصلاة والسلام أعظم المتعة وأكبر اللذة للمؤمن الذى شرح الله صدره للإسلام ، بل إنه يجد فى ذلك متعة ولذة أكثر بكثير مما يجده فى المال والولد ، أو الجاه أو السلطان ، بل إنه يجد فيه قرة العين ، وسكينة النفس ، وراحة القلب ، وغذاء الروح . وإن الله سبحانه وتعالى إذا أحب العبد ، وكتب له السعادة ، وجهه إلى هذه الوجهة فى البحث والدرس ، وحببه إليه يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم « من يرد الله به خيراً يفقهه فى الدين » ويقول الله تعالى : (إنما يخشى الله من عباده العلماء) ويقول : (يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات) .

أيها المسلمون : ذكر الله تعالى فى كتابه أنه لم يخلق الجن والإنس إلا ليعبدوه ، فقال : (وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون) فإذا كانت عبادة الله هى الغاية التى وُجدنا فى هذه الدنيا من أجلها ، لجدير بنا أن نتعلم كيف نؤدى هذه العبادة على الصورة الصحيحة ، كما أمرنا الله وكما أمرنا رسوله ، ولا تكون العبادة صحيحة إلا إذا كانت عن علم ومعرفة ويقين ، ولا يقبلها الله إلا أن تكون كذلك . أما عبادة الجاهلين المقلدين

فإنها مردودة عليهم لأنها تكون على غير ماشرع الله من البدع والخرافات . ولذلك يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الحديث الذى رواه الترمذى : « فضل العالم على العابد ، كفضلى على أدناكم » . ثم قال : « إن الله وملائكته ، وأهل السموات والأرض ، حتى النملة فى جحرها ، وحتى الحوت ، ليصلون على معلمى الناس الخير » أى العلم .

إن أول ركن من أركان الإسلام ، بل أساس أركان الإسلام كلها ، هى شهادة أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله ، وهذه الشهادة إما أن تكون عن علم أو عن جهل ، فإذا كانت عن علم قادتك إلى تجريد التوحيد لله سبحانه وتعالى ، وأن تنجو بها من خبائث الشرك وعقائد أهل الضلال ، وفهمت منها أنها تدعوك إلى أن تخلع من عنقك نير الذل والخضوع والخشوع لغير الله ، وأن تجتث من قلبك الحب والخوف والرجاء لغير الله ، فلا إله يجب أن تذل وتخشع له وتحبه وتخاف منه وترجوه إلا الله . وشهادتك أن محمداً رسول الله تحملك أن لا تتخذ أسوة ولا قدوة ولا إماماً مطاعًا إلا رسول الله ، وذلك لأنك درست وتدبرت وفهمت وتعلمت من كتاب الله وسنة رسوله ، أن الله وحده هو خالقك ورازقك ومسدى النعم كلها إليك ، وأنه سبحانه إذا فتح لك باب خير ورحمة فلن يستطيع أحد فى الوجود أن يمسكه عنك ، وأنه سبحانه إذا أرادبك خيراً فلن يستطيع أحد فى الوجود أن يرده عنك ، فجميع الخلائق عبيد مخلوقون مربوبون مثلك ولا إله الا الله وحده . ولأنك فهمت وتعلمت من كتاب الله وسنة رسوله أن كل ابن آدم يخطىء ويصيب ويطيع ويعصى وتغلبه نفسه وشهوته إلا من اصطفاه واختاره وعصمه محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم . أما الشهادة عن جهل فإنها تلاك باللسان وتردد بالشفاه آلاف المرات ، كما تفعل الببغاوات من غير أن تصل إلى القلب فتأتى ثمرتها على الجوارح والأعمال ، وما أكثر الذين يرددون شهادة الجهل بلاإله إلا الله وهم عاكفون على القبور يتخذون العشرات والمئات من الآلهة من دون الله يسألونهم مالا يقدرون عليه من الرزق والولد والصحة ، وما أكثر الذين يرددون شهادة الجهل بمحمد رسول الله وهم غارقون فى ظلمات البدع والتقاليد والعقائد الزائفة .

وقيسوا على ذلك باقى أركان الإسلام من الصلاة والزكاة والصوم والحج ، كيف يُتصوّر أن يؤدى شىء من ذلك من غير علم . إن الصلاة والتطهر لها والمحافظة على أركانها تحتاج إلى علم كثير حتى تؤدى كما كان يؤديها رسول الله صلى الله عليه وسلم لأنه قال : « صلوا كما رأيتمونى أصلى » وصلاته عليه السلام مشروحة بأكمل شرح وأتم بيان فى كتب السنة فينبغى تعلمها منها بتفصيلها حتى تخرج منها وكأنك ترى بعينيك صلاته عليه السلام ، ولا يجدى فى ذلك أبداً تقليد لأحد كائناً من كان الذى تقلده . وهكذا فى الزكاة والصوم والحج ، فإنها كلها مبسوطة واضحة فى كتب السنة لمن طلبها وأراد النجاة باتباع الرسول فيها .

فاحرص أيها المسلم الذى تريد لنفسك الخير والهدى والعمل الصالح أن تتعلم عبادتك من كتاب الله وسنة رسوله إذا كنت تحب وترجو أن تقع صحيحة مقبولة عند ربك . وابذل كل الجهد للخروج من الجهل والجاهلية حتى لا تبطل أعمالك فتذهب هباء منثوراً فى يوم تكون فيه أحوج ما تكون إلى ذرة منها . واعلم ياأخى أن الأمية وعدم معرفة القراءة والكتابة ليس عذراً مقبولا عند الله ، فقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم وأكثر أصحابه رضوان الله عليهم أميون وكانوا مع ذلك من أعلم أهل الأرض ، ولم تمنعهم أميتهم من تلقى العلم والفقه حتى كانوا كذلك ، وإنك نفسك تتعلم للحياة الفانية الزائلة أدق الصناعات وأعصاها على الفهم فتتقنها بالتعلم والمران ، فلا أقل من أن تجعل نصيباً من ذكائك وصبرك على التعلم لدينك وعبادتك وآخرتك التى هى خير ألف مرة من الدنيا ، بل هى الأبقى والأنفع لو كنا نعقل .

اللهم إنا نسألك العلم النافع ، ونعوذ بك من علم لا ينفع ، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وآله وسلم .

الخطبة الثانية

الحمد لله القائم على كل نفس بما كسبت ، وهو القاهر فوق عباده وهو الحكيم الخبير ، وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو ، ويعلم مافى البر والبحر ، وما تسقط من ورقة

إلا يعلمها ، ولا حبة فى ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا فى كتاب مبين . وهو الذى يتوفاكم بالليل و يعلم ماجرحتم بالنهار ثم يبعثكم فيه ليقضى أجل مسمى ، ثم إليه مرجعكم ثم ينبئكم بما كنتم تعملون .

وأشهد أن لاإله إلا الله وحده لا شريك له ، وهو الذى خلق السموات والأرض بالحق و يوم يقول كن فيكون ، قوله الحق ، وله الملك يوم ينفخ فى الصور ، عالم الغيب والشهادة ، وهو الحكيم الخبير .

وأشهد أن نبينا محمدا عبد الله ورسوله ، أرسله ربنا شاهداً ومبشراً ونذيرا ، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجا منيرا ، فهدى من الضلال ، و بصّر من العمى ، وأنقذ من النار . صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الأبرار وأزواجه أمهات المؤمنين .

أما بعد : أيها المسلمون ، يقول الله تعالى وهو أصدق القائلين ، وخير الشاهدين مثنيا على هذه الأمة الإسلامية : (كنتم خير أمة أخرجت للناس ، تأمرون بالمعروف ، وتنهون عن المنكر ، وتؤمنون بالله) فبماذا استحقت هذه الأمة هذا الثناء من الله العلى الكبير ؟ إننا نعلم أن الأمة العربية كانت قبل الإسلام شر أمة أخرجت للناس ، إنها كانت أمة مقطعة الأوصال ، منفصمة العرى ، لا يربط أفرادها ولا قبائلها حب ولا مودة ولا ولاء ، بل كانت كل قبيلة تغيرعلى الأخرى للسلب والنهب والقتل ، تستذل قويها ضعيفها وتأكل كبيرها صغيرها ، لا يحكمها خلق ولا دين ولا قانون ، و يسودها الجهل وعبادة الأصنام ، والتفاخر الأجوف ، والصلف والتكبر ، والعنجهية الكاذبة . وما زالوا كذلك حتى مَنّ عليهم فبعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياته و يزكيهم و يعلمهم الكتاب والحكمة ، فأخرجهم به من الضلال إلى الهدى ومن الظلمات إلى النور ومن الكفر إلى الإيمان ، ومن شر أمة إلى خير أمة أخرجت للناس . فانقلبوا بنعمة من الله وفضل يتعاونون على البر والتقوى و يأمرون بالمعروف من مكارم الأخلاق وحميد الصفات والخلال وصالح الأعمال وتنهون عن المنكر من الجهل والفساد وسيىء الأخلاق والأعمال . فنهلوا من المورد العذب

النمير من كتاب الله العلم والحكمة والمعرفة ، فسادوا على العالم بالعلم والخلق والإيمان . ولازال عبير أعمالهم وشذى أخلاقهم يعطر تاريخ البشرية كمثل أعلى للإنسانية الكريمة ، والحكومة العادلة الفاضلة .

إن سلفنا الصالح هؤلاء عرفوا المعروف فأمروا به ، وعرفوا المنكر فنهوا عنه ، فإذا أردنا أن نسلك سبيلهم ، ونقتفي أثرهم ، وننال منزلتهم ، ونتبوأ مكانتهم . فيجب علينا أن نتعلم أولا كما تعلموا ، ونفقه كما فقهوا ، ونعرف كما عرفوا . فالخيرية لا تنال إلا بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وهذا لا سبيل إليه إلا بالعلم . وكيف يمكنك أن ترشد الناس إلى الخير وتدلهم عليه من غير علم ؟ تعلم ياأخى وعلم الناس ، فإنه خير ما تدخره لنفسك وتورثه لخلفك .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من دعا إلى الهدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً » . وقال : « لأن يهدى الله بك رجلا واحداً خير لك من حمر النعم » وفى رواية أخرى : « خير لك من الدنيا وما فيها » . وقال : « إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث : صدقة جارية ، أو علم ينتفع به ، أو ولد صالح يدعو له » فأى أجر أعظم من هذا الأجر الذى تناله من تعلم الدين وتعليمه ؟
نسأل الله أن يوفقنا جميعاً لذلك .

وهذا العلم ، أيها المسلمون ، لا ينال به الأجر والمثوبة عند الله إلا إذا تعلمته لوجه الله وعلمته لوجه الله . لا تتعلمه لدنيا ، ولا ليقال لك عالم ، فإن من أول من تُسَعَّر بهم النار يوم القيامة رجل تعلم ليقال له عالم ، كما روى ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وروى عنه أيضاً أنه قال : « من تعلم علماً مما يبتغى به وجه الله عز وجل ، لا يتعلمه إلا ليصيب عرضا من الدنيا ، لم يجد ريح الجنة يوم القيامة » وفى الجهة المقابلة لا يحل لمسلم عرف شيئاً من دين الله ، وعلم حكما من أحكامه أن يكتمه عن إخوانه من المسلمين ، وخصوصاً إذا سئل فيه ، فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم توعد على ذلك أشد الوعيد فقال : « من سئل

عن علم فكتمه ألجم يوم القيامة بلجام من نار » ويقول الله تبارك وتعالى : (إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس فى الكتاب أولئك يلعنهم اللاعنون : إلا الذين تابوا وأصلحوا و بينوا ، فأولئك أتوب عليهم ، وأنا التواب الرحيم)

إن أشرف ميدان يتنافس فيه المتنافسون ، ويتسابق إليه المتسابقون ، هو ميدان العلم ومجالات المعرفة ، وإن خزائنه لتمتلىء بالإنفاق ، وتنضب بالتقتير والإمساك والشح إنه ليشحذ ويلمع بالكرم ، ويُفَلُّ ويصدأ بالبخل به ، ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا حسد إلا فى اثنتين : رجل آتاه الله مالا فسلطه على هلكته بالحق ، ورجل آتاه الله الحكمة فهو يقضى بها ويعلمها » .

وليس من أهل العلم من يتعلمه ليتحدث به فقط ، بل أهل العلم من يعمل به هو أولا قبل أن يعلمه لغيره ، ولا خير فى علم من غير عمل ، قال أبو الدرداء رضى الله عنه : ويل للذى لا يعلم مرة ، وويل للذى يعلم ولا يعمل سبع مرات .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن علمه ماذا عمل فيه » وحدد عليه الصلاة والسلام موقف الناس حيال العلم الذى بعثه الله وأرسله إليهم به ، فقسمهم ثلاث طوائف ، فقال : « مثل ما بعثنى الله به من الهدى والعلم كمثل غيث أصاب أرضا . فكانت منها طائفة طيبة : قبلت الماء ، فأنبتت الكلأ والعشب الكثير . وكان منها أجادب : أمسكت الماء فنفع الله بها الناس ، فشربوا منها وسقوا وزرعوا . وأصاب طائفة منها أخرى : إنما هى قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلأ . فذلك مثل من فقه فى دين الله ، ونفعه ما بعثنى الله به فعلم وعلم ، ومثل من لم يرفع بذلك رأسا ، ولم يقبل هدى الله الذى أرسلت به » . ضرب رسول الله المثل لما بعثه الله به من العلم الذى أنزله من السماء بالمطر الذى ينزله من السماء أيضاً ، فبالعلم تحيي القلوب وتتغذى النفوس وتثمر الأعمال الصالحة ، وبالمطر تحيي الأرض ويتغذى النبات وتثمر الحبوب

والفواكه . ومثل الناس بالأرض التى خلقوا من ترابها وطينها . فما أعظم هذا المثل ومطابقته للحقيقة .

ثم إنه قسم الناس إلى ثلاث طوائف ، طائفة فَقُهَ فى دين الله وعمل به وعلمه للناس ، وهم خير البرية ، وطائفة فقه وعلم ولكنه لم يعمل ، فأمن لسانه وكفر قلبه ، فانتفع الناس بعلمه ، ولم ينتفع هو به فكان وبالا عليه ، وطائفة ثالثة لا علمت ولا عملت ، لا انتفعت ولا نفعت ، فكانت شر البرية ، وإن الحيوان الأعجم الذى يركب ظهره ، ويؤكل لحمه أو يشرب لبنه أو يلبس صوفه خير منه وأنفع . عافانى الله وإياكم من الجهل والغفلة .

اللهم إنا نسألك أن تيسر لنا سبيل العلم بكتابك وسنة نبيك ، ونسألك أن توفقنا للعمل بما نعلم . ونعوذ بك من علم لا ينفع ، وقلب لا يخشع ، ونفس لا تقنع ، وبطن لا يشبع . اللهم ووفقنا إلى إتباع نبيك فى الدنيا ، واحشرنا فى زمرته وتحت لوائه يوم القيامة وصلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله أجمعين . رشاد سليمان محمد

من أمثال القرآن للامام العلامة « ابن قيم الجوزيه »

من الصدقات ما يبطلها : من المن والأذى . والربا . فالربا يمنع انعقادها سبباً للثواب ، والمن والأذى : يبطل الثواب الذى كانت سبباً له ـ فمثل صاحبها وبطلان عمله كمثل صفوان ـ وهو الحجر الأملس ـ عليه تراب ، فأصابه وابل ، وهو المطر الشديد . فتركه صَلْداً ، لا شىء عليه .

وتأمل أجزاء هذا المثل البليغ وانطباقها على أجزاء الممثل به ، تعرف عظمة القرآن وجلالته . فإن الحجر فى مقابلة قلب هذا المرائى ، والمان ، والمؤذى . فقلبه ـ فى قسوته عن الإيمان والإخلاص ـ بمنزلة الحجر . والعمل الذى عمل لغير الله بمنزلة التراب على ذلك الحجر . فقسوة ما تحته وصلابته تمنعه من الثبات والنبات عليه عند نزول الوابل . فليس له مادة متصلة بالرى تقبل الماء وتنبت الكلأ . وكذلك قلب المرائى ليس له ثبات عند وابل الأمر والنهى ، والقضاء والقدر . فإذا نزل عليه وابل الوحى : انكشف عنه ذلك التراب اليسير الذى كان عليه ، فبرز ما تحته حجراً صلداً لا نبات فيه : وهذا مثل ضرب الله سبحانه سبحانه لعمل المرائى ونفقته ، لا يقدر يوم القيامة على ثواب شىء منه أحوج ما كان إليه .

باب الفتاوى

أسئلة وأجوبة

الأستاذ الشيخ محمد خليل هراس — السلام عليكم ورحمة الله — و بعد :

إشارة إلى ماجاء بمجلة الهدى النبوى (عدد شهر رمضان ١٣٨٣) بخصوص السؤال الأول من الأخ الطاهر حسين سعيد بالسودان .

كانت إجابتك للفقرة الأولى من السؤال قاطعة بحيث أعطيته الدليل من قول الرسول صلى الله عليه وسلم وهو أن من ترك ثلاث جمع تهاونا طبع الله على قلبه — ولكن الإجابة على الفقرة الثانية من السؤال لم تجد الجواب الشافى لها وهو حسب السؤال إذا لم أتمكن من الذهاب إلى المسجد أصليها ظهراً أم جمعة . فكان جوابك أن تصليها ظهراً حسب إجماع الأئمة الأربعة ولا تجب إلا بشرائط خاصه .

نحن جماعة أنصار السنة حسب ماقرأنا فى مجلتنا الهدى النبوى ، أن الدين هو ماقاله الله وما قاله الرسول و بخلاف ذلك لا يعتبر ديناً لقوله تعالى : (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الإسلام ديناً) ، وإن إجابتك على السائل ليصليها ظهراً لم تكن قول الله ولا من قول الرسول ، لذلك مثل هذه الإجابات التى لم تكن شافيه تسبب لنا كثيراً من المشاكل مع إخواننا الذين نعطيهم المجلة ليقرؤها .

نحن جماعة أنصار السنة بالخرطوم و بقية مدن السودان الأخرى لازلنا نصلى الجمعة ركعتين إذا لم نحضرها فى المسجد لقول الرسول صلى الله عليه وسلم من حديث عمر بن الخطاب « الجمعة ركعتين وصلاة العيد ركعتين وصلاة المسافر ركعتين » ولم نعثر على أثر من أثار الرسول صلى الله عليه وسلم أن أمر النساء أو المرضى الذين لا يستطيعون الحضور للمسجد

أن يصلوها أربعاً ونحن مازلنا نصلى ركعتين حتى تعطينا الدليل القاطع على صلاتها أربعا إذا لم ندركها فى المسجد والذى نرجوه منكم عندما يسأل أحد الناس سؤال يجب أن يكون الرد قاطع من قول الله أو من قول الرسول صلى الله عليه وسلم حتى لا تظهر لنا بلبلة من بعض الناس ونسأل الله أن يوفقكم لنشر الدعوة الإسلامية الصحيحة فى جميع أنحاء العالم والسلام عليكم ؟

ميرغنى عمر عثمان

من جماعة أنصار السنة المحمدية — بالخرطوم

الجواب

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى :

أنى لم أكن حين أفتيت بوجوب صلاة الظهر لمن لم يشهد الجمعة مستهدياً ألا بهدى الكتاب الكريم والسنة المطهره ولم يكن ذكرى لاجماع الأئمة الأربعة وغيرهم من السلف ألا من قبيل الاستئناس بآراء السابقين . أما الكتاب فإن الله عز وجل يقول : (يا أيها الذين آمنوا إذا نودى للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله وذروا البيع) فأوجب الله السعى إلى الجمعة عند سماع النداء فمن لم يسع إليها كما أمر الله لايمكن أن يقال أنه أدها إذ لو كانت تؤدى فى أى مكان ومن أى إنسان قادراً على السعى أو غير قادر لما كان هناك معنى لإيجاب السعى إليها ثم قال تعالى : (وإذا رأوا تجارة أو لهوا انفضوا إليها وتركوك قائماً) .

فأوجب البقاء فى المسجد حتى يفرغ الخطيب وتنقضى الصلاة ، فمن لم يسع إلى المسجد ويسمع الخطبة وينتظر حتى يفرغ الإمام ويصلى معه فكيف يكون مؤدياً للجمعة ؟

وأما الأحاديث فى هذا الباب فهى كثيرة جداً وكلها تصرح بوجوب الرواح إلى

المسجد لسماع الخطبة وأداء الصلاة ولا معنى للجمعة إلا هذا ولذلك رخص الله لذوى الأعذار من المرضى والمسافرين فى التخلف عن الجمعة فقال عليه السلام : (ليس على مريض ولا مسافر جمعة) ومعلوم أن من لاجمعة عليه لايصلى جمعة بل ظهراً .

وفى الحديث الصحيح : « إذا قلت لصاحبك والإمام يخطب يوم الجمعة أنصت فقد لغوت ومن لغا فلا جمعة له) فجعل قوله لصاحبه أنصت لغوا ملغياً للجمعة مع أنه سعى إليها وشهدها فى المسجد فكيف الحال بمن لم يسع إليها ولم يشهدها ! !

وقد روى أن النبى صلى الله عليه وسلم توعد من يشهد الجمعة بأن يحرق عليهم بيوتهم وسماهم تاركين للجمعة ، فلو كان يجوز لكل أحد حيث كان أن يصلى جمعة لما سماهم تاركين لها ولما كان هناك موجب لهذا الوعيد الشديد ، وكذلك قوله عليه السلام : « من ترك ثلاث جمع تهاونا طبع الله على قلبه » ، دل على أن هناك أناساً يتركون الجمعة فلا يسعون إليها ولا يشهدونها . وعلى رأى هؤلاء الذين يقولون أن الجمعة هى فرصة الوقت بالنسبة لكل أحد لا يسمى أحد عندهم تاركا للجمعة بل يلزم أن يكون كل الناس مؤدين لها .

هذا ولا نحب من أخواننا أنصار السنة أن يتمسكوا بشواذ الآراء التى لا دليل عليها من كتاب ولا سنة وأن يفيئوا إلى الحق إذا تبين دون لحاجة فى الجدل والله يهدينا جميعاً سواء السبيل .

* * *

سؤال : من الأخ أمين السيد حسين — حوش عيسى — بحيرة

هل يصل ثواب القراءة للميت ولو قرأه أحد أبنائه أم ؟ لا وهل تجوز قراءته عند القبور كما أفتى بهذا الأستاذ الشيخ محمد المدنى فى درس الجمعة بالأذاعة وهل إذا قرأ القارىء يجوز

له أن يأخذ أجرا على القراءة وله أن يؤجر نفسه ويشترط على قيمة ما يأخذ أم لا ؟ أفيدونا أفادكم الله وختاماً ما تقبلوا منا احتراماً ؟

الجـــــواب

اختلف العلماء فى وصول ثواب القراءة إلى الميت إذا أهداه إليه القارىء ، فمنعه الشافعي رحمه الله منعا مطلقا محتجا بقوله تعالى (وأن ليس للإنسان إلا ما سعى) فإن هذه هى القاعدة العامة فى الجزاء ولا يستثنى منها إلا ماورد فيه النص مثل الدعاء والصدقة وكالحج عن الميت وقضاء ما فاته من صيام النذر أو الكفارة ونحو ذلك .

وأما القراءة فلم يرد فيها شيء .

ولا يجوز قراءة القرآن عند القبور مطلقا فإن ذلك لم يرد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه فعله أو أمر به ولا نقل عن أحد من السلف بل ورد النهى عنه فى قوله عليه السلام (اقرءاوا القرآن فى بيوتكم ولا تجعلوها قبوراً) .

ولا يجوز أخذ الأجرة على قراءة القرآن ولا أن تتخذ قراءة القرآن حرفه للتكسب والعيش وبالأولى لا يجوز اشتراط قيمة ما يأخذه ثمناً لقراءته والله أعلم .

* * *

سؤال : من الأخ صالح محمد إسحاق — القاهرة

توفيت سيدة وليس لها أبناء ولا أب ولا أم إلا أن لها ثلاث أخوات شقيقات وأولاد هذه الشقيقات ولها أيضاً أولاد عم أشقاء . فمن من هؤلاء يرث هذه السيدة أفتونا والله يتولى جزاءكم ؟

الجـــــواب

قال الله تعالى (يستفتونك قل الله يفتيكم فى الكلالة أن امرؤهلك ليس له ولد وله

أخت فلها نصف ما ترك وهو يرثها أن لم يكن لها ولد فإن كانتا اثنتين فلهما الثلثان مما ترك وأن كانوا أخوة رجالا ونساء فللذكر مثل حظ الأنثيين) .

وبناء على ما يفهم من الآية الكريمة يكون للأخوات الشقيقات الثلثان يقسم بينهن بالسوية ويكون الباقي لأولاد العم لأنهم أقرب عصبة إلى الميت والله أعلم .

* * * .

الإجابة على أسئلة الأخ أبي بكر محمد أحمد طه — بالقضارف السودان

١ — الفتح فى القراءة على الإمام إذا نسى آية أو التبست عليه جائز مشروع بل قال البعض بوجوبه والأحاديث فيه صحيحة .

فمن مسور بن يزيد المالكى قال « صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فترك آية فقال له رجل يارسول الله آية كذا وكذا فقال : فهلا ذكرتنيها» رواه أبو داود وعبد الله بن أحمد فى المسند وعن ابن عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى صلاة فقرأ فيها فلبس عليه فلما انصرف قال لأبى بن كعب أصليت معنا ؟ قال نعم قال فما منعك ؟) رواه أبو داود .

وأما الحديث الذى رواه أبو داود عن الحرث الأعور عن على أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال لعلى « لا تفتح على الأمام فى الصلاة » فهو حديث واه لا يقوى على معارضة الأحاديث السابقة القاضية بمشروعية الفتح على الأمام لا سيما وقد اتهم كثير من الأئمة الحرث الأعور بالكذب والله أعلم .

٢ — حديث : « لا تصاحب إلا مؤمناً ولا يأكل طعامك إلا تقى » حديث صحيح رواه مسلم وأبو داود والترمذى والحاكم وابن حبان وغيرهم من حديث أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه وأسانيده كلها صحيحة .

وإنما نهاه صلى الله عليه وسلم عن مصاحبة غير المؤمنين لأن الطبع سراق فلا يأمن

أن تنتقل إليه عدوى هؤلاء المجرمين فى رذائلهم وشرورهم ، وفى الحديث: « المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل » .

وأما قوله : « ولا يأكل طعامك إلا تقى » فهذا بالنسبة لطعام الدعوة أو الوليمة يجب أن لا يدعى إليها إلا الأتقياء . وأما طعام الحاجة أو الضرورة فهذا يجوز أن يطعم منه كل أحد ولو كافراً كما قال عليه السلام « أطعموا الجائع وعودوا المريض وفكوا العانى » .

٣ — حديث : « إذا أحب الله عبداً أخبر جبريل أن يحبه إلخ . » ، رواه أبو نعيم فى كتابه : « حلية الأولياء » والديلمى فى مسنده من حديث أنس بن مالك رضى الله عنه وهو حديث ضعيف جداً والعهد بهذين الرجلين أنهما يكثران من رواية الأحاديث الضعيفة فلا ينبغى أن يلتفت إلى ما فيهما إلا إذا كان له شواهد فى الصحيح .

٤ — حديث: « أنه صلى الله عليه وسلم نهى عائشة رضى الله عنها أن تأكل فى اليوم مرتين وقال لها أما لك شغل إلا بطنك » يشبه أن يكون من وضع الصوفية لأنهم هم الذين يدعون إلى التقليل من الطعام وسائر الشهوات جرياً منهم وراء تلك الرهبانية التى يقلدون فيها رهبان النصارى وفقراء الهنود من البراهمة والبوذيين ويسمون ذلك رياضة ومجاهدة وتصفية للباطن من كدورات الجسم ، وإذا كان المسلم حتى فى أيام صومه يأكل أكلتين أكلة الفطر وأكلة السحور فكيف ينهى الرسول صلى الله عليه وسلم زوجته الشابة القوية أم المؤمنين عن أكلتين فى اليوم، وإذا كان فى ذلك خير فلماذا خص به عائشة ولم يجعله أمراً للأمة كلها وقد كان المعروف المعتاد أن السلف رضى الله عنهم كان لهم أكلتان واحدة تسمى الغذاء والأخرى تسمى العشاء والله أعلم .

* * *

الإجابة على أسئلة الأخ عبد ربه سلامة الحديدى — ببور سعيد

ج ١ — أباح الله عز وجل للمسلمين ليلة الصيام الرفث إلى نسائهم وأن يأكلوا ويشربوا حتى يتبين لهم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر ، وقد ذكر علماء

العربية أن حتى تفيد أن مابعدها غاية لما قبلها فهى هنا تفيد إباحة الأكل والشرب والجماع إلى أن يتبين لهم الخيط الأبيض من الخيط الأسود يعنى بياض النهار من سواد الليل وذلك حين يطلع الفجر و يؤذن له وقد جهد علماء الفلك أن يضعوا مواقيت للصلوات تكون مطابقة لما حددته الشريعة فإن المسلمين فى الصدر الأول كانوا يتحينون أوقات الصلاة ويقدرون ابتداءها ونهايتها بمراقبتهم للشمس وظل الأجسام فيصلون الظهر مثلا عند ماتزول الشمس عن كبد السماء وتميل إلى جهة المغرب والعصر حين يصير ظل كل شيء مثليه أو مثله والمغرب عند ما يغيب قرص الشمس والعشاء حين يغيب الشفق الأحمر والفجر حين ينشق الليل عن ذلك البياض الذى يبدو معترضاً فى الأفق فيجلل سفوح الجبال ويملأ الروابى والتلول ، فلما تقدمت الدراسات الفلكية وعرف حساب الهيئة واخترعت الساعات قام علماء الفلك بهذا الجهد المشكور فى بيان مواقيت الصلاة حسب قواعد فى غاية الضبط يعرفون بها مقدار الليل والنهار وأوقات الطلوع والغروب وينزلون ذلك على مافى أيدى الناس من ساعات يحسبون بها الأوقات فلا يتقدم وقت عن موعده ولا يتأخر ، فوقت الفجر الذى جعله الشارع غاية للإمساك وموعداً لصلاة الصبح يدخل شرعاً حين تشير الساعات إلى اللحظة التى حددها الفلكيون له لأنهم لا يضعون ذلك اعتباطاً من أنفسهم بل يراعون فى ذلك تعليمات الشريعة والله أعلم .

* * *

الإجابة على سؤال الأخ سليمان عيسى صديقه — بالقضارف — السودان

ج — قال الله عز وجل : (يا أيها النبي إذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن وأحصوا العدة ، واتقوا الله ربكم — الآية) .

فالطلاق الذى أمر الله به و بينه رسوله صلى الله عليه وسلم أن يطلق امرأته طلقة واحدة رجعية و يكون ذلك فى طهر لم يجامعها فيه مع مراعاة أن يكون الطلاق ناجزاً غير

أحسن ما قرأت

أنا غير مؤمنة بالمساواة

بين الرجل والمرأة !

أنا إحدى بنات حواء ـ ولكنى مع ذلك لا أؤمن بالمساواة بين المرأة والرجل .. فالرجل رجل ، والمرأة مرأة .. والله سبحانه وتعالى أعلم بنا منّا حينما خلقنا جنسين مختلفين . . .

لماذا نطالب المساواة بالرجل . . ألكى نشعره بأنه خير منا ، ولذا نريد أن نساوى أنفسنا به ؟ ..

أم لأننا جنس غير مرغوب فيه فهو يحاول التمثل بمن هو أحسن منه وأعلى ؟ .

ثم لنفرض جدلا أن المرأة حصلت على هذه المساواة المزعومة .. فهل هذا شىء جميل؟! هل تريد للمرأة أن تشارك الرجل فى الأعمال الشاقة المتعبة كى تكون لها عضلات قوية ؟ أو هل تريد ترك بيتها وأطفالها لزوجها الذى ينتظرها فى البيت وقد غسل الصحون وطبخ الطعام واعتنى بالأولاد ؟ .

أو هل تريد الجلوس على المقاهى للاستراحة فترة من الزمن بعد عناء النهار ؟ ! ماذا تريد من هذه المساواة ؟ ! .

وأيهما أحسن ، وألطف ، وأجمل فى نظر المجتمع ؟ الأنثى الرقيقة ، اللطيفة الوديعة.. الأنثى التى تستقبل زوجها المتعب المكدود وتزيح عنه عبء النهار . الأم الرؤوم التى تحنو على أطفالها تغذوهم من عطفها وحنانها وتحل مشاكلهم وتمسح دموعهم ، وتجعل من بيتها جنة سعيدة ... أم تلك التى تخرج من الصباح تاركة بيتها كما هو ، ثم تعود ظهراً مع زوجها أو ربما بعده ، فتعد الطعام السريع ، ثم تأخذ قسطها من الراحة ، وبعد ذلك تعود

لمغادرة الدار ثانية ، لا تعلم عن أطفالها شيئاً ولا تسأل زوجها عن متاعبه ومشاكله ، لأنها هى الأخرى لديها من المشا كل ما يكفيها !

بربكن يابنات جنسى : أيتهما أحسن ؟ .

أنا لا أرى بأساً من اشتغال المرأة بعمل يناسبها ويناسب تكوينها الجسمانى وطبيعتها الأنثوية ولكن حذار من مجرد التفكير فى المساواة بالرجل . . لأن الرجل يختلف بتكوينه الجسمى عن المرأة اختلافا لا تنكره . . فالأنثى أنثى بطبيعتها الحلوة الجميلة ، وقوامها الممشوق الذى لا يجوز أن تشوهه العضلات أو بشرتها التى تفسدها الشمس والتراب والتعب والسهر ، ولا أظن امرأة ترضى أن تضحى بإناقتها وجمالها فى حين أن غايتها القصوى أن تكون موضع إعجاب الرجل لا أن تكون مساوية له فيقال عنها : أنها رجل ؟ .

فلتكف المرأة عن حديث المساواة وحسبها فخراً أنها هى التى تصنع الرجال وبإمكانها أن تخوض غمار الحياة كامرأة لها كيانها وشخصيتها لا كشبه رجل أو ذيل رجل . . .

بلقيس عبد الله الحميدى

بغداد — أعظمية — شيوخ

نقلا عن مجلة الشرق العربى (عدد شوال ١٣٨٣)

رجاء إلى السادة المشتركين بالمجلة

نرجو السادة المتعهدين التكرم بضرورة سرعة إرسال النقدية المتأخرة طرفهم عن سنة ١٣٨٣ باسم السيد محمد رشدى خليل أمين صندوق الجماعة ٨ شارع قوله عابدين . القاهرة وشكرا .

العدد ١٢ — ذى الحجة
المجلد ٢٨ — سنة ١٣٨٣

خير الهدى هدى محمد صلى الله عليه وسلم

الهدي النبوي

تصدرها جماعة أنصار السنة المحمدية

رئيس التحرير
عبد الرحمن الوكيل

مدير الإدارة
سليمان حسونة

مطبعة السنة المحمدية
١٧ شارع شريف باشا الكبير
ت ٩٠٦٠١٧

٣٠ مليما

الفهرس

صفحة		
٣	التفسير	للأستاذ الشيخ عبد الرحمن الوكيل
١٢	عقيدة القرآن والسنة . . .	للأستاذ الشيخ محمد خليل هراس
١٧	نظرات فى التصوف . . .	« عبد الرحمن الوكيل
٢٦	إبراهيم .. معلم الخير لأستاذنا الجليل الشيخ محمد حامد الفقى رحمه الله	
٣٤	غزوات الرسول	للأستاذ سعد صادق محمد »
٤٥	صلاة المسافر	للدكتور تقى الدين الهلالى
٥٠	الجهاد الأكبر والجهاد الأصغر	للأستاذ محمد نجيب المطيعى

صلاة العيد

بعونه تعالى ستؤدى جماعة أنصار السنة المحمدية صلاة عيد الأضحى فى ميدان الجمهورية كعادتها فى كل عام . وكل عام وأنتم بخير .

الحمد لله رب العالمين

أصدر سيادة وزير الأوقاف وشئون الأزهر قراره العادل بإسناد منصب مراقب الدعوة إلى فضيلة الأستاذ الكبير الشيخ محمد الغزالى مع ندبه أيضاً لإدارة قسم المساجد بعد طول إبعاد بغير حق .

ونحن إذ نزف هذه البشرى السعيدة إلى جميع إخواننا الغيورين على الدعوة الإسلامية نهنىء فضيلة الشيخ الغزالى بكرامة الله تعالى وتلك عاجل بشرى المؤمن .

الهدى النبوى

ظهر حديثاً كتاب « معركة المصحف » لمؤلفه الأستاذ الشيخ محمد الغزالى

خير الهدى هدى محمد صلى الله عليه وسلم

الهدى النبوى

مجلة شهرية دينية

تصدرها جماعة أنصار السنة المحمدية

رئيس التحرير
عبد الرحمن الوكيل
أصحاب الامتياز : ورثة
الشيخ محمد حامد الفقى

مدير الإدارة
سليمان حسونه
الاشتراك السنوى
٣٠ – فى الجمهورية العربية المتحدة والسودان
٤٠ – فى الخارج

المركز العام : ٨ شارع قوله — عابدين القاهرة — تليفون ٧٦٥٧٦

العدد ١٢ ذى الحجة سنة ١٣٨٣ المجلد ٢٨

نور من القرآن

بسم الله الرحمن الرحيم

قال جل ذكره : (فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ ، قَالَ : أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ ، لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا . قَالَ : أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا . قَالَ : إِنْ سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي . قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْرًا ، فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّفُوهُمَا ، فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَّ ، فَأَقَامَهُ قَالَ : لَوْ شِئْتَ ، لَاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا . قَالَ : هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا . الكهف ٧١ – ٧٨) .

معانى المفردات

« غلاماً » : هو الذى طرّ « نبت » شاربه والأنثى غلامة .

« زَكِيَّةً » : أصل الزكاة النمو الحاصل عن بركة الله تعالى . وقال ابن الأثير عن الزكاة إنها الطهارة والنماء والبركة والمدح .

« نُكْرًا » : قال الراغب : النكر : الأمر الصعب الذى لا يعرف ، والدهاء ، وزاد ابن الأثير ، فقال عنه : إنه الأمر المنكَر .

« لَدُنِّى » : لدن أخَصُّ من عند ، لأنه يدل على ابتداء نهاية نحو أقمت عنده من لدن طلوع الشمس إلى غروبها ، فيوضع لدن موضع نهاية الفعل ، وقد يوضع موضع عند فيما حُكِىَ . وجاء فى المختار لدن الموضع الذى هو الغاية ، وهو طرف بمنزلة عند . وقد أدخلوا عليه « مِن » وحدها من حروف الجر .

« اسْتَطْعَمَا » : طلبا منهما طعاماً . وقد يستعمل طعمت فى الشراب .

« يضيفوهما » قال الراغب : أصل الضيف الميل . . والضيف من مال إليك نازلا بك ، وصارت الضيافة متعارفةً فى القِرى ، وأصل الضيف مصدر ، ولذلك استوى فيه الواحد والجمع .

« ينقض » : قال الراغب : النقض انتثار العقد من البناء والحبل والعهد وهو ضد الإبرام .

« تأويل » : قال الراغب : التأويل من الأَوْل أى الرجوع إلى الأصل ، أى رد الشىء إلى الغاية المرادة منه علماً كان أو فعلا . « يوم يأتى تأويله » أى بيانه الذى هو غايته المقصودة منه .

المعنى

مضى أمر السفينة الذى لم يصبر عليه موسى ، واتهم صاحبه بأنه جاء بعمل منكر وتأتى فى هذه الآية قصة الغلام .

(فانطلقا حتى إذا لقيا غلاماً فقتله) .

هذا يفيد أنهما غادرا السفينة بعد أن خرقها العبد الصالح ، وأنهما مرّا بإحدى

الحواضر ، أو القرى ، فلقيا الغلام(١) ، وقد جاء فى بعض الأحاديث : « ثم خرجا من السفينة ، فبينما هما يمشيان على الساحل إذ أبصر الخضر غلاماً يلعب مع الغلمان » وفى بعضها الآخر جاء : « ثم خرجا من السفينة فانطلقا ، حتى إذا أتيا أهل قرية ، فإذا غلمان يلعبون خلفها ، فيهم غلام ليس فى الغلمان غلام أظرف منه ، ولا أثرى ولا أوضأ منه » فأخذه بيده ، وأخذ بيده حجراً ، فضرب به رأسه ، حتى دمغه ، فقتله » وهذه رواية عبد الرزاق عن معمر .

مسألة قتل الغلام : يؤكد القرآن أن العبد الصالح قتل الغلام ولم يذكر كيفية القتل ، ولا الوصف المفصل للغلام . وحسبنا ، فالعبرة تؤخذ مما ذكر القرآن . ولكن ورد فى بعض الأحاديث ما يبين كيفية القضاء على الغلام ، وقد بينت من قبل ما رواه عبد الرزاق ، وإليك بعض مارواه البخارى .

ففى رواية عبد الله بن محمد عن الغلام : « فانطلقا فإذا غلام يلعب مع الغلمان ، فأخذ الخضر برأسه من أعلاه ، فاقتلع رأسه بيده » .

ورواية البخارى عن الحميدى توافق هذه الرواية .

وفى الرواية عن إبراهيم بن موسى : « لقيا غلاماً فقتله ، قال يَعْلَى . قال سعيد : وجد غلماناً يلعبون ، فأخذ غلاماً كافراً ظريفاً ، فأضجعه ، ثم ذبحه بالسكين وقد ورد اسمه فى هذه الرواية وهو « جَيْسُور مَلِكٌ » .

وفى رواية عمرو بن محمد : « فلما خرجا من البحر مروا بغلام يلعب مع الصبيان ، فأخذ الخضر برأسه فقلعه بيده هكذا وأومأ سفيان بأطراف أصابعه كأنه يقطف شيئا » .

فرواية عبد الرزاق تثبت أن العبد الصالح قتله بحجر ، ورواية البخارى عن عبد الله ابن محمد والحميدى وعمرو بن محمد تثبت أن العبد الصالح اقتلع رأس الغلام بيده ! ! .

---

(١) إذ لا يعقل ان يوجد مثل هذا الغلام فى مكان قفر ليس فيه من يسكنه .

فكيف اقتلعه[١] ؟ أذبحه ، ثم فصل الرأس عن الجسد بيده ؟ .

إن كلمة بيده تعارض هذا الفهم . أخنقه ؟ ثم ظل يلوى رأسه حتى اقتلعها ؟ .

أما روايته عن إبراهيم بن موسى فتثبت أنه أضجعه ، ثم ذبحه بالسكين . ولكن لو كان الأمر كذلك لجاء فى القرآن ذكر الذبح صريحاً كما جاء : (يابنى إنى أرى فى المنام أنى أذبحك ـ الصافات : ١٠٢) (لأعذبنه عذاباً شديداً أو لأذبحنه ـ النمل) : (يذبحون أبناءكم و يستحيون نساءكم . البقرة : ٤٩) .

أقرب الروايات إلى المفهوم من القرآن رواية عبد الرزاق التى تذكر أنه قتله بحجر . ففى الاقتلاع عنف فى القسوة[٢] . واحتياج إلى زمن طويل ، وحسبنا أن نؤمن بأن العبد الصالح قتل الغلام . ولقد قلت فى عدد « رمضان » « ورأى موسى ـ القتلَ يحدث حيث كان يجب ـ فى ظنه ـ أن يكون الحب دافعاً هنا إلى الحرص البالغ على حياة القتيل وصونها من كل ماقد ينال من نضرتها الحلوة الزاهية . ثم تبين له ـ أى موسى ـ أن هذا القتل الذى أثار سخطه ، وأنساه الوفاء بوعده ، والحفاظ على عهده ما هو إلا أصدق تعبير عن حنو الحب وشفافيته الرقيقة الرفيقة الصافية ، وروحانيته التى تقدست بقدسية الغيب ، وعن تجسد قوة الإيمان فى عمل يحتاج إلى مجاهدة للعاطفة البشرية حين تهفو بصاحبها إلى العطف على جميل رائع الصِّبا ساحر الفتنة » نعم ، فيما نزن به الأمور كان يجب على العبد الصالح أن يحرص على حياة هذا الغلام الجميل الوضىء ؛ لأنه لم يأت بما يستحق به القتل ، ولكن فى مقياس

---

(١) جاء القلع مفسراً فى الرواية عن عمرو بن محمد ، فقد جاء مايلى : « فأخذ الخضر برأسه ، فقلعه بيده هكذا ، وأومأ سفيان بأطراف أصابعه كأنه يقطف شيئاً » يريد سفيان ن الخضر فعل بر س الغلام كما يفعل الرجل بشىء يقطفه ! ! .

(٢) ثم هى تحتاج إلى قوة عارمة فوق الوقت الطويل والعبد الصالح يقتل وهو يحب ألا يراه أحد حتى يمضى فى سبيله . ولهذا جاءت الفاء فى قوله سبحانه « لقيا غلاماً فقتله » فمجىء الفاء فى « فقتله » دليل على أن قتله عقب لقائه مباشرة دون إبطاء .

الحقيقة التي يفرض سلطانَها وحيُ الله شيء آخر غير ما في مقاييسنا ، ثم إن القيام بقتل الغلام الجميل الوضيء يحتاج فعلا إلى مجاهدة جاهدة لعواطفنا التي تأبى أن تقدم على هذا العمل الذي يصبغ دنياها بالمأساة ، ويلون أحلامها بالسواد الرهيب والفزع الأسود ولكن قام العبد الصالح بكل ما أمره الله أن يقوم به ، فخرق السفينة ، وقتل الغلام ، وأقام الجدار وعرض نفسه لنقد رسول عظيم ، ولم يبال بشيء لأنه يعمل لله ، وفي سبيل رضاه[1] . وقيامه بكل هذا يشهد له بقوة الإيمان الذي لا تغمزه عاطفة هوجاء ، ولا تستميله شهوة من الدنيا أو لكزة من الجسد !!.

« قال : أقتلت نفساً زكية بغير نفس ، لقد جئت شيئاً نُكْرا » ينكر موسى على العبد الصالح أن يقترف جريمة القتل ضد غلام وضيء جميل لم يره اقترف ما يستحق عليه القتل وهو صبي لم يبلغ الحنث ، ثم حكم موسى على صاحبه بأنه اقترف أمراً صعباً يستنكره الشرع ، والطبع . أرأيت إلى موسى كيف خدعته مقاييسه ، وهو من أولي العزم من الرسل ؟ أرأيت إليه ينسب إلى نفس الغلام أنها زكية ، وهي نفس دنسة مظلمة خبيثة[2]

---

(١) أعظم من عمله همُّ إبراهيم بذبح ولده الحبيب إسماعيل ، فالعبد الصالح قتل غلاماً جميلا . أما إبراهيم فهم بذبح ولده الحبيب .

(٢) في حديث رواه البخاري ذكر سعيد بن جبير أن ابن عباس كان يقرأ : « وأما الغلام ، فكان كافراً ، وكان أبواه مؤمنين » وما أظن إلا أن ابن عباس كان يقولها تفسيراً من عنده . فمن الخطر المبين أن نظن أن كلمة واحدة سقطت من القرآن . وفي حديث متفق عليه أن الغلام الذي قتله الخضر طبع كافراً ، ولو عاش لأرهق أبويه طغياناً وكفرا » ، قيل : كان يقطع الطريق ، ويأخذ المتاع ، ويلجأ إلى أبويه ـ أما اللجوء إلى أبويه ، فلا نستطيع أبداً تصديقه ؛ لأن القرآن وصف أبويه بأنهما مؤمنين ، والمؤمن لا يرضى بسرقة ، ولا يخفي مسروقاً . اللهم إلا إذا فهمنا أن الغلام كان لا يطلعهما على ما يسرق ، وقيل : كان غلاماً يعمل الفساد ، ويتأذى منه أبواه .

ويكفي في هذا القرآن ، فقد وصفه بصفتين هما : الطغيان والكفر .

فهل يمترى أحدٌ ما فى أن العقل لا يمكن أن يستقل بالهداية ، وأن البشرية فى حاجة ماسة إلى الوحى تأخذ عنه هداها ؟

ولقد خدعت موسى مقاييسه خداعا بعيداً حتى لقد حملته على نسيان وعده ونقض عهده ، واتهام العبد الصالح بأنه اقترف جريمة منكرة . إنه لتأديب بالغ الزّجر ، وإخضاع فى قوة وقهر وغلَبٍ قادرٍ لهذه القوة النفسية التى كان يتمتع بها موسى عليه السلام، حتى تخشع تماما وتسكن سكون البحر بعد العاصفة . ولقد قلت فى عدد رمضان : « هذا رسول عظيم استطاعت ظواهر الأشياء أن تصرفه عن حقيقتها ، فحكم على العرفان بالجميل أنه جحود ، وعلى الفضيلة أنها رذيلة ، وعلى الطاعة أنها معصية ، وعلى القيام بالواجب أنه ذل وامتهان » وأكرره هنا ؛ لأؤكد أننا نحن البشر لا نستطيع مطلقا أن تعمر هذه الدنيا ، ونسلك السبيل السوى فى هذه الحياة إلا بهدى الله وحده ، لا بالقوانين المستمدة من شهواتنا ، وأهوائنا !؟ .

وقول موسى « أقتلت نفساً زكية بغير نفس » إشارة إلى أنه لا يجوز قتل النفس إلا قصاصاً . وبهذا يبدو لنا أن موسى عليه السلام قد نسى شيئاً آخر ذكر فى التوراة وقد بينه القرآن : (من أجل ذلك كتبنا على بنى إسرائيل أنه من قتل نفساً بغير نفس ، أو فساد فى الأرض ، فكأنما قتل الناس جميعاً ، ومن أحياها ، فكأنما أحيا الناس جميعاً المائدة : ٣٢) لقد أخذ موسى على العبد الصالح أنه قتل نفساً زكية بغير نفس ، ولم يكن قتل النفس الواجب محصوراً فى هذا وحده : إذ كان من الواجب أيضاً قتل المفسدين فى الأرض . وكان الغلام كذلك ! ! وقوله : « لقد جئت شيئاً نكرا» . يفيد أن موسى حكم على قتل الغلام بأنه أشد نكرا من خرق السفينة ، فالخرق يمكن تداركه ، أما هذا الذى وقع بالغلام ، فلا يمكن تداركه فقد قُتِل ، وانتهى الأمر .

« قال : ألم أقل لك : إنك لن تستطيع معى صبرا » ومرة أخرى فى هدوء ووقارٍ

يذكر العبد الصالح موسى بعهده . غير أنه زاد فى هذه المرة شيئا لم يذكره فى المرة الأولى؛ وهو قوله : « لك » وفى زيادتها زيادة جليلة للمعنى ، ففى المرة الأولى ذكر القول مطلقا ، وفى هذه ذكره مقيدا بقوله : « لك » وفى هذا مافيه من تأنيب شديد ، ولوم قوى ، لأنه نقض العهد مرتين .

(قال : إن سألتك عن شىء بعدها ، فلا تصاحبنى)

فى التعبير بقوله : « سألتك » مايكشف عن أدب موسى وحيائه وعن بسط نوع من العذر ؛ إذ يؤكد بهذا للعبد الصالح أنه لاينتقد ، ولايعترض عليه ، وإنما هو يسأل ، فحسب . وقوله : « فلا تصاحبنى » فيه تَرْكٌ للامر بين يدى العبد الصالح ، وإيماضٌ إلى أن موسى لم يَمَلَّ من مصاحبة العبد الصالح ، وانما بقيت فيه رغبة قوية إلى مصاحبته ، إذ يقول : « فلا تصاحبنى » بدلا من « فلاأصاحبك ، أو لن أصحبك » والإتيان بكلمة « شىء » فى عمومها وهى نكرة تكشف لك عن شدة الحياء التى أخذت بموسى ؛ ولهذا جاء فى الحديث عن موسى : « لولا أنه عجل ، لرأى العجب ، ولكن أخذته من صاحبه ذِمامَةٌ » أى حياء وإشفاق من الذم واللوم .

« قد بلغت من لدنى عذرا » أى بلغت أقصى ما يُتَطَلب منك من تلمس العذرلى ، وبدا لك العذر واضحا فى مفارقتى . وهو بهذا يضمِّن قوله مدحا للعبد الصالح ؛ إذ احتمله مرتين مع قرب مابينهما ، وفى كل مرة نسيان وعد ، ونقض عهد !! وما أعظم أدب موسى هنا مع العبد الصالح ، فهو لم يثر ، وقد لامه العبد الصالح مرتين ، ولم تستوفز نفسه إلى التمرد على رجل أقل منه شأنا ، بل اعترف اعترافا صريحا جميلا بخطئه ، وقوة احتمال صاحبه .

« فانطلقا ، حتى إذا أتيا أهل قرية [1] استطعما أهلها ، فأبوا أن يضيفوهما » يبدو لك

---

(١) حسب المؤمن هذا ، غير أن المفسرين أبوا إلا أن يذكروا اسم هذه القرية شطحا . فبعضهم يزعم أنها أنطاكيه ، أو الآبلة ؛ أو برقة ، أو بأجروان أرمينية ، ولا أكلف نفسى ولا القارىء هذا . إنها قرية من القرى ، ولاسيما وقد ذكرت نكرة فى الآية ،فلم يقل أهل بالالف واللام

واضحا أنهما كانا فى حاجة ماسة إلى طعام ، حتى اضطرتهما هذه الحاجة إلى طلب الطعام من أهل هذه القرية ، وأن يأذنا لهما بالنزول عندهم . ولكن هل القرية أبوا الأمرين ، فلم يطعموهما ، ولم يضيفوهما . وقوله تعالى « فأبوا أن يضيفوهما » أضاف حقيقة إلى الاستطعام ، فقد فهمنا من هذا أن موسى وصاحبه طلبا الأمرين ، وأن أهل القرية رفضوا الأمرين .
« فوجدا فيها جدارا يريد أن ينقض ، فأقامه » إسناد الإرادة إلى الجدار تصوير له بالكائن الحى الشاعر فكأنما هو إنسان يريد أن ينقض ، وهذا يبين لنا أن الميل فى الجدار كان شديدا ؛ وأن الجدار كان يريده !! .

« فأقامه » كيف أقامه ؟ يكفى أن نعلم ونؤمن بأنه أقامه . غير أنى أعرض عليك ماورد فى بعض الأحاديث عن مسألة إقامة الجدار ، ففى رواية عبد الله بن محمد : « فأقامه » قال الخضر بيده ، فأقامه » وفى رواية الحميدى » : فقام الخضر ، فأقامه بيده »

وفى رواية إبراهيم بن موسى : قال : فمسحه بيده فاستقام »

وفى رواية قتيبة بن سعيد « فمال بيده هكذا ، فأقامه » .

وفى رواية عمرو بن محمد : « فوجدا فيها جدارا يريد أن ينقض ــ مائلا ــ أومأ بيده هكذا ، وأشار سفيان كأنه يمسح شيئا إلى فوق ، فلم أسمع سفيان يذكر مائلا إلا مرة » قد نلمح فى المذكور أن إقامة الجدار كانت بطريقة خارقة للعادة ، ولاسيما فى مثل « فمسحه بيده فاستقام » وقد نلمح أن إقامة الجدار كانت بالطريقة المألوفة المعروفة . والقرآن يثبت أنه أقام الجدار ، وحسبنا هذا . وجميل مايقوله « الطبرى » فى تفسيره عن مسألة إقامة الجدار : « وجائز أن يكون ذلك بإصلاح بعد هدم ، وجائز أن يكون كان برفع منه له بيده ، فاستوى بقدرة الله ، وزال عنه ميله بلطفه . ولا دلالة من كتاب الله ، ولا خبر للعذر قاطع بأى ذلك كان من أى » أى ليس فى الكتاب والسنة دليل يقطع بحدوث أحد الأمرين بعينه .

« قال : لو شئت لاتخذت عليه أجرا » ونلاحظ هنا موسى عقب على عمل العبد الصالح

بحذر شديد فيه روح الخوف من إغضابه ؛ فما حمل عليه حملته فى الأولى والثانية ، بل أسند المشيئة إليه ، وجاء بأجر نكرة . ماظنها نقدا ، أو اعتراضا . ولكن كان ظنه غير صحيح ، فصار للعبد الصالح أن يتركه . ونلحظ أيضاً أن العبد الصالح ظل مع موسى ، حتى قال موسى بنفسه « لاتصاحبنى » كان له أن يتركه فى الأولى ، وفى الثانية ، ولكن تركه حتى يطلب هو بنفسه هذا ، ويحكم على نفسه بما يستحقه من عقوبة .

« قال : هذا فراق بينى و بينك » هذا وقت فراقى ، أو هذا الإنكار على تركى أخذ الأجر هو المفرق بينى و بينك . ولقد ذكر فى الحديث تعليق على عمل موسى فى ثلاث المرات : « كانت الأولى من موسى نسيانا ، والوسطى شرطًا [1] ، والثالثة عمدا » . وموسى — كما يبدو من نسق الآية — كان يظن أن العمد ليس فيه نقض لعهد . إذ جاء بكلامه فى سياق جميل لاتبدو فيه أثارة من نقد عنيف . وكان موسى عند عهده هذه المرة ، فلم يلح على العبد الصالح أن يعفو عنه .

« سأنبئك بتأويل مالم تستطع عليه صبرا » .

وكان العبد الصالح كريما خبيرا بالتأديب ، فوعد موسى بأنه سيخبره بتفسير مالم يستطع صبرا عليه . وهذه الأخيرة فيها لوم أخ لأخيه ، وتعليم لموسى بأنه يجب عليه أن يكون أقوى صبرا . لأنه حينما يعرف حقيقة الأمر سيندم ندما قويا على أنه لم يصبر . ولهذا جاء فى حديث رواه البخارى قوله صلى الله عليه وسلم : « وددنا أن موسى كان صبر حتى يقص الله علينا من خبرهما » هذا جانب من القصة العظيمة الجليلة ، فلنتدبر شأن موسى ، وشأن العبد الصالح ؛ ولنضرع إلى الله سبحانه أن يكلنا دائما إليه ، و إلى هداه ، وأن يغمر نفوسنا بتقواه ، وأن يجعل من حياتنا تعبيرا صادقا عن حبه ، وأن يهب لنا العلم الصحيح ؛ والصبر المتين ؛ والإيمان القوى الذى لايخشى إلا جانب الله سبحانه . إنه سبحانه على مايشاء قدير وهو وحده المدعو ؛ وهو وحده القاهر فوق عباده وهو السميع البصير ؟

عبد الرحمن الوكيل

(١) لانه قال فيها « ن سألتك عن شىء بعدها ، فلا تصاحبنى »

توحيد الله عز وجل

وعدنا فى المقال السابق أن نذكر بقية الآيات والأحاديث الدالة على ما اتصف به سبحانه من صفات الأفعال الاختيارية المتعلقة بمشيئته وقدرته والتى نفاها علماء الكلام الباطل من المعتزلة والأشعرية بناء على أصلهم الفاسد فى امتناع قيام الحوادث بذاته والتزموا من أجل ذلك تأويل ما لا يحصى من نصوص الكتاب والسنة ونحن نفى أن شاء الله بما وعدنا به ونذكر بقية الآيات المتعلقة بهذا الموضوع ثم نتبعها بما صح من أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم .

يقول الله تعالى من سورة الأنفال (وإذ يعدكم الله إحدى الطائفتين أنها لكم وتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم ويريد الله أن يحق الحق بكلماته ويقطع دابر الكافرين ليحق الحق ويبطل الباطل ولو كره المجرمون) ويقول سبحانه من نفس هذه السورة (إذ يغشيكم النعاس أمنة منه وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به ويذهب عنكم رجز الشيطان وليربط على قلوبكم ويثبت به الأقدام إذ يوحى ربك إلى الملائكة إنى معكم فثبتوا الذين آمنوا سألقى فى قلوب الذين كفروا الرعب فاضربوا فوق الأعناق واضربوا منهم كل بنان)

ويقول من هذه السورة كذلك (وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين) .

ويقول منها أيضاً (يا أيها النبى قل لمن فى أيديكم من الأسرى إن يعلم الله فى قلوبكم خيراً يؤتكم خيراً مما أخذ منكم ويغفر لكم والله غفور رحيم) .

ويقول سبحانه من سورة براءة (أم حسبتم أن تتركوا ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ولم يتخذوا من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين وليجة والله خبير بما تعملون) .

ويقول منها كذلك (ولو أرادوا الخروج لأعدوا له عدة ولكن كره الله انبعاثهم فثبطهم وقيل أقعدوا مع القاعدين) .

ويقول منها أيضاً (ألم يعلموا أن الله هو يقبل التوبة عن عباده ويأخذ الصدقات وأن الله هو التواب الرحيم وقل أعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون وستردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون. وآخرون مرجون لأمر الله إما يعذبهم وإما يتوب عليهم والله عليم حكيم والذين أتخذوا مسجدا ضرارا وكفرا وتفريقا بين المؤمنين وارصادا لمن حارب الله ورسوله من قبل وليحلفن إن أردنا إلا الحسنى والله يشهد أنهم لكاذبون . لا تقم فيه أبداً لمسجد أسس على التقوى من أول يوم أحق أن تقوم فيه ، فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المطهرين) .

ويقول سبحانه من سورة يونس عليه السلام (إن ربكم الله الذى خلق السموات والأرض فى ستة أيام ثم أستوى على العرش يدبر الأمر ما من شفيع إلا من بعد اذنه ذلكم الله ربكم فاعبدوه أفلا تذكرون . إليه مرجعكم جميعاً وعد الله حقاً إنه يبدأ الخلق ثم يعيده ليجزى الذين آمنوا وعملوا الصالحات بالقسط والذين كفروا لهم شراب من حميم وعذاب أليم بما كانوا يكفرون) .

ويقول منها كذلك(قل من يرزقكم من السماء والأرض أم من يملك السمع والأبصار ومن يخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحى ومن يدبر الأمر فسيقولون الله ، فقل أفلا تتقون فذلكم الله ربكم الحق فماذا بعد الحق إلا الضلال فأنى تصرفون كذلك حقت كلمة ربك على الذين فسقوا أنهم لا يؤمنون قل هل من شركائكم من يبدأ الخلق ثم يعيده فأنى تؤفكون . قل هل من شركائكم من يهدى إلى الحق قل الله يهدى للحق أفمن يهدى إلى الحق أحق أن يتبع أم من لا يهدى إلا أن يهدى فما لكم كيف تحكمون) .

ويقول جل شأنه من سورة هود عليه السلام حكاية عما خاطب به نوح قومه (ولا ينفعكم نصحي إن أردت أن أنصح لكم إن كان الله يريد أن يغويكم هو ربكم وإليه ترجعون).

ويقول تعالى من سورة يوسف عليه السلام (وكذلك يجتبيك ربك ويعلمك من تأويل الأحاديث ويتم نعمته عليك وعلى آل يعقوب كما أتمها على أبويك من قبل إبراهيم وإسحق إن ربك عليم حكيم).

ويقول من نفس السورة (كذلك كدنا ليوسف ما كان ليأخذ أخاه فى دين الملك إلا أن يشاء الله نرفع درجات من نشاء وفوق كل ذى علم عليم).

ويقول عز اسمه من سورة الرعد (الله يعلم ما تحمل كل أنثى وما تغيض الأرحام وما تزداد وكل شيء عنده بمقدار عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال، سواء منكم من أسر القول ومن جهر به ومن هو مستخف بالليل وسارب بالنهار له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم وإذا أراد الله بقوم سوءا فلا مرد له ومالهم من دونه من وال).

ويقول من نفس السورة (ولقد أرسلنا رسلا من قبلك وجعلنا لهم أزواجا وذرية وما كان لرسول أن يأتى بآية إلا بإذن الله لكل أجل كتاب يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب).

ويقول من سورة إبراهيم عليه السلام (يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة ويضل الله الظالمين ويفعل الله ما يشاء).

ويقول سبحانه من سورة النحل (إلهكم إله واحد فالذين لا يؤمنون بالآخرة قلوبهم منكرة وهم مستكبرون لا جرم أن الله يعلم ما يسرون وما يعلنون أنه لا يحب المستكبرين).

ويقول من نفس السورة (إن الذين لايؤمنون بآيات الله لايهديهم الله وأولئك هم الكاذبون . من كفر بالله من بعد إيمانه إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان ولكن من شرح بالكفر صدرا فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم ذلك بأنهم استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة وأن الله لايهدى القوم الكافرين أولئك الذين طبع الله على قلوبهم وسمعهم وأبصارهم وأولئك هم الغافلون) .

ويقول جل شأنه من سورة بنى إسرائيل (وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا) .

ويقول من نفس السورة (ومن يهد الله فهو المهتدى ومن يضلل فلن تجد لهم أولياء من دونه ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم عميا وبكما وصما مأويهم جهنم كلما خبت زدناهم سعيرا) .

ويقول سبحانه من سورة مريم عليها السلام (واذكر فى الكتاب موسى إنه كان مخلصا وكان رسولا نبيا . وناديناه من جانب الطور الأيمن وقربناه نجيا ووهبنا له من رحمتنا أخاه هارون نبيا) .

ويقول جل وعلا من سورة طه (وهل أتاك حديث موسى إذ رأى نارا فقال لأهله امكثوا إنى آنست نارا لعلى آتيكم منها بقبس أو أجد على النار هدى فلما أتاها نودى ياموسى إنى أنا ربك فاخلع نعليك إنك بالواد المقدس طوى . وأنا اخترتك فاستمع لما يوحى) .

ويقول من نفس السورة (وألقيت عليك محبة منى ولتصنع على عينى إذ تمشى أختك فتقول هل أدلكم على من يكفله فرجعناك إلى أمك كى تقر عينها ولا تحزن وقتلت نفسا فنجيناك من الغم وفتناك فتونا فلبثت سنين فى أهل مدين ثم جئت على قدر ياموسى واصطنعتك لنفسى ـ إلى قوله لاتخافا إننى معكما أسمع وأرى) .

ويقول سبحانه من سورة الشعراء (وإذ نادى ربك موسى أن أئت القوم الظالمين قوم فرعون ألا يتقون) .

ويقول من نفس السورة فى آخرها (وتوكل على العزيز الرحيم الذى يراك حين تقوم وتقلبك فى الساجدين إنه هو السميع العليم) .

ويقول من سورة النمل فى شأن قوم صالح عليه السلام (ومكروا مكرا ومكرنا مكرا وهم لايشعرون فانظر كيف كان عاقبة مكرهم أنا دمرناهم وقومهم أجمعين) ،

ويقول من سورة القصص (ونريد أن نمن على الذين استضعفوا فى الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين ونمكن لهم فى الأرض ونرى فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون) .

ويقول من نفس السورة (وما كنت بجانب الطور إذ نادينا ولكن رحمة من ربك)

ويقول كذلك (ويوم يناديهم فيقول ماذا أجبتم المرسلين) .

ويقول من سورة العنكبوت (الم أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لايفتنون ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين) .

ويقول من آخر هذه السورة (والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وأن الله لمع المحسنين) .

ويقول من سورة محمد عليه السلام (والذين قتلوا فى سبيل الله فلن يضل أعمالهم سيهديهم ويصلح بالهم ويدخلهم الجنة عرفها لهم) .

ويقول من سورة الفتح (لقد رضى الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة) .

ويقول من سورة الحجرات (ولكن الله حبب إليكم الإيمان وزينه فى قلوبكم وكره إليكم الكفر والفسوق والعصيان أولئك هم الراشدون فضلا من الله ونعمة) .

ويقول من سورة المجادلة (قد سمع الله قول التى تجادلك فى زوجها وتشتكى إلى الله والله يسمع تحاوركما إن الله سميع بصير) .

وإلى العدد القادم إن شاء الله لأذكر الأحاديث المتعلقة بهذا الباب والله ولى التوفيق.

محمد خليل هراس

نظرات في التصوف

الغزالى وابن تيمية ورشيد رضا

الشيخ رشيد رضا والغزالى : نقلت لك من الإحياء وغيره من كتب الغزالى دينه فى الحب والتوحيد ، وغيرهما ، وقد تبين لنا مما سطره الغزالى فى الإحياء عن التوحيد والحب أن ماقاله لاينتسب إلى هدى نبوة ، ولا يصادق روح القرآن ، وتبين لنا كذلك أن ابن تيمية لم يتجن على الغزالى حين حكم عليه بأن كلامه شر من كلام مشركى العرب ، وملاحدة الفلاسفة ، وزنادقة الصوفية ، وقد جئتك بالنصوص التى تشهد بصدق ابن تيمية وعدالته فى الحكم ، وقد خصصت الإحياء بكثير ؛ لأنه الكتاب الذى يقدسه عشاق الغزالى ، وليتجلى لهؤلاء أن الغزالى حتى فى أعظم كتبه لم يكتب عن الإسلام ، وإنما كتب عن أمشاج متباينة من ديانات عتيقة وضعية .

غير أن العالم السلفى الكبير الشيخ « رشيد رضا » رحمه الله لم يرضه هذا الحكم الصادق من ابن تيمية على الغزالى ، فراح يحاول الدفاع عنه ، ويتهم شيخ الاسلام ابن تيمية بالتحامل على الغزالى ، ويحاول التشكيك فيما نقله عنه ابن تيمية[1] . وقد تبين لى

---

(١) انظر ص ٨٧ ومابعدها من تعليقات الشيخ رشيد على الرسالة الخامسة من مجموعة الرسائل والمسائل فستجده رحمه الله يجعل هذا العنوان لصفحة من الصفحات (تحامل الشيخ على الغزالى وعدم تثبته فيما نقله عنه هنا) ص ٩١ ، ثم يذكر فى تفسير المنار اعتذار الغزالى عن الحلاج فى قوله : (أنا الحق) ويذكر ماقاله ابن القيم فى مدارج السالكين عن الفناء الصوفى . ثم يعقب بقوله : (ومنه تعلم مافى كلام الغزالى فى الانوار الإلهيه مبنيا على أساس التوحيد والقواعد الشرعيه) ص ٥٧٣ تفسير الجزء السابع ط ٢ مع أنه فى هذا الجزء نفسه كتب عنوانا لصفحة من صفحاته هو (وثنية قريش بالوسطاء والشفعاء) وسنرى الغزالى فى كتبه من هؤلاء .

أن السبب فى هذا هو أن الشيخ رشيد — عفا الله عنى وعنه — ظن أن ابن تيمية ينقل ماينقل عن كتاب « الإحياء » وحده ، وثمت لم يجد فى الإحياء بعض مانقله شيخ الإسلام ، فظن أن ابن تيمية قد تحامل على الغزالى ، ورماه بغير ماقاله ، على حين يصرح ابن تيمية أنه ينقل عن الإحياء وغيره .

وأمر آخر جعل الشيخ « رشيد رضا » يظن بابن تيمية هذا الظن ، هو عدم استيعابه لما سجل الغزالى فى الإحياء ، وإلا فكيف يسكت الشيخ رشيد عما زعمه الغزالى من أن السالك الصوفى يسمع كلام الله ، كما سمعه موسى ؟ كيف مر بهذه الكبيرة — وكم من كبيرة فى الإحياء — دون أن ينقمها منه ؟ ذكرت هذا ، ليتجلى مدى سطوة الغزالى ونفوذه ، وسلطان كتابه « الإحياء » على الناس . فهذا هو الشيخ الجليل رشيد الذى كان رحمه الله من أصدق تلاميـــذ الامام « ابن تيمية » ، ومن الزائدين فى قوة وحق عن مكانته ، ومن المناضلين فى سبيل إحياء السنة وإماتة البدعة . هذا هو يسحره وشى البيان من كتاب الاحياء ، فيتحامل هو على ابن تيمية من أجل الغزالى ، وهو الخبير بابن تيمية فى صدقه وأمانته العلمية العالية الفائقة التى شهد له بها عدوه قبل صديقه ومن يراجع كل مانقله ابن تيمية عن الفلاسفة والصوفية والكلاميين وأرباب النحل المختلفة والفقهاء فسوف تعتريه الدهشة البالغة ، ويستحوذ عليه الإعجاب الرائع بابن تيمية . إنه سيجد كل مانقله مسطورا بكلماته وحروفه فيما أخرجت المطبعة من كتب لمن ينقل عنهم دون زيادة أو نقص أو تحريف كلمة . ويجد الفهم الدقيق المستوعب لكل مانقله . ويجد العدل والانصاف الشاملين فيما يفسر به هذه النصوص ، ويعقب به عليها ويجـــد نصاعة الحجج ، وقوة الأدلة وإذا ضم القارىء إلى هذا عرفانه بأن هذه الكتب الضخمة التى كان ينقل عنها كانت مخطوطة لا مطبوعة — إذ لم تكن المطبعة قد اخترعت بعد — راعه هذا المجهود الضخم الشاق المضنى الذى كان يبذله الامام ، وراعه أن تستوعب حافظته مئات من النصوص بألفاظها — وكان جل ماينقله عن حافظته — وراعه أن يكون

ابن تيمية على هذه الثقافة الشاملة والخبرة الدقيقة بكل أنواع المعارف فى عصره ، مع إيمان وثيق متين وتدبر دائم سَوِيّ المنهج لكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم . بل اشتهر عنه حتى بين خصومه أنه كان أعظم خبرة بالمذاهب الفقهية من أصحاب هذه المذاهب أنفسهم هذا إلى بطولة فذة تسمى فى حب و إيمان إلى حلبة التضحية والفداء . موقفه من التتار . نضاله فى سبيل كسر شوكتهم ، حضه المسلمين وأولى الامر على منا هضتهم ، موقفه فى حرب النصيرية ، وزجه بنفسه فى أتون المعركة . صراعه الدامى المرير لخصوم الاسلام فى عصره . حربه المشتعلة الأوار دائما ضد البدع والخرافات التى كان يبثها المنتسبون إلى الدين من كبار الشيوخ فى زمنه ، تألب كل الفرق عليه ، وتكالبهم على هدمه من الفقهاء والصوفية والكلاميين والفلاسفة والمفسرين و بعض رجال الحكم وصبره وثباته وشجاعته وجهره بالحق ضدهم واحتماله الكريم لعذاب السجون فى سبيل دينه . كل هذا وغيره يجعلنا نؤمن بأن هذا الرجل كان أمة فى إيمانه وعلمه وجهاده . ويدفعنا إلى التساؤل عما قدمه الغزالى لدين الله وأمته مما يشبه من بعيد أو قريب جزءا قليلا مما قدمه ابن تيمية ؟ لاشىء سوى دعوته المسلمين إلى الفرار من الحياة و إحاطته نفسه بأساطير تجعل منه قديس الخلود . وخرب الصليبيون بيت المقدس فى زمنه ، فما حرك منه هذا حتى سن قلم ، أو استمال منه حنو عاطفه بل ظل عا كفا على صوفيته فى صومعته يكتب ضخام المجلدات عن قداسة الصوفية وسموها ويقترف الجدل المحموم ؛ ليثبت أن من السالكين من يشهد الحقيقة الالهية ، و يسمع منها الخطاب !! أو يكاشف بالغيوب ، وأسرار القدر والربوبية ، ويسمع تسبيح كل ذرة فى الأرض وفى السماء ، ويسمع أصوات الرسل والملائكة . فلنتخذ لنا من موقف الشيخ الجليل « رشيد رضا » عبرة هادية شافية ، فهو — على فضله وسعة علمه ، وشمول ثقافته — قد خدعه زيف التاريخ الذى خلع على الغزالى تاج الملك فى دولة العلماء ، فظن أنه حجة إسلام !!

الغزالى وعبادة الموتى : عاش الشيخ رشيد رضا يكافح فى صدق عن إخلاص التوحيد

لله ، ويدعو إليه فى جد وعزم وقوة ، ويحارب فى صبر وشجاعة كل باغ عليه ، وياطالما حمل حملات صادقة على عابدى الموتى والقبور . ودمغهم بالشرك فى صراحة محمودة وحجة قاهرة من الكتاب والسنة . ولهذا نذكر رأى الغزالى فيما حكم عليه الشيخ رشيد رحمه الله بأنه شرك.

قال الغزالى : «أما التقرب لمشاهد الأنبياء والأئمة عليهم الصلاة والسلام ؛ فإن المقصود منه الزيارة والاستمداد عن سؤال المغفرة وقضاء الحوائج من أرواح الأنبياء والأئمة عليهم السلام والعبادة عن هذا الإمداد والشفاعة ، وهذا يحصل من جهتين الاستمداد من هذا الجانب والإمداد من الجانب الآخر ولزيارة المشاهد أثر عظيم فى هذين الركنين . أما الاستمداد فهو بانصراف همة صاحب الحاجة باستيلاء ذكر الشفيع والمزور على الخاطر حتى تصير كلية همته مستغرقة فى ذلك ، ويقبل بكليته على ذكره وخطوره بباله وهذه الحالة سبب منبه لروح ذلك الشفيع أو المزور حتى تمده تلك الروح الطيبة بما يستمد منها » ثم يتكلم عن أثر مشاهدة تربة الميت فيقول : «تؤثر مشاهدة ذلك الميت ومشاهدة تربته التى هى حجاب قالبه . . . ومن استعان فى الغيبة بذلك الميت لم تكن هذه الاستعانة جزافا ، ولا تخلو من أثر ما » ثم يقول عن التوسل بجسد الرسول صلى الله عليه وسلم : « فالتقرب بقالبه الذى هو أخص الخواص به وسيلة تامة متقاضية للشفاعة والتقرب بولده الذى هو بضعة منه ولو بعض توالد وتناسل والتقرب بمشهده ومسجده و بلدته وعصاه وسوطه ونعله وعضادته والتقرب إليه بعادته وسيرته والتقرب بكل ماله منها مناسبة تقرب موجب للقرب إليه مقتض لشفاعته ... والركن الأعظم فى هذا الباب الإمداد والاهتمام من جهة المد ، وإن لم يشعر صاحب الوسيلة بذلك المدد ؛ فإنه لو وضع شعر رسول الله صلى الله عليه وسلم أو عضادته أو سوطه على قبر عاصى أو مذنب نجا ذلك المذنب ببركات تلك الذخيرة من العذاب ، وإن كان فى دار إنسان أو بلدة لا يصيب تلك الدار وأهلها وتلك البلدة وسكانها ببركاتها بلاء) [1]

---

(١) لا يقول هذا الكلام عاقل !!

رموز وسرية : ويلح بعض التلاميذ على الغزالى فى بيان ما هو أعمق من ذلك من أسرار الدين ولكن الغزالى يجبن قليلا مخافة سيف الشرع ، فيقول : « وسأهدى إليك من بعد أن وفقنى الله تعالى علما مضنونا آخر أسمه : « المضنون به على أهله » أحق وأولى من هذا المصنف ؛ فإن فى هذا مسائل قررتها فى عدة مواضع ومسائل لم أقررها إلا فى ذلك المصنف . أما المضنون الموجود فقد كان عزيمتى على تقرير أشياء فيه لم أقررها فى شىء من كتبى الاهم إلا فى إحياء العلوم ؛ فإن فيه تلويحات و إشارات إلى رموز لا يعرفها إلا أهلها» أرأيتم ؟! ويقول : « ليس كل سر يفشى ، ولا كل حقيقة تعرض ، وتجلى . ولقد قال بعض العارفين إفشاء سر الربوبية كفر »[1] .

ويقول عن معارفه الصوفية : « وأمثال هذه المعارف التى إليها الإشارة لا يجوز أن يشترك الناس فيها ولا يجوز أن يظهرها من انكشف له شىء من ذلك لمن لم ينكشف له. بل لو أشترك الناس فيها لخربت الدنيا »[2] ... أرأيتم إلى الباطنى الماكر ؟

وأقرأ بعد هذا الحرف قول الله لنبيه (ليس لك من الأمر شىء) وقوله سبحانه : (والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير إن تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم :ولو سمعوا ما أستجابوا لكم ، ويوم القيامة يكفرون بشرككم ، ولا ينبئك مثل خبير : ٣٥ : ١٣ ، ١٤) .

---

(١) أقرأ تلك النصوص فى كتاب المضنون به على غير أهله طبع المطبعة الإعلامية بالقاهرة سنة ١٣٠٣ من ض ٤١ إلى ص ٤٥ و ص ١١١ مشكاة الأنوار وفى ص٣٥ بهامش الجزء الأول من الإحياء يقول العيدروس « ومن مشهورات مصنفاتك ... المضنون به على غير أهله ومشكاة الأنوار » .

(٢) ص ٢٨٩ ج ٤ إحياء

وقوله لنبيه : (٣٥ : ٢٢ : ومايستوى الأحياء ولا الأموات . إن الله يسمع من يشاء وما أنت بمسمع من فى القبور[1]) (٤٠:٢٠ والله يقضى بالحق ، والذين يدعون من دونه لا يقضون بشىء . إن الله هو السميع البصير) (٧:٩٤ إن الذين تدعون من دون الله عباد أمثالكم فادعوهم ، فليستجيبوا لكم إن كنتم صادقين) (٢٠:١٩٦ والذين تدعون من دونه لا يستطيعون نصركم ، ولا أنفسهم ينصرون) (١٣:١٤ له دعوة الحق ، والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشىء إلا كباسط كفيه إلى الماء ؛ ليبلغ فاه ، وما هو ببالغه ، وما دعاء الكافرين إلا فى ضلال).

يقول عبدة الموتى : إن الله لم يحرم إلا عبادة الأصنام، أو دعاءها . أما نحن فندعو أولياء ولا نعبدهم .

يظن هؤلاء أن عبادة الصنم أو دعاءه شرك ، أما عبادة أو دعاء ماليس صنما من ملك أو نبى أو ولى فإنه ليس شركا . من أين جاءوا بهذا إلا فك الخلق ؟ تدبروا تلك الآيات المحكمة ، تجدوا تحريم عبادة غير الله أو دعائه أيا كان ذلك الغير . فكلمة « الذين » فى شمولها وعمومها تفيد هذا اليقين .

ترى أنفهم فى قوله سبحانه : (إن تدعوهم لا يسمعو دعاءكم) أو قوله جل شأنه: (والذين يدعون من دونه لا يقضون لهم بشىء) أنفهم أن هذا ، يتعلق بدعاء الأصنام ؟! إنها مكابرة لضرورة العقل والفطرة واللغة والدين . ثم ما قولكم فى قوله تعالى : (١٧:٥٦،٥٧ قل: ادعوا الذين زعمتم من دونه ، فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ، ويرجون رحمته ؛ ويخافون عذابه . إن عذاب ربك كان محذوراً) .

---

(١) يقول الداعون إلى عبادة الموتى : المقصود بمن فى القبور الكفار تشبيها لهم بالموتى ؟ ؛ وأقول : وهذا أبلغ فى الدلالة على الحقيقة إن اعتبروها مجازا . فلولا ثبوت أن الموتى لا يسمعون ما شبه الله الكفار بهم .

فهل توصف الأصنام بأنها ترجو الرحمة وتخاف العذاب ، و تبتغى الوسيلة[(١)] ؟ إن معنى كلام الله : إن الذين تدعونهم لا يملك أحدهم أن يكشف الضر عن أحد ، أو يحوله، و إنهم عباد الله يتقربون إليه بالطاعة رجاء رحمته وخوف عذابه ، فكيف يرجو مسلم من لا يملك تحقيق رجاء ، أو يخاف من ينزل به الخوف ، فلا يستطيع رده عن نفسه .

---

(١) كل عابد لصنم يعرف جيدا المادة التي صنع منها الصنم . يعرف أنه من حجر أو شجر أو غير ذلك مما صور الناس منه أصنامهم ، بيد أن الشيطان — وقد أجن العابد الوثنى عقله وراء حجب التقاليد — سخر به ، إذ جعله يتخيل أن دعاء الصنم هو دعاء لمن أقيم باسمه الصنم ، وأن تقديسه هو تقديس لمن شيد من أجله ، وأن روح الولى الميت ترف عليه وتبارك من يطوف حوله . فما عبد أحد الصنم لذاته ، و إنما عبد باعتبار ظنه وتخيلاته التى ظنها أو تخيلها فيه ، فهو عابد ظن وعابد تخيل أو عابد هوى . إن عابد اللات كان يعرف معرفة تامة أن صنم اللات حجر أصم ، غير أنه ظن أن هذا الحجر قد باركته روح الولى الصالح الذى يمثله الصنم ، وأن روح هذا الولى تشعر بمن يطوف حوله وتسمعه وتراه . وهذا الذى يقبل الأضرحة و يستنشق ترابها . إنه يعرف معرفة تامة تلك المادة التى صنعت منها هذه الأشياء التى يقبلها ، ولكنه يعتقد أن روحانية صاحب الضريح قد غمرت هذه الأشياء وتلبست بها . وهؤلاء الذين يطوفون حول « الصارى » — وهو عمود طويل من الخشب مثبت فى قاعدة من الأسمنت — فى مولد السيد . إنهم يعرفون أنه خشب وأسمنت ، غير أنهم يعتقدون أن القطب الغوث يطوف حوله فى الليلة الخاتمة للمولد ، فيتقاتل الناس على الطواف حول « الصارى » وتقبيله . وفى غير أيام المولد ، قد يبولون على الصارى ، فالروح التى كانت تلبسه . قد ذهبت ، لتعود مرة ثانية فى المولد القادم و بهذا سماهم الله جميعا عباد أصنام وأوثان وظن وهوى ، لأنهم لا يدعون — إذ يدعون — إلا الهوى تجسد فى ذلك الصنم .

ثم تدبر قوله سبحانه : (إن الذين تدعون من دون الله عباد أمثالكم) فهل يظل عبيد القبور عاكفين على وثنيتهم التى تزعم أن الله لم يحرم إلا دعاء الأصنام ، فحسب ؛ أما دعاء الموتى من الناس ، فلم يحرمه الله .

ثم من قال إن الدعاء غير العبادة ورسولنا صلى الله عليه وسلم يقول « الدعاء مخ العبادة » ؟ ؟ وما قال رسول الله ذلك من عنده ، و إنما قاله مطابقا لهدى القرآن ، فكم من آيات تجد فيها التسوية المطلقة بين مفهوم الدعاء ومفهوم العبادة ، ووضع أحدهما مكان الآخر والحكم بالشرك على من يدعو غير الله ، أقرأ قوله سبحانه : (٤٦ : ٤ — قل أرأيتم ماتدعون من دون الله . أرونى ماذا خلقوا من الأرض ، أم لهم شرك فى السموات ؟ ائتونى بكتاب من قبل هذا أو أثارةٍ من عِلمٍ . إن كنتم صادقين . ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له إلى يوم القيامة . وهم عن دعائهم غافلون . و إذا حشر الناس كانوا لهم أعداء . وكانوا بعبادتهم كافرين) حكم بالشرك على من يدعون غير الله . وتسوية مطلقة بين مفهوم الدعاء ومفهوم العبادة . فقد جاء فى الآية الأولى « تدعون » وفى الثانية « يدعو ، ودعاء » . وفى الآية الثالثة — وهى تبين مآل الداعين وموقف من دعوهم منهم يوم القيامة جاء قوله سبحانه (وكانوا بعبادتهم كافرين) وما تقدم فى الآيات إلا ذكر « الدعاء » مما يدلك عن أن الدعاء هو العبادة ، واقرأ قوله سبحانه فى قصة إبراهيم مع أبيه (١٩ : ٤٨ ، ٤٩ أعتزلكم ، وماتدعون من دون الله ، وأدعو ربى عسى ألا أكون بدعاء ربى شقيا ، فلما اعتزلهم ومايعبدون من دون الله وهبنا له إسحق و يعقوب . وكلا جعلنا نبيا) تسوية تامة بين مفهوم الدعاء ومفهوم العبادة ، فمن دعا غير الله ؛ فقدعبد غير الله . سواء ، كان المدعو صنما أم ملكا ، أم رسولا ؛ فالغيرية عامة مطلقة شاملة . ولو أن الشيخ الجليل رشيد رضا — رحمة الله ، وأجزل له المثوبة — استوعب ماكتب الغزالى ، لتبين له أنه أشد خطراً من ابن عربى ، فهذا الطاغوت تحيط به شبهات معتمة ، وتتلمظ فى كتبه غنوصية صريحة الأحقاد ، وفى القلوب منه خوف

وحذر !! أما الغزالى ، فتحيط به هالة قدسية تفتح له آلاف القلوب بتقديسه وتعظيمه باعتباره حجة الإسلام وغنوصيته يغلفها بأسلوب ساحر ماكر . لو أنه رحمه الله قرأ هنا الذى نقلناه عن الغزالى ، لعلم جيداً أن شيخ الإسلام ابن تيمية لم يتجن على الغزالى ، وإنما نصح المسلمين وأخلص النصح الكريم !!

فرحمه الله بواسع رحمته ؟

عبد الرحمن الوكيل

« للنظرات بقايا إن شاء الله »

السبع المهلكات

عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « اجتنبوا السبع الموبقات ، قالوا : يارسول الله ، وماهُن ؟ قال الشرك بالله ، والسحر ، وقتل النفس التى حرم الله إلا بالحق ، وأكل الربا ، وأكل مال اليتيم ، والتَولى يوم الزحْف ، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات » رواه البخارى ومسلم ،

قوله : « والتولى يوم الزحف » أى الادبار عن الكفار وقت التحام القتال ، وإنما يكون كبيرة إذا فر إلى غير فئة أو غير متحرف لقتال . كما جاء فى سورة الأنفال (٨ : ١٥ و ١٦ يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم الذين كفروا زحفا فلا تولوهم الأدبار ؛ ومن يولهم يومئذ دبره إلا متحرفا لقتال أو متحيزاً إلى فئة فقد باء بغضب من الله) .

إبراهيم ... معلم الخير

بقلم أستاذنا الجليل الشيخ محمد حامد الفقى (رحمه الله)

قال سبحانه جل ذكره (إن إبراهيم كان أمة ، قانتاً لله حنيفاً . ولم يك من المشركين . شاكراً لأنعمه . اجتباه وهداه إلى صراط مستقيم . وآتيناه فى الدنيا حسنة ، وإنه فى الآخرة لمن الصالحين . ثم أوحينا إليك : أن اتبع ملة إبراهيم حنيفا . وما كان من المشركين) .

سمى الله خليله إبراهيم « أمة » لأنه كان قائما فى عبادة الله مقام جماعة المسلمين .

و « المشرك » من أشرك مع الله رب العالمين أحداً ، أو شيئاً ، فى إخلاص حبه وتقديسه وتعظيمه ، خوفا ورجاء ، ورغباً ورهباً ، فدعا غيره — وسماه توسلا — وحلف بغيره ، وسماه حبا وتعظيما ، أو نذر لغيره ، أو ركن بقلبه إلى غيره من الموتى ، أيًّا كانوا — وسمى ذلك تبركا — معتمداً عليه ؛ ومتوكلا فى قضاء حاجاته ؛ وتفريج كرباته .

و « الشكر » حسن الانتفاع بالنعمة والاستفادة منها ، حتى تظهر آثارها متحدثة عن فضل المنعم وإحسانه ، بأن له الأسماء الحسنى . ولن يكون ذلك ولا يتحقق إلا بمعرفة النعم على وجهها وصفاتها ومزاياها وخصائصها ووقتها ؛ وكيفية الانتفاع بها ، ووضعها موضعها ، الذى أحبه المنعم به بها وارتضاه لعبده . وذلك لايكون إلا بالعلم الصحيح بأسماء الله وصفاته ، والتفكر فى آيات الله وسننه الكونية ، والتفقه والتدبر لآياته القرآنية ، واليقظة التامة فى تحرى الاقتداء بأئمة الشاكرين : إبراهيم والمصطفين بالرسالة من ذريته ، وبالأخص خاتمهم محمد صلى الله وسلم عليه وعليهم أجمعين .

و « الأنعم » جمع « نعمة » أى شاكراً لكل نعم الله عليه .

و « اجتباه » اصطفاه واختاره . وخصه بأنواع من الإحسان والإنعام والمثوبة العظمى جزاء شكره : وذلك فضل الله الذى يجزى به الشاكرين ؛ المنوه عنه فى قوله تعالى (١٤ : ٧ لئن شكرتم لأزيدنكم) وقوله (١٠ : ٢٦ للذين أحسنوا الحسنى وزيادة) وقوله (٥٣ : ٣١ ويجزى الذين أحسنوا بالحسنى) وقوله عن يوسف الصديق عليه السلام — وقد أحسن فى نعم ربه عليه فيما امتحنه ورباه به فى بيت عزيز مصر ، الذى كان مجمع البغى والفساد والكفر والفسوق والعصيان ؛ فتأثر به يوسف تأثرا عكسيا ؛ إذ أراد الله أن يصلح به مصر وينقذها من هلاك القحط والجوع . فاستفاد من الغى الرشد ، ومن السفه الحكمة ، ومن الفسوق والانحلال والتعبد للشهوات الشيطانية : الاستقامة التامة والعفاف الوثيق ، وازداد هدى على هداه ، فقال الله (١٢ : ٢٢ ولما بلغ أشده آتيناه حكما وعلما وكذلك نجزى المحسنين) .

وكذلك الشأن فى موسى عليه السلام — وقد أراد الله العليم الحكيم أن يربيه فى بيت فرعون ؛ وفى ظل تبنيه وكفالته ، ليبعثه إليه رسولا قويا يرهب فرعون ولا يرهبه . ويخوفه وينذره عاقبة وثنيته وكفره وبغيه ، واستعباده المصريين ، وتحميلهم من مشاق الأعمال مايموتون تحت أثقاله لاشباع أهوائه وشهواته الطاغية .

ولانقاذ بنى إسرائيل مما كان يسومهم فرعون من سوء العذاب .

لذلك رباه الله فى هذه البيئة الباغية الكافرة ؛ فاستفاد منها — باحسانه فى الاستفادة من نعم ربه عليه وشكرها بذلك — حكمة ورشداً ، وقوة عزيمة فى الحق ، وشدة بأس فى دفع الظلم وانصاف المظلوم . فقال الله ربنا (٢٨ : ١٤ ولما بلغ أشده واستوى آتيناه حكما وعلماً . وكذلك نجزى المحسنين) ،

يعنى ربنا سبحانه : أن ذلك جزاؤه الحق ، ووعده الحق الذى لايخلفه لكل من أحسن الانتفاع والاستفادة بنعم ربه ، وقدرها حق قدرها ، وشكرها بحسن استعمالها على الوجه الذى أحبه ربه وارتضاه ، وجعلها به وله نعمة .

وكان إبراهيم عليه أفضل الصلاة والسلام كذلك — وقد نشأ وتربى فى البيئة الوثنية الكافرة الباغية التى يرؤسها ويمثلها أبوه آزر — قد استفاد من وثنيتها الصارخة، ومن كفرها الصريح : هدى فطرياً إلى تجريد توحيد الله ربه، ومن ظلمها الغاشم، وقسوتها الأثيمة : شفقة بالضعفاء الذين كان أبوه آزر وإخوانه — من المستكبرين الطغاة — يستعبدونهم بدجلهم؛ وطاغوتيتهم الجاهلية . وكان قد تعلم الحكمة والعدل من سفه آزر أبيه وبغيه — إذ كان آزر غارقاً فى بحر من أهوائه وشهواته — كَلاًّ عليهم .

وكان ذلك سبباً فى فرار إبراهيم عليه السلام من وسطهم، وذهابه يبعد النجعة فى رعى الغنم، ليعيش على الحلال الطيب، ويرى فى رعايته للغنم من آيات الله فى الغنم، وفى معيشتها، وفيما تنتاب — من مساقط المطر، ومنابت العشب والكلأ — مازاد هدى فطرته جلاء وصفاء .

ومازال إبراهيم يسمو ويترقى على معارج شكره لأنعم ربه، وإحسانه الأخذ لها، وتقديرها قدرها، وتحريه الإحسان فى وضعها مواضعها، حتى اصطفاه ربه واجتباه . فأرسله يدعو أباه والناس إلى هذا الاحسان والشكر — بوضع كل شيء موضعه، وإعطاء كل ذى حق حقه — الذى لا يكون إلا بعد معرفة الله بأسمائه وصفاته وسننه وآياته فى الأنفس وفى الافاق، والمعرفة التى تشرق على القلوب بها أنوار الحكمة والرشد . فتعرف أن الله ربها هو الحى القيوم، وهو الذى يجدر بها أن تعبده، وأن تخلص له العبادة . فإنها بجميع أنواعها — حق خالص لله بمقتضى أسمائه وصفاته . وكل مخلوق — بمقتضى صفاته — فحق عليه أن يجرد هذه العبادة لربه، وبإخلاص العبادة تعرف المخلوق من الانسان وغيره فى الأرض والسموات . فتأخذ منه ماجعله الله لك، وسخره فيها وسخرها به، وتعطيه حقه اللائق به وبمخلوقيته، من شمس وقمر، وكواكب، وإنسان وحيوان وغيرها .

وهكذا كان إبراهيم، وكان إخوانه المرسلون السابقون، وأبناؤه اللاحقون للمصطفون، رسل الله، وبالأخص خاتمون وإمامهم محمد صلى الله عليه وسلم .

كانوا كذلك فى شأنهم وتربيتهم ، وشكرهم لكل ماأنعم عليهم ربهم به من هدى الفطرة ، وما ابتلاهم به ، وامتحنهم من بيئاتهم الوثنية الكافرة ، الغارقة فى ظلمات الجاهلية وما كانت جاهليتهم هذه تقدر أن تحجب بظلماتها نور فطرتهم وهداها ، وما كانت وثنيتهم وخبائثها ، تستطيع أن تنال من صفاء قلوبهم ، ولا أن تمس طهر نفوسهم ، بما أحاطهم الله به من قوة حصون الفطرة السليمة ، وشديد يقظتها وحياتها السامية الكريمة ، حتى دفعتهم أن يهربوا من هذه الأوساط إلى مخالطة الغنم ورعايتها - وفى صحيح الحديث عن النبي صلى الله علية وسلم « مامن نبى إلا رعى الغنم » -

كان إبراهيم ، وإخوانه من الأنبياء السابقين ، وأبناؤه من الأنبياء المصطفين - عليهم الصلاة والسلام - شاكرين لأنعم ربهم ؛ من أول يوم وساعة عقلوا فيها ، وعرفوا قلوبهم وأعينهم وآذانهم وإنسانيتهم الكريمة ، التى تفضل الله عليهم بها . ونفخها فيهم من روحه ، وعرفوا بذلك أسباب العلم الصحيح ، وسبيل المعرفة الحقة لكل ماتقع عليه حواسهم ، وتعقله قلوبهم ، لايقلدون أبا ولا شيخا ، ولايصغون لمن انسلخوا من آيات ربهم وباعوها رخيصة فى سوق التقليد الجاهلى الأعمى للطغاة المستكبرين ، ولا للآباء والأجداد المستضعفين .

لما كان إبراهيم - عليه وعلى نبينا وجميع المرسلين أفضل الصلاة والسلام - شاكراً لأنعم ربه كذلك : اجتباه ربه واصطفاه ، وشكره على شكره . والله غفور شكور .

« وهداه إلى صراط مستقيم » زاده هدى على هدى (٤٩ : ١٧ والذين اهتدوا زادهم هدى ، وآتاهم تقواهم) فلما احتفظ بهدى الفطرة - فى سمعه وبصره وعقله وتفكيره ، وكل أسباب علمه ومعرفته - نفعه الله بذلك . فزاد فى هدى فطرته قوة وجلاء ، وقدرة على استكناه الحقائق فى هذا الخلق ، ومعرفتها على أوضاعها السليمة التى خلقها الله عليها ولها ؛ وزاده الله انتفاعاً بها ، وهكذا كان فى كل نعمة يشكرها كذلك فيزداد بها نعمة

وهدى ، و يزداد بها حياة روح ويقظة ، وقوة فيما آتاه الله من أسباب التقوى ، وحرصاً على أن يتقى مايخاف فى النعمة من سوء إذا هو أساء استعمالها بغفلته ونسيانه ، وجهله لما فيها من حق ثابت فى ذاتها وصفاتها وأوضاعها . فيفر إلى الله ، ويفزع إليه من شر نفسه البشرية ، وظلمها وجهلها ، ويستمد منه العون والتوفيق لتغذية وتقوية الروح الانسانية العاقلة المفكرة الكريمة التى خصه الله ، وميزه بها عن سائر المخلوقات وجعله بها خليفته فى الأرض.

ومازال هذا شأنه — كما كان هو شأن المرسلين جميعاً — حتى اجتباه رب العالمين واصطفاه ، وهداه هدى الرسالة ، وأوحى إليه العلم الأصح الأحكم الأرشد . فاهتدى فى كل شأنه ، وفى كل سبيل من سبل عيشه وحياته الأولى إلى « صراط مستقيم » فكان — فى طعامه وشرابه ، وزوجته ، وبره لأبيه ، ومعاشرته للناس — على طريق قويم نير ، لاظلام ولاعوج فيه بمكر سىء ولاضغن ولاحقد ولاحسد ، ولا التواء فيه بمخاتلة ومداهنة ونفاق . فكان ينتهى فى كل خطواته إلى فلاح دائم ونجاح مستمر .

ألم تر إلى ما صور لنا ربناسبحانهمن موقفه الأكرم معأبيه آزر ، إذ يقول (١٩: ٤٢-٤٩ يا أبت ، لم تعبد مالايسمع ولايبصر ، ولا يغنىعنك شيئا ؟ياأبت إنى قد جاءنى منالعلم مالم يأتك ، فاتبعنى أهدك صراطاسويا . يا أبت ، لا تعبدالشيطان . إن الشيطان كان للرحمن عصياً . يا أبت إنى أخاف أن يمسك عذاب من الرحمن ، فتكون للشيطان ولياً . قال : أراغب أنت عن آلهتى يا إبراهيم ؟ لئن لم تنته لأرجمنك . واهجرنى ملياً . : قال سلام عليك . سأستغفر لك ربى . إنه كان بى حفياً . وأعتزلكم وما تدعون من دون الله،عسى أن لا أكون بدعاء ربى شقيا).

وما خسر مرة واحدة ، ولا خاب فى أى خطوة خطاها ، حتى كانت أوسع خطوة وأشقها على كل نفس بشرية ، إلا على إبراهيم و إخوانه وأبنائه من المرسلين أولى العزم والقوة القوية فى أخذ ما آتاهم ربهم .

تلك الخطوة الخطيرة : التى قص ربنا شأنها فى كثير من سور القرآن الكريم. أختار منها ما جاء فى سورة الأنبياء . إذ قال ربنا (٢١ : ٥١ — ٧٣ ولقد آتينا إبراهيم رشده من قبل ، وكنا به عالمين . إذ قال لأبيه وقومه : ما هذه التماثيل التى أنتم لها عاكفون ؟ قالوا: وجدنا آباءنا لها عابدين . قال : لقد كنتم وآباؤكم فى ضلال مبين . قالوا : أجئتنا بالحق أم أنت من اللاعبين ؟ ! قال : بل ربكم رب السموات والأرض الذى فطرهن ، وأنا على ذلكم من الشاهدين . وتالله لأكيدن أصنامكم بعد أن تولوا مدبرين . فجعلهم جذاذاً — إلا كبيراً لهم — لعلهم إليه يرجعون . قالوا : من فعل هذا بآلهتنا ؟ إنه لمن الظالمين. قالوا : سمعنا فتى يذكرهم يقال له : إبراهيم. قالوا : فأتوا به على أعين الناس لعلهم يشهدون . قالوا: أأنت فعلت هذا بآلهتنا يا إبراهيم ؟ قال : بل فعله كبيرهم هذا ! فاسألوهم، إن كانوا ينطقون فرجعوا إلى أنفسهم فقالوا : إنكم أنتم الظالمون . ثم نكسوا على رءوسهم ، لقد علمت ما هؤلاء ينطقون . قال : أفتعبدون من دون الله مالا ينفعكم شيئاً ولا يضركم ؟ ! أف لكم ولما تعبدون من دون الله . أفلا تعقلون ؟ ! ! قالوا : حرقوه . وانصروا آلهتكم إن كنتم فاعلين . قلنا : يانار ، كونى برداً وسلاماً على إبراهيم . وأرادوا به كيداً . فجعلناهم الأخسرين . ونجيناه ولوطاً إلى الأرض التى باركنا فيها العالمين. ووهبنا له إسحاق ويعقوب نافلة ، وكلا جعلنا صالحين. وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا . وأوحينا إليهم فعل الخيرات ، وأقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة وكانوا لنا عابدين) .

من يقرأ هذه الآيات بتدبير ، ويتلوها وأخواتها حق تلاوتها — مستضيئاً بهدى الله فى فطرته وفى سنن الله من حوله — يفهم جيداً كيف كان هدى إبراهيم إلى صراط الله المستقيم . وكيف كان ينتهى به فى كل عمل . وفى كل شأن ، وفى كل خطوة إلى الفلاح والنجاح ، والفوز بالعزة والكرامة ، والنصر على الأعداء .

فإن يسر الله هذا ، ووفقك إلى فهم هذا! . فاحرص — حتى تسأل الله ربك الهداية

إلى الصراط المستقيم فى صلاتك — أن تكون لك القدوة الحسنة بإبراهيم و بأصدق بنيه وأشكرهم خاتم المرسلين محمد ، عليه وعلى جميع المرسلين أفضل الصلاه والسلام .

ومن أوضح وأبين الأدلة على هدى الخليل الكريم إبراهيم إلى الصراط المستقيم: هدى الله له أن يرفع — هو وابنه الذبيح إسماعيل — قواعد البيت المحرم ، وأن يكون هو أول من يقيم لله بيتاً على الأرض مطهراً من كل مظاهر الشرك والوثنية وطقوسهما وتصاويرهما وبَهْرجهما وزورهما (٣ : ٩٦ و ٩٧ إن أول بيت وضع للناس للذى ببكة ، مباركا وهدى للعالمين . فيه آيات بينات مقام إبراهيم . ومن دخله كان آمنا).

وأن يكون هو أول من أذن فى الناس بحج هذا البيت المبارك، ليأتوه رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق ليشهدوا منافع لهم — ويالها من منافع لو عقلوا وأحسنوا الانتفاع وجاءوا ضيوفا صادقى العقائد والقلوب والأقوال والأعمال — ويذكروا أسم الله الرحمن الرحيم الرزاق ذى القوة المتين ، على ما رزقهم من بهيمة الأنعام ، وما فرش لهم من الأرض ، وجعلها مهاداً ، ومن كل شىء خلق لهم زوجين أثنين لعلهم يذكرون .

وهذا بعض ما آتى ربنا خليله إبراهيم من « الحسنة » فإنها صفة لازمة لكل أعماله وأقواله وأحواله الظاهرة والباطنة . وإنها كانت عاقبة ونتيجة حتمية لكل خطوة فى أى شأن من شئونه . فالزوجة حسنة ، والأولاد حسنة ، وأكله وشربه حسنة — إذ كان أحب ما إليه فى ذلك : الضيفان — فضلا عن غير ذلك مما كان يصدر فيه كله عن علم صحيح و بصيرة وعقيدة نقية صافية ، وحرص تام على ابتغاء مرضاة ربه ، وتقدير نعمه وشكرها . ولذلك جعل ربنا للمستجيبين الصادقين لدعوة إبراهيم إلى الضيافة — عند البيت المبارك — من الدعاء فى الطواف بين الركنين — اليمانى والحجر الأسود (٢ : ٢٠١ ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة . وقنا عذاب النار) ومن وفق لأن تكون عقيدته ، وأعماله وأقواله، وأحواله الظاهرة والباطنة كلها حسنة ليس فيها ما يسوء ولا يقبح : فإنه فى الآخرة لمن الصالحين لجوار الرحمن الرحيم ، فى دار الكرامة والنعيم المقيم .

ولذلك كان من أهم ما أوحى ربنا إلى رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم : الأمر المؤكد باتباع ملة ودين خليله إبراهيم .

وقال لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم فى آخر سورة الأنعام التى تخصصت لتقويض أوهام الوثنيين المشركين، وإشادة بناء صرح التوحيد الذى هو ملة إبراهيم (٦ : ١٦١-١٦٤) قل: إننى هدانى ربى إلى صراط مستقيم . دينا قيما ملة إبراهيم حنيفاً . وما كان من المشركين . قل: إن صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين . لا شريك له . وبذلك أمرت . وأنا أول المسلمين) فإن هذا هو سبيل الله القاصد ، الذى ضمن به ربنا رب العالمين لمن سلكه متحريا لصُواه ومناره ، ومتتبعاً لخطوات أنبيائه ورسله : أن يحييه الحياة الحسنة الآمنة الطيبة ،وأن يجعله فى الاخرة من الصالحين لوراثة جنات عرضها السموات والأرض. أعدت للمتقين.

أما الذين تركوا السبيل القاصد عمياً وبكماً وصما . وذهبوا يتلمسون فى ظلمات التقاليد الجاهلية دين الآباء والشيوخ ، فإنهم إنما وقعوا فى ذلك لاختلافهم فى الكتاب الذى أنزله الله لهم هدى وفرقانا ، ثم كان : أن خالفوه . ثم كان : أن أعرضوا عنه واتبعوا أهواء متبوعيهم ومقلديهم فحللوا ما لم يحل الله . وحرموا مالم يحرم الله فكانوا - بذلك العدوان - فى عيش نكد ، وحياة كلها فزع وهم وحزن . وأذاقهم الله الخزى فى الحياة الدنيا .

والله المقلب للقلوب والأبصار ، هو المسئول - من فضله و بره و إحسانه - : أن يهدينا الصراط المستقيم ، وأن يعيذنا ويبعدنا عنا كل الأسباب المقربة ، أو المفضية إلى طريق المغضوب عليهم والضالين . وأن يجعلنا من المحسنين الصالحين ، الذين أحسنوا الاقتداء بعبد الله وخليله ورسوله إبراهيم ، وعبده وحبيبه وخاتم رسله محمد . اللهم صل وسلم و بارك على محمد وعلى آل محمد ، كما صليت و باركت على إبراهيم . وعلى آل إبراهيم فى العالمين . إنك حميد مجيد .

جمعها واختصرها : محمد رشدى خليل

سعد صادق محمد

غزوات الرسول
صلى الله عليه وسلم

امتداد سلطان الاسلام : بعد أن تم النصر لرسول الله صلوات الله عليه على هوازن وثقيف فى حنين والطائف لم تعد فى شبه الجزيرة العربية ناحية إلا وكانت تعيش تحت سلطان المسلمين ، ويرفرف فى سمائها علم الاسلام خفاقا بالحق والسلام والمحبة والتوحيد . واذا حدث أن قاومت قبيلة ما ـ وهذا ما كان يحدث نادرا بعد الطائف — فإن الرسول كان يبعث إليها من يحملها على الطاعة ودفع الخراج ، والبقاء على دينها ، والاذعان لدعوة الاسلام ، والدخول فى حظيرته ، ودفع الزكاة .

وبينما الرسول فى مكة . ولم يطل به المقام فيها بعد إذ اتصل به من يخبره بأن الروم تنوى غزوه . فقد كانت الروم تخشى من سلطان المسلمين الزاحف فى كل اتجاه يوما بعد يوم ، أن يمتد أكثر وأكثر فيتاخم بلادهم ، فيضيع ملكهم وتزول دولتهم .

الاعلان بغزو الروم : وما أن علم الرسول صلوات الله عليه بذلك النبأ حتى قرر غزوها بنفسه . فأمر الناس بالتهيؤ للغزو ، كما أرسل إلى القبائل جميعها يدعوها لهذا الغزو . وطالعهم جميعاً بما اعتزمه ، حتى يأخذوا عدتهم وأهبتهم . فقد كان المسير إلى الروم بعيدا وخاصة أنهم كانوا فى فصل الصيف . وشدة القيظ وسوء الجو ، ومشقة السفر . وكل ذلك يتطلب التجهز وأخذ الأهبة . وقد أخبر الرسول الناس بذلك مخالفا فى ذلك سابق عادته فى غزواته حين كان يخرج دون أن يعرف أحد وجهته الحقيقية .

وتلقى المسلمون دعوة النبي بقلوب تغمرها اليقين والإيمان والتضحية رغم ما سيلاقونه من مشقة السفر والإرهاق البدني وخاصة أنهم كانوا قد عادوا لتوهم من الطائف ، فضلا عن تركهم الأهل والولد والديار والأموال .

مواقف المنافقين وغيرهم من الغزوة : أما المنافقون فقد تهامسوا بقصد التخلف عن الغزوة ، وتثبيطا لهمم المسلمين . وقال بعضهم لبعض : لا تنفروا في الحر : فنزل فيهم قوله تعالى (فرح المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله وكرهوا أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله وقالوا : لا تنفروا في الحر ، قل نار جهنم أشد حراً لو كانوا يفقهون) التوبة : ٨١

وأثناء التجهز للغزو سأل الرسول صلى الله عليه وسلم ، الجد بن قيس فقال « هل لك في في جلاد بني الأصفر » ؟ قال : يارسول الله أو تأذن لي ولا تفتني ، فقد عرف قومي أنه ما من رجل أشد إعجابا بالنساء مني ، وإني أخشى إن رأيت نساء بني الأصفر [1] الا أصبر فقال له الرسول صلى الله عليه وسلم معرضا عنه « قد أذنت لك » وفيه نزل قوله تعالى : (ومنهم من يقول أئذن لي ولا تفتني ألا في الفتنة سقطوا) التوبة : ٤٩ .

أما أهل اليسار فقد أسرعوا بمد يد الإنفاق احتسابا لوجه الله حين طلب منهم رسول الله الانفاق منهم : عثمان بن عفان [2] (رضى) الذى أخرج نفقة عظيمة بلغت ألف دينار وثلاثمائة بعير بعدتها .

وأتى سبعة من الأنصار — وهم البكاءون — إلى رسول الله ليحملهم معه وكانوا أهل حاجة وفقر ، فقال لهم رسول الله « لا أجد ما أحملكم عليه » فتولوا وأعينهم تفيض من الدمع حزنا ألا يجدوا ما ينفقون . وهؤلاء نزلت في شأنهم الآية الكريمة (ليس على الضعفاء من سبيل) إلى قوله تعالى (ولا على الذين إذا ما أتوك لتحملهم قلت لا أجد

---

(١) أى الروم (٢) ويروى أن رسول الله (ص) قال لعثمان بن عفان عندما أخرج تلك النفقة « اللهم أرض عن عثمان فانه عنه راض » ، راجع مختصر سيرة ابن هشام ص٤٤٣ ج ٢

ما احملكم عليه تولوا وأعينهم تفيض من الدمع حزنا ألا يجدوا ماينفقون — التوبة : ٩١ ، ٩٢) .

وجاء قوم من بدوالعرب المنافقين إلى رسول الله ينتحلون الأعذار ليأذن لهم فىالتخلف ، ولم يكن عندهم عذر مقبول ، فلم يعذرهم الله تعالى ، وقد ذكر أنهم من بنى غفار ، وهم الذين سموا « المعذرون » .

وعندما جاء هؤلاء القوم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم دفاعا عن أنفسهم من التخلف . فقالوا : يانبى الله إن نحن غزونا معك تغير أعراب طى على حلائلنا وأولادنا ومواشينا .

وعندما فضّل هؤلاء أولادهم وأنفسهم على الجهادفى سبيل الله قال لهم النبى « قدأنبأنى الله من أخباركم وسيغنى الله عنكم » وهؤلاءهم المعينون فى قوله تعالى (وجاء المعذرون من الأعراب ليؤذن لهم وقعد الذين كذبوا الله ورسوله سيصيب الذين كفروا منهم عذاب أليم ـ التوبة : ٩٠)

وقعد فريق غير المعذرين عن القتال ، بل ولم يعتذروا لرسول الله أيضاً ـ وكلا الفريقين كان مسيئا : قوم تكلفوا عذرا بالباطل وهم الذين عناهم الله تعالى بقوله (وجاء المعذورن) وقوم تخلفوا من غير عذر فقعدوا جرأة على الله تعالى وهم المنافقون . فأوعدهم الله بقوله (سيصيب الذين كفروا منهم عذاب أليم)(١) .

وتناقل عن الخروج نفر من ثقاة المسلمين من غير أن يكون فى قلوبهم شك أو ارتياب ، منهم : كعب بن مالك، وهلال بن أمية . ومرارة بن الربيع . وأبو خثيمة السالمى . كما تناقل نفر ممن سمعوا لليهود . وهؤلاء وردت الاية الكريمة فى توبيخهم وتقبيح موقفهم لتباطؤهم عن الخروج مع النبى والمسلمين طلبا للراحة فقال تعالى موجها إليهم اللوم

(١) راجع تفسير المنار للشيخ محمد رشيد رضا ص ٥٨٥ ج ١٠ ط المنار

(يا أيها الذين آمنوا مالكم إذا قيل لكم انفروا فى سبيل الله اثاقلتم إلى الأرض ، أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة فما متاع الحياة الدنيا فى الآخرة إلا قليل ، الا تنفروا يعذبكم عذابا أليم ويستبدل قوما غيركم ولا تضروه شيئا والله على كل شىء قدير ــ التوبة . ٣٨ ، ٣٩).

أما أبو خثيمة فقد رجع إلى رسول الله وشهد معه غزوة تبوك . : ومما يجدر ذكره أن أبا خثيمة دخل على أهل بيته فى يوم حار بعد أن سار النبى إلى تبوك . فوجد امرأتين له فى عريشين لهما فى حائط ، وقد رشت كل واحدة منهما عريشها . وبردت له فيه ماء ، وأعدت له طعاماً ، فلما دخل عليهما أبو خثيمة ورأى ما صنعتا زوجتاه قال : رسول الله فى الضّحِّ والريح والحر . وأبو خثيمة فى ظل بارد ، وطعام مهيأ ، وامرأة حسناء ؟ ماهذا بالنَّصَف . والله لا أدخل عريش واحدة منكما حتى ألحق برسول الله صلى الله عليه وسلم ، فهيأ لى زاداً . . فلما هيأ تاه له ارتحل إلى رسول الله ولحق به فى تبوك .

مسيرة الجيش إلى تبوك : وقبل أن يسير جيش المسلمين إلى تبوك استخلف رسول الله محمد بن مسلمه الأنصارى على المدينة لتدبير شئونها . كما خلف على بن أبى طالب على أهله ليرعاهم .

وخرج رسول الله قاصداً تبوك بجيش جرار قوامه : ثلاثون ألفا وعشرة آلاف فارس سار وسط صهيل الخيول . ولمعان السيوف ، وقد وقفت نساء المدينة شاخصات أبصارهن إلى الجيش وهو يضرب أرض الصحراء الفسيحة بأقدام ثابته . وقلوب قد ملأها الإيمان واليقين تصميما وعزماً على أن تكون كلمة الله هى العليا ، وأن ينتصر دين الإسلام ، وتعلو مبادئه على كل مبدأ مهما بلغ الثمن .

إيمان المسلمين فى ساعة العسرة : كانت ساعة خروج الجيش إلى تبوك ساعة عسرة ــ كما وصفها القرآن ــ كان عسرة فى الزاد ، إذ كان الوقت فى انتهاء فصل الصيف ، وقد نفدت فيه مؤنهم من التمر ، وكان بداية فصل الخريف ، وطاب ثمار الموسم الجديد ، وحان

قطافه ، ويحلو للناس البقاء فى ثمارهم والتمتع بطيباتها ، ولا يمكن حمل شيء منه فى تلك الساعة ، فكان الواحد منهم يكتفى بواحدة من التمر.

وكان عسرة فى الماء حتى كانوا ينحرون البعير ليعتصروا الفرشا من كرشه ، ويبلون به ألسنتهم .

وكان عسرة فى الزمن ؛ حيث كانوا فى فصل الصيف والحر شديد .

وكان عسرة فى الظهر . إذ اضطر العشرة منهم أن يتعقبوا بعيراً واحداً.. هكذا كانت ساعة العسرة.ولكن المسلمين ألقوا كل تلك الصعاب وراء ظهورهم ، فإن كل شيء فى الدنيا يتضاءل فى حساب التضحيات والكفاح أمام رغبة النفس الأبية الراغبة فى تحقيق ما تريد مهما أحاطت بهذه النفس ألوان الصعاب وشتى الغوائل والأهوال . فليذهب إذن كل نعيم وترف ولذة ، لقاء رضوان الله ومرضاته فى سبيل هذا المراد السامى.

بهذا المنظر المحفوف بجلال الحق وقوته وروعته ، سار رسول الله بالمسلمين صوب الشام.. إلى تبوك .

على بن أبى طالب والمرجفون : وعقب أن خرج الرسول إلى تبوك أرجف المنافقون بعلى وروجوا فى شأنه الأقاويل الكاذبة ، فقالوا : ماخلفه إلا استثقالا له . وتخففا منه .

وسمع على بهذه التهمة الباطلة ، فغضب وثارت نفسه البريئة ، فتقلد سلاحه ولحق برسول الله وهو بجهة الجرف [1] وقال له: يانبى الله زعم المنافقون أنك ما خلفتنى إلا استثقالا، فقال النبى: « كذبوا ولكنى خلفتك لما تركت ورائى . فأرجع فاخلفنى فى أهلى وأهلك .

---

(١) موضع على بعد ثلاثة أميال من المدينة نحو الشام .

أولا ترضى أن تكون منى بمنزلة هارون من موسى ؟ إلا أنه لانبى من بعدى » فرجع على إلى المدينة .

النزول بالحجر : وتابع جيش المسلمين مسيره أن بلغ الحجر[٢] وبها بقايا لمنازل ثمود قوم صالح فأمر الرسول الناس بالنزول فيها . فاستقوا من بئرها ، فلما دنوا من البئر ليشربوا قال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم «لا تشربوا من مائها شيئا . ولا تتوضأوا منه للصلاة ، وما كان من عجين عجنتموه فاعلفوه الابل ، ولا تأكلوا منه شيئا ، ولايخرجن أحد منكم الليلة إلا ومعه صاحب له » وسبب ذلك أن المكان لم يكن ممراً لأحد ؛ وكانت تهب فيه عواصف رملية تطمر السائر فيه ، فخرج رجلان من بنى ساعدة ، خرج أحدهما لحاجته ، والثانى فى طلب بعير له ، أما الأول فقد طمرته الريح ، وأما الآخر فاحتملته الريح حتى طرحته بجبلى طئ فأخبر بذلك رسول الله صلوات الله عليه ، فدعى للذى طمرته الريح فشفى بأذن الله . أما الآخر فإن طيئا أهدته إليه حين فرغ من تبوك .

فلما أصبح الناس ألفوا الرمال قد غطت البئر فخلا من الماء ، ففزع الناس إلى رسول الله وشكوا إليه . فدعا النبى صلى الله عليه وسلم . فأرسل الله تعالى سحابة أمطرت حتى ارتوى الناس . فاحتملوا حاجتهم من الماء .

ناقة رسول الله : وتحدث أن ضلت ناقة رسول الله فخرج أصحابه فى طلبها ، فقال رجل من المنافقين — هو زيد بن اللصيت القينقاعى وكان فى رحل عمارة بن حزم — قال هذا المنافق لبعض الناس : أليس محمد يزعم أنه نبى و يخبركم عن خبر السماء وهو لا يدرى أين ناقته ؟ فقال رسول الله صلوات الله عليه وعمارة بن حزم — الذى كان زيد بن اللصيت فى رحله — فى مجلسه « إن رجلا قال : هذا محمد يخبركم أنه نبى ويزعم أنه يخبركم بأمر السماء وهو لايدرى أين ناقته . وإنى والله ما أعلم إلا ما علمنى الله . وقد دلنى الله عليها . وهى فى هذه

---

(١) الحجر : قرية بنواحى المدينة بها عيون وآبار لبنى سليم

الوادى فى شعب كذا وكذا قد حبستها شجرة بزمامها ، فانطلقوا حتى تأتونى بها » .

فانطلقوا إلى ذلك المكان فجاءوه بها ، فلما رجع عمارة بن حزم إلى رحلة قال : والله لعجب من شيء حدثناه رسول الله صلى الله عليه وسلم آنفا عن مقالة قائل أخبره الله عنه بكذا أو كذا — وهو ماقاله زيد — فقال رجل ممن كان فى رحل عمارة ولم يحضر رسول الله : زيد والله قال هذه المقالة قبل أن تأتى ... فأقبل عمارة على زيد يجأ فى عنقه[1] ويقول : إلىَّ عباد الله ، إن فى رحلى لداهية وما أشعر ! أخرج أى عدو الله من رحلى فلا تصحبنى .

وهذه آية فى صدق النبوة جديرة بأن تبعث فى نفس الجاهل الجحود الإيمان واليقين بصدق نبوة محمد صلى الله عليه وسلم . وحجة بالغة للمعاندين بسمو دين الإسلام وصفاء عقيدته ، وقوامة منهجه ، وبأنه دين عدل ورحمة وهداية لجميع شعوب الأرض قاطبة .

في الطريق إلى تبوك : ثم مضى رسول الله سائرا إلى تبوك . فكان هناك أناس يتخلفون عنه فى الطريق فحين مايقولون له : يارسول الله تخلف فلان : فيقول « دعوه فإن يك فيه خير فسيلحقه الله تعالى بكم وإن يك غير ذلك فقد أراحكم الله منه » ويقال إن الصحابة أخبروا رسول الله بتخلف أبى ذر فقال عنه رسول الله كما قال عن غيره من المتخلفين . وكان أبو ذر قد أبطأ به بعيره فتركه ، وحمل متاعه على ظهره وخرج يتبع أثر رسول الله ماشيا .

انسحاب الروم : وانتهى رسول الله صلوات الله عليه إلى تبوك ، وكانت الروم قد بلغها خبر جيش المسلمين وقوته فآثرت التراجع بجيشها عما كانت تعتزمه ، وعندما علم رسول الله بانسحاب جيش الروم لما أصابهم من الذعر والخوف اكتفى بالوقوف عند مداخل بلادهم يناجز من تسول له نفسه بالمقاومة .

---

(١) يطعن فيها .

كتاب المعاهدة : وجاء يوحنا بن رؤبة صاحب أيلة إلى رسول الله مذعنا طائعا ، فصالحه وأعطاه الجزية . كما أتاه أهل جرباء وأذرح مذعنين طائعين . فأعطوه الجزية فكتب لهم الرسول كتاب أمن وسلام هذا نصه « بسم الله الرحمن الرحيم : هذه أمنة من الله ومحمد النبي رسول الله ليوحنة بن رؤبة وأهل أيلة ، سفنهم وسياراتهم [1] فى البر والبحر ، لهم ذمة الله وذمة محمد النبي ومن كان معهم من أهل الشام ، وأهل اليمن ، وأهل البحر ، فمن أحدث منهم حدثا فإنه لايحول ماله دون نفسه ، وأنه طيب لمن أخذه من الناس ، وأنه لايحل أن يمنعوا ماء يردونه ، ولاطريقاً يريدونه من برأو بحر »

غزو خالد بن الوليد لدومة : وبعد انسحاب الروم ومجيئهم إلى رسول الله طائعين وقبولهم دفع الجزية وكتابة عهد الأمان لم يعد للرسول مايدعوه إلى الحرب أو البقاء فى بلاد الروم ، ولكنه خشى أن يلجأ الروم إلى أكيدر بن عبد الملك الكندى أمير دومة فيؤتى من ناحيته بمساعدته . لذلك بعث النبي خالد بن الوليد إلى أكيدر أمير دومة — وكان نصرانيا — فى أربعمائة وعشرين فارسا ، وأسرع خالد إلى دومة فانقض على أميرها فى غفلة منه ، وكان أميرها قد خرج فى ليلة مقمرة ومعه أخ له يدعى حسان يطاردان بقر الوحش ، فلقيهما رجال خالد وقتلوا أخاه ثم أخذوه أسيرا وغنموا ما كان معه ، فبعث به خالد إلى رسول الله بالمدينة قبل قدومه عليه وعندما قدم أكيدر على رسول الله صلوات الله عليه نظر المسلمون إلى ملبسه وكان من الديباج فجعلوا يلمسونه تعجباً ، فقال لهم رسول الله « أتعجبون من هذا . فوالذى نفسى بيده لمناديل سعد بن معاذ فى الجنة أحسن من هذا » وقد حقن رسول الله دم أكيدر وصالحه على الجزية ، وخلى سبيله ، فرجع إلى بلاده .

عودة النبي إلى المدينة : أقام رسول الله والمسلمون بتبوك بضع عشرة ليلة ، ثم انصرف قافلا إلى المدينة وبعد عودة الرسول إلى المدينة ظافرين منتصرين لنا أن نتساءل : ما إذا

---

(١) السيارة : القافلة . والقوم وهم سائرون

كان من خروج النبي وهذه الألوف المؤلفة متحملين فى سبيل تلك الغزوة ماتعرضوا له من الآلام النفسية وغيرها من المصاعب دون أن يدخلوا فى حرب . أو يعودوا بغنم . . هل كان فى هذا العمل شيئاً مشيناً استحق أن يهزأ به المنافقون ويشمت فيه الحاقدون ؟ !

الحق إن خروج الرسول إلى تبوك بالاضافة إلى خروج خالد بن الوليد إلى أسير دومة كان عملا له أكثر من معنى جليل . ومغزى هاما . فإنه بعد أن غدت شبه الجزيرة العربية خاضعة لسلطان المسلمين . كان لابد من تأمين حدود شبه الجزيرة حتى لاتأتى من تلك الجهات الشمالية ـ وهى الشام ـ من المشاغبات والغارات العدوانية مايعكر صفو المسلمين فى بلادهم . ويصرفهم عن سياستهم فى نشر دين الاسلام فى الأقطار الأخرى . وبناء على هذه النظرة نجاه هذا العمل الجليل . كان مافعله النبي وخالد نصرا حربيا عظيما وعملا سياسيا بارعا عاد بالكسب الأكيد على المسلمين دون أن تكون فى المعركة ضحايا أو تراق فى ساحتها قطرة دم واحدة . بعكس ما اشاعه المنافقون والحاقدون حول عمل الرسول بعد عودته .

الذين تثاقلوا عن الخروج : وما أن استقر النبي صلوات الله عليه بالمدينة حتى بدأ الذين تخلفوا عن الخروج يظهرون . أما المنافقون ـ فقد كان يشوب اعتذارهم الكذب والخبث واللؤم فأعرض الرسول عنهم موكلا أمرهم إلى الله تعالى . ولكنه بدأ يشتد فى معاملته لهم حتى يجتث جرثومتهم من المدينة . وحتى لا يتمكنوا من فتنة المسلمين . وكان هؤلاء المنافقون قد بنوا مسجدا [1] بذى أوان لاتخاذه معقلا لجماعة من المنافقين بقصد الاضرار بدعوة

---

(١) سبب بناء هذا المسجد أن أبا عامر الأوسى كان من سكان المدينة ، وكان قد تنصر فى الجاهلية . فلما هاجر النبي إلى يثرب ظاهره بالعداوة .. وفى غزوة أحد تقدم أبو عامر إلى صفوف الأنصار ليستميلهم إلى نصرته . فلما كشفوا أمره قالوا له : لا أنعم الله بك عيناً يافاسق .. ولما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من أحد ورأى أبو عامر أن الاسلام بدأ يظهر وينتشر اتصل بهرقل ملك الروم يستنصره على النبي . فوعده هرقل ومناه . فكتب أبو عامر إلى جماعة =

الاسلام . وفتنة أهله . ولما تجهز الرسول إلى تبوك طلبوا منه أن يصلى فيـــه ليباركه ويحتجوا بصلاته فقال لهم النبي « إنى على جناح سفر . ولو قدمنا إن شاء الله لأتيناكم ».

ولما قدم النبى من تبوك نزل بذى أوان ، فأتاه خبر السماء بحقيقة مسجد الضرار . فدعا إليه مالك بن الدخشم . ومعين بن عدى العجلانى . وقال لهما « انطلقا إلى هذا المسجد الظالم أهله فاهدماه وحرقاه » ففعلا ففزع المنافقون لهدم مسجدهم وانزووا ، وقد نزل فيه قوله تعالى (والذين اتخذوا مسجدا ضرارا وكفرا وتفريقاً بين المؤمنين وارصادا لمن حارب الله ورسوله من قبل وليحلفن إن أردنا إلا الحسنى والله يشهد إنهم لكاذبون. لاتقم فيه أبدا ، لمسجد أسس على التقوى من أول يوم أحق أن تقوم فيه ، فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المطهرين ـ التوبة : ١٠٧ ، ١٠٨)

الثلاثة الذين خلفوا : أما الثلاثة الذين تثاقلوا عن الخروج وهم : وهم كعب بن مالك وهلال بن أمية ، ومرارة بن الربيع ، فقد بدأوا يتعرضون لمواجهة نفسية شديدة . عندما صحت ضمائرهم ، واستيقظ فى نفوسهم الاحساس بالذنب ، والشعور بالخطيئة ، فإن الرسول بعد عودته من تبوك لم يعد ينظر إليهم ، ولا يكلمهم كما هجرهم المؤمنون ، وقاطعوا محادثتهم ومجالستهم ، فصاروا فى ضيق بحياتهم ، وفى ضيق من أرضهم ـ على اتساعها لغيرهم ـ خوفا من العاقبة . وتألما من إعراض النبى والناس لهم . لذلك امتلأت قلوبهم بالهم والحزن . وتبدد سرورهم . واستحالت حياتهم إلى ظلام كثيف . وعندئذ اضطروا إلى اللجوء إلى الله تعالى يستغفرونه ويرجون رحمته فتاب الله عليهم وعفا عنهم لأن مافعلوه كان بمقتضى ما ركب فى أنفسهم من طباع البشرية . ولأنهم بادروا إلى التوبة النصوح . وقد نزل فيهم قوله تعالى (لقد تاب الله على النبى والمهاجرين والأنصار

= من قومه ـ من الانصار المنافقين ـ يعدهم ويمنيهم : أنه سيقدم عليهم بجيش يقاتل به رسول الله ويغلبه ويرده عما هو فيه . وأمرهم أن يتخذوا له معقلا ليكون منزلا لمن يرسلهم من عنده إلى المدينة . وليكون مرصدا له أيضا . فبنوا مسجدهم بجوار مسجد قباء .

الذين اتبعوه فى ساعة العسرة من بعد ما كاد يزيغ قلوب فريق منهم ثم تاب عليهم إنه بهم رءوف رحيم . وعلى الثلاثة الذين خُلِّفوا حتى إذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت وضاقت عليهم أنفسهم وظنوا أن لا ملجأ من الله إلا إليه ثم تاب عليهم ليتوبوا إن الله هو التواب الرحيم ـ التوبة : ١١٧ ، ١١٨)

وعندما عاد النبى عليه السلام إلى المدينة خرج الناس يستقبلونه . وأخذ النساء والصبيان والولائد ينشدن قائلات [(١)] :

طلع البدر علينا من ثنيات الوداع
وجب الشكر علينا ما دعا لله داع

من وصايا النبي صلى الله عليه وسلم

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لان يحمل أحدكم حبله فيأتى بحزمة حطب على ظهره فيبيعه فيكف الله به وجهه خير له من أن يسأل الناس أعطوه أو منعوه »

رواه البخارى

قال عليه الصلاة والسلام « مازال الرجل يسأل الناس ، حتى يأتى يوم القيامة ليس فى وجهه مزعة لحم » . رواه البخارى

(١) يقول بعض الرواة أن هذا النشيد قيل عند مقدم النبي صلى الله عليه وسلم من مكة ـ فى يوم الهجرة ـ لا عند قدومه من تبوك .. راجع زاد المعاد للامام ابن القيم ص ٢٠ ح ٣ ط مطبعة السنه المحمدية

الصبح السافر
فى حكم صلاة المسافر

— ١ —

بقلم الدكتور تقى الدين الهلالى

الحمد لله الذى أوجب على جميع العالمين اتباع رسوله المصطفى ، وأصحابه والتابعين أهل الصفا والوفاء ، وحذرنا من مخالفته ، وأوعد أهلها بالفتنة والعذاب الأليم ، فى آخر سورة النور من كتابه الكريم ، وصلاته وسلامه على محمد وآله ومن قفا نهجه القويم .

أما بعد . فقد التمس منى تلامذتى المقيمون فى البلاد الألمانية ، أخص بالذكر منهم الشاب الصالح قصى شنشل ورفقاءه ، من طلاب الهندسة فى جامعة (آخن) ومثنى شنشل ومن معه من المسلمين فى جامعة (شتوتكارت) أن أكتب لهم رسالة يعتمدون عليها فى حكم صلاة المسافر ، فأجبتهم إلى ماطلبوا . ومن الله أستمد العون ، وهو حسبى ونعم الوكيل .

الفصل الأول فى حكم صلاة المسافر

اعلم أيدك الله بتوفيقه أن أئمة الإسلام قد اختلفوا فى هذه المسألة ، أهى رخصة أم عزيمة ؟ والذين قالوا أن القصر رخصة اختلفوا فى وجوب قبول هذه الرخصة وجوازها . وسأنقل لك من كلامهم ما يروى الغليل ، ويشفى العليل من غير أطناب ولا تطويل ، وعلى الله قصد السبيل .

قال صاحب فتح العلام ، شرح بلوغ المرام . (ج ١ . ص ١٩٠) عن عائشة قالت : ول مافرضت الصلاة ركعتين ، فأقرت صلاة السفر ، وأتمت صلاة الحضر . متفق عليه . (يعنى اتفق على روايته البخارى ومسلم) وللبخارى ، ثم هاجر ففرضت أربعا ، وأقرت

صلاة السفر على الأول . زاد أحمد . إلا المغرب فإنها وتر النهار ، وإلا الصبح فإنها تطول فيها القراءة .

قال : شارحه ، فى الحديث دليل على وجوب القصر فى السفر ، لأن فرضت بمعنى وجبت . ووجوبه مذهب الحنفية وغيرهم .

وقال الشافعى وأحمد وجماعة ، أنه رخصة ، والتمام أفضل ، قال مؤلف هذه الرسالة كيف يكون التمام أفضل ويتركه النبى صلى الله عليه وسلم فى جميع أسفاره ، ولا يفعله ولا مرة واحدة ، ثم قال الشارح . أخرج الطبرانى فى الصغير من حديث ابن عمر موقوفا ، صلاة السفر ركعتان نزلتا من السماء فإن شئتم فردوهما ، قال الهيثمى : رجاله موثقون ، وهو توقيف لا مسرح فيه للاجتهاد . وأخرج عنه أيضاً فى الكبير برجال الصحيح ،صلاة السفر ركعتان ، من خالف السنة كفر . وفى قوله السنة دليل على رفعه كما هو معروف .

قال ابن القيم : فى الهدى النبوى ، كان صلى الله عليه وسلم يقصر الرباعية فيصليها ركعتين من حين يخرج مسافرا إلى أن يرجع إلى المدينة . ولم يثبت عنه أنه أتم الرباعية فى السفر البتة ، وفى قولها إلا المغرب دلالة على أن شرعيتها كانت فى الأصل ثلاثا لم تتغير وقولها أنها وتر النهار ، أى صلاة النهار كانت شفعاً ، والمغرب [1] آخرها لوقوعها فى جزء من النهار ، فهى وتر لصلاة النهار ، كما أنه شرع الوتر لصلاة الليل ، والوتر محبوب إلى الله تعالى كما تقدم فى الحديث . أن الله وتر يحب الوتر ، وقولها إلا الصبح ، تريد أنه أنه لا تغيير فى صلاتها ، وأنها ركعتان حضراً وسفراً . وعن عبد الله بن عمر ، قال ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أن الله تعالى يحب أن تؤتى رخصه كما يكره أن تؤتى معصيته . رواه أحمد وصححه بن خزيمة وابن حبان.

وفى رواية ، كما يحب أن تؤتى عزائمه . فسرت محبة الله برضاه ، وكراهيته بخلافها.

---

(١) قوله أخرجها غير منسجم ، ولعل صوابه آخرها .

وعن أنس قال خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من المدينة إلى مكة ، وكان يصلى ركعتين حتى رجعنا إلى المدينة . متفق عليه . واللفظ للبخارى .

ثم قال الشارح ، وفيه دليل على أن نفس خروجه من البلد بنية السفر يقتضى القصر ، ولو لم يجاوز من البلد ميلا ولا أقل ، وأنه لا يزال يقصر حتى يدخل البلد ، ولو صلى و بيوتها بمرأى منه قال مؤلف هذه الرسالة : الحديث يدل على أن المسافر يقصر الرباعية من حين خروجه من بلده الذى يستوطنه ، أى يقيم فيه إقامة غير محدودة حتى يرجع إلى بلده .

وقال القنوجى فى شرحه للدرر البهية ، تأليف الإمام الشوكانى ما نصه : المتن ممزوج بالشرح ، (يجب القصر) لحديث عائشة الثابت فى الصحيح . فرضت الصلاة ركعتين ، فزيدت فى الحضر وأقرت فى السفر . فهـذا يشعر بأن صلاة السفر باقية على الأصل . فمن أتم فكأنه صلى فى الحضر الثنائية أربعاً والرباعية ثمانى عمداً . وثبت أيضاً فى الصحيح أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : صدقة تصدق الله بها عليكم فاقبلوا صدقته . وكان النبى صلى الله عليه وسلم يقتصر فى أسفاره على القصر .

وقال الإمام أبو محمد على بن حزم الأندلسى كتاب المحلى ج ٥ ص ١ مسألة ومن خرج عن بيوت مدينته أوقريته ، أو موضع سكناه ؛ فمشى ميلا فصاعداً ، صلى ركعتين ولابد ، إذا بلغ الميل ؛ فإن مشى أقل من ميل صلى أربعاً .

وقال ابن القيم فى زاد المعاد : ج ١ ص ١٢٨ . وكان صلى الله عليه وسلم يقصر الرباعية فيصليها ركعتين من حين يخرج مسافراً إلى أن يرجع إلى المدينة . ولم يثبت عنه أنه أتم الرباعية فى سفره البتة .

وأما حديث عائشة أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يقصر فى السفر ويتم ويفطر ويصوم فلا يصح .

وسمعت شيخ الإسلام ابن تيمية يقول : هو كذب على رسول الله .

وبما يؤكد ماتقدم عن ابن حزم من أن المسافر فور انفصاله عن بلده يقصر الصلاة وإن كان يرى بيوت بلده ماجاء فى صحيح البخارى فى أبواب التقصير قال:

باب ، يقصر اذا خرج من موضعه . وخرج على فقصر وهو يرى البيوت ، فلما رجع قيل له هذه الكوفة ، قال لا حتى ندخلها ، قوله لا حتى ندخلها ، أى لا ندع التقصير حتى ندخل الكوفة ، وفيه إشارة إلى ما يأتى إن شاء الله فى الفصل الثالث من هذه الرسالة ، وهو أن المسافر لا يصلى الرباعية إلا ركعتين من حين يخرج من بلده حتى يعود إليه . وإن الإقامة الطارئة فى أثناء السفر لا ترفع حكم التقصير ، وإن كانت طويلة ومقصودة .

وقال ابن حزم ج ٤ ص ٢٦٤ مسألة ـ وكون الصلوات المذكورة فى السفر ركعتين فرضاً سواء كان سفر طاعة أو معصية ، أولا طاعة ولا معصية ، أمناً كان أم خوفاً ، فن أتمها أربعا عامداً ، فان كان عالماً بان ذلك لا يجوز بطلت صلاته ؛ وإن كان ساهياً سجد للسهو بعد السلام فقط . ثم قال : وقال أبو حنيفة ، قصر الصلاة فى كل سفر طاعة أو معصية فرض ، فإن أتمها فإن لم يقعد بعد الاثنتين مقدار التشهد بطلت صلاته وأعاد .

وعن كعب بن عجرة قال ، قال عمر بن الخطاب ، صلاة الأضحى ركعتان ، وصلاة الفطر ركعتان ، وصلاة الجمعة ركعتان ، وصلاة المسافر ركعتان تمام غير قصر على لسان نبيكم صلى الله عليه وسلم ، وقد خاب من افترى ، رواه النسائى ، وابن حزم وغيرهما . وصح عن ابن عمر أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة السفر ركعتان ، من ترك السنة كفر . هكذا رواه مرفوعا . ورواه هو والطبرانى من قول ابن عمر ، وهو فى حكم المرفوع ، لأن المراد بالسنة ، سنة النبى صلى الله عليه وسلم وقال ابن حزم ج ، ٤ ص ٢٦٧ ـ فصح أن الصلاة فرضها الله تعالى ركعتين ، ثم بلغها فى الحضر بعد الهجرة أربعاً . وأقر صلاة

السفر على ركعتين . وصح أن صلاة السفر ركعتان بقوله عليه السلام ، فاذ قد صح هذا فهى ركعتان لا يجوز أن يتعدى ذلك ، ومن تعداه فلم يصل كما أمره ، فلا صلاة له ، إذا كان عالما بذلك ، ولم يخص عليه السلام سفراً من سفر ، بل عم ، فلا يجوز لأحد تخصيص ذلك ، ولا يجوز رد صدقه الله تعالى التى أمر عليه السلام بقبولها ، فيكون من لا يقبلها عاصياً . وأخرج ابن حزم بسنده عن ابن عباس : ج ٤ ض ٢٧٠ ـ أنه قال : من صلى فى السفر أربعا كمن صلى فى الحضر ركعتين : ثم روى ابن حزم عن على ابن أبى طالب أنه دعى ليصلى بالناس فى منى نيابة عن عثمان لمرضه أربع ركعات فأبى ، وقال لا أصلى إلا ركعتين صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : وروينا عن عمر بن عبد العزيز ، وقد ذكر له لاتمام فى السفر لمن شاء . فقال لا ، الصلاة فى السفر ركعتان حتمان لا يصح غيرهما .

وروى ابن حزم عن ابن عباس قال : فرض الله الصلاة على لسان نبيكم صلى الله عليه وسلم فى الحضر أربعاً ، وفى السفر ركعتين ، وفى الخوف ركعة .

« يتبع » الدكتور تقى الدين الهلالى

الجهاد الأكبر والجهاد الأصغر

روينا عن عبد الله بن المبارك أنه قال :

رأيت الذنوب تميت القلوب   وقد يورث الذل إدمانها
وترك الذنوب حياة القلوب   وخير لنفسك عصيانها .
وما ضر بالدين إلا الملوك   وأحبار سوء ورهبانها .

وقال حبر الأمة عبد الله بن عباس رضى الله عنه : صنفان من النـاس إذ صلحا صلح الناس وإذا فسدا فسد الناس ؛ قيل من هم ؟ قال : الأمراء والعلماء .

إن جهل العلماء بحديث النبي صلى الله عليه وسلم هو فى حقيقته جهل بالدين ولا يغنيهم فتيلا حفظهم للقرآن وتلاوتهم له . فإن الحديث ترجمان القرآن وبيانه .

أقول هذا ولا يزال يرن فى أذنى صوت خطيب يردد مازعم وزعم غيره أنه حديث قاله الرسول صلى الله عليه وسلم : « رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر قيل وما الجهاد الأكبر يارسول الله ؟ قال : جهاد النفس » .

ويمكننى أن أقول إن هذا الكلام المزعوم ليس بحديث ألبتة[١] . ولم يجر على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يرو فى كتاب من كتب الحديث من معاجم وصحاح وسنن ومسانيد ومستدركات لأى إمام من أئمة الحديث - يعنى أن هذا الكلام لم يرق إلى درجة الحديث الموضوع (المكذوب) بل الضعيف .

والحق أن الصوفية الذين تعاملوا بهذا الحديث المزعوم وتعاطوه فيما بينهم والذين يمكن أن يرجع إليهم جريمة اختلاق من هذه الأحاديث لم يكونوا حصفاء فى صياغتهم لمثل هذا الكلام فإن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « المجاهد من جاهد نفسه والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه » رواه الشيخان من حديث : ولكن النبي صلى الله عليه وسلم لم يقل إن جهاد العدو جهاد أصغر لأن جهاد العدو لا يتأتى على الوجه المطلوب , لا ذا عد المرء إعداداً

(١) أنظر كتاب الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان للإمام ابن تيمية .

نفسياً وعيه تعبئة معنوية وصقل بالإيمان الكامل والوعى النامى بالحق الذى يعيش فيه وبالهدف الذى يجاهد من أجله فهو لا مشاحة قد مر على مرحلة من جهاد النفس فى ذروتها، ومن تطويعها للإقبال على الشهادة فى قمتها .

على أن المتصوفة حين حاكوا[1] هذا الحديث قصدوا من ورائه أن يقتلوا روح الجهاد العملى فى المسلمين وأن يقيموهم تحت تأثير هذا الخدر من جهاد النفس حتى يركنوا إلى هذا الضرب السلبى من الاقتناع بأن هذا هو الجهاد الأكبر . كيف يكون جهاد العدو والغزو فى سبيل الله وحماية الدعوة والذب عن الوطن والدفاع عن قضايا التحرر وعن الأحرار من عباد الله وطلب الشهادة من أجل هذه المثل العلياجهادا أصغر وهو قمة الجهاد وما الجنة إلا تحت ظلال السيوف . على أننا لا نقصد من هذه الكلمة إلا الحث على الالتفات إلى الحديث والعناية به وتحرى نصوصه ومتونه وأسانيدها وإحياء فنونه التى كادت تعجم من طول ماهجرت .

هدانا الله جميعاً إلى سواء السبيل ووفقنا إلى إحياء سنة نبيه وحديث رسوله صلى الله عليه وسلم

محمد نجيب المطيعى
بمكتبة المطيعى بالعباسية

تنبيه السادة المشتركين والمتعهدين

---

(١) على رأس هؤلاء المروجين لهذا الحديث المزعوم الغزالى فى إحيائه ومعارج القدس له أيضاً وغيره ممن لا بصر لهم بالحدث ولا علم لهم بفنونه .